فرانز روزنتال

علم التأريخ عند المسلمين

ترجمة د. صالح أحمد العلي

تقديم رضوان السيّد

Franz Rosenthal

المدار الإسلامي

علم التأريخ عند المسلمين



فرانز روزنتال

علم التأريخ عند المسلمين

ترجمـة

أ. د. صالح أحمد العلي

تقديم

رضوان السيّد

دار المدار الإسلامي

Original Title:
A History of Muslim Historiography
by **Franz Rosenthal**
Copyright 1968 by **E. J. Brill, Leiden, Netherlands**

جميع الحقوق محفوظة للناشر بالتعاقد مع الناشر دار بريل - ليدن - هولندا

نشر هذا الكتاب لأول مرة باللغة الإنكليزية سنة 1968

© دار المدار الإسلامي 2017
الطبعة الأولى
كانون الثاني/يناير 2017

علم التأريخ عند المسلمين
ترجمة أ. د. صالح أحمد العلي
موضوع الكتاب تاريخ إسلامي
الحجم 17 × 24 سم
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
التجليد كرتونيه

ردمك **ISBN** 9959-29-387-4
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)
رقم الإيداع المحلي 2006/7457

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **نقّال** 89 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع حصري في العالم ما عدا ليبيا دار الكتاب الجديد المتحدة
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس
هاتف 04 03 75 1 961 +/بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb

توزيع داخل ليبيا دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ ليبيا
هاتف وفاكس 013 07 34 21 218 + نقّال 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني **oeabooks@yahoo.com**

تقديم

ليس هذا الكتابُ الذي أُقدِّم له هنا أوّلَ كتب روزنتال التي عملتُ عليها قراءةً وإعجابًا وترجمةً. فقد قرأتُ وترجمتُ أجزاء من دراسته القيِّمة: الحياة الثانية للتراث الكلاسيكيِّ اليونانيِّ في الإسلام (1979، 1989، 1998). وكان الغرضُ من الترجمة للدراسة التقديميّة والمقتبسات تقديمها في فُصولٍ دراسيَّةٍ كنتُ أُعطيها لطلّاب الدراسات العليا في الجامعة اللبنانيّة، وبعض الجامعات العربيّة. وذلك لأنّ العارفين باللغة الألمانيّة من طلّابي كانوا نادرين. ثم عمدتُ مع الزميل الراحل الدكتور معن زيادة إلى ترجمة كتاب روزنتال: **مفهوم الحرِّيَّة في الإسلام** (1977-1978). وقد أعادت نشره دار المدار الإسلاميّ عام 2007. وكنتُ قد تعرَّفتُ بحوث الرجل العظيمة مبكِّراً أثناء دراستي بالأزهر من خلال ترجمة أنيس فريحة لدراسة روزنتال التي عنوانُها: **مناهج البحث العلميّ عند المسلمين** (1961).

على أنّ أهمّ كتب فرانز روزنتال وأكثرها بقاءً بِلا شكٍّ هو كتابه: **علم التاريخ عند المسلمين** (بريل، 1968). وهو لا يختلف عن كتبه الأُخرى الصغيرة والكبيرة في الدراسات الإسلاميّة أو الدراسات الكلاسيكيّة اليونانيّة والعبريّة والآراميّة. وأعني بذلك المنهج الفيلولوجيَّ التاريخانيَّ الذي يستهدف الاستقصاء والشمول في أيِّ موضوعٍ، من خلال علم اللغة المقارن، والقراءة النقديّة للمصادر والوثائق، والتوصُّل من خلال ذلك إلى كتابة تاريخٍ لمفردَةٍ أو لمفهومٍ أو لشخصيّةٍ أو لحقبةٍ تاريخيَّةٍ معيَّنةٍ. وبهذا المعنى فإنّ روزنتال يُعَدُّ من أواخر المستشرقينَ العظَماءِ مِن أصحابِ المنهج والمدرسة الفيلولوجيَّيْن.

وعندما نقول إنّ المنهج واحدٌ في كتابات روزنتال وزملائه ومعاصرِيه، وهو

المنهج الفيلولوجيّ التاريخانيّ، فلا يعني ذلك أنّ التاريخانيّة واحدةٌ، ولا أنّ المؤرِّخينَ والمستشرقينَ الكبار كتبوا أعمالاً متشابهةً. فالتاريخانيّة، مثل كلِّ المذاهب الفكريّة، منها اليسار (هو أصل الماركسيّة)، ومنها اليمين، ومنها الوسط الليبراليّ. وروزنتال من هذا التيّار الثالث. وليس المقصود بهذه التيّارات التي ذكرتُها منحاها السياسيّ بل رؤيتها للعالم وثقافاته وحضاراته. وعندما نتحدَّث عن الثقافات والحضارات الشرقيّة ومنها الإسلام فإنّ الدارسينَ الكبار هؤلاء يكادون يتساوون في الاستقصاء والبحث الشاسع، لكنّ مواقفهم من الإسلام وحضارته تختلف. فمن الجيل السابق لِجيل روزنتال دارسٌ كبيرٌ مثل الأب هنري لامنس الذي كانت استقصاءاته انتقائيةً أثَّرَ فيها نهجُهُ التبشيريُّ، بحيث عدَّ الإسلام خصمًا عليه أن يكافحه بالطرائق التاريخانيّة والفيلولوجيّة نَفسِها، فَصارَ المستقصى والهامشيُّ واللامفكَّرُ فيه مدعاةً إلى التحيُّز وإنْ تحت دعوى الموضوعيَّة. وبهذا المعنى فإنّ روزنتال مثل فلهاوزن (على سبيل المثال) كان من أهل الوسط الليبراليّ الكلاسيكيّ في رؤية الإسلام والحضارات الأُخرى. وقد ظهر ذلك في سائر دراساته التي تثير الإعجاب، دون أن يعني ذلك أنّ تلك الليبراليّة قد نجت من المركزيّة السائدة الأوروبيّة والغربيّة، لا لدى المستشرقينَ فحَسْبُ، بل لدى المؤرِّخينَ والأنثروبولوجيِّينَ وعلماء الاجتماع وأهل التفكير الفلسفيِّ أيضًا(*).

إنّ أهمِّيَّة كتاب روزنتال تتجلَّى في أنّه أشمل الكتب في عرض الموضوع عند المستشرقينَ. فقد كتب قبله كثيرون منذ منتصف القرن التاسع عشر. لكنَّه انفرد بأمرين: كثرة الوثائق المعروضة عن علم التاريخ التي كتبها العرب، وأنَّه قدَّم بمئتي صفحةٍ وأكثر علم التاريخ وأهمِّيَّته وموضوعاته عند العرب والمسلمين. والذين كتبوا قبله اهتمُّوا بالسرد، أي ذكر المؤلَّفات التاريخيّة بِأنواعها: الشاملة والمحلِّيَّة (تواريخ المدن) وكتب التراجم، زيادَةً على خصوصيّات علم السيرة النبويّة. والواقع أنَّه بعد علوم الفقه والقرآن في التأليف فإنّ التاريخ كان الاهتمام

(*) لمراجعة مقدمتي لـ **مفهوم الحرية في الإسلام**، دار المدار الإسلامي، 2007.

الثالث إنْ صحّ التعبير، وعلى قدم المساواة مع علوم اللغة والنحو. ولهذه الناحية نجد أنّ طريقة روزنتال أعطت علم التاريخ العربيّ والإسلاميّ حقَّه. فعلى كثرة أعمال روزنتال في شتّى مناحي الثقافة العربيّة والإسلاميّة، حظي علم التاريخ لديه باهتمامٍ خاصٍّ، لا في المقالات فقط بل في الكتب أيضاً. فلا ينبغي أن ننسى أنّه ترجم مقدّمة ابن خلدون إلى الإنجليزيّة مع دراسةٍ تقديميَّةٍ موجزةٍ، لكنَّها دقيقةٌ في علم التاريخ، وفي فلسفته أَيضًا، باعتبار أنّ هذا العلم أو التخصُّص تتجلّى فيه على أوضح الوجوه رؤية المسلمينَ لأنفسهم وللعالم، لا بعد الإسلام فَحسْبُ، بل من المبتدإ إلى المبعث أيضًا، باعتبار أنّ ذلك يضعهم في قلب التاريخ البشريِّ كلِّه. لقد تَنَبَّهَ روزنتال في دراسته لمقدّمة ابن خلدون إلى أنَّه يعرِّف التاريخ بأَنَّهُ «الخبر عن البشر» وعن أحوال العمران. وقد لحظتُ أنّ ما تَنبَّهَ لَهُ روزنتال تَنبَّهَ لَهُ أيضاً المؤرِّخ الكبير أريك هوبسباوم الذي ذكر في مطلع كتيِّبٍ له تعريف ابن خلدون للتاريخ. ثم إنّ روزنتال ما اكتفى بالتاريخ السياسيّ والثقافيّ والحضاريّ، بل كتب أيضاً، كما سبق القول، تاريخًا للتفكير العلميِّ في الإسلام (= مناهج البحث العلميّ). وهذا يُشيرُ إلى «تاريخٍ» للشَّغَف المعرفيِّ في إسلام الأزمنة الكلاسيكيّة!

قسّم روزنتال كتابه **علم التأريخ عند المسلمين** على ثلاثة أقسامٍ: القسم الدراسيّ الذي بحث فيه طبيعة علم التاريخ الحديث وعند المسلمينَ، وأنواع الكتابة التاريخيّة، ثمّ أشكالها الفنِّيَّة مثل السجع والقَصص والشعر، وأخيرًا قيمة علم التاريخ الإسلاميّ ومكانته في العالم.

أمّا القسم الثاني فقد مضى فيه كعادته في كتبه الأُخرى إلى إيراد نصٍّ تراثيٍّ طويلٍ للسخاويِّ عنوانُهُ **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التاريخ**. وقد كان النصُّ معروفًا قبله، لكنّه قرأه قراءةً جديدةً، وزوَّده بحواشٍ غزيرةٍ لا يقدر عليها غيره، للمقارنة والتدقيق.

أمّا القسم الثالث في النص الإنجليزيّ فقد ترجم فيه «مقتبساتٍ» عن علم التاريخ لمؤلفين عربٍ ومسلمينَ من نَحوِ عشرين كتابًا، بعضها لم يكن معروفًا من قبل.

وجاء المترجم أستاذنا الراحل الدكتور صالح العلي، أحد أكبر المؤرِّخينَ العرب في الأزمنة المعاصرة، فآثر إعادة ترتيب الكتاب. إذ قدّم عمليًّا القسم الثالث على القسم الثاني لِقِصَرِ المقتبسات الواردة فيه، وأَخَّرَ الصَّفحاتِ المئتيْنِ مِن كتاب الإعلان بالتوبيخ إلى نهاية الكتاب، لكي يصبح المجموع أسلس وأكثر وضوحًا، ولكي لا يُظلَمَ كتاب السخاويّ. والطريف أنَّ روزنتال الذي أورد كتاب **الإعلان بالتوبيخ** في مؤلَّفه كاملًا كان قد رجع في القسم الثالث أيضًا إلى السخاويِّ بإيراد نصَّينِ تاريخيَّينِ قصيرَينِ آخَرَيْنِ له هما: **القولُ المُنبي**، **والجواهر والدُّرر**.

إنّ الملحوظ أنّ هذه التعريفات والتحديدات لعلم التاريخ تعود جميعًا تقريبًا إلى القرنينِ الثامن والتاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، وأنّه في حين يميل ابن خلدون والمقريزيُّ إلى إبراز الجهد الإبداعيِّ في نتاجهما، فإنّ الآخرينَ مِن ذوي الأُصول الحديثيّة وكتابة التراجم يَعُدُّون تلك التحديدات ذات أصولٍ قديمةٍ تعود إلى القرنينِ الثاني والثالث للهجرة. وعلى سبيل المثال فإنّ كلمة (تاريخ) نفسها هناك من يعيدها في المعنى إلى صدر الإسلام أو ما قبله، ويرَى أنَّها من إدخال الدولة من أجل الإدارة. وهناك من يعطيها معنى تواريخ أعمار الرواة وتراجمهم ووفياتهم (من القرنين الثاني والثالث). وفي الوقت نفسه يبدأ الربط السياسيّ التدريجيّ بالكتابة في تاريخ الخلفاء، إلى ملاحظة المنحى الزمانيّ في كتب **الطبقات** في القرن الثالث أيضًا.

وفرانز روزنتال صاحب علم التاريخ وُلد عام 1914 وتوفِّي عام 2002. وهو ألمانيٌّ من برلين، وهاجر إلى الولايات المتَّحدة عام 1940 إذ استقرَّ في الأَعوامِ الأربعينَ الأخيرة من حياته في جامعة ييل. وفي تلك الجامعة كتب عشراتِ الكتب في الدراسات الساميَّة، والدراسات الإسلاميَّة. أمّا كتابه الضخم هذا فقد صدر في دار بريل عام 1968.

وقد كان الكتاب مخطوطًا عندما بدأ بترجمته المؤرِّخُ العراقيُّ الكبيرُ الراحلُ الدكتور صالح أحمد العلي، أستاذُ التاريخ الإسلاميّ بجامعة بغداد، ورئيسُ المجمع العلميّ العراقيّ (توفِّي عام 2003 أثناء الغزو الأميركيّ للعراق). والعلي

هو ثالثُ ثلاثةٍ هم أشهر المؤرِّخينَ العرب في النصف الثاني من القرن العشرينَ: جواد علي صاحبُ كتابِ **المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، وعبد العزيز الدوريّ صاحبُ كِتابِ **نشأة علم التاريخ عند العرب**، وكِتاب **مقدّمةٌ في تاريخ صدر الإسلام**، وعشرات الكتب الأُخرى عن العصور العبّاسيَّة. وقد كتبَ صالح العلي أُطروحته عن البصرة تحت إشراف هاملتون جِب، وكتب بعدها عشرات الكتب والدراسات في التاريخ العربيّ الإسلاميّ. لكنَّه كانَ أكثر من زميليه اهتمامًا بالدراسات النظريّة في التاريخ، وأكثر اهتمامًا أيضًا بترجمة الكتب المفيدة في علم التاريخ عُمومًا، والمذاهب التاريخيّة الكبرى، وفي علم التاريخ عند المسلمين مثل هذا الكتاب. ولا شكَّ في أنّ دراساته عن التاريخ الأوَّل للإسلام (القرنين الأول والثاني) هي التي جدَّدت معارفنا وطوَّرتها عن ذينك القرنينِ الخالدينِ في تاريخ الإسلام وتاريخ العالم. وما اهتمَّ صالح العلي، شأنه في ذلك شأن العراقيين الآخرين، كثيرًا بتحقيق النصوص، لكنَّه كانَ مفتونًا بطرائق روزنتال في تحقيق النصوص والتعليق عليها وتحشيتها ومقارنتها. والنصوص التي اجتزأ منها الأستاذ روزنتال مقاديرَ صغيرةً أو طويلةً صارت كلُّها منشورةً، وكان روزنتال قد عاد إليها مخطوطةً. ويعترف الأستاذ صالح العلي بأنّ ثلاثًا من تلك المخطوطات ما استطاع الرجوع إليها في مظانّها.

لقد اعتنت دار المدار الإسلاميّ وصاحبها سالمٌ الزريقانيُّ بنصٍّ روزنتال المترجَم عنايةً أُسطوريّةً. فقد كان التقدير أن يصدر الكتاب عام 2007. وقد أعلنتُ ذلك في إحدى الحواشي لترجمة **مفهوم الحرِّيَّة في الإسلام**. لكنَّه ما صدر إلّا عام 2016، إذ قرأ المحرِّرون في دار المدار النصَّ أكثر من عشر مرّاتٍ، وجرى تصحيح الأخطاء المطبعيّة الكثيرة، وأحيانًا الأخطاء الموضوعيّة التي خلّفها روزنتال أو العلي على قلَّتها في الواقع. ولذا فإنّ هذه النشرة هي بالفعل نشرةٌ معجبةٌ مثل سائر النصوص المترجمة والمؤلَّفة التي دأب على إصدارها الأستاذ سالمٌ الزريقانيُّ، في الأَعوامِ العشرينَ الأخيرة.

رضوان السيد

بيروت، في 6/ 6/ 2016

مُقدِّمـة المُترجـم

إنّ التأريخ من أهم ميادين المعرفة التي اهتمّ بها العرب وتَدارسوها وألَّفوا فيها. ويرجع اهتمامهم بها إلى ما قبل الإسلام، حيث كانوا يعتقدون بأهمّية الدّم في تقرير خلق الإنسان، ويؤمنون بأن أعمال الآباء والأجداد تُسبغ على الأبناء مكانة في المجتمع، وهذا ما دفعهم إلى الاهتمام بالنَّسَبِ، وحفظِ شجراتهِ وتَدارِسها، والاهتمام معها بالتأريخ.

ثم جاء الرسول الكريم يدعو الناس إلى الإسلام، وأنزل الله تعالى القرآن المجيد وفيه آيات بيّنات تذكر قِصصاً وأخباراً عن «الأوَّلين» و«الماضين»، وتدعو إلى دراسة أحوالهم والتفكير فيها وأخذ العِبْرة منها، كما تذكر الآيات الكريمة أخبار كثير من الأنبياء، وتُؤكد أن جُذور الإسلام قديمة، لها تاريخ طويل، فالإسلام دين الحنيفية، وهي دين إبراهيم الخليل ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ وأن تعاليم الإسلام قديمة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

وبعد وفاة الرسول اتّسعت الدولة الإسلامية، وأصبحت تمتدّ من أواسط آسيا شرقاً، حتى المحيط الأطلسي وجبال البرانِس (البيرينيه) غرباً، وقد ضمَّت هذه الرُّقعة الواسعة شُعوباً وأجناساً كثيرة، اعتنق مُعظمها الدين الإسلامي، وصارت العربية لغتهم العلمية التي يكتبون بها، وهي لغة القرآن الكريم والفرائض الإسلامية، ولغة الرسول الكريم وقومه الذين بدأ ببث دعوته فيهم أول مرة، وهم الذين صدَّقُوه وآزروه ونصروه، ثم قاموا بالفُتُوح وتوسيع الدولة وحفظ الأمن والنظام فيها، والسيطرة على إدارتها وتوجيهها.

وقد كانت مُرونة العرب ومكارم أخلاقهم، ومكانتهم البارزة بين المُسلمين من العوامل التي جعلت لهم مكانة خاصة في الدولة الإسلامية، وكان منهم المُهاجرون والأنصار، والصحابة الأعلام الذين يستمد الناس من سلوكهم المَثَل الأعلى في الخُلُق الفاضل.

وقد كان لثقافة العرب ولاهتمامهم الفكري أثر كبير في توجيه الحركة الفكرية في العالم الإسلامي، ومن أبرز مظاهر اتجاهاتهم الثقافية والفكرية اهتمامهم بالجوانب الإنسانية، أي بكل ما يتعلّق بالإنسان وتصرّفاته. ولما كان التاريخ من أهم فُروع المعرفة الإنسانية، بل هو المعرفة أو العلم الذي يُظهر الإنسانية على حقيقتها، فقد خُصَّ بنصيب كبير من الاهتمام، وقد دفعتهم عوامل كثيرة إلى الاهتمام به، منها تقاليدهم القديمة التي تهتم بالنَّسَب والمُفاخرات، ومنها دعوة القرآن الكريم إلى الاهتمام بأحوال الماضين، ومنها مكانة الرسول والصحابة بين الناس، ومنها أن العرب بطبيعتهم مُحافظون يهتمّون بالسُّنَن والتقاليد ويعملون على مُراعاتها، ومنها ما في التاريخ من لَذّة عند السماع، وعِبْرة عند التفكُّر، وشُمول في الميدان، لذلك كان التأريخ من أوائل العلوم التي اهتمّوا بها، فتدارسوه ورَوَوْا أخباره، واهتمّوا بتدقيقها، وظلَّ هذا الاهتمام والتّدارس مستمراً طوال العصور التي كانت لهم فيها حيوية ونشاط، أي طَوَال الأزمنة التي كان يُسيطر على إدارة بلادهم حُكّام لغتهم العربية.

وقد أدّى هذا إلى نِتاج فكري هائل في التأريخ، فأُلِّفت في مختلف الأزمنة والأقاليم كتب في التاريخ تناولت جوانب مُتعدّدة حتى لتكاد تقول إنهم لم يتركوا جانباً من جوانب النشاط الإنساني دون أن يُسجّلوا تاريخه. يُضاف إلى ذلك أنهم اهتمّوا بدراسة جوانب مُتعدّدة من أحوالهم المعاصرة، كالجُغرافيا والمنتوجات والعادات والتقاليد، مما يصح أن تكون أيضاً على مَرّ الأيام «تاريخاً». وهكذا فإن دراسة التاريخ لم تقتصر على الكُتُب التي يوضع على عنوانها كلمة «التاريخ»، كما أن دراستهم لم تقتصر على جانب واحد من جوانب التاريخ، ولعل خير مظهر لذلك هو الأقسام الكثيرة المُعقدة التي ذكرها السَّخاوي في كتابه **الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمَّ أهل التاريخ**.

ثم مَرَّت على العالم العربي والإسلامي فترة سيطرت عليه حكومات هي رَغْم اعتناقها الإسلام واحترامها اللغة العربية وحرصها على الشعائر الإسلامية، فإن رجال إدارتها كانوا من غير الناطقين باللغة العربية، فجَمَدت الحركة الفكرية، وركد النشاط، وندر الإبداع، وأصاب دراسة التاريخ من هذا الركود نصيب غير قليل.

وفي أواخر القرن التاسع عشر بدأت في العالم العربي حركة إحياء جديدة ونشاط شمل مُعظم جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، وبدأ البحث عن الذات يَقْوى ويتّسع، والشعور القومي ينمو ويتعاظم، وكان البحث عن التاريخ وكتبه وجمعها ونشرها وتَدارسها من أبرز مظاهر هذه الحركة الجديدة، ومن العوامل التي قَوَّتْها. وهكذا انطلقت مطبعة بولاق تنشر بدقّة كثيراً من أُمّهات كتب التاريخ الإسلامي، وتلتها المطابع الأُخرى المتزايدة تقوم بالعمل نفسه وإن لم يكن كله بالدقّة التي تميَّزت بها بولاق.

وظلّ الاهتمام بالتاريخ يتزايد، ولم تَعُدْ قراءته مقصورة على المُتعة أو إرضاء غريزة حب الاستطلاع، بل أدرك الناس أنه وسيلة رئيسة لمعرفة الذات، وأداة كُبرى لكشف قابليات الأمة وطاقاتها الإبداعية، ومُثير كبير لِلهِمَم، فتزايد الإقبال على دراسته ونشر الكُتُب والدراسات فيه، فكان عدد الطلاب المختصين في التأريخ في الجامعات يعادل إن لم يَفُقْ عدد الطلاب الذين يدرسون أي تخصص آخر. وكانت الموضوعات التاريخيَّة واضحة حتى في المجلات غير المختصة بدراسة التأريخ، كما أن عدداً من الباحثين نشروا دراسات عن موضوعات تاريخية عامة أو خاصة، يُمكن اعتبار بعضها من أعمق الدراسات العلمية وأمتنها.

وقد جرت بجانب ذلك دراسات في المؤلفات التاريخيَّة، وفي علم التأريخ عند العرب وتطوّره، وبعض هذه الدراسات مُقدّمات للأبحاث التاريخيَّة، وبعضها بحوث مُستقلّة قائمة بذاتها، وقد نشرت دائرة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية في بيروت كتاباً عن **ما أسهم به العرب في دراسة التأريخ في المئة سَنَة الأخيرة** شارك في تأليفه عدد من المُؤرّخين العرب، وهو يظهر مدى تزايد الكتابات التاريخيَّة وتقدمها.

وعلى الرَّغْم من الاهتمام المتزايد بالتأريخ، والإنتاج المتعاظم في كميته والمُتحسِّن في نوعيته، فإنه لم يكفِ لتلبية الرغبات المُتزايدة، ولم يفِ بالحاجات المُتّسعة لكتب التاريخ ودراسته، خاصة وأن الطريق العلمية في البحث كانت في عالم الناطقين بالضاد وليدة جديدة لَمّا تُسَيْطِرْ على البحث العلمي تماماً. لهذا، ولعوامل أُخرى التفت العرب إلى الغرب يدرسون ويقتبسون دراسة تاريخ العرب، والتواريخ الأُخرى، ولم يكن عملهم هذا شيئاً مُخجلاً، أو أمراً عسيراً. ذلك أن دراسة التاريخ كانت حرة طليقة غير خاضعة لتقاليد جامدة مقيدة تمنع الاقتباس، كما أن العرب منذ أقدم الأزمنة تميّزوا بالمُرونة الفكرية وبالسعي وراء الحقيقة حتى ولو كانت عند أعدائهم، إضافة إلى أن الغرب كان قد قطع شوطاً غير قليل في نشر كتب التاريخ الإسلامي ودراسة موضوعاته دراسة علمية إلى حد كبير.

ويرجع اهتمام أُوروبا بدراسة اللُّغة والثقافة العربية إلى أواخر العصور الوسطى، حيث كانت دراسة العلوم العربية من أهم أسباب حركة الإحياء والنهضة الفكرية في أُوروبا، ثم ضعُف هذا الاهتمام فترة من الزمن، وعاد إلى الانتعاش من جديد إبّان القرن التاسع عشر، فظهر عدد من الباحثين في مُختلف الأقطار الأُوروبية، امتاز بعضهم بدقّة البحث وإتقان الطريقة العلمية وتطبيقها على الدراسات العربية، وبشمول النظر واتّساعه والتّطرُّق إلى جوانب متعدّدة من الحضارة الإسلامية؛ وقد قاموا بنشر عدد كبير من كُتُب التاريخ العربية، وكُتُب أُخرى تتناول جوانب كثيرة من الحضارة العربية، نشراً علميّاً دقيقاً، كما اهتموا بجميع المواد الأولية، والوثائق الأصلية لدراسة التاريخ، من نقود وأوراق بَرْدِي، فضلاً عن الحفريّات التي قاموا بها في عدد كبير من مراكز الحضارة الإسلامية، يُضاف إلى ذلك أن المُستشرقين بحكم نُشوئهم في أُوروبا حيث تقدمت دراسة التاريخ بأساليبها وآفاقها كانت لهم نظرة أوسع، فاهتموا بجوانب متعددة من التاريخ الإسلامي، وأظهر بعضهم عُمقاً في التحليل وإصابة في التعليل، ونُضجاً في الأحكام. ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أن المُستشرقين ليسوا جميعاً في سويّة واحدة في النشاط بالعمل أو في الدقّة بالبحث، أو في التجرُّد من الهوى عند الدراسة، لأن الأعلام منهم قِلّة.

وقد التفت عدد من المُستشرقين إلى دراسة علم التأريخ عند المُسلمين،

وألّفوا في ذلك كتباً تختلف سويّتها، ومن أوائل الذين بحثوا في هذا الموضوع المُستشرق الألماني «فرديناند وستنفلد» الذي نشر بحثه عن **الكتابة التأريخية عند المُسلمين** سَنَة 1882م، ثم تلاه «بروكلمان» فخصَّص للمُؤلّفات التأريخية صفحات كثيرة في كتابه عن **تاريخ الأدب العربي**، كما طبع الأستاذ «ديفيد مارغليوت» سَنَة 1932م المحاضرات التي ألقاها في جامعة كالكوتا عن **التاريخ العربي**، ونشر «السير هاملتون جِب» مقالة عن التأريخ عند المُسلمين في الطبعة الرابعة عشرة من **دائرة المعارف البريطانية**، وبحثاً مشبعاً عن تطور علم التأريخ عند المُسلمين في ملحق **دائرة المعارف الإسلامية**، إضافة إلى عدد كبير من البحوث عن المصادر التاريخيَّة تناولها كثير من المُستشرقين، وخاصة في مُقدّمات بحوثهم عن بعض موضوعات أو فترات التاريخ الإسلامي، ومن الصعب أن نعرض في هذه العُجالة هذه البحوث، ويكفي أن نُشير إلى نماذج طيّبة، منها ما كتبه الأستاذ «بارثولد» في مُقدّمة كتابه عن **تركستان حتى فتح المغول**، والأستاذ «كلود كاهين» في مُقدّمة كتابه عن **سورية في فترة الصليبيين**، والأستاذ «سوفاجيه» عن كتب التأريخ الإسلامي.

ثم نشر الأستاذ «فرانز روزنتال» كتابين في الموضوع، أحدهما: *The Technique and Approach of Muslim Scholarship* الذي تُرجم إلى العربية بعنوان **مناهج العلماء المُسلمين في البحث العلمي**، والثاني كتابنا هذا: *A History of Muslim Historiography* **علم التأريخ عند المُسلمين**، الذي نُقدّمه مُترجماً إلى العربية، هذا الكتاب مُكوَّن من ثلاثة أقسام: يشغل أولها 177 صفحة من الأصل الإنكليزي، ويتناول بعض الملاحظات العامة عن طبيعة هذا العلم ونِطاقه، وجذور علم التأريخ عند العرب وأشكال التأريخ، من خبر، وترتيب على السنين، ودول، وطبقات، وأنساب. ثم تصنيف كتب التأريخ حسب مُحتواها: كالنَّسَب، والتراجم، والجُغرافيا، والفلك، والفلسفة، والعلوم السياسية والاجتماعية، والوثوق الأصلية، والتواريخ العامة والمحلّية والمُذكّرات، ثم أشكال الكتابة التأريخية: كاستخدام السَّجْع، والشعر والقصص، ثم قِيمة علم التأريخ الإسلامي ومكانته في العالم.

أما القسم الثاني، فهو ترجمة وتعليق على كتاب **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التاريخ** للسَّخاوي، ومُقتطفات من الفصل الذي كتبه عن التاريخ طاشْكُبْري زاده في كتابه **مفتاح السعادة**.

والقسم الثالث نصوص تختلف في الطُّول، وبعضها يُنشر لأول مرة كاملاً أو مُقتطفات مأخوذة من **جوامع العلوم** لابن فَرْحُون (-459)، **وحدائق الأنوار** لفخر الدين الرازي (-460)، **وبُغية الطلب** لابن العَديم (-461)، **والشفاء** لابن سينا (-462)، **والخبر عن البشر** للمَقْريزي (-463)، **والخَراج** لقُدامة (-464)، **وتاريخ المَوْصِل** لأبي زكريا الأَزْدي (-465)، والإنباء للقِفْطي (-464)، **وتاريخ المدينة** لابن النجّار (-467)، **والذخيرة** للغُمري (-467)، **والمختصر في علم التاريخ** للكافِيَجي (468-501)، **ومعجم طبقات القُرّاء** للذهبي (501-503)، **والإنباء** لابن حَجَر (-503)، **والعِقْد** لابن المُلقِّن (-505)، **والرسالة** لابن أبي المنصور (-505)، **والقول المُنْبي** للسَّخاوي (-505)، **والجواهر والدُّرَر** للسَّخاوي (507-528)، **والمُعجم** للسِّلَفي (-528).

ونظراً لكون الأغلبية المطلقة لهذه النُّصوص مُقتطفات غير طويلة ولها علاقة صميمة في البحث الذي تضمنه القسم الأول، وأن المؤلف نشرها قسماً خاصاً لصُعوبات فنية في الطباعة، فقد وضعناها في مواضعها الطبيعية التي أرادها المؤلف لها، ولم نُفرد منها إلّا كتاب **المختصر في علم التاريخ** للكافِيَجي، فوضعناه مع كتابَي السَّخاوي وطاشْكُبْري زاده واعتبرناها كلها تُكوّن القسم الثاني. والنص الرئيسي بلا شكّ كتاب **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التاريخ** للسَّخاوي الذي كان قد نشره القُدسي سَنَة 1349هـ/ 1930م في دمشق ـ مطبعة الشرقي.

غير أن النشرة الحالية تتميّز على النشرة الأُولى بميزات: فهي قد قُورنت، بمخطوطة ليدن التي لم يعتمد عليها الناشر الأول، وثبتت فيها الاختلافات في القراءات، وضبطت أسماء الأعلام، سواء أسماء الأشخاص أم الكُتب، ووضعت للنص الفوارز والنِّقاط ممّا جعل النص أوضح وأقرب للفهم. والأهم من كُلّ هذا،

هو أنّ هذه النشرة قد أُرفقت بتعليقات غنية وهوامش وافرة، ذُكر فيها مظانّ ومواقع كثير من النصوص التي أوردها السَّخاوي، وتراجم أشخاص المُؤرّخين الذين أشار إليهم، والاقتباسات الكثيرة من الكُتُب التي ذكرها السَّخاوي. وهذه الهوامش والتعليقات الكثيرة في كلّ صفحة تقريباً تُظهر الجهد الهائل الذي بذله المؤلف، والاطّلاع الواسع الذي تميّز به، وهي تضمّ معلومات كثيرة لا غنى عنها للباحثين في علم التأريخ عند المُسلمين، وهي معلومات لا تقلّ في أهميتها، إن لم تَفُق، ما جاء في القسم الأول من الكتاب.

لقد ذكرت أن اهتمام العرب بدراسة التاريخ عُموماً، وتاريخ العرب وعلم التاريخ خاصة، كان مُطّرداً في ازدياده وتوسُّعه، ونشرت في ذلك عدة أبحاث منها الفصول التي كتبها الأستاذ أحمد أمين في **ضحى الإسلام** و**ظُهر الإسلام** عن تطوّر علم التأريخ عند المُسلمين في القُرون الإسلامية الأُولى، والفصل الذي كتبه الأستاذ عبد الحميد العبادي وألحقه بكتاب **علم التأريخ** للأستاذ «هرنشو»، والفصول التي كتبها الأستاذ فيليب حِتّي في كتابه **تاريخ العرب** ودراسات الأستاذ محمد مصطفى زيادة عن **المُؤرّخين المصريين في القرن الخامس عشر**، والدكتور جواد عليّ عن **موارد تاريخ الطبري**، ودراسة الدكتور عبد العزيز الدُّوري عن **نشأة علم التأريخ عند المُسلمين**، والأستاذ عباس العزّاوي عن **التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان**، ومحمد عبد الغني حسن عن **علم التأريخ عند العرب**، والدكتور الباز العريني عن **مُؤرّخو الحروب الصليبية**. كما نشر الأستاذ أسد رُستم **مصطلح التأريخ**، والأستاذ حسن عثمان **منهج البحث التاريخي**، وأحمد شلبي **كيف تكتب بحثاً أو رسالة**، والأستاذ قسطنطين زريق **نحن والتاريخ**، وتُرجمت إلى اللغة العربية عدة كتب عن علم التاريخ وطبيعته، مثل كتاب **فكرة التأريخ** لـ كولنغوود، و**مختصر في التاريخ** لـ أرنولد توينبي، و**مدخل لفلسفة التاريخ** لـ والش، و**ما هو التاريخ** لـ كار، و**المدخل إلى الدراسات التأريخية** لـ أنجلو أوسينوبوس، و**المؤرخون وروح الشعر** لـ نف، ودراسة **التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية** لـ أتكن، و**من المعرفة التاريخيَّة** لـ كاسيرر.

وقد تُرجمت إلى العربية أيضاً **المغازي الأُولى ومُؤلّفوها** ليوسف هوروفتز، **ودراسات عن المُؤرّخين المُسلمين** لـ مارغليوت، ومقالة «تاريخ» التي نشرها الأستاذ هاملتون جِب في **دائرة المعارف الإسلامية**.

غير أن هذه الكُتُب المُؤلّفة والمُترجمة على الرَّغْم ممّا فيها من بحوث عميقة، ومعلومات واسعة، لا تُغني عن كتاب الأستاذ روزنتال سواء في بحثه أم في نشره النُّصوص، أم في تعليقاته الغنية على كتاب **الإعلان بالتوبيخ**.

وقد راعينا في الترجمة الدقّة بقدر ما تسمح به اللغة العربية، ولم نتصرّف إلّا حيث تُؤدّي الدقّة في التّرجمة إلى الغُموض والالتواء، ولمّا كانت النصوص العربية قد جُمعت كُلّها في الأصل ووُضعت في آخر الكتاب لأسباب فنية صِرْفة، فقد وضعنا النصوص القصيرة منها في مكانها الذي ينبغي أن تكون فيه، كما بَيَّنّا أعلاه. ممّا أدى إلى ألّا تكون الصفحات الإنكليزية مُتسِلْسِلَة. وقد أرجعنا النصوص التي أثبتها المؤلف مترجمة إلى الإنكليزية، إلى أصلها العربي، ما خلا نصّين أو ثلاثة نصوص، لم تتوافر لنا أُصولها العربية.

وحرصاً على تقديم آراء المؤلف للقارئ كما هي، فقد تحاشينا التعليقات والرُّدود، لأن مثل هذه التعليقات والرُّدود لو دُوِّنت فستكون مُمثّلة لآرائنا، وقد تُؤثّر في القارئ الذي نرجو أن يُكوّن بنفسه أفكاره الخاصة فيما ذكره المؤلف. والواقع أن سَعة الموضوع وتعدُّد المصادر وقِلّة الأبحاث السابقة يُتيح مجالاً واسعاً للتعليقات.

على أنّ المُؤلّف قد أعلن في المُقدّمة رغبته في نشر الفصل الذي كتبه ابن النديم في **الفِهْرِست** عن علم التأريخ، ولكنه قرَّر تأجيل تنفيذ تلك الرغبة حتى تصدر طبعة علمية جديدة لكتاب **الفِهْرِست**، كان مُؤمّلاً أن تظهر، غير أنّ هذه الطبعة المشار إليها لَمّا تصدر بعد، وأن ظُهور الكتاب خالياً ممّا أورده ابن النديم يُعَدّ ناقصاً، فقد قُمت بإضافة ما أورده ابن النديم عن كتب التاريخ، ممّا لا يوجد في النص الإنكليزي. وقد اعتمدتُ في ذلك على الطبعة المصرية الأُولى، وأعدتُ تصنيف الكُتُب بحسب موضوعاتها، ذاكراً الصفحة التي ورد فيها ذكر الكتاب. كما أضفتُ ما أورده الطُّوسي في كتاب **الفِهْرِست** من أسماء

كتب ممّا لم يُشِرْ إليه المُؤلِّف. وآمل أن أكون بعملي هذا قد جعلت الكتاب «أكمل» ولا يناقض خُطة المُؤلِّف الأصلية.

وقد قام زميلي الأستاذ محمد توفيق حسين بمُقارنة الترجمة على الأصل وأبدى مُلاحظات ثمينة ساعدت على توضيح بعض العبارات التي كان فيها بعض الغُموض. وإني إذ أُقدّم له جزيل الشكر على ما بذل من جهد، أتحمل كُلّ مسؤولية في الترجمة أو في الطبع. وكُلّ رجائي أن أكون قد قمت ببعض الواجب تجاه دراسة التاريخ، وتجاه القارئ العربي ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

صالح أحمد العلي

تصـــديـــر

يُمثّل هذا الكتاب تنفيذاً غير كامل لنية طيبة جداً كنت أُحِسُّ بها، فهو ليس تاريخاً شاملاً لعلم التاريخ الإسلامي، كما يبدو من العنوان، بل هو في خير الأحوال مُحاولة لتفهُّم المُشكلات الأساسية في علم التاريخ الإسلامي. وآمل ألا يُعتبر غير جدير بالمعونة المادية التي تلقيتُها عندما كنت أكتبه. فقد منحتني مُؤسسة جون سيمون غوغنهايم John Simon Guggenheim زمالة مكّنتني من زيارة إنكلترا وفرنسا ومصر، ومن استعمال المكتبات الكبيرة في أُكسفورد وباريس والقاهرة والإسكندرية حيث قَدَّم لي موظّفوها المسؤولون مَعونتهم الصادقة، ومنحتني الكلية التي أدرّس فيها في سينسيناتي إجازة سَنَة واحدة براتب، وبالرَّغْم من كلّ هذه المُساعدات السخيّة لم أستطع الحصول على كثير من المَعونة التي توفّرها المُخترعات الحديثة للكتاب العلمي. وإني لآسف ألا يتوافر ذلك لـ «الطالب البائس»، غير أني أعلم أن البحث العلمي لم يكن في الماضي، وأرجو ألا يكون في المستقبل، مُعتمداً على المكتباتِ التي فيها مجموعات كاملة، أو الكُتبِ المُصوّرةِ على الأفلام، أو الطائراتِ. وإني لأتجرّأ على تقديم شيء مهما كان قليلاً وأقول فيه:

ما لا يُدْرك كلُّه لا يُترك جُلُّه

في القسم الأول من هذا الكتاب تُرك الحديث على العُموم للمؤلِّف، أما في القسم الثاني، فالحديث لعلماء التاريخ المُسلمين أنفسهم، فهو يحتوي على:

1 ـ الكافِيَجي: **المُخْتصر في علم التاريخ**.

2 ـ السَّخاوي: **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التاريخ**.

3 ـ الفصول الخاصة عن علم التاريخ من كتاب **مفتاح السعادة** لطاشْكُبْري زاده.

يُمثّل الكتابان الأولان الأبحاث الكاملة المنظمة الباقية التي قام بها عالمان مُسْلِمان في علم التاريخ.

أما الفصول المأخوذة من **مفتاح السعادة**، فتمثّل الصدى المُتأخّر لهذه الأبحاث كما ينعكس في موسوعة عامة.

ورُبّما كان من المُناسب أن أُورد ترجمة لقائمة قديمة ثمينة جداً عن كتب التاريخ العربية، وهي القسم المُخصّص للمُؤرّخين في كتاب **الفِهْرِست** لابن النديم (من رجال القرن العاشر)، مع معلوماته القيّمة عن الأدوار الأُولى التي مرَّ بها تأليف الكُتُب التاريخيَّة في الإسلام. إن بإمكان مثل هذه الترجمة أن تُعين على المُقارنة بين **الفِهْرِست** وبين البحوث النظرية المُتأخّرة في علم التاريخ، وأن تُقدّم صورة واضحة لتطور التفكير التاريخي الإسلامي. غير أننا لم نُورد هنا هذه الترجمة لأنه من المأمول أن تظهر طبعة جديدة لـ **الفِهْرِست**، فقد أعلن يوهان فوك J. Fück منذ أمد طويل أنه سيقوم بها وأنه سيترجم ويعلّق على كلّ الكتاب بما في ذلك القسم الخاص بالمُؤرّخين[1].

ونظراً لكثرة الإشارات خلال الكُتُب إلى المادة غير المطبوعة، فقد ارتُؤي من الأفضل نشر النص الأصلي لبعض هذه المادة على الأقل[2]. وهو **مُختصر** الكافِيَجي، وإني آمل أن تجد جميع الكُتب الأُخرى ناشرين لها.

---

(1) لم تظهر الطبعة التي أشار إليها المُؤلّف، لذلك قُمنا بنشر القسم الخاص بالتاريخ من **فِهرِست** ابن النديم، مُضافاً إليه كتب التاريخ المذكورة في غير هذا القسم مُعتمدين على الطَّبعة المصرية. وقد صنّفنا هذه الكُتُب بحسب موضوعات بحثها لتكون مُتساوقة مع تصنيف المُؤلّف.

(2) لقد أدخلت النُصوص التي أشار إليها المُؤلّف والتي أوردها في آخر الكتاب ضمن البحث الذي خصّصه لها. [المترجم].

قائمـة المراجـع

إنّ بعض المُختصرات المُستعملة في الهوامش، كتبتُ قائمتها في بداية القسم الثاني. ومن حيث العُموم فضّلنا تحاشي الرموز المختصرة لأسماء المراجع بقدر الإمكان. فمراجع المخطوطات، إذا سُبقت بكلمة «بودليان» فمعناها أنها موجودة في مكتبة البودليان في أُكسفورد. ومراجع المخطوطات المسبوقة بكلمة «باريس» تشير إلى أنها موجودة في المكتبة الوطنية بباريس. أما المسبوقة بكلمة «القاهرة»، فهي موجودة في دار الكُتُب بالقاهرة، التي تحوي أيضاً المجموعة التيمورية. أما إذا سبقتها كلمة «الإسكندرية»، فمعناها أنها في مكتبة البلدية بالإسكندرية بمصر، وقد أخذنا من هذه المخطوطات مُعظم ما اقْتَبَسنا، أما الأرقام فهي أرقام المخطوطات في المكتبات المختلفة والتي يُمكن بها استعارة المخطوطات من تلك المكتبات. ومكتبة باريس هي المكتبة الوحيدة التي أرقام كتبها تُطابق أرقام الفهارس المطبوعة. أما في الحالات الأُخرى، فإن الرقم في **الفِهْرِست** يُمكن إيجاده من غير صُعوبة كبيرة في **تاريخ الأدب العربي** لبروكلمان، حيث يجدر أن نُلاحظ أنّ الإشارات فيه إلى أيّ كتاب مُعيّن تبعاً للفهارس القديمة والجديدة لدار الكُتُب المصرية، معناه الإشارة إلى المخطوطة نفسها.

ثم إنني وجدتُ من العبث أن أُقدّمَ هنا قائمة بالكُتُب التي استعملتها، إذ إنّ مثل هذه القائمة ستكون طويلة جداً، ولكنها لا تقلّ عدداً عن الكُتُب التي لم أستطع الرجوع إليها لأنها لم تُطبَع ولم أستطع الاطّلاع على مخطوطاتها. وقد قرأتُ مخطوطات بعض هذه الكُتُب قراءة سريعة، لأن المطبوع منها لم يكن في متناول يدي، ويدخل في ضمن هذه الكُتب بعض كُتب المراجع العامة.

وقد استطعتُ أن أَدرسها بصورة مُتفرّقة عن طريق حُصولي على نُسخ منها

باستعارتها من المكتبات أو بذهابي إلى المكتبات التي تحتوي على هذه الكُتب التي رَغْمَ أنها مطبوعة، فهي لا توجد في المكتبات التي تصوّرت أنها تحتويها. لقد كنتُ أودّ كثيراً أن أُرصِّع الهوامش بمراجع مُستمرّة للكتب التي كنت أُريد الاستفادة منها لو توفَّرت، غير أني استغنيتُ عن مثل هذه الإشارات، راجياً ألّا يُنسب عدم ذكر بعض المراجع إلى جهلي بها أو إهمالي إياها.

إنّ المعلومات العامة عن تراجم الشخصيات المذكورة، ذُكرت عادة مع أول ذِكر لهذه الشخصيات في كتاب **الإعلان بالتوبيخ** الذي نشرناه في القسم الثاني.

أما الكُتب العامة عن علم التأريخ، فَرَغْمَ فائدتها لفهم علم التأريخ الإسلامي، فهي لا تُعير علم التاريخ الإسلامي إلا أقلّ اهتمام. لقد خصّص جان بودان Jean Bodin، وهو فرنسي من أهل القرن السادس عشر، فصلاً عن المُؤرّخين العرب في كتابه *Method for the Easy Comprehension of History* غير أنّ الكتاب الرئيس، وهو كتاب برنهايم

E. Bernheim, *Lehrbuch der historischen Methode und der Geschichtsphilosophie*

الذي رجعتُ إلى الطبعة الثالثة والرابعة منه «لايبزيغ 1903»، وليس فيه غير هامش واحد فقط عن ابن خلدون (ص 126 هامش 2). ونجد عند فلِنْت مادة أكثر قليلاً

R.Flint, *History of the Philosophy of History* (New York 1894)

فقد أَوْلى فلِنْت اهتماماً أكثر لابن خلدون الذي حظي باهتمام آخرين ممن درسوا نظرياته مثل ألتاميرا، وبارنز

R. Altamira, *Cuestiones modernas de historia* (Madrid 1904).
H.A. Barnes, *History of Historical Writing* p.93-7 (Norman. Okla 1937)

وهو يذكر بعض المُؤرخين المُسلمين المُهمِّين.

ومن الطبيعي أن توجد في الكُتب التي تبحث عن علم التاريخ الإسباني مثل كتاب ألونسو

B. Sanchez Alonso, *Historia de la historiografia española* (Madrid 1941-44)

فصول عن المُؤرّخين الأندلسيين المُسلمين. ولكن هذا كُلّ ما هو موجود. ومن المُمكن القول إن الكُتُب المُتعدّدة والمُمتازة أحياناً عن العُلماء الذين بحثوا في علم التاريخ ليس فيها شيء ذو أهمية عن مُؤلّفات المُسلمين في التاريخ.

وفيما يلي قائمة مُختارة فيها قليل من الكُتُب والمَقالات والآراء المتعلقة بالمُشكلات العامة للتاريخ الإسلامي، ولم يدخل في هذه القائمة التواريخ الشاملة للأدب العربي.

القائمة الأجنبية

Abbott, N., *Studies in Arabic Literary Papyri I: Historical Texts* (Chicago 1957).

Al-ᶜArînî, As-Sayyid Al-Bâz, *Muʾarriḫû al-ḥurûb aṣ-ṣalîbîyah* (Cairo 1957).

Ashtor, E., *Some Unpublished Sources for the Baḥrî Period*, in *Scripta Hierosolymitana*, IX, 11-30 (1961).

Ayad, Kamil, *Die Anfänge der arabischen Geschichtsschreibung*, in *Geist und Gesellschaft*, K. Breysig Festschrift, III, 35-48 (Breslau, N.Y., 1928?).

Babinger, F., *Die Geschichtsschreiber der Osmanen und ihre Werke* (Leipzig 1927).

Barthold, W., *Musulmanskiy Mir. Nauka i skola* (Petersburg, 1922). (cf. *Islamica*, IV, 138 f., 1930) يُقال إنّ فيه فصلاً عن علم التاريخ.

——. *Turkestan down to the Mongol Invasion* (London 1928, *E. J. W. Gibb Mem, Series*, N.S. 5).

Becker, C.H., *Beiträge zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam*, I, 1-31 (Strassburg 1902): Zur Geschichtsschreibung unter den Fatimiden.

Cahen, C., *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades*, 33-93 (Paris 1940). Cf. also his *Chroniques arabes concernant la Syrie, l'Égypte et la Mésopotamine*, in *Revue des Études Islamiques*, X, 333-62 (1936).

Caskel, W., *Aijâm Al-ᶜArab»*, in *Islamica*, III[5], 1-99 (1931).

Ad-Dûrî, ᶜAbd-al-ᶜAzîz, *Baḥṯ fî našʾat ʿilm at-taʾrîḫ ʿind al-ᶜArab* (Beirut 1960).

Friedlaender, I., *Muhammedanische Geschichtskonstruktionen*, in *Beiträge zur Kenntnis des Orients*, IX, 17-34 (1910).

Gabrieli, F., *Storici arabi delle Crociate* (Turin 1957).

——. *L'Islàm nella storia*, 153 ff. (Bari 1966).

Gibb, H. A. R., *Tâʾrîḫ*, in *Supplement to EI*, 233-45 (Leiden - London 1938), reprinted in his *Studies on the Civilization of Islam*, 108-37 (Boston 1962).

Goitein, S. D. F., Introduction to Vol. 5 of al-Balâḏurî, *Kitâb Al-ansâb*. pp.14-24 (Jerusalem 1936).

Goldziher, I., *A történetirás az arab irodalomban* (Budapest 1895) (لم أطّلع عليه).

Grunebaum, G. E. von, *Medieval Islam*, 275-87 (Chicago 1946) (عن الأدب والتاريخ).

Guidi, I., *L'histriographie chez les Sémites*, in *Revue Biblique*, III, 509-19 (1906).

Hameed ud-Din, *Historians of Afghan Rule in India*, in *FAOS*, LXXXII, 44-51 (1962).

Hardy, P., *Historians of Medieval India* (London 1960).

Horovitz, J, *The Earliest Biograhpies of the Prophet and their Authors*, in *Islamic Culture*, I, 535-59 (1927); II, 22-50, 164-82, 495-526 (1928).

Hurgronje, C.S., *Mekka*, II, 216-18 (The Hague 1889).

Ivanow, W., *Ismaili Tradition concerning the Rise of the Fatimids*, (London, etc., 1942, *Islamic Research Association Series*, 10), Introduction.

Khadduri, Majid, *The Law of War and Peace in Islam*, 121-24 (London 1940/1941):

فيه ملاحظات عن علم التاريخ العربي.

Kramers, J. H., *Over de geschiedsschrijving bij de osmaansche Turken*, (Leiden 1922). English translation in his *Analecta Orientalia*, I, 3-21 (Leiden 1954-56).

Lévi-Provençal, É., *Les Historiens des Chorfa* (Paris 1922).

——. *L'historien de l'Islam* (1936, *Univ. d'Alger, Séance de rentrée des Facultés*, XIV, 7-24. Not seen).

Lewis B., and Holt, P.M. (des.), *Historians of the Middle East* (Oxford University Press 1962).

Lichtenstädter, I., *Arabic and Islamic Historiography*, in *The Moslem World*, XXXV, 126-32 (1945).

Makkî, Maḥmûd ᶜA., *Egipto y los origenes de la historiografia arabigo-española, in Revista del Instituto de Estudios Islamicos*, V, 157 - 248 (Calcutta 1930).

Margoliouth, D. S., *Lectures on Arabic Historians* (Calcutta 1930).

Obermann, J., *Early Islam*, in Obermann (ed.), *The Idea of History in the Ancient Near East*, 237-310 (New Haven 1955).

Paret, R., *Die Geschichte des Islams im Spiegel der arabischen Volksliteratur*, (Tübingen 1927, *Philosophie und Geschichte* 13).

Petersen, E.L., *Historieskrivning i Islams klassiske Periode*, in *Historisk Tidsskrift*, XI, v, 455-73 (Copenhagen 1958).

——. *ᶜAlî and Muᶜâwiya in Early Arabic Tradition: Studies on the Genesis and Growth of Islamic Hitorical Writing* (Copenhagen 1964).

Philips, C.H. (ed.), *Historians of India, Pakistan and Ceylon* (Oxford University Press 1961).

Pons Boigues, F., *Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles* (Madrid 1898), cf., especially, the *Conclusion*, 363-87, and *Apéndice B*, 397-402 (qué hayan opinado los escritores musulmanes acerca de la historia, su utilidad y excelencia, su carácter científico).

Richter, G., *Das Geschichtsbild der arabischen Historiker des Mittelalters* (Tübingen 1933, *Philosophie und Geschichte,* 43). English translation in *Islami Culture*, XXXIII, 240-50 (1959).

Sachau, E., Introduction to Vol. III, i, of Ibn Sa^cd, *aṭ Ṭabaqât*, p. 13 ff. (Leiden 1904).

——. *Studien zur ältesten Geschichtsüberliegerung der Araber*, in *Mitteilungen des Seminars für or. Sprachen, Westasiatische Studien,* VII, 154-96 (1904), in spite of the title, contains nothing but some biographies of early transmitters in connection with Ibn Sa^cd.

Salibi, K.S., *Maronite Historians of Medieval Lebanon* (Beirut 1959).

Sauvagetm J., and Cahen, C., *Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman* (Paris 1961). English translation: *Introduction to the History of the Muslim East* (Berkeley and Los Angeles 1965).

Šemseddin, Muḥammad, *Islamda tarih we-müwerrihler* (Istanbul 1340-42).

Somogyi, J. De, The *"Kitâb al-muntaẓam" of Ibn al-Jauzî*, in *JRAS*, 1932, 49-76, especially, p. 49.

——. *The Development of Arabic Historiography*, in *Journal of Semitic Studies*, III, 373-87 (1958).

Spuler, B., *Islamische und abendländische Geschichtschreibung*, in *Saeculum*, VI, 125-37 (1955).

Storey, C.A., *Persian Literature, a bio-bibliographical survey* (London 1935 ff.), cf. below, p.4, n.3.

Togan, A. Zeki Velidi, *Tarihde usul* (Istanbul 1950).

——. *Kritische Geschichtsauffassung in der islamischen Welt des Mittelaters*, in *Proceedings of the Twenty-Second Congress of Orientalists*, I, 76-85 (Istanbul 1953).

Wüstenfeld, F., *die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke* (Göttingen 1882, *Aus dem XXVIII. und XXIX. Bande der Abh. der k. Gesellschaft der Wissenchaften zu Göttingen*).

Ziyâdah, M. Muṣṭafâ, *Al-mu'arriḫûn fî Misr fî l-qarn al-ḫâmis ʿašhar al-mîlâdî* (Cairo 1949, 2nd ed., Cairo 1954).

الفصـل الأول

مُلاحظات تمهيدية
عن التاريخ وعلم التأريخ

1 ـ هدف الكتاب الذي يبحث في علم التأريخ عند المُسلمين

إنّ التأليف في كتابة تاريخ أُمّة أو فترة خاصة لا يعني إلا شيئاً واحداً هو: إظهار تطوُّر الفكرة التاريخيَّة لدى مُؤرِّخي تلك الفترة أو الأُمّة وتطوُّر مُعالجتهم العلمية، وكذلك وصف أُصول صورة التعبير الأدبي ونموّها أو انحطاطها، تلك الصور التي استُعْمِلَت لعرض المادة التاريخيَّة[1].

وبهذا يتّضح تماماً ما يخرج عن نِطاق البحث في هذا الكتاب؛ وإننا في سبيل إزالة كُلّ توقع مُؤمّل وغير مُبرّر، سنعمد إلى الإشارة إلى ما لا يُمكن أن يجده القارئ في هذا البحث. إنّ دراسة الإسلام دراسة علمية لم تبدأ في الغرب إلّا منذ وقت قصير نسبياً، أي منذ ثمانين سَنَة على يد فون كريمر، وتيودور نولدكه، وإغناس غولدتسيهر، وهذه المُدّة القصيرة لا تُقارن بمُدّة أكثر من أربعمائة سَنَة على نشوء دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، ومائتين وخمسين سَنَة على نشوء دراسة التاريخ[2]. لذلك، فإن الحاجات العلمية لأي علم تامّ (بالرَّغْم من أهمّيتها) جعلت أهداف الدراسات الإسلامية غامضة أحياناً، ولم يُكمَل بحثها

(1) قد يُقارن المرء تعريف بنديتو كروتشه لتاريخ التأريخ في:
B. Croce: *Teoria e storia della storiografia*, 156 f. (third ed., Bari 1927).

(2) انظر: Fr. Meineke, *Die Entstehung des Historismus* (Munich-Berlin 1936).

تماماً بعد. وعلى هذا، فإنّ الحاجات الثانوية التي يتطلّبها علم نامٍ لم يتكامل بعد، على الرَّغْم من أن هذه الحاجات الثانوية عظيمة الأهمية في حدّ ذاتها، تطمس أحياناً أهداف الدراسات الإسلامية.

ليس هذا الكتاب قائمة بأسماء المُؤرّخين المُسلمين، بالرَّغْم من أنّ وجود معلومات عن قوائم كاملة للمُؤرّخين المُسلمين هو شرط لا يُستغنى عنه لمثل هذا البحث. وقد قام ف. وستنفلد في سَنَة 1882م[3] بأول مُحاولة لإعداد قائمة شاملة للمُؤرّخين العرب ومُؤلّفاتهم، غير أنّ كتابه عن **مُؤلّفات العرب التاريخيّة** *Geschichtschreiber der Araber* كان من حيث العُموم لا يُوازي المستوى العالي لمُؤلّفاته الأُخرى. ومع هذا فقد كان عملاً مُحترماً أيام ظهوره، ولكنه أصبح اليوم عتيقاً نظراً للازدياد الهائل في معلوماتنا عن مظانّ المخطوطات في المكتبات في مختلف أرجاء المعمورة.

وقد قام ف. بونس بويغوس F. Pons Boigues سَنَة 1898م[4] بعمل طليعي عن المُؤرّخين الإسبان ولا تزال له بعض الفوائد. وفي السَّنة ذاتها، أي 1898-1902م، ظهر كتاب **تاريخ الأدب العربي** لكارل بروكلمان C. Brockelman, *Geschichte der Arabischen Litteratur*، فثَبَّت بذلك أساس مكين لمعرفتنا بالمُؤلّفات التاريخيَّة الإسلامية. ثم نَشَر في السنوات الأخيرة مُلحقاً وطبعة مُنقّحة

(3) *Die Geschichtsschreiber der Araber und ihre Werke* (Göttingen 1882. Aus dem XXVIII und XXIX Bande Der Abh. der k. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen).

(4) *Ensayo bio-bibliografico sobre los historiadores y geografos Arabigo-españoles* (Madrid 1898).

لقد أعدّ كوديرا F. Codera قائمة بالكُتب التاريخيَّة الإسبانية وطبعها على الآلة الكاتبة، ثم طبعها ج. ريبيرا J. Ribera على الحَجَر، وقد أخطأ كامبفماير J. Kampffmeyer فحسبها قائمة قديمة ترجع إلى القرن الرابع عشر وبحثها بعنوان:

Eine alte Liste Arabischer Werke zur Geschichte Spaniens und Nordwestafrikas.

وقد نشر بحثه في:

Mitteilungen des Seminars für or. Sprachen Westas. Studien, IX, 74-110 (1906).

ثم إنّ كامبفماير أصلح غلطته في المرجع السابق. X, 206-8 (1907), olz X 38-41 (1907).

لهذا الكتاب[5]. ولدينا أيضاً عن قوائم كتب علم التاريخ الفارسي والتركي دراسات حديثة وشاملة قام بها ك.أ. ستوري C.A. Storey[6] وف. بابنغر F. Babinger[7]. لقد قدّم **تاريخ الأدب العربي** في الفصول التي خصّصتها للتاريخ معلومات مُمتازة عن المُؤرّخين الذين بقيت مُؤلّفاتهم حتى اليوم، مخطوطة أو مطبوعة، ولم يَفُت بروكلمان إلّا قليلٌ من المادة التي لها علاقة بالموضوع. ولعلّه من المشكوك فيه إمكان اكتشاف نقص ذي أهمية في فهم تاريخ علم التأريخ الإسلامي فيما لو أمكننا تتبّع كافة مراجع كتاب بروكلمان ومراجع ستوري وبابنغر، فكتاب بروكلمان في **تاريخ الأدب العربي** يُقَدِّم قائمة وافية بغَرَض كتابنا هذا، غير أنه لا يُمكن القول بأن وجود كتاب **تاريخ الأدب العربي** بشكله الحالي، وكذلك كُتُب القوائم الأُخرى، يجعل محاولة جمع قائمة خاصة عن المُؤرّخين المُسلمين عملاً عديم الجدوى، كلا بل إنّ مثل هذا العمل يبقى ذا أهمية كُبرى. وإذا أردنا اتخاذ **تاريخ الأدب العربي** أساساً، فمن الضروري أن نحذف المادة غير التاريخيَّة من الأقسام التاريخيَّة في كتاب بروكلمان، وأن نجمع العناوين التاريخيَّة المنبثّة في الأقسام المختلفة من ذلك الكتاب، وعلينا أن نتثبّت

---

(5) Vols. I-II Weimar 1898-1902. *Supplement*, Vols. I-III Leiden 1937-1942.
وقد طُبع المُجلّدان الأصليان طبعة جديدة
Zweite den Supplementbänden angepasste Auflage. Leiden 1943-9.
وسنُسمّي الأصل في الترجمة (بروكلمان). أما الملحق، فَسَنُسَمِّيه (بروكلمان: **الملحق**) ونقصد بذلك النصّ الألماني، وقد بدأت جامعة الدُّول العربية بنشر الترجمة التي قام بها الدكتور عبد الحليم النجار. [المترجم]. [وقد ظهر منذ فترة طويلة].

(6) *Persian Literature, a bio-bibliographical surrvey* قسم 2، ج1 (أ) تاريخ عامّ، (ب) الرسول وصدر الإسلام (لندن 1935) جُزء 2 تواريخ خاصة عن بلاد فارس، وأواسط آسيا، وبقية أنحاء العالم عدا الهند، ج3، تاريخ الهند (لندن 1939)، وسيظهر قسم عن التراجم. وينبغي أن نذكر كتاب:
F. Tauer, «Les manuscrits persans historiques des bibliothèques de Stambul», in *Archiv Orientálni* III, 87-118, 303-26, 462-91 (1931) and IV, 92-107, 193-207 (1932).
وقد أدخل ستوري هذا البحث في كتابه *Persian Literature*.

(7) F. Babinger, *Die Geschichtsschreber der Osmanen und ihre Werke* (Leipzig 1927). Cf. also. L. Forrer, «Handschriften Osmanischer Historiker in Istanbul» in *Der Islam* XXVI 173-220 (1942).

من دقة كُلّ قول فيه، وأن نُقوِّم تفسيراته، وخاصة تفسيراته للمادة المُتعلّقة بسِيَر الرجال. يُضاف إلى ذلك، أنّ من الضّروري جمع كافة المعلومات عن المُؤرّخين وكُتبهم التي لم تصلنا والتي لا تُعرف إلّا عن طريق إشارة مراجع القوائم إليها أو عن طريق المُقتطفات منها[8].

وهنا نجد واجباً عظيم الأجر ينتظر عالِمَنا في المستقبل، ويُفضّل أن يكون هذا العالِم ذا صِلة دائمة بمكتبة واسعة.

وكما أنّ هذا الكتاب لا يُعْنَى بالوِراقة، فهو أيضاً لا يهتم بإعادة نشر مُحتويات المُؤلّفات التاريخيَّة الإسلامية ولا بتفسير ألفاظها، فالمُؤرّخ عن تاريخ الرومان مثلاً، قد يبدأ عمله على افتراض أنّ الكُتب التي يبحثها يعرفها القارىء أو يستطيع مُراجعتها إذا شاء. ويُمكن لمُؤلّف كتاب عن علم التاريخ الإسلامي أن يفترض الحقيقة المحزنة التي تُؤكّد على أنّ افتراضه هذا غير صحيح، لأن كثيراً من المُؤلّفات، وحتى الأساسية منها غير معروفة على نِطاق واسع، وليس من السهل أو المُمكن الحصول عليها. والواقع أنّ غير المُختصّ بالعربية من الغربيين ليس لديه إلا فُرص ضئيلة للوصول إلى تقدير صحيح لمحتويات المُؤلّفات التاريخيَّة الإسلامية إذا اعتمد على ترجمات هذه الكُتُب، نظراً لقِلّة ما تُرجم من هذه الكُتُب. وهذا الوضع يُبيّن الحاجة إلى نشر أوسع للمُؤلّفات التاريخيَّة الإسلامية، غير أنّ هذا النّقص لا يُمكن مُعالجته في هذا الكتاب.

يُضاف إلى ذلك أننا لا نُعْنى هنا بقيمة الكُتُب التاريخيَّة كمصدر لمادة كتابة تاريخ فترة خاصة. قد يكون هُناك بعض الحق في الفكرة القائلة إنّ المُؤرّخ ذا البصيرة النفّاذة إلى الحقائق المُهمة يُعطي كتابه أهمية كمصدر تاريخي، ويُسبغ أعمق تصوّر مُبتكر للتاريخ وأروع صورة من العَرْض. غير أنّ هذا إذا صحَّ في بعض الحالات، فإنه لا يُمكن أن يكون قاعدة عامة. ومن جِهة أُخرى، فمن المُؤكّد أن الكُتب ذات الأهمية الكبرى كمصادر تاريخية قد تكون غير مُهمّة

(8) يجب أن أقول بصراحة هنا إنني خلال قيامي بهذه التحقيقات، أصبحت أعتقد أن المُقتطفات قلّما تكفي لتوضيح خصائص صورة أيّ كتاب مفقود ومُحتوياته.

كنماذج للكتابات التاريخيَّة. وبصورة عامة، لا توجد علاقة مباشرة بين قيمة الكتاب كمصدر للتاريخ وبين أهمّيته في تأريخ علم التاريخ[9].

وهذا يصحّ بصورة خاصة على علم التأريخ الإسلامي. فقِيمة أيّ تأريخ إسلامي كمصدر تاريخي يُقرّرها قِدَمُه، وقُرْبُه من الحوادث التي يصفها، أو استخدامه لِكُتُب مفقودة قديمة أو قريبة من المُعاصرة.

فالحالة الأُولى ليست بميزة للمُؤرّخ (إلّا إذا كان أول من فَكَّر بكتابة تاريخ مُعاصر). أما الأخيرة فلا تكون ميزة إلا إذا كانت قِيمة الكُتُب التي اختارها المُؤرّخ غير واضحة. ولبعض قُدامى المُؤرّخين المُسلمين أهمية كُبرى نظراً لسبقهم في تسجيل بعض الأخبار. ثم إنّ بعض المُؤرّخين المُتأخّرين الذين عرفهم الغرب منذ أزمنة مُبكّرة كالمَكِين (ت1273م) في القرن السابع عشر، وكأبي الفِداء (ت1331م) في القرن الثامن عشر تناقصت شهرتهم كثيراً بعد أن عُرفت المصادر التي اعتمدوا عليها. ومثل هذه الاعتبارات تُلائم المُؤرّخ، غير أنها لا تُؤثّر على حُكم ناقد علم التأريخ الذي قد لا يُفضل المُؤلِّف القديم لمُجرّد قيمته كمصدر، أو قد يُهمِل مُؤلِّفاً مُتأخّراً لأن المعلومات التي يُقدّمها تكرّر ما جاء في المصادر القديمة. وبالاختصار، فإن المسألة التي نريد الإجابة عنها ليست: ما هي الأهمّية التاريخيَّة للأمر الذي يتكلَّم عنه المؤلِّف، ولكن ماذا فعل بالمادة التي كانت في متناول يده؟

ثم إنّ هذا الكتاب ليس دراسة مُقارنة بين علم التأريخ الإسلامي وعلم التأريخ الغربي القديم أو الوسيط، فمثل هذه المقارنة ينبغي أن تكون موضوعاً لكتاب مُستقلّ. وعلم التاريخ الإسلامي ينبغي أن يُفهم أولاً كنُموّ فكري ذاتي، لذلك لم نُشِر إلى المُقارنات إلّا في مواضع عَرَضية لغَرَض التوضيح.

---

(9) إنّ كتابة التاريخ وفهم علم التأريخ أمران مُختلفان أيضاً، فالمُؤرّخون المُجيدون قد يكونون نظريين ضُعفاء في التاريخ، ويُعتبر إدوارد ميير مثلاً واضحاً على ما نقول، الأمر الذي يُقرّه قُرّاء كِتابه:

Ed. Meyer, *Zur Theorie und Methodik der Geschichte* (in *Kleine Schriften zur Geschichtstheorie* 1-67 Halle 1910).

وأخيراً، فإن هذا الكتاب لا يستطيع الادّعاء بإحاطته بجميع المُؤلَّفات التاريخيَّة التي ألّفها المُسلمون باعتبارهم مُعتنقين للدين الإسلامي. فكلمة مُسلم هنا ذات مفهوم ثقافي مُحدّد. فهي تُشير إلى المَدَنية العظيمة التي ازدهرت في دمشق وبغداد بين القرنين السابع والعاشر الميلاديين، وقد اتخذت اللغة العربية وسيلة التعبير الرئيسة فيها. فسيادة اللُّغة العربية يُمكن أن تعتبر مُثبتة أيضاً في حالة علم التأريخ، رَغْم أن المُؤلَّفات التاريخيَّة سُرعان ما صارت تُكتب باللغات المحلّية لبعض الحُكّام أو الأقاليم. وتُوجد كُتُب تاريخية فارسية مُهمّة منذ القرن العاشر تبدأ بترجمة **تاريخ الطبري**[10]، وكذلك مُؤلّفات تاريخية تركية واسعة جداً منذ حوالى بداية القرن الخامس عشر[11]. وفي حوالى سَنَة 1500م أو بعبارة أدقّ في سَنَة 1517م، وهو تاريخ الفتح العثماني لمصر، وصلت المدنية الإسلامية إلى نُقطة أخذت تُحِسُّ فيها بأثر المَدَنِيّة الأُوروبية الحديثة، وقد استمر ازدهار المَدَنية الإسلامية وعلم التأريخ الإسلامي في عِدّة أقاليم من العالم الإسلامي دون تبدُّل يُذكر في أشكالها. وقد بقيت المَدَنية الإسلامية هادئة خُصوصاً في زوايا العالم الإسلامي الأشد مُحافظة أو الأقل اتصالاً، كمَرّاكش واليمن، على أن جميع العناصر الجديدة التي ظهرت في علم التاريخ الإسلامي إبّان الأربعمائة سَنَة الأخيرة قد تكون أُصولها ناجمة عن التعرُّض الشعوري أو اللاشعوري للمُؤثّرات الغربية. وقد يصحّ القول إن دراسة تطوّر التأليف في علم التأريخ الإسلامي إبّان فجر التأثير الأُوروبي ينبغي ألّا تُقصى عن أي عَرْض لعلم التأريخ الإسلامي لأن دراسة المُؤلَّفات في فترة انحطاط المَدَنية الإسلامية قد تُساعد على فهم الروح الإسلامية في العصور الوسطى. وسواء أكان هذا صحيحاً أم خطأً، فإنّ مُؤلّف هذا الكتاب يشعر أنّ الصُّعوبات التي واجهها أعظم بكثير ممّا تستطيع معرفته المحدودة استيعابها، كما وأنّ معرفة المُؤلّف المحدودة حالت دون مُعالجة علم التاريخ الإسلامي في مناطق ذات استقلال ذاتي ثقافي قوي كالهند وأندونيسيا. ومن رأي المُؤلّف أنّ إدخال كلّ هذه المواد والقضايا المُتعلّقة

---

(10) انظر: Storey, *Persian Literature* I, 1, n.2 (London 1927), II, 61 ff.

(11) انظر: Babinger, *Geschichtsschreiber*, 10.

بها لا يُلقي ضوءاً إضافياً على حدود وجوهر هذه الظاهرة الثقافية العظيمة، لعلم التأريخ الإسلامي، ولا على الأطوار التي مرَّ بها إبّان عصور وجوده الحُرّ والمستقلّ عندما كَتَبَ مئات المُؤرّخين المُسلمين كُتُبهم التاريخيَّة تقودهم في ذلك فكرتهم الخاصة عن التاريخ.

2 ـ فكرة التاريخ: الإسلامي والحديث

إنّ نُقطة البداية التي ننطلق منها لفحص تاريخ علم التأريخ لأيّة أُمّة أو فترة هي آراؤنا الخاصة عن وظيفة التاريخ وواجب المُؤرّخ، وهذه الآراء هي نِتاج زمننا، أي القرنين ونصف القرن الأخير من «التاريخيَّة»، وهذه الآراء من خصائص المَدَنية الغربية الحديثة. وعلم التأريخ في أيّ مُجتمع لا يكون جُزءاً من المدنية الغربية الحديثة يخضع لعوامل مُحيطية مختلفة، وتحكُمُه قِيَم فكرية تختلف موازينها اختلافاً كبيراً. ويجدر بنا أن نتذكّر هذه الحقيقة طَوَال بحثنا في علم التأريخ الإسلامي. وقد لا يكون من لَغْو الكلام أن نُلخِّص بأقصى ما يُمكن من الاختصار الفَرْق بين فكرة مُسلمي العصور الوسطى والفكرة الغربية الحديثة عن التأريخ.

إن الأصل التاريخي لكلمة Istoria الإغريقية ذُو أهمية كُبرى[12]، فعندما نشطت الحركة الفكرية والسياسية نشاطاً عظيماً في الدويلات الأيونية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، كان تعبير Istoria يُقْصَد منه البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة، أي لنوع المعرفة الذي كان يُهمّ كُلّ مواطن دولة المدينة الواحدة، ألا وهي معرفة البلاد والعادات والمُؤسسات السياسية المُعاصرة أو الماضية. وسُرعان ما أصبحت كلمة Istoria مُقتصرة على معرفة الأحداث التي رافقت نُموّ هذه الظواهر، وبذلك وُلِد تعبير التاريخ بمعناه الشائع.

وقد أخذ الرومان تلك الكلمة بمبناها ومعناها، وظلّت كلمة historia تعبيراً

---

(12) انظـر:
K. Keuck, *Historia, Geschichte des Wortes und seiner Bedeutung in der Antike und in den romanischen Sprachen*, Ensdetten 1934 (Diss. Münster).

فنياً لم تتبدّل حُرُوفه بانتقاله إلى اللُّغات الرومانسية Romance languages كما كان يحدث لو كانت هذه الكلمة دارجة الاستعمال عند العامة. غير أنّ معناها في الاستعمال الشعبي أخذ يتدهور في اللاتينية، واتخذ أشكالاً مُختلفة أخذتها اللُّغة الإنكليزية من الفرنسية.

وعندما استعادت هذه الكلمة كرامتها العلمية أخيراً، كان قد طرأ عليها تحريف في الشكل مثل Historie، histoire، history، istoriya، ثم تُرجمت إلى بعض اللُّغات المحلّية مثل كلمة Geschichte الألمانية.. إلخ.

وقد أصبحت هذه الكلمات بمُرور الزمن ذات معنى جديد تماماً، فأصبحت كلمة تاريخ history تعني الآن العملية التي بمُوجبها يصل شيء خاصّ إلى مستوى خاص في تطوّره، وقد كان هذا الشيء الخاص بالنسبة إلى النظرة التقليدية للتاريخ هو الإنسان، وبصورة خاصة الفَعاليات والمُؤسسات السياسية الإنسانية. إلا أنّ فكرة التاريخ صارت عامة في القرن التاسع عشر وأصبحت تُطبَّق على كلّ شيء يُمكن إدراكه سواء أكان حياً أم جامداً، وكان هذا منطقياً. وأصبح التاريخ بهذا المعنى فكرة شاملة، بمقدوره الادّعاء، كمثل الفلسفة، بأنّ كُلّ شيء وكُلّ نشاط هو موضوع لبحثه وداخل ضمن نِطاقه(13).

إنّ مثل هذا التوسّع الهائل في معنى كلمة التاريخ كان إلى حدٍّ ما غير مجهول في الإسلام، ولكن على أُسس مُختلفة تماماً، إذ إنّ كُتُب المسعودي، وكتاب **البَدْء والتاريخ** للمُطَهَّر، وآراء الكافِيَجي تُشير إليه(14)، غير أنه ينبغي ألا يُطبّق على مادة دراستنا هذه. فالمُؤرّخ الذي يقبل مثل هذا التعريف الشامل للتاريخ، يُهمل الفَرْق

---

(13) إنّ المُقارنة بين التاريخ والفلسفة هُنا ينبغي ألا تُفهم بالمعنى الذي أراده كروتشه من الفلسفة في التاريخ، والتاريخ في الفلسفة. انظر المصدر الآنف، ص71، وطبعاً القول المشهور لبولنبروك: «أعتقد أنّ التاريخ هو تعليم الفلسفة بالأمثلة».
H. St. J. Bolingbroke: *Letters on the Study and use of History*, 5, London 1870.
انظر أيضاً: J. TH. Shotwell, *The History of History*, 234, New York 1939.

(14) انظر أدناه: ص38 فما بعد، ص147-148 فما بعد. انظر أيضاً: تعريف المَقْرِيزي للتاريخ أدناه ص38.

بين التاريخ بهذا المعنى الواسع وبين التاريخ كموضوع لعلم التأريخ[15].

قد تُشير كلمة تاريخ إلى كُلٍّ من عملية التطوّر التاريخي وإلى وصف تلك العملية، وهما أمران مُختلفان تماماً، لا يُميَّز بينهما تمييزاً دقيقاً في أكثر الأحيان. إنّ لكُلّ حَصاة صغيرة تاريخها الخاص وهي عُرْضة لعمليات تاريخية، ولكن نظراً لوجود عدد لا يُحصى من الحَصَى، ونظراً لقلّة أهمّيتها نسبياً، فقد يكون من السُّخْف أن نصف تاريخها وتاريخ ملايين الحَصَى، ونعتبر هذا التاريخ جُزءاً من علم التأريخ. إنّ وصف تاريخها بتعابير عامة لا يُعتبر تاريخاً، بل يكون جُزءاً من أحد فُروع العلوم الطبيعية. فالتاريخ بالمعنى الضيّق المُمكن تطبيقه هنا، ينبغي أن يُعرَّف بـ «الوصف الأدبي لأيّ نشاط إنساني ثابت سواء قام به الأفراد أو الجماعات، وهو يتجلَّى في تطوّر أية جماعة أو فرد، ويُؤثّر على هذا التطوّر»[16]. ففي هذا المعنى فقط، يستطيع التاريخ أن يكون موضوع دراسة علمية بالمعنى الدقيق. وهذا التعريف للتاريخ وحده ينبغي أن يكون في ذِهن من يتكلّم عن التاريخ والمُؤرّخين والتأريخ، رَغْم أنه لا يُمكن أن نُنكر أن الفكرة العامة للتاريخ في الذهنية الحديثة، يُمكن أن تمتد نظرياً لتشمل كافة المواد الحية أو الجامدة.

لقد لعبت التطوّرات في علم معاني الكلمات دوراً مُهمّاً في تكوين الفكرة الحديثة للتاريخ، وقد حدث هذا نفسه في التاريخ الإسلامي. غير أنه كان في

(15) F.C. Baur, *Die Epochen der krichlichen Geschichtsschreibung*, I (Tübingen 1852): «Geschichte ist sowohl das objektiv Geschehene, als das subjektive Wissen des Geschehenen».

(16) انظر المجموعة المُفيدة ومُناقشة أهم التعريفات الحديثة للتاريخ في:
J. Huitzinga, in *Philosophy and History: Essays presented to Ernst Cassirer*, 1-10 (Oxford 1936).
أما تعريف هويتزينغا نفسه فهو: «التاريخ هو الصورة الفكرية التي تُقدِّم فيها المَدَنية الحساب لنفسها عن ماضيها»، وهو تعريف لا يُنصف الصفة الإنسانية الأساسية في التاريخ.
أما تعريف أُومان فهو «التاريخ، فيما أرى، خير تعريف له هو أنه جهد الإنسان في تسجيل أعمال الإنسان»، وهو تعريف غير كامل ولكنه مقبول:
C. (W. C.) Oman: *On the Writing of History*, V, New York (1939).
انظر أيضاً: R. Flint, *History of the Philosophy of History*, 7 f., New York 1894).

مستوى مُختلف جداً أيضاً. لقد كان التعبيران الفنيان اللذان استُعمِلا عادة للتعبير عن فكرة التاريخ بالعربية هما «(علم) الأخبار» و«تاريخ». وكانت كلمة الأخبار، وهي صِيغة الجمع لكلمة خبر، هي الأكثر شُيوعاً. وأصل (خ ب ر) غير واضح، وليس لدينا من دليل يرجّح كون أصل الكلمة في اللُّغة العربية ذاتها. كما أن أدلّة اللُّغات الساميّة الأُخرى لا تُمكِّن من اتخاذ قرار حاسم[17]. لقد كانت هذه الكلمة العربية في العصور التاريخيَّة تعني «أخباراً (عن حوادث بارزة)» وعن الحوادث ذاتها، ولهذا المعنى الأخير عدد كبير من المُرادفات غير الدقيقة، فكلمة أخبار تُطابق التاريخ من حيث إنه قِصّة أو حكاية ولا تتضمّن أيّ تحديد في الزمن، كما أنّ معناها لم ينحصر في سِلْسِلَة الحوادث المُترابطة عضوياً[18].

---

(17) يُستعمل التركيب نفسه من الحُرُوف الصامتة في عدد من المعاني المُختلفة وخاصة في العِبرية والأكدية.
إنّ كلمة (خ ب ر) في العِبرية والإثيوبية لها معنى جذري «رَبَط، وضَمَّ» غير أنّ في العبرية أيضاً كلمة تعني «رفيق، زميل» وهي كما نعلم من أدلّة (الأكدية) والأوغاريتية، تستعمل «ح» لا «خ» رَغْم الشكل الإثيوبي.
انظر: Th. Nöldeke *ZDMG* XL 728 (1886) و«شبر» التي استعارتها اللغة القبطية
انظر: F. Rosenthal in *Orientalia* N.S. VIII. 231 n. 2, 1939.
ويبدو من هذا أنّ هُناك جذرين لا علاقة بينهما قط؛ الكلمة التي معناها «زميل» مع (ح) والجذر الذي معناه «ربط» مع (خ)، وأنّ هذين الجذرين وُضعا معاً في اللُّغات المعنيّة، وحتى في الإثيوبية حيث ظلّت «ح» متميزة عن «خ». فإذا كانت هذه هي الحالة، فيكون من المقنع الافتراض أنّ كلمة «خبر» العربية مُشتقّة من جذر «خ ب ر» بمعنى «ربط» بنفس الشكل الذي اشتقّت منه كلمة «العقل» العربية والتي معناها «فكر» من «عقل» بمعنى ربط.
وقد اقترح ج. بارت الجمع بين «خبر» و«حبر» العِبرية والتي معناها «البحث، الفحص» غير أنّ هذا يحتاج إلى أدّلة تسنده:
J. Barth (*Etymologische Studien*, 28, Berlin, 1893).
انظر أيضاً نفسه: Wurzeluntersuchungen zum hebräischen und aramäischen Lexicon, 57, Leipzig 1908.
ومن ناحية أُخرى، فإنّ كلمة «أخبير» في سفر أيوب 16 : 4 إذا تُرجمت بمعنى «سأخبر؟» فهي قد تمثّل الصورة العبرية لكلمة خبر العربية غير أن هذه الصورة غير مُؤكّدة، وقد ثار كثير من الجدل حولها، انظر:
P. Dhormes, *Le livre de Job*, 208, Paris, 1926.

(18) انظر أدناه ص67 فما بعد.

ثم سُرعان ما أصبح لهذا التعبير معنى إضافي، وهو المعلومات المُتّصلة بأعمال الرسول وأقواله، ثم أصبح في الواقع كالمُرادف للحديث، شأن بعض الكلمات الأُخرى كالآثار.

أما كلمة التاريخ التي يُمكن اعتبارها مُنذ القرن التاسع على الأقل تعبيراً فنياً خاصاً مُرادفاً من حيث العُموم لكلمة history الإنكليزية، فهي كلمة مختلفة تماماً، إذ يبدو أنّ أُصول الكلمة مُستمدّة من الكلمة الساميّة التي تعني القمر أو الشهر، وهي في الأكّدية (أرخو) وفي العبرية (يرح) وفي الآرامية (يرح) والعربية الجنوبية (ورخ) وفي الإثيوبية (ورخ). وبخلاف ذلك، فإنَّ هذه الكلمة لم تُستعمل في العربية التي نعرفها. فأما استعارة العربية لهذه الكلمة من الأكّدية فبعيد الاحتمال، كما أنه ليس من المحتمل الافتراض أنها استُعيرت مُباشرة من العبرية أو الآرامية، وخاصة لوجود حرف (ي) في الصورة العبرية والآرامية لهذه الكلمة (وكذلك خ مقابل ح). لذا لم يبقَ بعد هذا إلا العربية الجنوبية والإثيوبية، أو الافتراض بأن هذه الكلمة كانت مُستعملة في إحدى اللهجات العربية الشمالية التي لا نعرفها الآن. إنّ كلمة (تاريخ) ليست الشكل البسيط للجذر، بل هي صيغة الاسم التي توجد في اللغة العربية والعربية الجنوبية وليس في الإثيوبية، ممّا يجعل احتمال اشتقاقها من الإثيوبية بعيداً. ثم إنه يبدو أنّ العرب أخذوها كتعبير فني، وهذا بدوره يُبْعِد أصلها الإثيوبي، إذ لو كان أصلها إثيوبياً لكانت باقية في لغتهم. يُضاف إلى ذلك أن احتمال كون أصلها من العربية الشمالية بعيد، لأن احتمال ذلك يتطلّب مركزاً ثقافياً صدرت منه، نظراً لأن هذه الكلمة لها معنى فني. فأغلب الاحتمال إذن أنّ أصلها من العربية الجنوبية، حيث نجد في هذه المنطقة المركز الثقافي المأمول الذي يُمكن أن يُصاغ فيه مثل هذا التعبير الفني. وفي هذه الحالة، يُمكن أن نفترض أن شكلها الأصلي الفَرَضي (من العربية) هو «توريخ»، وأن «تاريخ» هي اشتقاق عكسيّ من «مُوَرِّخ > مُؤرِّخ».

ويجدر أن نُلاحظ أنّ أحد المأثورات الإسلامية يرى أنّ التقويم الهجري (التاريخ) أُخذ في الأصل من اليمن، فقد ذكر السَّخاوي «. . . وقيل أول من أرّخ التاريخ يَعْلَى بن أمية حيث كان باليمن، وذلك أنه كتب إلى الخليفة عُمَر كتاباً من

اليمن مُؤرّخاً فاستحسنه عُمر فشرع في التاريخ، أخرجه أحمد بن حَنْبل بسند صحيح، لكنْ فيه انقطاع بين عَمرو بن دينار ويَعْلَى... وروى ابن أبي خَيْثَمة عن طريق محمد بن سيرين قال: قَدِم رجل من اليمن فقال: رأيت باليمن شيئاً يُسمّونه التاريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا، فقال عُمر: هذا حسن فأرِّخوا»[19]، وهذه مُطابقة طريفة ولكنها لا يُمكن أن تستخدم طبعاً للتدليل على الأصل العربي الجنوبي لهذا التعبير شأن من يدَّعي أنّ وجود لهجات عربية كثيرة[20] دليل على أنّ أصلها مُشتَقّ من إحدى اللهجات العربية الشمالية.

وينبغي قبل التقدُّم في البحث، أن نذكر أنّ العربية الجنوبية تُقدِّم كلمة أُخرى قد تكون جذراً لكلمة تاريخ. إذ إنّ جذر (أرخ) يظهر في نَقْش عربي جنوبي[21]، كاسم في معنى مُقارب للتعابير القانونية العامة التي تعني (حكم) أو ما يشبه ذلك. كما يبدو أنها استُعملت مرة مَقْرونة بكلمة (سَنَة)[22]؛ وقد حاول س. كونتي روسيني C. Conti Rossini أن يُثبت معنى هذه الكلمة في الحالة الأُولى (انتداب أو عمل)، وفي الحالة الثانية بمعنى (حِقْبة)، وهو يفترض أنّ هذا الاسم اشتُقَّ من فعل معناه (يُقرِّر أو يأمر)[23]. ومن الواضح أنّ الكلمة الساميّة التي تُطابق الجذر العربي الجنوبي، هي الكلمة التي معناها (سبيل أو سُنّة)، وأنّ التعبير العربي الجنوبي تطوَّر من (طريقة مُعيَّنة للعمل) أو ما يُشبه ذلك. فإذا كانت الكلمة في نقش جوسين- سافينياك (Jaussen- Savignac) مقروءة بصورة صحيحة

---

(19) إن راوية هذا الحديث هو ابن أبي خَيْثَمة الذي عاش في القرن التاسع. انظر السَّخاوي، **الإعلان**، ص381.

(20) انظر الرُّواة الذين نقل عنهم السَّخاوي في **الإعلان**، ص271.

(21) Glaser 1606 c. N. Rhodokanakis *WZKM* XXXVII 150. n.1, (1930).

(22) انظر:
A. Jaussen and R. Savignac: *Mission Archéologique en Arabie* Vol. 2, Minaean inscriptions, No. 32 (Paris 1909-14).

(23) انظر: C. Conti Rossini, *GWL in Sud-arabico* in *RSO* XII, 119 (1929-30).
وانظر أيضاً المُؤلّف نفسه في:
Chrestomathia arabica meridionalis epigraphica, 109 (Rome 1931).
أما المقالة المنشورة في *RSO*، فقد ساعدت كأساس لبحث رودوكاناكيس الذي أشرنا إليه في الهامش 21 أعلاه.

ومُشتقّة من الجذر (أ، ر، خ)، فينبغي أن يُفهم لا مُجرّد (حِقْبة) بل أيضاً شيئاً يُشبه العادات الثابتة أو السُّنَن. وعلى أي حال، فلا يبعد أن يكون الجذر العربي الجنوبي قد أفاد أيضاً في التعبير عن فكرة (تقرير) وثيقة باستخدام تاريخ، وبذلك كانت أُنموذجاً لكلمة (التأريخ) العربية.

وإلى أن تَرِد أدلّة جديدة، فإن خير فَرَضية هي القول بأن هذه الكلمة مُشتقّة من القمر أو الشهر، وبذلك تكون الترجمة الحرفية لكلمة تاريخ هي التوقيت بحسب القمر، أي الإشارة إلى (الشهر) واليوم من الشهر عن طريق مُلاحظة القمر. وانتقال المعنى من التوقيت بالقمر إلى التاريخ أو الحِقْبة، يُمكن في هذه الحالة أن نفترضه كنتيجة لاستعمال الكلمة للدلالة على اليوم والشهر في الوثائق (تاريخها)، ثم تأتي الخطوة الثابتة المُنظَّمة أي سَنَة الحِقْبة.

إنّ كلمة (تاريخ) العربية تعني كُلّاً من «الزمن» و«الحِقْبة». ومن الواضح أنّ هذه الكلمة لا تظهر في الأدب الجاهلي، كما أنها غير مذكورة في القرآن ولا في الأحاديث النبويَّة. ومن المُهمّ أن نُلاحظ أن الحديث الوحيد الذي يشير إلى إدخال التقويم الإسلامي في صحيح البخاري[24] يستعمل كلمة (عَدَّ) ولا يستعمل (أَرَّخَ)، ولكن كلّ الظواهر تدلّ على أنّ كلمة تاريخ استُعملت لأول مرة في الآداب العربية مع أخبار إدخال التقويم الهجري[25]. فالروايات الإسلامية تُرجِّح الرأي القائل إنّ التقويم الهجري أدخله عُمَر، ويجدر بالمُلاحظة أنه استُعمل في ورقة بَرْدِي يرجع تاريخها إلى سَنَة 22هـ[26]. ولمّا كان هذا الأمر قائماً في النصف الأول من القرن السابع، فيُمكن الافتراض بأن هذه الكلمة كانت معروفة آنذاك، رَغْم أن الأدّلة المُدعّمة بالوثائق تنقصه.

---

(24) يروي البخاري «حدّثنا عبدالله بن مسلمة حدّثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد قال: ما عدُّوا من بعث النبي ولا من وفاته، ما عدُّوا إلا من مَقْدمه المدينة»، **الصحيح**، ج3، ص49، طبعة كريهل (**مناقب الأنصار** 47).

(25) انظر: السَّخاوي. **الإعلان**، ص28 فما بعد.

(26) انظر: Von Karabacek, *Führer durch die Ausstellung Papyrus Erzherzog Rainer*, 139 (Vienna 1894). A. Grohmann, *Einführung*, 211 (Prague 1955).

وقد أُعيد نشر هذه الوثيقة في **دائرة المعارف الإسلامية** مادة «جزيرة العرب». [المترجم].

ثم اكتسبت كلمة (تاريخ) معنى «الكُتُب التاريخيَّة»، ثم معنى (تاريخ) بالمعنى الذي نقصده من كلمة History أو Geschichte التي تعني (تاريخ) كما تعني كتاب تاريخ. وهنا أيضاً يصعب جداً تحديد الزمن الذي ظهرت فيه كلمة (تاريخ) بمعنى (كُتُب التاريخ)، غير أنه يُمكن القول بأنها كانت راسخة الكِيان بهذا المعنى منذ القرن الثاني الهجري. وقد اكتسَبَت كلمة (تاريخ) هذا المعنى باستعمالها للدلالة على كُتُب تحتوي على أزمنة، فالكُتُب التاريخيَّة التي ليس فيها أزمنة لم تكن في الأصل تُسمى كُتُب تاريخ. ولا بدَّ من القول إنّ أقدم الكُتُب التي أُطلق عليها اسم تاريخ، كانت مجموعات تراجم لم تكن تذكر السنين إلا بصورة عَرَضية غير منتظمة. وكان استعمال كلمة التاريخ في هذه الكُتب وأمثالها مُبَرَّراً، لأنها ذكرت سنوات الوِلادة والوَفاة لبعض الشخصيات التي تَرْجَمَتْ لها. ففي تاريخ البخاري، نجد أنّ أقلّ من سبعة بالمائة من التراجم ذُكر لها تاريخ وفاة وأقلّ من نصف بالمائة من التراجم ذُكرت لها سِنِيّ الولادة[27]، ونصف بالمائة تقريباً من التراجم فيها ذكر لتاريخ أو تحديد لزمن الصحابة. أما سائر الأشخاص، فلا يُوجد إلا إشارة لشيوخهم أو تلاميذهم ممّا قد لا يُعين كثيراً على تعيين زمن وجودهم. كما أنّ محتويات الأغلبية المُطلقة لجميع التراجم، التي لا تكتفي بذكر أسماء الشيوخ والتلاميذ تتألّف من حديث خاص رواه صاحب الترجمة. أما التواريخ الدينية القديمة الأُخرى، فكانت أقلّ من البُخاري ذكراً للأزمنة[28].

ثم تطوّر معنى (التاريخ) عُموماً باستعمال كُتُب الحَوْليات لهذه الكلمة، وبدأ استعمالها يَعُمُّ ببطء منذ القرن الثالث فما بعد[29].

---

(27) كان العدّ في النصف جزأين الأولين من طبعة حيدرآباد.

(28) لقد بلغت نسبة تواريخ وَفَيات المُتَرْجَمِين في زمن الخطيب مُؤلّف **تاريخ بغداد** خمسين بالمائة بحسب تعداد عُمِل في المجلد الثاني من طبعة القاهرة لهذا الكتاب. يُضاف إلى ذلك أن **تاريخ بغداد** يذكر [غالباً ما يذكر] التواريخ التقريبية. أما الذين لم تُذكر تواريخ وَفَياتهم فهم عادة من المَغْمورين.

(29) يقول السَّخاوي «قال الصُّولي: تاريخ كُلّ شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه ومنه قيل لفُلان تاريخ قومه إما لِكَوْنه إليه المُنتهى في شرف قومه كما قاله المُطَرِّزي، وذلك =

إنّ تاريخ معاني كلمة التاريخ كما لخّصناه أعلاه لا يُمكن أن يُعتبر قطعياً ثابتاً، ولكنه مُحتمل جداً، وعلى أيّ حال تبقى حقيقة مُهمّة، وهي أنّ هذه الكلمة لا بدَّ وأن تُثير في القارىء المُسْلِم، نتيجة لتطوّر اشتقاقاتها، نوعاً من الأفكار التي لا يُمكن أن تُطابق ما في كلمة (history) في الغرب. فكلمة (history) لا تتصل مع الكلمات العربية التي اعتاد الغربيون أن يُترجموها بكلمة (history)، إلّا بصِلة واحدة من حيث المُشاركة في المعنى. يُضاف إلى ذلك أنّ القضايا الفلسفية المُتصلة بفكرة التاريخ هي من تطوّرات الفلسفة الحديثة، وهي تختلف كلّياً عن مفهوم «التاريخ» في الإسلام، بالرَّغْم من الرابطة الآلية بين التعبيرين.

وحتى في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديَّيْن، وهما قَرْنان مُتأخِّران نسبياً، حينما شعر المُؤرّخون المُسلمون بالحاجة إلى تعريفات عامة للتاريخ وعلم التاريخ، فإن تعريفاتهم المُختلفة لا تكشف أية بصيرة فلسفية عميقة. فابن خلدون يقول إنّ التاريخ: «إخبار عن الأيام والدُّول، والسوابق من القُرون الأُولى»[30] ويُعَرِّف المَقْرِيزي غَرَض التاريخ بأنه «الإخبار عما حدث في العالم في الماضي»[31].

= بالنَّظر لإضافة الأمور الجليلة من كرم أو فخر أو نحوهما إليه» (السَّخاوي) **الإعلان** ص7، غير أنّ معناه «غاية» أي هدف هو معنى ثانوي، والأرجح أنه مُشتقّ من «عصر، حِقْبة». انظر أيضاً تعبيرنا نسيج عصره بمعنى «بارز»، وكذلك تعبير يُمثِّل عصره.

(30) **المُقدّمة**، ج1، ص50، طبعة باريس.

(31) **الخبر عن البشر**، مُصوَّر القاهرة، تاريخ، 947، ص116، **الإخبار عمّا فات في العالم**. وقد عَرَّف المُؤرّخون الغربيون في العصور الوسطى التاريخ كذلك بأنه تَعاقب أحداث الماضي الكُبرى. وترى ماري شولز أنه يوجد فقط تعريفان غربيان وسيطان للتاريخ، يعتمد كُلٌّ منهما بدوره على الآخر.

Marie Schulz, *Die Lehre von der historischen Methode bei den Geschichtsschreibern des Mittelaters* (VI-XIII Jahrh.). 5, n.I (Berlin-Leipzig 1909). *Abhandlungen zur mittleren und neueren Geschichte*, 13).

هُناك تعريفان فقط للتاريخ في القُرون الوسطى في الغرب وزيادة على ذلك يعتمد كُلّ واحد منهما على الآخر.

وانظر عن تعريف آخر: أدناه ص252 هامش 2، وانظر أيضاً:

H. Richter, *Engl. Geschichtschreiber des zwölften Jahrhunderts*, 73, Berlin 1938).

انظر عن الأزمنة الحديثة: =

يُقرِّر الإيجي أنّ التأريخ هو معرفة أحوال العالم التي نُقلت مع إشارة إلى الأيام التي حدثت فيها، طالما يُؤلّف مادّة خبرٍ ما.

أما الكافِيَجي فيقول: «وأما علم التاريخ، فهو علم يبحث عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلّق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته»[32]. أما السَّخاوي، فيقول عن التاريخ: «وأما موضوعه، فالإنسان والزمان. ومسائله، أحوالهما المُفصّلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان»[33].

كما أنّ الفَجْوة بين الفكرة الحديثة والفكرة الإسلامية في العصور الوسطى عن التاريخ لم يملأها شعور المُؤرّخين المُسلمين بعنصر التبدُّل الذي يُؤثِّر في السُّلوك الإنساني كمنبع عام للتاريخ، فعندما كتب اليعقوبي في القرن العاشر كتاباً عنوانه **مُشاكلة الناس لزمانهم**[34]، فإن المرء يستنتج منه أنّ فكرته عن التاريخ جاءت قريبة من الأفكار الحديثة عن التطوّر، غير أنها ظلّت سطحية ولم تَنفُذْ إلى أعماق الفكرة الحديثة[35].

إنّ التناقض وعدم الانسجام بين إدراك معنى كلمة التاريخ وبين إدراك

= L. Gottschalk, «The Historian and the Historical Document», in *Social Science Research Council Bulletin*, No. 53 (1945), p.8.

«إنّ كلمة تاريخ تعني بأوسع تعاريفها ماضي الإنسانية».

(32) انظر أدناه: قسم 2، ص293.

(33) انظر السَّخاوي: **الإعلان**، ص7 (342 من هذا الكتاب).

وهُناك مُؤلِّف آخر من أهل القرن الخامس عشر هو ظهير الدِّين المَرْعشي يُعَرِّف في كتابه **تاريخ طبَرستان** التاريخ بأنه «علم يتضمّن معرفة أحوال القدماء...» مع فكرة نفعية عامة لصفة التاريخ كمَثَل يُحتذى. انظر:

Sehir-eddin's *Geschichte von Tabaristan, Rujan und Masanderan*, 6 Dorn (St. Petersburg 1850).

(34) انظر ياقوت: **إرشاد**، ج5، ص154، (القاهرة، ج2، ص157، مارغليوت).

(35) انظر:

F. Rosenthal, *The Technique and Approach of Muslim Scholarship*, 68a (Rome, 1947 *Analecta Orientalia*, 24).

(وقد ترجمه إلى العربية أنيس فريحة ونشره بعنوان **مناهج العلماء المُسلمين في البحث العلمي**).

فلسفته تُثير أيضاً مُعضلات علمية مُتّصلة بمُعالجة الموضوع الذي نبحثه. فمن الطبيعي أنّ نظرتنا التي قرّرتها بصيرة الرجل الحديث، قد نَفَذَت إلى وظيفة التاريخ وغَرَضه، وستبقى هذه البصيرة هي المقياس النهائي. ثم ماذا نقول عن تصنيف المُؤلّفات الأدبية «تاريخية، أو غير تاريخية؟» من السهل نسبياً إقصاء التقاويم من دراستنا، رَغْم أنّ من الصواب التأكيد على أهمية إيجاد اختراع التقاويم والحِقَب كوسائل آلية للتاريخ[36]. ثم إنه على الرَّغْم من اعترافنا بأن التراجم جُزء أساسي من التاريخ، فهل يصحّ قَبول التراجم بشكلها الحالي كعُنصر بارز في علم التاريخ كما فعل المُؤرّخون المُسلمون؟ أو هل يُفيد إقصاء بعض أنواع من التواريخ المحلّية التي يُطْلَق عليها اسم تاريخ رَغْم أنها لا تحوي إلا شيئاً قليلاً، أو قد لا تحوي أيّ شيء من التاريخ؟

ولتوضيح الوضعية، فإننا قد اتخذنا هذا كمعيار لتقرير نِطاق المادّة التي سيتناولها بحثنا. لقد أدخل علم التاريخ الإسلامي هذه الكُتب التي اعتبرها المُسلمون في فترة من تاريخهم الأدبي كُتُباً تاريخية، فكان فيها في الوقت نفسه مقدار لا بأس به من المادة التي يُمكن تصنيفها واعتبارها تاريخية تَبَعاً لتعريفنا الذي ذكرناه أعلاه للتاريخ.

(36) J. TH. Shotwell, *The History of History*, 63 ff. (New York 1939).

الفصل الثاني

الأساس والبيئة

1 ـ الوعي التاريخي في جزيرة العرب قبل الإسلام

هُناك فَجوات كثيرة في معلوماتنا عن جزيرة العرب قبل الإسلام، لأنها مُستمدّة من مصادر شحيحة ومُتفرّقة، وأنّ مُعظم المعلومات المتوافرة لدينا تستند إلى المصادر الإسلامية. ولا يزال النِّقاش يدور حول مدى دِقّة هذه المصادر في وصف الأحوال الثقافية قبل الإسلام، وفي عُصُور صدر الإسلام، وفي صِحّة نسبة كثير من الموادّ الأدبية إلى عصور ما قبل الإسلام. فقد ارتاب فيها كثيرٌ ممّن تربَّوا على روح النقد التي سيطرت في القرن الماضي (التاسع عشر)، على أنّ هذا الاتجاه الجديد كثيراً ما يظهر، لسُوء الحظ، بمظهر التسليم بصحة هذه المصادر الإسلامية. والواقع أنّ الأخبار عن الأدب العربي القديم وعن العُصُور الدينية في صدر الإسلام مُمتزج فيها الصدق والكذب بشكل لا يُمكن إيجاد قاعدة عامة نُميِّز بموجبها بين الأصيل وبين الموضوع المُنتحَل، لذلك ينبغي الحُكم على كلّ قول أو وثيقة أدبية على حِدَة. وهنا يَدخل عُنصر الشخصية في كُلّ حُكم، غير أنّ الخوف من الأحكام الشخصية، مهما كانت مُبرّرات هذا الخوف، ينبغي ألّا تُعطِّل مَلَكاتنا النقدية.

إنّ السُّكوت المُطْبق لمصادرنا عن أيّ مقدار ذي قِيمة من النشاط الأدبي الحقيقي في عصور ما قبل الإسلام قد يكون سببه نظرة المُسلمين إلى الجزيرة العربية القديمة كموطن الجهل، ويجوز أن نفترض أنّ هذا السُّكوت راجع إلى انعدام وجود ما يستحقّ الإخبار، إذ كان المستوى الثقافي والاقتصادي للسكان

البَدْو، شأنه في كافة العصور، أوطأ من أن يكفي لإسناد أيّ جُهد أدبي راقٍ. لقد كانت طبقة التُّجار في المُدُن الكبيرة القليلة، كمَكّة، في وضع مادي أفضل، لكن حتى لو استُعملت العربية كلغة أدبية في نِطاق واسع، وهو أمر لا نعرفه، فإن الأُفق الفكري كان بدون شك ضيّقاً محدوداً. والواقع أنه قلّما وُجِد دافع لوجود المُؤلّفات التاريخيَّة، خاصة وأنّ التنظيم السياسي الواسع النِّطاق كان مفقوداً، وهي ظاهرة تميّزت بها أواسط وشمال الجزيرة قبل الإسلام، وأدّت إلى حِرْمان السُّكان من الخِبرات القديمة عن استمرار الأحداث السياسية الكُبرى.

ولا رَيب أنّ الأحداث المُهمّة كانت تستثير اهتماماً طبيعياً يستعمل أداة توجيه في تاريخ الأفراد، فأقدم نَقْش عربي باقٍ، وهو نقش امرىء القيس الذي يرجع إلى سَنَة 328م، وُضع لتخليد الأعمال التاريخيَّة لأمير مُتوفّى. كما أنّ نَقْشاً آخر هو نَقْش شَراحِيل، وهو يرجع إلى سَنَة 568م، ويبدو أنه يُشير إلى تدمير خَيْبَر الذي حدث في سَنَة سابقة[1]. غير أنّ كِلا النَّقْشين جاءا من الطرف الشمالي الغربي للجزيرة، حيث كانت المُؤثّرات الثقافية الأجنبية قوية طَوَال العصور، ومن الصَّعب أن نُحدّد مدى قوة مثل هذه المُؤثّرات في المناطق الوسطى من الجزيرة، ولعلّ تجارة القوافل النشطة قد نقلتها إلى مناطق داخلية بعيدة.

إذا أردنا ألّا نَتِيه في تأمّلات لا تسندها الوثائق، فإن مشكلة المَنْبت الواقعي للتراث التاريخي الأصيل للجزيرة في العصر الجاهلي تتركز حول مسألتين:

1 ـ هل يرجع أدب أيام العرب إلى عصور ما قبل الإسلام، وماذا كان شكله؟

2 ـ هل في علم الأنساب الذي كان قائماً آنذاك مادة تاريخية حقيقية؟ وما هو الشكل الذي اتّخذته الصِّلة بين عِلْم الأنساب والتاريخ، إذا كانت مثل هذه الصِّلة موجودة حقاً؟

---

(1) تجد كلا النقشين في كتاب:
J. Cantineau, *Le Nabatéen*, II. 49-51 and 214 (Paris 1930-2).

لا شكّ في أنّ أخبار أيام العرب[2] قديمة جداً، ولعلّها أقدم ممّا تَدَّعي. وهذه الأخبار لا يُمكن أن تكون من مُخترعات كاتب في بغداد أو دمشق في العصر الإسلامي، بل هي شكل ساميّ قديم. والواقع أنّ لها الشكل نفسه الذي يظهر في أقدم الأقسام التاريخيَّة للتوراة، حيث نجد أنّ قِصّة الأحداث التاريخيَّة مُرتبطة ارتباطاً ضعيفاً بشعر قيل (في ذلك اليوم)[3]، أو أنّ مشهد المعركة يصل أَوْجه في مَقطعات شعرية تمجّد إنجازات أحد المُسهمين فيها على حساب الآخرين[4].

إننا نقرأ الآن هذه القِصَص البطولية في أُفق تاريخي أوسع، وقد تعوّدنا أن نراها جُزءاً من كُلّ، ومع هذا فهي تكون بذاتها وحدات يُمكن أن تُقرأ أو يُتمتَّع بها. لقد كانت مُنتشرة باعتبارها قِصصاً مُستقلّة قبل أن تدخل في القِصّة التاريخيَّة.

إنّ الرُّجوع إلى النَّماذج الموجودة في التوراة من أدب «الأيام»، قد يُعين على توضيح منزلة الشعر والنثر في قِصَص أيام العرب، فلم يكن ما فيها من الأشعار راجعاً إلى اهتمام اللُّغويين الذين رَوَوا مادتها بالقِصَص التي تشمل مادّة شعرية، وإنما لكونها عُنصراً من عناصر ذلك الشكل الأدبي، ألا وهو القِصّة المَلْحمية. فالخَلَف لم يكن ليعرف أية حادثة لو لم تكن لها صِلة ببعض الأشعار، أو لم تكن قد وصلتها بعض الأشعار في فترة مُبكّرة. غير أنه من ناحية أُخرى، لا يُوجد سبب يُبرِّر الافتراض أن الأشعار وُجدت أولاً، ثم اختُرعت الأحداث لتُلائم تلك الأشعار، ولتوفّر لها محيطاً جذّاباً ولتساعد في تفسيرها. فالنثر والشعر اللذان تتضمّنها هذه القصص وُجِدا سوية وكان يُكمل كلّ منهما الآخر رَغْم أن الأشعار تبدو عادة العُنصر الأكثر أصالة، ويتبع هذا أن الأشكال الفنية لقِصَص الأيام كانت في الأزمنة القديمة تُشبه إلى حدٍّ كبير ما هو معروف عندنا. ولا يُمكن البَتُّ في أيٍّ من هذه القِصَص التي دُوِّنت كتابةً في العصور الجاهلية السابقة للإسلام. إنّ الرأي التقليدي والمُلاحظات العامة عن الطريقة

(2) لقد جرت دراسة شاملة عن قِصَص أيام العرب قام بها:
W. Caskel, «Aijâm al-ʻArab. Studien zur altarabischen Epik», in *Islamica* III[5], 1-99 (1931).

(3) سِفْر القُضاة 5، انظر أيضاً سِفْر الخروج، 14 : 30.

(4) صاموئيل 17.

التي نُقلت فيها مثل هذه المادة في البيئات الثقافية المُشابهة تُشير إلى الانتقال الشَّفهي، وأنه رُبّما كانت بعض مادتها قد دُوّنت في بعض الأزمنة. والظاهر أنّ ما بقي لدينا من هذه القِصَص، لا يستند إلى مصادر مُدَوَّنة ولو من بعيد[5].

وعلى أيّ حال، يُمكننا أن نثق بأن قِصَص الأيام كانت موجودة في عُصور ما قبل الإسلام، ويَرِد على ذلك سُؤال هو: هل إنّ وجود هذا القَصَص دليل على الشُّعور التاريخي أو تعبير عن هذا الشُّعور؟ والجواب عن هذا السُّؤال ينبغي أن يكون سلباً، إذ لم يكن الهدف من هذه القِصَص في الأصل أن تكون مادّة تاريخية، فالمُؤرّخون المُسلمون الأوّلون اعتمدوا كُلّياً على الإشارات المُقتضبة للأيام. فقِصَص الأيام المُحكمة، فيما يرى و. كاسكل W. Caskel[6]، لم تُقبل تماماً كجُزء من التاريخ حتى القرن الثالث عشر م. وبذلك بَدَا المُؤرّخون مُتردّدين في أخذ المادّة التي اعتبروها تخص ميدان رجال اللُّغة والأدب. والواقع أن قِصَص الأيام تَرجع في أصلها إلى الأدب أكثر ممّا تَرجع إلى التاريخ. فقد كانت تُروى بالدرجة الأولى لإيناس السامعين ولمُتعهم العاطفية. كانت تحتوي على عناصر تاريخية من حيث إنها سجّلت أحداثاً كبرى، ومن حيث إنها اعتبرت مثل تلك الأحداث مُتّصلة بِنَواحٍ معنوية مُعيّنة، غير أنها يُعْوِزُها الاستمرار تماماً، فلم تُدرس ضمن الأسباب والنتائج التاريخيَّة، كما أنها لا تأخذ الزمن بنظر الاعتبار قط. ولا تُوجد إشارة إلى أن الشعور التاريخي قد تقدّم قبل الإسلام إلى الحدّ الذي يُضفي على هذه القِصَص شيئاً من التعاقب التاريخي. وبذلك لم يكن بالإمكان أن تتطوّر قِصَص الأيام، أو أن يكون لها دافع يُوجّهها نحو التطوّر لتُصبح من الأدب التاريخي، هذا بالرَّغْم من أن فُنونها وأشكالها لعبت فيما بعد دوراً مُهمّاً في علم التاريخ الإسلامي.

أما الأنساب، فكانت بدورها ذات أهمّية تقلّ كثيراً عن أهمّية الأيام كشكل

---

(5) لقد ذكر أنّ النثر بالمعنى الدقيق لكلمة نثر، لم يكن موجوداً في الجزيرة في العصر الجاهلي:
WM. Marçais, «Les Origines de la prose littéraire arabe», in *Revue Africaine*, LXVIII, 15-28, 1927.

(6) مصدر سابق، ص8.

من أشكال التعبير التاريخي، غير أنها أكثر دَلالة على وجود الإحساس التاريخي. ويصعب الافتراض بأن العناية بشجرات النَّسَب في عصور ما قبل الإسلام، كان يحفظ في مُحتواه كمّية مُناسِبة من الأحداث التاريخيَّة المُتّصلة بأفراد شجرة نَسَب (إلا في حالات شاذّة قليلة انغمرت فيها بعض الشخصيات في حادثة تقدّرها قصص الأيام). إنّ مثل هذا التجاوز على الميادين التاريخيَّة لم يكن قطّ الهدف الحقيقي للأنساب. وأضعف من هذا الدليل على الافتراض القائل بأن المعلومات المُتعلّقة بالأنساب قد دُوّنت كتابة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، فقد كان المُهتمّون بالأنساب يحفظون معلوماتهم عن ظَهْر قَلْب. وبالعكس، فإن أيّ نَسَب كان يفقد أهمّيته ويبقى مَنْسياً إذا لم يُقيَّض له من يحتفظ بمعرفته. فالمؤلفات عن النَّسَب تبدأ في الظهور عندما تُصبح شجرات النَّسَب مثاراً للشكّ، ويشعر الناس أنّ تدوينها في كتاب قد يُساعد على إزالة الشكوك ومنع التزوير. ولا يُمكن أن يكون العرب قبل الإسلام قد شعروا بأيّ ضَعف في تقاليدهم النَّسَبية[7]، لأن مثل هذا الضَّعف من شأنه أن ينسف كُلّ تنظيمهم السياسي والاجتماعي. وينتج من هذا، أنه يُستبعد أن يكون علم النَّسَب عندهم قد تطوّر إلى شكل أدبي. والواقع أنه لم يكن له بعدئذٍ إلا دور ضئيل في تشكيل الصور الأدبية لعلم التاريخ الإسلامي. ومن جِهة أُخرى، فإن الاهتمام العملي بالتراث النَّسَبي رُبّما كان قد تطوَّر في ظُروف مُلائمة إلى اهتمام في الماضي بصورة عامة وإلى إيجاد الشعور التاريخي وتقويته الذي هو شَرْط ضَروري لتكوين التأليف التاريخي. لقد كان تَقَدُّم الإسلام ظرفاً مُناسِباً أتاح للأنساب أن تُنشّط إمكانياتها التاريخيَّة. كما أنّ التراث النَّسَبي عند العرب وعند الساميّين عُموماً، لم يقتصر على العلاقات بين الأفراد أو الأُسَر، بل أعان على تكوين مخطّطات نَسَبية ضمَّت جماعات السُّكان كافّة بصرف النظر عن أعدادهم. فجدول الأُمم في الفصل العاشر من سِفْر التكوين، يُظهِر أنّ مثل هذه الجداول يُمكن أن تُمَدَّ بسهولة لتشمل كلّ العالم المعروف. إنّ هذا التوسيع للعلاقات النَّسبية بين الجماعات الشخصية الصغيرة ومَدَّه إلى الكُتَل السياسية، يفتح طريقاً آخر يُؤدّي إلى التفكير التاريخي الحقّ.

(7) إنّ فضح ادّعاءات الناسب أحياناً، لا يُناقض ما نقوله.

وهنا نُصادف أحد العوامل المُسهمة التي مَهَّدت لقَبول نظرة التاريخ العالمي في الفكر الإسلامي(8).

وبالإضافة إلى قِصَص الأيام وتُراث الأنساب، اللذين كان مَهْدهما أواسط الجزيرة قبل الإسلام، ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار تَغَلْغُل بعض أشكال الكتابة والتفكير التاريخيين ونفوذهما من الأقطار المجاورة للجزيرة. لقد تكلّمنا من قبل عن بعض الدلائل على الصفة التي يحتمل أن يكون قد اتخذها هذا التغَلْغُل، عندما أشرنا إلى الأطراف الشمالية للجزيرة حيث تتصل الجزيرة بمَدَنيات الهلال الخصيب(9). ولا فائدة من العودة مباشرة إلى أزمنة مُوغلة في القدم، وأن نبحث تعبيرات الشُّعور التاريخي، مثلاً، عند التَّدْمُرِيِّين أو الأَنْباط باعتبارهم عَرَباً. إنّ مثل هذا البحث لا بدَّ أن يكون طريفاً، غير أنه لن تُؤمل منه أيّة نتيجة قد يكون لها أثر على فهمنا لأُصول التاريخ الإسلامي.

قد يُمكن أن نجد في الأقاليم المُتقدّمة في الزراعة والرَّخاء في جنوب غربي الجزيرة، مصدراً أقرب للتأثير الثقافي. فقد كان لهذه الأقاليم اتصال مباشر مُستمرّ مع المراكز التي نشأ فيها الإسلام، سواء في زمن الرسول أو بعده. ولما كان سُكانها يعيشون في مُجتمعات مُستقرّة مُتعلّمة حسنة التنظيم، لذلك لم تُعْوِزها الخِبرة السياسية والوسائل لتسجيلها ممّا يُؤدّي إلى صُنع أدب تاريخي. لقد كانوا يمتلكون حوليّات موجَّهة سياسيّاً، والتي من المُمكن أنها أثَّرت في الحَوْليات الإسلامية وأعطت المُسلمين كلمة (تاريخ، حِقْبة)(10). ولكن هل كان لهم أدب تاريخي أو على الأقل هل كانوا يملكون نوعاً من الصُّوَر الواضحة للتعبير عن الشُّعور التاريخي، ممّا قد يكون له أثر على نظرة المُسلمين إلى التاريخ؟

تحتوي كتب التاريخ العربية على كمّية كبيرة من الأخبار عن ملوك جنوب الجزيرة. ولعل كمّية لا يُستهان بها من هذه الأخبار جاءت إلى المُسلمين من

(8) أعلاه: ص50.
(9) أدناه: ص42-43.
(10) أدناه: ص33 فما بعد.

طريق مصادر مسيحية ذات أصل سُرياني أو بيزنطي[11]، غير أنّ بعضها على الأقل يُعطي انطباعاً واضحاً أن أصلها من جنوب الجزيرة. وقد يكون هذا نتيجة جُهود العُلماء المُسلمين الذين ذَهَبُوا إلى اليمن وجمعوا ذكريات تاريخية لعرب الجنوب قبل الإسلام.

وللحُصول على معلومات أكثر وثوقاً، علينا أن نلتفت إلى النُّقوش العربية الجنوبية، التي بقي عدد كبير منها، وأغلبيتها المُطلقة لا علاقة لها بالتاريخ، فلا يُوجد فيها ما يُشبه النُّقوش المَلَكية المعروفة في المناطق الشمالية من الشرق القديم. لقد كانت الاعتبارات الشرعية العلمية سبباً لكثرة تسجيل النُّقوش على الأبنية والمشاريع العامة الأُخرى. يُضاف إلى ذلك أنّ مُجَرَّد وجود هذا العدد الكبير من النُّقوش، يُظهر أيضاً شيئاً من الشُّعور بالأهمية التاريخيَّة للتدابير السياسية والإدارية، ويُظهر الرغبة في صِيانة ذكرى المشاريع الكبيرة. ويتقوَّى هذا الانطباع كثيراً عندما نجد هذه النُّقوش موضوعة أحياناً في موضعها المُناسِب من الأحداث العسكرية المُعاصرة الكبيرة التي تصفها بدقّة[12]. صحيح أنه لا يُمكن حتى لمثل هذا النوع من الوثائق أن يُضعضع رأي العالِم المُختصّ بأُمور العربية الجنوبية، في أنّ النُّقوش العربية الجنوبية تُعطي «انطباعاً عن شعب كان حتى قُوّاده يفتقدون تماماً الإحساس بالتاريخ»[13]؛ ويستند هذا الرأي إلى حدٍّ كبير إلى فُقدان الأدلّة، وهو رأي مُتطرّف، وبطبيعة الحال يكون هذا الرأي صحيحاً إذا

---

(11) A. Moberg, *The Book of the Himyarites*, XLV (Lund 1924).
انظر أيضاً:
J.W. Hirschberg in *Rocznik Orientalistyczny*, XV 321-38 (1949).

(12) انظر مثلاً:
Répertoire d'épigraphie sémitique, Nos. 2633, 2687, 3943 (cf. N. Rhodokanakis in *SBAW* Vienna. Philos., Hist. K1., 206, 2, 1927) and 3945.

(13) وعن المُحتويات التاريخيَّة للنُّقوش العربية الجنوبية .Rhodokanakis, *op. cit.*, 36 n4، وقد نقلها بروكلمان. **الملحق**، ج1، ص15، 203.
انظر أيضاً:
D. S. Margoliouth, *Lectures on Arabic Historians*, 28 ff. (Calcutta 1930).
[وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية حسين نصّار بعنوان **المُؤرّخون المُسلمون**، بيروت 1960. المترجم].

كانت كلمة (تاريخية وغير تاريخية) تُفهم بمعناها الحديث، غير أنه في هذه الحالة يُمكن أن يُطبّق إلى حدٍّ غير قليل لا على العرب الجنوبيين فحَسْب، بل على الشعوب القديمة الأُخرى أيضاً. وتُظهر النُّقوش أنّ جنوب الجزيرة قبل الإسلام كان فيها شيء من الشعور التاريخي، الذي ظهر بشكل قوي في العصور الإسلامية[14]. غير أننا إذا استثنينا احتمال كون أصل فكرة التقويم الهجري من الجنوب، فإنه لا يوجد أيّ دليل على أن علم التاريخ كان موجوداً عند عرب الجنوب، أو أنه أثَّر في علم التاريخ الإسلامي.

إنّ صُورتنا عن التاريخ والشعور التاريخي في الجزيرة قبل الإسلام لا يزال ينقصها عنصر واحد هامّ، ألا وهو دور اليهود والنَّصارى، فقد كان لكِلا الدِّينين عدد من الأتباع في الجزيرة. أما النَّصرانية فقد كان يُمثّلها أفراد في أواسط الجزيرة، غير أنه كانت توجد مراكز مسيحية كبيرة في جنوب الجزيرة وفي كافة أطراف شمال الجزيرة. ومن المُؤكّد أنه كانت لليهود والنَّصارى معرفة أساسية عن التاريخ وكذلك عن صُوَر العَرْض التاريخي الذي نقلته إليهم التوراة، سواء أكانوا يعرفون نص التوراة أم كانوا قد اعتمدوا على فقرات نُقلت إليهم شِفاهاً. ومهما يكن من الأمر، فإنه نظراً لكونهم جُزءاً من السُّكان ولم يكونوا تُجّاراً مُتنقّلين أو مُبشّرين أو أمثال ذلك، فمن المُحتمل أنهم شاركوا في الخِبرات التاريخيَّة وصور التعبيرات التاريخيَّة التي عرفها أو جهلها جيرانهم الوثنيون، ولم يتميّزوا عن هؤلاء الوثنيين بأية ناحية. لذلك، يصعب الافتراض بأنهم قد مارسوا أي شكل من الكتابة التاريخيَّة مُمارسة نشيطة، غير أنهم امتلكوا المفتاح الذي فَتَحَ للمسلمين، على يد الرسول، الطريقَ إلى النَّظرة التاريخيَّة للحياة.

2 ـ نظرة الرسول التاريخيَّة

إذا لم يُلقِ المرء نفسه في لُجّة اليأس عند مُجابهته المِحَن وعند إدراكه ضعفه وعدم أهميته، فإن ضعفه هذا وتَفاهته يحتاجان إلى تفسير. لقد قدَّمت

(14) انظر أعلاه: ص203 فما بعد.

اليهودية والنَّصرانية حلاً مُرْضياً جداً، فالمرء ليس فريداً وحيداً في الحياة، وهو لا يعيش ليومه فقط، كلّا، بل إنّ له مكانة في مجرى التاريخ، وتاريخه يبدأ ببداية العالم من قبل أن يُخْلَق هذا المرء بأمد طويل وينتقل به هذا التاريخ خلال عدد من اللحظات العُظمى للآمال الروحية أو ينتهي في لحظة عُظمى من الخلاص تُحيط بحياة الأجيال المُقبلة كافة بشكل حاسم. وبذلك، يصل هذا التاريخ إلى نهاية مَطافه في المستقبل حيث تُحصى جميع أعمال الفرد وكُلّ ما جناه في حياته، ولا تُغْفَل صغيرة أو كبيرة ممّا جنى أو فعل.

وعندما ظهر الرسول كانت اليهودية والنَّصرانية مُنتشرتَيْن في الجزيرة، ولهما آراء مُتشابهة في التفسير التاريخي للحياة الإنسانية، غير أن الدين الإسلامي الذي بشَّر به الرسول كان يتميّز بالوُضوح والقُدرة على تفهّم أُسس هذا الوجود بصورة واضحة جداً ومن غير تعسُّف. والواقع أنّ مفاهيم الإسلام أوضح وأقل جُموداً من ناحية العقيدة، من مفاهيم اليهود والنَّصارى الدينية.

لقد أدرك الرسول الوجود التاريخي العظيم، وأنّ العالم سينتهي يوم القيامة، وهو يوم الفصل الذي تُسأل فيه كُلّ نَفْس عمّا فعلت في الحياة الدُّنيا. ويوم القيامة حادث ثابت معروف في المستقبل، وقد وصفه القُرآن الكريم وصفاً دقيقاً بحيث أصبحت أحداثه واضحة للناس، وكأنها قد حدثت في الماضي القريب رَغْم أنها لَمّا تحدث بعد. لقد كانت تأريخاً للمستقبل بالمعنى نفسه لوجود تاريخ للماضي.

إنّ هذا الامتداد لفِكرة التاريخ إلى المستقبل سيطر أيضاً على علم التاريخ المسيحي في العصور الوسطى[15]، غير أنّ مَدَّ التاريخ إلى المستقبل كان في الحقيقة مسلكاً خاطئاً. وقد أخّر في قِيمة التاريخ بوصفه تفكيراً في العوامل الواقعية والمُؤثّرات في الحياة الإنسانية، فـ «تاريخ المستقبل» كهذا لن يستطيع استثارة التفكير التاريخي، لأنه يُعْوِزه التنوّع، ولأنه يتركّز بصورة جامدة حول

(15) لقد اعتبره أيضاً ياسبرس جُزءاً من التاريخ.
K. Jaspers., *Vom Ursprung und Ziel der Geschichte*, 181 (Zürich 1949).

حقائق محدودة، غير أنّ فكرة يوم القيامة يُمكن أن تُطبّق مباشرة على تقدير أعمال الحاضر، من حيث إنّ المرء يُحاسَب في الآخرة على كُلّ ما جَنَت يداه في هذه الدُّنيا، وأنّ كُلّ ما يعمله اليوم مُسَجَّل عليه ولن يُنْسى، وبذلك اكتسَبَت كافة أعمال البشر سِمة الخُلود، وكان ذلك دافعاً واضحاً للتذكّر وتسجيل الأعمال.

إنّ تقدير قِيمة أعمال الحاضر رافقه تقدير واضح بيِّن الحدود لقِيمة أحداث الماضي؛ لقد كان الرسول نفسه غاية عمليات التاريخ التي بدأت منذ أن خلق الله العالم. لقد ظهر الأنبياء في أَزْمنة وأقاليم مُتعدّدة، ولاقوا النجاح أو الفشل في أداء رسالتهم إبّان حياتهم، غير أنهم لم يُوفّقوا جميعاً في إسباغ صفة البقاء على رسالتهم. أما الآن وقد ظهر الرسول، فإنه سيكون خاتم النبيِّين ورسالته آخر الرِّسالات. لم يكن الرسول بِدْعاً من الرُّسل، بل كان مُتّصلاً تاريخياً بسِلْسِلَة من الأنبياء، وهو بصورة خاصة خليفة إبراهيم، والواقع أنّ الانتصارات والانتكاسات في التاريخ كان لها أثر في الرسول وأحواله.

وجدير بالمُلاحظة أنّ هذه الصورة عن تاريخ الماضي تشمل العالم كُلّه كما ارتسم في ذِهن الرسول. لقد وجّه الرسول دعوته إلى قومه العرب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ و﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، كما أُرسل أنبياء آخرون إلى شعوب مُختلفة، وقد قام البعض كالخَضِر وذي القرنين برحلات وصلت إلى آخر أرجاء المعمورة، وقد عُني الخالق بتاريخ جميع البشرية. وهكذا قدَّم الرسول صورة كَوْنية لتاريخ الماضي، لم يبقَ لها إلا أن تُملأ بالحقائق التاريخيَّة الواقعية حالما تتوافر هذه الحقائق.

إنّ أفكار الرسول التاريخيَّة نشَّطت دراسة التاريخ نشاطاً لا مَزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض، أموراً ذات أهمّية دينية، كما أنّ شخصية الرسول كانت خطاً فاصلاً واضحاً في كُلّ مجرى التاريخ، ولم يتخطَّ علم التاريخ الإسلامي المُتأخّر هذا الخط قطّ[16].

(16) بحَسَب آراء الشيعة الإسماعيلية، لا يُوجد مثل هذا الخط الفاصل، وأنّ فترات =

وقد سيطرت مثل هذه الفكرة على التفكير التاريخي المسيحي[17]، ولكنها أدّت إلى تمديد النظرات الواسعة، وإلى عدم أخذ نظرات مُخالفة أُخرى.

ومن الدوافع العملية لدراسة التاريخ، توافر المادة التاريخيَّة والقَصَص التاريخي في القرآن، ممّا دفع مُفسِّري القُرآن إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه، وقد أصبح الاهتمام بالمادة التاريخيَّة، على مرِّ الزمن، أحد فُروع المعرفة التي تمَّت بالارتباط بالقُرآن[18]. وإذا كان الرسول قد سمع بعض الأخبار والمعلومات التاريخيَّة، فإن هذا لا يُبرّر الافتراض بأن الرسول قد قرأ المصادر التاريخيَّة كالتوراة في ترجماتها العربية.

لقد وَرَدت في القُرآن معلومات تاريخية تختلف عما يدّعي اليهود وجوده في التوراة، وقد ذكر الرسول أنّ اليهود والنَّصارى حَرّفوا التوراة، وتمسّك المُسلمون بما جاء في القُرآن. لقد كان شعور الرسول التاريخي عميقاً، غير أنه انصرف إلى التبشير بالدين الإسلامي بالدرجة الأُولى، ولم يُشِر القُرآن إلى الأحداث العالمية المُعاصرة إلا مرة واحدة عندما تنبّأ عن مصائر النزاع بين الروم والفُرس حيث قال تعالى: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: 1-3]. أما الأحداث التي أحاطت بالرسول والمُسلمين، فقد أشار القرآن إلى كثير منها، وكانت هذه الآيات لا تتعارض مع موقف الرسول تجاه التاريخ، وكان نُزول هذه الآيات التي تذكر هذه الأحداث له أهمّية في التاريخ الإسلامي، لأن الأحداث التي أشارت إليها صارت لها أهمّية تاريخية كُبرى للمُسلمين، واستثارت البحوث التاريخيَّة.

= تاريخ العالم منذ البداية يُحدّدها ظهور سبعة أنبياء مُتعاقبين، غير أنّ هذه الفكرة لم تُطَبّق في الواقع على كتابة التاريخ الاعتيادي.

(17) من الأمثلة على ذلك المُؤرخ السوري يوحنّان بار بنكايا الذي عاش في الزمن الذي بدأ يظهر فيه علم التأريخ الإسلامي. انظر:
A. Baunstark, *Eine Syrische Weltgeschichte des siebeten Jahrh.'s*, in *Römishce Quartalschrift für christliche Alterthumskunde*, XV, 275 (1901), and A. Mingana, *Sources Syriaques*, I, part 2, p.VI (Leipzig-Mosul 1908).

(18) انظر السيوطي: **الإتقان**، فصل 65، ج2، ص127 (القاهرة 1317هـ)؛ طاشكبري زاده: **مفتاح السعادة**، ج2، ص364، (حيدرآباد 1328 ـ 56هـ).

وهُناك تفصيل ثانوي ينبغي ألّا يغرب عن البال، ألا وهو تكرّر إشارة القرآن الكريم إلى أساطير الأوّلين في عِدّة آيات[19]. لقد استعمل خُصوم الرسول تعبير «أساطير الأوّلين» للتهجُّم على دعوته، وقد حاول بعض العُلماء أن يُرجعوا كلمة أساطير إلى كلمة Istoria الإغريقية، وممن ارتأى هذا الاشتقاق ج. غوليوس J. Golius في القرن السابع عشر[20]، ثم أقرّه ج.و. فريتاغ G.W. Freitag[21] و هـ.ل. فلايشر H. L. Fleischer[22] وأ. شبرنغر A. Sprenger[23]، وقد أثار تقبُّل هؤلاء العُلماء لهذا التفسير كثيراً من النقاش في المائة سَنَة الماضية. إنّ هذا الاشتقاق جَذّاب في ظاهره، غير أنه لا يُمكن أن يكون صحيحاً، فقد تبين أنّ هذه الكلمة لم يَعُمَّ استعمالها في الآرامية (أو في الإثيوبية)، بينما تظهر كلمة الأساطير العربية في القُرآن وكأنها شائعة الاستعمال وتعبير مألوف يفهمه الناس عُموماً[24]. إنّ جذر كلمة (ش ط ر) معروف بمثل هذا المعنى الخاص في السُّريانية فقط، وهو يعني (البَلادات)[25]، غير أنّ اشتقاق التعبير العربي من هذا الأصل السُّرياني قد يَلْقى الاعتراض نفسه، والأجدر أن نقول: إنه مُشتقّ من الجذر العربي (س ط ر) بمعنى كَتَبَ، وهو جذر موجود في مُختلف اللُّغات الساميّة. فإذا دُعيت القِصَص التي كان يقصّها

---

(19) انظر: H. Speyer, *Die biblischen Erzählungen in Qoran* 159, nº 4 (Gräfenheinichen, n.y. [ca.1938-1939]).

لم يُطبع هذا الكتاب ولكني قرأت مُسوّداته سَنَة 1936م. ومن الحقائق الواضحة أنّ وجود أدب كبير في المراكز الثقافية في الشرق لم يخفَ على سُكّان المُدُن من العرب، حتى لو لم يُشيروا إليها. ولا حاجة لذكر خاص لهذا لو لم يغفل عنها الناس أحياناً.

(20) *Lexicon Arabico - Latinum*, col. 1171 (Leiden 1653).

(21) *Lexicon Arabico - Latinum*, II, 314 (Halle 1833).

(22) في سَنَة 1841م، انظر كتابه:

Kleinere Schriften, II, 119 f. (Leipzig 1888).

(23) *Das Leben und die Lehre des Muhammad*, (Berlin 1869). Cf. also TH. Nöldeke, Fr. Schwally, *Geschichte des Qorâns*, I, 16, f n. 4 (Leipzig 1909).

(24) J. Horovitz, *Koranische Untersuchungen*, 69 f. (Berlin - Leipzig 1926).

وعلى كُلٍّ، فإن من يُريدون اعتبار قِصّة النَّضْر صحيحة يُشيرون إلى أُصوله العراقية ويقولون: إنه تعلّم كلمة (أساطير) عندما كان في العراق.

(25) D. Künstlinger in *OLZ* XXXIX, cols. 481-3 (1936).

الرسول «أساطير» بمعنى كتابات[26] الأقدمين، فإن هذا يحطُّ من شأنها. وعلى أي حال، فإن تعبير أساطير الأوّلين له أهمّية أكبر من مُجرّد طَرافة اشتقاقه، نظراً لأن المُفسّرين الأوّلين ربطوه بتقليد لتوثيقه بعض الأهمّية في التاريخ الإسلامي، فقد «كان النَّضْر بن الحارث من شياطين قريش، وكان قد قَدِمَ الحِيرة وتعلَّم بها أحاديث مُلوك فارس، وأحاديث رُستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله (ﷺ) مجلساً فذكر فيه الله وحذّر قومه ما أصاب قبلهم من الأُمم من نِقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فَهَلُمَّ إليَّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يُحدّثهم عن ملوك فارس ورُستم وإسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن مني»[27].

والحقّ أنه ليس من المُستحيل أن تكون بعض الأخبار عن تاريخ الفُرس القومي، قد وصلت مكة بالطريق الذي وَصَفْناه آنفاً في عصور ما قبل الإسلام، غير أنه من المُحتمل جداً أن تكون قِصّة النَّضْر من مُخترعات أوائل القرن الثامن الميلادي. ففي الربع الثاني من ذلك القرن، تُرجمت مصادر التاريخ القومي الفارسي إلى العربية، ولم تكن الدوافع لهذه الترجمات أدبية، بل كانت بالدرجة الأُولى تعبيراً عن المُقاومة القومية الفارسية وسلاحاً استخدمته ضد العرب ودينهم الجديد. أما قِصّة النَّضْر واعتراض الرسول على القصص الفارسية، فرُبّما انتشرت باعتبار أنها تدبير اتخذه المُسلمون لمُواجهة نشاطات الروح القومية الفارسية. أما تاريخيتها، فلا تلقى تأييداً كبيراً من المواد الأُسطورية الأُخرى المُشابهة لها. ويروي أيضاً ابن حَرْمَلة بن المُنذر، وهو شاعر نصراني مُعَمِّر مُخَضْرَم «وكان حَسَن الصورة، فكان إذا دخل مكة دخلها مُتنكّراً لجماله، وكان أبو زبيد يزور الملوك وملوك العجم خاصة وكان عالماً بسِيَرهم، ووفد على الحارث بن أبي شَمَّر الغَسّاني والنُّعْمان بن المنذر»[28] غير

(26) قد يكون هذا حادثة أُخرى من معرفة المُعاصرين للرسول وجود كتب مكتوبة غير أنها ليست دليلاً على وجود أدب قائم في الجزيرة.

(27) انظر ابن هشام: **السيرة النبويّة**، ص191، ط. وستنفلد.

(28) انظر ياقوت: **إرشاد**، ج10، ص191 (القاهرة، ج4، ص107، ط. مارغليوت).

أنه حتى لو كان ما يُروى عنه صحيحاً، فمن المُؤكّد أنّ حِكاياته لم تكن تاريخاً.

أما كُتُب الحديث، فلا تُضيف معلُومات قَيِّمة أو مَوْثوقة عن اهتمام الرسول بالتاريخ. ثم إنّ ما يُروى عن استخفاف الرسول بالنَّسَب لا علاقة له بالنَّسَب كجُزء مُحتمل من المعرفة التاريخيَّة، بل ينبغي أن يُفهم في ضَوْء جُهوده لتمزيق ما كان في مُجتمعه المُعاصر من حواجز اجتماعية خلقها التفاخر بالأجداد والأنساب[29]. وبجانب بعض الأحاديث، نجد أنّ الرسول يُوصي «ولا تدع التاريخ فإنه يدلّ على تحقيق الأخبار وقُربها وبُعدها»[30]، غير أنه لا يُمكن اعتبار هذا الكلام موثوقاً أو حديثاً قديماً.

وعلى أيّ حال، تبقى حقيقة هي أنّ الرسول نفسه وضع البُذور التي نجني منها اهتماماً واسعاً بالتاريخ، وقد نَحَا المُدافعون عن الإسلام فيما بعد نحواً من التعليل لا أساس له في التاريخ، ولكنه كان ملائماً، عندما اعتبروا أنّ معرفة الرسول بتاريخ الماضي (والمستقبل) كإحدى المُعجزات التي تُثبت نُبُوَّته[31]. لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العُموم في تقدّم نُموّ التاريخ الإسلامي في المُستقبل، رَغْم أنّ الرسول لم يتنّبأ بالنُّمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتمّ باسم دينه.

---

(29) انظر السَّخاوي: **الإعلان**، ص32. ويروي الترمذي أنّ الرسول قال: **«تعلّموا من أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم»**.
انظر: **الفِهرِس المُفَصل في ألفاظ الحديث النبوي**، مجلد 2، ص238 ب، ابن حزم: **الجمهرة**، ص2، 4 ط. ليڤي بروفنسال، القاهرة 1948م، ابن عبد البَرّ: **إنباه**، ص42 فما بعد. (القاهرة 1350هـ).

(30) انظر ابن المُدَبِّر: **الرسالة العذراء في رسائل البلغاء**، تحقيق محمد كرد عليّ، ص183، (القاهرة 1331هـ/ 1913م، ص238، الطبعة الجديدة، 1374هـ/ 1954م).

(31) مثلاً الباقِلّاني: **إعجاز القرآن**، ص19، 27 فما بعد (القاهرة 1315هـ)، ص55-56 (الصفحات غير مُرتّبة)، ص79، (القاهرة 1317هـ) هامش السيوطي: **الإتقان**. انظر أيضاً أدناه: ص73 فما بعد، ص220.

3 ـ مكانة التاريخ في العلم والتربية عند المُسلمين

لقد كان علم التاريخ الإسلامي في كلّ العصور وثيق الارتباط بالتطوّر العام للحركة الفكرية الإسلامية، وكانت مكانة المعرفة التاريخيَّة في التربية الإسلامية ذات أثر حاسم في المستوى الفكري للكتابة التاريخيَّة. إنّ تبدُّلات التاريخ الإسلامي يُمكن أن تُفهم فهماً جيداً إذا عُرضت ضِمن النِّطاق العام للثقافة الإسلامية.

إنّ نُموَّ المَدَنية الإسلامية من أروع الأحداث في تاريخ الفكر الإنساني وسيبقى مَثار أعظم الإعجاب. لكن لا يُمكن اعتبار هذه المَدَنية أمراً غامضاً أو مُعجزة، ولعلّها كانت مُعجزة من حيث حُدوثها بسرعة عجيبة لدرجة أنها كَمُلت بعد بدئها بوقت قصير. وقد يُمكن أن نعتبرها غامضة من حيث إنّ كُلّ عمل من الإبداع الفكري، وكُلّ ازدهار في أية مَدَنية هما أمران لا يحصرهما الإدراك الإنساني التام. أما في الإسلام، فإننا نجد أنّ الأسباب والظُّروف التي أوجدت المَدَنية الإسلامية أشد وُضوحاً من الأسباب والنتائج التي أوجدت معظم المدنيات الأُخرى. فالاندفاع الهائل في تسامي الروح الإغريقية نحو الأعالي كان قصير العمر ولم يتكرّر قط، كما وأنّ الأمجاد الخلّابة لحركة الإحياء الغربية كان فيها عنصر لاعقلي أقوى أثراً من المحيط ونَماذجه. أما المَدَنية الإسلامية، فقد ظلّت مُرتبطة بالأُسس المَكينة التي وجدتها مُمهّدة، وقد نَمَتْ بالتوسّع لا بالتعمّق.

لقد استطاع الإسلام بفضل عبقريته العسكرية والظروف التاريخيَّة الملائمة أن يكتسح في زمن قصير بلاداً كانت تتمثّل فيها جميع المُنجزات الفكرية القائمة آنذاك، وسُرعان ما أخذت حضارته تتبنّى لنفسها هذه المُنجزات بقيامها بحركة ترجمة واسعة واقتباس كبير. ونظراً لأنها حركة روحية جديدة، فقد اضْطُرَّت إلى عَرْض مُعتقداتها لخُصومها، وإلى أن تُدافع عن علّة وجودها. وكان عليها بوصفها طريقة جديدة في الحياة، أن تُصلح المُؤسسات الإدارية التي أوجدتها في مختلف الأقاليم. وفوق كلّ هذا، فبتقدّم الإسلام تهاوت الحواجز القديمة من اللُّغة والعادات، وتوافرت فُرصة نادرة لجميع الشعوب والمَدَنيات لتبدأ حياة

فكرية جديدة على أساس المساواة المُطلقة وبروح من المنافسة الحرة. وقد تمّت في القرن التاسع الميلادي الفترة التكوينية لهذه العمليات، وصار كُلّ فرع من فروع المعرفة في الإسلام تتحكّم فيه منذ ذلك الوقت قوانين وتقاليد المَدَنية الإسلامية المُستقلّة.

لم يحظَ علم التاريخ بالاعتراف التامّ كعلم مُستقلّ إلا في الأزمنة الحديثة جداً. وفي فترة نقل المعرفة الإغريقية تعرّف المُسلمون لأول مرة بالتصنيف المُنظّم في مُختلف فروع المعرفة[32]. وقد وُجد آنذاك أن التاريخ لم يدخل ضمن جدول العلوم المُثبتة، وكان سبب هذا الحذف واضحاً، وهو السبب نفسه الذي قرّر منزلة التاريخ في العصور الوسطى الغربية[33]. فالتصنيف الهِلّنستي للعلوم،

---

(32) انظر عن الإنسيكلوبيديين (الموسوعيين) المُسلمين عُموماً.
M. Plessner, *Die Geschichte der Wissenschaften im Islam*, 15 f. (Tübingen 1931, *Philosophie und Geschichte*, 31).

(33) J. Huizinga, *Sobre el estado actual de la ciencia histórica*, 12 f. (Madrid 1934).
وهو يقـول:
«إنّ عدداً كبيراً من العلوم مدينة في تطوّرها إلى الجامعة، غير أنّ هذا لا يُمكن أن ينطبق على التاريخ الذي لا يدين إلى الجامعة، في تطوّره، إلا بالقليل.
وفي العصور الوسطى السالفة، عندما تمَّ وضع نظام للتربية، كان هذا النظام يحوي على الفنون الحُرّة السبعة. وقد ساد هذا في العصور الوسطى، ولم يدخل التاريخ من ضمنه، بل حتى في كثير من مناهج العصور الحديثة لم يظهر التاريخ من بين هذه الفنون الحُرّة.
لقد حظيت أغلبية العلوم الحديثة بتطوّر مُستمر في الجامعات، لكن التاريخ لم يشمله هذا التطوّر.
إنّ أغلبية هذه العلوم تدين في نُموّها إلى عملية التخصص والتقسيم التي ترتكز عليها هذه الدراسات في مجاميع ثلاثة وهي: 1. اللاهوت؛ 2. القانون؛ 3. الطب.
ومثل هذه العلوم هي التي كان يُطلق عليها العلوم الثلاثية أو العلوم الرباعية.
غير أنّ التاريخ لم يتأثر بهذه العملية، فموضوعه ذُو صِلة مُباشرة بالبلاغة، كما أنه كان في بعض الأحيان مُتصلاً باللاهوت، وبالقانون. لكن هذه الأسباب الخاصة المُتّصلة بالتاريخ لا تكفي لجعله يُدرَّس بطريقة علمية في المدارس. فمُحتوياته ترجع بصورة رئيسة إلى أصل كلاسيكي وإنجيلي، إذ إنّ الهدف الرئيس للتاريخ كان وعظياً ويدعو إلى التأمّل في الأخلاق، ولم يكن مُطلقاً لغرض الانتقاد والبحث، ولم تُعِر الأُسلوب المدرسي والقِياس المنطقي والتاريخ العام، والتحويل الشكلي، وما يلحق بالبلاغة والشعر والمثل النافع، قبولاً أو سَعَة اطلاع.

الذي أخذه العرب لم يُعطِ للتاريخ مكاناً خاصّاً. لقد كانت للسياسة طبعاً مَنْزلةٌ خاصة في هذا التصنيف، أما التاريخ فلم يرتبط بها. كما أنّ فلاسفة العربية المُصطبغة بالهِلّنستية لم يذكروا التاريخ عند كلامهم على الشعر أو البلاغة[34].

لا نستطيع أن نجزم فيما إذا كان الكِنْدي قد أشار إلى التاريخ في كتابيه **كتاب في أقسام العلم الإنسي**، وكتاب **في ماهية العلم وأصنافه**[35]، لأن هذين الكتابين لا يزالان مفقودين، والراجح أنّ الكِنْدي لم يذكر التاريخ فيهما، وبذلك أدخل تقليداً ظلَّ مُتَّبعاً عِدّة قُرون[36]. كما أنّ كُلّاً من الفيلسوفين المُسلمين البارزين، الفارابي في كتابه **إحصاء العلوم** وابن سينا في كتابه **رسالة في أقسام العلوم العقلية** لم يُدْخِلا التاريخ في بحثهما الشامل للعلوم. ثم إنّ التاريخ لم يَحظَ بالتفات المُصنّفات المُتأخّرة التي وُجدت بتأثير ابن سينا، كالتي وُجدت في **جامع بيان العلم وفضله** لابن عبد البَرّ[37]، **والكِمَامة** لابن بَدْرُون، وهو كتاب تاريخي[38]، أما **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد** للأكفاني، وهو من رجال القرن الرابع عشر، ففيه قائمة مُقتضبة عن الكُتُب التاريخيَّة وكلمة مديح مألوفة عن

---

(34) انظر أيضاً: ص67؛ ويقول ابن خلدون: إن علمه «ليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية» (**المقدّمة**، ج1، ص62، باريس).

(35) **الفِهرِست**، ص358 (القاهرة 1348هـ، ص256 ط. فلوجل) **القِفْطي**، ص369، مولر - لبِرت. ابن أبي أُصَيْبِعة، ج1، ص209، ط. مولر.

(36) إنّ موقف أبي زيد البَلخي في كتابه عن **تقاسيم العلوم** غير حاسم. انظر عن موقفه: بروكلمان: **الملحق** ج1، ص408.
ولعلّه تابع أستاذه الكِنْدي، أو لعله سبق ابن فَرِيغُون الذي يُقال إنه تلميذ أبي زيد (انظر أدناه، ص61).

(37) ج2، ص36 فما بعد (القاهرة: بلا تاريخ) ليس في البلوي (ت 1164م) أية إشارة إلى تاريخ. انظر: بروكلمان، **الملحق**، ج10، ص914.
انظر أيضاً: **أنموذج** مخطوطة برنستون، رقم 1129A = H515.

(38) ص25 فما بعد (القاهرة 1340هـ). مُقتبس في القسم التاريخي من النُّويري: **نهاية الأرب** مخطوطة باريس: عربي 1573، ص89ب-90ب.
(أنجزت دار الكُتُب طبع الثمانية عشر جُزءاً الأُولى من كتاب **نهاية الأرب**) (القاهرة 1929-1944م)، ويبدأ القسم التاريخي من الجُزء الثالث عشر. [المترجم].

فوائد التاريخ[39]. ومع أنّ كثيراً من العلوم بُحثت بالتفصيل، إلا أنه لا يوجد فصل خاصّ بالتاريخ الذي صُنِّف، كالشعر، ضمن «ما ليس من العلوم»[40]. ومن الواضح أنّ الأكفاني في سِياق كتابه لم يتصوّر أن التاريخ علم مُستقلّ. أما مُعاصره الذَّهبي[41] الذي اشتهر بسبب إنتاجه التاريخي، فلا يذكر التاريخ في موسوعته الصغيرة **بيان زَغَل العلم** التي تتطرَّق إلى بحث العلوم، رَغْم أنه أكثر ما يُعالج فيه العلوم الدِّينية، فليس من العجيب إذن أن نرى ابن خلدون في مُقدّمته الشهيرة، لا يتكلّم على التاريخ عند تعداده العلوم. ومن الواضح أنّ سبب هذا الحذف ليس لأن التاريخ، وهو الموضوع الرئيس **للمُقدّمة**، قد عُولج في عِدّة مواضع من الكتاب. فابن خلدون عند كلامه على الفلك يُشير باقتضاب إلى «معرفة» الآثار التي تحدّث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان من الفلك والدُّول والمواليد البشرية والكوامن الحادثة[42]. غير أنّ كتابه العظيم لا يُدخل صنعة التاريخ من ضِمن المُنتجات العقلية المُستقلّة.

إنّ تصنيف العلوم وعَرْضها المُنظّم بشكل موسوعات لم يكن حِكْراً خاصاً بالفلاسفة، بل كان مشروعاً عملياً بارزاً، لذلك لم يكن بمقدورهم تجاهل وجود مُؤلّفات تاريخية واسعة جداً، وتجاهل التوسّع المُطّرد في الاهتمام بالمواضيع التاريخيَّة والفعاليات الأدبية والعلمية التي قام بها عدد من العرب خارج نِطاق التراث الهِلِّنستي. لذلك، فإن المُسلمين بعد أن أصبحوا مُطّلعين على التصنيف الفلسفي، سُرعان ما أبدعوا تمييزاً بين العلوم «العربية» والعلوم «الإغريقية». وقد

(39) **إرشاد القاصد**، ص15 (القاهرة 1318هـ/ 1900م) اقْتَبَسه السَّخاوي، **الإعلان**، ص30.

(40) المصدر السابق، ص14.

(41) ينبغي أن يكون اسمه في الحقيقة ابن الذَّهبي لأن أباه هو الذي كان صائغاً (يطْرُق الذهب؟) وأخذ اسمه من مِهنته على ما يذكر ابنه في مُعجمه، مخطوط القاهرة، مصطلح الحديث، رقم 65، ص13 (وقد كتبت النُسخة القاهرية من المُعجم سَنَة 745هـ/ 1344م في حياة المُؤلّف الذي اطّلع على النُسخة. وإني أُسمّيه ابن الذَّهبي، أما اسم الذَّهبي فسُرعان ما استُعمل بعد وفاته بأمد قصير، ولعله كان يُستعمل في حياته أيضاً. أما تلميذه محمد بن عبدالله الشبلي فيدعوه «الذَّهبي» في **محاسن الوسائل**. وينبغي أن تُدقّق المخطوطات التي كتبها الذَّهبي نفسه. انظر عن الذَّهبي:
O. Spies, *Beiträge zur arabischen Literaturgeschichte*, 112 (Leipzig 1932, AKM 19, 3).

(42) **المُقدّمة**، ج3، ص107 (باريس).

كانت الموضوعات التي تناولت المواضيع «العربية» و«الإغريقية» أكثر عدداً من الموسوعات التي بحثناها، والتي كانت تتجاهل تماماً العلوم «العربية» أو تَقْرَبُها على مَضَض.

ولا بدَّ أن يكون فِهْرِس أسماء الكُتُب، كفِهْرِست ابن النديم، ناقصاً إذا لم يكن فيه فصل عن المُؤلّفات التاريخيَّة، والواقع أنّ **الفِهْرِست** فيه فصل طويل عن المُؤرّخين والنسّابين وكتّاب التراجم... إلخ. وقد وضع هذا الفصل بين الفصل المعقود للنحو والفصل المُخصّص للشعر. وكان هذا في القرن العاشر، الذي لدينا منه أيضاً كتاب **مفاتيح العلوم** للخوارزمي الذي يُعالج التعابير المُغلقة في العلوم. وقد صُنِّفت هذه التعابير تبعاً لفُروع المعرفة التي تعود إليها. والقسم الثاني من كتاب الخوارزمي يبحث في علوم الأعاجم من اليونانيين وغيرهم من الأُمم التي كانت عُلومها تُعتبر من العلوم الدخيلة. أما القسم الأول من الكتاب، فكان يشمل «علوم الشريعة وما يقترن بها من العربية»، وفيه أبواب عن علوم المُسلمين في الفقه، والكلام، والنحو، وفنّ الخط، والشعر والعَروض. ثم يُخصص الباب الأخير «لأخبار» التاريخ. أما التعابير الفنية التاريخيَّة التي تناولها في هذا الباب عن التاريخ، فقد كانت كما يلي:

1 ـ مُلُوك الفُرس وألقابهم.

2 ـ الخُلفاء ومُلوك الإسلام وألقابهم.

3 ـ مُلُوك اليمن من الجاهلية وألقابهم.

4 ـ ذكر مَنْ مَلَكَ مَعَدّاً من ملوك اليمن.

5 ـ مُلُوك الروم واليونانيين.

6 ـ ألفاظ يَكْثر جريها في أخبار الفُرس.

7 ـ ألفاظ يَكْثر ذِكرها في الفُتُوح والمَغازي وأخبار عرب الإسلام.

8 ـ ألفاظ يَكْثر ذِكْرها في أخبار ملوك عرب الجاهلية.

9 ـ ألفاظ يَكْثر ذِكْرها في أخبار مُلوك الروم[43].

إنّ هذا الترتيب لا يَتْبع ترتيب أيّ كتاب تاريخ، رَغْم أنه يتَّفق تماماً مع المادة المُمكن وجودها في تواريخ العلم. وفي **رسائل** إخوان الصفا تصنيف للعلوم وُضع فيه التاريخ بمكان مُتأخّر يُشبه مكانه في كتاب الخوارزمي، إذ إنه وُضع مع «العلوم الرياضية» وهي «علم الآداب التي أضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا، وهي تسعة أنواع: أولها علم الكتابة والقراءة، ومنها علم اللغة والنحو، ومنها علم الحساب والمعاملات، ومنها علم الشِّعْر والعَروض، ومنها علم الزَّجْر والفأل وما يُشاكله، ومنها علم السِّحر والعزائم والكيمياء والحِيَل وما شَاكلها، ومنها علم الحِرَف والصنائع، ومنها علم البيع والشراء والتجارات والحَرْث والنَّسْل، ومنها علم السِّيَر والأخبار». وجدير بنا أن نُلاحظ أنّ إخوان الصفا اعتبروا «أنّ العلوم التي يَتعاطاها البشر ثلاثة أجناس، فمنها الرياضية، ومنها الشرعية الوضعية، ومنها الفلسفية الحقيقية»، وقد اعتبروا العلوم الفلسفية هي العلوم الحقيقية، فخصَّصُوا لها فصلاً طويلاً[44]. أما التاريخ، فقد اكتفى إخوان الصفا بالقول: إنّ الزُّهّاد والعُبّاد والمُذكِّرين للناس بأمر الآخرة وذكر المَعاد يحتاجون إلى أُمور منها «النَّظر إلى آثار القُرون الماضية والاعتبار بها والدُّور الخَرِبة والمنازل الدارسة العافية للأُمم الخالية، والنظر في كتب الحُكماء وأخبار سِيَر الملوك الماضية، والتفكير في الأمثال المضروبة على ألْسِنة الحُكماء ذَوِي التجربة في وصفهم الدنيا واعتبارهم تصاريف الزمان ونوائب الحدثان والتلقين بأمر المَعاد وشِدّة الاشتياق إلى نعيم الآخرة دار القرار...»[45].

وهُناك كتاب قيّم آخر يبدو أنه يرجع إلى مُنتصف القرن العاشر، وبذلك يحتمل أن يكون أقدم موسوعة «عربية ـ إغريقية» باقية، وعنوانه **جوامع العلوم**،

(43) **مفاتيح العلوم**، ص60-82 (القاهرة 1349هـ/ 1930م).

(44) **رسائل إخوان الصفا**، ج1، ص202 (القاهرة 1347هـ/ 1928م)، ج2، ص246، طبعة ديتريشي، وقد ترجمها ديتريشي.
Dieterici, in *Die Philosophie der Araber*, IV, 10 (Leipzig 1868).
انظر أيضاً أدناه: ص73 وص153 وما بعدها.

(45) المصدر السابق، ج1، ص253 فما بعد (القاهرة 1347هـ/ 1928م).

ومؤلّفه رجل اسمه ابن فَرِيغُون يُروى أنه من تلاميذ أبي زيد البَلْخي[46]. إنّ هذا الكتاب موسوعة شاملة بشكل جداول، وهو ترتيب جدير بالتقدير بالنسبة لمثل هذا الزمن المُبَكِّر، وقد كُتبت فيه المواضيع الرئيسة بحُرُوف كبيرة، ثم تأتي أسطر ناعمة صغيرة فيها تفسيرات تفصيلية مكتوبة بحُرُوف صغيرة عمودية. وأول ذكر للتاريخ في هذا الكتاب، هو إشارة إلى المعرفة التاريخيَّة التي ينبغي أن تكون للكاتب[47]. ثم يقول المُؤلّف في الفصل الثاني ما يلي عن التاريخ الذي يصنّفه مع علوم الحِكمة: إنّ «علم التأريخات» يستند على أحداث مشهورة كانت في أزمنة خالية أي لا تحدث إلا في دُهور مُتطاولة كطوفان مُخَرِّب أو زلزال مُدمِّر أو وباء وقُحوط متأصّلة لأُمم وأسماء الملوك مذكورون في الأقاليم بعددهم وأيامهم ومُدّة ملكهم وانتقال دولهم لا يُستغنى عنها.

---

(46) إن «فَرِيغُون» هو اسم فارسي شائع. انظر مثلاً ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج10، ص64 (حيدرآباد 1357-8هـ) بروكلمان، ج1، ص96.
E. De Zambaur, *Manuel de généologie et de chronologie*, 205 (Hannover 1927).
غير أنّ الاسم الصحيح للمُؤلّف غير مُؤكّد. وفي مخطوطة الإسكوريال وهي نُسخة من مخطوطة كتبت في سَنَة 393هـ/ 1003م يذكر الاسم شَعْيا وهكذا قرأه:
M. Casiri, *Bibliotheca Arabico - Hispana - Escurialensis*, I. 280 (Madrid 1760).
H.P.J. Renaud, *Les manuscripts arabes de l'Escurial*, II. 3, 82 f., No. 950 (Paris 1941).
لذلك يدّعي شتينشنايدر أنّ ابن فَرِيغُون يهودي.
M.Steinschneider, *Die arabische Literatur der Juden*, 120, Frankfurt a.M. 1902.
أما سوتر فمن الغريب أنه يُريد أن يعتبر أنّ مُؤلِّف **جوامع العلوم** هو العالم الأندلسي سعيد بن فَتْحُون.
H. Suter, Die *Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke*, 73, (Leipzig 1900, *Abh. zur Geschichte der mathem, Wiss.*, 10).
وفي دار الكُتُب المصرية بالقاهرة نُسختان مُصوّرتان من الكتاب، إحداها (معارف عامة 528) تاريخها ذو القعدة سَنَة 396هـ - أغسطس/آب 1006م، وقد تفضّل فون غرونباوم فمَكّنني من الاطّلاع على فيلم يمتلكه مُصوّر للنسخة 4، أما الأُخرى (معارف عامة 527) فقد اطّلعت عليها في القاهرة وهي شديدة الشبه بسابقتها في الظاهر. ويبدو أن النُسختين قديمتان وتُؤيدان تاريخ الكتاب. ولمّا كان كتاب أحمد زكي الذي ذكره بروكلمان: **الملحق** ج1، ص435 غير مُتوافر، فلا أعلم أين يوجد أصل المخطوطتين (الآستانة؟) انظر:
H. Ritter, in *Oriens*, III, 83 ff. (1930).

(47) مُصوّر القاهرة: معارف عامة 527، ص49. انظر أدناه: ص80 وما بعدها.

علم بدء الخلق وإعادته، وأحوال القُرون السالفة في أجسامهم وعُقولهم، إلا أنه يشوبه تزوير لبُعْد الزمان الآتي ما لا يشوب عنه وعجز المعني بِشِيَع (؟) الأخبار عن حفظها. ألم يأتِهم نبأ الذين من قبلهم، لا يعلمهم إلا الله لا يقبل منهم إلا ما نطق به كتاب أو خبر موثوق به.

أخبار مولد النبيِّ ﷺ ومبعثه ومغازيه وأحواله إلى وقت وفاته.

يستعمل في أبواب السياسة ومُحاربة الأعداء، معرفة سِيَر خلفاء قريش وفُتُوحهم وتدابيرهم، والفتن التي كانت بين المتنازعين على الرياسة من الخوارج ومن وقت انتقال الدولة الأُموية إلى الدولة العباسية لتكون غِيَر التصاريف والدُّهور، معرفة أيام العرب ووقائعها كوقائع عَبْس وذُبيان، بني بغيض وبكر وتغلب، بني وائل والأَوْس والخَزْرَج، بني قَيْلة، ومعرفة أنساب جماهير قبائلهم وعشائرهم توجد فيها ألفاظ وأشعار جَزْلة.

معرفة كتب فارس وسِيَرهم كعهد أَرْدَشِير بابَكان وخطب أَنُوشَرْوان وسيرة كارنامه يستعين به في باب السياسة والأُمور السلطانية والقيام بمظالم الرعايا.

معرفة عيون الأخبار أي مشاهيرها كالأحاديث المُدوّنة للمُلوك في أيّ وقت كانت وذكر أحوالهم وأفعالهم.

شُرفاء في النَّسَب، عُلماء، كُتّاب، فُصحاء، شُعراء، سُمَحاء، أسخياء، حُكماء، أَعفّاء، أوْفِياء[48]. ونظراً للطريقة التي اختارها المُؤلف في عرضه للبحث، فقد كان مُختصراً. ويبدو أنّ الإشارة إلى الدُّول المُتأخّرة وإلى مسائل علم الكلام وإلى المنزلة الصغيرة نسبياً التي خصّصها لتاريخ الرسول والعُلماء والمُدُن، كُلّ هذا كان من خصائص القرن العاشر.

أما القرن الحادي عشر، فكان يُمثّله العالم الأندلسي اللامع ابن حزم الذي

---

(48) مُصوّر القاهرة، معارف عامة، ص527، ص90.
«وقد حذفنا قِراءات مُختلفة لبعض كلمات النص ذكرها المُؤلّف في الهامش». [المترجم].

عالج التاريخ في كتابه الشامل **مراتب العلوم**[49]، وقد اتّبع فيه التاريخ الأساليب الفِقهية، وقد عَرَّفه ابن حزم بصراحة أنه يعود إلى علوم الفقه الإسلامي، وأنه مَقْرون بعلم اللغة العربية باعتباره علماً مُساعداً للفقه والكلام، فهو يقول العلوم القائمة اليوم سبعة أقسام عند كلّ أُمّة وفي كلّ مكان وزمان: علم الشريعة، وعلم أخبارها يعني المُتضمّن لفن التاريخ وعلم لُغاتها «وقد أشار ابن حزم إلى تاريخ مُختلف الأُمم كالمُسلمين وبني إسرائيل، والإغريق... إلخ». وهو يرى أنّ الموضوع الرئيس الذي بحثه التاريخ هو الدُّول التي حكمت كُلّ أُمّة، وإذا صدقنا ابن حزم فإن مُعظم المعلومات التاريخيَّة التي نُقلت إلينا مشكوك في صحتها، وأنّ الإسلام وحده يُمكن اعتباره معرفة مَوْثوقة.

أما النصف الثاني من القرن التالي، فيُمكننا أن نشير فيه إلى موسوعة فخر الدين الرازي التي عنوانها **حدائق الأنوار في حقائق الأسرار** وهو كتاب فارسي له ترجمة عربية باقية بعنوان **جامع العلوم**[50]، ومن الواضح أنّ الرَّازي شعر أنّ التاريخ خادم للدِّين وقد عَدَّه العلم الثالث عشر في الكتاب، وبحثه بعد بحث علم الحديث وعلم رجال الحديث. ثم أتبعه بمغازي الإسلام الأُولى، وهو دراسة تاريخية أُخرى ذات أهمية دينية. ثم عاد المُؤلِّف إلى بحث النحو وهكذا. لقد كان الرازي فيلسوفاً بالدرجة الأُولى، وهو ينظر إلى علم التاريخ من هذه الزاوية. وهو يرى أنّ علم التاريخ بعكس العلوم الأُخرى، لا يعرف مُعالجة مُشكلاته بصورة مُنظّمة تَتدرّج من القضايا البسيطة إلى القضايا الأشد تعقيداً،

---

(49) **رسائل ابن حزم**، ص71 وما تَبِعها، 78 وما يَتْبعها لإحسان عبّاس (القاهرة 1954م). وانظر المُلخّص المُقتضب الذي نشره بَلاثيوس.
M. Asin Palacios, «Un códice inexplorado del Cordobès Ibn Ḥazm», in, *Al-Andalus*, II, 49 and 52 (1934).
انظر أيضاً: السَّخاوي: **الإعلان**، ص47 وأدناه ص399.

(50) لقد استعملت مخطوطة أُكسفورد وهي بالأرقام التالية:
ms. Or. Fraser 183 (Ethe 1481) fols. 36 b-46 a.
ms. Or. Fraser 182 (Ethe 1482) fols. 27 a-34 a.
انظر أيضاً: الجُوَيْني: **تاريخ جَهان كشاي**، ج2، ص1 (ليدن ـ لندن من منشورات (E.J.W. Gibb Mem. Series, 16.

فعلم التاريخ لذلك لا يُميّز بين المعلومات الواضحة وغير الواضحة. أما طُرُق بحثه فبعضها مُعقّدة وبعضها مُبسَّطة، ولا يوجد تدرُّج في الانتقال بينها. ثم يستنتج الرازي أنه من الصعب مُلاحظة ترتيب منطقي في بحث التاريخ، لذلك فقد قسم بحثه إلى تسعة فُصول تبحث في الأخبار والحقائق، وتتكوّن فُصوله كما هو مُنتظر من:

1 ـ تاريخ مُلُوك العَجَم.

2 ـ بداية سيد المرسلين «الرسول».

3 ـ أَسامي الخُلفاء.

4 ـ وقائع عليّ بن أبي طالب.

5 ـ كيفية انتقال الخِلافة من المَرْوانيين إلى العباسيين، وهو موضوع خَصَّص له ابن فَرِيغُون أيضاً فصلاً خاصاً في **جوامع الكَلِم**.

أما الفصول الأربعة الباقية، فهي تبحث عن التاريخ الحديث القريب من زمن الرازي، وهذه الفصول هي:

6 ـ كيفية ابتداء مُلك السلطان محمود.

7 ـ كيفية ظهور دولة السلاجقة وأحوالها.

8 ـ أحوال السلاجقة.

9 ـ أحوال ملك البشر علاء الدنيا والدين، قُطب الإسلام والمُسلمين أبي المُظفّر تكش بن خوارزم شاه (الذي حكم بين سَنَة 589-596هـ/ 1193-1200م)، وهو الذي عاش الرَّازي في كَنَف بلاطه.

أما كتاب **سُلوك المالك في تدبير الممالك**، فهو موسوعة بشكل جداول أَلَّفها شخص اسمه ابن أبي الربيع، وذكر في مُقدّمتها أنها أُلِّفت في زمن الخليفة المُعتصم (في القرن التاسع)، وهذا خطأ واضح، والصَّحيح أنّ الخليفة هو المُستعصم آخر الخُلفاء العباسيين الذي قُتِل على إثر فتح المغول بغداد سَنَة

1258م[51]. يرى ابن أبي الربيع أنّ العلوم ثلاثة: الأعلى والأوسط والأسفل وأنّ التاريخ من العلم الأوسط. فأما العلم الأعلى فهو علم الإلّهيات، ويدخل في ضِمنه العلم بالكتاب بما فيه اختلاف القِراءات وأحوالها، وعلم المعاني والأحكام أي علم التأويل، وعلم التفسير، وكذلك العلم بالسُّنَّة أي علم الحديث. ويُدخل الفلاسفة في العلم الأعلى أبحاث ما وراء الطبيعة كما يُدخل بعضهم فيه الكِهانة والطَّلسمات والسِّحر وأمثالها. أما العلم الأسفل، فيشمل الطبيعيات والطب. «أما العلم الأوسط فهو علم الرياضيات» أي إنّ التاريخ لا يدخل فيه، لكنه يكمل عبارته فيقول: «وليقدم عليه تقديم اللسان إذ كان أول مُشتغل به ومُفتقر إليه وهو داخل في هذا القسم فنقول: إنّ علم اللسان ينقسم إلى مُفرد كاللُّغة والنحو، ومُركّب كالمنثور والمنظوم، فالمنثور كالخُطب وعلم الأخبار والرسائل، والمنظوم كالرَّجز والقصيد».

«وعلم الأخبار ينقسم إلى أخبار الأنبياء والأولياء وأخبار المُلوك وسياساتهم وذكر الأول والحوادث وأخبار الفُضلاء والحُكماء والكُرماء من سائر الناس وأضدادهم»[52].

ثم بعد مائة سَنَة، ظَهَر عالم فارسي آخر هو محمد بن محمود الآمُلي، وألّف في سَنَة 1340م موسوعة مُمِلّة عنوانها **نفائس الفُنون في عرائس العُيون**[53]

(51) انظر: بروكلمان. **الملحق**، ج1، ص372، ويرى هذا الكتاب أن **السُلوك** رُبّما أُلِّف في سَنَة 655هـ/ 1256م. انظر أيضاً مقال أسعد طلس في **مجلة المجمع العلمي** بدمشق مجلد 14، ص274 (1949م).

(52) **سلوك المالك**، ص46 فما بعد (القاهرة 1329هـ)، وهي طَبْعة تنقصها الجداول.
أما **الشجرة الإلّهية** للشَّهْرَزُوري التي كُتبت سَنَة 1282م، فلم تكن في المتناول. أما فِهْرِست مخطوطات برلين (أهلورت) (رقم 5063)، فلا يُشير فيما إذا كان في الكتاب قسم عن التاريخ أم لا.
أما القسم الخاص عن التاريخ في **نهاية الأرب** للنُّوَيْري فموجود بَدْءاً من المجلد الثالث عشر فما يليه في طبعة القاهرة. أما محتوياته، فقد أشارت إليها قائمة المحتويات لكُلّ الكتاب.

(53) ج1، ص99-271 (طهران 1315-17هـ)، وقد رَجعتُ أيضاً إلى مخطوطات هذا الكتاب في البودليان.

وبحث فيها التاريخ، وقد احتلَّ التاريخ في هذا الكتاب مركزاً بين العلوم الدِّينية والإسلامية، وبين العلوم الأدبية العربية، وهذا البحث موضوع القسم الأول من الكتاب. ومع هذا، فقد وُضع بين مجموعة من الموضوعات كالألغاز والنَّسَب، وقد صنّفها المُؤلّف ضمن عُلوم المُحادثات. وقد أطلق على التاريخ «علم التواريخ والسِّيَر». ويقول المُؤلّف: إن هذين في الواقع فرعان مُختلفان من المعرفة، وإنّ أحدهما يبحث في طُول العمر ودَوام أعمال الأنبياء والمُلوك والحُكّام والمِلَل، أما الثاني فيبحث في الظُّروف المُحيطة بكُلّ شخصية.

ومع هذا، فإن الآمُلي يُتابع العادة السائدة في مُعالجة الموضوعين تحت عُنوان التاريخ. وهو تبعاً للأساليب التي يَتْبعها المُؤرّخون يبدأ بكلمات قليلة عن فوائد التاريخ ومنافعه العملية، من حيث إنه يُعلّم الطابع الزائل للعظمة الدُّنيوية، وعدم ثبات الأملاك المادية، وأنه يُتيح للإنسان فُرصة تخليد اسمه وذكراه عند الناس. ثم يعرض الآمُلي في فصول خمسة مُلخَّصاً لتاريخ العالم، فيبحث في تاريخ الأنبياء من آدم حتى الرسول، ثم ملوك الفُرس، ثم مُلوك الهاتاي، ثم ملوك (أي أباطرة وبابوات) نَصارى أُوروبا، ثم الخُلفاء الراشدين، فالأُمويين، فالعباسيين، ثم الدُّول المُتأخّرة في المشرق الإسلامي، من الصَّفّاريين إلى أسرة جنكيزخان.

لقد وصلنا في عصر الآمُلي إلى بداية نُموّ غير مُنتظر، وهو ظهور التاريخ كعلم مُستقلّ يُعتبر جديراً بالبحث في كتب مُستقلّة. ولم يتخذ هذا التطوّر نُقطة بدايته من تاريخ العلوم الموسوعية، بل نشأ من الاهتمام التاريخي للعلوم الدِّينية الإسلامية التي كانت من حيث العُموم مسؤولة عن مُعظم التقدّم في فنّ البحث العلمي الإسلامي، ثم إنّ مُعظم عُلماء الدين كانوا دائماً يَعتبرون التاريخ مُساعداً لدراساتهم، لكنه دون موضوع دراساتهم قيمةً. لذلك، فإن ظُهور الرسائل المُخصّصة لعلم التاريخ لم يكن أمراً طبيعياً، بل كان يعتمد على ظُروف خاصة مَكَّنت من ظُهور مثل هذه الرسائل.

إنّ الدِّراسات في علم التاريخ التي قام بها كُلٌّ من الكافِيَجي الذي ألّف كتابه **المختصر في علم التاريخ** في القاهرة سَنَة 867هـ (1463م)، والمُؤلّف

المصري السَّخاوي الذي أنجز كتابه **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التاريخ** في مكة سَنَة 897هـ (1492م)، تُصبح الآن مفهومة كنتيجة للوضع المُلائم الذي تمتّعت به الدِّراسات التاريخيَّة في مصر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. لقد كانت مصر، كبقيّة أنحاء العالم الإسلامي آنذاك، تتمتّع باستقرار، وتُوفّر جواً يُمكن أن يَزدَهر فيه الإنتاج العلمي من حيث العُموم. فقد كان فيها عدد من المُؤسسات الوقفية التي تُوفّر للعُلماء وسائل العيش. كما ظهر آنذاك عدد قليل من عُلماء الدين الذين تميَّزوا بالدقّة والعُمق وبسَعَة الأُفق إذا أخذنا ظُروف عصرهم بنظر الاعتبار. لقد أدرك هؤلاء العُلماء أهمية الدِّراسات التاريخيَّة، كما فهموها، للدِّراسات الدينية والفِقْهية، وقد أصبح بعضهم، كابن حَجَر، مُؤرِّخِين بارزِين. ثم إنّ مصر كان فيها كالملك الأشرف بَرْسباي من الأُمراء الأقوياء والطَّموحين نِسبياً، ممن كانوا يُقَدِّرون عظمة الماضي ويعتبرون أنفسهم جديرين بالشُّهرة التاريخيَّة. فقبل بِضعة قُرون من هذه الفترة، لاحَظَ بحقّ مُؤرّخ مُسلم «حضرنا عند بعض الصُّدور فقال: هل بقي ببغداد مُؤرّخ بعد ابن الصَّابئ؟ فقال القوم: لا، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، يخلو هذا البلد العظيم من مُؤرّخ حَنْبلي، يعني ابن عَقِيل نفسه، هذا ممّا يجب حمد الله عليه، فإنه لما كان البلد مملوءاً بالأخيار وأهل المَناقب قَيَّض الله لها من يحكيها، فلما عَدِموا وبقي المُؤذي والذميم الفعل أَعْدَم المُؤرّخ وكان هذا ستْر عَوْرة»[54].

أما الآن، فقد أصبح المُؤرّخون يجدون الدوافع التي تدفعهم للعمل والتشجيع المادي لهم، وقد رَافق ذلك أيضاً وجود أُناس جمعوا بين صفات رجال الدولة البارزين، والنُّبوغ العلمي، وقد كان هذا من حُسن حظ الفكر الإسلامي، كما كان من حُسن حظ كُلّ فكر ظهرت فيه هذه الحالة.

فكتاب ابن خلدون، وهو قاضي الدَّولة ورجل الدَّولة، نُوقش كثيراً، وهُوجم أحياناً، وحَظي دائماً بتقدير عظيم، وفهم قليلاً ـ وبالاختصار ـ حقّق أهم وظائف الكتاب العلمي، وهو أن يلعب دوره كدافع مُثير. وقد استطاع

---

(54) ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج9، ص42 (حيدرآباد 1357-8هـ) وهو يقتبس من أبي الوفاء بن عَقِيل (بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص687).

العُلماء في مثل هذه الأحوال أن يتخصَّصوا في البحث التاريخي وأن يُفكّروا في النَّواحي النظرية من علم التاريخ. والظاهر أنّ المرحلة الأخيرة لم يُتَوَصَّل إليها إلا في أواخر الفترة التي نَدرسها، وأنّ أكابر مُؤرّخي بداية القرن الخامس عشر كالمَقْرِيزي لم يُخصّصوا دراسات خاصة للتاريخ.

لقد كان كلٌّ من الكافِيَجي والسَّخاوي عالمَ دين بالدرجة الأُولى[55]. غير أنّ التاريخ لم يكن عندهم خادماً للحديث، بل ندّاً له تقريباً[56]. وقد خدمت دراساتهم التاريخيَّة غَرَضاً هو الدفاع عن علم التاريخ المُزدهر، ضد الهجمات الكثيرة التي كان يشنّها رجال الدين، كما ثبّتا منزلته بين العلوم الدِّينية ـ ومن الطبيعي أن تَطْغَى أفكارهما الدِّينية على مُناقشاتهما.

فالكافِيَجي بصورة خاصة أضاف لواجبه الثقيل مقياساً من التفكير المُضطرب. لكن بالرَّغْم من ذلك، كانت كُتُبهما تعبيراً تاماً لما استهدفه علم التاريخ الإسلامي. وقد اعتَمَدا في التفاصيل على مُؤلّفات عُلماء الأجيال السابقة، غير أنّ التركيب كان عملهما الخاص. ومن الموضوعات التي عالجاها: أغراض التاريخ وتعريفه وغايته وفائدته وأصله وخصائصه وطُرُق بحث المُؤرّخ، ودرجة الاعتماد على الأخبار التاريخيَّة ومعاييره (الكافِيَجي)، ومُختلف مُنتجات التاريخ الإسلامي (السَّخاوي).

اقْتَبَس السَّخاوي كثيراً من النُّصوص من مُقدّمات الكُتُب التاريخيَّة، وهي تقريباً الأماكن الوحيدة التي يُعيِّن فيها المُؤرّخون أفكارهم العامة عن طبيعة عملهم، وهذه المُقتبسات تكون بمجموعها قِسماً يُوضح تفكير المُسلمين عن التاريخ. على أنّ هذه المُؤلّفات لا تنفذ قَطّ في مشاكل التاريخ، فالإدراك العظيم

---

(55) عن الفقرة التالية، انظر نصّ كتاب الكافِيَجي المذكور في القسم الثاني من كتابنا.

(56) انظر: السَّخاوي: **الإعلان**، ص45. وقد وجد بعض العُلماء كأبي شامة، أنّ من الضّروري الدفاع عن اشتغالهم بالتاريخ بالاستشهاد بالشافعي الذي قال عنه مُصْعَب الزُّبَيْري: «ما رأيت أحداً أعلم بأيام الناس من الشافعي. ويُروى عنه أنه أقام على تعلّم أيام الناس والأدب عشرين سَنَة، وقال: ما أردت بذلك إلا الاستعانة على الفقه». **الرَّوضتين**، ص5، طبعة باريس، 1898م (*Recueil des hist. des Croisades*, Hist. or., 4).

لما يعنيه التاريخ لا نجد آثاره إلا مُبعثرة هنا وهُناك، ومَهْما يكن من الأمر، فإن الكافِيَجي والسَّخاوي يُمثّلان من هذه الناحية موقف العلم الإسلامي. فالتاريخ كما يقول المسعُودي عند وصفه كتابه: «وكتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب بحث ونَظَر»[57]. وكثيراً ما كان مُؤلِّف كتاب التاريخ يُسمّي نفسه «جامعاً».

لقد وضَّحت الدراسة الآنفة بأن التاريخ لم يُشكّل قسماً من التربية العالية الإسلامية. والواقع أنه لم يصل إلى مركز الموضوع المدرسي سواء في المحيط الذي نَبَتت فيه العلوم الإغريقية، أو في النظام الرسمي للتربية الدِّينية الإسلامية الذي تَبَلور في القرن الحادي عشر. وعدم توافر الأدلّة يُثبت أنّ التاريخ الدُّنيوي لم يكن مُتمثّلاً في منهاج أية مدرسة في أيّ بلد كان من أرجاء الإسلام.

نعم إنّ سيرة الرسول كان تُدَرَّس فيها[58]، وكان علم الحديث يتطلّب معرفة سِيَر الرُّواة[59]. وبهذه المُناسبة فإن التواريخ المحلّية ذات الطابع الدِّيني أصبحت موضوعاً للتدريس[60]، وأخذ الطَّلبة يرحلون، حيثما استطاعوا، إلى

(57) **مُروج**، ج1، ص151 (ط. باريس)، ج1، ص46 (القاهرة 1346هـ). انظر أيضاً المسعودي: **التنبيه**، ص354، ط دي غويه، والطَّبَري، I، 56.

(58) مثلاً، **المغازي** للواقدي، انظر السمعاني: **الأنساب**، ص243 ب مادة (راغِني).

(59) لقد درس السمعاني مثلاً كتاب **معرفة الصحابة** لابن مَنْدَه، (**الأنساب**، ص60ب) ويوصي ابن جماعة بمعرفة تواريخ علوم الحديث كفرع من العُلوم (**التذكرة**، ص126، حيدرآباد 1354هـ).

(60) لقد درس السمعاني **تاريخ مكة** للأزرقي، وكذلك **تاريخ** يعقوب بن سُفْيان. انظر: **الأنساب**، ص54أ، 148أ، 195ب.

ويروي ياقوت «أنّ الخطيب (البغدادي) لما حجَّ سأل الله عزَّ وجلَّ ثلاث حاجات... فالحاجة الأُولى أن يُحدِّث بتاريخ بغداد، والثانية أن يُملي الحديث بجامع المنصور. فلما عاد إلى بغداد حدّث بالتاريخ بها... (ثُمّ قابل الخليفة القائم فقال له)... حاجتي أن يُؤذن لي أن أُملي بجامع المنصور، فتقدّم الخليفة إلى نقيب النُّقباء بأن يُؤذن له في ذلك» (ياقوت، **إرشاد**، ج1، ص246 فما بعد، مارغليوت، ج4، ص16 فما بعد (القاهرة). وهذا النصّ يذكر أنه درَّس الحديث بجامع المنصور، و**تاريخ بغداد** في بغداد وواضح من هذا النصّ أنه لم يُدرِّس **تاريخ بغداد** في الجامع فلا مُبرّر لافتراض تدريسه في الجامع كما يذكر كتاب:

Handwörterbuch des Islam 389 a s.v. Madrasa (Leiden 1941).

أما النُّصوص الأُخرى عن هذه النُّقطة، فأقل وُضوحاً.

مُؤلّفيها لكي يأخذوا منهم المعلومات مُباشرة وفي أماكن وجودهم[61] ـ وهكذا كان يتوافر دائماً بعض التعليم المدرسي في الموضوعات التاريخيَّة، تشهد على ذلك الهوامش التي تُكتب أو الإجازات التي تُدَوَّن في آخر المخطوطات التاريخيَّة. وعلى كُلٍّ، فإن المرء قد يأمل أن يجد إشارات كثيرة إلى مُحاضرات تاريخية في السِّيَر العلمية التي لا تُحصى والمعروفة لدينا. إلا أنّ الواقع غير ذلك، فهنالك قليل من الإشارات إلى التاريخ والمُؤرّخين، كالتراجم التي دُوِّنت في **تاريخ بغداد**. صحيح أنّ **تاريخ بغداد** يتّجه اتجاهاً دينياً، وهذا يُفسّر سبب نُدرة ذكر الكُتُب التاريخيَّة عدا ما يُهمّ عُلماء الحديث مُباشرة[62]، غير أنّ سكوتها عمّا يتعلّق بالفعاليات التاريخيَّة يُثبت أنّ نظام التربية الرسمي الذي كان مُطبّقاً آنذاك لم يهتمّ كثيراً بتلك الفَعاليات.

إنّ بعض من اشتُهر بأنه مُؤرّخ، كالذَّهبي، عندما يُعدِّد أساتذته نادراً ما يُشير إلى ما ألَّفه هؤلاء الأساتذة من كُتُب التاريخ، أو إلى اهتمامهم بالتاريخ.

وقد ذكر السَّخاوي عن مُعاصره ابن عمّار، من أهل القرن التاسع أنه «استقر مُعيداً بجامع ابن طُولُون بل مُدرِّساً للفقه بالسّلمية بمصر عِوَضاً عن ابن مَكِين وقُبّة الصالح إسماعيل داخل البِيمارِستان عِوَضاً عن ابن خلدون وعَمِل لكلٍّ منهما إجلاساً حافلاً»[63]. وَوَرَد في السّياق أيضاً أنه دَرَس جُزءاً من مُقدّمة ابن خلدون على مُؤلِّفها. وقد ذكر السَّخاوي في **الضَّوء اللامع** الإنتاج العلمي لعدد كبير من العُلماء، غير أنّ قليلاً جداً من العُلماء الذين كانوا يَدْرُسون التاريخ، فقد ذكر أن ابن حَجَر قال في مُعجمه: «اجتمعتُ به مِراراً وسمعت عن فوائده ومن تصانيفه خُصوصاً في التاريخ»[64]، كما ذكر عن الكِناني أنه «أخذ التاريخ ونحوه

---

(61) حول الإشارة إلى **تاريخ نيسابور** للحاكم، انظر **تاريخ بغداد**، ج5، ص474، **والأنساب** للسَّمْعاني، ص99ب؛ أما الإشارة إلى **تاريخ المدينة** للمَطَري، فانظر الترجمة التي كتبها تقي الدِّين الفاسي لنفسه في **العِقْد الثمين** (انظر أدناه: ص211، هامش 117).

(62) حول القائمة الطويلة من الكُتب التاريخيَّة التي دَرَسها الخطيب، انظر: يوسف العش، **الخطيب البغدادي**، ص107-12، دمشق 1364هـ/ 1945م.

(63) **الضَّوء**، ج8، ص233.

(64) **الضَّوء**، ج4، ص148.

عن المَقْريزي»[65]. لكن إشاراته إلى دراسة الكُتب التاريخيَّة، حتى التي تُهمّ رجال الدِّين فهي قليلة جداً منها ما ذكره عن أحمد بن إبراهيم القليون أنه «سمع في سَنَة 804هـ بقراءة شيخنا على سارة بنت التّقيّ السُّبْكي الجُزءَ الرابع من تاريخ أبي زَرْعة الدمشقي وحدَّث به، سمعه منه بعض الطَّلبة ولم تَطُبْ نفسي بالسماع منه لكنه أجاز، ثم وجدتُ له سماع جُزء فيه الحديث المُسَلسل بالأولية من رِواية الجمال بن الشرعي عليه»[66]. ثم إنّ السَّخاوي نفسه لا يذكر في الترجمة التي كتبها لنفسه، أنه درس كتب التاريخ. غير أننا نسمع عن مُؤرّخين شهيرين آنذاك أنهم كانوا مُعلّمين أيضاً، ومن المُحتمل أنهم أيضاً بحُكم منصبهم، حاضروا فيما كتبوه من تاريخ. ويُخبرنا السّيوطي أنه سُئل في إحدى حلقات تدريسه في جامع أحمد بن طُولُون عن الوجود التاريخي لقَراقُوش[67]. غير أنّ هذا السؤال رُبّما جاء مُصادفة ولم يكن موضوع مُحاضرة. وكانت المعرفة بالتاريخ تُذْكَر أحياناً عند ذِكْر العُلماء الذين عدَّدهم **الضَّوء اللامع**. غير أنّ هذا الذِّكر كان يرِدُ عند الكلام على أَدَبِهِمْ. بل إنّ الحالتين اللّتين ذُكرت فيهما دراسة العُلماء للتاريخ كانت مُقترنة بدِراسة الفقه، فالإشارة إلى التاريخ لها علاقة وصِلة بالتربية العامة لذلك العالم[68]. وربما كانت للرافعي، والد مُؤلّف كتاب **تاريخ قزوين**، وهو رجل ذُو ثقافة عامة وفقيه كبير، له معرفة طيبة

(65) **الضَّوء**، ج1، ص205.

(66) انظر مثلاً: **الضَّوء**، ج1، ص196.

(67) انظـر:

P. Casanova, 'Ḳarâḳouch', in *Mèm. publiées par les membres de la mission archéol. Française du Caire*, 472 (Paris, 1897).

أما عن مُحاضرات الكافِيَجي في التاريخ، فانظر أدناه قسم 2، ص287 وما يليها.

(68) يقول السَّخاوي عند كلامه على تَمُرْبُغا إنه «كان يستحضر كثيراً من المسائل الفقهية مع مُشاركة حسنة في فُنون كالتاريخ والشعر» **الضَّوء**، ج3، ص41.

ويقول عند كلامه على أبي بكر القَسْطلاني: «... ويُشارك في قليل من الفقه ويدرس التاريخ، اجتمعتُ به مراراً قاله شيخنا في **إنبائه** وقال في **مُعجمه** كان حسن المُذاكرة كثير الاستحضار للتواريخ استفدتُ منه كثيراً... وذكره الفاسي والمَقْريزي في **عُقوده**، وقال لقيته بمَكّة وكان حسن المُذاكرة كثير الاستحضار للتاريخ». (**الضَّوء**، ج11، ص66).

بـ «الأمثال والأشعار والتواريخ والحِكايات»، غير أنها كانت تُعتبر أضعف إنجازاته[69]. إنّ مثل هذه المعرفة بالتاريخ نَتَجت عن دور التاريخ كجُزء من الثقافة العامة للرجل، وسنتحدّث عنها فيما بعد بتفصيل أوسع.

لم تُصبح الدِّراسات التاريخيَّة ضمن صِنف التربية العالية، غير أنّ الكُتُب التاريخيَّة كان يَقرأها ويَتدارسها بانتظام العُلماء المُهتمّون بها. فلما توفي المُفَسِّر ابن أبي الطيب (ت سَنَة 458هـ/ 1065م) «لم يُوجد في خِزانة كُتُبه إلا أربع مُجلّدات: أحدهما فقهي، وآخر أدبي، ومُجلّدان في التاريخ»[70]. والحق أن هذه مجموعة غريبة، إذ حتى مُؤلّف كتاب فلسفي مُنظَّم قد يكشف أحياناً أنه درس كتب التاريخ[71]. أما في الأزمنة المُتأخّرة، فلدينا دليل واضح على كُتُب التاريخ التي قرأها أحد طُلّاب العلم أثناء دراسته، وهنا الدليل مُهمّ على الرَّغْم من أنّ هذا الطالب أصبح من المَعْنيين بالتاريخ فيما بعد. لقد وَرَدت أسماء عدّة كُتُب تاريخية في **المُعجم المُفهرس** لقائمة الكُتُب التي دَرَسها ابن حَجَر. فالفصل الثالث من **المُعجم المُفهرس**، يبحث في مُختلف فُروع الحديث، كُتب تراجم وتواريخ محلّية، لكن فيه أيضاً إشارة إلى تاريخ الطَّبَري[72]، وإلى **كتاب النَّسَب** للزُّبَيْر بن بكّار، وكتابَي **اللُّباب في الأنساب**، و**الكامل في التاريخ** لابن الأثير[73]. كما أنّ القسم الخامس من الفصل السادس، فيه كُتُب تاريخ عامة دَرّسها ابن حَجَر ككتاب **الكامل** لابن الأثير، و**مرآة الزمان** لسِبْط ابن الجَوزي وكُتب الذَّهبي، وفيه أيضاً كُتب سِيَرٍ ككِتاب **التَّكملة في وَفَيات النَّقَلة** للمُنْذِري. غير أنه لا بدَّ من القول إنّ التاريخ عند ابن حَجَر وُضِع مُختلطاً مع العلوم العقلية، ودُرس مع

(69) انظر: الرافعي، **القول الفصل في فضل أبي الفضل**، وهي ترجمة لوالده ضَمَّنها في كتابه **تاريخ قزوين** مصوّر، القاهرة، تاريخ، 2648، ص94.

(70) ياقوت: **إرشاد**، ج13، ص274 (القاهرة، ج5، ص232، مارغليوت).

(71) هبة الله البغدادي: **المُعْتَبَر**، ج2، ص223 (حيدرآباد 1357هـ)، وهو يقتبس من تاريخ الجَهْشِياري خبراً عن كوكب عظيم ظهر في أيام المُوفَّق بالله.

(72) **المُعجم المُفهرس**، مخطوط القاهرة، مُصطلح الحديث 82 (كتب في سَنَة 854هـ/ 1450م)، ص140.

(73) المصدر أعلاه، ص162. أما عن الخطيب البغدادي، فانظر أعلاه: ص39، هامش 62.

النحو والشعر. وهذا يجعل من المشكوك فيه أن يكون ابن حَجَر قد اعتبر الكُتُب التاريخيَّة جُزءاً من دِراساته العالية، أو جُزءاً من قِراءاته بوصفه رجلاً ذا ثقافة عامة، أو أنها جُزء من تتبّعاته الفكرية في أيام صِباه.

والواقع أنّ المكانة الحقيقية للتاريخ في التربية الإسلامية كانت دائماً في التربية الابتدائية، فقد كان التاريخ موضوعاً عَرَضياً للتعليم في المدارس. وكان دائماً، بشكل من الأشكال، مادة القراءة المُفضّلة عند الأولاد، وعُنصراً مُهمّاً في تكوينهم الفكري.

يُشير إخوان الصفا إلى حقيقة أنّ الصّبيّ ينبغي أن يُتقن القراءة والكتابة في المكتب «ليُحصّل العلم في نفسه محفوظاً من القرآن والأخبار (التاريخ) والأشعار والنحو واللُّغة وما شاكلها ممّا يحفظ الصبيان في المكتب»[74]. أما الكُتُب المُنتظمة عن التعليم الابتدائي فكلّها تقريباً ساكتة عن موضوع التاريخ. فالقابسي الذي عاش في القرن العاشر وألّف كِتاباً يُمثّل وجهة النظر المالكية يُشير إلى ابن حبيب: «لا بأس بإجارة المُعلِّم على تعليم الشعر والنحو والرسائل وأيام العرب وما أشبه ذلك من علم الرجال وذوي المُروءات، لا بأس بالإجارة على ذلك كله»[75]، وهذا تاريخ منظور إليه بسياق مع كُتُب الأدب، وفيه صفة دينية خفيفة. وفي الأزمنة المُتأخّرة، ذكر طاشْكُبْري زاده إلى أنّ الطفل بعد أن يشبّ «يُرسَل إلى المكتب ويُعَلَّم القرآن والحديث وأخبار الصالحين لينغرس في قلبه حُبّهم»[76]، أي إنّ أخبار الصالحين هي المواضيع التاريخيَّة الوحيدة التي قد

---

(74) **رسائل إخوان الصفا**، ج3، ص60 (القاهرة 1347هـ/ 1928م) أمّا أنَّ الأخبار في هذا المضمار لا تُشير إلى الأحاديث، فيُمكن أيضاً أن تعرف مثلاً من ترجمة هِبة الله بن ماكُولا في ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج8، ص103 حوادث سَنَة 430 (حيدرآباد 1357-8هـ) حيث يقول: «كان حافظاً للقرآن عارفاً بالشعر والأخبار».

(75) أحمد فؤاد الأهواني **التعليم في رأي القابسي**، ص278 (القاهرة 1364هـ/ 1945م). انظر: تعليق الناشر، ص156 فما بعد.

(76) طاشْكُبْري زاده. **مفتاح السعادة**، ج3، ص280 (حيدرآباد 1328-56هـ). وقد أشار ابن أبي الربيع عند كلامه عمّا يجب أن ينشأ عليه الصبيّ من حُسن التأديب «ونفسانياً بالسطر في أمور الشريعة وتعليم العلوم والآداب وإمداد الرأي بمشورة العُلماء وتصفّح الكُتُب والسِّيَر». ولعلّه يقصد سِيَر الصالحين (**سلوك المالك**، ص60، القاهرة، 1329هـ).

تُعلَّم للأطفال؛ وأن نُدرة الإشارات إلى تعليم التاريخ في كُتُب التعليم الابتدائي تظهر أنه لم يكن يُدرَّس بكثرة؛ لقد كان تدريسه مُباحاً، ولا ينتظر أكثر من ذلك، فقد اقتصرت الحاجات التربوية العامة على القِراءة والكتابة وحفظ القرآن، ولم يستطع غير العُظماء والأغنياء استئجار مُعلّمين لتعليم أطفالهم المواضيع الأُخرى[77]. لذلك، كانت المعرفة التاريخيَّة تحصل عادة بالقِراءة الخاصة، أو من أفواه قُصّاص الحكايات.

إنّ نظرة عابرة إلى الدَّوْر المُهمّ التي لعبته كُتُب التاريخ في التكوين الفكري للأولاد[78]، نجدها في الترجمة التي كتبها عن نفسه العالم اليهودي السَّمَوْأل بن يحيى المغربي الذي عاش في القرن الثاني عشر، وأَسْلم في آخر حياته حيث يقول:

«ولما كنتُ بين العاشرة والثامنة عشرة جذبتني أخبار التاريخ وحِكاياته، واشتدّت رغبتي في قراءة ما حدث في الأزمنة الغابرة وفي معرفة ما تمَّ في العصور الخالية، فقرأت مُختلف مجموعات القِصَص والحِكايات، ثُمّ انتقلت منها إلى الحكايات الطويلة المُسلّية، ثُمّ إلى القِصَص الطويلة كقِصّة عنتر[79]، وذُو الهِمّة والبطّال وقِصّة إسكندر ذو القَرْنين، والعنقاء، وطرف بن لوذان وغيرها، وبعد أن قرأتُ هذه الكُتُب تبيَّن لي أنّ مُعظم ما فيها مأخوذ من كُتُب المُؤرّخين، فبدأت أبحث عن أخبار التاريخ الصحيحة وأهتمّ بها، فقرأت كتاب أبي عليّ بن مِسْكويه الذي سمّاه

(77) انظر: الإشارة إلى مُربّي الأُمراء، ص70-71 فما بعد.

(78) لقد كان المُسلمون يعرفون أهمّية التعليم التاريخي في التربية الإغريقية من تراجم مُقتطفات من ثيمسطيوس عن الصداقة. انظر: مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، ص51 (القاهرة 1322هـ)، انظر أيضاً:
F. Rosenthal, in *Islamic Culture*, XIV, 403 f. (1940).

(79) كان بإمكان الطالب الناشىء في أيام السَّمَوْأل أن يحصل على قُوته من نَسْخ قِصّة عنترة، وكان أبو المُؤيَّد محمد بن المُجلى الصائغ الجَزَري «كان في أول أمره يكتب أحاديث عنترة العبسي فصار مشهوراً بنسبته أي صار يُسمّى «العنتري» (ابن أبي أُصَيْبعة، ج1، ص290، ط. مولر). ويُمكن أن نُضيف هنا أن صالح بن عليّ بن بُحْتُر، وهو من أُمراء القرن الثالث عشر «ذكروا عنه أنه في مُدّة سِجنه بمصر كتب سيرة عنتر بخطّه». انظر: صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ط لويس شيخو، الطبعة الثانية، ص81 (بيروت 1927م).

تجارب الأُمم، كما قرأت **تاريخ** الطَّبَري وكُتُب التاريخ الأُخرى، فتعرّفت منها على أخبار الرسول وغَزَواته والمُعجزات التي كَرَّمه الله بها»(80). لقد كان السَّمَوْأل شديد الإعجاب بالنجاح الباهر للرسول وانهيار الجيوش الفارسية والرومية العظيمة، ومهارة أبي بكر وعُمَر وعَدالتهما. فإذا كانت سِجّلات الماضي لها مثل هذا التأثير على يهودي لا عِلاقة له بذلك الماضي، فكم يكون أثر المُؤلّفات التاريخيَّة أقوى على الشباب المُسلم. إننا نجد بوضوح الأهمّية الكبرى لعلم التاريخ في الإسلام إذ ساعدت على شدّة التمسُّك بالتراث الديني والثقافي للإسلام، وعلى قوة الحماسة في حياة الفَرْد في فترة من العُمر تكون فيه المُؤثّرات الفكرية الأُخرى أقلّ أثراً».

لقد كَوَّنت القِصَص والأشعار وأخبار التاريخ جُزءاً من المعلومات التي قد يَنقلها الآباء إلى أبنائهم. فالمُؤرّخ ابن النجّار (ت 643هـ ـ 1245م) ربّاه أخوه، لأن أباه تُوفّي عندما كان في السابعة من العُمر. وقد وصف بكلمات مُؤثّرة كيف ربّاه أخوه وحمله على أكتافه لِيُريه الأماكن المُقدّسة والاحتفالات عندما ذهب مع أُمّه إلى مكة وهو في التاسعة من العُمر(81).

لقد كان لتعليم التاريخ مكانة خاصة في تربية أولاد الأُمراء، وكان كُلّ رَجل طَموح يوصي بـ «تعلُّم التاريخ وتَدارُس السيرة وتجارب الأُمم»(82)، كما أنّ دراسة التاريخ كانت خير وسيلة لتعليم الحِكمة السياسية لمن يُؤمل أن يكونوا

---

(80) انظر:
M. Schreiner: in *Monatsschrift für Geschichte und Wissenschaft des Judentums* XLII, 127 and 417 f. (1898).
لقد اعتَمَد المُعتنقون للإسلام كثيراً على مُناقشات التاريخ لإثبات تفوّق الإسلام، انظر: **كتاب الدين والدولة** لعليّ بن رَبَّن الطَّبَري (القرن التاسع) ص52، 54، فما بعد، طبعة مِنْغانا (مانشستر 1923م). ولتقدير المُؤلّف العظيم للتأريخ، يُمكن أن يُقارن المرء قوله: «لقد لاحظتُ أيضاً أنّ جميع الكُتب ذات القِيمة الدائمة، لا تُهمل مُعالجة الأُمور الأدبية والتربوية وأخبار أهلها أو الدِّين» (المصدر السابق، ص45). انظر أيضاً:
G.E. von Grunebaum, *Medieval Islam*, 98, Chicago 1946).
وقد تُرجم الكتاب إلى العربية.

(81) ابن النَّجار، **ذيل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، عربية 2131، ص36ب.

(82) إلياس النَّصِيبي: **ماسيم**، رقم 123 شُباث (القاهرة 1936م).

حُكّاماً في المستقبل، ويروي «ابن العَدِيم»: قرأتُ بخطّ الحُسين بن كوجك العبسي الحلبي في كتاب **سيرة المُعتضد بالله** تأليف سِنان بن ثابت بن قُرّة كَتَب بها إلى أبي الحسين محمد بن عبد الرحمن الرَّوْذَباري الكاتب، قال ثابت بن سِنان في أول الجُزء السادس منها: «لما انتهيتُ إلى هذا الموضع أمرني أمير المؤمنين أن أُميّز معه وبحضرته ما في الخزائن القديمة للسلطان من الدفاتر والآلات النُّجومية وغيرها ممّا يجري مجراها، فما كان يصلح للأميرين أبي جعفر وأبي الفضل (وقد أصبح هذا خليفة وتكنّى بالمُقتدرِ) أيّدهما الله بعزيمته لهما على ما رسمه لي فيما يرغب في اختياري إياه ممّا يُشاكل سنّهما من كُتُب الفقه وكُتُب اللغة وكُتُب السِّيَر القديمة والقريبة العهد وأخبار المُلوك وأيام الناس وأخبار الدولة العباسية وأشباه ذلك. قال فكان فيما أُخرج إلينا صناديق كثيرة فيها كُتُب أحمد بن الطيب التي كان المُعتضد قبضها لمّا نَكَبه، وكنتُ بها عارفاً وقد مَيَّزتها للمُعتضد في ذلك العصر وعملتُ لها فهرستاً، فمرّ فيها كتاب بخطّ أحمد ابن الطيب بأخبار سَيْر المُعتضد بالله من مدينة السلام إلى وقعة الطواحين وأخبار انصرافه عنها، فتتبّعته نفسي تتبّعاً شديداً لصِحّته وأنه أصل لرجل مُحصّل وبخطّه، وكان وقوع هذا الكتاب في يده قبل وقوعه في يدي، فبدأني بما كان في نفسي فرمى به إليَّ لأتأمّله ثم قال لي: احسب هذا ممّا سبيله أن تقتصّه في الكتاب الذي عملته لمحمد بن عبد الرحمن الرَّوْذَباري، فقلت: بل النَّسخة فيه حرفاً حرفاً. فقال: افعل ثم أردّه، فنسخه ثابت من خط أحمد بن الطيب كما قال...»[83].

وممّا يجدر مُلاحظته أنّ أبا الفضل كان عُمره أقل من سبع سنين، أما أبو جعفر فكان أكبر قليلاً. وفي الجيل التالي قام الصُّولي بتربية وَلَدَي المُقتدِر: هارون وأخيه أحمد الذي تولّى الخلافة فيما بعد وتَسَمَّى الراضي. وقد اكتشف الصُّولي عند تعيينه مُعلّماً لهما قلّة معرفتهما، لذلك اشترى لهما كُتُباً عن الفقه

(83) من **تاريخ المُعتضد** لسِنان، كما اقْتَبَسها ابن العديم في **بُغية الطَّلَب**، مُصوّرة القاهرة، تاريخ، 1566، ج1، ص137 انظر:
Rosenthal in *JAOS*, LXXI, 139 (1951).

والشعر واللُّغة والأخبار، وقد كَوَّن كلٌّ من هذين الأميرين لنفسه مكتبة، وقد دَرَسا على الصُّولي الشعر والتاريخ، ويبدو أنهما شُغِفا بهذين الموضوعين إلى درجة وجد الصُّولي من الضّروري الانتقال إلى الأحاديث النبويَّة، وعيّن لتدريسهما هذا الموضوع عالماً آخر، ولعلّه فعل ذلك لتهدئة عُلماء الدِّين. وقد رَوى الصُّولي ذلك بقوله: «وقد يعلم الله تعالى أنّ الراضي بالله في حال إمارته وأخاه هارون لمّا أمر نصر الحاجب أن يتقدّم إليّ بخدمتهما وأن يجعل عليّ نوبة لهما يومين في كُلّ أسبوع ففعل ذلك. دخلت إليهما فرأيتهما ذكيين فَطِنَيْن عاقلين إلا أنهما خاليان من العلوم، فعاتبت ابن غالب مُؤدّبهما على ذلك، وكان الراضي أذكاهما وأحرصهما على الأدب، فحبّبتُ العلم إليهما واشتريتُ لهما من كُتُب الفقه والشعر واللغة والأخبار قطعة حسنة، فتنافسا في ذلك وعمل كُلّ واحد منهما خزانة لكُتُبه وقرأ عليّ الأخبار والأشعار، فقلت: إنّ الحديث أَوْلى بكما وأنفع لكما من هذه، وهو أَوْلَى أن يُبتدأ به، وجئتُهما بأعلى من بقي من الزمان إسناداً، وهو أبو القاسم ابن بنت منيع، واختلف إليهما مجالس ونسخت لهما عُلوّ حديثه ومشايخه مثل عليّ بن الجعد وابن عائشة وأبي نصر التمار وجميع عُلوّه ومختار حديثه، واحتجنا إلى أن نبرّه بدنانير، فوجه إليَّ من جِهة والدتهما والله ما عندنا دنانير لهذا المُحدِّث ولا بنا حاجة إلى مجيئه، فعرَّفتُ نصراً الحاجب ذلك، فقال: «خُذْ له من مالي كُلّ شيء يُريده، فأوصلت إليه في مُدّة شهرين أربعمائة دينار»[84].

لم يكن دور التاريخ في تربية الأُمراء أمراً عفوياً، بل كان وثيق الصِّلة بالتقاليد الشرقية التي تحثّ على التاريخ كمصدر رئيس للإلهام السياسي للملوك والحكّام. وقد ظلَّ هذا التقليد حيّاً في الإسلام «إنّ عُلوم المُلوك هي النَّسَب والأخبار ومُلخّصات الفقه»[85]. «وقديماً قيل: إنّ علم النَّسَب والأخبار من علوم

---

(84) الصُّولي: **أخبار الراضي لله والمتقي بالله**، ص25، طبع دن Dunne (لندن ـ القاهرة 1935م). انظر أيضاً: ابن خلدون: **المقدّمة**، ج3، ص266 (ط باريس)، وهو يذكر أنّ الرشيد أمر الأمين أن يتعلّم الأخبار (انظر أعلاه: ص71، هامش 67).

(85) ابن حَمْدُون: **التَّذكرة**، قسم 3، مخطوطة البودليان، رقم Or. Marsh 316 (Uri 379) .fol. 80 b

الملوك وذوي الأخطار، ولا تسمُو إليه إلا النُّفوس الشريفة، ولا يَأباه إلا العقول السخيفة»[86]، بل إنّ تاريخاً منظوماً في القرن السابع عشر جعل علم التاريخ من بين شُروط الخلافة:

أن يكون كاتباً، وعارفاً بسِيَر الماضين من المُلوك والخُلفاء والأُمراء والوُزراء[87]، غير أنّ بعض المُؤلّفين يُدركون أحياناً أنه ليست كُلّ الأُمم تعلم أنّ التاريخ علم المُلوك، فابن الطِّقْطَقى يذكر أنّ معرفة التاريخ من المواضيع التي كان يُقدّرها مُلوك الفُرْس والعرب، غير أنه لا يذكر شيئاً عن التاريخ عند المغول[88].

وشبيه بما جاءت به التوراة عن أحشويرش في ليلة جَفاه فيها النوم، فقد وُصِف برنامج الحياة اليومية للخليفة معاوية كالآتي: «... ثم يدخل فينام ثُلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيُحضّر الدفاتر فيها سِيَر الملوك وأخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غِلمان له مُرتَّبون، وقد وُكِّلوا بحفظها وقراءتها، فتمرّ بسمعه كُلّ ليلة جُمَل من الأخبار والسِّيَر والآثار وأنواع السياسات، ثُمّ يخرج فيُصلّي الصُّبح ثُمّ يعود فيفعل ما وصفنا في كُلّ ليلة»[89]. ويصعب أن يكون

---

(86) ياقوت: **إرشاد**، ج1، ص92 (القاهرة، ج1، ص27 فما بعد مارغليوت) وهو يتابع الباخَرْزِي (؟) انظر أيضاً: بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص204 وهو يذكر ما نقله عن الجاحظ، السيوطي: **المُزهر**، ج1، ص357 (القاهرة 1325هـ). البَيْهَقي، **تاريخ بَيْهَق** ص15، 17 (طهران 1317هـ).

(87) العُمري: **الذخيرة**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 104، ص11أ (ولم يتوفّر لي الرجوع إلى النص العربي). [المترجم].

(88) **الفخري**، 22 أهلورت (غوتا 1860)، غير أنّ شپولر مُصِيب في تأكيده على الاهتمام بالتاريخ عند الحُكّام المغول.
B. Spuler, *Die Mongolen in Iran*, 439 (Leipzig 1939).

(89) المسعودي: **مروج**، ج5، ص77 فما بعد، طبعة باريس، ج2، ص72 طبعة القاهرة، 1346هـ. «وقال معاوية: ليس ينبغي للقُرَشي وللرّجل أن يَستغرق شيئاً من العلم إلا علم الأخبار، فأما غير ذلك فالنُّتَف والشُّذَر» ياقوت: **إرشاد**، ج1، ص96 (القاهرة، ج1، ص29 فما بعد، طبعة مارغليوت)، **الفِهرِست**، ص32 (القاهرة 1348هـ، ص89، طبعة فلوجل).
ويذكر ياقوت أنّ عَبِيد بن شريَّة وفَدَ على مُعاوية بن أبي سفيان فسأله عن الأخبار المُتقدّمة ومُلوك العرب والعَجَم وسبب تَبَلْبُل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد، =

لهذه القصّة أساس تاريخي، غير أنها كالقصّة التي تذكر أنّ الأصمعي كان يُؤنس هارون الرشيد بأخبار التاريخ[90]، تعكس إلى حدٍّ ما الوضع الحقيقي.

وقد رُوِيَ أنّ مكتبة الفاطميين في مصر كانت تضمّ ألفي ألف مجلد، منها ألف ومائتان وعشرون نُسخة من تاريخ الطَّبَري[91]. ولعلّ في هذه الأرقام مُبالغة كبيرة، ولكنّها تُبيِّن الاهتمام الذي يُؤمل من الحُكّام في كتب التاريخ. وقد نُسب إلى بعض صِغار الأُمراء في العصور المُتأخّرة أنه «كان عارفاً بالأخبار والسِّيَر»[92]، كما ألّف آخرون بأنفسهم كُتُب تاريخ[93]. ويروي السَّخاوي أن المُؤرّخ العَيْني كان «يقرأ عند الأشرف بَرْسباي وغيره التاريخ ونحوه بحيث يقول الأشرف ما معناه أنه ما عَرف الإسلام إلا منه»[94].

وقد أظهر جان بودان الفرنسي Jean Bodin في القرن السادس عشر، تقديره العظيم لجعل التاريخ من عُلوم المُلوك في الإسلام حيث يقول: «لا يوجد مَثَل أحدث وأشهر من مَثَل (السلطان) سليم أمير الأتراك، فقد كان أجداده يجتنبون التاريخ دائماً على أساس أنه كَذِب، أما هو فقد تُرجمت إلى لغته أعمال القيصر،

= وكان استحضره من صنعاء اليمن، فأجابه بما أمر به معاوية أن يُدوّن على ياقوت: **إرشاد**، ج12، ص78. انظر أيضاً: طبعة **أخبار اليمن** لعُبَيْد بن شريَّة في كتاب **التيجان** المنسوب لابن هشام، ص311-488 (حيدرآباد 1347هـ) ياقوت: **إرشاد**، ج2، ص78. ويذكر ياقوت (ج1، ص96) عن اهتمام عبد الملك بن مروان بالبحث عن شخص من صِفاته معرفة أشعار العرب وأخبارها «كتب عبد الملك إلى الحَجّاج انظر لي رجلاً عالماً بالحلال والحرام، عارفاً بأشعار العرب وأخبارها أستأنس به وأُصيبُ عنده معرفة».

(90) انظر أدناه: ص89.

(91) ابن أبي طَيّ: اقْتَبَسه ابن كثير: **البداية**، ج12، ص266، حوادث سَنَة 567.

(92) انظر العماد الأصفهاني في البُنْداري: **نُصرة الفَتْرَة**، ص142 (القاهرة 1318هـ/ 1900م) فيما يتعلّق بالسلطان محمود السلجوقي (ت525هـ/ 1131م).
ابن أبي زَرْع 53، ترجمة 73، تورنبرغ (أُبسالا 1843-46م) فيما يتعلّق بأبي عياش أحمد بن القاسم كَنُّون الإدريسي (ت343هـ/ 954-55م). انظر أيضاً: ابن أبي زَرْع 200، ترجمة 261.

(93) انظر أدناه، ص86.

(94) السَّخاوي: **الإعلان**، ص43.

واستطاع بتقليده ذلك القائد أن يضمّ مُعظم آسيا الصغرى وإفريقية إلى مُلك أسلافه»[95].

من هذا، يتبيَّن أنّ معرفة التاريخ بدأت تَنساب من أعلى طبقات المُجتمع إلى كافة طبقات المُوظّفين والعُلماء ومن كانوا يُريدون أن يكونوا مُثَقَّفين. لقد أصبحت معرفة التاريخ سِمَة الثقافة العامة، وظلّت كذلك حتى العصور الحديثة. وقد استطاع بعض الوُزراء أن يكتبوا كُتُباً عن ذِكرياتهم الشخصية للأحداث التاريخيَّة التي أسهموا فيها[96]، وكان بعض هؤلاء الوزراء قليلي المعرفة بالعلم كالفضل بن مروان بن ماسَرْجِيس وزير المأمون والمُعتصم. ثم إنّ رجلاً مُثقّفاً كالوزير بن سَعْدان لا بدَّ وأن يكون قد قرأ كتاب **التاجي**، وهو كتاب تاريخ لمُعاصره الصابي، واستطاع عند مُناقشته للتوحيدي أن يُشير إلى أنه لم يجد فيه تقريراً عن اجتماع مع عِزّ الدولة بحث فيه السُّبُل لصدّ الخطر البيزنطي[97]. لكنّنا نسمع أيضاً أميراً لا يودّ أن يكون له وزير قد درس كُتُب التاريخ لأنها قد تُعلّمه استغلال رعيّته لمصلحته، وأن يستغني عن خدمات الوزير، فيقول ابن الطِّقطَقى: «على أنّ الوُزراء كانوا قديماً يكرهون أنّ المُلوك يقفون على شيء من السِّيَر والتواريخ خوفاً من أن يتفطَّن المُلوك إلى أشياء لا يُحبّ الوُزراء أن يتفطَّن إليها المُلوك».

طلب المُكتفي من وزيره كُتُباً يلهو بها ويقطع بمُطالعتها زمانه، فتقدّم الوزير إلى النُّواب بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة، فحصّلوا شيئاً من كُتُب التاريخ وفيها شيء ممّا جرى في الأيام السالفة من وقائع المُلوك وأخبار الوُزراء ومعرفة التحيّل في استخراج الأموال، فلما رآه الوزير قال لنُوَّابه، والله إنكم أشد الناس عَدَاوة لي، أنا قلتُ لكم حصّلوا له كُتُباً يلهو بها ويشتغل بها عني وعن غيري، فقد حصّلتم له ما يُعرّفه خراب البلاد من عمارتها. ردُّوها

(95) *Method for the Easy Comprehension of History*, 13 Reynolds (New York 1945).

(96) **الفِهرِست**، ص184 (القاهرة 1348هـ، 127، فلوجل). الصَّفدي: **الوافي**، مخطوطة البودليان رقم:
Or. Seld. Arch. A 28 (Uri 677) fol. 140 a-b.

(97) التوحيدي: **الإمتاع**، ج3، ص159 (القاهرة 1939-44م).

وحصّلوا له كُتُباً فيها حكايات تلهيه وأشعاراً تطربه»[98].

لقد كان الكاتب يحتاج إلى معرفة دقيقة خاصة بالماضي، «ويحتاج أن يكون عالِماً بتواريخ الأُمم الثلاث (الفُرس والرُّوم والمُسلمين) ومدخل سِنيّهم وشهورهم بالتقويم، ويحتاج إلى قِراءة كُتُب فارس وسِيَرهم وآدابهم ككتاب **كليلة ودمنة وعهد أَرْدَشِير ورسائل أَنُوشَرْوان**، ويحتاج إلى معرفة سِيَر الخُلفاء، وتتابع كُلّ ملك منهم لإنشاء الكُتب»[99]، كُلّ هذا يجعل الكاتب كاملاً. وكانت رسائله ووثائقه تعلو قدراً إذا ضمّنت نَماذج من المجموعات الكبيرة للغرائب التاريخيَّة[100]. لقد كان من مصلحته الاطّلاع على تاريخ الوُزراء[101].

من الواضح أنه كان على النديم أن يتحدّث بأيّ موضوع تاريخي كان[102]، فإذا كان السُّلطان يُشبه الخليفة المنصور الذي كان «مَعْنيّاً بالأسمار

(98) ابن الطِّقْطَقى: **الفخري**، ص5 فما بعد (طبع أهلورت غوتا، 1860م).

(99) انظر: **جوامع العلوم**. مُصوّر القاهرة: معارف عامة 527، ص49. انظر أيضاً: (الكتاب *fürstenspiegel*) للقرن الثاني عشر، **إيضاح المسالك وتدبير الدُّول والممالك**، مخطوط البودليان برقم Or Sale 74 ص30أ؛ وانظر الرسالة المشهورة لعبد الحميد في ابن خلدون: **المُقدّمة**، ج2، ص26 (طبعة باريس)؛ التوحيدي نقل عنه ابن حِجّة: **ثمرة**، ج1، ص411 (القاهرة 1287هـ) في هامش **مُحاضرات الراغب**.

(100) القَلْقَشندي: **صبح الأعشى**، ج1، ص66-411 (القاهرة 1331-1338هـ/ 1912-1919م) وانظر: عن المعلومات التاريخيَّة الأُخرى التي يحتاجها الكاتب، المصدر السابق، ج3، ص254 فما بعد.

(101) الغزالي: **الأدب في الدين**، ج2 (القاهرة 1322هـ، في هامش كتاب **تهذيب الأخلاق** لابن مسكويه. انظر أيضاً: العسكري، **الصناعتين**، ص351 (القاهرة 1320هـ).

(102) «ينبغي أن يكون نديم السلطان... عالِماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم...» «ومن حق الملك أن لا يُعاد الحديث عليه مرتين...». وكان أبو العباس السَّفّاح يقول: ما رأيت رجلاً أغزر عِلْماً من أبي بكر الهُذَلي، لم يُعِد عليّ حديثاً قط، وكان أبو بكر الهُذَلي يقول: حدّثت المنصور بأكثر من عشرة آلاف حديث، فقال لي ليلة ـ وقد حدّثته عن يوم ذي قار وقد اضطررتُ للتكرار ـ أتُعيد الحديث؟ فقلت: ما هذا ممّا مرَّ يا أمير المؤمنين، فقال: أما تذكر ليلة الرعد والأمطار وأنت تُحدّث بحديث يوم ذي قار؟ فقلت له: ما يوم ذي قار بأصعب من هذه الليلة. انظر: **نهاية الأرب** للنويري، ج6، ص146، 149 (القاهرة 1345هـ-1926م).

والأخبار وأيام العرب، يُدني أهلها ويُجيزهم عليها»[103]، فلا بدَّ لمن يتّصل بالبلاط أن يهتمّ بإجادة هذه الموضوعات. ولم تذكر تذكرة مُلوك كُتبت سَنَة 9 ـ 708هـ (1309م) التاريخ ضِمن العلوم الجديرة برعاية المُلوك، ولكنّها كانت بحاجة إلى معرفة التاريخ والسِّيَر لنديم واحد على الأقل[104]. وقد فرح موظف لم يُذكر اسمه من رجال القرن الخامس عشر بكتاب **التِّبْر المسبوك** للسَّخاوي فرحاً عظيماً حتى إنه كان يحمله معه حيثما ذهب[105].

وكان الجُنْدي يُنصح بدراسة غَزَوات الإسلام الأُولى والسِّيَر[106]، والعالم المُطّلع على التاريخ والأدب قد يشغل أحياناً مكاناً في الجيش[107]. وقد استطاع القائد التركي بَجْكَم، وهو رجل لم تكن له ثقافة عميقة، أن يذكر مُقتبسات من **تاريخ الطَّبَري**، كيما يُدافع عن إحدى القِراءات في الشعر، وقد ذكر الصُّولي بلُطف أن الطَّبَري وإن كان مرجعاً كبيراً في بعض الموضوعات، فهو ليس كذلك في قضايا اللغة[108].

لقد وُجِد دائماً من بين العُلماء المُتمرّسين في مُختلف فُروع المعرفة، من

---

(103) ابن الفقيه: **كتاب البلدان**، ص1 فما بعد (طبع دي غويه، ليدن 1885م من سِلْسِلَة المكتبة الجُغرافية العربية، مجلد 5). وتُوجد مجموعة من القِصَص التاريخيَّة ترجع إلى القرن الثاني عشر عنوانها **رأس مال النديم**، انظر: بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص586، والطبعة الجديدة ج1، ص420.

(104) الحسن بن عبدالله بن العباس: **آثار الأُوَل في ترتيب الدُّوَل** (مخطوطة باريس عربي 5980، ص67أ) (لا تتوافر من الكتاب نُسخة مطبوعة، انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص202). ينبغي أن يهتمّ المُلوك بعلم الأوقات والأزمان. المصدر السابق، ص24أ.

(105) السَّخاوي: **الإعلان**، ص43 فما بعد. أما الكُتُب Vademecums التاريخيَّة المكتوبة لأصحاب السلطان، فلم تكن غير شائعة. انظر مثلاً عن تاريخ ما قبل الإسلام: **مُختصر سِيَر الأوائل** الذي ألّفه محمد بن عليّ بن بركات الحموي للإصْفَهْسَلار سيف الدين عليّ ابن عز الدين حسن (مخطوطة باريس العربية، 1507، ص2ب).

(106) ابن حَمْدُون. السابق الذكر.

(107) ابن حَجَر. **الدُّرر**، ج1، ص289 فهو يذكر عن أبي غانم بن كمال الدين بن العديم أنه «ولي نيابة شيزر مُدّة لأنه كان بزي الجُنْد مع معرفة بالتاريخ والأدب».

(108) الصُّولي: **أخبار الراضي والمتقي**، ص39 «... فقال إن الطَّبَري يقول هذا في كتاب تاريخه، فقلت له الطَّبَري ليس في الغريب مثله في غيره».

كانوا يتظاهرون باحتقار التاريخ باعتبارهم رجالاً راشدين، غير أنّ كثيراً منهم كانوا يتمنَّون أن يُضاف إلى لقب العالم الذي يحملونه لقب أديب، ويعني هذا اللقب امتلاك معرفة تاريخية مُسْعفة في المُناسبات الاجتماعية[109]. وقد تزايد عدد أمثال هؤلاء على مَرّ الأيام.

فقد كان **تاريخ ابن الأثير** و**وَفَيات الأعيان** لابن خَلِّكان وكُتُب الطبقات، يدرسها في مكة إبّان القرن التاسع عشر من أراد الاشتهار بالتحدُّث[110]. فإذا كان التاريخ من حيث العُموم لم يُعتبر عِلماً قط، أو أنه وُضع في الأماكن الدُّنيا من مراتب العلوم، فإنه قد استعاض عن ذلك بالسيطرة التي تمتَّع بها في أذهان الناشئة وذَوي النُّفوذ السياسي وفي الثقافة العامة. وكان بمقدور المُؤرّخين المُسلمين أن يثقوا بقِيمة عملهم، والواقع أنهم وثقوا بذلك.

4 ـ المُؤرّخ المُسلم

إنّ التاريخ من حيث العُموم ونظراً لمَكانته في التربية الإسلامية، لم يكن علماً يُمكن أن يجني منه صاحبه الرزق والقُوت. فالمُؤرّخون المُحترفون كانوا نادرين، وقد سَدَّ مُعظم المُؤرّخين حاجاتهم المادية من اللُّغة والأنساب والمناصب الحكومية ومُختلف فُروع العلوم الدِّينية. فالبَلاذُري كان نديماً للمُتوكّل، وهو منصب في البلاط شغله عدد كبير من المُؤرّخين الدُّنيويين في العصر الذَّهبي العباسي، حيث أصبح مُؤرّخ البلاط مُؤسسة ثابتة سواء أكان المُؤرّخ قد بدأ من نفسه بتأليف التاريخ كما فعل الصُّولي، أم أنه كَتَبَ كُتُبه بناءً على أوامر أو إشارات رسمية، كما فعل سِنان بن ثابت[111].

---

(109) انظر مثلاً أعلاه: ص71، ويُمكن أن نُضيف هنا أن دراسة كُتُب التاريخ ربما كانت تحظى بالجوائز السنيّة على حُسن أُسلوبها؛ وهذه هي خِبرة السَّمَوْأل (انظر أعلاه ص74 هامش 79).

(110) انظر: C.H. Snouck Hurgronje, *Mekka*, II, 216 ff. (Haag 1889).
وتظهر ممّا يقوله هورغرونيه الاهتمام العظيم المُدهش في التاريخ في مكة في القرن الماضي (التاسع عشر).

(111) انظر أدناه: ص143.

وكان لبعضهم كالطَّبَري أهمّية وشُهرة في حياته كعالِم في الدِّين أكثر ممّا كانت له كمُؤرّخ. وقد شَغَل كلٌّ من الصَّابئ ومِسْكَوَيْه والصَّفَدي مناصب حكومية. وأصبح تأليف الكُتُب التاريخيَّة من واجب الشخصيات السياسية الكُبرى بحيث يصعب أن تعرف ما إذا كان رجل مثل الوزير الجُوَيْني، ألَّف في القرن الثالث عشر كتابه العظيم عن التاريخ، إشباعاً لهِوايته في التأليف أو ألَّفه كجُزء من أعماله الرسمية. والمعلومات الباطنية لمُوظّف حكومي كبير كانت، كما هي اليوم، تزيد من قيمة المُؤلِّف[112]. ومَثَل آخر على المناصب المُنوّعة التي قد يشغلها المُؤرّخون هو ابن خلدون الذي كان قاضياً ورجل دولة. أما الذَّهبي وابن حَجَر، فكانا من عُلماء الدِّين.

وأكثر من هذا، إننا لا نجد بين هذا العدد الهائل من المُؤلّفين المُسلمين إلا عدداً قليلاً من المُؤلّفين الذين كان إنتاجهم كُلّه أو مُعظمه مُقتصراً على ميدان التاريخ. وهُناك بعض الشواذّ كالمَسْعودي مثلاً، الذي لم يُعْرَف عنه أنه أوقف نفسه لغير الدِّراسات التاريخيَّة بالمعنى الذي فُهم فيه التاريخ، أو أنه حصل على رزقه من الاشتغال بوظائف الحكومة. وبعد نصف قرن من الزمن، نجد المُؤرّخ المصري ابن زُولاق الذي أدّى به اقتصار عمله على التاريخ إلى أن يُطبّق على نفسه البيت التالي:

ما زال يلهجُ بالأموات يكتبُها   حتى غَدا وهو في الأموات مكتوبا[113]

ومن الصَّعب أن نَرْسم خطّاً واضحاً يفصل بين المُؤرّخين الذين أوقفوا كُلّ وقتهم لدراسة التاريخ، وبين من كانت لهم حِرْفة أُخرى بجانب التاريخ، إذ إنّ

---

(112) انظر القِفْطي: ص110 (طبعة مولر - لبرت)، عن كُتُب هلال الصّابي التاريخيَّة. انظر أعلاه: ص73.

(113) انظر ياقوت: **إرشاد**، ج7، ص226 (القاهرة، ج3، ص7، طبعة مارغليوت). انظر أيضاً: السَّخاوي: **الإعلان**، ص168، والشعر هو من مرثية ابن دُرَيْد للطَّبَري (انظر ابن الأبّار: **تحفة القادم**، في: **المشرق**، مجلد 41، ص366، سَنَة 1947م غير أنها محذوفة من **تاريخ بغداد**، ج2، ص167 فما بعد.
ويروي ياقوت من أعلاه هذا الشعر:
ما زلتَ تكتُب في التاريخ مُجتهداً   حتى رأيتُك في التاريخ مكتوبا

مثل هذا الخط لم يكن موجوداً في الواقع، أو لعلّه كان موجوداً في بعض الحالات بسبب معلوماتنا الناقِصة. لقد خصّص ابن الأثير، مُؤلِّف **الكامل**، مُعظم حياته للتاريخ والسِّيَر، وكان خبيراً في تراجم صحابة الرسول، وهو عِلْم ديني مُهمّ، كما كان عالِماً من عُلماء الدِّين، وكان مُحاضراً ناجحاً، وكان أميره يسنده ويدعمه[114].

فإذا تركنا بعض المُؤرّخين العراقيين أمثال ابن الساعي (انظر أدناه)، فإننا قد نشير ثانية بهذه المناسبة إلى ظهور نوع من المُؤرّخين المُحترفين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر في مصر (وإن كانوا والحقّ يُقال يكسبون رزقهم عادة باعتبار أنهم من عُلماء الفقه والدِّين). ويُمكننا أن نذكر اسم المَقْرِيزي كأبرز مثل لهذا الصِّنف.

ويُعتبر المُؤرِّخ الهاوي (ولا نُدخل في هذا الصِّنف، الذين لم يكتبوا غير مُذكّراتهم الشخصية) أُنمُوذَجاً طريفاً آخر لم يكن نادر الوجود في الإسلام. ولَمّا كانت المعرفة التاريخيَّة من الأدلّة على تربية الفرد، فلا بدَّ أن يتشوّق الهاوي المُثّقف إلى مُحاولة كتابة التاريخ. ولا رَيْبَ أنّ المُحيط الذي يتطلّب أُسلوباً رفيعاً في كتابة أيّ نوع من المُؤلَّفات، لا يكثُر فيه من يرى أنه مُؤهل للكتابة في موضوع تاريخي، فلم يكن هُناك خط واضح يفصل بين المُؤرّخين المُحترفين والمُؤرّخين الهُواة. فأبو الفِداء، الأمير والعالم، رَعَى الدراسات التاريخيَّة خلال حياة مليئة بالفَعاليات السياسية والعسكرية[115]، ولا يختلف كتابه عن كتاب أيّ عالِم بالتاريخ. أما أُمراء اليمن، كالملك الأفضل العباس بن عليّ (ت 778هـ ـ كانون الثاني 1377م)[116]، والملك الأشرف إسماعيل بن العباس (ت 804هـ ـ

(114) انظر مُقدّمة كتابه **تاريخ أتابكة المَوْصِل** المنشور في:
Recueil des historiens des Croisades, Historiens orientaux II, 21, 6 f. (Paris 1876).

(115) كتب الملك المنصور الحَمَوي أيضاً تاريخاً. انظر ابن العماد: **شذرات**، حوادث سَنَة 617.

(116) انظر ابن المُجاوِر: **تاريخ ثغر عدن** الذي طبعه لوفغرين، ج2، ص107.
O. Löfgren, *Arabische Texte zur Kenntnis der Stadt Aden in Mittelatter*, II, 20 (Uppsala 1936, *Arbeten Utgivna med understöd av Vilhelm Ekmans Universitets-fond* 42, 2, 1).

1401 ـ 2م) فبالنَّظر للعدد الكبير من مُؤلَّفاتهم، يُمكن أن يُعتبروا من صِنْف المُؤرّخين المُحترفين أكثر من كونهم مُؤرّخين هُواة، ومن الصّعب أن نَعتَبِر الملك الأشرف عالِماً، لأنه ذكر بصَراحة أنه استخدم ما يُدعى في السنين الحديثة مُساعدين في البحث أو «أشباح المُؤلّفين»، ويُقال: «إنه كان يضع وضعاً ويأمر من يتمّ على ذلك الوضع، ثم يعرضه عليه فما ارتضاه أثبته، وما لا يرتضيه حذفه وما وجده ناقصاً أتمّه»[117].

والمُؤرّخ الهاوي الصحيح بين الأُمراء هو جَيّاش بن نَجاح اليَماني (ت 449هـ أو 450هـ ـ 1105 أو 1107م) الذي ألَّف كتاباً عن تاريخ مدينته زَبِيد، وقد ألَّف هذا الكتاب نظراً لشَغفه بالأنساب التي ذُكرت في المادة التي استعملها[118]. وقد اهتمّ أبو هاشم يوسف بن محمد الظاهر (ت 656هـ/ 1258م) وهو أمير عباسي، بكتب ابن الساعي، وألَّف لنفسه تاريخاً يبحث في أحداث حكم أخيه المُسْتَنْصِر[119].

ألَّف ابن الطِّقطَقى كتابه **الفخري** لمُوظّف كبير، وهو تاريخ لرئيس العَلَويين، ويُمكن اعتباره إنتاج هواية، وقد نظر ابن الطِّقطَقى في كتابته إلى تاريخ الخُلفاء بشيء من التجرُّد المُزدوج بقدر ما يتعلّق بتقاليد التاريخ. لقد كان عَلَوياً، وكانت الخِلافة قد أصبحت في ذِمّة الماضي، ولكنّها لم تكن قد نُسِيَتْ بعد، لذلك نجح في تقديم آرائه في السياسة وفي تقديم مجموعته الطريفة من القِصَص عن كُلّ خليفة ووُزرائه، وإعطائها طابعاً من الواقعية التاريخيَّة، وهذا يَنطبق على الأقل على بعض نُصوص كتابه[120].

---

(117) ابن المُجاوِر، المصدر السابق، ج2، ص20. وقد ذكر السَّخاوي أن «بَيْبَرس المنصوري الدّوادار له تاريخ في خمس وعشرين مُجلّدة بالمُؤيّدية وبعضه في الكُتُب الفهدية سمّاه **زُبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، انفرد الصَّفدي بقوله: أعانه عليه كاتب له نصراني يُقال له ابن كبر، مع ترجمة لغير واحد له بفضل وخير وتَهَجُّد وتلاوة وغيرها ممّا يمنع اعتماده إياه». (**الإعلان**، ص150).

(118) ابن المُجاوِر: المصدر السابق، ج2، ص107.

(119) الصَّفدي: **الوافي**. مخطوطة البودليان. Or. Seld. Arch. A 29, fol. 128 b.

(120) انظر بروكلمان. **الملحق**، ج2، ص201 فما بعد، منذ أن قدّم و.أهلورت كتاب =

وقد أُتيحت فُرص قليلة لبقاء بعض كِتابات مُؤرّخين هُواة ذات مستوى أقلّ، ولو بقاء رسمياً، إذ نادراً ما طُبعت هذه الكُتُب، أي نُسخت في عدد من النُّسَخ التي قد تُتيح لها النَّجاة من عَوادي الزمن والإنسان. ولعلّ هذا هو السبب الذي كان فيه النَّموذج الوحيد الباقي من هذا النوع هو كتاب **تاريخ بيروت وأسرة بني بُحْتُر** الذي لم يقتصر على تاريخ أُسرة، وقد كَتَبه أحد أفراد بني بُحْتُر في النصف الأول من القرن الخامس عشر، وقد اعْتَبَر المُؤلّف أنّ استعمال هذا العمل وفائدته مُقتصران على الأُسرة وأحفادها فحَسْب، فكان مِلكاً للأُسرة لا يطّلع عليه الخارجيون[121].

إنّ مَزْج تاريخ الأُسرة بالتاريخ المحلّي أوجد نوعاً من الكتابة التاريخيَّة الفردية تختلف في بعض النَّواحي اختلافاً كبيراً عن كُتُب التاريخ الشائعة والجيدة لدرجة أن المرء يأسف لقلّة بقاء أمثال هذا النوع.

أما مكانة المُؤرّخين الاجتماعية والاقتصادية، فلعلّها كانت من حيث العُموم أحسن من مكانة كثير من العُلماء الآخرين. ومن الطبيعي أنّ العُلماء كان لهم بعض الحق في تشكّيهم من أنهم يَحْظَوْن من مُعظم الناس بالمُعاملة اللائقة بهم، وقد وصف أحد شُعراء القرن السادس عشر رِقّة حالهم حيث قال:

قلتُ للفقر أين أنت مُقِيمٌ ... قال لي في محابر العُلماءِ

إنّ بيني وبينهم لَإخاءً ... وعزيز عليّ قطع الإخاء[122]

غير أنّ في هذه القاعدة كثيراً من الشواذّ بين عُلماء مُختلف العصور، ويبدو أنّ المُؤرّخين بصورة خاصة كانوا في وضع طيّب. فقد سمعنا أنّ مُعظمهم كانوا

= الفخري للعالم الغربي بكلمات فيها مُبالغة من المديح، أصبح هذا الكتاب مُفضّلاً للناشرين والمُترجمين. وكانت آخر طبعة قام بها عواد إبراهيم وعليّ الجارم في القاهرة 1945م، كما نشرت ترجمة إنكليزية له قام بها:
C.E.J. Whitting (London 1947).

(121) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص7، طبع شيخو (الطبعة الثانية، بيروت 1927م).

(122) المُزجَّد (ت930هـ/ كانون الثاني 1524م) في ابن العَيْدروس: **النور السافر**، ص140 (بغداد 1353هـ/ 1934م).

مُحالفين لكِبار المُوظّفين المُترفين ولعُلماء الدِّين. لكن يجدر أن نُؤكّد أنّ مُؤرّخاً قد يجني ثِماراً طيّبة من أعماله الأدبية، وقد رُويت عن ذلك حالة واحدة هي حالة ابن السّاعي البغدادي الذي كان مُؤرّخاً شعبياً ربح كثيراً من المال من مُؤلَّفاته. «إذ كان يكسب من كُلّ مُجلّد يكتب عن التاريخ بين المئة والثلاثمئة دينار»[123]. ومن سُوء الحظ أنّ النصّ غير واضح، إذ قد يكون هذا المبلغ دفع لكُلّ مُجلّد تاريخي نَسَخه (أو ثمن كُلّ نُسخة من المُجلّدات التي ألّفها؟)، وقد يصحّ أن نذكر للمقارنة أن مُؤدِّب ابن المُسْتَنْصِر (الذي أصبح فيما بعد الخليفة المُسْتَعْصِم)، أخذ عندما ختم الولد القرآن، مبلغ ألفي دينار مع هدايا أُخرى[124]، كما أهدى الخليفة توائمَ أربعةً ستمائة دينار[125]. ولقد ارتفعت الأسعار بسبب رَداءة الموسم، فصار سعر الحنطة مائة دينار للكُرّ، وسعر الذّرة خمسين ديناراً للكُرّ (والكُرّ يعادل حِمْل ستة حمير)[126].

وكان للمُؤرّخ الذي يُحاضر للسلطان إمكانيات نظرية منذ بداية الخلافة في الإسلام، رَغْم أننا لا نَعلم إلا عن حادثة تاريخية واحدة ترجع إلى القرن الخامس عشر (العَيْني)[127]، إنّ مُقدّمة القصّة التاريخيَّة الجاهلية المجهولة

---

(123) تقي الدِّين الفاسي: **مُنتخب المُختار** (مُختصر لذَيْل ابن رافع على ذَيْل ابن النّجار على **تاريخ بغداد**، ص139 (بغداد 1357هـ/ 1938م).

(124) ابن الفوطي: **الحوادث الجامعة** ص71، (بغداد 1351هـ)، ويجدر أن نذكر أن ابن السّاعي ألّف رسالة خاصة بمُناسبة خِتان ولديّ المُستعصم والمال الذي صُرف في هذه المُناسبة. انظر الذَّهبي: **تاريخ الإسلام**، تراجم سَنَة 674هـ، مخطوطة البودليان .Or Laud 279, fol. 82b، ص82ب.

(125) الفوطي: المصدر السابق، ص219، حوادث سَنَة 645هـ.

(126) الفوطي كذلك ص226، حوادث سَنَة 646هـ.

(127) انظر أعلاه: ص78 فما بعد. ابن الطِّقْطَقى: **الفخري**، ص6 فما بعد (طبعة أهلورت غوتا، 1860م) وهو يروي «وكان بدر الدِّين لُؤلؤ صاحب المَوْصِل ـ رحمه الله ـ أكثر ما يجري في مجلس أُنسه إيراد الأشعار المُطربة والحِكايات المُلهية فإذا دخل شهر رمضان أُحضرت له كتب التواريخ والسِّيَر، وجلس الزين الكاتب وعزّ الدِّين المُحدِّث يقرآن عليه أحوال العالم». غير أن قُرّاءه كانوا: كاتباً وعالماً في الحديث، لا مُؤرّخين، إلّا إذا كان الاسم الأخير، وهو عزّ الدِّين، هو المُؤرّخ ابن الأثير نفسه الذي ألّف كتابه **الكامل في التاريخ** لبدر الدِّين لؤلؤ.

المؤلّف والتي تُنسب خطأً إلى الأصمعي، وهي **نهاية الأَرَب في أخبار الفُرْس والعرب**، تُمثّل الأصمعي وهو يُطْرِفِ هارون الرشيد بقِصَص عن الأُمم القديمة في العصور الخَوَالي، ويُعجب الرشيد فيقول: «فأين المُلوك وأبناء المُلوك؟» ثُمّ يطلب من مكتبته سِيَر المُلوك ويأمر الأصمعي بقِراءتها له. فيبدأ الأصمعي بقراءة كتاب أوله سام بن نوح ويأمره الرشيد أن يُكمله بإضافة التاريخ بين آدم وسام وهكذا[128].

كان مُؤرّخ البلاط يَلْقى في الحياة الواقعية الأخطار التي يَلْقاها مُعظم رجال البِلاط، إذ قد يصدر عنه كلام أو عمل عَفوي، لكنه يستفزّ غضب سيده، ومن أطيب الأمثلة على ما كان يتعرّض له المُؤرّخ هو ما رواه المَسْعودي عن محمد ابن عليّ العبدي الخُراساني الإخباري، رَغْم أنّ هذه القِصّة قد لا تكون مضبوطة تاريخياً.

فقد رَوَى المَسْعودي: «وذكر محمد بن عليّ العبدي الخُراساني الإخباري، وكان القاهر به آنساً قال: خَلا بي القاهر فقال أصدقني أو هذه - وأشار إليّ بالحَرْبة - فرأيتُ والله الموت عِياناً بيني وبينه، فقلتُ: أصدقك يا أمير المؤمنين، فقال لي انظر: يقولها ثلاثاً، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: عمّا أسألك عنه ولا تغيّب عني شيئاً ولا تُحسِّن بالقصّة ولا تُسجّع فيها ولا تُسقط منها شيئاً، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أنت علّامة بأخبار (خُلفاء) بني العباس في أخلاقهم وشِيَمِهم من أبي العباس السَّفّاح فَمَنْ دُونَه، فقلتُ: على أنَّ لي الأمان يا أمير المؤمنين، قال: ذلك لك «ثُمّ وصفهم جميعاً»، ... قال القاهر قد سمعت كلامك وكأني مشاهدٌ القوم على ما وصفت، مُعاين لهم فيما ذكرت، ولقد سرّني ما سمعت منك، ولقد فتحت أبواب السياسة وأخبرت عن طُرُق الرياسة، ثم أمر لي بجائزة عجّل لي عطاءها في وقتها، ثُمّ قال لي: إذا شئت فقمْ فَقُمت وقام

---

(128) انظر أيضاً: F. Rosenthal in *JAOS*, LXIX 91 b (1949) (Wright).

وقد أعاد نشر معظم مُقدّمة الكتاب رايت Wright في فِهْرِس المخطوطات العربية بالمتحف البريطاني، رقم 1273 (ورقم 914).

انظر أيضاً: Storey, *Persian Literature* II, 244.

على أثري بحَرْبته، فيُخيّل والله لي أنه يرميني بها من ورائي ثم عطف نحو دار الخدم، فما مَضَتْ إلا أيام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر»[129].

وإذا أرضى مُؤرّخ البلاط سيده، وهو يتوصّل إلى ذلك عادة بالمُبالغة في إطرائه، فإنه لا يخاف شيئاً سوى نقد الأجيال المُتأخّرة من العُلماء[130]. لكنه إذا مدحه ثُمّ سمع عنه أنه كان يقول بأنه قد ملأ كتابه بالمُختلقات والأكاذيب، فإنه يَلْقى المتاعب. وقد حدث هذا للصّابئ في كتابه **التاجي** الذي ألّفه تاريخاً للبُويهيين[131].

إنّ مُؤرّخاً كمُحمد بن عبدالله العُتَقي (ت 385هـ ـ 955م) وكان مُنَجّماً في بلاط الخليفة الفاطمي العزيز وألّف في زَمنه كتاب تاريخ، كان الأفضل له أن يحذف من كتابه بعض الحِكايات التي فيها بعض الإطراء للأمويين والعباسيين. كانت هذه الحِكايات تتردّد في كتب التاريخ، لكنّها لا تُرضي الشيعة، فلما دوّنها العُتَقي في كتابه، ذمّه البعض عند العزيز فصَادر الخليفة مزرعة للمُؤرّخ واضْطره أن يُقيم طِيلة ثماني سنوات بَقِيَتْ من عمره حبيساً في بيته[132].

أما في الأحوال المادية، فقد كان المُؤرّخ لا يختلف كثيراً عن المجموعة الاجتماعية من عُلماء العِلم الذي يشتغل فيه، فضلاً عن كونه مُؤرّخاً. كما أنّ نظرته الفكرية لم تكن تختلف كثيراً عن نظرتهم، وأنّ المرء يودّ أن يُؤكّد أن عدداً غير قليل من المُؤرّخين كانت عيونهم مفتوحة على الواقع أكثر من زملائهم الذين لم «يجمعوا» تواريخ. ولعلّ مثل هذا الانطباع يتكوَّن نتيجة إدراكنا أنّ للمُؤرّخين مجال الكلام عن الوقائع والشخصيات الحقيقية، الأمر الذي كان يُنقص كثيراً من العُلماء الآخرين. ثُمّ إنّ كثيراً من المُؤرخين كانوا يحتاجون لكي يُنجزوا واجبهم بنجاح إلى أن يتّصلوا بالعُظماء المُعاصرين وغيرهم ممن يستطيعون تزويدهم بما يحتاجونه من المعلومات نظراً لأن عمل الكتابة التاريخيَّة كان في الغالب يشمل

---

(129) انظر المسعودي: مُروج، ج8، ص289 فما بعد (طبعة باريس، ج2، ص514-8 طبعة القاهرة 1346هـ).

(130) انظر: نقد ابن حَسُّول لكتاب **التاجي** لمُؤلّفه الصّابئ **تفضيل الأتراك على سائر الأجناد**، المُقدّمة.

(131) انظر بروكلمان: ج1، ص96.

(132) انظر: القِفْطي، ص285 (طبعة مولر - ليرت).

عصر المُؤلّف. ومع أنهم كانوا جميعاً يُدركون أهمّية الأخبار المُستقاة من المصادر الحيّة، إلا أنهم كانوا أقلّ اهتماماً بالآثار التاريخيَّة، فلم يستفيدوا من إمكانية جعله ينطق عن طريق هذه الآثار الجامدة[133].

وقد حلَّت المصادر الأدبية في هذا الأمر محلّ المُلاحظة. ومع هذا، فلدينا بعض القِصَص كالذي يرويه هارون القَروي عن الواقِدي حيث قال: «رأيت الواقِدي بمكة ومعه رَكْوة فقلت أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حُنَيْن حتى أرى الموضع والمَوْقعة»[134]. لقد كانت الغاية التي يهدف المُؤرّخون المُسلمون إلى تحقيقها، هي إنتاج كُتب قد تكون مُفيدة وتعمل على تحسين المكانة الاجتماعية لمن يطّلع عليها.

لقد كانوا يَرَوْن أنّ معرفة الكُتُب التاريخيَّة تجلب معها الحِكمة السياسية والمهارة في الجدل ممّا يَضمن النجاح في الدُّنيا، وتجلب أيضاً التواضع والتقوى اللذين يضمنان الفَلاح في الآخرة[135].

وقد سيطرت فكرة القِيمة المادية لدُروس التاريخ في الغرب أيضاً، ولدينا عن ذلك أقوال كثيرة منها ما قاله ج.ج. فوسيوس[136].

«يتّفق الجميع على أنه لا شيء يليق بالمرء كثيراً أو يُفيد المُواطن المُخلص كثيراً، مثل دراسة تاريخ الماضي»[137].

لقد كان في هذا يُردِّد أقوال الأقدمين الذين كانوا يَرَوْن التاريخ قسمين: المُلِذّ والمُفِيد، بعكس رجل مثل لوسيان الذي اعتَبَر المِهنة والغاية شيئاً واحداً وهو المُفِيد[138].

---

(133) انظر أدناه: ص161 فما بعد.

(134) انظر الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج3، ص6.

(135) انظر المُقدّمات المُعتادة لكُتُب التاريخ كما دُوِّنت في السَّخاوي، **الإعلان**.

(136) *De historicis Graecis libri quatuor*, 2 Leiden 1624).

(137) لوسيان: Πῶς δεῖ ἱστορίαν συγγράφειν

انظر أيضاً: F. Scheller المصدر السابق، ص116 فما بعد و(أعلاه ص38 هامش 14) 31.

(138) L. Halphen, *Introduction à l'histoire*, 72 (Paris 1946) =

«ولا تزال مسألة قِيمة التاريخ تُثار في عصرنا، لا يكفي في عصرنا النَّفعي إلا علم يستجيب لحاجة في روحنا، ويُقدِّم طريقة مَوْثوقة لتبريره في نظر الرأي العام. والمسألة التي تتردّد على الأَفْواه هي من هذا الذي سيُلبّيها والنظرة النَّفعية من تقدير قِيمة الغَرَض من البحث العلمي ينبغي أن تُنظر دائماً في ضوء التعاريف النظرية السائدة للنَّفْعية «Utilitarian». ولا نَجِد مُرشداً في هذا المضمار في الإسلام خيراً من ابن سينا، فهو في الفصل الذي عَقَده في الفلسفة الأُولى في الشفاء (القسم الثالث والعشرون)، يُبيِّن أنّ «النافع هو السبب المُوصِل بذاته إلى الخير، والمنفعة هي المَعِين الذي يُوصَل به من الشر إلى الخير. وإذا تقرّر هذا فقد علمت أنّ العلوم كُلّها تشترك في منفعة واحدة، وهي تحصيل كمال النفس الإنسانية بالفعل مُهيِّئة لها السعادة الأُخروية. لكنه إذا فُتِّش في رُؤوس الكُتب عن منفعة العلوم لم يكن القصد مُتّجهاً إلى هذا المعنى، بل إلى مَعُونة بعضها إلى بعض حتى تكون منفعة علمٍ ما هي معنى يُتوصَّل منه إلى تحقيق علم آخر غيره»[139].

فبمُقتضى تعريف ابن سينا العالم لـ «المنفعة»، تُصبح النَّفْعية المادّية المكشوفة التي يدعو لها المُؤرّخون جُزءاً من فكرة أسمى قد لا تكون ضائعة كُلّياً عند مُؤلِّفي الكُتب التاريخيَّة الفَطِنين.

لم يكن المُؤرّخون المُسلمون يجهلون النوع الخاص من المنفعة المادّية التي يُلصقها تفكيرنا بالدرجة الأُولى بالتاريخ: فلم يُستعمَل التاريخ كوسيلة لنشر الأفكار. أو بعبارة أدقّ، لم يقصد المُؤرّخون مُتعمِّدين في كتابة مُؤلّفاتهم أن يُعيدوا تفسير التاريخ كيفما يَنسجم مع الأفكار التي يُريدون نشرها.

وتتمثّل حماسة المُؤرّخين الدِّينيين الأوائل للمُحافظة على حَرْفية ما يكتبون

= انظر أيضاً: ج. هويتزينغا المذكور سابقاً (أعلاه ص31، هامش 16)، ص180-185 فما بعد.

(139) مخطوطة البودليان، رقم Or. Pocock 117 (Uri 482) fol. 19a-b. Pocock 125 (Uri 435) fol. 295 a-b. انظر النصّ العربي في القسم الثاني من كتابنا.

بِقِصّة تُروى عن أحمد بن أبي خَيْثَمة الذي ألَّف كتاباً في التاريخ قال عنه «الخطيب»: ولا أعرف أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذي صَنَّفه ابن أبي خَيْثَمة، وكان لا يرويه إلا على الوجه (أي أن يُروى حَرْفياً). استعار أبو العباس، يعني محمد بن إسحاق السَّرّاج من أبي بكر بن أبي خَيْثَمة شيئاً من التاريخ فقال: يا أبا العبّاس عليّ يمين أن لا أُحَدِّث بهذا الكتاب إلا على الوجه، فقال أبو العباس: وعليّ عزيمة أن لا أكتب إلا ما أستفيد، فردَّه ولم يُحدِّث في تاريخه عنه بحَرْف(140). وقد أكّد المُؤرخون الدِّينيون المُتأخّرون على وجوب التزام المُؤرّخين للعَدْل والتجرُّد(141)، وهذا يدلّ بصراحة على أنّ المُؤرّخين كانوا يتأثّرون أحياناً بمُيولهم الخاصة وأهوائهم. وسواء أَصَحَّ هذا أم لم يَصِحّ، فإن العُلماء الذين ذكروا نُصوصاً عن هؤلاء المُؤرّخين كانوا يُفكّرون فقط بعُلماء الدِّين ومُنازعاتهم. لذلك، فلا يُمكن استعمال أحكامهم لتقدير مواقف المُؤرّخين من حيث العُموم.

وقد يكون المُؤرخون المُسلمون أقوياء في التعبير عما يُحبُّون أو يكرهون، كالعماد الأصبهاني. وغالباً ما يكون المُؤرخون في خدمة أحد الأُمراء فيحيدون في كُتبهم عن الحقيقة بشكل مفضوح ليُعبِّروا عن رغبات هذا الأمير السياسية. ففي زمن الحُروب الصليبية مثلاً، رُبّما اندفعوا في استخدام معرفتهم التاريخيَّة في الصراع السياسي إلى الحدّ الذي يكتبون فيه تاريخاً خاصاً أو سيرة لنصارى أُوروبا الذين جاؤوا آنذاك إلى البلاد الإسلامية(142).

---

(140) انظر: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج4، ص163.

(141) انظر: السُّبكي الكبير والصغير، قسم 2، ص435 فما بعد.

(142) يودّ المرء أن يعرِض شيئاً أكثر عن هذا الكتاب الذي على ما يقول ابن مُيَسَّر: **النُّكَت العصرية في أخبار الوزارة المصرية**، ص70، طبع ماسيه حوادث سَنَة 520هـ (القاهرة 1919م) إنه ألَّفه في القرن الثاني عشر حَمْدان بن عبد الرحيم الأثاربي، أو أنه هو نفسه **كتاب القُوت** الذي ذَكَر السَّخاوي أن «حَلَب جمع تاريخها من سَنَة تسعين وأربعمائة يتضمّن أخبار الفرنج وأيامهم وخُروجهم إلى الشام من السَّنة المذكورة وما بعدها أبو الفوارس حمدان بن عبد الرحيم بن حمدان التميمي الأثاربي ثُمّ الحلبي سَمّاه **القُوت**»، **الإعلان**، ص125.

وقد استخدم المُؤرّخون المُسلمون في كُتبهم أيضاً الأحكام التاريخيَّة التي كانت نتيجة الأهواء السياسية بصورة واضحة. فقد وُصِف بعض الأُمويين بالفساد والعجز، ووُصِف بعض العباسيين بشدّة التقوى. أما إدارة عليّ ووَرَعُه، فقد تباينت أوصاف المُؤرّخين لها. أما الحاكم بأمر الله الفاطمي فقد اعتُبر مجنوناً، أو بعبارة أَبْرع، رجل مُتناقضات[143]. وقد نُقلت هذه الأحكام إلى المُؤرّخين عن طريق الوسط الذي عاشوا فيه، فتقبّلوها لاشعورياً أو أقدموا عليها مَدْفوعين بالضرورة أو المنفعة، وكانت مُثابرتهم وتأثيرهم عظيمين جداً، ففي بعض الحالات، كما في مُعالجة التاريخ الإسلامي الأول، كانت كُلّ قطعة من الكتابة التاريخيَّة مُتحيِّزة.

أما في حالة تاريخ الأُمويين والعباسيين الأُوَل، فقد أصبحت مواقف المُؤرّخين العباسيين الأُوَل مقياساً لكافة التاريخ المُتأخِّر. وكان بمقدور مُؤرِّخ كالمَقْريزي أن يكتب رسالة يُقارن فيها بين الدولتين، ويبحث فيها السبب الذي استطاع من أجله الأُمويون أن يكونوا خُلفاء، مع كُلّ ما فيهم من عُيوب[144].

غير أنه بالرَّغْم من كلّ ما ذكرنا، فإن المُؤرّخين لم يتعمَّدوا «تلوين» تاريخهم بهذا الأُسلوب، إذ إنّ مثل هذه النِّيّات تكون مُناقضة تماماً لفكرتهم عن التاريخ، ألا وهي رِواية الحقائق التي قد تكون صحيحة أو مكذوبة، لكن المُؤلّفين لم يعتبروا من حقّهم تبديل التفاصيل أو إعادة تفسير النصوص المَرْويّة[145].

لذلك، لم يكن من المُمكن أيضاً للمُؤرخين المُنتمين إلى المذاهب غير السُّنّية أن يُعيدوا تقدير التاريخ «العام» على ضوء خِبرات أهل مذهبهم، فالمُؤرّخون

(143) انظر: تقدير محمد بن طولون للحاكم في **اللَّمَعات**، ص48 فما بعد (دمشق 1348هـ، رسائل تاريخية، ص4): كثير التلوُّن في أفعاله وأقواله... أُموره مُتضادة.

(144) **كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، طبع فوس Vos، ليدن، 1888م.

(145) يروي الجاحظ عن خالد بن يزيد مولى المَهالبة «ودع عنك مذهب (عَبِيد) بن شريّة فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر» (انظر: **البخلاء**، ص40، القاهرة 1948م) غير أنه من سُوء الحظ لا يُمكن أن يُفسّر بأنه يُشير إلى التعمّق التاريخي. إنّ كلمة (مُجازَفة) المأخوذة من مُصطلح الحديث والتي كانت في العُصور المُتأخرة تُستعمل عنواناً لذمّ المُؤرّخين، =

المُنتمون إلى بعض الفِرَق قد يكتبون تاريخاً خاصاً بطائفتهم، غير أنهم في الواقع كتبوا عدداً قليلاً نسبياً من الكُتُب التاريخيَّة لأنفسهم خاصة، وذلك لأن المُسلمين كانوا ينظرون إلى التاريخ عُموماً كصِراع ديني صِرْف[146].

ولأن حركة كبيرة كالشيعة العَلَوية كان لها في الواقع تاريخ سياسي محدود، فإذا حدث أنْ كان المُؤرخ شيعياً، فقد يكون أعظم استعداداً لتسجيل الأحداث المُعاصرة التي تتعلّق بمذهبه من المُؤرخ السُّنّي. ويبدو أنّ هذا كان إخباراً عن حقائق لم يرَ فيها مُؤرخو السُّنّة المُتأخرون بأساً ولم يجدوا غَضاضة في نقلها[147]. غير أن كُلّ هذا لا يعني أنّ المُعتقدات الشخصية للمُؤرخ كانت معزولة تماماً عن عمله. فقد كان بيده سلاح رئيس هو حُرّيته في حذف المادة من مصادره، وإضافة مادة من مصادر أُخرى لا بُدَّ أنها لم تكن دائماً تاريخية بالمعنى الدقيق، وهذا ما كان مُتوقّعاً منه[148]. إنّ مدى ما يُمكن تحقيقه عن هذا

= غير أنه لا يوجد مُؤرّخ يُعيّن بالضّبط المعلومات المُجازِفة التي يُوردها. غير أنّ مَزْج عِدّة أخبار عن حادث واحد (الاختصار) كان شائعاً للإيجاز، ويُمكن أن تُلاحظ بعض المُحاولات لتحريف معنى المواد الجديدة من المصادر التاريخيَّة. انظر عن: ابن الأثير والعماد:

H.A.R. Gibb, *Speculum*, XXV, 49-7 (1950).

(146) انظر:

W. Ivanov, *Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids* (Oxford 1942), Islamic Research Association series, 10).

ويبدُو أنّ بعض أقدم الكُتُب الباحثة في النِّزاع الدِّيني ـ السياسي في القرن السابع رُبّما اعتُبرت وثائق أصيلة في كتابة تاريخ الفِرَق والطوائف. أما عن اعتبار الغزالي الأدب الباطني ـ الإسماعيلي تاريخياً، فيقول السَّخاوي: «... ونحو قوله (الغَزالي) في الباب الأول من كتابه **فضائح الباطنية** إنه طالع الكُتُب المُصنَّفة في هذا الفنّ فصادفها مشحونة بفنَّين من الكلام: فنّ في تواريخ أخبارهم وحِكاية أحوالهم من مبدإ أمرهم إلى ظهور ضَلالتهم وتسمية كُلّ واحد من دُعاتهم في كُلّ قُطر من الأقطار، وبيان وقائعهم فيما انقرض من الأعصار، فهذا فنّ أرى التشاغل به اشتغالاً بالأسمار، وذلك أَلْيق بأصحاب التواريخ والأخبار إلى آخر كلامه، **الإعلان**، ص49.

(147) انظر:

C. Cahen, *Une Chronique chiite au temps des Croisades*, in *CRAI* 1935, 258-69.

(148) انظر: **قِصّة العُتَقي**، ص53.

السبيل، كان مُعتدلاً، يتجلّى في **تاريخ** اليعقوبي الذي نجد فيه مثلاً حواشي طويلة جداً للعَلَويين مملُوءة بحِكَمياتهم، وقد نجح اليعقوبي أيضاً في تصوير عثمان بصورة غير مُرْضية. وقد استطاع مُؤرخو السُّنّة بدورهم، العُثور على مادة كثيرة تُسيء إلى تاريخ الإسماعيلية وأدخلوها في كُتبهم.

لقد كان المُسلمون من حيث العُموم سَريعين إلى الشكّ بِنِيّات المُؤرّخين إذا ما لمحوا عندهم أقلّ خُروج عن تعاليم السُّنّة(149)، وقلّما نجد مثل هذه النِّيّات السيئة. وعلى أيّ حال، فالحقيقة أنّ اتّجاه تفكيرهم كان يُعبِّر عن نفسه في كُلّ عملهم، وكانت مكانتهم في المُحيط الفكري لعصرهم تُقرّر اختيار صُوَر ومُحتويات التواريخ التي كتبوها، وبذلك تُقرّر أيضاً تطوّر التاريخ الإسلامي.

فعندما نجد مثلاً، الفلسفة تُقْحَم على التاريخ(150)، فمعنى ذلك أنّ الفلسفة كانت في ذلك الوقت تلعب الدَّور نفسه في تقليد عُلماء المُسلمين الدِّينيين والدُّنيويين. وعلى هذا، فإن المُؤرّخين لم يستعملوا (أو يُسيئوا استعمال) كُتبهم للتعبير عن آمالهم الشخصية أو آمال جماعتهم الخاصة، غير أنّ تبدُّل صُوَر الكُتُب التاريخيَّة ومُحتوياتها، كانت انعكاساً طبيعياً صادقاً لتبدُّل الجو الثقافي الذي عاش فيه أفراد المُؤرّخين.

---

(149) من الصعب أن نجد في الميدان التاريخي الصِّرف ما يُقارن مثلاً باتهام أهل السُّنّة للجاحظ بأن كُلّ كُتُبه دعاية مُستوردة لعقيدته الاعتزالية. انظر الإسفراييني: **التبصير في الدِّين**، ص50 (القاهرة 1359هـ/ 1940م). لكن عندما يُقال إنّ المسعودي كان ميّالاً للمُعتزلة، فإن هذا يبدو انطباعاً مُستمدّاً من كُتُبه التاريخيَّة، ثم أصبح اتهاماً ضده (انظر السُّبكي: **طبقات الشافعية**، ج2، ص307، القاهرة، 1324هـ، وقد نقلت من هامش على كتاب ياقوت: **إرشاد**، ج13، ص90، القاهرة).

(150) انظر أدناه: ص156 فما بعد.

الفصــل الثالـث

الصُّـوَر الأساسيـة لعلـم التأريـخ الإسلامـي

1 ـ تاريـخ الخَبَـر

إنّ أقدم صُوَر علم التأريخ الإسلامي هو الوصف الشامل لحادثة واحدة، لا يزيد طُولها عادة على بضع صفحات، وهي استمرار مُباشر لقِصَص الأيام[1]. وكثيراً ما كانت كلمة «خَبَر» في سِياق الكُتُب التاريخيَّة الكثيرة، تُستعمل عُنواناً، بجانب «ذِكْر» أو أحياناً بجانب «أمر» أو «حديث»، وكُلّ هذه الكلمات تُستعمل بالطريقة نفسها.

ومنذ القرن العاشر فما بعد أصبحت رِواية تاريخ «الخَبَر» يُقَدَّم لها أحياناً بعبارة «وكان السبب» بعد أن يذكر مُلخّص الخَبَر المَعْنيّ، ويُؤكّد على صفة الخَبَر كوحدة قائمة بذاتها، بسِلْسِلَة الرُّواة التي تسبق كُلّ خبر ولا تُحذف إلا للاختصار أو لإزالة مظاهر التقعُّر العلمي.

وللكتابة التاريخيَّة المُتّسمة بصورة «الخَبَر» ثلاثة مظاهر مُميَّزة:

أوَّلها أنها بطبيعتها لا تُتيح تثبيت الصِّلة السببية بين حادثتين أو أكثر. فكلُّ خَبَر تامٌّ بنفسه ولا يحتمل إشارة إلى أيّ نوع من المواد المُكمِّلة. فإذا تكوّن الكتاب

---

(1) انظر أعلاه: ص32 فما بعد.

التاريخي من أكثر من «خَبَر» واحد، كما تقتضي بذلك الحاجة، فإن وضع الخَبَر الواحد بجانب الخَبَر الآخر (ما لم تكن هذه الأخبار روايات مُتباينة عن نفس القِصّة) يدلّ أحياناً على انتقال التركيز التاريخي من منطقة جُغرافية إلى أُخرى، ويدلّ عادة على تقدُّم في الزمن. وفي هذه الحالة تكون الفترات الزمنية غير محدودة في الطُّول، رَغْم أنه كثيراً ما يُراعى فيها استمرار الترتيب الزمني. ومن الواضح أنه لا يُمكن بهذه الطريقة تحقيق أيّ نَفاذ تاريخي عميق. وإنّ صورة «الخَبَر» تُصبح عند كتابة تاريخ فترة طويلة من الزمن صعبة الاستعمال بسبب طول الخَبَر، لأن الخَبَر إذا أُريد الاحتفاظ بخصائصه الحقيقية، لا يُمكن اختصاره إلا إلى درجة محدودة مُعيّنة.

والمظهر الثاني أنّ صُورة «الخَبَر» قد احتفظت منذُ عهد سلفِها القديم، قِصَص الأيام، بخصائص القِصّة القصيرة المَرْويّة بشكل حِسّي، وبتفضيل الوقائع المُثيرة المُلوّنة على الحقائق الرزينة، وكثيراً ما تُعْرَض الواقعة بشكل حوار بين المُشاركين البارزين في الحادثة، وهذا ما يُنقذ المُؤرخ من القيام بواجبه الحقيقي، أي تقديم تحليل واضح التفسير للوضعية، ويترك مثل هذا التحليل للقارىء.

وتكون مناظر القتال الكثيرة أمتع مادّة للقراءة، غير أنّ الحقائق الواقعية تبقى مُعمّاة. وعلى كُلٍّ فإن هذه الخاصّية للخَبَر كانت من حيث العُموم الأداة الرئيسة لرفع عِلْم التاريخ الإسلامي المُتأخِّر من صنف «الحَوْليات الجافة» ولإثارة الاهتمام بالتاريخ عند الشُّبان والشُّيوخ ذوي الثقافة العامة.

كما أنّ الصفة الأدبية العُليا لعلم تاريخ الخَبَر، أتاحت أيضاً إدخال فُصول عن التاريخ (الذي كان بالإمكان تمديده آنذاك ليشمل الطُّرُق البسيطة لعلم التاريخ الحَوْلي وتاريخ الأُسَر) وكُتُب الأدب كـ **العِقْد الفريد** لابن عبد ربه مثلاً.

والمظهر الثالث المُميّز لصورة الخَبَر، هو نعمة لا تخلو من شوائب. فتاريخ «الخَبَر» بوصفه استمراراً لقِصَص الأيام، وصُورة من صُوَر التعبير الفنّي احتاج إلى الاستشهاد بالشعر.

والواقع أنه يَنْدر أن نرى كتابَ تاريخ خالياً تماماً من الاقتباسات

الشعرية[2]. فإذا كانت المادّة المطلوب مُعالجتها واسعة جداً، وأراد المُؤرخ أن يختصر في كتابه، فقد يُفكّر في حذف الأشعار. وقد صَرَّح اليعقوبي بهذه النِّية في **تاريخه**، فوقف نفسه على عدد قليل من الأشعار[3]. لكن بعض الأشعار موجودة حتى في المُختصرات التي اقتصرت على تعداد الحقائق المُجرّدة، ككِتاب **شُذور العُقود** لابن الجَوزي، وهو مُلخّص لكتابه **المُنتظَم**. ولهذه الأشعار عادة صِلة ضعيفة بالأحداث التي تعود إليها، وكان بالإمكان حذفها كلها دون أن يُؤثّر الحذف في فهم حقائق السِّياق التاريخي، ومن النادر أن يرى المُؤلّف المُسلم أية دلالة يُمكن أن يستنتجها المرء من الشعر المُقتبس[4]. وقد أصبح تضمين الشعر قاعدة في الأُسلوب لم يُفكّر أحد في مُناقشتها. أما في السِّيَر فكان للشعر مكان مَكِين، لأن نَظْم الشعر كان جُزءاً من التعبير الذاتي للشخص المُثقف، ومظهراً لذلك التعبير. ولا حاجة للقول إنّ عدداً من الأبيات الجيدة ذات المعلومات المُفيدة قد حُفِظت بهذه الوسيلة. غير أنّ عدد الأشعار الرديئة التي لا علاقة لها بالموضوع والتي تملأ صفحات التراجم وخاصة تراجم العُلماء، هو أكثر من الأبيات الجيدة. على أنّ رَداءة هذا الشعر والتحقّق بأن الأشعار لم تُفِد في زيادة المكانة الفكرية لناظميها[5]، لم تمنع المُؤرّخين من إيرادها في كُتُبهم[6].

لقد ثَبَت الأصل الجاهلي لصُورة الخَبَر، ولا بُدَّ أنّ صُورته الأدبية الشفوية

(2) مثلاً: القُضاعي: **عيون المعارف**، وقد اطّلعت على مخطوطات البودليان.
Or. Pocock 270 (Uri 865), or. Maresc. 37 (Uri 713).

(3) اليعقوبي: **التاريخ**، ج2، ص3 (النجف 1358هـ، ج2، ص4 هُوتسما).

(4) انظر: الحُمَيْدي: **جَذْوة المُقْتَبِس**، مخطوطة البودليان.
Or. Hunt. 464 (Uri 783), fol. 6 b.
[وقد طُبع هذا الكتاب بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي في مطبعة السعادة بلا تاريخ. المترجم]. المسعودي: **التنبيه**، ص170، طبعة دي غويه.

(5) انظر: ما ذكره ياقوت عن البِيروني واقتطفه.
F. Rosenthal, in *Orientalia*, N.S., XI, 283 (1942).

(6) إنّ الكثير من الأشعار العربية والقليل من الأشعار الفارسية في التواريخ الفارسية التي تُبرز مغزى الأحداث التاريخيَّة وهي وسيلة من وسائل البيان، وتقوم مقام الأمثال حيث نجد صُورة الوزن عَرَضية.

(أو المكتوبة) قد نُقلت إلى الإسلام دون انقطاع[7]. لكن أين نجد أول كتاب من نوع «الخَبَر» في الكتابة التاريخيَّة في الإسلام؟ لا يُوجد جواب دقيق لهذا السؤال، إذ لم يبقَ أيّ مُؤلَّف من المُؤلَّفات الإسلامية الأُولى، كما أنّ كُتُب الفهارس وإشارات المُؤلفين لا تُعِين في هذا المضمار. وكان نشر أيّ كتاب في الإسلام يتطلّب، كما هو الحال عند قُدماء اليونانيين والرومان أن يُعطي المؤلِّف كتابه المُنْجَز إلى أصدقائه أو تلامذته لينسخوه، أو يُعطيه إلى نَسّاخين مُحترفين وبائعي كتب لينسخوا عدّة نُسَخ منه للبيع. ومثل هذه الطريقة لم تكن مُمكنة في العُقود الأُولى للإسلام، فقد كان عدد من يعرفون الكتابة بالعربية قليلاً؛ والعربية لم تدخل في إدارة الحكومة إلا في خلافة عبد الملك بن مروان. ولعلّ بعض الأشخاص كبائعي الكُتُب، كانوا أسرع في تأسيس تجارة الكُتب العربية من الحكومة في تعريب الدواوين. غير أنّ مثل هذا الافتراض يُعْوِزه الدليل والاحتمال، لأن الطبقة الحاكمة المُتكلّمة بالعربية في السنوات الأُولى للإسلام كانت بالتأكيد أقلّ اهتماماً بالأدب العربي منها بتعريب الإدارة. وقد انقضى أكثر من نصف قُرْن على وفاة الرسول قبل أن تبدأ عملية نشر الكُتُب العادية دون رعاية الحكومة التي قَصَرَتْ رِعايتها على نَسْخ القرآن. وحتى ذلك الوقت كان أكثر من يملكون المعلومات التي تُهمّ العُلماء المُسلمين الأُوَل أُميّين لا يعرفون القراءة والكتابة أو نصف أُميّين، وقلّما كانوا يهتمّون بالأُمور الأدبية، وكانت مادّتهم تُنقل شِفاهاً، ممّا ساعد على إدخال التفاخر بالنَّقل الشفهي للمواضيع الدِّينية والعلمية.

وقد جعلت الرِّواية الشَّفهية في السنين الأُولى حفظ الكُتُب المُدوَّنة عملاً سطحياً زائداً وواجباً غير مرغُوب فيه والإشارة إليها عملاً مشبوهاً[8]. لذلك قد يبدو أنّ الكُتُب الأُولى التي دُوِّنت في تاريخ «الخَبَر» (وكذلك الأشكال الرئيسة

(7) انظر المُناقشة أعلاه: ص42 فما بعد.

(8) في تاريخ بغداد المُؤلَّف في القرن الحادي عشر مثلاً، نجد «كُتُب الثِّقات» تُذْكَر أحياناً إن لم يكن نادراً في سِلْسِلَة الرُّواة؛ فالرُّواة الأُوَل إذن كانوا يَرْوُون شِفاهاً. أما الرُّواة الذين جاؤوا بعدهم، فالظاهر أنهم كانوا يَرْوُون عن كُتب مُدوّنة.

الأُخرى لعلم التاريخ التي زُرِعَت بذورها في القرن الأول الهجري) كانت «كُتُباً» خاصة، دوَّنها العُلماء ولم تبقَ عنها معلومات واضحة أو دقيقة.

إن الذي بين أيدينا اليوم ليس بداية تاريخ «الخَبَر»، لكنه نتيجة أكثر من قرن من النُّمو السريع. وتُقدّم لنا سيرة الرسول عناصر لأقدم وثائق الخبر الثابتة المُقرّرة(9).

يتكرَّر ظُهور صورة «الخَبَر» بشكل ما في جميع الكُتُب التاريخيَّة الإسلامية عَدَا التي اقتصرت على مُجرّد تسجيل قوائم بالأحداث والأسماء دون أية حكاية. غير أنها كبقية الصُّوَر الأساسية، ينذُر أن تظهر فيما يُمكن أن يدّعي شكلها الخاص. فهي عادةً مُمتزجةٌ مع عناصر أُخرى من صُوَر الكتابة التاريخيَّة. ففي سيرة الرسول، نجد الأخبار تُكمل معلومات عن الأنساب وما يتعلّق بها، كقوائم بأسماء أشخاص لهم ميزات أو صفات خاصة.

ونجد بجانب الاتجاه نحو التخصيص والإحاطة بالتفاصيل التي تُبَشِّر بتقدّم العلوم الإسلامية في العصر العباسي، إنتاجاً من الرسائل القصيرة عن أحداث تاريخية. فكأن الصورة القديمة أخذت تدخل طَوْراً جديداً من النَّفعية، وأنها كانت تُواجه مُستقبلاً لامعاً. وأشهر المُصنِّفين في هذا النوع من التاريخ هو عليّ ابن محمد المَدائني (135-215هـ/ 752-830م)، ففي العناوين الكثيرة لكُتُبه نجد رسائل يقتصر كلٌّ منها على معركة، أو على الفُتُوح الإسلامية إلى جانب تراجم بعض الأفراد، أو على وصف عمل من الأعمال(10). وقد عرفنا كُتُبه ممّا نقلته

(9) J. Horovitz, «The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors», in *Islamic Culture*, I, 550 (1927).

وقد وجد هوروفتز في دِراسته أن بِداية التأريخ للإسلام ترجع إلى زمن عبد الملك كما جاء في الطَّبَري «إن كتابات عُرْوَة (ابن الزبير) المُقتبسة هنا تُمثّل أقدم مُلاحظات مُدوَّنة عن حوادث مُعيّنة في حياة الرسول بقيت لنا، وهي في الوقت نفسه أقدم آثار النثر التاريخي العربي».
[وقد ترجم هذا البحث حسين نصار ونشره بعنوان **المغازي الأولى ومؤلفوها**. المترجم].
ويجب أن يلفت انتباهنا استعمال هوروفتز لكلمة «ملاحظات» وليس «كُتُب» أو ما شابه.
يتحدّث عبد العزيز الدُّوري، **بحث في نشأة علم التأريخ**، (بيروت 1960م) عن «وثائق».

(10) **الفِهرِست**، ص147 فما بعد (القاهرة 1348م، 100 فما بعد، طبعة فلوجل).

عنها الكُتُب التاريخيَّة الأُخرى، إذ لم يبقَ أيّ شيء ممّا ألّفه من الكُتُب، لكن يتّضح من قائمة عناوين كُتُبه أنّ مُعظمها كان ذا طابع تركيبي رَغْم قِصره. وقد كان يُعاصره مُؤرّخون آخرون كالهَيْثَم بن عَدِيّ (ت 206-207هـ/ 821-2م) وأبي مِخْنَف لُوط بن يحيى (ت حوالى سَنَة 157هـ/ 773-74م)، وابن حبيب وهو مُتأخّر نوعاً ما، لكن كُتُبه تُكوِّن مجموعة من الرسائل بصورة خَبَر أو نَسَب. غير أنّ كُتُبهم بالرَّغْم من الآمال الظاهرية المُنتظرة منها إذا قُورنت بالرسائل التاريخيَّة من نوع البحث الخالص الذي وصل أقصى مداه بين القرن الرابع عشر والخامس عشر[11]، لم يُقَدَّر لها أن تكون بِداية جديدة في تاريخ صُوَر علم التاريخ الإسلامي. والواقع أنها تُمثّل نهاية صورة الخبر كصورة خالصة وشبه مُستقلة من صُوَر الكتابة التاريخيَّة. وما دام التاريخ قد عاد القَهْقَرى قرناً ونصف القرن، وما دام الاهتمام به قد انحصر في الأهمّية الدِّينية السياسية لأحداث مُعيّنة أكثر ممّا في الحقائق التاريخيَّة، فإن المُؤرخين كانوا يستجيبون لما يُطلب منهم إذا هم قدَّموا قِصّة مُفصَّلة عن تلك الأحداث. لكن بمُرور الزمن، وبازدياد الأحداث المُهمّة زيادة عظيمة، ونظراً لوجود كمية عظيمة من المعلومات السياسية والإدارية والثقافية التي اعتُبرت جديرة بالتدوين كجُزء من التاريخ، أصبح من الضروري إيجاد مبادىء من التنظيم أكثر اقتصاداً ممّا تُقدّمه صورة «الخبر».

وكانت أبرز المبادىء التي اتَّبعها المُسلمون في الترتيب هي صورة الترتيب على السنين (الحَوْلِيّات)، ومع أن هذه الطريقة لم تكن أكثر من أُسلوب في عَرْض المادة التاريخيَّة، فقد كان لها تأثير كبير على المُحتويات التاريخيَّة، واستطاعت أن تبتلع صورة «الخَبَر». ومهما كانت نقائصها، فمن المُؤكّد أنها أكثر تقدّماً من تاريخ الخَبَر من حيث إنها ضمنت على الأقل الاستمرارية الظاهرية، وتنسيق مواد مُنوَّعة وهي خصائص غريبة على صورة «الخَبَر».

---

(11) مثلاً ابن الخطيب عن الحُكّام المُسلمين الذين يُقْسَم لهم يمين الولاء قبل أن يصلوا سِنّ الرُّشد.

M.M. Antuña, in *Al-Andalus*, I, 105-54, 1933.

أو المَقْرِيزي **عمن حجَّ من الخُلفاء والوُلاة** (مخطوطة باريس العربية رقم 4657) (وقد طُبع كتاب المَقْرِيزي في القاهرة 1955م).

2 ـ الصُّـوَر الحَوْليـة

يُكوِّن علم التاريخ الحَوْلي شكلاً تخصّصياً من علم تاريخ السنين[12]. وهو كما يدلّ اسمه، يخضع لتعاقب السنين المُفردة، فكانت مُختلف الحوادث تعدّد في كُلّ سَنَة بعناوين مثل «في سَنَة كذا» أو «ثم جاء في سَنَة كذا». أما الصِّلة بين الحوادث المُتعدّدة التي تحدُث في السَّنة نفسها، فكانت في الغالب تَبين بطريقة سهلة وهي إضافة هذه الجملة «وفيها (أي، وفي السَّنة نفسها)».

والمُؤلِّف هو الذي يُقرّر مدى التفاصيل في وصف الحوادث، ولم تكن الصورة الخالصة تسمح بذكر تقرير مُتتابع عن الحادثة التي تمتدّ إلى عدد من السنين ضمن سَنَة مُعيّنة منها، لكن هذه القاعدة كثيراً ما كانت تُهمل ولا تُراعى.

إنّ أول مُؤلِّف مُسْلِم دوّن التاريخ على ترتيب السنين وبَقي لنا كتابه هو الطَّبَري العظيم. وقد نشر تاريخه لأول مرّة في العقد الأول من القرن العاشر[13]، ثم وصل إلى سَنَة 302 أو 303هـ/ 914-5م. ونظراً لحجم الكتاب، فقد يبدو من غير المعقول أن يكون الطَّبَري أول من طَبَّق الصورة الحَوْلية على الكتابة التاريخيَّة، وقد أبدى أحد المُؤلِّفين المُسلمين مُلاحظة صحيحة عندما قال: «إن كُلّ مُبتدىء لشيء لم يُسْبَق إليه، ومُبتدعٍ لأمر لم يُتقدَّم فيه عليه، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبر»[14].

ولدينا بعض الأخبار عن استعمال المُؤلّفين الأُوَل لصورة الحَوْليّات، على

---

(12) إن كلمة annals صارت تستعمل في كلامنا بمعنى chronicle، أما هنا فإننا نُلاحظ بدقّة التمييز الأصلي بينهما.

(13) انظر ياقوت: **إرشاد**، ج18، ص70 (القاهرة، ج6)، ص445، طبعة مارغليوت.

(14) الشبلي: **محاسن الوسائل**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 4557، ص81ب مع الإشارة إلى كتاب **غريب الحديث** الصغير لأبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى. انظر أيضاً السيوطي: **الإتقان**، ج1، ص3 فما بعد (القاهرة 1317هـ) مُتابعاً **النهاية** لمجد الدِّين بن الأثير (ج1، ص4، القاهرة، 1322هـ) غير أنّ نُمُو حجم الإنتاج العلمي في الإسلام كان سريعاً جداً. انظر:
F. Rosenthal, «The Technique and Approach of Muslim Scholarship», 43a (Rome 1947, *Analecta Orientalia* 24).

أنّ هذه الأخبار ليست واضحة كُلّ الوضوح، لأن وجود كلمة تاريخ في عُنوان كتاب لا يعني أكثر من أنّ في هذا مادة زمنية، وقد تُستعمَل كلمة (تاريخ) للكتاب الحَوْلِي، لكنّها لا تستلزم الإشارة إلى استخدام الصورة الحَوْلية في العَرْض التاريخي على السنين، وهذا يدلّ عادة على أنّ الكتاب مُصَنَّف على هذا النَّمط.

وقد كتب أبو عيسى بن المُنَجِّم قبل الطَّبَري بعِدّة عُقود **تاريخ سِنِيّ العالَم**[15]، ورُبّما كان هذا بحثاً مُرتّباً بحَسَب السنين يبدأ منذ خليقة العالَم على النَّمط اليهودي المسيحي، ورُبّما لم يتطرّق إلى تاريخ الإسلام قطّ[16]. كما أنّ عُمارة بن وَثِيمة ألَّف تاريخاً على السنين في القرن التاسع[17].

أما **تاريخ** جعفر بن محمد بن الأزهر (ت 279هـ/ 892م) فليس من المُؤكّد أنه كان على السنين[18].

أما كتاب محمد بن يَزْداد عن التاريخ، فلعلّه كان مُرتّباً على السنين، لأن ابن النديم يقول: إنّ عبدالله ابن المُؤلّف «تمّم كتاب التاريخ الذي عمله أبوه إلى سَنَة ثلاثمائة»، وهي جُملة تُشير عادة إلى ترتيب السنين[19]. ثم إنّ المُقتطفات من تاريخ محمد بن موسى الخوارِزمي، العالم العظيم الذي عاش في النصف

---

(15) **الفِهْرِست**، ص207 (القاهرة 1348هـ، ص144، فلوجل)، ياقوت: **إرشاد**، ج3، ص243-4 (القاهرة، ج1، ص229، مارغليوت)، انظر ترجمة السَّخاوي.

(16) انظر أبو الفِداء: **المختصر في أخبار البشر**، ص2 فما بعد (Fleischer, (Leipzig 1831.

(17) ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج5، ص37 (حيدرآباد 1357-8هـ) بروكلمان. **الملحق**، ج1، ص217.

(18) لا يظهر تعبير «على السنين» بشكل قَطعي إلا عند ياقوت حيث يذكر أنّ عيسى الإخباري مات سَنَة 279هـ، وله من الكُتُب كتاب التاريخ على السنين. ياقوت، **إرشاد**، ج7، ص186 فما بعد (القاهرة، ج2، ص417، مارغليوت) غير أنه ليس في **الفِهْرِست**، وهو مصدر ياقوت، ص164 (القاهرة 1348هـ، ص113، فلوجل). انظر أيضاً الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج7، ص197.

(19) **الفِهْرِست**، ص179 فما بعد (القاهرة 1348هـ، 124، فلوجل)؛ انظر: **الفِهْرِست**، ص180 (ص124، طبعة فلوجل)؛ أحمد بن عبدالله القطربلي فله **كتاب التاريخ عمله إلى أيامه**. أما التاريخ «من قسطنطين إلى سَنَة 301 للهجرة» للقاضي وَكِيع فربما كان مُرتّباً على السنين أيضاً). انظر: حمزة الأصفهاني، **التاريخ**، ج1، ص70، غوتولدت بطرسبورغ ـ لايبزيغ 1844-8م.

الأول من القرن العاشر، والتي نجدها في تاريخ حمزة الأصفهاني[20] وفي تاريخ إلياس النَّصِّيبي، تُرجّح افتراضنا أنّ كتاب الخوارزمي كان على السنين. وكذلك كان تاريخ أبي حَسّان الحسن بن عثمان الزِّيادي، إذا صَدَّقنا قولاً للسَّمْعاني يُؤيّده نصّ اقْتَبَسه الخطيب في **تاريخ بغداد**[21].

ويقودنا إلى القرن الثاني الهجري (718-815م) **كتاب التاريخ على السنين** الذي يُنسب إلى الهَيْثَم بن عَدِيّ الذي عرفناه مُمثّلاً لتاريخ «الخَبَر»، والذي توفي سَنَة (206 أو 207هـ/ 821-2م) بعد أن بلغ الثالثة والتسعين من العمر فيما يُقال[22]. وبذلك نستطيع التثبّت من أنّ التاريخ على السنين كان مُستعملاً في العراق في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. غير أن الأدلّة لا تستلزم الافتراض بأن الأصل الإسلامي للتاريخ على السنين نشأ في ذلك الإقليم وفي ذلك الزمن، وإنما يعني ذلك أنّ أول الكُتُب المنشورة والمعروفة من ذلك النوع ظَهَرت في العراق آنذاك.

ومن المُحتمل نظرياً أن يكون العُلماء المُسلمون الذين رُبّما تعرّفوا على استعمال المعلومات التاريخيَّة مُنذ إدخال التقويم الهجري، قد توصّلوا بصورة مُستقلّة إلى الاستنتاج بأن صورة التاريخ على السنين هي الوسيلة المُلائمة للغَرَض التاريخي. غير أننا عندما نجد فكرة أو صورة أدبية قديمة تظهر في مكان آخر لا يفصله عن الموطن الأصلي لتلك الفكرة أو الصورة الأدبية أيُّ حاجز منيع من

(20) ج 1، ص187، غوتولدت. أما **تاريخ الخوارزمي**، فقد اقْتَبَس منه البِيروني في **الآثار الباقية** عن تاريخ وِلادة الرسول، مخطوطة إستانبول، عُمومي 4667، ص136.

(21) السَّمعاني: **الأنساب**، ص283ب. الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج1، ص157.

(22) **الفِهرِست**، ص146 (القاهرة 1348هـ، ص100، فلوجل)، ياقوت، **إرشاد**، ج19، ص310 (القاهرة، ج7، ص265 فما بعد، مارغليوت). ويصعب علينا أن نقرّر فيما إذا كان كتاب خليفة بن خَيّاط مُرتّباً على السنين استناداً إلى مثل العبارة التالية «قال خليفة بن خيّاط: في سَنَة 140هـ وجَّهَ أبو جعفر المنصور...».

ياقوت، **معجم البلدان**، ج4، ص634، طبعة وستنفلد، مادة ملطية».

أما عن شكل **تاريخ** عَوانة بن الحَكَم، وهو شيخ ابن عديّ، فليست لدينا معلومات واضحة. يُنسب إلى عَوانة **كتاب سيرة معاوية وبني أمية**. انظر أدناه، ص128.

المكان أو الزمن، يحسُن بنا أن نَعتبرها قد اقتُبست من موطنها الأصلي ولم تُبتدَع ابتداعاً في هذا الموطن الجديد، ومن غير المعقول أن نتطلّب وجود أدلّة مادية على اقتباس شكل من أشكال علم التاريخ، لأن ما استُعير في هذه الحالة الخاصة أي التوقيت على السنين، ليس مادة كتب التاريخ، لكن مُجرّد فكرة التنظيم على السنين، ونقل المادة التاريخيَّة يتطلّب وُجُودَ حركة ترجمة أو، على الأقل، مَجَالاً للعُلماء المُسلمين للظّفر بمعرفة واسعة بالكُتُب التاريخيَّة الأجنبية.

وبإمكان فكرة صورة التاريخ على السنين، من جِهة أُخرى، أن تنتقل بمُجرّد اطّلاع سطحيّ على تاريخ مكتوب على السنين، كما أنّ مُناقشة عَرَضية مع عالم أجنبي يُشير إلى وجود كُتُب في آداب لغته مُرتّبةٌ مادتُها على السنين، قد تُثير السبيل أمام مُؤرِّخ مُسْلِم[23].

إنّ الأدلّة المُتوافرة عن صُوَر التاريخ الإيراني في القرن السابع ضئيلة جداً. غير أن الشيء المُؤكَّد هو ما يلي: ليس هُناك ما يُمكننا من الاقتناع بأن الفُرْس استخدموا الترتيب على السنين، وكُلّ الأدلّة تميل إلى إظهار عدم استعمالهم إياه. وهُناك مُلاحظة إضافية نظرية، هي أنّ عدم وُجود حِقبة مُستمرّة قد يُؤدّي إلى صُعُوبة كتابة كتب تاريخية شاملة لفترات طويلة.

إنّ جميع من فضَّل التأكيد على سَيْطرة الأثر الفارسي على أُصول التاريخ الإسلامي[24] لم ينجحوا في إيراد الأدلّة على أنّ صورة الترتيب على السنين

(23) يقول حمزة الأصفهاني، وهو من مُؤرّخي القرن العاشر عند كلامه على مُلوك البيزنطيين: «وهذه التواريخ أخذتها عن رجل رومي كان فَرّاشاً لأحمد بن عبد العزيز بن دُلَف فوقع عليه السباء وهو رجل كبير يقرأ ويكتب بالرومية وكان لا ينبعث في النّطق بالعربية إلا بجهد، وكان له ابن من جُند السلطان مُنَجّم فَهِم، يقال له (يُمْن) فترجم لي عن لسان أبيه إملاءً من كتاب له رومي الخط هذه التواريخ». **التاريخ** ج1، ص70، طبع غوتولدت، في سانت بطرسبورغ ـ لايبزيغ 1844-8م، وقد ترجم هذا النص مِتْفوخ Mittwoch:
E. Mittwoch, «Die Literarische Tätigkeit Ḥamza al-Isbahanis», in *Mitteilungen des Seminars für Orientalische Sprachen, Westasiatische Studien*, XII, 121, 1909.
ورُبّما كان أمر من هذا النوع قد حصل في زمن أقدم.

(24) مثلاً غولدتسيهر ويُتابعه دي سيموجي J. De Somogyi. انظر: *JRAS* 1932. 48.

دخلت بتأثير الفُرْس في الوقت نفسه مع التاريخ المُرتّب بحسب الدُّول[25]. والواقع أنّ هذا الأمر لم يكن مُمكناً[26].

وعندما نُوَجّه أنظارنا إلى الآداب البيزنطية والإغريقية (والسُّريانية) نجد أن الحالة تختلف، فمن المعروف جيداً أنه لم يصل إلى العرب قط أيٌّ من الكُتُب الكلاسيكية في التاريخ الإغريقي[27].

وكذلك ليست لدينا معلومات صَريحة عن وجود تراجم عربية كاملة للحَوْليّات البيزنطية (لكن انظر أدناه)، وإن القوانين التي تحكّمت في عملية الترجمة من الإغريقية إلى العربية لا تجعلنا نُؤمّل عكس ذلك. فقد كانت التآليف التاريخيَّة مَثاراً لارتياب عُلماء الدِّين المُسلمين أكثر بكثير من التأليف في العلوم[28]، كما أن صِلته بالتربية العالية الإغريقية ـ السُّريانية كانت ضعيفة جداً، كالصِّلة التي صارت فيها العلاقة بين علم التاريخ العربي بالتربية الإسلامية العالية

---

(25) انظر أدناه: ص124-5.

(26) حتى لو افترضنا أن خَداي نامه وأمثالها من منتوجات التأريخ الساساني كانت قائمة على حَوْليات رسمية، فإن هذا لا يعني أنّ الكُتُب التاريخيَّة كُتبت بشكل حَوْليّات. انظر:
A. Christensen., *L'Iran Sous les Sassanides*, 59 (2nd ed., Copenhagen 1944).
[وقد ترجم هذا الكتاب الدكتور يحيى الخشّاب وطُبع في القاهرة سَنَة 1957م. المترجم].
أما الترجمة العربية لخَداي نامه فالتواريخ الوحيدة المذكورة فيها هي التي تتعلّق بطُول مُدّة حُكم كلّ ملك.

(27) إنّ أدب الحَوْليات الإغريقي وبخاصة أدب الحَوْليات اللاتيني مفقود أيضاً، وأهمّيته كأدب ثانوية.

(28) قد يُقارن المرء ما ذكره الشافعي فيما يتعلّق بالكُتُب الإغريقية التي يأخذها المُسلمون غنيمة، فهو يُميّز بين ما تبحث في الطب أو ما تبحث في مواضيع غير مكروهة، وبين التي تبحث في أُمور الدِّين. وتُعتبر مُعظم كُتُب التاريخ من الصنف الأخير فيروي الطَّبَري: «وقال الشافعي ما وُجِد من كُتُبهم فهو مَغْنَم كلّه وينبغي للإمام أن يدعو من يُترجمه، فإن كان علماً من طِبّ أو غيره لا مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم. وإن كان كتاب شِرْك شقّ الكتاب وانتفع بأوعيته وأداته فباعه، ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو».
انظر: الطَّبَري، **اختلاف الفقهاء**، ص178، طبعة شاخت (ليدن 1933م).
Veröffentlichungen der «De Goeje Stiftung» 10.

في الأزمنة المُتأخّرة[29]. ولم تُترجم إلا العلوم التي كَوَّنت التربية العالية. غير أنّ البيزنطيين أظهروا اهتماماً عميقاً جداً بالتآليف التاريخيَّة، ويبدو أنّ المُختصِّين بالتاريخ البيزنطي مُتّفقون على أنّ علم التاريخ احتلَّ مكانة راجحة في نشاطهم الأدبي[30].

وقد يجدر أن نتذكّر بهذه المُناسبة أنّ كتاب الفِهْرس لفوتيوس Bibliotheca of Photius (وإن كان من مُؤلّفات القرن العاشر الميلادي) إلا أنه اختصَّ إلى حدٍّ كبير ببحث كُتُب التاريخ من كلّ الأنواع[31]. ومن المُؤكَّد أنّ دراسة التاريخ لم تكن موضوعاً مجهولاً في سوريا حيث فُهمت الكُتُب الإغريقية، رَغْم أنّ النظرة الإقليمية رُبّما كانت سائدة في سوريا، وأنّ مكتبات المُدُن السورية رُبّما لم يكن فيها كثير من الكُتُب التاريخيَّة. والحَوْليّات الإغريقية في العصر الذي ظهر فيه الإسلام، تُشبه تماماً ما نجده في الكُتُب الإسلامية المُتأخّرة، من التاريخ المُرتّب على السنين. فأيونيس (يوحنا) ملالاس Ioannes Malalas كان يستعمل صورة التاريخ على السنين عندما يُعالج الأحداث القريبة من عصره، فهو يستعمل العبارات التالية: «وفي السَّنة ذاتها، وفي نهاية الفترة نفسها»[32]. أما الترتيب بحسب حُكم الأفراد الأباطرة، فقد أُضيف إلى الترتيب على السنين. وهُناك شيء من التاريخ الثقافي، وكذلك معلومات عن العُلماء والفلاسفة وكبار رجال الكنيسة (وكان مُعظمهم سياسيين في الوقت نفسه). كما سجلّت كذلك الزلازل، والعواصف الرعدية والفيضانات. وهذه المعلومات، بالإضافة إلى الأوبئة

---

(29) لا تُوجد قطّ مُناسبة ذُكر فيها التاريخ في كتاب مثل كتاب:
F. Fuchs., *Die höheren Schulen von Konstantinopel im Mittelalter* (Leipzig - Berlin 1926, *Byzantinisches Archiv*, 8).
ومن المُؤكّد أنّ أساتذة البلاغة أيضاً بحثوا في الكُتُب التاريخيَّة في دروسهم، لأنها كانت تُقدّم مادة للخُطباء.

(30) انظر:
E. Gerlach, Die Grundlagen der Byzantinischen Geschichtschreibung, in *Byzantion*, VIII 93, n.1 (1933).

(31) J. Hergenröther, *Photius, Patriarch von Constantinopel*, III, 15-17 (Regensburg 1869).

(32) انظر مثلاً: *Chronology*, 439-41 Dindorf (Bonn 1831).

والمجاعات والغلاء ونكبات الطبيعة، كانت من خصائص التاريخ المُرتَّب على السنين، كما أنها لم تَغِبْ عن الحَوْليات الإسلامية[33]. وبذلك نجد عند أيونيس (يوحنا) ملالاس الصورة والمحتوى نفسيهما اللّذين نُصادفهما فيما بعد في تاريخ الحَوْليات الإسلامية[34].

أما الوسيط السُّرياني، فقد يكون سطحياً لكن ينبغي مُلاحظة وجوده. فقد كان **تاريخ الرها**، وهو مُؤلَّف في القرن السادس الميلادي، كتاباً مُرتَّباً على السنين[35]. كما أنّ صورة الكتابة التاريخيَّة عند ملالاس تظهر نفسها في الأدب السُّرياني في الكُتُب التاريخيَّة ليعقوب (أو جيمس) الرُّهاوي الذي عاش في القرن السابع الميلادي. لقد واجه يعقوب مصاعب في تحديد زمن الحوادث التي نجمت عن وجود حِقَب مُختلفة في أواخر العصور القديمة التي سبقت العصور الوسطى. وقد أدّى هذا إلى ضرورة وجود جدول مُرتَّب على السنين، كما أنه طَمس نوعاً ما نظام الترتيب على السنين، لكن هذا الترتيب بقي موجوداً

(33) لقد كانت للخوارزمي فُرصة أشار فيها إلى الزلازل والأوبئة والفيضانات.

(34) إنّ المُوازنة بين يوحنا ملالاس Ioannes Malalas 172 Dindorf وما جاء في **الآثار الباقية** للبيروني (ج1، ص112، ترجمة سخاو (لندن 1910م) والتي أشار إليها سخاو في هوامشه، لا تُثبت بالتأكيد أيّ معرفة مُباشرة للمُسلمين بملالاس.
وهُناك كتاب إغريقي آخر من النوع نفسه قد تجوز مُقارنته بكتاب الخوارِزمي، هو كتاب *Chronicon Paschale*، ويجدر أن نذكر عَرَضاً احتمال وجود كثير من النشاط في كتابة التأريخ في الإسكندرية حتى زمن الفتح الإسلامي رَغْم أنه «لم يبقَ ممّا كُتب إلا شيء قليل». انظر: A.J. Butler, *The Arab Conquest of Egypt*, 95 f., (Oxford 1902).
(وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية محمد فريد أبو حديد، القاهرة، 1927م).
ثم إنه قد يبدو مسموحاً تماماً أن نستخلص من وجود كتاب مُرتّب على السنين ككتاب **تاريخ ثيوفانس** *Theophanes Chronology* أنّ التواريخ السُّريانية القديمة قد رُتّبت على النَّمط نفسه، ولا يُستبعد أنّ ثيوفانس قد تأثّر بالكُتُب التاريخيَّة الإسلامية.

(35) انظر:
I. Guidi, E.W. Brooks, and I.B. Chabot, *Chronica Minora*, edited and translated in *CSCO, Scriptores Syri*, Series III, tomus IV, 1, 1-13 and 2, 1-11.
أما كتاب *Maronite Chronicle* الذي نُشر في المجلد نفسه والذي يبدو أنّ له شيئاً من العلاقة مع تاريخ ثيوفيلوس الرهاوي (ت 785)، انظر:
A. Baumstark, *Geschichte der syrischen Literatur*, 341 f.
فينبغي أخذه بنظر الاعتبار في هذا الأمر.

بوضوح. وقد اهتمّ يعقوب، كما فعل أيونيس (يوحنا) ملالاس، بالحُكّام الدُّنيويين، وكِبار رجال الكنيسة، والعُلماء، والأتقياء، يُضاف إلى ذلك أنه ذكر أيضاً حدوث الزلازل والبرد وغزو الجراد والحرائق والشُّهُب والأعمال العُمرانية، وكلّها من الخصائص التي تظهر في التاريخ الحَوْلي[36].

وبالإجمال، فإن قليلاً من الاعتراض يُمكن توجيهه إلى الافتراض أنّ التاريخ الحَوْلي الإسلامي كان مَديناً في بداية أيامه إلى النَّماذج الإغريقية والسُّريانية. لم يكن هُناك كتاب مُعيَّن أَلْهَمَ المُؤلّفين المُسلمين، لكن فكرة الترتيب على السنين جاءت إلى العُلماء المُسلمين الأوَائل عن طريق الاتصال بالنّصارى المُتعلّمين أو من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام.

أما الاتصال الوثيق بين المُسلمين والنّصارى في ميدان التاريخ، حتى في مناطق الأطراف البعيدة عن بيزنطة ومركز الإسلام، فيبدو جليّاً في تاريخ الحَوْليات المسيحية اللاتينية الأُولى في إسبانيا[37]، حيث «كان هُناك مُؤرّخون لهم بعض المزايا حتى زمن الفتح العربي»[38]. ولا شكّ في أنّ التبادل الثقافي في مثل هذه الأمور كان أعظم في سوريا، حيث كان المُسلمون والنّصارى يعيشون معاً مُرتبطين بصِلات وثيقة، وإذا كان المُسلمون قد استوحوا طريقة التاريخ على السنين من المُؤرخين الإغريق والسُّريان، فإنهم قد حسَّنوا هذه الطريقة تحسيناً عظيماً، فقد كان أمام المُؤرخين المُسلمين عهودٌ مُستمرّة ممّا ساعد على سُهولة عَرْض المادّة التاريخيَّة.

---

(36) انظر:
E.W. Brooks, «The Chronological Canon of James of Edessa», in *ZDMG*, LIII, 261-327 (1899).

وطبعة الكتاب نفسه في:
CSCO, Scriptores Syri, Series III, tomus, IV, 1, 261-327 and 2, 197-255 (Paris-Leipzig 1903).

(37) انظر:
C.E. Dubler, Sobre la Crónica arabigo-bizantina de 741 y la influencia bizantina en la peninsula Ibérica, in *Al-Andalus*, XI, 283-349 (1946).

(38) انظر:
H. Pirenne, *Mohammed and Charlemagne*, Engl. Transl. 123 (New York 1939).

أما الذين يُفضّلون أن يَرَوا نِقاطاً أَمْتن من الاتصال بين علم التاريخ الإغريقي ـ السُّرياني وعلم التاريخ الإسلامي، فسيجدون أدلّة ضعيفة لكنها ليست خِلْواً من بعض ما يسند الطريقة التي ذكرناها[39]. وقد نُسقط من الحساب **التاريخ** المُسند إلى يحيى النَّحْوي[40]، **وتاريخ الفلاسفة** لـ فورفوريوس Porphyry (تُوفّي بين 301 ـ 304م) الذي كان قد تُرجم بعضه إلى العربية وكان معروفاً من المُقتبسات التي أُخذت منه. ومع أنّ في هذا الكتاب الأخير كثيراً من المادة الحَوْلية[41]، إلا أنه يهتم بالتراجم، ويبدو أنّ الشيء نفسه ينطبق على الكتاب المنسوب إلى يحيى، غير أنّ أيّاً منهما لم يكن مُرتّباً على السنين. أما يوسيبيوس (تُوفّي بين سَنَة 337 ـ 340م)، فإن اسمه قد يدلّ على أنه المُؤرخ المسيحي القديم نفسه، وأنه كان معروفاً عند المُسلمين، نظراً لأنه كان معروفاً كثيراً بين المُؤلّفين السُّريان[42].

ويبدو أنّ المعلومات عن عصور ما قبل الإسلام التي نجدها عند كبار المُؤرخين المُسلمين كالطَّبَري واليعقوبي وأبي الفِداء، لا يُمكن إرجاعها إلى يوسيبيوس الذي عرفه واستفاد منه المُؤلّف العربي المسيحي هارون بن عزُّور، الذي يُقال: إنّ كتابه باقٍ[43]، لكنه ليس في مُتناول اليد، كما أنه عاش في فترة

---

(39) إنّ معظم المادّة المذكورة في القسم التالي كانت بالطبع معروفة منذ عِدّة سنين. انظر:
M. Steinschneider, *Die arabischen Übersetzungen aus dem Griechischen*, 16 f. (Leipzig 1897, first part, reprint Graz 1960). وإعادة طبع 1960.

(40) انظر:
M. Meyerhof, *Joannes Grammatikos (Philoponos) von Alexandrien und die arabische Medizin in Mitteilungen des Deutschen Instituts für ägyptische Altertumskunde in Kairo*, II, 12 f. (1932).
وقد اقْتُبِس من تاريخه أيضاً أغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المَنْبِجي طبع لويس شيخو في:
CSCO, Scriptores Ar., Series III, Tomus V, 128 and 289 (Beirut - Paris 1812).
ونقرأ في هذا الكتاب اسم يحيى بن عديّ النحوي.

(41) انظر:
Eusebius, *Chronik*, 89 Karst (Leipzig 1911, *Eusebius' Werke*, ed. by the Kirchen-väter-Commission der kgl. Preussischen Akademie d. Wiss. Vol. 5).

(42) انظر:
A. Baumstark, *Syrisch-arabische Biographien des Aristoteles*, 2, n.I. (Leipzig 1900, *Aristoteles bei den Syrern vom. V-VIII. Jahrhundert*).

(43) يشير P. Sbath في **الفِهرس ملحق**، 32 رقم 2696 (القاهرة 1940م) إلى مخطوطة يملكها أحد الأشخاص يعود تاريخها إلى 480هـ/ 1087م؛ =

يظهر أنها مُبكّرة، وإن كُنّا لا نستطيع تحديدها بالضَّبط، ويبدو أنّ البِيروني عرفه بصورة غير مُباشرة، غير أنه لم يتحقّق بعد شكلها بالضَّبط وتاريخها بدقّة[44]. وقد اقْتَبَس المُؤرخون المُسلمون المُتأخّرون أحياناً من يوسيبيوس عن طريق وُسطاء مسيحيين[45]، وكتاب يوسيبيوس بالشكل الذي عرفه المُسلمون ليست له أية علاقة بالترتيب على السنين.

= انظر:

G. Graf, *Geschichte der christlichen - arabischen Literatur*, II, 112 (Città del Vaticano 1947, *Studi e testi* 133).

وقد استفاد من يوسيبيوس أيضاً أغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المَنْبِجي.

(44) انظر: الجداول التي أوردها البِيروني عن تواريخ الأُمم السالفة في **الآثار الباقية**، ص85 فما بعد طبعة سخاو (لايبزيغ 1878-1923م) وهي قد تكون مأخوذة من يوسيبيوس. وفي **الآثار الباقية**، ص305، نجد ذكراً صريحاً لاقتباس التقاويم المسيحية الشرقية من تواريخ يوسيبيوس حيث يقول البِيروني: «وقد كان أصحاب المسيح عليه السلام يحتاجون إلى تقديم المعرفة بفِصْح اليهود يستنبطون منه أول الصوم فكانوا يستفتون اليهود فيه ويسألونهم عنه، وهم للعداوة بينهم وبينهم كانوا يُخبرونهم بخلاف الحقيقة ليضلُّوهم. ومع ذلك لم تكن تواريخهم مُتفقة إلى أن تجرّد لحسابه كثير من حُسّابهم فحسبوه على أدوار مُختلفة وأعمال مُتنوّعة. والذي أجمعوا على استعماله هو الجدول الذي يُسمّونه خرانيقون وزعموا أنّ أوسيبس أسقف قيسارية حسبه مع ثلاثمائة وثمانية عشر نفراً من الأساقفة في السنودس الأول».

ونعلم من مخطوطة إستانبول (عُمُومي 4667، ص344) وهي تملأ الفراغ الموجود في ص307 من طبعة سخاو، أنّ المُقتبسات لتواريخ مأخوذة من زِيج يوسف بن الفضل اليهودي الخَيْبَري.

وهُناك رسائل تاريخية رُبّما كانت من هذا النوع مثل **رسالة في تاريخ ملوك السُريانيين** لسِنان بن ثابت بن قُرّة (القِفْطي ص195 طبعة مولر - لپرت)، وربما تاريخ قدماء ملوك المصريين لشخص اسمه حَنُون (؟) الطَّبَري، وقد استفاد منه أبو الفِداء في **تاريخه** ص102، طبعة فليشر (لايبزيغ 1831م).

وحَسَب كتاب الحسن بن عبد الله بن العبّاس **آثار الأُوَل في ترتيب الدُوَل**، الفصل I، 7 (ص44، بولاق 1295هـ؛ ص52، القاهرة 1305هـ، في هامش كتاب السيوطي **تاريخ الخلفاء**)، فإنه علي بن محمد بن عبدالله بن حَنُون الطَّبَري، وقد استُعمل كتابه في كتاب محمد بن هارون العبّاسي الذي كان، بدوره، أحد المصادر عن التاريخ المصري في **كتاب الألوف** لأبي مَعْشَر.

(45) انظر مثلاً ابن العديم: **بغية الطلب**، مخطوطة القاهرة: تاريخ، 1566، ص161.

وينبغي أن نذكر بَعْدَ يوسيبيوس المُؤرخ أندرونيكوس Andronicus وهو من رجال القرن السادس، وقد نقل من تاريخه، الذي رُبّما كان حَوْليّاً جزئيّاً، جِبْرِيل ابن بَخْتِيشُوع (ت 1006م)[46] الذي كان بدوره مصدراً لابن أبي أُصَيْبِعة[47]. ومن الصعب أن نُقرّر فيما إذا كان مصدر ابن بَخْتِيشُوع قد بقي أم لا، ويُحتمل أنه اقْتَبَس من النّص السُّرياني (أو الإغريقي). لقد كان أندرونيكوس معروفاً في الأدب السُّرياني[48]، ثم ظهر بعد ابن بَخْتِيشُوع بأمد غير طويل كمصدر لتاريخ إلياس النَّصِّيبي (ت بعد سَنَة 1049م)[49]، وهو تاريخ مكتوب باللُّغتين العربية والسُّريانية، وهُناك مُؤرخ إغريقي آخر هو أنيانوس Anianus عاش في القرن الخامس، وكان معروفاً أيضاً بشكل أقلّ عند السُّرْيان والعرب[50].

وهُناك كتاب مُصنّف في أخبار اليونانيين ليست لدينا معلومات عن شكله أو مُحتوياته أو تأليفه، ويُقال إنّ حبيب بن بَهْريز مطران المَوْصِل ترجمه (إلى العربية) منذ أيام المأمون، وقد استعمل هذه الترجمة حمزة الأصفهاني[51]. ثُمّ إنّ

---

(46) ج. غراف: المصدر السابق، ج2، ص111.

(47) ج1، ص73، مولر.

(48) انظر:

A. Baumstark, *loc, cit; idem, Geschichte der syrischen Literatur*, 136 (Bonn 1922).
G. Furlani, in *Zeitschrift für Semitistik*, V, 238-94 (1927).

وقد لا تكون الإشارات كلّها هي لنفس أندرونيكوس.

(49) انظر المقدّمة المكتوبة للترجمة التي قام بها ونشرها:

E.W. Brooks and J.B. Chabot's translaiton, in *CSCO*, *Scriptores Syri*, Series III, Tomus VII (Paris-Leipzig 1910).

(50) انظر: بَوْمْشتارك، المصدر السابق، (ص 96، هامش 5).

(51) **التاريخ**. ج1، ص80 فما بعد، طبعة غوتولدت (سان بطرسبورغ ـ لايبزيغ 1844-8م). ويقول البِيروني إنه «لمّا مَضَى من تاريخ الإسكندر ألف سَنَة لم يُوافق تمامها حُدوث حادث يجعلونه ابتداءً لتاريخهم فبقوا مُعتصمين بتاريخ الإسكندر ومُستعملين له، وعليه عمل اليونانية وكانوا قبله على ما ذكروه في كتاب نقله حبيب بن بَهْريز مطران المَوْصِل يُؤرّخون بخُروج يونان بن بورس عن بابل إلى المغرب». (**الآثار الباقية**، ص28-29، طبعة سخاو لايبزيغ، 1884-1923م) ويقول ابن النديم: إنّ حبيب بن بَهْريز «فسّر للمأمون عِدّة كُتُب»، وأنه «فسر قاطيغوراس وباري أرميناس». (**الفِهْرِست**، ص341، 348، القاهرة 1348هـ، ص244-248، طبعة فلوجل، ورُبّما كان عبد يَشُوع بن بَهْريز المذكور في **الفِهْرِست**، 35 فما بعد (23 فما بعد في طبعة فلوجل). =

القاضي وَكِيعاً (ت306هـ/ 918م) استعمل كتابَ تاريخٍ لِمَلِك رومي كان قد ترجمه مُترجم مجهول الاسم[52].

إنّ المعلومات الإسلامية عن مُلوك الوثنية والنّصرانية «الرومان»، ترجع إلى المصادر الإغريقية النّصرانية أو السُّريانية. أما معلوماتهم عن تاريخ العهد القديم والجديد ومُلوك آشور وبابل، فترجع أيضاً إلى المصادر المسيحية (ورُبّما إلى المصادر اليهودية في بعض الحالات). وينبغي مُلاحظة أنّ هذه المصادر، حتى لو صرفنا النظر عن مادة التوراة فيها، ليس من الضروري أن تكون دائماً كُتب تاريخ بالمعنى الدقيق، وبذلك نعلم من مُقتطف أورده بالمُصادفة أبو الفِداء[53] من تاريخ أبي عيسى المُنَجِّم، أنّ مصدر أبي عيسى في تحديد تاريخ هيلين وموسى هو كتاب **الردّ على جوليان** الذي ألّفه كيرليا الإسكندراني[54] Cyrillia of Alexandria *Contra Julianum*. وتُشير الأدلّة السابقة كافة إلى أنّ العُلماء المُسلمين توافرت لديهم معرفة عن علم التاريخ الإغريقي السُّرياني، غير أنه لا يعني أنه قد ثبت أنّ المعرفة التي وصلت إلى المُسلمين بهذه الطريقة، قد وصلت مُبكّرة لدرجة تكفي لإلهامهم باستعمال أشكال التاريخ على ترتيب السنين. وهذا نفسه ينطبق، إلى حدٍّ أكبر، على بعض الكُتُب التاريخيَّة المسيحية العربية، التي رُبّما نقلت إلى المُسلمين صُوَر التاريخ الإغريقي ـ السُّرْياني المُرتّب على السنين ومُحتوياته.

إنّ كلّ هذه الكُتُب لدينا عنها معلومات مُؤكّدة، يرجع تاريخها إلى زمن مُتأخّر كثيراً عن الزمن الذي ظهر فيه شكل الترتيب على السنين في الكتابة التاريخيَّة الإسلامية. وهكذا يُنسب إلى حُنَيْن بن إسحاق (ت 260هـ/ 873م) **تاريخ العالم والمبدأ والأنبياء والمُلوك والأُمم والخُلفاء والمُلوك في الإسلام**[55].

= ولعلّ دخول الحَوْليّات اليهودية إلى الأدب العربي تَمّ في زمن هارون الرشيد. انظر أدناه: ص183، هامش 21.

(52) حمزة الأصفهاني، المصدر السابق، ج1، ص70، 76، 79، طبعة غوتولدت.

(53) *Historia Anteislamica*, 152 f. Fleischer (Leipzig 1831).

(54) ج10، ص517ج، Migne.

(55) انظر: ابن أبي أُصَيْبِعة، ج1، ص200، طبعة مولر. لم يَرِد ذكر هذا الكتاب في **الفِهْرِست** ولا في القِفْطي. [يذكر ابن أبي أُصَيْبِعة عن هذا الكتاب «وابتدأ فيه من =

غير أنه ليست لدينا عن هذا الكتاب أية معلومات أُخرى. أما **تاريخ الأطبّاء** لإسحاق بن حُنَيْن (ت298هـ/ 910م)، فهو أساساً تاريخ الطبّ القديم والأشخاص الذين أبدعوه، مع كثير من التفاصيل المُرتّبة زمانياً ولكن دون أن يكون ذا تنظيم حَوْلي[56]. وقد استعمل أحياناً التقويم السلوقي[57]، وكان العُلماء المُسلمون يعرفونه ويذكرونه، إلا أن هذا لم يكن له أيُّ أثر على علم التاريخ الإسلامي. أما قُسْطا بن لُوقا (ت300هـ ـ 912م) وهو مُعاصر لإسحاق، فقد ألّف، في شيخُوخته، كِتاباً عُنوانه **الفِرْدَوْس في التاريخ**، لكنه مفقود أيضاً[58]. أما كتاب سعيد يوتيخيوس بن البِطريق (ت 328هـ/ 940م)، فيستند بعضه إلى المصادر الإسلامية غير أنه يستمدّ إلهامه من علم التاريخ البيزنطي.

ومن المُؤكّد أنّ الترجمة الكاملة الوحيدة في التاريخ القديم، التي نعرف عنها ويبدو أنها قد بقيت، جاءت مُتأخّرة لدرجة لا تكفي لتُؤثّر على علم التاريخ الإسلامي. وهي ترجمة لكتاب *Adversus paganus* الذي ألّفه أُوروسيوس Orosius[59]. وقد أرسل الإمبراطور البيزنطي رومانوس (بالأحرى قسطنطين) نُسخة من هذا الكتاب ونُسخة من كتاب ديوسقوريدس إلى عبد الرحمن الناصر في الأندلس في سَنَة 337هـ/ 948-9م. وقد تُرْجم كتاب أُوروسيوس، لكن ليس حَرْفيّاً، من قِبَل قاضي المسيحيين بالاشتراك مع قاسم بن أَصْبغ وقد زِيدَ عليه كثيرٌ[60]، وقد استُعملت ترجمته من قبل الأندلسي المعاصر ابن جُلْجُل في

= آدم ومن أتى من بعده، وذكر مُلوك بني إسرائيل ومُلوك اليونانيين والروم، وذكر ابتداء الإسلام ومُلوك بني أُميّة ومُلوك بني هاشم إلى الوقت الذي كان فيه حُنَيْن بن إسحاق وهو زمان المُتوكّل على الله». (المترجم)].

(56) انظر روزنتال في *Oriens* (1954م) 55-80، VII ونفسه، في *Bulletin of the History of Medicine*, XXX, 54 f. (1956) و (1961م) *JAOS*, XXXI, 10 f.

(57) انظر: البِيروني: **الرسالة في فِهرِست كُتُب محمد بن زكريا الرَّازي**، ص24 فما بعد طبعة كراوس (باريس 1936م) انظر أيضاً أدناه: ص129-130.

(58) **الفِهرِست**، ص411 (القاهرة 1348هـ، ص295، فلوجل).

(59) لقد وجد ج.ل. ديلا فِيدا مخطُوطة من هذا الكتاب يقوم الآن بطبعها انظر مقالته: *Miscellanea G. Galbiati*, III, 185 - 203 (1951), and *Al-Andalus*, XIX, 257-93 (1954).

(60) ابن جُلْجُل، **أسماء الأدوية المُفردة من كتاب ديوسقوريدس العين زربي**، وقد اقْتُبَس منه =

طبقات الأطباء[61] ومن قِبَل مُؤرّخين مُتأخّرين، خُصُوصاً ابن خلدون وبعده المَقْرِيزي.

ومن المُهمّ لِفهم تطوّر صورة التاريخ المُرتّب على السنين في الإسلام بعد أن استُعمل في السنين الأُولى، أن نُلاحظ أنّ التاريخ المُرتّب على السنين يهتمّ بمَحْض طبيعته وبالدرجة الأُولى بالحقائق المُجرّدة، التي كانت مُدوَّنة في المصادر المُعاصرة أو يعترض نظرياً أو عملياً على كلّ تقدير. ولا يُمكن لأيّ كاتب مُتأخّر أن يُصلحها أو يُحسّنها أو يُوسّعها. لذلك، فإن الكُتب المُرتّبة على السنين اعتُبِرت استمراراً للكُتُب المُرتّبة على السنين التي ألَّفها المُؤرّخون الأولون. لذلك، وجد ابن القِفْطي أنّ من السهل على المرء الحصول على أوثق الأخبار التاريخيَّة من بَدْء الخليقة إلى السَّنة التي كُتِب فيها أي إلى سَنَة 616هـ/1219-20م، «وإذا أردت التاريخ مُتّصلاً جميلاً، فعليك بكتاب أبي جعفر الطَّبَري رضي الله عنه فإنه من أوّل العالم وإلى سَنَة تسع وثلاثمائة، ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن طاهر وولده عُبَيْد الله[62] فَنِعْمَ ما تفعل، لأنهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأتِ به الطَّبَري بمفرده، وهما في الانتهاء قريبا المُدّة، والطَّبَري أزيد منهما قليلاً. ثم يتلو ذلك كتاب ثابت (ابن سِنان بن قُرّة)، فإنه يُداخل الطَّبَري في بعض السنين ويبلغ إلى بعض سَنَة ثلاث وستين وثلاثمائة، فإن قرنت به كتاب الفرغاني الذي ذُيّل به

= ابن أبي أُصَيْبِعة (ج2، ص46-8 مولر). انظر أيضاً:
M. Meyerhof, Die Materia Medica des Dioskurides bei den Arabern, *in Quellen und Studien zur Gesch. der Naturwiss. und der Medizin*, III, 72 ff. (1933).
لمّا كان ابن جُلجُل لا يذكر أُوروسيوس إلا عَرَضاً بالنسبة لكتابه عن ديوسقوريدس، فهو إذن لا يعرف شيئاً عن ترجمة أُوروسيوس. يقول ابن جُلْجُل عند كلامه على كتاب ديوسقوريدس الذي لخّص أعلاه... «وبعث (ملك الروم) معه كتاب أُوروسيوس صاحب القِصَص، وهو تاريخ للروم عجيب فيه أخبار الدُّهور وقِصَص المُلوك الأُوَل وفوائد عظيمة... وأما كتاب أُوروسيوس، فعندك في بلدك من اللطينين من يقرأه باللسان اللطيني وإن كشفتهم عنه نقلوه لك عن اللطيني إلى اللسان العربي».

(61) **طبقات الأطباء**، 2، 12، F. Sayyid 36 (طبعة القاهرة 1955م).

(62) انظر أدناه: ص188، ص206 فما بعد.

كتاب الطَّبَري[63]، فَنِعْمَ الفعل تفعله، فإن في كتاب الفَرْغَاني بَسْطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن، ثُمّ كتاب هلال بن المُحَسِّن بن إبراهيم الصَّابئ الذي يتفق وكتابَ خاله ثابت ويُتمِّمه إلى سَنَة سبع وأربعين وأربعمائة، ولم يتعرّض أحد في مُدّته إلى ما تعرّض له من إحكام الأُمور والاطّلاع على أسرار الدُّوَل، وذلك أنه أخذ عن جَدّه الذي كان كاتب الإنشاء ومُطَّلِعاً على الوقائع[64]، وتولّى هو الإنشاء أيضاً فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه، ثُمّ يتلوه كتاب ولده غِرْس النِّعمة محمد بن هِلال، وهو كتاب حَسَنٌ إلى ما بعد سَنَة سبعين وأربعمائة بقليل، وقَصَّر في آخر الكتاب لمانع منعه (والله أعلم به). ثم اتّفق عمل ابن الهَمَذاني وعمل غِرْس النعمة، فأتمّه الهَمَذاني إلى سَنَة اثنتي عشرة وخمسمائة، وكَمَّلَ عليه أبو الحسن بن الزّاغُوني[65]، فأتى بما لا يَشفي الغليل إذ لم يكن

(63) نقل ياقوت في كتابه **إرشاد الأريب**، كثيراً جداً من **الصّلة** لعبدالله بن أحمد بن جعفر الفَرْغاني، عند كلامه عن حياة الطَّبَري. انظر أيضاً المراكشي: **المُعجِب**، ص323، طبع دوزي (ليدن 1847م، 1881م)، ابن خَلّكان، ج2، ص528، ج3، ص222 من ترجمة دي سلان، و:

C. Cahen, *La Chronique abrégée d'al-'Aẓîmî, in J, A*, CCXXX, 355 (1938).

ولعل كتابه قد استعمله المُؤلّفون المُتأخّرون كثيراً، وإن لم يذكروا اسمه كثيراً. ولا الفَرْغاني سَنَة 282هـ/ 895م (انظر: ص20 من مُقدّمة طبعة تاريخ الطَّبَري) وتُوفّي سَنَة 362هـ/ 972-3م (على ما يقول الصَّفدي والذَّهبي) انظر:

R. Guest, in *A Volume of Oriental Studies presented to E.G. Browne*, 173, Cambridge 1922.

أما ابنه أحمد الذي وصل تاريخ أبيه، فقد عاش من سَنَة 327هـ/ 939م إلى سَنَة 398هـ/ 1007م (ياقوت: **إرشاد**، ج3، ص105 فما بعد القاهرة، ج1، ص161 فما بعد مارغليوت) الصَّفدي: **الوافي**، مخطوطة البودليان Or. Seld. Arch. A. 21 fol. 48G. انظر: ابن كثير، ج1، ص244.

(64) من الواضح أنه يجب أن يُفهم النص بهذا الشكل.

(65) عليّ بن عُبَيْد الله بن نصر أبو الحسن الزَّاغُوني تُوفّي سَنَة (455-527هـ/ 1063-1132م) انظر: ابن الجَوزي: **المُنتَظَم**، ج10، ص32 (حيدرآباد 1357-58هـ)؛ ابن رَجَب، **ذيل طبقات الحنابلة**، I، 216-20 (دمشق 1370هـ/ 1951م)؛ ابن الفُوطي، **تلخيص مَجْمَع الادب**، الجُزء الرابع، I، 534 (دمشق 1962م). انظر أيضاً ياقوت: **معجم البلدان**، ج2، ص907 فما بعد وستنفلد مادة زاغُونى. وقد نقل من كتابه ابن النجّار: **ذيل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، رقم 2131، ص20ب (حياة عليّ بن محمد بن محمد) إلخ.

ذلك من صِناعته، فأوصله إلى سَنَة سبع وعشرين، ثم كَمَّل عليه العفيف (؟) صَدَقة الحدَّاد[66] إلى سَنَة 570 وشيء، ثم كَمَّلَ ابن الجَوزي كتاب صَدَقة ووصله إلى سَنَة ثمانين[67]، ثم كمّل عليه ابن القادسي[68] إلى سَنَة ست عشر وستمائة»[69].

لقد قَدَّم القِفْطِي صورة دقيقة للوضع السائد، فقد كانت الكُتُب المُرتَّبة على السنين تُؤلَّف تَكْملة واستمراراً لسابقاتها. ولم تكن هُناك حاجة كبيرة لأن يُكتب كتابان مُرَتَّبان على السِّنين في الوقت نفسه وفي المنطقة نفسها. وكان القسم المُهمّ في التاريخ المكتوب على السِّنين، هو القسم المُعاصر الذي قد يكون مُفصَّلاً جداً.

والمادّة الخام له رُبّما كانت غالباً من دفتر يوميّات يحتفظ به المؤلِّف. مثال قيّم على هذا كان محفوظاً من قلم المُؤلِّف الحنبلي، من القرن الحادي عشر (م)، أبي علي بن البنّاء (396-471هـ/ 1005-1078م). ولا نعرف ما إذا كانت

---

(66) صَدَقة بن الحُسَيْن 477 أو 479-573هـ/ 1086(87)-1177م. انظر ابن الجَوزي الآنف الذكر ج10، ص276 ـ 8) وقد أشار إلى تاريخه الصَّفدي، **الوافي**، مخطوطة البودليان، رقم: Or. Seld Arch A24 ص67أ؛ وابن كثير: **البداية**، ج12، ص298، ولعلّه كان يُتابع ابن السَّاعي، كما نقل عنه ياقوت، **إرشاد**. انظر:
G. Bergsträsser in *Zeitschrift für Semitistik*, II, 204 (1924).
وكذلك ابن النجّار: **ذيل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، رقم Or 2131، ص137ب (حياة المُستَرشِد). أما العفيف فلا يُمكن أن يكون عفيف الدِّين لأن صَدَقة لم تكن له هذه الكُنية، وإنّ القِفْطِي لا يُمكن أن يستعمل هذا الشكل المُختصر، غير أنّ الصفة «modest» وأمثالها تبدو أيضاً غريبة.

(67) تقف الطبعة عند سَنَة 574هـ.

(68) محمد بن أحمد تُوفي سَنَة 632هـ/ 1235م انظر:
C. Cahen, *La Syrie du Nord*, 71 (Paris 1940).
أما أبوه أحمد بن محمد، فقد تُوفّي سَنَة 621هـ/ 1224م انظر: ابن كثير، المرجع السابق، ص13، ص104. أما كتاب ابن القادسي فقد نقل عنه أبو شامة في **الرَّوضتين**، ج1، ص286 فما بعد، 314 فما بعد، 395؛ ج2، ص94، 96، 103.
Recueil des Historiens des Croisades, Historians or., 4-5 (Paris 1896 - 1906).
وكذلك ابن خَلّكان، ج1، ص302، 305، ج4، ص114، 125 ترجمة دي سلان.

(69) القِفْطي، ص110 فما بعد لبِرت - مولر. وقد اقْتَبَس دي سلان هذا النص في ترجمته لابن خَلّكان، ج1، ص290.

هذه اليوميّات يُراد بها أن تُستعمل لكتاب مُوسّع فيما بعد؛ ومن المُمكن أنها لم تكن محفوظة لتُنشر في أيّ شكل. وفي كلّ الاحوال، فإنها تُظهر كيفية كتابة تاريخ معاصر في شكل حَوْليّات، مع كثير من المُؤرّخين العِظام الأمر الذي أدّى، بشكل حتميّ، إلى كثير من الأخطاء الصغيرة في المُؤلَّف الناجز. ولقد صار العَرْض التاريخي، وخاصة في تواريخ القرنين الرابع عشر والخامس عشر يُجَزَّأ إلى الأشهر والأيام بانتظام كبير، غير أنّ كُتّاب الحَوْليّات الأوائل لم يكونوا مُتمكّنين دائماً من هذه الطريقة[70].

ثُمّ إنّ الحقائق المنقولة كانت تُؤخذ على عِلّاتها. وقد استعار المُؤرّخون من علم الحديث تعبير «جازَفَ» واستعملوه اصطلاحاً لإنكار التوسُّع الذي لا أساس له والإضافات المُقْحَمة والاختلاق الكاذب[71]. أما نحن، فنرى أنّ استعمال هذا الاصطلاح قد يدلّ أحياناً على شيء من الإبداع في المُعالجة. غير أنّ هذا غير مُؤكّد. فعندما نقرأ عن نور الدين عليّ بن داود بن الصَّيْرَفي الجوهري (ت 900هـ/ 1495م) وهو مُؤلِّف مُتأخِّر أثارت جُهوده التاريخيَّة من حيث العُموم سُخرية مُعاصريه، أنه «كتب تاريخه مُجازفة، غير مُستند إلى مصدر ذكر الأخبار أو رُواتها»، فإننا نودّ لو نعرف فيما إذا كنا هنا ندرس مُؤلِّفاً كانت له وِجْهة نظر مُستقلّة تجاه المصادر التاريخيَّة.

---

(70) يرى عبد الجليل:
J.M. Abd-el Jalil, *Brève histoire de la Littérature arabe, 126* (3rd ed., Paris 1946).
أنّ التاريخ بحَسَب السَّنة والشهر واليوم، كان يُكتب منذ القرن الثامن مُبتدئاً بالهَيْثَم بن عَدِيّ، فهل يُعتبر هذا سُوء فهم لما قاله مارغليوت في ص17 من كتابه:
Lectures on Arabic Historians, 17 (Calcutta 1930)?
أما عن تاريخ مصر من يوم إلى يوم، الذي رُبّما كان مأخوذاً من اليوميات فانظر: ابن خَلّكان، ج2، ص318، ترجمة دي سلان. انظر أيضاً البَيْهَقي: **تاريخ بَيْهَق**، ص175 (طهران، 1317هـ) عن تاريخ أبي الفضل البَيْهَقي (Storey, II, 2, 252ff)؛ M. Minovi، في B. Lewis و P.M.Holt, *Historians of the Middle East*, 138-40).

(71) كثيراً ما تَحْدُث عند السَّخاوي: **الإعلان**، لكن انظر أيضاً ابن الجَوزي، **المُنْتَظَم**، ج9، ص42 (حيدرآباد، 1357-8هـ)، حكى هِبة الله بن المبارك السَّقَطي أنّ غِرْس النعمة «كان يُجازف في تاريخه ويذكر ما ليس بصحيح».

ويجوز أنّ هذا المُؤلِّف كان يتمتع بشيء من الأصالة الفكرية استناداً إلى البيتين التاليين اللذين طُبِّقا عليه:

يا من تقول بأن في التاريخ كُتَباً كاملَهْ

لك بالأباعر نسبةٌ لم تدرِ ما هي حاملَهْ[72]

غير أننا قد تُصيبنا خيبة أمل كُبْرى ممّا نعرفه من إنتاجه. ومن حيث العُموم، فإن كلّ الإضافات مُتعدّدة الجوانب من الصُّوَر الأُخرى للعَرْض التاريخي من العلوم الأُخرى غير التاريخ، التي أدّت إلى صُنع كُتُب الحَوْليات الإسلامية، لم تستطع تبديل الصفات الموروثة من صورة الترتيب على السنين. لقد ظلَّت الأداة التي جعلت الكتابة التاريخيَّة سهلة كطريقة من طُرُق التعبير عن الحقائق التاريخيَّة بقدر ما جعلتها صعبة كشكل من أشكال التعبير عن الآمال الفنّية أو الفكرية.

وكثيراً ما شعر الأَفْرادُ في العصور المُتأخّرة بالحاجة إلى ترتيب إضافي للمادة المُطَّردة في الازدياد، في وحدات زمنية أوسع. وقد أدخل الذَّهبي في كتابه **تاريخ الإسلام** تقسيماً فرعياً تَبَعاً للعُقود «من السَّنة الأُولى إلى السَّنة العاشرة الهجرية وهكذا»، وقد طبّق هذا التقسيم دائماً في كلّ أجزاء الكتاب. غير أنّ أُصول هذا التقسيم لم تُستمدّ من التاريخ الحَوْلي، بل من تاريخ السِّيَر المُتأثّرة بالثيولوجيا. وكان ابن الجَوزي قد كتب مثل الذَّهبي كتاباً عن عصور الرجال المعروفين رتّب فيه من تُوُفُّوا في العقد الثاني أو الثالث... إلخ. من حياتهم بمجموعات ودرس كلّ مجموعة على انفراد[73]. إنّ ما يَدِين به الذَّهبي للتراجم لا يتجلّى فقط بالمكانة الخاصة لتراجم الوَفَيات في داخل ترتيب العقود، بل يتجلّى أكثر بالتعبير الذي يستعمله للعقد «طبقة»، وبذلك يربط تقسيمه على العقود بأدب الطبقات.

ثُمّ إنّ أُصول التقسيم بحسب القُرون ترجع إلى كُتُب التراجم أيضاً، وقد

---

(72) انظر ابن إياس: **بدائع**، ج2، ص288 (بولاق 1311هـ/ 1893-94م).

(73) انظر بروكلمان: *GAL*، **الملحق**، ج1، ص916 رقم 10c.

طُبِّق تقسيم المادة إلى قُرون على مجموعات التراجم، وهي مُرتّبة عادة على الحُرُوف الأبجدية ومُرتّبة أيضاً على السنين، كما نجدها عند ابن العَيْدَرُوس(74). ومن النادر جداً أن يُعتبر القَرْن عُنصراً مفروضاً على التقسيم الزمني في أيّ تاريخ مُرتَّب على السنين لا يقتصر على التراجم، ومن هذه الأحوال النادرة كتاب **زُبْدة الفكرة** لِبَيْبَرس المَنْصُوري(75).

وممّا يُؤيد أنّ أصلها مُستمدّ من كُتُب التراجم هو استعمالها أحياناً كلمة «قَرْن» في عنوانها.

و«القَرْن» ليس وحدة عددية مُطلقة مثل «مئة»، بل كانت دائماً مُرتبطة بطُول عُمر الأفراد أو الجماعات، بل حتى في فترة مُتأخّرة كالقرن الخامس عشر، نجد مُؤلِّفاً كالمَقْرِيزي يحذف القَرْن من مُختلف تقديرات الزمن التي تُنْسَب إلى «قرن»(76). وهُناك شيء من الصِّلة بين مثل هذا النوع من التواريخ المُرتّبة على

---

(74) الذي ذكر بعض الأحداث.

(75) لقد رجعت إلى **الملخَّص**، مخطوطة البودليان Or. Pocock 324 (Uri 704) وهي تحوي أحداث السنين بين 559-774هـ، ومخطوطة غير كاملة رقم Or. Hunt 198 (Uri 711) وهي تتعلّق بالقرن الثالث.

(76) **الخبر عن البشر**، مُصوّر القاهرة، تاريخ رقم 947، ص123؛ «والقَرْن: الأُمّة تأتي بعد الأمّة، قيل مُدّته عشر سنين، وقيل عشرون سَنَة، وقيل ثلاثون، وقيل ستون، وقيل سبعون. ويُمكن تحديده مع شيء من التجوُّز بمقدار المتوسط في أعمار أهل الزمان، فالقَرْن في قوم نُوح على مِقدار أعمارهم، وفي قوم موسى وعيسى وعاد وثمُود بمِقدار أعمارهم أيضاً، وفلان على قَرْن فلان أي سنّه وقدّه، وهو قَرْنه أي لدنه. والقَرْن يُقال إنه أربعون سَنَة، قاله ابن سِيدَه، وفي الصِّحاح (ج2، ص400 بولاق، 1292هـ) القَرْن ثمانون سَنَة وقيل القَرْن ثلاثون سَنَة، والقَرْن مثلك في السنّ، تقول: هو على قَرْني أي على سِنّي، والقَرْن من الناس أهل زمان واحد.

أما لسان العرب، ج12، ص211 فما بعد (بولاق 1300-8هـ)، فهو يذكر النص السابق (إلى... أهل الزمان)، ثم يُضيف «وفي النهاية أهل كلّ زمان مأخوذ من الاقتران، فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم». وفي الحديث أنّ رجلاً أتاه فقال علّمني دُعاءً، ثم أتاه عند قَرْن الحَوْل أي عند آخر الحَوْل الأول وأول الثاني. والقَرْن في قوم نوح على مقدار أعمارهم، وقيل القرن أربعون سَنَة بدليل قول الجَعْدي:

ثلاثة أهلين أفنيتهم　　　وكان الإلٰه هو المستاسا =

السنين، تتجلّى في أنّ المُؤرّخين كانوا يكتبون تَكْملات تتجاوز حدَّ نهاية القَرْن. ويبدو أنّ هذه هي الحالة التي كان فيها البِرْزالي وابن حَجَر الذي كتب تَكْملة لـ **الدُّرر الكامنة** رُتِّبت فيها التراجم تَبَعاً لِسِنِيّ وفاة الأشخاص(77).

وقد تمَّ تبلور تقسيم التاريخ على القُرون في أواخر القرن الثالث عشر،

= وقال هذا وهو ابن مائة وعشرين سَنَة، وقيل القَرْن مائة سَنَة وجمعه قُرون، وفي الحديث أنّ الرسول (ﷺ) مسح رأس غلام، وقال: «عِشْ قَرْناً» فعاش مائة سَنَة، والقَرْن من الناس أهل زمان واحد. قال الشاعر:

إذا ذهب القَرْن الذي أنت فيهم وخُلِّفْتَ في قَرْن فأنت غريبُ

وقال ابن الأعرابي: القَرْن الوقت من الزمان يُقال هو أربعون سَنَة، وقالوا: هو ثمانون سَنَة، وقالوا: مائة سَنَة. قال أبو العباس: وهو الاختيار لما تقدّم من الحديث. وفي التنزيل العزيز: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾، قال أبو إسحاق القَرْن ثمانون سَنَة. وقيل سبعون سَنَة. وقيل هو مُطلق من الزمان وهو مصدر قَرَن يقرن. قال الأزهري: والذي يقع عندي والله أعلم أن القَرْن أهل كلّ مُدّة كان فيها نبيٌّ أو كان فيها طبقة من أهل العلم قلَّت السنون أو كَثُرت، والدليل على هذا قول النبيِّ ﷺ: «خيركم قَرْني، يعني أصحابي، ثم الذين يَلُونهم، يعني التابعين، ثم الذين يلونهم، يعني الذين أخذوا عن التابعين»، قال وجائز أن يكون القَرْن لحملة الأُمّة وهؤلاء قُرون منها، وإنما اشتقاق القَرْن من الاقتران».

(انظر: البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص323 حيدرآباد، 1360هـ فما بعد) وقد أقرّ هذا الحديث أيضاً المَرْزُوقي: **الأزمنة والأمكنة**، ج1، ص238 (حيدرآباد 1332هـ) وأخذه دليلاً على أنّ القَرْن مائة سَنَة، غير أنّ المَرْزُوقي أيضاً ينقل حديثاً آخر مشهوراً (انظر السَّخاوي: **الإعلان**، ص42 أدناه) دليلاً على أنّ القَرْن ثلاثون أو أربعون سَنَة.

أما «لسان العرب»، فيُشير إلى الحديث نفسه دليلاً على عدم تحديد طول مُدّة القَرْن.

ولم يشكَّ البعض منذ زمن ابن سعد (**طبقات**، ج1، قسم 1، ص126، طبع سخاو) أنّ القَرْن هو مائة سَنَة.

أما المُؤلّفون من زمن ابن كثير (**البداية**، ج1، ص101)، فكانوا يعتبرون بصورة طبيعية أنّ القَرْن هو مائة سَنَة عادة، لكن ليس حتماً.

إنّ الاشتقاقات الحقيقية لهذه التعريفات غير مُؤكَّدة أو قاطعة، فكلمة قَرْن مُشتقّة من قَرْن الحيوان أو قوة (الفرد أو الجماعة) رُبّما تكون قد تطوَّرت لتعني «مُدّة قوة الفرد أو الجماعة» أي: «جِيل» أو ما يُشبه ذلك من الزمن.

(77) مخطوطة: القاهرة، تاريخ 4767، وقد وقف ابن حَجَر عند سَنَة 832هـ/ 1428-9م. أما **مُختصر المائة السابعة** للبِرْزالي، فتشمل من سَنَة 601 إلى سَنَة 736هـ (بروكلمان، ج2، ص36) فهل إنّ العنوان إضافة مُتأخّرة؟

حيث نجد أنّ كلمة «قَرْن» تظهر لأول مرة في ذلك الزمن على عُنوان كتاب هو كتاب الفُوطي **الدُرَر الناصعة من شعراء المائة السابعة** وكتابه **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**[78]. أما **تاريخ بَجَاية** للغُبْرِيني، فهو فيما ذكر ابن الخطيب عن عُنوانه في **الإحاطة**[79] مقصور على القَرْن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). وقد استمرّ هذا التقليد الذي أُدخل بهذا الشكل، فلدينا من القُرون الأربعة التالية كتاب ابن حَجَر: **الدُرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، والسَّخاوي: **الضَّوء اللاّمع في رجال القرن التاسع**، وابن العَيْدَرُوس: **النور السافر في أخبار القرن العاشر**، والمُحِبِّي: **نُخبة الزمن في أعيان القرن الحادي عشر**[80].

3 ـ الصُّوَر الثانوية لتدوين الفترات التاريخيَّة

أ ـ تاريـخ الـدُّوَل:

ليس في الإسلام تاريخ مُرتَّب على السنين خالٍ تماماً من مبدأ مُتَّسق في الترتيب، كحُكم الخُلفاء والسلاطين، يُضاف إلى ذلك أنه يُخصّص عادة ترجمة خاصّة لحاكم مُعيَّن، إما في السَّنة التي تولّى فيها الحكم أو في سَنَة وفاته. وتُؤكِّد هذه التراجم على الصفات الخُلُقية والمعنوية (أو انعدام هذه الصفات) لذلك الحاكم، وكثيراً ما تُعطي وَصْفاً لمظاهره الجسمية[81]، كما تذكر أيضاً قائمة بأولاده ونسائه ومُوظّفيه وبعض المعلومات الإحصائية (كأسماء أُمراء الحج

---

(78) انظر: (بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص202). أما عما قاله **الغُرّة الطالعة** لابن سَعِيدَ عن شعراء القرن السابع، فانظر بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص577. غير أنّ السيوطي استعمل في مقدّمة **البُغية** كتاب **البدور السافرة في أدباء المائة السادسة** لمُؤلّف مجهول.

(79) ج1، ص5 فما بعد (القاهرة 1319هـ) انظر بروكلمان: ج2، ص239.

(80) لقد كانت هذه الكُتُب عملياً تفضّل شخصيات منطقة واحدة مُعيَّنة. أما في القرن العاشر/ السادس عشر، فقد أصبحت التقييدات الإقليمية رسمية وظّلت كذلك منذ ذلك الحين. عن مجموعات تراجم أهل المغرب، انظر: بروكلمان ج2، ص678، ج2، ص681 فما بعد من الأصل (الطبعة الجديدة، ج2، ص605). انظر أيضاً: ج2، ص683. أما تاريخ شخصيات القرن الحادي عشر فقد بدأها محمد الطيِّب الفاسي، انظر:
E. Levi - Provençal, *Les Historiens des Chorfa*, 284 (Paris 1922).

(81) لدينا عن هذا الموضوع رسالة ترجع إلى زمن المأمون، وعنوانها **كتاب صفة الخُلفاء** اقْتَبَس منها الخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، ج10، ص391 (إنّ نص الخطيب =

في عهد خلافته). وتبدو الأهميّة التي تُعطى للمعلومات الإدارية من أنها تكوّن تقريباً جميع مُحتويات القسم الخاص بكلّ خليفة إذا أراد المُؤلّف أن يكون مُوجِزاً كما ذَكَر القُضاعي مثلاً في **عيون المعارف**[82].

وفي **المُقْتَبس** لابن حَيّان، وهو أندلسي مُعاصر للقُضاعي، قوائم بأسماء المُوظّفين والعُلماء والشعراء وأعداء الحاكم، وهذه القوائم تَسْبِقُ ذكر المعلومات المتعلّقة بأحداث عهد ذلك الحاكم[83].

إنّ أقدم الكُتُب التاريخيَّة الباقية (وهي عادة تواريخ دُول متعدِّدة وترجع إلى العُهود المُتأخّرة بعد زوال السلطة المركزية في الإسلام)، قد اتخذت عُهود حُكم الحُكّام مبدأً فريداً في الترتيب ولم يكن لها تقسيمٌ حَوْلِيٌّ دقيق. وربما كان الأمر كذلك مع ابن إسحاق في كتابه **تاريخ الخُلفاء** الذي لا نملك إلا القليل من المعلومات عنه بشأنه حتى الآن[84]. ومن الأمثلة الجيدة على هذا **تاريخ اليعقوبي** الذي كانت له أيضاً خاصّية الإشارات إلى الأبراج الفلكية التي كانت سائدة في بداية كلّ حُكْم. وقد يستطيع المرء مُقارنة **الأخبار الطِّوال** للدِّينَوَري وهو مُعاصر لليعقوبي، كما أنّ **أنساب الأشراف** للبلاذُري أُنشئ على هيكل تواريخ الخُلفاء.

يُمكن أن يكون هُناك شيء من الشكّ في أنّ التواريخ القديمة للدولتين الأُموية والعبّاسية اتّبعت الترتيب نفسه، فالنتيجة الطبيعية هي الابتداء ببحث الحُكّام الأقدمين ثم الانتقال منهم إلى بحث الحُكّام المُتأخّرين. وقد ساد هذا

= هو رِواية عن... «صالح بن الوجيه قال: قرأت في كتاب **صفة الخُلفاء** في خزانة المأمون»، وهذا لا يعني أنّ الكتاب أُلّف في زمن المأمون. المُترجم). أما عن حُدوثها في سيرة الرسول وكذلك في الكُتُب الإغريقية، فراجع:
F. Rosenthal, *Arabische Nachrichten über Zenon den Eleaten*, in *Orientalia* N.S., 38 (1937).

(82) لقد عدَّد القُضاعي أولاد الخُلفاء وكُتّابهم (أو وُزراءهم) وقُضاتهم، وحُجّابهم وحُكّام الأقاليم.

(83) انظر طبعة القسم الثالث من الكتاب قام بها:
M.M. Antuña (Paris 1937), *Textes ar. relatifs à l'histoire de l'Occident musulman*, 3).

(84) انظر: N. Abbott, *Studies in Arabic Literary Papyri*, I, 80 ff (Chicago 1957); M.J. Kister, in *Journal of Semitic Studies*, IX, 320-26, 1964.

التسلسل في كتابة التاريخ، ولم يشذّ عنه إلا سِنان بن ثابت الذي ألّف «تاريخاً» استفتحه بأبحاث في الأخلاق والسياسة «... ووصل ذلك بأخبار المُعتضد بالله وذكر صُحبته إياه وأيامه السالفة معه، ثم ترقّى إلى خليفة خليفة في التصنيف، مُضادّة لرسم الأخبار والتواريخ وخُروجاً عن جُملة أهل التأليف»[85].

إنّ نظام عَرْض المادة التاريخيَّة تَبَعاً للحُكّام قديم جداً وواسع الانتشار، وهو معروف في التاريخ الشرقي القديم والتاريخ الإغريقي ـ البيزنطي. وقد تميّز بصورته الإسلامية في الاهتمام الخاص في المسائل الأخلاقية والإدارية. وقد يكون هذا من مظاهر أثر التاريخ القومي الفارسي الذي كان يستعمل أيضاً تقسيم التاريخ حسب حُكم الحُكّام، لأن المُؤرِّخين الفُرْس كانوا يَرْون أخلاق الحاكم والإدارة السياسية أهم عناصر التاريخ. نعمْ، إنّ سيرة الرسول تحتوي على مثل هذه المادة وبهذه الصورة نفسها، لكن هذا لا يمنع احتمال وجود أثر فارسي قد يرجع إلى عصر الرسول[86]، ثُمّ إنّ تقسيم التاريخ بحَسَب الدُّوَل ربّما عرفه المُسلمون أيضاً نتيجة لاتصالهم القديم بالتاريخ الفارسي. ومع هذا، فيجدر أن نتذكّر أنّ كُلّ من خَبَرَ الفكرة العربية البدوية القديمة عن التنظيم السياسي واطّلع على تاريخ الإسلام الأول، السياسي ـ الديني، لا بدَّ أن يرى المنابع العامة لجميع الأحداث التاريخيَّة في التقسيمات القائمة على أساس الدُّوَل.

قد تُعطينا كلمة «دولة» في العربية بعض الدليل، وقد يكون من الطريف أن تُقرّر متى استُعملت لأول مرة بهذا المعنى في الأدب العربي[87]؟ فمعناها الأصلي «التداوُل أو التنقُّل أو التبدُّل»، ثُمّ اتّصلت في الإسلام بنظرية تنقُّل وتداوُل السلطة السياسية في زمن مُبكّر منذ عهد الكِنْدي[88]. وكمزيج من الآمال

(85) انظر: المسعودي، **مروج**، ج1، ص19، طبعة باريس، ج1، ص7 (القاهرة 1346هـ). وقد أشار إليها السَّخاوي، **الإعلان**، ص157.

(86) انظر أعلاه: ص42 وما يتبع.

(87) أي: إنه فيما إذا كان إثبات حُدوثها في القرن الثامن أم قبله.

(88) انظر: الكِنْدي **رسالة في مُلك العرب**، طبعها:
O. Loth, in *Morgenländishce Forschungen* (Leipzig 1875, Festschrift H. L., Fleischer).

القومية الفارسية والآمال الشيعية، يُمكننا أن نُرجع الفكرة إلى فترة أقدم، وحقيقةُ كون كلمة (دولة) التي تُعبّر عن هذه الآمال أصبحت تُستعمل بمعنى الأُسرة الحاكمة دليلٌ على وجود الأثر الفارسي في تاريخ الإسلام المُقسَّم بحَسَب الأُسَر.

لقد كان للمُؤلّفين المُسلمين بعض الأفكار عن أصل تأريخ الأُسرة، غير أنّ هذه الأفكار لا تُعِين كثيراً. وإنّ أوّل من ألّف في الدَّولة ـ الدَّولة العباسية ـ وأخبارها[89]، هو محمد بن صالح بن مِهران النَّطّاح الذي تُوفّي بعد 120 سَنَة قمرية من تأسيس هذه الدَّولة. غير أنه ذكر لنا أنّ ابن النصري كان قد ألّف آنذاك **كتاب الدولة**[90]، الذي كان مصدراً لكتاب ابن النَّطّاح. ولعلّ هذا الأخير قام بإصلاح الكتاب غير المُتداول ونشره لمصلحة ابن النصري. يُضاف إلى ذلك أننا نتردّد دائماً في تصديق مزاعم من يدّعي أنّ الكتاب الفُلاني هو أقدم ما أُلّف من نوعه. وفي مثل هذه الحالة الخاصة علينا أن نبحث عن كُتُب أقدم من هذا النوع عن الدولة الأُموية، والواقع أنّ **الفِهْرِست**[91] يذكر أنّ عَوانة بن الحَكَم الكلبي ألّف **كتاب سيرة معاوية وبني أُميّة**. وعَوانة هذا هو شيخ المُؤرخَيْن الهَيْثَم بن عَدِيّ والمَدائني، وتُوفّي في أواسط القرن الثاني الهجري (حوالى سَنَة 767م)[92]، ولعلّ كتابه **تاريخ الدولة الأُموية** قد يُقارنَ بالكُتُب المُتأخّرة عن التاريخ المُرتّب على الدُّوَل[93].

---

(89) المسعودي: مروج، ج1، ص12، طبعة باريس، ج1، ص5، طبعة القاهرة، 1346هـ، وفيه هذه المعلومات بالإضافة إلى تلك التي في **الفِهرِست**، ص156 (القاهرة 1348هـ، ص107، طبعة فلوجل).

(90) **الفِهرست**، ص158 (القاهرة 1348هـ، ص108، طبعة فلوجل). انظر: G.L. Levi Della Vida, *Les Livres des Chevaux* XXXIV (Leiden 1928, Publications de la fondation «De Goeje», 8).

(91) **الفِهرست**، ص134 (القاهرة 1348هـ، ص91، طبعة فلوجل).

(92) يذكر أبو عبيدة في كتاب **المثالب** أنّ عَوانة كان والده عبداً خياطاً، انظر: ياقوت، **إرشاد**، ج16، ص134 (القاهرة، ج6، ص91، طبعة مارغليوت) غير أنه ليس في هذا القول ما يلزم ربط عَوانة بالمَدَنية الفارسية أو البيزنطية.

(93) نجد في أقدم الكُتُب التاريخيَّة الباقية لنا (كالأنساب للبلاذُري) أنّ أمثال عَوانة وأبي مِخْنَف كثيراً ما يذكرون أنهم رُواة بالسَّماع والمُشافهة للمعلومات التاريخيَّة عن =

إنّ ترتيب التاريخ الإسلامي بحَسَب الدُّوَل يُوازيه ما قام به المُؤرّخون المُسلمون من عرض تاريخ ما قبل الإسلام بشكل أُمم ودُوَل. غير أنّ مُعالجة تاريخ ما قبل الإسلام كانت، من حيث العُموم، تُواجهها مُشكلة فنّية وهي أنّ المُسلمين لم يخترعوا قطّ نظاماً لحساب الزمن لفترة ما قبل الإسلام كنظام التاريخ الميلادي، الذي أصبح ثابت الأركان في الحَوْليّات الغربية، غير أنه حتى هذا التاريخ لم يثبت عند العرب إلا في أزمنة حديثة جداً[94].

وقد وُصفت أحياناً بعض الأحداث في حياة الرسول على أنها حدثت في كذا وكذا من السنين قبل الهجرة. أما العصور الأُخرى، كخَلْق الدُّنيا أو العصر السلوقي، فكُلّ الإشارات إليها تأتي عَرَضية في الآداب الإسلامية، وقد دخلت من المصادر الأُخرى التي هي إما كُتُب مسيحية[95]، أو كُتُب عن التقويم، كمُؤلّفات البيروني الذي استعمل التواريخ السلوقية مُتابعاً في ذلك عادة الفلكيين. ونجد الأثر المسيحي واضحاً في كُلّ مُحاولة لوجدان صِلة بين التقويم الهجري وأزمنة ما قبل الإسلام كمحاولة تحديد زمن حياة جالينوس مثلاً. (لقد قَدَّم تاريخ ما قبل الإسلام للمُؤرّخين المُسلمين مشكلة أعْمق، فهم يَرَوْن أنّ الحدّ الفاصل في تاريخ العالم هو مجيء الرسول، لذلك كانوا يَرَوْن أنّ كُلّ ما سبقه من تاريخ، وكذلك تاريخ الشعوب غير المُسلمة، هو قِصّة أغلاط قد تخدم الغَرَض

= التاريخ الأُموي. غير أنّ أُسلوب البلاذُري في البحث، منعه لسُوء الحظ من أن يُخبرنا فيما إذا كان قد وجد هذه المادة في كُتُب دوّنها هؤلاء الرجال.

(94) F.K. Ginzel, *Handbuch der mathematischen und technischen Chronologie*, III, 182 (Leipzig 1906-14).

وهو يقول: إنّ عصور قبل الميلاد أُدخلت في التدوين التاريخي منذ آخر القرن الثامن عشر، غير أنّ المرء قد يأمل أن يجد نماذج أقدم من هذا أحياناً، وبالرَّغْم من التقليد الكلاسيكي والحسابات السلبية غير المألوفة التي عملت ضد أخذها. ومع هذا، فإن سكاليجر العظيم استطاع فيما يظهر أن يحصل على إشارتين عَرَضيتين جداً تُؤرّخ «قبل المسيح» وسجّلهما في كتابه *Opus de emendation temporum*, 22.

وذكر بصورة غير مباشرة 446 (جنيف 1629م).

(95) انظر أعلاه: ص77، وحمزة الأصفهاني: **تاريخ** ج1، ص76، طبعة غوتولدت (سان بطرسبورغ - لايبزيغ 1844-8م).

العام للتاريخ، أي إنّ تعليمها يقتصر على السلبية فقط[96]. ويبدو أنّ هذا هو السبب الرئيس في بقاء المعلومات عن تاريخ ما قبل الإسلام والأُمم غير المُسلمة، قليلة نسبياً في التاريخ الإسلامي، وفي عدم اندماجها تماماً مع المعلومات المُتعلّقة بالإسلام، فالبِيْروني وحده عندما كان يُفكّر في الكمّية الكبيرة من الأخبار التاريخيَّة الباقية في الآداب الأُخرى، كان مُحقّاً في قوله: «وعُمر الإنسان لا يَفِي بعلم أخبار أُمّة واحدة من الأُمم الكثيرة علماً ثاقباً، فكيف يَفِي بعلم أخبارها جميعاً وهذا غير مُمكن»[97]. والواقع أنه لم يكن من الصعب الحُصول على المعلومات التي تحتويها التواريخ الإسلامية عن الأُمم الأجنبية كافّة.

تَقَبّلَ التاريخ الإسلامي منذ بدايته تاريخ ما قبل الإسلام. فقد ألحق بسيرة الرسول تاريخ الجزيرة القديم واليمن، والتاريخ اليهودي والمسيحي منذ بدء الخليقة، غير أنّ هذا الموضوع لم تكن معلوماته تبحث دائماً عن مصادرها الصحيحة، فأدقّ الأخبار عن تاريخ اليهود والنّصارى (بمن فيهم الرومان) تُوجد، فيما عدا الكُتُب الإسلامية الأندلسية والغربية، عند اليعقوبي، وإلى حدٍّ أقل عند حمزة الأصفهاني، وعند أبي الفِداء الذي يعتمد على أبي عيسى بن المُنجِّم.

أما المُؤلّفون المُسلمون الآخرون، فيعتمدون على مادّة كثيراً ما تكون خيالية جداً، من قِصَص الأنبياء اليهودية والمسيحية، وقد أصبحت هذه القِصَص مُحترمة بتقاليدها الطويلة ونِسبتها إلى (وَهْب بن مُنَبّه). وقد أصبح التاريخ الفارسي معروفاً عند المُسلمين في فترة ليست أبعد من أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني للهجرة، ومن المُحتمل أنه سرعان ما أُدمج مع تاريخ ما قبل الإسلام نظراً لأن أواخره كانت لها بعض الصِّلات في التاريخ الإسلامي الأول. وبذلك كان بإمكانه الإسهام في تقرير خصائص الفكرة الإسلامية عن تاريخ ما قبل الإسلام وعن صورة عَرْضه. وقد وصلت هذه الفكرة والصورة أوج نُموّهما

---

(96) انظر أعلاه: ص50 فما بعد.

(97) Al-Bîrûnî, *al-Âtâr al-Bâqiyah*, 5 Sachau (Leipzig 1878, 1923).

البِيروني: **الآثار الباقية**، ص5، طبعة سخاو (لايبزيغ 1878-1923م).

في أوائل القرن التاسع نتيجة انتقال تُراث الأُمم الأُخرى الثقافي إلى المُسلمين ونُموّ الفكرة الثقافية العالمية عن «الحِكمة الخالدة»[98]. وقد ظلَّ المُؤرّخون المُتأثّرون بالدِّين كالطَّبَري، يحصرون أنفسهم بالتاريخ اليهودي ـ المسيحي، والإيراني، ولم يُعيروا أيّ التفات خاص للإغريق أو الهنود أو الصينيين. وكانت هذه هي الحالة نفسها مع بعض الإيرانيين القوميين كالدِّينَوَري أو إلى حدٍّ أقل مِسْكَوَيه[99]. ولم يُغمض المُؤرّخون الآخرون أعينهم عن الأُفق الثقافي المُتوسّع، وقد اتخذ تاريخ الأُمم القديمة على أيديهم وِجهة التاريخ الثقافي بصورة قوية. وعند بحث الإغريق القدماء كاد تاريخهم السياسي يحذف كلّه تقريباً. فالقسم الذي خصّصه اليعقوبي مثلاً، للإغريق كان فيه تقرير مُفَصَّل عن إنجازاتهم الفكرية والعلمية. كما أنّ الهنود والصينيين عندما جاؤوا إلى حظيرة المُؤرخين المُسلمين، جاؤوا باعتبارهم مُمثّلين لنوع مُعيّن من الثقافة لا مُمثّلين لتاريخ سياسي. وقد كان الثعالبي مُؤلّف كتاب **الغُرَر**[100] في القرن الحادي عشر مُحقّاً عندما قال: «من الصَّعب، بل من المستحيل ذكر أخبار مُلوك الهند كما يذكر المرء بقية المُلوك، لأن المصادر لا تتكلّم على تاريخهم». لذلك، أورد مُقتطفات من كتاب **البدء والتاريخ** للمُطَهَّر عن أديان الهنود وعاداتهم وقوانينهم ثم قال: «إنّ الكلام على هذه الأمور هو كالكلام على مُلوكهم، لأن الناس على دين مُلوكهم، وخاصة الهنود الذين يُضَحُّون بأنفسهم من أجل إعلاء مُلوكهم حتى إنّ البعض يعبدهم»[101].

قد يبدو أنّ أكثرية المُؤرّخين الذين بحثوا في دُول ما قبل الإسلام، تجنَّبوا مُحاولة ربط تاريخ مُختلف الأُمم بشكل جداول مُرتّبة بحَسَب زمنها، غير أنّ

---

(98) انظر:
F. Rosenthal, *The Technique and Approach of Muslim Scholarship*, 70ff. (Rome 1947, *Analecta Orientalia* 24).

(99) إنّ حمزة الأصفهاني في مُتابعته المصادر المُهتمّة بالحَوْليات على الأقل، أدخل الإغريق والرومان والقِبْط في تاريخه.

(100) فيما يتعلّق بمؤلف الكتاب، انظر:
F. Rosenthal, in *JAOS*, LXX, 181 (1950).

(101) مخطوطة باريس، رقم ar, 1488, fol, 247a، صحيفة 247أ.

بعضهم كالطَّبري والدِّينوَري، حاول تثبيت علاقات زمنية بين أُمم ما قبل الإسلام التي بحثوها. ومنطقي أن تكون مثل هذه المُحاولات للترتيب الزمني نتيجة تطوّر داخلي في الإسلام. لقد كان يبدو طبيعياً جداً لهم أن يحصلوا من بحثهم في الفُرس والنصارى أو اليهود، على معلومات كافية لبناء علاقة زمنية بين المَلِك الفارسي الأول والرجل الأول في الميثولوجيا اليهودية والمسيحية... إلخ. وعلى كلٍّ، فيجدر أن نُلاحظ أنّ ترتيب تاريخ مُختلف الأُمم تبعاً لزمن ظهورهم قد عرفه علم التأريخ الإغريقي ـ السُّرياني ـ المسيحي، غير أنه من الصعب أن نرى لماذا كان يجب أن يهتمّ التاريخ الفارسي قبل الإسلام بالترتيب تَبَعاً للسنين إلا إذا كان تاريخاً مسيحياً أو مانوياً.

ثُمّ إنّ النصّ الصريح الذي حاول فيه موسى بن عيسى الكِسروي أحد مُترجمي خَداي نامه، أن يُطابق فيه بين التقويم الفارسي والسلوقي، هو بُرهان على أنه لم يجد نظاماً للترتيب الزمني في مصادره الفارسية(102). ومن المُحتمل أن فكرة الترتيب تَبَعاً للسنين جاءت إلى المُسلمين من التاريخ الإغريقي ـ السُّرياني ـ المسيحي، وبذلك قد تكون صِلة رسمية بينها وبين التاريخ الإسلامي.

ب ـ التقسيم حسب الطبقات

إنّ معنى كلمة «طبقات» وتطوّرها معروف، وهو مُشتق من طَبَق أو طَبِق،

(102) حمزة الأصفهاني: **التاريخ**، ج1، ص17، طبعة غوتولدت.
«يقول حمزة نقلاً عن موسى بن عيسى الكِسروي: إني نظرت في الكتاب المُسمّى خَداي نامه، وهو الكتاب الذي لمّا نُقل من الفارسية إلى العربية سُمِّيَ كتاب **تاريخ مُلوك الفُرس**، فكرّرت النظر في نُسخ هذا الكتاب وبحثتُها بحث استقصاء فوجدتها مُختلفة، حتى لم أظفر منها بنُسختين مُتفقتين، وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان إلى لسان، فاجتمعتُ مع الحسن بن عليّ الهمداني الرقّام بالمراغة عند رئيسها العلاء بن أحمد، وكان أعلم من لقيته بهذا الشأن وقابلنا سِنِيّ مملكة الطبقة الثالثة والطبقة الرابعة من مُلوك الفُرْس الذين ملكوا بعد الإسكندر، وهم الإشغانية والساسانية، بتاريخ الإسكندر الذي هو مضبوط بحساب المُنجّمين من الزِّيْجات، فطلبنا ما بين ابتداء سِنِيّ الإسكندر إلى ابتداء سِنِيّ الهجرة لنجعله أصلاً، فوجدنا ذلك مُثبتاً في زيج الرصد على ما أنا حاكيه في هذا الموضوع»، (ص17).

ومن السهل أن يتطوّر هذا المعنى إلى وصف «أُناس يرجعون إلى طبقة أو صِنف في تعاقب زمني للأجيال»(103).

وقد حاول أصحاب المعاجم أن يُحدّدوا بالضَّبط طول مُدّة كُلّ طبقة، مثلما فعلوا في تحديد «القَرْن» الذي يسبق الطبقة في استعماله بمعنى «جيل»(104). وقد ارتأى البعض أنّ مُدّة الطبقة عشرون سَنَة(105)، وارتأى آخرون أنّ طُول مُدّة الطبقة قد يكون عشر سنوات(106). واستند بعضهم إلى حديث يُنسب للرسول جاء فيه «تتكوَّن أُمْتي من خمس طبقات، كلّ واحدة منها أربعون سَنَة»(107).

وتقسيم الطبقات إسلامي أصيل، وقد يبدو أنه أقدم تقسيم زمني وُجد في التفكير التاريخي الإسلامي، وليست له أية علاقة في الأصل بطريقة الترتيب تَبَعاً للسنين التي كانت مألوفة في تقاليد التراجم الإغريقية ودخلت الأدب العربي في زمن مُتأخّر مع «التراجم» الإغريقية(108)، ثُمّ إنّ الاستعمال القديم لكلمة طبقات ليصف الدُّول الفارسية المُتعاقبة الأربع، لا علاقة له بأصل هذه الكلمة، لأن تقسيم الطبقات هو نتيجة طبيعية لفكرة «صحابة الرسول» إلخ. والتي تطورّت في أوائل القرن الثاني الهجري بالارتباط مع نقد علم الحديث للإسناد. وهذه الفكرة واضحة الشبه بالتقاليد اليهودية، وقد تُفسَّر بأنها تطوّر سامٍ مُستقل أكثر من كونها نتيجة للتأثير اليهودي على الإسلام.

غير أنّ هذا الاحتمال لا يُمكن رفضه نهائياً(109)، وممّا يُؤيد الصِّلة بين

(103) لقد وجد أهل المعاجم تشابهاً في المعنى بين طَبَق وطِبْق. انظر: **لسان العرب**، ج12، ص79 (بولاق 1300-8هـ).

(104) انظر أدناه: ص212.

(105) **لسان العرب**، ج12، ص79 فما بعد.

(106) انظر: ابن الجَوزي: **تلقيح**، مخطوطة باريس ar. 724، ص271أ ـ 272ب، ولم أستطع الحصول على طبعة دلهي (1927م) التي أشار إليها بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص915.

(107) الذَّهبي: **تاريخ الإسلام** أعلاه، ص85.

(108) F. Rosenthal, in *Orientalia, N.S.*, VI, 33 (1937).

(109) ربما كان النّموّ مُوازياً، بدل تأثير مباشر، هو الذي أثّر في نشأة الإسناد، وهذا ضدّ نظرية هوروفيتز. =

تقسيم الطبقات وعلم الحديث هو اقتصار استعمالها على التراجم، فقد استُعمل ترتيب الطبقات في أول الأمر، كما كان الحال عند ابن سعد، لتراجم الشخصيات المُهمّة في نقل الأحاديث. وكان مقصوراً على رُواة الحديث في التواريخ المحلّية الأولى كـ **تاريخ واسط** لبَحْشَل، ثم أصبح بالإمكان استعمالها فيما بعد لتصنيف أنواع الرجال وخاصة العُلماء، ثم استُعملت على مرّ الزمن بشكل غير مُلائم في تصنيف الأحداث كما هو الحال في **تاريخ الإسلام** للذّهبي.

أما التقسيمات المحلّية التي شاع وضعها فوق تقسيم الطبقات، فقد بدأت مُبكّراً في كتب الطبقات العامة. والواقع أنها كانت قد ظهرت عند ابن سعد الذي أضاف أقساماً خاصة عن الكوفيين والبصريين. ففي هذه الأقسام، ذكر باختصار الصحابة الذين كانت لهم بعض العلاقة بالكوفة والبصرة، رَغْم أنه ذكرهم بتفصيل في أماكن أُخرى من الكتاب. لقد كان التقسيم المحلّي أو الإقليمي أمراً مُتعلّقاً بالمُفاخرات المحلّية أو الإقليمية، غير أنه كان كذلك مُساعداً في تبرير الأعراف السائدة في محلٍّ ما، لذلك تظهر هذه الأعراف في تاريخ «طبقات» فُقهاء مُختلف المذاهب. ثم أخذه ابن أبي أُصَيْبِعة واستعمله في ميادين غير دينية في ذلك القسم من كتابه **طبقات الأطباء** الذي يبحث في الفترة الإسلامية.

إنّ أعظم عُيوب كُتُب «الطبقات» وأبرزها، هي أنه يصعب جداً على ذوي الذهنية التاريخيَّة أن يجدوا فيها ما يبحثون عنه. فإذا أراد المرء معرفة مكان ترجمة في **طبقات الفُقهاء** المشهور للشِّيرازي، فإنه يحتاج إلى معرفة لا تقلّ عما يُؤمل أن يلقاه في تلك الترجمة[110]، وهذا مَثَل مُتطرّف بلا ريب، لكنه يُوضح أنّ واقع تقسيم الطبقات ظلَّ مُرتبطاً بأصله، فكان من ناحية عمليّاً لأغراض العلوم الدينية أكثر منه للتاريخ. وعلى مرّ الأيام أخذ يزداد عدد مَنْ كان يُفضّل المبدأ الأبجدي في الترتيب[111]، ففي كتاب **الديباج** الذي ألّفه ابن فَرْحُون في

= J. Horovitz: «Alter und Ursprung des Isnâd», in *Der Islam*, VIII, 39-47 (1918).

(110) لقد استعملتُ مخطوطة البودليان arab. e. 116، لأن المطبوعة التي ذكرها بروكلمان في **الملحق**، ج3، ص1224، 1، ص670، ليست في مُتناول يدي.

(111) أدناه: ص215 وما يتبعها.

القرن الرابع عشر عن **تاريخ المالكية**، نجد أنّ عُلماء المالكية بحثوا بحَسَب ترتيب أسمائهم، غير أنّ هذا الترتيب قُسِّم أيضاً إلى طبقات، ورُتِّبت الطبقات بدورها بحسب الأماكن الجُغرافية.

جـ ـ الترتيب بحسب الأنساب

حافظت العلاقات العائلية إبّان القرنين الأوّلين في الإسلام على أهمّيتها القديمة في التنظيم الاجتماعي للحياة العربية، إن لم نَقُلْ إنها ازدادت أهمية، وقد كَوَّنَ القُرَشيون أو الهاشميون وآل عليّ بن أبي طالب، ونَسْل الصحابة الأوّلين، أرستقراطية في الإسلام، وفُتِحت الأبواب أمامهم لكلّ مراكز القيادة، وبذلك انفتح ميدان خِصْب من المنافع العملية أمام النسّابين.

وكان اللُّغويون المُهتمّون بالتاريخ والآثار القديمة، نَسَّابين أيضاً في القرنين الثامن والتاسع، وفي كُتبهم مجموعات من أعمال مُختلف أفراد الجماعات القَبَلية مُدوّنة على نَمَط الخبر، ومن الأمثلة على ذلك كتاب **نَسَب قُريش** للزُّبير بن بكّار الذي بقي بعضه، وهو ككتاب أبي عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى السابق له(112)، يهتمّ بفضائل القُرشيين ومزاياهم أكثر من اهتمامه بالعلاقة بينهم. وممّا سهّل امتداد الأنساب إلى التاريخ، أنّ أعضاء الأُسر البارزة كانوا في الوقت نفسه زُعماء الحياة السياسية. وقد طبّق البَلاذُري في كتابه **أنساب الأشراف** المبدأ النسبي في كتابة التاريخ بمقياس واسع، فكان مبدأه الأساس في الترتيب هو العلاقاتُ القبلية والعائلية للشخصيات التاريخيَّة رَغْم أنه كان يطغى عليه تراجم الخُلفاء. أما صورته فهي على صورة تأريخ الخبر والدُّوَل.

والواقع أنّ العوامل التي شكّلت تاريخ الإسلام لم تَعُدْ تتركّز على الأنماط النَّسَبية منذ زمن البلاذُري ومنذ أن امتدَّ الإسلام وراء حدود جزيرة العرب، واجتاز الحدود الجامدة للمُجتمع البدوي. لذلك، لم يكن التاريخ النَّسَبي الذي

---

(112) المسعودي: **التنبيه**، ص210 (طبعة دي غويه). ويذكر السَّخاوي عن هذا الكتاب «قال بعضهم: فيه كتاب عجب لا كتاب نسب، يعني لِما اشتمل عليه من المحاسن» (**الإعلان**، ص108).

هو على نَمَط كتاب **الأنساب** للبلاذُري أداة مُلائمة لكتابة تاريخ المدنيّة الإسلامية المُعقّدة. ويرجع الفضل في اختفائها بعد القرن التاسع إلى البحث العلمي الإسلامي، غير أنّها وجدت ملجأً أميناً في غربيّ العالم الإسلامي. فالصفة الإقليمية للإسلام في إسبانيا ـ بقوته وضعفه ـ هي أنه فضَّل الاحتفاظ بالأنساب. يضاف إلى ذلك أنّ التاريخ السياسي في الغرب اتّخذ مَجْراه على أساس من المُنافسات العنصرية بين العرب والبَرْبَر الذين احتفظوا بطابعهم البَدَوي نتيجة التدفّق المستمر من العناصر البَرْبَرية الجديدة التي ما زالت بدوية المستوى، وقد شهد الأدب الإسلامي الغربي كمّية طيبة من الكُتُب عن الأنساب لها أهمّية تاريخية، بدأت بكتاب أحمد بن محمد الرّازي الشامل عن **أنساب مشاهير أهل الأندلس**[113]، واستمرّ إلى كتاب أُلِّف في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) عن العشائر والرجال المحيطين بمَهْدِي المُوحّدين[114]. وفي إسبانيا أيضاً، رُتّبت المادة التاريخيَّة (لأول مرة)[115] على أسس جِنسية.

ثم إنّ العلويين من الطبقة العُليا في المغرب أنشأوا أدباً في النَّسَب حتى إنه في الأزمنة المُتأخّرة «قلّما تجد شريفاً مُتعلّماً لم يُؤلِّف، مع ما ألَّف، وصفاً لأمجاد أسرته»[116].

أما في الشرق، فقد رعى النَّسَب أو تاريخ الأُسَر، من كان له اهتمام

---

(113) **الاستيعاب في أنساب (مشاهير) أهل الأندلس**. انظر: الحميدي: **جَذوة المُقْتَبِس**، مخطوطة البودليان، رقم (Uri 783) or. Hunt. 464، 45أ، (ص 97 رقم 175 المطبوع)، عياض، مدارك، مخطوطة القاهرة، تاريخ 2293، 3ب، 129ب.

(114) كتاب **الأنساب في معرفة الأصحاب**، انظر:

E. Levi-Provençal, «Documents inédits d'histoire Al-mohade», 18-49 (Paris 1928, textes ar. relatifs à *L'histoire de l'Occident musulman*, 1).

(115) انظر:

K. Vollers, «Fragmente aus dem Muġrib des Ibn Sa'îd», X (1894. *Semitistische Studien*, 1. Ergänzungsheft zur ZA).

(116) انظر:

E. Levi - Provençal, *Les Historiens des Chorfa*, 48 (Paris 1922).

انظر أيضاً:

R. Basset, «Les généologistes berbères», in *Les Archives Berbères*, 1, 3-11 (1915).

شخصي به، كالحُكّام وأفراد الأُسَر الشهيرة والعَلويين وبعض المُؤرخين المُهتمّين بتاريخ القُرَشيين أو الهاشميين أو في القبائل العربية التي استوطنت في بلدهم في أوائل سِنيّ الفتح الإسلامي. أما تواريخ الحُكّام المُتأخَرين المُنحدرين من أصل بدوي، كحُكّام الترك والمَغول المُتعدّدين، فقد كانت فيها عادة مُقدّمة جنسية نَسَبية تسير منها إلى نظام التراجم المعروف.

أما عَرْض العلاقات النَّسَبية بشكل جداول، أو ما يُسمّى شجرات النَّسَب، فلعلّه كان معروفاً عند المُتعلّمين العرب قبل الإسلام. ومن العَبَث مُحاولة تقرير أقدم تاريخ لحدوثه في الأدب الإسلامي. وعلى كلٍّ، فإن **الفِهْرِست** عندما يذكر كُتُب النَّسَب لا يُشير إلى أنّ واحداً منها على شكل شجرة، إلا إذا كان في كتاب **المُشَجَّر** لمحمد بن حبيب[117]، جداول نَسَبية، ويبدو في الراجح أنه لم يكن كذلك. والراجح أنّ جداول الأنساب لدى النسّابين القُدماء كانت مقبولة كأدب. أما فيما بعد، فنجد مثلاً مُقتطفات من **المُشجَّر** لابن ميمون[118]، وكتاب **الفرع والشجر** لأبي الحسن محمد بن القاسم التميمي[119] الذي قد يدلّ عنوانه على أنّ فيه جداول وأنّ الشجرات قد أصبحت شائعة. وأخيراً، فإن تاريخ كلّ العالم يُمكن عَرْضه بشجرات النَّسب. ومن الطريف أن نُلاحظ أنّ مُؤلّفاً كفخر الدِّين مبارك شاه من سَنَة (602هـ/ 1205-6م) جاءته فكرة كتابة **شجرة أنساب الفرس** عندما كان يكتب عن نَسَبه القُرشي[120]. ويُمكن القول إجمالاً، إنّ الأنساب كان لها أثر ضئيل على صُوَر الكتابة التاريخيَّة الإسلامية، غير أنها أدَّت بعض الخدمات الجزئية للمُحتوى التاريخي كما سنبيِّن فيما بعد.

(117) **الفِهرِست**، ص155_{11} (القاهرة 1348هـ، ص106، طبعة فلوجل).

(118) ابن الساعي: **أخبار الخُلفاء**، مخطوطة القاهرة: تيمور، تاريخ، 2293، ص129ب.

(119) ابن العديم، **بُغية الطَّلَب**، مخطوطة باريس رقم ar. 2138، ص155ب (حياة الأشعث بن قيس).

(120) انظر:

E.D. Ross, «The Genealogies of Fakhr-ud-dîn Mubârak Shâh», in *A Volume of Oriental Studies presented to E.G. Browne*, 392-413 (Cambridge 1922).

الفصـل الرابـع

مُحتويات الكُتُب التاريخيَّة

إنّ الصُّوَر الأوَّليّة من علم التاريخ الإسلامي نَمَت في زمن مُبكِّر جداً، ثُمّ توقَّف نموُّها فلم تتطوّر طَوَال عهود الكتابة التاريخيَّة الإسلامية، ولم تُبتدع أية صُوَر جديدة مُهمّة، اللهمَّ ما عَدَا التواريخ الشعرية التافهة جداً. لقد تكوّن نموُّ الكتابة التاريخيَّة من مزيج من صُوَر تاريخية مُختلفة، وبصورة خاصة من إدخال علوم لم تكن تاريخية بالمعنى الدقيق، في الهيكل العام لعلم التاريخ. وسبب التنوّع في الكتابة التاريخيَّة في الإسلام، يرجع إلى تنوّع التأكيد الذي وُضع على مُختلف نواحي الجهود الفكرية الإنسانية التي اعتُبرت جديرة بأن تُخلَّف إلى الأجيال المُقبلة.

1 ـ الأنسـاب

لقد كان الاهتمام بالنَّسَب قائماً عندما بدأ علم التاريخ الإسلامي يظهر إلى الوجود، بل رُبّما كان النَّسَب أَسْبق من التأريخ في التدوين[1]، وقد اعتُبر أنّ هذين الموضوعين مُختلفان عن بعضهما كما يتّضح ذلك من هذا الحوار بين الزُّبَيْر بن بكّار وإسحاق بن إبراهيم المَوْصِلي. فقد أراد إسحاق أن يُداعب الزُّبَيْر فقال له: «يا أبا عبدالله عملتَ كتاباً سمّيتَهُ كتاب **النَّسَب** وهو كتاب الأخبار، وقال: وأنت يا أبا محمد، أيّدك الله ـ عملتَ كتاباً سمَّيْتَه كتاب **الأغاني** وهو

(1) انظر: مُقدّمة س.د.ف غويتين لطبعته للجُزء الخامس من **أنساب البلاذُري**، ص14-24 (القدس 1936م).

كتاب المعاني»[2]. وهذه القِصّة تُظهر بجلاء أيضاً أنهم كانوا يُدركون الصِّلة الوثيقة التي بين كُتُب التاريخ والنَّسَب.

لقد أكَّدنا من قبل على ما للأنساب من أهمّية عملية، فالاهتمام السياسي بالقُرَشيين، والاهتمام الطائفي بآل عليّ، والاهتمام القديم بالقبائل العربية، وافتخار الحُكّام والأشراف بأجدادهم كُلّ هذا استمرّ دون توقّف، وكان عاملاً في استمرار ظهور عدد غير قليل من الكُتُب حول هذه الموضوعات كما أُلِّفت عدّةُ كُتب عن أنساب الحيوانات كالخيل والحَمَام، هي في قول الجاحظ أكثر ممّا أُلِّف عن أنساب بني آدم «يشتمل عليه دواوينُ أصحاب الحَمَام أكثر من كُتُب النَّسَب التي تُضاف إلى ابن الكَلْبي والشَّرقي بن القُطامي وابن أبي اليَقْظان وأبي عُبَيْدة النحوي، بل إلى دَغْفَل بن حَنْظَلة وابن لِسان الحُمَّرَة، بل إلى صُحار العَبْدي وإلى أبي السَّطّاح اللَّخمِي، بل إلى النَّخّار العُذْري وصُبح الطائي، بل إلى مَنْجور بن غَيْلان الضَّبِّي وإلى سَطِيح الذِّئبي، بلْ ابن شَرِيّة الجُرْهُمي وإلى زيد بن الكَيِّس النِّمري وإلى كلّ نسّابة رِواية وكُلّ مُتفنّن علّامة»[3]، غير أنّ كُتُب الحيوان اقتصَرت أهمّيتها من حيث العُموم على اللُّغة والمعاجم.

وكما بيَّنّا سابقاً، كانت كتب الأنساب للبشر قد أثّرت في المُؤلّفات التاريخيَّة عن طريق كتاب **الأَنساب** للبلاذُري الذي استفاد منه المُؤرّخون كابن الأثير في كتابه **الكامل**، كما وأثّرت في كُتُب «الأنساب» في المغرب الإسلامي. ثُمّ إننا نجد بعض آثار الاهتمام الكبير في كُتُب «الأنساب» في المُؤلّفات التاريخيَّة الإسلامية كافة التي كانت تُورد قائمة طويلة من أسماء الأجداد حيثما أمكن ذلك، كما كانت تُورد قوائم بأسماء زوجات الأُمراء والوُلاة وأولادهم. وكثيراً ما كانت تبحث عن أصل الأُمراء، كالبُويهِيِّين الدَّيالِمة، وأُمراء المغول وأُمراء الدُّوَل البربرية في المغرب؛ وأهم من كُلّ هذا هو سيادة النظرة النَّسبية في العلاقات الإنسانية بوصفها قوة مُحرِّكة في التاريخ. وقد توغّل الاهتمام بالنَّسَب إلى كُتُب التراجم أيضاً.

---

(2) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج8، ص469.

(3) الجاحظ: **كتاب الحيوان**، ج3، ص64 فما بعد (القاهرة 1323-5هـ).

2 ـ التراجـم

إنّ تعريف التاريخ الذي نتّبعه في بحثنا[4] يُتيح للتراجم أن تُصبح جُزءاً من المُؤلَّفات التاريخيَّة. ويُمكننا بالإضافة إلى هذا، الإشارة إلى المجموعة الكبرى التي جمعها ف. جاكوبي F. Jacoby للمُقتطفات من المُؤرّخين الإغريق والتي تشمل، كما قال المُؤلِّف في مُقدّمته[5]، كُلّاً من التراجم والجُغرافيا. لذا لا يصحّ حذف التراجم من أيِّ بحث للتاريخ الإسلامي، حتى لو كان هذا الحذف مُمكناً.

تبدو التراجم أثبت صُوَر التعبير التاريخي، وقد سبقت التراجم مبادىء صُوَر التاريخ وهو أمر يُمكن استنتاجه من الطابع الشخصي للنُّقوش المَلَكية في الشرق الأوسط القديم. ثُمّ إنّ المُؤلَّفات التاريخيَّة الراقية تميل دائماً نحو التراجم، ففي المُؤلّفات التاريخيَّة الرومانية مثلاً «صار أثر التراجم على الكتابة التاريخيَّة يبدو جليّاً بتقدُّم الأيام، بينما بقي أثر التأليف التاريخي على التراجم، كما نشهده في سيرة حياة أغريكولا لتاسيتوس Tacitus' Agricola، نادراً»[6]. ومن الواضح أنّ التراجم أسهمَت في كتابة التاريخ الإسلامي منذ بدايته. واستطاعت بمرور الزمن أن تظفر بمكانة رفيعة، ويرجع هذا إلى عِدّة أسباب خاصة مُنبعثة من المحيط الإسلامي: فسيرة الرسول كانت مَنبعاً أمدَّها بمادة لبناء صَرْح شامخ للإسلام[7]. وقد اعتمدَت رِواية تفاصيل حياة الرسول على أفراد

(4) انظر أعلاه: ص31 وما يتبعها، وص 39. إنّ دراسة و. دلتاي:
W. Dilthey, *Der Aufbau der geschichtlichen Welt in den Geisteswissenschaften*, in his *Gesammelte Sehriften*, VII, 246 (Leipzig-Berlin 1927).
هي رأي فيلسوف حديث عن العلاقة بين التاريخ والتراجم رَغْم أنها ليست مُساعدة جداً من الناحية العملية.

(5) *Die Fragmente der griechischen Historiker*, I, p. V (Berlin 1923).

(6) F. Leo, *Die griechisch-römische Biographie*, 234 (Leipzig 1901).

(7) يُمكن أن يُقارن المرء رأي بيكر في أصل السيرة.
C.H. Becker, *Islamstudien*, I, 527, (Leipzig 1924).
كيما يُدرِك أنّ من المشكوك فيه أن تكون تاريخ حياة الرسول من حيث العُموم مسؤولة عن تكوين بعض نواحي علم الكلام أو الفقه، أو فيما إذا كان هذان العِلْمان السبب الرئيس في نُشوء سيرة الرسول.

كان قَبول رواياتهم يتوقّف على ما يُعرف من تاريخ حياتهم. ثم إنّ النزاع بين الفِرَق في الإسلام نشب مُعظمه باسم الشخصيات والفضائل أو العُيوب الشخصية. وبذلك أصبحت التراجم موضوعاً لازماً للمُتكلّمين وعُلماء الدِّين، وأعطَت المُؤرّخين أعظم فُرصة ليُصبحوا مُفيدين عملياً وليجدوا لهم عملاً في المُجتمع الإسلامي[8]. ثُمّ إنّ علاقات المُؤرخين الدُّنيوية دفعتهم بدورها إلى الاهتمام بالتراجم، فالخُلفاء والوُلاة وكبار المُوظّفين وجَمهرة المُتعلّمين وجدوا المَثَل الأعلى للخُلق الفاضل في حياة السَّلَف الصالح. لذلك، فإن تدوين سِيَرهم وجعل التاريخ يدور حول حياتهم من شأنه أن يُرضي مُتطلّبات هذه الجماعات المُهمّة من قُرّاء كُتُب التاريخ. أضفْ إلى ذلك، أنّ المُسلمين جميعاً كانوا يعتقدون بأن السياسة كانت كلّها من عمل الأشخاص، وأنها لا تُفهم إلا على ضَوء صفاتهم وخُبراتهم وبذلك أصبح التاريخ في أذهان كثير من المُسلمين مُرادفاً تقريباً للتراجم وسِيَر الرجال.

ثم إنّ كثيراً من فُروع المعرفة والعلوم أصبح تاريخُها، بتأثير علم الكلام، يُفهم على أنه مجموعة لتراجم كبار العُلماء. ففي تواريخ بعض العُلوم كالطب وتاريخ الأديان المُقارن، والطب الجاهلي أو الدِّين كانت تُعطى لها الأسبقية في العَرْض، ولكن فيما عَدَا هذا لم يكن يُطبّق عليها مبدأ تاريخي آخر، لقد ساد الترتيب على أساس التراجم. أما تاريخ الأديان المُقارن فلم يُنظّم بحثه على نَمَط التراجم تماماً، بل سلك تنظيماً يُشبه ذلك كثيراً، وقد كانت مُعتقدات الفِرَق هي التي تُهيمن على التنظيم، وهنا أيضاً لم يُتَّبع المبدأ الزمني أو التاريخي. ويُمكن القول إنّ مبدأ التراجم لم يُطبَّق إلا في الرسائل الكبيرة التي تبحث في تاريخ العلوم والمعرفة. ولقد وُجدت أيضاً دراسات مُختصرة، عَرَضية، تبحث في تطوّر بعض فُروع المعرفة، وهي دراسات ذات طابع تاريخي حقيقي[9].

---

(8) إنّ الصَّفدي في **الوافي** (ج1، ص55، طبعة ريتر) اختار الكلمات الصحيحة لوصف سِعة أدب التراجم الذي تطوّر بالعلاقة مع علم الأحاديث.

(9) انظر:

F. Rosenthal, *The Technique and Approach of Muslim Scholarship*, 68f. (Rome = 1947, *Analecta Orientalia*, 24).

كانت كُتُب التراجم ومُحتوياتها مُتباينة جداً، تَبَعاً لموضوع البحث والناحية التي يُعالجها المُؤلِّف منه، والعنصر المُشترك الوحيد المُنتظر وجوده في التراجم كافة، ما عدا أقدمها، هو تواريخ وَفَيات الأشخاص المُترجَم لهم والتي كانت عادة معروفة أو يُمكن استنتاجها. وتاريخ الوفاة هو التاريخ الثابت في حياة الشخص، أما تاريخ الوِلادة فقلَّما كان يُعرف إلا في حالات بعض الشخصيات، بل إنّ كثيراً من هؤلاء لم يكن يُعرَف تاريخُ وِلادتهم، وهذا التاريخ لا يُعرَف عادة إلا إذا أَخبر به المُترجم نفسه. لذلك، فإن ذكر تاريخ الوِلادة لا بدَّ أن يكون بسبب وجود مصلحة خاصة هي بدورها ناتجة عن وجود أدب تراجم راقٍ جداً. لقد ظَهر الاهتمام بالترجمة وتاريخ الوِلادة منذ بداية العلم الإسلامي، غير أنه لم يصل إلى ذلك المستوى الراقي حتى القرن الثاني عشر الميلادي حينما استطاع الذَّهبي أن يُبيِّن في كتابه **تاريخ الإسلام**، بشيء من الانتظام أسماء المواليد في كُلّ سَنَة[10].

وتبدأ كُتُب التراجم عادة بذكر وِلادة المُترجم له وتُنهيها بذكر وفاته. وهذا هو النظام المألوف في التراجم الإسلامية، كما نجده سائداً مثلاً في التراجم التي أوردها الخطيب البغدادي في كتابه **تاريخ بغداد**. وفي كثير من الأحيان، يُذكر تاريخ الميلاد والوفاة في بداية الترجمة. والراجح أنّ هذا ناتج من أنّ معرفة تواريخ الوَفَيات تسبق معرفة تواريخ الوِلادات، وأنّ المُؤرخين اعتادوا ذكر ترجمة أيّ شخص تَبَعاً للسَّنَة التي تُوفي فيها. أما ذوو المَحْتِد والنَّسَب الأصيل، فكثيراً ما تبدأ تراجمهم ببعض المُلاحظات عن النَّسَب، وقد تكون هذه المُلاحظات مُطوَّلة كما هي الحالة في كتابة سيرة الرسول أو بعض الأُمراء الأعاجم في الأصل، وكثيراً ما تُذكر أيضاً بعض المُلاحظات اللُّغوية كضبط اسم المُترجَم له.

= *Idem, Al-Asṭurlâbî and as-Samaw'al on Scientific Progress*, in *Osiris*, IX, 562f. (1950).

إنّ تواريخ العلوم التي ليس فيها تراجم ككتاب **الإعلان** للسَّخاوي شاذّة، وقَلَّما تهتمّ بأيّ ترتيب أو مُناقشة تاريخيين.

(10) انظر أدناه: ص208. أما عن النِّسبة المئوية للوِلادات والوَفيات في مجموعات التراجم الأُولى، فانظر أعلاه: ص24.

أما بقية مُحتويات الترجمة فهي مُنوّعة مُتباينة، والعادة أنّ الأحداث الخارجية لحياة صاحب الترجمة لا تظفر إلا بقليل من الاهتمام، اللهمَّ إلا في بعض الحالات المُتعلّقة بتراجم الوُلاة والسياسيين.

أما تراجم عُلماء الدِّين والعُلماء، فأكثر ما تحتويه قِصَص تربيتهم، والشيوخ الذين درّسوهم، والأماكن التي زاروها، والأحاديث التي رَوَوْها. أما تراجم الشعراء والأُدباء، فتهتمّ بالقصص الطريفة عن حياتهم ومُنجزاتهم الشعرية والأدبية، والعادة أنّ تراجم العُلماء والمُفكّرين تُلحق في نهايتها قائمة بما ألّفوه من كُتُب، أما تراجم عُلماء الدِّين فكانت قوائم المُؤلّفات فيها تُختصر. وتكاد التراجم كافة تشترك بصفة بارزة هي وصف الخصائص الخُلقية والعقلية للشخص المُترجَم له. وتُذكر هذه الخصائص إما بصورة صريحة أو عن طريق إيراد قِصَص وحِكايات تُوضحها، وكثيراً ما تذكر المظاهر البدنية أيضاً.

إنّ الأغلبية المُطلقة من التراجم الإسلامية كانت أجزاء من مجموعات أكبر، كأن تكون أجزاء من كُتب عن الطبقات، أو عن تاريخ الأُسر أو الحَوْليّات حيث تبدو بعض المُلاحظات عن التراجم مُتّصلة بالسَّنَة التي تُوفي فيها شخص معين. أما طُول هذه التراجم، فيتراوح من بضعة أسطر إلى ما يزيد على مائة صحيفة (مطبوعة).

أما كُتُب التراجم الصِّرفة، فقد أخذ عددها يتزايد، وهي تبدأ بحياة الرسول التي كانت أول ما اهتُمّ به من التراجم، أما الكُتُب الأُولى عن العلويين، كالحُسين أو زيد بن عليّ، فإذا حكمنا عليها من عناوينها، فإننا نستطيع القول بأنها لم تهتمّ بتراجم أبطالها، بل بوصف استشهادهم وبأعمالهم العظيمة أو الخالدة في التاريخ. إنّ كثيراً من المُؤلّفات الأُولى التي تُوحي عناوينها بأنها كُتُب تراجم، يجب أن نشكّ بأمرها ولا نعتبرها كُتُب تراجم حقيقية في مُعظم الأحوال. ومع هذا، فإن كثيراً من الكُتُب التي ألّفها المدائني عن بعض الشخصيات القُرَشِية[11]، كانت فيها العناصر اللازمة كافة لكُتُب

(11) **الفِهْرِست**، ص148 (القاهرة 1348هـ، ص101، طبعة فلوجل).

التراجم[12]. ثُمّ إنّ بعض الحُكّام كانوا يُريدون أن يَرَوْا أعمالهم مُسجّلة لتذكرها الأجيال التالية لهم دائماً، وقد أدّى هذا إلى تأليف تراجم كُتبت بدافع من هؤلاء الحُكّام. وقد ذكر لنا سِنان بن ثابت كيف أنّ المُعتضد كان يُتابع إعداد ترجمة رسمية لحياته قام بها ثابت بن قُرّة ثم أكملها ابنه سِنان. ومع أنّ الناس كافة كانوا يعلمون أنّ أمثال هذه التراجم كُتبت بدافع من الحُكّام[13]، إلا أنها لم تكن قطّ ذات طابع رسمي، أي أنها كانت تظهر وكأنها رسالة كتبها المُؤلّف لصديق له بناءً على طلب هذا الصديق[14].

وكثيراً ما يَصعب رسم خط واضح يُميِّز بين تراجم الحُكّام وبين مُذكّرات المُؤلّف عن عصره، فكتاب **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** لابن شدّاد مثلاً، يُمكن اعتباره من كتب المُذكّرات، كما يُمكن اعتباره أيضاً سيرة حقيقية لصلاح الدِّين. ولا شكّ أنّ بعض الحُكّام المُسلمين في فترات عظمى من التاريخ كانوا مواضيع لكُتُب لها الأهمية نفسها، وخير مَثَل على ذلك هو كتاب **النوادر السلطانية** لابن شدّاد فهو لم يُخصّص لحياة صلاح الدِّين الأُولى إلا نحو عُشْر الكتاب، حيث صوَّره كمثال للحاكم المُسلم وعرض له صورة مِثالية، ثم أَورد بعد ذلك أخباراً مُطوَّلة عن حُروبه إلى وفاته، واستطرد في ذِكْر كثير من التفاصيل والطرائف، إلا أنّ صلاح الدِّين ظلَّ محور الأحداث، التي نجد من خلالها شخصيته الإنسانية واضحة للقارىء. وتتجلّى الصفة التاريخيَّة المُتميّزة لكتاب ابن شدّاد إذا قارنّاه بالمُؤلّفات المُتأخّرة كترجمة الحاكم المصري المُؤيَّد والتي عنوانها **السيف المُهَنَّد في تاريخ الملك المُؤيَّد** التي كتبها المُؤرّخ المشهور العَيْني. حاول العَيْني أن يُقدّم أساساً مقبولاً لموضوعه، فبدأ يبحث توزيع البشر ثُمّ وصف القبائل التركية والجركسية ثُمّ أصل أُسرة المُؤيَّد، ثُمّ أشغل مُعظم كتابه

---

(12) **سيرة مُعاوية والأُمويين** لعَوانة، هي من المجموعات التاريخيَّة نفسها لتراجم الأُمويين. انظر أعلاه: ص128.

(13) انظر عن حالة المُعتضد:

C. Lang, «Muʻtaḍid als Prinz und Regent, ein historisches Heldendicht von Ibn el Muʻtazz» in *ZAMG*, XL, 593 (1886).

(14) انظر أعلاه: ص77، هامش 84.

ببعض العجائب كتفوّق كُلّ من كان اسمه المُؤيَّد، وأهمية كونه الحاكم التركي التاسع في مصر، وأهمية تاريخ تولّيه الحكم وبعض مزايا المُؤيَّد حاكماً. وأتبع ذلك بذكر الحوادث التي حدثت في عهد المُؤيَّد مُرتّبة بحسب السنين، وهذه كُلّها تبدو مجموعة مُكدَّسة من الحقائق التي لا أهمّية لبعضها والتي جُمعت لمُجرّد مُحاولة تأليف كتاب له طابع كُتب التراجم أو التاريخ[15]. وترجع هذه النتيجة غير المُرضية إلى ذكر أُمور لا علاقة لها بشخص المُترجَم له أكثر من كونها ناجمة عن ضعف مقدرة المُؤرّخ. وأكثر كُتُب التراجم هي، لسُوء الحظ، على شاكلة كتاب العَيْني، لا على نَمَط كتاب ابن شدّاد عن صلاح الدِّين[16].

وهُناك مجموعة أُخرى من كُتُب التراجم ترجع إلى زمن مُبَكِّر جداً في التأليف الإسلامي، لكن لا حاجة إلى بحثها هنا، ألا وهي كُتُب تراجم الشعراء وأغلبها وضع لها عنوان «أخبار»، وهي في الحقيقة أخبار، أي مجموعة من الحِكايات التي تدور حول شعر شاعر مُعيّن، فهي بذلك ليست تراجم بالمفهوم التاريخي للكلمة.

لقد بدأ مُترجمو العُلماء يُؤلّفون رسائل عن المُترجم لهم قبل القرن العاشر الميلادي، فقد ألّف الحسن بن محمد الوزيري كتاباً في **أخبار أبي زيد البَلْخي** صديقه، وقد أورد فيه بعض الصفات كمظاهره الجسمية، كما أظهر شيئاً من الفِراسة السيكولوجية كالحُبّ العميق لذلك العالم الكبير لمدينته[17].

أما كُتُب تراجم العُلماء والمُتصوّفة، فقد وصل فيها فنّ كتابة التراجم

(15) لقد استعملت مخطوطة باريس من هذا الكتاب رقم ar. 1723.

(16) إنّ كتاب **تاريخ الغازاني** لفضل الله رشيد الدِّين (ت718هـ/1327م) وهو مكتوب بالعربية، هو تاريخ يتبع الخُطة نفسها، فيبحث في جنكيزخان وأُسرته، وقد زوّد ببعض الأُمور الجذّابة كصُوَر خانات المغول (انظر أدناه: ص239، هامش 1) غير أنّ المُؤلّف رَغْم قُدرته الثابتة كمُؤرخ لم يستطع السيطرة على مادته في هذه الحالة. لقد رجعت إلى مخطوطة القاهرة، تاريخ، 1889.

(17) ياقوت، **إرشاد**، ج3، ص69، 71، (القاهرة، ص144، 147، 190، مارغليوت)؛ ورَغْم أنّ ياقوتاً لا يُصرّح، إلا أنه يبدو أنه مَدين للوزيري في النص الأخير، وهو ينقل عنه بصورة غير مُباشرة.

الإسلامي أَوْجه، وإن كان قد فَقَد الأُسلوب الجميل وقوة التصوير التي كانت مُتوافرة إلى حدٍّ كبير عند أصحاب التراجم في القرن العاشر كالوزيري وأبي حيان التوحيدي خاصة. إنّ هذه المجموعات من القِصَص والأحداث تطلّبت عدّة قُرون حتى تتطوّر فيها كتابة تراجم العُلماء والأتقياء، وتُصبح قادرة على إبراز صورة مُتماسكة لحياة الشخص المُترجَم له ولأعماله.

ولعلّ الترجمة الطويلة التي كتبها السَّخاوي عن شيخه ابن حَجَر[18]، مثال من أجمل الأمثلة على الكمال الذي بلغوه والنقائص التي لم يستطيعوا التغلّب عليها، فهي رِواية مُنظّمة كاملة لسيرة حياة ابن حَجَر الظاهرية وأعماله العلمية. غير أنه ينقصها عُمق التحليل النفسي، ولا تُحاول وضع حياة الفرد داخل الظرف التاريخي المُناسب.

3 ـ الجُغرافيا والكوزموغرافيا

إنّ إسهام الجُغرافيا في التاريخ وإن كان أقلّ أهمية من إسهام التراجم، إلّا أنها لم تكن عديمة الأهمّية، وقد وصف المُؤرّخ الجُغرافي اليعقوبي كيف جمع معلوماته لكتابه الجُغرافي **البُلدان** حيث قال: «إني عُنِيت في عُنفوان شبابي احتمال سنّي (كذا) وحِدّة ذهني بعلم أخبار البُلدان ومسافة ما بين كُلّ بلد وبلد لأني سافرت حديث السنّ، واتصلت أسفاري ودام تغرُّبي، فكنتُ متى لقيتُ رجلاً من تلك البلدان سألتُه عن وطنه ومِصْره، فإذا ذكر لي محلّ داره وموضع قراره سألته عن بلده ذلك في... لذته ما هي، وزرعه ما هو، وساكنيه من هم عرب أو عجم... شرب أهله، حتى أسأل عن لباسهم... ودياناتهم ومقالاتهم والغالبين عليه والمنزا... (كذا) مسافة ذلك البلد وما يقرب منه من البلدان والـ... لرواحل، ثم أُثبت كلّ ما يُخبرني به من أثق بِصِدقه واستظهر بمسألة قوم بعد قوم حتى سألتُ خَلْقاً كثيراً وعالَماً من الناس في الموسم وغير الموسم من أهل المشرق والمغرب، وكتبتُ أخبارهم ورويتُ أحاديثهم وذكرتُ من فتح بلداً بلداً وجنّد

---

(18) انظر أدناه: قسم 2، ص532.

مِصْراً مِصْراً من الخُلفاء والأُمراء ومبلغ خَراجه وما يرتفع من أمواله»[19]. ولا ريب أنّ بعض مُعاصريه من المُؤلّفين الجُغرافيين المُتأثّرين بروح القديم، سلكوا هذا السبيل في جمع المادة التي لم يجدوها في المصادر المكتوبة.

وفي كُلّ كتاب جُغرافي تقريباً بعض المعلومات التأريخية. أما الكُتُب التي تصف بعض الأقاليم التي لا تتوافر عنها المعلومات، ككتاب **أخبار النوبة** الذي ألّفه عبدالله بن أحمد بن سُلَيْم الأسواني[20] في القرن العاشر، فالراجح أنها كانت تحتوي على كُلّ المعلومات التاريخيَّة التي استطاع مُؤلّفوها الحصول عليها. ثُمّ إنّ اهتمام الجُغرافيين بالتاريخ استمرَّ أو زاد إبّان ازدهار الحضارة الإسلامية، حيث دُوّنت الجُغرافيا في مراجع كبيرة نُظّمت مادتها بحَسَب الحُروف الأبجدية تَبَعاً للأماكن الجُغرافية، كما أنّ الجُغرافيين تأثّروا بالتراجم وباهتمام رجال الدِّين في ضبط أُصول عُلماء الدِّين. فـ **مُعجم البُلدان** لياقوت، قلّما يُهمل إيراد تراجم قصيرة لأبرز الشخصيات التي ظهرت في منطقة ما... وكان المُؤرّخون على اتصال بالجُغرافيا، فالمعلومات الجُغرافية المذكورة في سيرة الرسول، سُرعان ما أصبحت غير مفهومة عند جُمهور القُرّاء وتطلّبت بعض التوضيحات والشروح.

ثُمّ إنّ اتّساع رُقعة الفُتُوح الإسلامية أدّى بالمُؤرّخ إلى توجيه اهتمامه نحو الجُغرافيا. ففي الكُتُب الأُولى ككتاب **فُتُوح البُلدان** للبلاذُري مثلاً[21]، نجد بعض الأُمور الجُغرافية كانت دافعاً قوياً لنُموّ الجُغرافيا الإسلامية ومُؤثّراً في توجيهها إلى حَدٍّ كبير، غير أنه لم يكن لذلك أثر كبير في علم التاريخ. ثُمّ إنّ كُتُب الفُتوح التي يُمثّلها البلاذُري، لا يبدو منها جُهد حقيقي دائم للاهتمام بالمادة

---

(19) **كتاب البلدان**، ص232، طبعة دي غويه، مجلد 7 من سِلْسِلَة المكتبة الجُغرافية العربية. [النقص في النص من الأصل ـ المترجم].

(20) بروكلمان. **الملحق**، ج1، ص410.

(21) غير أنه نظراً لاهتمام البلاذُري بالأُمور الجُغرافية، فقد اقْتَبَس ياقوت من كتابه كثيراً في **المُعجم**، انظر:

F.J. Heer, *Die historischen und geographischen Quellen in Jaqut's Geographischem Wörterbuch*, 45-87, Strassburg 1898.

الجُغرافية رَغْم أنّ موضوعاتها كانت تُتيح لها مثل هذه المجال، ورَغْم أنّ المُؤلّفين المُتأخّرين عن الفُتُوح، كالبِقاعي الذي عاش في القرن الخامس عشر وألّف كتابه **أخبار الجِلاد في فُتوح البلاد**[22]، نقلوا في مُؤلّفاتهم عن بعض الكُتب الجُغرافية. وقد سلكت الجُغرافيا في تَغَلْغلها بعلم التاريخ سبيلاً أقوى أثراً من خلال التواريخ المحلّية[23]، فالتواريخ العامة كانت تهتمّ بصورة عامة بالتفاصيل الطوبوغرافية والأبنية والعِمارات والآثار.

أما التواريخ المحلّية، فقد أصبحت مُهمّة ككُتُب جُغرافيا بتأثير رجل مثل ابن العَدِيم الذي يتضمّن كتابه عن **تاريخ حلب** فصلاً عن جُغرافية شمال سوريا، وابن شَدّاد (تُوفّي سَنَة 684هـ/ 1285م) (وهو غير مُؤلّف سيرة صلاح الدِّين) الذي ألّف كتاباً عن تاريخ شمال سوريا والجزيرة تَبَعاً لوحداتها الإقليمية، وكذلك مُؤرّخو مصر. وكانت كُتُب المبدإ، التي تصف خَلْق العالم، أعظم أهمية من حيث الجمع بين الجُغرافيا والكوزموغرافيا من جِهة والتاريخ من جِهة أُخرى. لقد كانت معرفة المبدإ قائمة في الأصل على الأخبار الموروثة ولم تكن مُستعدّة قطّ لقبول الأخبار العلمية. لكن لَمّا جاء العصر الذي اتصل فيه الجُغرافي بالمُؤرّخ، قدّمت لهم قِصّة خلق العالم القديمة طريقاً ضيّقاً للدخول... وقد حدث هذا في نهاية القرن التاسع وأوائل القرن العاشر.

إنّ المسعودي هو، فيما نعلم، أول من جمع بين التاريخ والجُغرافيا العلمية بأُسلوب رائع. فبينما أبقى اليعقوبي كُتُبه الجُغرافية والتاريخيَّة مُنفصلة بعضها عن بعض، نجد أنّ المسعودي في تاريخه يبدأ بوصف شكل الأرض والمُدن، والظواهر الجُغرافية البارزة والمُحيطات والجبال والأنهار والجُزُر والبُحيرات والأبنية والتغيّرات الطبيعية التي حدثت على الأرض وأمثال ذلك من المواضيع، وبعد أن بحث كُلّ هذا انتقل إلى ذكر أخبار التاريخ[24].

(22) رجعت إلى مخطوطة باريس، رقم ar, 5862، وهي نُسخة حديثة.

(23) انظر أدناه: ص195-220.

(24) إنّ **مُروج الذهب** هو الكتاب الوحيد الباقي من كُتُب المسعودي الذي نجد فيه مَزْجاً بين الجُغرافيا والتاريخ. ويذكر المسعودي في مُقدّمة **المُروج** أنّ في **أخبار الزمان** معلومات =

وفي كتاب **التنبيه والإشراف**، نصٌّ مشهور يصف فيه المسعودي المُؤلّفات التاريخيَّة النَّصرانية التي كان يعرفها... وهو يقول في ذلك النصّ: «ولبعض تبعيّة (مارون) من المارونية ويعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكُتُب والمُدن ومُلوك الروم وغيرهم وأخبارهم، انتهى بتصنيفه إلى خلافة المُكتفي، ولم أرَ للمارونية في هذا المعنى كتاباً مُؤلَّفاً غيره. وقد ألّف جماعة من الملكية والنّسطورية واليعقوبية كُتُباً كثيرة ممّن سَلَف وخَلَف منهم. وأحسن كتاب رأيته للملكية في تاريخ المُلوك والأنبياء والأُمم والبُلدان وغير ذلك، كتاب محبوب بن قسطنطين المَنْبِجي، وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش المصري بطريرك كرسي مارقس بالإسكندرية، وقد شاهدناه بفسطاط مصر، انتهى بتصنيفه إلى خلافة الرَّاضي، وكتاب إثنايوس الراهب المصري رتّب فيه مُلوك الروم وغيرهم من الأُمم وسِيَرهم وأخبارهم من آدم إلى قسطنطين بن هيلاني. ورأيتُ لأهل المشرق من العُبّاد كتاباً ليعقوب بن زكريا الكاتب، وقد شاهدناه بأرض العراق والشام يشتمل على أنواع من العُلوم في هذه المعاني، يزيد على غيره من كُتُب النَّصارى، وكتاباً لليعاقبة في ذكر مُلوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسِيَرهم وأخبارهم، ألَّفه أبو زكريا دنخا النَّصراني»[25].

يبدُو من هذا النصّ أنّ النَّصارى المُعاصرين أو السابقين للمسعودي، كانوا قد قاموا بمثل هذا الجمع بين التاريخ والجُغرافيا، وأنّ أغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المَنْبِجي كان له فصل جُغرافي دقيق في كتابه عن **تاريخ العالم**. ولا ريب

= جُغرافية فيها الصفة التي وصفناها. أما النُّسخة المطبوعة من **أخبار الزمان** (القاهرة 1357هـ) والتي بقيت في عدّة مخطوطات باسم المسعودي، فهي في الحقيقة لا تحوي مادة جُغرافية كما أنه ليس فيها معلومات تاريخية ما عدا التاريخ المزعوم للفراعنة. انظر: الإشارة إلى هذا الكتاب في **التنبيه** للمسعودي.

(25) المسعودي: **التنبيه**، ص154 وما يليها (طبعة دي غويه في المكتبة العربية الجُغرافية مجلد 8) انظر: خاصة الإشارة إلى المُؤرّخ الماروني الذي ألّف في زمن المكتفي (سَنَة 289-295هـ/ 902-908م).

أما عن أغابيوس (محبوب) فانظر:

G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, II, 93-41 (Città del Vaticano 1947, Studi e Testi 133).

أنّ وصف المسعودي لمُؤلّفات النَّصارى كان مُتأثّراً بفكرته عما يجب أن يكون عليه كتاب التاريخ، وعلى هذا يجب ألّا يُفسّر تفسيراً حَرْفياً. ومع هذا، فهو يُفيد في تذكيرنا بأن العلوم (الإغريقية) السُّريانية النَّصرانية أسهمت كثيراً في تطوّر الوضع العلمي في الإسلام الأمر الذي طَبَّقه المسعودي على التاريخ.

وفي الفصل الأول من كتاب **مُرُوج الذهب** الذي يبحث في المبدإ والخَلْق والكون والجُغرافيا، يُبيِّن المسعودي بوضوح أنه يُعالج موضوعاً علمياً قد يُناقض بعض المُعتقدات الدِّينية في الإسلام، فهو يقول: «وما ذكرناه من الأخبار في مبدإ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة، ونقله الخَلَف عن السَّلَف والباقي عن الماضي، فعبَّرنا عنهم على حَسَب ما نُقل إلينا من ألفاظهم ووجدناه في كُتُبهم، مع شهادة الدلائل بحُدوث العالم واتّضاحها بكونه، ولم نتعرّض لوصف قول من وافق ذلك وانقاد إليه من أهل المِلَل القائلين بالحُدوث ولا الردّ على من سواهم من خالف ذلك وقال بالقِدَم لذكرنا ذلك فيما سَلَف من كُتُب وتقدّم من تصنيفنا»[26]. غير أنّ المسعودي لم يستطع التأثير في المُؤلّفين الذين تابعوا تقاليد الطَّبَري التاريخيَّة أمثال مِسْكَويه وابن الأثير، يُضاف إلى هذا طبعاً أولئك الذين كتبوا صِلة لتاريخ الطَّبَري، رَغْم أنّ عدداً من هؤلاء كان يرى أنّ أخبار البُلدان تُكوِّن مجموعة خاصة من المصادر التاريخيَّة التي يُمكن أن يستخدمها المؤرِّخ[27].

وإذا كانت الأقسام الأُولى الباقية من مُؤلّفات مُؤرِّخي العالم تسمح لنا بإبداء رأي[28]، فإنه يُمكن القول بأنهم سلكوا السبيل التي أراهم إياها

---

(26) **مروج**، ج1، ص54 فما بعد (طبعة باريس، ج1، ص17، طبعة القاهرة، 1346هـ).

(27) مسكويه: **تجارب الأمم**، مُقدّمة، ج1، طبعة كايتاني: ليدن ـ لندن 1909م في سِلْسِلَة ي.ج.و.جب التذكارية رقم 7.

(28) عندما شعر مُؤلّف فارسي من أوائل القرن الثاني عشر كان قد دَوَّن تبعاً لأساليب حمزة الأصفهاني على السنين، بالحاجة إلى أخذ بعض الأخبار عن جُغرافية الأماكن المُقدّسة وخِططها، اضطر إلى أن يضع هذه المعلومات في آخر كتابه. انظر: **مجمل التواريخ** على ما يذكر مول.

J. Mohl, in *JA*, III, 144 (1841).

المسعودي، كما يجب ألّا يأخذنا العجب عندما نرى **البدء والتاريخ** الذي ألّفه المُطَهَّر في القرن العاشر يُفيد من المعرفة الجُغرافية مثل هذه الإفادة. وفي كتاب **المُنْتَظَم** لابن الجَوزي معلومات جُغرافية نعرفها من كتاب **شُذُور العُقود** الذي هو مُلخَّص لـ **المُنتظَم**. أما **مرآة الزمان** لسِبْط ابن الجَوزي، فيُمكن القول بأنه قد أخذ الأبحاث الجُغرافية من المسعودي نظراً لكثرة اعتماده عليه. فالروح العلمية التي استيقظت في هذا المضمار أثبتت أنها صَلبة، وليس من السهل إخضاعها للّاهوت. وإذا قرأت الفصل القصير عن الأنهار والبحار في أوائل كتاب **البداية والنهاية** لابن كثير[29]، فإنك لا بدَّ أن تُدرك مدى انحراف هذا الفصل، الذي يُشير إلى ابن سينا وبطليموس، عن وصف خليقة العالم الذي كان سائداً، وهو موروث عن الماضي. إنّ ابن الدَّواداري في **كَنْز الدُّرَر** ثم العَيْني في **عِقد الجُمان** والمَقْريزي في **الخبر عن البشر**، وكُلّهم ممّن سبق ابن كثير، قدّموا أمثلة طيّبة عن بقاء المَقدّمات العلمية لتواريخ العالم.

وفي **عِقد الجُمان** أُمور تتجلّى في مَدّ المُلاحظات الكوزموغرافية إلى وصف الكواكب السيّارة والنجوم الثابتة والأجرام السماوية الأُخرى والظواهر الجوية[30].

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنّ ظهور المُؤرّخين الجُغرافيين أمثال المسعودي في العصر الذي ظهروا فيه لم يكن وليد المُصادفة، فكُلّ من يقرأ المُقدّمة التي كتبها اليعقوبي لكتابه الجُغرافي **البلدان** لا بدَّ أن يتذكّر أولئك الرحّالة الباحثين عن المعرفة أمثال هيكاتيوس واهتمامهم بالشعوب والبلاد الأجنبية. ولا شكّ أنّ العُلماء المُسلمين في القرن التاسع والعاشر لم يكونوا عارفين بهذه الأحوال التاريخيَّة، إلا أنّ هذه الأوضاع الفكرية كانت تدفعهم، وأنّ انتقال عُلوم الإغريق، وخاصة الجُغرافيا الإغريقية الرومانية، أثار في المُسلمين الرغبة للقيام

---

(29) ج1، ص22 وما بعدها.

(30) مخطوطة القاهرة: تاريخ مجموعات 71، ص12 وما بعدها. أما قائمة مُحتويات العقد، فتجدها في:
O. Spies, *Beiträge zur arabischen Literaturgeschichte* 91 f 6. (Leipzig 1932, *AKM*, XIX 3).

بأنفسهم بالبحث الشخصي وتوسيع أُفقهم السياسي بالاطّلاع على الشعوب الأجنبية، وهي الرغبة نفسها التي أثارت النشاط في نُفوس العُلماء الأيونيين قبل ثلاثة عشر قرناً. غير أنّ الإسلام في القرن التاسع كان له آنذاك، خِلافاً لما حدث في أوائل تاريخ الإغريق، عِلْمٌ بتاريخ راقٍ، ولذلك لم يكن بالإمكان أن ينشأ عن هذه الروح الجديدة شكل جديد من أشكال علم التاريخ. ولهذا ارتبطت الجُغرافيا بالأشكال التاريخيَّة القائمة آنذاك ارتباطاً غير وثيق كما بيَّنّا من قبل. ولا حاجة للقول إذن بأن التاريخ والجُغرافيا ظلّا عِلْمَيْن مُنفصلَيْن، وظلَّ الناس يشعرون بأن كُلّاً منهما علم مُستقلّ قائم بذاته[31] رُغم أنّ بعض المُؤلّفين الجُغرافيين كانوا يشعرون بأنّ مَزْج التاريخ والأخبار المُسلّية الأُخرى في أبحاثهم له أثر حاسم في قِيمتها كنِتاج أدبي[32].

4 ـ التنجيم

كان أثر التنجيم بتنبُّؤاته السريعة الزوال والبعيدة المدى أقوى في التاريخ الوسيط منه في علم التاريخ الوسيط. لقد كان المُؤرّخون مُخلصين في واجبهم بالإخبار عن الماضي، لذا أخذوا من الفَلَكيين حساباتهم فيما يتعلّق بتاريخ الدُّنيا وتاريخ ما قبل الإسلام[33]... وبهذه الوسيلة تَوَفَّر للمُؤرّخين المُسلمين الأوائل مِقدار غير قليل من الموادّ التاريخيَّة المهمة، غير أنهم لم يُعيروا تنبّؤات المُنجّمين إلا اهتماماً قليلاً، اللهمَّ إلا عندما كان بمقدورهم لَفْت النَّظر إلى بعض المُصادفات الغريبة التي تحقّقت فيها النُّبوءات[34]، أو إلى مجموعات النجوم

(31) انظر: المراكشي **المُعْجِب**، ص252، طبعة دوزي (ليدن 1847، 1881م) اقْتَبَس منه ج.هـ. كرامرس في مقالته عن «**جُغرافية**» في ملحق دائرة المعارف الإسلامية.

(32) مقدّمة **الروض المِعْطار**، وهو من مُؤلّفات القرن الخامس عشر، طبعة ليفي بروفنسال. *La Péninsule Ibérique au Moyen Âge*, XIX, text *ḥ* (Leiden 1938).

(33) مثلاً **تاريخ** حمزة الأصفهاني، فهو يقول في الفصل الذي عقده عن تواريخ سِنِيّ القِبْط «ولم أجد لتواريخ سِنِيِّهم ذكراً في الكُتُب إلا في **الزيجة**» (ج1، ص82، طبع غوتولدت. سان بطرسبورغ ـ لايبزيغ 1844-8م).

(34) «وذكر عن عليّ بن يحيى المُنجّم أنه قال: كنت أقرأ على المُتوكّل قبل قتله بأيام كتاباً من كُتُب الملاحم، فوقفتُ على موضع من الكتاب فيه أنّ الخليفة العاشر يُقتل =

التي كان لها الأهمّية التاريخيَّة خاصة[35]. غير أنّ حُبّ الاستطلاع العلمي الذي توفَّر لمُؤرِّخي القرنين التاسع والعاشر لم يتجاهل تماماً هذا العلم الذي كان مثار النقاش والجدل، لذلك نجد أنّ اليعقوبي يُشير إلى الطوالع والتنجيم في بداية كُلّ حُكم[36]، كما أنّ التواريخ المحلّية أخذت فيما بعد تُشير إلى الطوالع التي كانت قائمة عند بناء أية مدينة[37].

ثم إنّ المُنجِّمين بدورهم كانوا آنذاك شديدي الاهتمام بأخبار الماضي الثقافية والتاريخيَّة، ولعلّ هذه الأخبار كانت موجودة أحياناً في بعض مُؤلّفات القرنين التاسع والعاشر عن العالم، والتي أُلِّفت باسم تحويل سِنِيّ العالم

= في مجلسه فتوقّفت عن قراءته وقطعته، فقال لي: مالك قد وقفت؟ قلت: خير. قال: لا بدّ والله من أن تقرأه فقرأته وجِدتُ عن ذكر الخُلفاء. فقال المتوكل: ليت شعري من هذا الشقي». انظر: الطَّبَري: **التاريخ**، سِلْسِلَة 3، ص1463، طبعة دي غويه وآخرين، حوادث سَنَة 247؛ ولم يُدرك المُتوكّل أنه هو الخليفة المقصود بذلك. وهُناك كثير من أمثال هذه القِصَص وقِصَص عن النجاح تنبّأ بها الفلكيون. وقد لاحظ حمزة الأصفهاني (**تاريخ**، ج1، ص191، طبعة غوتولدت) حدوث الجفاف بدلاً من الفيضان الذي تنبّأوا عنه. ويذكر الطَّبَري أنّ الواثق «لما اعتلّ علّته التي مات فيها وسقى بطنه، أمر بإحضار المُنجّمين فأُحضروا، وكان محمد قد حضر الحسن بن سهل أخا الفضل بن سهل والفضل بن إسحاق الهاشمي وإسماعيل بن نوبخت ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القُطْرُبُلي وسند صاحب محمد بن الهيثم وعامة من ينظر في علم النجوم فنظروا في علّته ونجمه ومولده، فقالوا يعيش دهراً طويلاً وقدّروا له خمسين سَنَة مُستقبلة فلم يلبث إلا عشرة أيام حتى مات (الطَّبَري سِلْسِلَة 3، ص1364).

لقد قبلت التنبّؤات عن دوام الإسلام في كتاب المُطَهَّر **البدء والتاريخ**، ج2، ص155 فما بعد، هوارت (باريس 1899-1919م).

Publ. de l'École des langues Or. viv., IVe serie, vol. 16-18, 21-23.

وفي **تاريخ** حمزة الأصفهاني، ج1، ص153-5.

(35) انظر مسكويه: **تجارب الأمم**، طبعة د.س، مارغليوث وهـ.ف أمدروز.
D.S. Margoliouth and H.F. Amedroz, *The Eclipse of the Abbasid Caliphate*, II, 239 (Oxford 1920-21).

(36) انظر أعلاه: ص125، وأدناه ص182. انظر أيضاً: ابن مُيَسَّر (طبع ماسيه: القاهرة 1919م).

(37) انظر: ابن الشِّحْنة: **الدُرّ المُنتخَب في تاريخ مملكة حلب** ص19 (بيروت 1909م)، وهو يتابع ابن شدّاد في **الأعلاق الخطيرة**، وهذا بدوره يقتبس من «كُتُب قديمة» تتحدّث عن قراءة الكتابات الإغريقية التي فيها طوالع حلب. انظر أدناه: ص176-7.

(المواليد)[38]، والتي كانت تهتمّ بالأحداث السنوية للمجاعات والأوبئة وغيرها... إننا نعلم أنّ كثيراً من الموادّ التاريخيَّة قد وَرَدَت في كتاب **الألوف** لأبي مَعْشَر الذي استخدمه كلٌّ من المسعودي وحمزة الأصفهاني[39].

يرى إخوان الصفا أنّ ممّا ينبغي أن يُلِمَّ به المُنَجِّمون «معرفة مواليد السِّنين ومُوافقتها من الحساب والنِّسَب، ومعرفة التواريخ والبدايات وما يكون في ابتداء الأعمال من الطوالع وما يُوجب دوام ذلك»[40]. وهم يرون أنّ عمل المُنَجِّمين له أثر على سبعة أُمور تُشبه ما تذكره كُتُب التواريخ، فهم يقولون: «اعلم أنّ الكائنات التي يستدلّ عليها المُنَجِّمون سبعة أنواع، فمنها المِلَل والدُّوَل التي يُستدَلّ عليها من القراءات الكبار التي تكون من كُلّ ألف سَنَة والتقريب مرة واحدة، ومنها تنقُّل المملكة من أُمّة إلى أُمّة أو بلد إلى بلد أو من أهل بيت إلى أهل بيت آخر، وهي التي تكون ويُستدلّ على حُدوثها من القِرانات التي تكون في كُلّ مئتين وأربعين سَنَة مرة واحدة... ومنها تبدّل الأشخاص على سرير المُلك وما يحدث بأسباب ذلك من الحُروب والفِتن التي يُستدلّ عليها من القِرانات التي تكون في كُلّ عشرين سَنَة مرة واحدة، ومنها الحوادث الكائنات التي تحدث في كُلّ سَنَة من الغلاء والرُّخص والخِصْب والجَدْب والوباء والموت والقَحْط والأمراض والعِلَل والحَدَثان والسلامة، ومنها يُستدلّ على حدوثها من تحاويل سِنِيّ العالم التي عليها تُؤرخ التقاويم، ومنها حوادث الأيام شهراً بشهر ويوماً بيوم التي يُستدلّ عليها في أوقات الاجتماعات والاستقبالات التي تُؤرّخ في التقاويم، ومنها أحكام المواليد لواحد واحد من الناس في تحاويل سِنِيّهم من حيث ما يُوجب لهم تشكيل الفلك ومواضع الكواكب في أُصول مواليدهم وتحاويل سِنِيّهم، ومنها الاستدلال على الخفيّات من الأُمور الجَزَوية كالخبء

---

(38) انظر: **الفِهرِست**، ص382-7 (القاهرة 1348هـ، ص213-7، طبعة فلوجل).

(39) انظر: J.Lippert, Abu Ma'shar's *Kitâb al-Ulûf*, in *WZKM*, IX, 351-8 (1895).
انظر أيضاً: حمزة الأصفهاني: **التاريخ**، ج1، ص79 فما بعد، طبعة غوتولدت.

(40) **رسائل إخوان الصفا**، ج4، ص364 (القاهرة 1347هـ/ 1928م) أما عن التنجيم والتاريخ في الصين وأوروبا في العصور الوسطى، فانظر:
H. Franke, in *Oriens*, III, 117 (1950).

والسرقة واستخراج الضمير والمسائل التي يُستدَلّ عليها من طالع وقت المسألة والسُّؤال عنها»[41].

ثُمّ إنهم أدركوا قِيمة المعرفة التاريخيَّة كأساس مُقنع لتنبّؤاتهم عن المستقبل. وقد سُئِل الدانيالي، الذي سُمِّي بهذا الاسم لاختصاصه بتنبّؤات دانيال، أن يُساعد على تعيين أحد السياسيين لمنصب الوزارة، فما كان منه إلّا أن زَوَّر كتاباً باسم دانيال يُشير بشكل خفيّ إلى أحداث الماضي وإلى الأُمور التي لمّا تكن قد حدثت بعد[42]. لذلك عندما تحقّقت تنبُّؤات دانيال عما وقع، ازدادت ثِقة الناس بتنبّؤاته عما سيقع.

وبهذه السُّبل الصغيرة أخذ التنجيم يتّصل بعلم التاريخ، ممّا أدّى إلى شيء من الأخذ والعطاء بين العلمين اللذين يختلفان في إدراكهما للعالَم.

5 ـ الفلسفة

كان بإمكان الفلسفة أن تكون أقدر من كُلّ العلوم آنفة الذكر على الإجابة عن مُشكلات التاريخ الكبرى، غير أنّ المُؤرّخين المُسلمين لم يستخدموها قطُّ بشكل فعّال لتحقيق هذا الغَرَض. لقد دارت في أذهان المُؤرّخين مسألة أساسية وهي مدى الثقة بالأخبار التاريخيَّة وعلاقتها بالحقيقة، غير أنهم في أبحاثهم التاريخيَّة لم يجعلوها موضوعاً لمُناقشة نظرية، وبذلك كانوا يختلفون عن المُتكلّمين والفلاسفة[43].

---

(41) المصدر آنف الذكر، ج3، ص258 (كذلك ج1، ص106-7) [المترجم].

(42) انظر: ابن الأثير: **الكامل**، ج8، ص85 فما بعد، حوادث سَنَة 319هـ (القاهرة 1301هـ) مسكويه في:
H.F. Amedroz and D.S. Margoliouth, *The Eclipse of the Abbasid Caliphate*, I, 215-7 (Oxford 1920).
وهو يختلف شيئاً ما في بعض التفاصيل المُتعلّقة بالموضوع. انظر أيضاً فصل ابن خلدون عن التنجيم والتاريخ (**مقدّمة**، ج2، ص176 فما بعد، طبعة باريس).

(43) انظر:
F. Rosenthal, «The Technique and Approach of Muslim Scholarship», 57-9 (Rome 1947, *Analecta Orientalia* 24).

والواقع أنّ أبعد ما وصلوا إليه في هذا المِضمار، هو رأي أبداه ابن خلدون وقال فيه: إنّ المُؤرّخ «مُحتاج إلى مآخذ مُتعدّدة، ومعارف مُتنوّعة، وحُسن نظر وتثبيت يُفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكبان به عن المزلّات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتُمد فيها على مُجرّد النقل ولم تُحكم أُصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قِيسَ الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فرُبّما لم يُؤمَن فيها من العثور ومزلّة القدم والحَيْد عن جادّة الصدق»[44].

وتتجلّى فكرة المُسلمين عن مدى إمكان الاعتماد على الأخبار التاريخيَّة في كتاب **الطريقة** *Methodus* الذي ألّفه ج. بودين وقال فيه: «... التُّرك الذين يُقال عنهم إنهم لا يتذكّرون الآثار ولا يهتمّون بها قطّ لأنهم يعتقدون أنّ الأخبار المُعتمدة لا يُمكن أن يكتبها أُناس يَتَسقَّطون أقوال الناس، ولا الذين يحضرون الأحداث ويُسهمون فيها، لأنهم إما «أن يكذبوا على أنفسهم في عِدّة نَواحٍ، أو يضطروا إلى الانحراف عن الحقيقة بسبب الخوف أو الرَّشوة أو كُره الأُمراء»[45].

وتأثّر المُؤرّخون المُسلمون بالحكمة الشعبية من نوع المواعظ الخُلُقية **مرايا الأُمراء** «*Fürstenspiegel*»، وكذلك بعلم التاريخ عند الفُرْس[46]، فكانت كُتُب

= إنّ بعض من بحث القضية في الكُتُب الدِّينية، من أمثال الخطيب البغدادي (انظر كتاب **الكفاية** للخطيب ص16 فما بعد، حيدرآباد 1357هـ) كانوا مُؤرّخين مُؤهَّلين. انظر أيضاً: البِيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة**، ترجمة سخاو، ج1، ص3 فما بعد (لندن 1910م)، ج1، ص2 فما بعد (حيدرآباد 1958م)، **والآثار الباقية** ص81-82 وما بعدها (طبعة سخاو. لايبزيغ 1878، 1923م).

(44) ابن خلدون، **المقدّمة**، ج1، ص8 فما بعد (طبعة باريس). أما عن نظرة الفيلسوف إلى علم التأريخ، انظر أيضاً أعلاه: ص34.

(45) *Method for the Easy Comprehension of History*, transl. by R. Reynolds, 42 (New York 1954).

وربما كان المُؤلّف قد نسب إلى «التُّرْك» ما تردّد في قوله عن بيئته.

(46) راجع:

G. Richter, *Studien zur Geschichte der älteren arabischen Fürstenspiegel* (Leipzig 1932, Leipziger Semitistische studien, N.F., 3).

مثلاً: ص54 فما بعد.

السِّيَر والتراجم المُؤلّفة على النَّمط التقليدي[47] مليئة بالفلسفة الشعبية والحِكميّات، فالمُؤلّفون من أمثال الثعالبي في كتابه **الغُرَر**[48]، عندما كانوا يتكلّمون على الإسكندر ووفاته لم يتركوا قطّ الزخارف الفلسفية بقِصّة الإسكندر. لقد كوَّنت الحِكميّات من حيث العُموم جُزءاً مُهمّاً من السِّيَر والتراجم في كُتُب التاريخ... كما أنّ المُسلمين كانوا يعتبرون الموضوعات الفلسفية كقِصَر الحياة وعدم دوام النعيم الدُّنيوي من الأُمور الرئيسة في البحث التاريخي.

وقد رَافقت إدخالَ التاريخ الإغريقي والهندي ضمن تواريخ العالم في القرن التاسع، بعضُ الإشارات إلى أفكارهم الفلسفية. غير أنّ تلك الفترة شهدت أيضاً بعض المُحاولات لإعطاء الفلسفة منزلة خاصة مُمتازة في بحث التاريخ... فتاريخ سِنان بن ثابت يهتمّ فيما يظهر بالسِّيَر والتراجم إلا أنّ مُقدّمته فيما روى لنا تبدأ ببحث السياسة والأخلاق الأفلاطونية[49]... غير أنّ أدقَّ مُحاولة لإخضاع التاريخ للفلسفة من الناحية الظاهرية على الأقل، هي التي قام بها المطهَّر بن طاهر المقدسي في كتابه **البدء والتاريخ** الذي ألَّفه سَنَة 355هـ/ 966م[50]. ففي مُقدّمة هذا الكتاب بحث نظري عن المعرفة والعقل، ويتجلّى فيه استهداف المُؤلّف النظر إلى الكون وتاريخه بمنظار الفلسفة. وهو يتبع في هذا الكتاب التنظيم المألوف من خليقة العالم إلى الرسول وتاريخه وصحابته، وتاريخ الدولتين الأُموية والعباسية، ويُؤكّد في بحثه على بعض الموضوعات كصِفات الخالق، والأهمية الثقافية والفلسفية للأديان القديمة، والخِلافات في العقائد بين مختلف الفِرَق الإسلامية، ويُحاول أن يُقدّم معلومات علمية وفلسفية كلّما أمكن ذلك. غير أنه لم ينجح قط في إبداع صورة مُتماسكة للتاريخ باعتباره من وظائف العمليات العقلية. ويُمكننا القول إنّ المُلاحظات الفلسفية هي كالبُقَع القِرْمزية

---

(47) انظر: F. Rosenthal, in *OLZ*, XL, col. 627 (1937).

(48) **الغُرَر في سِيَر مُلوك الفُرْس**، طبع زيتنبرغ (باريس 1900م).

(49) انظر أعلاه: ص124، هامش 85.

(50) إنّ **ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور** هو عُنوان كتاب ألّفه المسعودي، وهذا العُنوان قد يُوحي أنّ مُحتوياته تُشبه مُحتويات **البدء والتاريخ**.

التي تناثرت في ثنايا مُختلف أجزاء الكتاب، غير أنه بقي علينا الاعتراف برغبة المُؤلّف الصحيحة في وجدان اتّحاد بين الفلسفة بأوسع معانيها والتاريخ... ومن سوء الحظ أننا لا نعلم أحداً ممّن تلاه استطاع أن يتعمّق في بحث التاريخ بالروح نفسها[51].

6 ـ العلوم السياسية والاجتماعية

اقْتَبَست العلوم السياسية الإسلامية كثيراً من آداب السلطان الفارسية، كما اقْتَبَست بعض نواحي علم الأخلاق الإغريقي، وبهذه الطريقة تمَّ لها بعض الاتصال بعلم التاريخ كما أشرنا إلى ذلك قبلاً، ثم إنها كانت عاملاً في رسم الصورة المثالية للحاكم المُسلم كما تتجلّى في كُتب سِيَر الحُكّام المُسلمين وخاصة في أوائل العصر الإسلامي، أو مناقبهم وفضائلهم. وقد ذكر ابن الطِّقْطَقى في مُقدّمة كتابه **الفَخْري** كلاماً طويلاً شاملاً لآداب السلطان **مرايا الأُمراء** وصف فيها الحاكم المِثالي، وذكر بعض الشواهد المُستمدّة من خبراته الشخصية في أواخر القرن الثالث عشر، كما أشار إلى **تاريخ طَبَرِستان** الذي ألّفه ابن إسفنديار في أوائل ذلك القرن. ولعلّ إشارته إلى هذا التاريخ كانت نتيجة ظروف جعلت مثل هذه الإشارة مُناسبة جداً[52]. ثُمّ إنّ آداب السلطان **مرايا الأُمراء** أخذت بدورها كثيراً من الأمثلة التاريخيّة وأدخلتها ضِمن نِطاق بحثها[53]، حتى بلغت في زمنٍ ما درجة رفيعة من الأهمّية بحيث احتوت على مُختصرات للتاريخ الإسلامي. غير أنّ الأُمور الجوهرية في النظرية الإسلامية عن الدولة ومُؤسساتها السياسية كانت مُرتبطة بالنظريات والأعراف الفقهية.

---

(51) انظر أيضاً: القصيدة التاريخيّة لعبد الجبار أدناه، ص237.

(52) إنّ **مرايا الأُمراء** هذه كانت على شكل رسالة مُوجّهة لملك طَبَرِستان، وقد ترجمها دارمشتتر.

J. Darmsteter, in *JA*, IX, 3, 185-250 and 502-55 (1894).

(53) إنّ الكتاب الوحيد الذي أستطيع ذكره بهذه المُناسبة، هو الكتاب الذي أشار إليه بروكلمان، ج2، ص446، وهو يرجع إلى سَنَة 936هـ/ 1529م. وبالطبع كانت هُناك كُتُب قبله.

إنّ الحوادث التي قامت عليها نظرية المُسلمين في تولّي الخلافة مذكورة في الكُتُب التاريخيَّة غير أنه لم تجرِ دراسات نظرية دقيقة. فالعلوم السياسية باعتبارها بحثاً نظرياً لم تدخل إلى علم التاريخ الإسلامي حتى جاء ابن خلدون.

والعلوم الاجتماعية يُمثّلها في الإسلام علم الاقتصاد الإغريقي. كانت تبحث في رسائل إغريقية الأصل، أو تدخل ضمن موسوعات[54]. وفي بعض هذه الموسوعات أجزاء عن التاريخ أيضاً، غير أنّ بحث التاريخ لم يُربط ببحث العلوم الاجتماعية. وكثيراً ما اعتبر المُؤرّخون الأُمور المالية والضرائب أحداثاً مُهمّة، كما أعاروا تاريخ العُملة وتبدّلاتها التفاتاً كبيراً[55]. وقد راعوا ما للإحصاء الاقتصادي من أهمية تاريخية، وأدخلوا مثل هذه الإحصاءات أحياناً في كُتُب التاريخ، وخاصة التواريخ الدُّنيوية المحلّية، كتواريخ بغداد في القرن التاسع م. والتواريخ الفارسية والمصرية الدُّنيوية المحلّية المتأخرة[56]. غير أنّ مكانها الحقيقي كان في المُؤلّفات عن الإدارة أو الخَرَاج أو الحكومة والإدارة ككتاب **قوانين الدواوين** لابن مَمّاتي[57].

---

(54) انظـر:
M. Plessner, *Der «OIKONOMIKOΣ» de Neupythagoreers 'Bryson' und sein Einfluss auf die islamische Wissenschaft* (Heidelberg 1928, Orient und Antik, 5).

(55) مثلاً ضرب النقود الإسلامية في زمن عبد الملك أو الفصل المكتوب عن ضرب النقود في كتاب **تاريخ بُخارى** للنرشخي، ص43-3، طبعة شيفر.
Schefer (Paris 1892), Publ. de l'École des langues or. viv., III, 13.

(56) انظـر:
F. Rosenthal, *Aḥmad b. aṭ-Ṭayyib as-Saraḫsî*, 80 (New Haven 1943, American Oriental Series 26).
انظر: قائمة الواردات في تاريخ طَبَرِستان لابن إسْفَنْدِيار، ص29 من الترجمة المختصرة التي عملها أ.ج براون للكتاب (ليدن ـ لندن 1905م سِلْسِلَة جِب التذكارية 2)؛ ابن خلدون، **المقدّمة**، ج1، ص321 فما بعد (باريس)، والأهم من كُلّ ذلك الإحصاءات الكاملة لفارس التي نسخها من وثيقة رسمية (زمام) ابن أبي زرع (ص25 فما بعد. ترجمة تورنبرغ، ص57 فما بعد، أبسالا 1843-6م).
أما بذكر تاريخ حمزة الأصفهاني لتواريخ السَّنة الجديدة الفارسية، فيرجع إلى أهمّية هذه التواريخ في الأُمور المالية. أما كيفية استخراج الضرائب العالية من السكان، فيُمكن أن يتعلّمه المرء من الكُتُب التاريخيَّة على ما يقول ابن الطِّقْطَقى. انظر أعلاه: ص81 هامش 98.

(57) طبعة عزيز سوريال عطية في القاهرة سَنَة 1943م.

ففي مثل هذا النوع من الكُتُب في القرن العاشر، نجد أُنموذجاً بارعاً من التفكير التاريخي والاجتماعي النافذ في النظريات الاقتصادية الإسلامية ألا وهو كتاب **الخَرَاج** لقُدامة بن جعفر الذي يختلف عن كتاب **الخَرَاج** الأول للقاضي أبي يوسف ويحيى بن آدم أو كتاب **الأموال** لابن سَلّام من حيث إنّ في كتاب قُدامة فصلاً طويلاً (خاصاً) عن تاريخ الفُتُوح الإسلامية. ومن الطبيعي أنّ الفُتُوح تُقدّم الأساس القانوني لنظام الضرائب الإسلامي، كما أنّ أدلّة الفُتُوح كانت تُستنتج من الباحثين في قضايا الضرائب عند اللزوم. غير أنّ بحث الفُتُوح ضمن كُتُب الخَراج يقوم على أُسس أُخرى، فقد كان قُدامة يُريد بمَزْجه دراسة الضرائب بالتاريخ، أن يُوسّع ميادين البحث التاريخي، كما حدث من مَزْج الجُغرافيا بالتاريخ آنذاك مثلاً. وقد شملت المنزلة الثامنة من كتاب **الخَراج** اثني عشر باباً:

1 ـ في صدر هذه المنزلة.

2 ـ في السبب الذي احتاج له الناس إلى اللِّباس والكِسوة.

3 ـ في السبب الذي احتاج له الناس إلى التناسل من أجله.

4 ـ في السبب الذي احتاج الناس إلى المُدُن والاجتماع فيها.

5 ـ في حاجة الناس إلى الذهب والفضة والتعامل بهما وما يجري مجراها.

6 ـ في السبب الداعي إلى إقامة مَلِك وإمام للناس يجمعهم.

7 ـ في أنّ النظر في علم السياسة واجب على المُلوك والأئمّة.

8 ـ في أخلاق المَلِك وما يجب أن يكون عليه منها في ذات نفسه.

9 ـ في الخِلال التي ينبغي أن تكون مع خُدّام المَلِك والقُرباء منهم.

10 ـ في أسباب بين المَلِك وبين الناس إذا تَحفَّظ منها زادت ـ من ـ محاسنه وانصرفت المعائب عنه وتمكَّنت له سياسته.

11 ـ في استيزار الوزراء وما يحتاج إليه المَلِك منهم وما يلزم المُلوك لهم.

ومن هذا، يتبيّن أنّ قُدامة لم يُضف فصلاً عن الفُتُوح فحَسْب، بل ضمَّ كتابه أيضاً فصلاً عن الآداب (الفصل التاسع) يَتَضَمَّن جميع المعلومات التقليدية عن أرسطو والإسكندر وأَنُوشَرْوان... إلخ. كما أنه ضَمَّن كتابه فصلاً مُنتظماً عن

العلوم الاجتماعية والسياسية (الفصل الثامن)، وهو يتكلّم بهذه المُناسبة عن سبب حاجة الناس إلى الطعام واللباس والتناسل والمُدن بتنظيماتها الاجتماعية والنقود والمُلوك والقادة الذين ينبغي أن يتحلّوْا بصفات خاصة ويتبعوا سياسة معيّنة وتكون لهم مجموعة خاصة من المُستشارين السياسيين[58].

لا يُوجد طريق مُباشر يصل بين قُدامة في القرن العاشر وابن خلدون في الربع الأخير من القرن الرابع عشر، فابن خلدون هو أول من حاول استخدام هذه العلوم مُجتمعة وتسخيرها لدراسة التاريخ. وقد نال عمله إعجاب الباحثين، ودُرِس دراسة دقيقة من قبل الأجيال اللّاحقة. ويظهر أيضاً أنّ ابن خلدون قد بثّ النشاط في النهضة التاريخيَّة في مصر في القرن الخامس عشر. وقد باءت بالفشل حتى اليوم كُلّ مُحاولة لمعرفة المِثال الذي احتذاه ابن خلدون في تفكيره، ومن المحتمل أنه كانت في بيئته، شمالي إفريقية وفي إسبانيا، أفكارٌ تُناقَش أمامه بشكل أوّلي[59].

غير أنه لا جِدال في إبداعه الأساس، وقد ذكر إبداعه بقوة إذ قال: «ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً، وأعثرنا على علم جعلنا سِنّ بَكْرِه وجُهَيْنة خَبَرِه، فإن كنت قد استوفيتُ مسائله وميّزتُ عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه، فتوفيق من الله وهداية. وإن فاتني شيء من إحصائه واشتبهتُ بغيره مسائله، فللنَّاظر المُحقّق إصلاحه. ولي الفضل لأني نهجتُ له السبيل وأوضحتُ له الطريق، والله يهدي بنوره من يشاء»[60]، ويُؤيّد صدقَ قولِهِ تواضعُه الواضح.

ثُمّ إنه ليس هُناك مبرِّر للرِّيبة بابن خلدون عندما يقول: إنّ مصادر إلهامه هي أُصول الفقه وكُتب الآداب، فهو يقول: «وهذا الفنّ الذي لاح لنا النَّظر فيه نجد مسائل تجري بالعَرَض لأهل العُلوم في براهين عُلومهم من جنس مسائله

(58) لقد استعملت مخطوطة باريس (رقم Ar 5907) وهي نُسخة حديثة من مخطوطة في إستانبول.

(59) انظر:
H.A.R. Gibb, «The Islamic Background of Ibn Khaldûn's Political Theory, in *BSOS*, VII, 23-31 (1933).

(60) **المقدّمة**، ج1، ص62 (باريس).

بالموضوع والمطلب مثل ما يذكره الحُكماء في إثبات النُّبوَّة من أنّ البشر مُتعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الحاكم والوازع، ومثلما يذكر في أُصول الفقه في باب إثبات اللُّغات أنّ الناس مُحتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وشأن العبارات أخفّ، ومثل ما يذكره الفُقهاء في تعليل الأحكام الشرعية بالمقاصد في أنّ الزّنا مُخْلط للأنساب مُفْسد للنوع، والقتل أيضاً مُفْسد للنوع، وأنّ الظُّلم مُؤذن بخراب العُمران المُقتضي فساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الأحكام، وأنها كُلّها مَبْنيّة على المُحافظة على العُمران فكان لها النَّظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل المُختلفة[61]، ولا شكّ أنّ أعظم ما قام به هو تطبيق الأفكار السياسية والاجتماعية المُبعثرة على التاريخ الذي يعتبره القوة الحيّة التي تربط الماضي بالحاضر بعملية واحدة مُستمرة.

فالإنسان والبيئة والجُهود الفردية والتنظيمات الاجتماعية كلها مادّة أوّلية للتاريخ، بحَسَب تحليل ابن خلدون العميق رَغْم تعسّفه أحياناً. وتحليل ابن خلدون هذا رَغْم إمكان تفسيره على ضوء أُسسه الإسلامية، إلا أنه أقرب إلى التوقُّف الفذّ منه إلى مُجرّد وقفة عادية في مجرى علم التاريخ الإسلامي[62].

7 ـ استخدام الوثائق والنُّقُوش والنقود

إنّ استخدام الأدلّة غير المكتوبة في البحث التاريخي يُعتبر في علم التاريخ الغربي الحديث مسألة طريقة بحث، فهو لذلك وثيق الارتباط بالتطوُّر الخاص الذي مَرَّت به الكتابة التاريخيَّة في الأزمنة الحديثة. أما الأبحاث التاريخيَّة السابقة. فلم تصل قطّ إلى مرحلة إدراك أهمية مثل هذه المصادر في البحث

(61) **المقدّمة**، ج1، ص63 وما بعدها (باريس).

(62) قد يبدو أنّ تفاصيل أكثر عن خصائص كتاب ابن خلدون مُمكن ذكرها هنا، لكن لمّا كنت مُنشغلاً الآن في إعداد ترجمة إنكليزية للمُقدّمة، فرُبّما تُتاح لي بعد بضع سنوات فُرصة للتعبير عن آراء أنضج وأكمل ممّا أستطيعه الآن عن ابن خلدون.
[لقد صدرت هذه الترجمة. المترجم].

التاريخي[63]، وليس لها في كُتُب التاريخ إلا إشارات عَرَضية، لكنها إشارات غير قليلة وتُلقي أضواء جانبية على المواقف الثقافية.

لقد لاحظَ المُؤرّخون أحياناً وجود آثار الأبنية العظيمة، غير أنهم لم يستخلصوا منها نتائج تاريخية إلى أن جاء ابن خلدون[64]. أما الوثائق والرسائل والأوراق الحكومية والبيانات الرسمية والخُطب وأمثال ذلك من الموادّ، فكانت المُؤلّفات التاريخيَّة الإسلامية تستخدمها بكثرة، وقد استخدمها المُؤرّخون ذَوُو المراكز المُؤثّرة في السياسة عندما كانوا يكتبون تاريخ زمنهم.

لقد بقيت كُتُب يُروى أنّ الرسول كتبها يدعو فيها مُختلف الكُتل السياسية في داخل الجزيرة العربية وخارجها، وقد أتاحت هذه الكُتُب للمُؤرّخين المُسلمين الأوائل فُرصة لإظهار تقديرهم للوثائق ذات القيمة التاريخيَّة[65]. وليس من المُهمّ، بالنسبة لبحثنا هذا، أن تكون هذه الوثائق أصلية، فالمهم هو مُجرّد وجود هذه الوثائق سواء أكانت أصلية أو مُزوّرة. وقد أكثر المُؤرّخون من إيراد مثل هذه الرسائل والكُتُب إلى درجة يكفي معها إيراد أمثلة قليلة.

ففي كتاب **أنساب الأشراف** للبلاذُري، نجد رسالة يُروى أنّ عثمان كتبها للمصريين الذين جاؤوا يحتجّون على عُمّاله، كما نجد أيضاً رسالة لشخصيات أقل مكانة[66]. أما اليعقوبي، فقد خصّص فصلاً خاصاً في تاريخه لمُكاتبات الرسول والخُلفاء الراشدين والرسائل الواردة من العُمّال الأجانب، وهي رسائل

---

(63) عن موقف مُؤرّخي العصور الوسطى الغربيين من الوثائق التاريخيَّة المعاصرة، انظر:
M. Ritter, *Die Entwichlung der Geschichtswissenschaft*, 117 (Munich-Berlin 1919).
H. Richter, Engl. *Geschichtschreiber*, 19, 72 (Berlin 1938).

(64) **المقدّمة**، ج1، ص317 وما بعدها (باريس).

(65) انظر:
J. Sperber, «Die Schreiben Moḥammads an die Stämme Arabiens», in *Mitteilungen des Seminars für orientalische Sprachen, Westasiatische Studien*, XIX, 1-93 (1916).

(66) البلاذُري، **أنساب**، ج5، ص64، 222 وما بعدها، طبع غوتاين (القدس 1936م).

طريفة جداً. أما الواردة من البيزنطيين، فقد رآها المُؤرخون مُهمّة فأوردوا نُصوصها[67].

وقد روى لنا أحد المُؤرّخين الرسالة التي أرسلها الحاكم الحبشي يغبئة صِيون[68] إلى الجالية الحبشية في بيت المقدس سَنَة 689هـ/ 1290م، كما نقل المُؤرّخون بإخلاص بعض الوثائق المُهمّة عن السياسة الداخلية[69] كالوثائق التي يُعيَّن بموجبها ولي عهد للخليفة أو غيره من كِبار المُوظّفين[70]، أو منشور المُعْتَضِد ضد الأُمويين الذي لم يُعْلَن للجُمهور قطّ[71].

ثُمّ إنّ كُتُب التاريخ كثيراً ما ضمَّت خِطابات من نَمط آداب السلطان، وخاصة ما كان من نوع الخطابات الدِّينية الزُّهْدية. ولا حاجة للقول إنها في العادة مُختلقات صِرْفة غير أنّ اختلاقها لم يهدف إلا إلى تصوير[72] المُتكلِّم وكأنه يسير تَبَعاً لمُثُل دينية إسلامية.

وقد روى العِماد الأصفهاني أنّ أَلْب أرْسلان الذي قُتل سَنَة 465هـ/ 1072م، قال وهو على فراش الموت: «ما كنتُ قَطُّ في وجه قصدته، ولا عَدُوّ أردته إلا توكّلتُ على الله في أمري، وطلبت منه نصري، وأما في هذه النوبة فإني أشرفت من تلٍّ عالٍ، فرأيت عسكري في أجمل حالٍ، فقلت أين من له قُدرة مُصارعتي، وقُدرة مُعارضتي، وإني أصل بهذا العسكر إلى أقصى الصين فخرجت عليّ منيتي من الكمين»[73]، وهو نثر مُرَصَّع بالسَّجْع، يُؤكّد على وجوب عدم الاغترار بالدُّنيا.

(67) انظر مثلاً: ابن الجَوزي. **المُنتَظَم**، ج6، ص293 حوادث سَنَة 326 (حيدرآباد 1357هـ).

(68) انظـر: E. Cerulli, *Etiopi in Palestina*, I, 88f. (Rome 1943).

(69) مثلاً المُعاهدة التي عقدها عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر مع ثيودمير. راجع المصادر في: E. Levi-Provençal, *La Peninsule iberique*, (Leiden 1938).

(70) انظر مثلاً: ابن الجَوزي، المصدر آنف الذكر، ج7، ص64، حوادث سَنَة 363هـ.

(71) راجع: الطَّبَري، **التاريخ** سِلْسِلَة 3، ص2165 وما بعدها، حوادث سَنَة 284هـ، طبع دي غويه.

(72) راجع: الطَّبَري، **التاريخ** سِلْسِلَة 3، ص1793 وما بعدها.

(73) العِماد الأصفهاني: **نُصرة الفِطرة**. انظر: تلخيص البُنْداري لهذا الكتاب نُشِر بعنوان **تاريخ دولة السَّلْجُوق**، ص45 (القاهرة 1318هـ-1900م).

ولا شكّ أنّ استخدام المُؤرّخين المُسلمين للوثائق قد بلغ أَوْجه عند العِماد. فكتابه العظيم **البَرْق الشامي** هو مُذكّرات مُرتّبة بحسب السِّنين، ومُؤلَّفة في الغالب من وثائق ورسائل ومنشورات وأمثال ذلك[74].

وقد كَتَبَ هذا المُؤلّف بنفسه إبّان أعماله الرسمية كثيراً من الوثائق التي لها علاقة بالأحداث التاريخيَّة، غير أنها في غالب الأحيان سطحية في فهمها، إذ صبَّ أكثر اهتمامه على عَرْض قُدرته في الأُسلوب، وهو ما كان يجول في خاطره عندما ضمَّن كتابه تلك الوثائق، لا الوثائق الحقيقية عن تلك الأحداث التاريخيَّة[75].

غير أنّ أمثال هذه الوثائق التي نجدها في كتاب **البَرْق الشامي**، تُساوي تماماً الرسائل الرسمية لوزراء الخارجية في العصر الحديث، فقِراءتها أعطت الطالب المُسلم المُعاصر بصيرة عن التاريخ في تَكَوُّنه آنذاك، كتلك التي يُؤمّلها الطالب الحديث من المُذكّرات المُعَزَّزة بالوثائق التي يُدوِّنها بعض رجال الدولة في العصر الحديث.

إنّ استخدام الوثائق في كُتُب التاريخ الإسلامي كانت تَحدُّها حقيقة أنّ معرفة أية وثيقة كانت مقصورة تقريباً على المُعاصرين «أو القريبين من عهد تلك الوثيقة». أما المُؤرخون المُتأخّرون الذين ينقلون وثائق تتعلّق بالماضي، فلا بدَّ أن يكونوا مُعتمدين على بعض المصادر الأدبية، لأن الوثائق لم تكن مُتوافرة لديهم ولم يُحاولوا البحث[76] عنها. غير أن هُناك بعض الحالات الشاذّة التي

---

(74) لقد استعملت مخطوطة البودليان رقم: Or. Bruce 11 and Marsh 425.
وهي تشمل الجُزء الثالث (سنوات 573 ـ 5م) والجُزء الخامس (سنوات 578-9م) من **البرق**.

(75) انظر: مُلاحظات حاجي خليفة عن التاريخ الفارسي لوَصّاف في **كشف الظنون**، ج2، ص156 وما بعدها، طبعة فلوجل.

(76) ينطبق هذا على أيّ بحث مُنظّم في الوثائق. غير أنه رُبّما كان المُؤرّخون مُدركين لأهمية الوثائق، وأنهم قاموا بعِدّة مُحاولات للتوصّل إليها، وإنّ إدراكهم ومُحاولاتهم هي أكثر ممّا يُمكن أن نستنتجه من المراجع الأدبية. انظر الطَّبَري: **التاريخ**، سِلْسِلَة 3، ص326؛ ابن خلدون: **المقدّمة**، ج2، ص296 (طبعة باريس). أما عن مُؤرّخ مراكشي مُعاصر فانظر: E. Levi-Provençal, *Les historiens des Chorfa*, 192 (Paris 1922).

رُوجِعت فيها الوثائق الأصلية، كالذي نعلمه مثلاً من نصٍّ في تاريخ المَوْصِل لأبي زكريا الأَزْدي حيث يذكر المُؤلّف فيه أنه وجد كتاباً للمنصور بين كُتُب قديمة لقاضي المَوْصل الحارث بن الجارُود، أو أنه أخذ ذلك الكتاب من أحد أولاد القاضي، ثم نقل أبو زكريا تلك الوثيقة التاريخيَّة في كتابه(77). أما في خاتمة التطوّر الداخلي لعلم التاريخ الإسلامي، فيُمكننا ذكر مَثَل عن استخدام الوثائق في كتابة التاريخ. فعندما كتب صالح بن يحيى كتابه **تاريخ بيروت وآل بُحْتُر**، قام بِفحص وثائق الأُسرة وأورد منها عدداً من الوثائق التي تَعَيَّن بمُوجبها أفراد أسرة بُحْتُر في مناصب عديدة(78). ولعلّ مثل هذه الاستفادة من وثائق الأُسَر قام به أيضاً المُؤلّفون الأُوَل عن تاريخ الأُسَر كابن العَدِيم الذي كان قد ألَّف عن أُسْرته بني جرادة الحلبيين(79)، أو أحمد بن يحيى المُنَجِّم الذي ألّف في أوائل القرن العاشر **كتاب أخبار أهله ونَسَبِهم**(80). وقد نقل ثابت بن سِنان في تاريخه وثيقة للوزير عليّ بن عيسى يأمر فيها بوُجوب العناية الطبية بمن في سُجون الدَّولة في سَنَة تفشَّت فيها الأمراض، ولعلّه عرف هذه الوثيقة وحصل عليها لأنها كانت مكتوبة لأبيه وهو مُتقلِّد لبيمارستانات بغداد(81).

والعادة أنّ ذِكْر الوثائق كان يرجع إلى دوافع واضحة جداً، كأن تكون الوثيقة رسالة امتياز... ومن هذا القَبيل، الكتاب الذي قِيل إنّ الرسول أقطع فيه بعض قُرى الشام لأحد أتباعه. إذ احتفظ أحفاد ذلك الرجل بالكتاب، ثم اشتراه الخليفة المُستنجد لمكتبته في بغداد(82).

---

(77) مُصوّر القاهرة، **تاريخ** 2475 (كذلك تيمور: تاريخ 2303)، ص187.

(78) **تاريخ بيروت**، طبع لويس شيخو، الطبعة الثانية، ص45 فما بعدها (بيروت 1927م) انظر أيضاً:

E.D. Ross, in *A Volume of Or. Studies presented to E.G. Browne* 409 (Cambridge 1922).

(79) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص568، وقد نقل ابن العَدِيم في **بُغْية الطَّلَب** وَقفية وقفها أحد أجداده. انظر: مُصوّر القاهرة، تاريخ، 1566، ص265.

(80) انظر: **الفِهْرست**، ص206 (القاهرة 1348هـ، ص144، طبعة فلوجل).

(81) انظر: ابن أَبي أُصَيْبِعة، ج1، ص221، طبعة مولر (كونغسبرغ ـ القاهرة 1882-4م).

(82) انظـر: =

وقد استخدم بهذه المُناسبة بعض النقد الأدبي عندما كانت تظهر حاجة لتنفيذ الامتيازات التي تَدَّعي الوثيقة منحها[83]، ولحفظ سِجِلّات الوثائق أهمّية خاصة في إدارة القضاء. ثم إنّ النظريات الفقهية كثيراً ما اعتمدَت على وثائق ذات أهمية تاريخية... فأبو عُبَيْد القاسم بن سلّام يذكر في كتابه **الأموال**، خبر الطلب الذي وجّهه الوالي عبد الملك بن صالح (توفي سَنَة 196هـ/ 812م) إلى عدد من مشاهير فُقهاء عصره وسألهم فيما إذا كان يجوز للقبارسة وبعض أقوام آسيا الصغرى أن يدفعوا الجِزية للمُسلمين والروم، ثم أضاف ابن سَلّام «فوجدت رسائلهم إليه قد استُخرجت من ديوانه فاختصرت منها المعنى الذي أرادوه وقصدوا له. وقد اختلفوا عليه في الرأي، إلا أن مَنْ أَمَره بالكفّ عنهم والوفاء لهم، وإن غدر بعضهم، أكثرُ ممّن أشار بالمُحاربة»، ثم نقل أبو عُبَيْد بعض ما في تلك الكُتُب[84]. غير أنّ المُؤرّخين عُموماً لم يستفيدوا كثيراً من جُودة الوثائق القانونية التي في مُتناولهم[85].

= F. Wüstenfeld, *Register zu den genealogischen Tabellen der arabischen Stämme und Familien*, 441, f. (Göttingen 1953).

انظر أيضاً: شبربر في المصدر آنف الذكر، ص66، إن حادثة المُسْتَنجِد لم تُذكر في بحث كرانكو، وماتيوس.

F. Krenkow, «The Grant of Land by Muḥammed to Tamîm ad-Dârî», in *Islamica*, I, 529-32 (1925).

Ch. D. Mathews, «Maqrîzî's Treatise «Dau' as-Sârî» on the Tamîmî Waqf in Hebron», in *Journal of the Palestine Oriental Society* XIX 147-79 (1939-40).

ومع أنه ليس من هذه الرسائل ما يُمكن عدّه أصيلاً، إلا أنها بوصفها آثاراً مُقدّسة بقيت حتى الأزمنة الحديثة. راجع المقال الذي كتبه أ. غرومان عن «المُقَوْقَس» في دائرة المعارف الإسلامية.

ومن الطبيعي أنّ الرسائل المنسوبة إلى الرسول كانت تُخزّن ويُحرص عليها بوصفها آثاراً مُقدّسة. انظر: أحمد بن أبي الطيب: **تاريخ بغداد**، ج1، ص271، طبعة كيللر (لايبزيغ 1908م)، الطَّبَري: **التاريخ** سِلْسِلَة 3، ص1142 فما بعد، حوادث سَنَة 218هـ.

(83) عن الخطيب البغدادي ويهود خَيْبَر، انظر:

F. Rosenthal, «Technique and Approach of Muslim Scholarship», 47a (Rome 1947, *Analecta Orientalia*, 24).

(84) **كتاب الأموال** 171-5 (القاهرة 1353هـ).

(85) عن وثائق الإحصائيات انظر أعلاه، ص158، هامش 56.

إذ إنّ استخدام الوثائق يُدخِل المُؤرّخ في الميادين القضائية والإدارية، فإن استخدام النُّقوش يجعله مُتصلاً بالأخبار القَصَصية والخيالات الشعبية. وطابع المُعَمَّيات لكتابه واستخدامها في الآثار قديماً، أوحى مُنذ أَزمنة سحيقة قبل الإسلام بقِصَص عن اكتشافات غامضة لوثائق مكتوبة، تظهر بعد حلِّها نظرات فلسفية أو دينية عميقة. ولعلّ اللوح المحفوظ المدوَّن فيه القرآن في السماء مَثَلٌ طيِّب في البيئة الإسلامية للأشكال المنوّعة التي استطاعت فيها الأخبار البقاء... إنّ انتشار القِصَص الخيالية عن النُّقوش استثارت كثيراً من الكتابات الأجنبية عن الآثار التي صادفها المُسلمون وجلبت أنظارهم منذ أوائل الفُتوح. وقد نُسبت إلى وَهْب بن مُنَبِّه كثير من الفُتُوحات الخيالية شبه العلمية التي أحاطت بالنُّقوش الغريبة، فتروي الأساطير أنه قرأ الكتابات الإغريقية في جامع دمشق وفَسَّرها على أنها أدعية منذ زمن سليمان... وكانت ترجمته مَصُوغة بنثر عربي مَوْزُون مُتقَن[86].

غير أنّ المُترجم كثيراً ما يُغفل اسمه فيُضفي عُنصراً جديداً من الغُمُوض. فيروي الخطيب البغدادي أنه «جلس المُنتصر في مجلس كان أمر أن يُفرش له بفرش ديباج مُثقل بالذهب، وكان في بعض البُسُط دائرة كبيرة فيها مثال فرس وعليه راكب وعلى رأسه تاج، وحول الدائرة كتاب بالفارسية فلما جلس النُّدماء وَقَف على رأسه وُجوه المَوَالي والقادة، فَنَظَر إلى تلك الدائرة والى الكتاب الذي حولها فقال لبُغا: أيش هذا الكتاب؟ فقال: لا أعلم يا سيدي. فسأل من حضر من النُّدماء فلم يُحسن أحد أن يقرأه، فالتفت إلى وصيف وقال: أحضر لي من يقرأ هذا الكتاب، فأحضر رجلاً فقرأ الكتاب فقطّب، فقال له المُنتصر ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين بعض حماقات الفُرْس، قال: أخبرني ما هو؟ قال: يا أمير المؤمنين ليس له معنى، فألحَّ عليه وغضب، قال يقول: أنا شِيرويه بن

(86) المسعودي: **مروج** ج5، ص316-2، طبعة باريس، ج2، ص152، طبعة القاهرة 1346هـ. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج1، ص197 (دمشق 1329هـ وما بعدها).
اليزيدي: **الأمالي** ص3، (حيدرآباد 1948م) انظر:
G.E. von Grunebaum, *Medieval Islam*, 242 (Chicago 1946).

كسرى بن هُرْمُز قَتَلَت أبي فلم أُمتَّع بالمُلك إلا ستة أشهر، فتغيّر وجه المنتصر وقام عن مجلسه إلى النساء، فلم يَمْلك إلا ستة أشهر»[87].

وإن ذَوي العقل الراجح قد رَوَوْا كثيراً من الأخبار الاقتصادية والتاريخيَّة التي تَزعم في النُّقوش الغريبة، كالنُّقوش المكتوبة على أحد القُبور المصرية في الصعيد والمكتوبة باللغة القِبطية، وفيها أخبار عن جِبايات الضرائب الفرعونية[88].

أما التاريخ القريب من الأساطير، كما في **نهاية الأَرَب في أخبار الفُرْس والعَرَب**، فكان من الضروري أن يشمل نُقوشاً حِمْيَرِيّة ورجلاً من صنعاء يستطيع تفسير ما فيها من أشعار عربية، غير أنّ النَّقش الحِمْيَري الذي اكتُشف في سَمَرْقَنْد رُبّما كان عامله المصالح السياسية للمُسلمين الأُوَل[89]. وكان مُنتظَراً من الرحّالة في فلسطين أن يجدوا نُقوشاً غريبة تتحدّث عن موسى وأمثال ذلك من الموضوعات[90].

وكثيراً ما كان على العُلماء والكُتّاب الذين يتجنَّبون الأساطير، أن يُقرُّوا بعدم استطاعتهم قِراءة الكِتابات الغريبة، اللهمَّ إلا إذا أرادوا استغلال هذا المزاج المُصَدِّق الذي خَلَقته الأخبار الروائية[91]. فلما أراد اليعقوبي تدوين أخبار الصين

---

(87) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج2، ص120 وما بعدها. الحصري: **جمع الجواهر**، ص170 وما بعدها (القاهرة 1353هـ).

(88) انظر: ابن زُولاق (انظر أدناه: ص200) في باريس مخطوطة، ص205ب.

(89) انظر: مخطوطة القاهرة تاريخ 4505، ص22ب-23أ، انظر أعلاه: ص52 و:
W. Barthold, *Turkstan Down to the Mongol Invasion*, 87 (London 1927).
في سِلْسِلَة جِب التذكارية. السِّلْسِلَة الحديثة رقم 5.

(90) انظر مثلاً: المَقْريزي، **خِطَط**، ج1، ص188 (بولاق 1270هـ).

(91) لقد قرأ الكاتب عليّ بن السّري الكَرْخي سَنَة 344هـ/ 955م النُّقوش المُدوَّنة على آثار إصْطخر عندما زارها عَضُد الدَّولة، ولا بدَّ أنه استخدم خَياله كثيراً في قِراءتها. غير أنّ عمله تخلّد ذكراه في النُّقوش. انظر:
G. Wiet-Et Combe - J. Sauvaget, *Repertoire chronol. d'Epigraphie arabe*, IV, 135 f. (Cairo 1933); G.E. von Grunebaum, loc. cit.
أما عن اكتشاف النُّقوش المكتوبة بخُطوط غير معروفة وقِراءتها، فانظر: حمزة الأصفهاني، **التاريخ**، ج1، ص197، طبعة غوتولدت، سان بطرسبورغ ـ لايبزيغ =

قال: «ذكرتُ الرُّواة وأهل العلم ومن صار إلى بلاد الصين فأقام بها الدهر الطويل، حتى فَهم أمرهم وقرأ كُتبهم وعَرف أخبار المُتقدّمين منهم، ورواه في كُتُبهم وسمعوه من أخبارهم ومكتوب على أبواب مُدُنهم وبيوت أصنامهم ومنقور في الحجارة قد أُجري فيه الذهب»[92]، غير أنّ اليعقوبي لم يستطع الحُكم على ما رُوي له. وينطبق مثل هذا على الأُمور المُتعلّقة بمصر، فيروي البيروني عن الخَطِيبي: «إنّ في إِخْمِيم من بلاد مصر بناءً من حجارةٍ بِيض يُسمّى دار الحكمة لقُدماء اليونانيين، وهو من جُملة الآثار القديمة التي في الصعيد الأعلى، وهذه الدار بيت مُؤسّس على طُول أربع وخمسين في عَرْض أربع وثلاثين ذِراعاً، وجدرانه كما تدور مقسومة أثلاثاً على الطُّول. في عُليا الطبقات صور أشجار بالنقر، وفي أوسطها حيوانات بالنقر، وفي سُفلاها تماثيل الناس مكتوب عند كُلّ واحد منها كتابات لا يُهتدَى لها الآن»[93] وقد عرف المُسلمون عن الكتابة المسمارية، كما رَوَوْا أنّ الطين كان أقدم الموادّ الكتابية[94]، ووُجدت لوحة على قبر قديم مكتوبة بخطّ لم يعرف الناس قِراءته وهو بلا ريب مسماري[95].

وليس من العجب أن يقف العُلماء المُسلمون مكتوفي الأيدي أمام النُّقوش الهيروغليفية والمسمارية، أو أن لا يفهموا نُقوش العربية الجنوبية، حتى ولو كان أهل جنوب جزيرة العرب يعرفون الألفباء الحِمْيَرية، ويستطيعون فهم شيء من نحو لغة تلك النُّقوش[96]. ولعلّ معرفة مُحتوياتها الفنّية أو لغتها اندثر بعد زوال استقلال اليمن... ولا نعجب أيضاً إذا رأينا أنّ النُّقوش العِبْرية، عندما تُذكَر،

= 1844-8م)، والبيروني: **الآثار الباقية**، ص24 سطر 10-21 طبعة سخاو (لايبزيغ 1878، 1923م).

(92) اليعقوبي: **التاريخ**، ج1، ص146 (النجف 1358هـ، ج1، ص205 طبعة هوتسما).

(93) البِيروني: **كتاب الجَماهِر في معرفة الجواهر**، ص166 (حيدرآباد 1355هـ).

(94) انظر: **الفِهْرِست**، ص6 (القاهرة 1348هـ، ص4، طبعة فلوجل).

(95) ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج5، ص100 حوادث سَنَة 376 (حيدرآباد 1357-8هـ).

(96) انظر الهَمْداني: **الإكليل**، ج7 طبع وترجمة نبيه أمين فارس، ص122 وما بعدها (72 فما بعد) (برنستون 1940 و1938م). انظر أيضاً: H. St J.B. Philby, *The Background of Islam*, 126-40 الإسكندرية 1947م. إنّ حقيقة وجود اصطلاح له علاقة كان يُتَكَلَّم به، لم يكن في الحقيقة ليُساعد على حلّ رموز النُّقوش.

لا تُفسَّر تفسيراً صحيحاً، لأن هذه النُّقوش في مُعظم الحالات لم تكن مكتوبة بالعِبرية، بل كانت مكتوبة بالنَّبطية والتَّدْمُرية أو بعض اللُّغات الإيرانية أو غير ذلك. أما النُّقوش السُّريانية الحقيقية، فلم يهتمّ بها المُؤرّخون المُسلمون كثيراً... ومن التشويش إلى حدٍّ ما ألّا نجد عجزاً تاماً في حلّ النُّقوش الإغريقية التي ربما كان بعضها يخلق للمُترجمين مُشكلات كُبرى، لكن لعلّ التقاليد الأُسطورية منعت أية محاولة لتفسير النُّقوش الإغريقية تفسيراً مقبولاً. فالحُكّام والعُلماء الذين كان يستثيرهم اكتشاف أيّ نقش، كانوا يَصْبُون إلى وجدان بعض الأخبار الخارقة فيها، أما الذين حاولوا حلّ رموزها فقد كانوا يُريدون تلبية هذه الرغبات.

ولعلّ أقرب النُّقوش الإغريقية إلى الصحّة هي قراءة ما كان مكتوباً على آثار من المَرمر في حلب، فيروي ابن العَدِيم «وشاهدتُ في المدرسة الحَلَويّة المعروفة بالحلاوية بحلب مذبحاً من الرُّخام الملكي الشفّاف الذي يُقرِّب النَّصارى عليه القُرْبان، وهو من أحسن الرُّخام صورة، إذا وضع تحته ضوء بان من وجهه. فسألت الشريف تاج الدين أبا المَعَالي الفضل ولد شيخنا افتخار الدِّين أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي عنه، وكان نشأ بهذه المدرسة وولي تدريسه بعد أبيه، فقال لي: إنّ نور الدِّين محمود بن زَنْكي أحضره من أفامية ووضعه في هذه المدرسة، وعليه كتابة باليونانية فسألته عنها، فذكر لي أنه حضر من ترجمها وفيها مكتوب: عُمل هذا للملك دقلطيانس «Diocletian». ومن ثَمّ تتعاقب رسوم الأبراج الفلكية التي كانت معروفة في ذلك الحين الذي صنع فيه الأثر، ومن بين هذه الصُّوَر، صورة النَّسْر الطائر في أربع عشرة درجة من برج العقرب، قال: فيكون مقدار ذلك ثلاثة آلاف سَنَة والله أعلم. وسمعتُ والدي رحمه الله يقول لي: إنّ نور الدِّين محمود بن زَنْكي رحمه الله كان يحشو للفقهاء القطائف ويملأ بها هذا الجُرن الرُّخام ويجتمعون عليه ويأكلونها»[97]، ولعلّه كان في هذا النقش فعلاً شيء كاسم دقلطيانس. ثم إنّ القُضاعي يروي عن البعض «قال: وأما

(97) ابن العديم، **بُغية الطلب**، مُصوّرة القاهرة، تاريخ، 1566، ج1، ص85. انظر أعلاه: ص152 هامش رقم 37. إنّ هذه القِصّة وكذلك المُلاحظات الأُخرى التي ذكرها ابن العديم عن النُّقوش، نَقَلها ابن خطيب الناصرية كما نَقَل بعضها مُؤرّخو حلب المُتأخّرون.

الأهرام فإن قوماً احتفروا قبراً في دير أبي هرميس فوجدوا فيه مَيْتاً في أكفانه وعلى صورة قرطاس ملفوف[98] في خِرَق، فاستخرجوه من الخِرَق فرأوا كتاباً لا يعرفونه، وكان الكتاب بالقِبْطية الأُولى، فطلبوا من يقرأ لهم فلم يقدروا عليه، فقيل لهم: إنّ بِدَيْر القلمون من أرض الفَيُّوم راهباً يقرأه فخرجوا إليه وقد ظنّوا أنه في الضيعة فقرأه لهم، وكان فيه: كُتِبَ هذا الكتاب في أول سَنَة من ملك دقلطيانس الملك».

ولعلّ مرجع ذلك أنّ المُسلمين كانوا يعرفون دقلطيانس معرفة جيدة. ثم إنّ ابن العَدِيم وهو رجل ذكيّ، لم يتحرَّج من قَبول التفاسير للنُّقوش الإغريقية، فهو يروي: «وقرأت بخطّ أبي عمرو بن عثمان عبدالله الطَّرَسُوسي قاضي مَعَرّة النُّعْمان في كتاب **سِيَر الثغور** من تأليفه في ذكر مدينة طرسوس، قال[99]: وبباب قلمية يعني باب طرسوس حجر تحصره دار مُزاحم مُدَوَّر لاصق بالحائط مكتوب عليه باليونانية سطور قرأها أحمد بن طفان الذِّمّي البيطار، فذكر أنّ المكتوب عليه: الحمد لله الوارث للخَلْق بعد فناء الدنيا، كما عرفني فإني ابن عم ذي القرنين عشتُ أربع مائة سَنَة وكسراً، ودُرت الشرق والغرب أطلب دواء للموت. من أراد أنْ يدخل الجنة فليصلِّ في هذا الدير عند العمود ركعتين، ومن أراد صنعة العُمُد وآلتها، فعليه بالقنطرة السابعة من جسر أَذَنة»[100].

---

(98) المَقْريزي: **الخِطط**، ج1، ص116 (بولاق 1270هـ) مثل هذه القِصّة مع تفصيل وافٍ، ج1، ص433 وما بعدها.

(99) انظر ياقوت: **إرشاد**، ج12، ص182 وما بعدها (القاهرة، ج5، ص37 فما بعد، طبع مارغليوت).

(100) انظر ابن العَدِيم: المصدر السابق، ص79 وما بعدها، وهو يذكر أيضاً نَقْشاً بالعِبرية. انظر أيضاً ابن طُولُون: **اللّمعات** (دمشق 1348هـ، رسائل تاريخية، ص4).
لقد استمرّ الميل لإيجاد الحِكمة والتَّقوى في النُّقوش القديمة إلى الأزمنة الحديثة. فلم يكن فقط أثناسيوس كرشر في القرن السابع عشر يجد أغرب الأشياء في النُّقوش الهيروغليفية المصرية. انظر:
A. Erman, *Die Hieroglyhen*, 3f.; 2nd ed. (Berlin-Leipzig 1923 Sammlung Göschen..
M. Lidzbarski, *Handbuch der nordsemitischen Epigraphik* 89ff., Weimar (1898).
بل إنه حتى مُترجمو أوراق البَرْدي الآرامية في القرن التاسع عشر كانوا قد يحصلون =

إنَّ كُلّ هذه المادّة طريفة، رَغْم عدم وجود أساس تاريخي لها، ويُمكننا إيراد أمثلة أُخرى كثيرة عنها، لكننا نستطيع الإشارة أيضاً إلى عِدّة حالات استخدم فيها المُؤرّخون المُسلمون نُقوشاً تاريخية دقيقة، وخاصة ممّا كُتب بالعربية. وخير الأمثلة على ذلك، ما أَورده الأَزْرَقي الذي ألّف **أخبار مكة** وأورد النُّقوش المكتوبة على أبنيتها بصورة صحيحة مضبوطة[101]. إنّ هذا التقليد الذي بدأ بـ **أخبار مكة** استمرّ، فإن الفاسي الذي عاش في القرن الخامس عشر وكان ممّن ألّف في تاريخ مكة، رَوَى عن مصادر أدبية أخباراً استمدّها من رُواة ثِقات، وممّا شاهده بنفسه أيضاً، كما ذكر من مصادره آثاراً من المَرْمر والحجارة والخشب عليها نُقوش وهي في أماكنها[102].

وهُناك مُؤرّخو بُلدان آخرون اعتمدُوا في استقاء المعلومات الدقيقة على النُّقوش العربية، كابن الشِّحنة الذي ذكر أنّ الكتابة التي على باب المدرسة الظاهرية في حلب تُبيِّن أنّ هذه المدرسة وَقْف على الشافعية والحَنَفية[103]. وقد أَورد بعض مُؤلّفي التواريخ العامة بصورة صحيحة بعض كِتابات النُّقوش العربية، كالكِتابة المنقوشة على المِنبر الذي صُنع سَنَة 470هـ/ 1078م وأُرسل إلى مكة[104].

لقد كانت نُقُوش الخُتُوم من الأشياء المنقوشة الصغيرة التي جلبت أنظار

= على بعض النتائج الغريبة. انظر:
F. Rosenthal, *Die Aramäistische Forschung*, 26f (Leiden 1939).
ولم يكتسب عصرنا مَناعة ضدّ هذا المَيْل.

(101) انظر:
F. Wüstenfeld, *Die Chroniken der Stadt Mekka* I, 306ff. (Leipzig 1858).

(102) تقي الدين الفاسي: **شفاء الغرام**، وستنفلد، المصدر السابق، ج2، ص38 (لايبزيغ 1859م). أما عن عمل الشُّيْبي في مقبرة المعلّى ونُقوشها، فانظر بروكلمان، ج2، ص173، ولعلّ عملاً يُشبه هذا قام به الأَقْشَهْري. انظر: **الإعلان**، ص130.

(103) انظر: ابن الشِّحنة: **الدُّرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، ص112 (بيروت 1909م). أما عن نقش أحد أبنية بغداد، فانظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج1، ص108.

(104) ابن الجَوزي: **المُنْتَظَم**، ج8، ص311 (حيدرآباد 1357-8هـ). انظر كذلك القاضي الفاضل البَيْساني في: المَقْريزي: **الخِطط**، ج1، ص184 (بولاق 1270هـ)، ابن أبي زرع ص27، 31، 33 (الترجمة 39، 44 فما بعد، 46) تورنبرغ (أُبسالا 1843-6م). =

المُؤرّخين المُسلمين، وقد دخلت التاريخ الإسلامي من المصادر الفارسية[105]، فألّف الهَيْثَم بن عَدِيّ كتاباً عن **خَواتم الخُلفاء**[106]، وقد ردّد المُؤرّخون قِصّة مصير خاتم الرسول الفِضيّ البسيط المنقوش عليه (محمد رسول الله)[107]. وقد نُسِبَت نُقُوش الخُتُوم إلى مُلوك الفُرْس وحُكماء الإغريق، ممّا يُظهر صِلتها بكُتُب الحِكمة، ثُمّ سُرعان ما أُصبَحت موضوعاً لأدب طريف ضَخم[108].

لم يَستخدم المُؤرّخون المُسلمون النُّقود مصدراً للأخبار التاريخيَّة. غير أنهم رَوَوْا أخبار الكشف عن الكُنوز[109]، كالقِصّة التي تُروى في **أخبار الخُلفاء** في القرن التاسع عن الحارث بن (محمد بن) أبي أسامة[110]. وهكذا، فإن

= أما عن مَثَل أقدم، فانظر: الجَهْشِياري: **الوزراء**، ص40ب، طبعة مزيك (لايبزيغ 1926م) بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص204.

(105) انظر: الجَهْشِياري، المصدر السابق، ص2أ.

(106) انظر: **الفِهرِست** ص146، (القاهرة 1348هـ، ص100 سطر 4، طبعة فلوجل). وقد ألّف المدائني **كتاب الخاتم والرسل**، انظر: **الفِهرِست**، ص148 (القاهرة 1348هـ). أما المسعودي، فيذكر نُقُوش خواتيم الخُلفاء بانتظام في **التنبيه**.

(107) انظر مثلاً: الطَّبَري: **التاريخ**، سِلْسِلَة 1، ص2856-8 حوادث سَنَة 30، ابن الأثير: **الكامل**، ج3، ص54 فما بعد (القاهرة 1301هـ)؛ ابن خلدون: **المقدّمة**، ج2، ص53 فما بعد، طبعة باريس. انظر أيضاً: المراجع التي ذُكرت في:
A. J. Wensinck, *A Handbook of Early Muhammadan Tradition*, 211f. (Leiden 1927).
الصُّولي: **أدب الكُتّاب**، ص139 (القاهرة 1341هـ).
L. Caetani, *Annali dell' Islam*, VII 387f. (Milan 1914).

(108) انظر: الوشّاء، **المُوشّى**، ص162 فما بعد، طبعة برونو (ليدن 1886م)، وقد جرت مُحاولة قديمة ناقِصة جداً لمعالجة هذا الموضوع قام بها:
J. Hammer-Purgstall's «Abhandlung über die Siegel der Araber, Perser und Türken», in *The Phil-Hist. Kl. of the Vienna Academy* 1848..

(109) كوركيس عواد، في **مجلة المجمع العلمي** بدمشق، ج20، ص56-143 (1945م) وقد رُوي لنا أن قِطَعاً من الذهب وُجدت في جنوب الجزيرة تَزِن رُبع أُونصة من نُقود غير المُسلمين، وقد وُجدت سَنَة 910هـ/ 1504-5م. راجع ابن العَيْدروس، **النور السافر**، ص53 (بغداد 1353-1934م).

(110) تُوفّي سَنَة 282-896م (انظر: بروكلمان **الملحق**، ج1، ص258 الخطيب البغدادي **تاريخ بغداد**، ج8، ص218 فما بعد) وقد اقْتَبَسه الجَهْشِياري. المصدر السابق، ص151أ. =

النُّقود وسواها من العناصر المُتعدّدة التي كانت بمجموعها تُؤلّف مُحتويات كُتُب التاريخ الإسلامي لم تُهمَل أو تُغفَل.

= وقد ذُكر نَقش أُسطوري على نُقود ملكة فارسية في كتاب **نهاية الأرب في أخبار الفُرْس والعرب**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 4505، ص56، ثم إنّ الذي يحلّ رموز هذه النُّقوش يكون عادة راهباً، وهو في هذه الحالة الخاصة إغريقي، (المَقْريزي: **الخِطط**، ج1، ص236 طبعة بولاق 1270هـ). انظر أيضاً:
H. Ritter, in *Der Islam*, VII 83f (1917).

الفصل الخامس

الصُّوَر المُنَوَّعة للكِتابة التاريخيَّة

لقد حلَّلنا فيما سَبَق العناصر الأُولى القديمة لِلكِتابة التأريخية في الإسلام، والفُروع غير التأريخية من المعرفة التي أَسْهمت في تلك الكِتابة. أما الآن، فنُحاول استعراض الصُّوَر المُنوّعة للكِتابة التأريخية، أي الكُتُب الموجودة في الواقع. ولا حاجة لإعادة بحث كُتُب الأخبار الأُولى أو كُتُب التراجم، بل نكتفي ببحث ثلاث مجمُوعات كُبرى من المُؤلّفات التاريخيَّة، هي تواريخ العالم، وتواريخ المُدن والأقاليم، والتواريخ المُعاصرة والمُذكّرات.

1 ـ تواريخ العالم

من حيث العُمُوم، لا نَجد لبحثنا مادّة شافية إلا في الكُتُب الباقية (أو قُلْ التي طُبعت كاملة، أو طُبع أكثر أجزائها)، ومن المُؤكّد أنّ معرفة موادّ جديدة أُخرى قد تُبدِّل الأمور التي أوْليناها اهتمامنا، لكنَّها لن تُغيِّر جَوْهر الصورة التي نُقدّمها.

نُصادف في أوائل القرن العاشر ثلاثة أنواع من تواريخ العالم، كانت مسبوقة بكتاب **الأَخبار الطِّوال** لأبي حنيفة الدِّيْنَوَرِي[1]، وهو استعراض خليط لتأريخ أهل الكتاب والفُرْس وعَرَب الجاهلية، يتلوه تاريخ صدر الإسلام الذي يُشبه بقية أجزاء الكتاب من حيث اهتمامه الأساسي بالأُمور الفارسية. ثم بَحَثَ

---

(1) بروكلمان، ج1، ص123، وقد أُعيدَ طبع الكتاب دون تاريخ في مطبعة عبد الحميد الحنفي (القاهرة) بنفقة المكتبة العربية في بغداد (لصاحبها نعمان الأعظمي).

تاريخ الخُلفاء باقتضاب تبعاً لتولّيهم الخلافة. أما الرسول وتاريخه، فلم يكن موضوعاً للبحث قطّ.

إنّ أول الأنواع الثلاثة من التواريخ العالمية تاريخ اليعقوبي، الذي فُقِدَتْ من مُقدّمته عِدّة صفحات تشمل قِصّة الخليقة، وقد خصّص القسم الأول من الكتاب لتاريخ ما قبل الإسلام مُبتدئاً بقِصّة التوراة. ويقوم تنظيمه، كالعادة، على أساس التعاقب الزمني للشخصيات كالأنبياء والمُلوك وغيرهم، ثم يتلو ذلك وَصف الأناجيل الأربعة، وفيه يُحِلّ اليعقوبي التأريخ الثقافي مَحَلّ التأريخ السياسي، مُتّبعاً ذلك حيثما افتقد الأخبار عن التاريخ السياسي كما فعل عند بحثه عن الإغريق والهنود وأهل الجاهلية من العَرَب، ثم يبحث في بعض المواضيع ككُتُب أرسطو وأبقراط، ودخول الشطرنج، والشعراء الجاهليين، وهو يرجع في ذلك إلى المصادر الأصلية بقدر توافرها لديه. أما عن تاريخ العهد القديم والجديد، فإنه لم يكتفِ بالأخبار الإسلامية، بل رجع إلى الكتابات الأصلية مُستعيناً ببعض الرُّواة، وبذلك وَصَل إلى مُستوى عالٍ من الدِّقّة. وقد استمرَّ اهتمامه بالأُمور الثقافية حتى في الجُزء الثاني الذي يبحث في التاريخ الإسلامي ويبدأ ببعض الحِكميّات عن أهمية المعرفة، وينقل في ذلك عن عليّ بن أبي طالب، وتبدو مُيول المُؤلّف الشيعية أيضاً في تفضيله الرِّوايات الشيعية عن أحداث القرن الأول الهجري، وفيما يَذكُره عن الأئمّة الاثني عشر من معلومات تُؤكّد فضلهم على الحِكمة[2].

وقد استمرَّ يذكر قائمة للمراجع تكشف عن المصادر التي استخدمها، حيث كانت لديه مكتبة تاريخية غنيّة لم يبقَ منها إلا النَّزْر اليسير[3]، وقد دوَّن سيرة الرسول بالأُسلوب المألوف حيث رَوَى فيها عدّة أخبار مُرتّبة كما يلي: حياته قبل الإسلام، الغزوات إلخ، وقد رتَّب كُلّ ذلك ترتيباً زمنياً ما أمكنه ذلك. أما

(2) انظر أعلاه: ص143.

(3) لقد كانت قائمة المصادر جُزءاً مُتكاملاً مع البحث العلمي الإسلامي. فوجودها أو عدمه في كتاب ما يُقرّر درجة علمية ذلك الكتاب. وقد أصْبحت قوائم المراجع في التواريخ، وفي بقية الكُتُب، مُفصّلة كُلّما تقدّم الزمن.

الموضوعات التي لا يُمكن ترتيبها كذلك، كأسماء زَوجات النبيّ أو الفرائض الإسلامية، فقد وَضعها بعد كلامه عن تاريخ النُّبوَّة، لكن قبل كلامه عن حَجّة الوداع وَوَفاة الرسول. أما بقية الكتاب، فهو تاريخ خِلافة كُلّ خليفة، ويبحثها على انفراد[4]، مُبتدئاً بتاريخ تولّي الخليفة، والطوالع التي كانت عند تولّيه، ثم يختمها بِصفات الخليفة وبقائمة بأسماء وُلاته ومُوظّفيه (كالفُقهاء) وأُمراء الحج، والحملات الحربية وأُمرائها. ويتألّف كلامه على كُلّ خليفة من مجموعة من الأخبار الفردية، وهو يَذكر بعض التواريخ الدقيقة، كما يجمع أحياناً عِدّة أحداث في سَنَة واحدة[5] ويُشير إلى اسم الشهر السُّرياني الذي يُطابق الشهر القمري. ومن العَجيب أنّ هذه الظاهرة تعود إلى الظُّهور في تاريخ ابن الجزري المؤلَّف في أوائل القرن الثامن هـ ـ الرابع عشر م[6].

أما **تاريخ الأُمم والمُلوك** للطَّبَري، فأعظم أهمّية من كتاب اليعقوبي الذي نَسيه الناس تقريباً. ولقد أسبغ الطَّبَري على كتابه تدقيق المُتكلّمين وطُول نَفَسهم، وما للفقيه العالم من دقّة وحُبٍّ للنظام، وما للسياسي القانوني العملي من بصيرة في الأُمور السياسية. كُلّ هذه الخصائص أدّت إلى إحلاله مكانة مرموقة دائمة ومُتزايدة في الأَوساط الفكرية السُّنّية في الإسلام.

فمن الطبيعي إذن أن يكون لِكِتابه أَثر هائل على المُؤرّخين التالين الذين اعتبرُوه مثالاً يُحتذى به في الشكل الذي ينبغي أن يُكتب فيه التأريخ.

لقد كان بحثه عمّا قبل الإسلام مقصوراً على إيراد مجموعة من المعلومات عن الإسرائيليات، وتاريخ العرب، وتاريخ الفُرْس. ولم يُحاول الالتفات إلى الأُفق التأريخي والثقافي المُتوسّع الذي كان سائداً في عصره. وقد تابع في حديثه

(4) انظر أعلاه، ص158 ـ 9، ومن المُؤكّد أنّ المصدر هو **طوالع السنين والأوقات** لما شاء الله وقد ذكره اليعقوبي، **التاريخ**، ج2، ص3 (النجف 1358هـ، ج2، ص4، طبعة هوتسما) وقال: إنه أحد الكُتُب التي استعملها. أما كتاب محمد بن موسى الخوارزمي الذي ذكر أعلاه فرُبّما كان المقصود به **تاريخه**، وليس كتاباً في التنجيم.

(5) اليعقوبي: **التاريخ**، ج2، ص128 (النجف 1358هـ، ج2، ص159 طبعة هوتسما).

(6) انظر الطَّبَري: **التاريخ**، سِلْسِلَة 3، ص916.

عن حياة الرسول الطريقة التي اتّبعها كُتّاب السيرة، فاتّبع الترتيب الزمني للأحداث التي واجَهت الرسول وخاصة مُنذ هِجرته إلى المدينة، مع تغييرات طَفيفة جداً.

أما أحداث كُلّ سَنَة، فقد ذَكَرها بشكل أخبار. واهتمّ بذكر مصادره وسِلْسِلَة الرُّواة. وإذا كانت للحادثة رِوايات مُختلفة يعتقد بوجوب ذكرها، فإنه يذكرها مُتعاقبة. وهو من حيث العُمُوم، يُحاول ضبط النُّصوص التي يرويها دون تبديل إلى درجة أنه كثيراً ما تبقى الكلمات والنُّصوص الأعجمية والأشعار الفارسية[7]. وقد خصَّ الأحداث المُهمّة بالمنزلة الأُولى عند الكلام عن سَنَة حُدوثها. أما تنظيمه فقد اتَّبع فيه الترتيب الزمني، وسار على نظام الحَوْليّات، غير أنه وضع فوق هذا التنظيم تقسيمات بحسب الحُكّام تتجلّى فيما يذكره لكُلّ خليفة من ترجمة طويلة في سَنَة وفاته، أما أسماء الوُلاة والمُوظّفين فتبدُو أقل أهمّية عند الطَّبَري المُتكلّم منها عند غيره من المُؤرّخين المُهتمّين بالحوادث الدُّنيوية. أما وِجْهة نظره عندما يتحدّث عن عصره، فتظهر بغدادية صرفة وتعكس آراء الحكومة المركزية، وهذا أمر مُنتظر وملحوظ في كُلّ مكان، لكنه يتجلّى بصورة خاصة عندما تُقارنه بما يرويه بعض المُؤرّخين الذين يأخذون وِجْهات نظر أُخرى كما هو الحال مثلاً في التأريخ الطُولُوني. ويبدُو أنه حذف التفاصيل التي لا تُلائم مصالح العباسيين[8]، أما أخبار الوَفَيات فقد أقصاها عن التاريخ، اللهمَّ إلا لمن كانت لهم أهميّة تأريخية. وقد خَصَّص كتاباً اسمه **ذَيْل المُذَيَّل** لدراسة تراجم المُسلمين الأُوَل.

والكِتاب التاريخي العظيم الثالث الذي دُوِّن في هذه الفترة، هو كتاب **مُروج الذهب** للمسعودي وهو حَلَقة من سِلْسِلَة الكُتُب التأريخية التي دوّنها هذا المؤلِّف[9]. ثم إنّ المسعودي كتب كتاباً مُقتضباً، هو كتاب **التنبيه والإشراف** أشار

(7) الطَّبَري، **التاريخ**، سِلْسِلَة 2، ص1606 وما بعدها، حوادث سَنَة 119. انظر أيضاً: سِلْسِلَة 3، ص50، 65، 1539.

(8) انظر: هـ. كِللر في مقدّمة طبعته للمُجلد السادس من كتاب **تاريخ بغداد** لأحمد بن أبي طاهر (لايبزيغ 1908م)، غير أنّ وَصَف كِللر للعلاقة بين الطَّبَري والمُؤلّف يصعب جداً قَبولها.

(9) انظر أعلاه: ص147 وما بعدها.

فيه بكثرة إلى بعض كُتُبه الأُخرى، ممّا يَدلّ بجلاء على أنّ غَرَضه من تلك السِّلْسِلَة هو بحث ظَوَاهر العالم المادية كافة ضمن نِطاق التاريخ.

والإشارة إلى تاريخ تأليف التنبيه في نِهاية الكتاب بحَسَب الحِقَب المُختلفة، مُهمّة من حيث إنها تُعبّر عن نَظْرة تأريخية عالمية حقّة. لذلك، يُمكن اعتبار المسعودي أدقّ من اليعقوبي تمثيلاً للتفسير العالمي الحضاري للتأريخ.

ففي كتاب **المُروج** يذكر قِصّة خلق العالم ثم يعقبها بوصف طبيعة الأرض، ثم يبحث تاريخ العرب قبل الإسلام مُؤكّداً على العناصر الحضارية في تاريخهم. وقد جمع البحث عن العَرَب مع أبحاث عن جميع الأُمم الأعجمية المعروفة للمُسلمين في القرن العاشر. ويحتلّ هذا البحث نِصف الكتاب تقريباً.

أما تاريخ الرسول فقد خصّص له صفحات قليلة جداً، لكنه أشار إلى كتاب آخر بحث فيه سيرة الرسول بتفصيل وإسهاب. أما في **المُروج**، فقد بحث حياة الرسول باقتضاب مُرتّباً إياها ترتيباً زمنياً، ومُتخذاً من سِنِيّ حياة الرسول أساساً لتنظيم سِنِيّ التاريخ الجاهلي.

وقد أَعار الأحداث المُتعلّقة بعليّ بن أبي طالب اهتماماً أكثر ممّا أعاره لحياة الرسول، وبحث تاريخ الخُلفاء تَبَعاً لحُكم كلٍّ منهم، وصبَّ جُلَّ اهتمامه على ما يَتصل بالشعر والأدب وغيرهما من الأُمور الطريفة، كما أَورد بعض المعلومات الكلامية والفلسفية، ثم ختم كتابه بتلخيص لتواريخ حُكم الخُلفاء وسِنِيِّهم، وذكر أُمراء الحج.

إنّ كُتُب اليعقوبي والطَّبَري والمسعودي، هي نَماذج للتأريخ العالمي الإسلامي آنذاك، غير أنها لم تكن الأشكال الوحيدة التي ازدهرت في تُربة القَرْن العاشر الإسلامية الخِصبة. فقد وصفنا من قبل كتاب **البدء والتأريخ** للمُطهَّر بن طاهر المَقْدسي، وبيّنّا أنه كتاب تاريخي أُلِّف من وِجْهة نظر فلسفية[10]. ولا ريب أنّ الأبحاث الفلسفية والكلامية والعلمية تجعل الطابع التأريخي للكتاب غامضاً ولا تُفسح للتأريخ الإسلامي إلا مَجالاً ضَيّقاً، وهذا الكِتاب عاصَره كتاب **تاريخ**

(10) انظر أعلاه: ص156 وما بعدها.

سِنِيّ **مُلوك الأرض والأنبياء** لِحمزة الأصفهاني الذي هو مَصدر ثمين جداً للأخبار الثقافية... وقد أُلِّف على نَمَط الحسابات التأريخية للفلكيين، وهو أشبه بكتاب البِيروني **الآثار الباقية** منه بغَيره من الكُتُب[11] التاريخيَّة، ولا يَغْرب عن البال أنّ كتاب حمزة هو المصدر الرئيس لكتاب البيروني... لقد كان حمزة يهدف إلى عَرْض تاريخ سِنِيّ مُختلف الأُمم. بل حتى في تاريخ الخُلفاء اقتصرَت أخبار حمزة على ذكر طُول مُدّة حُكمهم، ولم يُخصِّص إلا حيّزاً محدوداً لبعض الأحداث كالزَّلازل والأوبئة غير أنه من ناحية أُخرى خصَّص عدّة صفحات لما يتعلّق بتواريخ السَّنَة الفارسية تَبَعاً للتقويم الإسلامي[12]. كما خصَّص فُصولاً لتاريخ خُراسان وطَبَرِستان اللتين كانتا في نظره تلعبان دوراً عظيم الأهمية في تاريخ الإسلام بسبب أبي مسلم الخُراساني وبُوَيْهِيِّي طَبَرِستان[13]. ومن حيث العُمُوم، فإن طريقته في بحث التاريخ الإسلامي مَعيبة رَغْم مُؤهّلاته العلمية الجديرة بالتقدير.

وقد بَقي من القرن العاشر أيضاً[14] تاريخ عالمي نَصراني، هو كتاب

---

(11) للتمييز بين الكُتُب التاريخيَّة وكتب الحَوْليّات، قد يُقارن المَرء قول البِيروني حيث يقول في كتابه: **الآثار الباقية** ص100، سطر 11، طبعة سخاو لايبزيغ 1878-1923م):
«ولهم في تَواريخ القسم الأول، وأعمار المُلوك وأفاعيلهم المشهورة عنهم ما تَنفر من سماعه القلوب وتمجُّه الأذان ولا تقبله العقول، لكن المقصد فيما نحن بسببه هو تحصيل التواريخ لا انتقاد الأخبار». (**الآثار الباقية**، ص100، طبعة سخاو لايبزيغ، 1878-1923م).

(12) انظر أعلاه: ص158، هامش 56.

(13) انظر حمزة الأصفهاني: **التاريخ**، ج1، ص216، طبعة غوتولدت (سان بطرسبورغ - لايبزيغ 1844-8م)؛ وقد أعار **كتاب الدولة** لسلمويه (**الفِهرِست**، ص156، القاهرة 1348 م، ص107، طبعة فلوجل) اهتماماً بِخراسان كما نَقَل منه المسعودي في كتاب **التنبيه**، ص65، طبعة دي غويه، بعنوان: **كتاب في الدولة العباسية وأُمراء خراسان**.

(14) G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, II, 122 (Città del Vaticano 1947 Studi e testi 133).

وهو يقول: إنّ كتاب «التاريخ» للكنيسة والسياسة في فِهْرِست سباث 2427 (القرن الثالث عشر) وكتاب **الأَزمنة** وهو تاريخ عام (المصدر السابق 2428 من سَنَة 1397هـ) يُقال: «إنّ كُلّاً من مؤلفيهما نِسطوري مجهول الاسم من أهل القرن التاسع» غير أنه =

أغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المَنْبِجي، الذي يتميّز بمُعالجة عِلمية للموضوع من حيث وصفه الجُغرافي للعالم، واستفادته التَّامة من الأخبار التي نجدها في الحَوْليّات البيزنطية، أي تاريخ بني إسرائيل المُمتزج بالأساطير وبتاريخ الثقافة الإغريقية، مع التواريخ السياسية الهِلّينية والرومانية والشرقية.

وقد عاصر أغابيوس مُؤرّخٌ عالميّ نَصراني آخر هو يوتيخوس (سعيد) بن البِطْريق. الذي تُثير مُقدّمته آمالاً كبرى. فهو يبدأ بالقول إنّ كُلّ من لا يريد أن يُشيِّد على الرمل، عليه أنّ يعرف أصل تفاصيل علمه... وهو يشير إلى أفلاطون وأرسطو باعتبارهما مُؤلفين أكّدا في كُتبهما المنطقية، على الحاجة إلى مثل هذه المعرفة للأُصول... غير أنّ يوتيخوس خيّب الظن، فلم يَذكُر شيئاً عن أُسس علم التاريخ سوى أنها «التوراة وأمثالها من الكُتُب الصحيحة»[15]، لكنَّ في الكتاب عَرْضاً بارعاً لتواريخ ما قبل الإسلام مُصطبغة بنظرة المُؤلّف المسيحية (تاريخ بني إسرائيل، والإسكندر وإمبراطوريته، والرومان والمسيحية، والروم والفُرْس)، ويتجلّى اهتمامه الديني بمُناقشاته للمَانَوية والنّساطرة، وبإشاراته للأحداث المُهمّة في تاريخ الكنيسة، كالمجامع وكتعيين كِبار رجال الكنيسة.

وتُعتبر الهجرة النبوية في نظر هذا المُؤلِّف النَّصراني، حدّاً فاصلاً في التاريخ، غير أنه لا يتكلَّم قطُّ على حياة الرسول. أما الأحداث اللَّاحِقة، فيتّبع في تنظيمها حُكم الخُلفاء الذين يُقدِّم عنهم معلومات لا تختلف عما يُقدّمه المُؤرّخون المُسلمون. أما قِصّته التاريخيَّة، فإن مادتها الرئيسة من تاريخ الكنيسة أو الأحداث المُتعلّقة بالنَّصارى. وقلّما نجد إشارة إلى حادثة طبيعية بارزة أو حدث سياسي ليست له علاقة مُباشرة بالنَّصارى. وقد أكمل يحيى بن سعيد الأنطاكي كتاب يوتيخوس بعد مرور حوالى مائة سَنَة على تأليفه، وتابع في هذا

= لا يُمكن حتى الآن التعليق على هذا الرأي.
انظر: كلام المسعودي الذي أشرنا إليه في ص148.

(15) طبعة لويس شيخو في:
CSCO, *Scriptores Arabici*, Series III, Tomus VI, I, 4f. (Beirut-Paris 1905-6).

الإكمال نَهج يوتيخوس، غير أنّ اهتمام هذا التاريخ العام كان أوسع وفهمه له أَدقّ، وخاصة في بحثه للفاطميين[16]. وممّا تجدر مُلاحظته أنّ أغابيوس يميل إلى استعمال الحَوْليّات التاريخيَّة، أما ما عَداه من المُؤرّخين النَّصارى فلم يتّبعوا الترتيب الحَوْلي، بما في ذلك المُتأخّرون منهم كبطرس الراهب (القرن الثالث عشر) الذي بحث تاريخ بني إسرائيل، والرومان والمُسلمين والأُمويين والعباسيين والفاطميين وأخيراً تاريخ بَطاركة الإسكندرية، بسِلْسِلَة من التراجم المُقتضبة، وقائمة بالتواريخ المُعاصرة على الهامش.

أما ابن العِبري فقد ألّف بالعربية **تاريخ الدُوَل**، واهتمّ بالقضايا الثقافية ولم يتردّد في الحديث عن سيرة الرسول، غير أنه عند بحثه عن الخُلفاء، لا يذكر إلا حوادث قليلة من الترتيب الحَوْلي الذي يستعمل فيه كلمة «فيها». وعلى الرَّغْم من أنّ طريقة الحَوْليّات رُبّما قد جاءت للمُسلمين بتأثير المصادر النَّصرانية[17]، فإن المُؤلّفات التاريخيَّة النَّصرانية في اللغة العربية التي سَبَقَت انتصار الترتيب الحَوْلي في كِتابة التاريخ الإسلامي، قد حافظت على تفضيلها طُرُقها القديمة في العَرْض. أضفْ إلى هذا، فإن الكُتّاب النَّصارى لم يميلوا إلى اتّباع الطريقة الحَوْليّة نظراً لأن النصرانية الشرقية كانت لا تَزال قوية لدرجة لا تميل معها لاستعمال التقويم الهجري في كُتُبها التاريخيَّة. غير أنه لم يكن بالإمكان تجنّب تأثير الشكل بصورة نِهائية، وعندما أراد بعض المُؤلّفين أمثال ميخائيل السوري في تاريخه السُّرياني، التحدّث عن التاريخ الإسلامي، أخذ يتّبع التنظيم الحَوْلي، كما أنّ بعض كُتّاب العربية النَّصارى، أمثال المَكِين[18]، طبّقوا ترتيب الحَوْليّات في التنظيم التاريخي.

---

(16) إنّ كتاب الأنطاكي (انظر: بروكلمان. **الملحق**، ج1، ص228). ينتهي بسَنَة 458-1065-6م. انظر:

C. Cahen, «La chronique abrégée d'al-'Aẓîmî», in *JA*, CCXXX 353ff. (1938).

(17) انظر أعلاه: ص110 وما بعدها.

(18) انظر:

G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, II, 348 ff. (Città del Vaticano 1947 Studi e testi 133).

أما عن تذييل المُفَضَّل بن أبي الفضائل للمَكِين، فانظر: المصدر أعلاه، ص450.

ولدينا في القرن العاشر بعض الإشارات إلى تاريخ عالمي ألّفه مُؤرِّخ يهودي، وهو تاريخ سَعَديا الجاعُوني الذي يُقال إنه كان يبحث «مُنذ أن خلق الله السماوات والأرض حتى يومنا هذا»، وأنه كان يستند إلى معلومات تاريخية إسرائيلية[19].

ويبدُو أنّ هذا الكتاب المفقود قد بَقِيت منه مُقتطفات كافية في الكتابِ المجهولِ المُؤلِّف أُكسفورد Oxford anonymous الذي أُلِّف في القرن الثاني عشر[20]، فإذا كان هذا صحيحاً، فإن كتاب سَعَديا ليس سوى استمرار للحَوْليّات التي تتّبع التقويم العِبري بالشكل المعروف «سيدر عولام»، والذي أخذ العُلماء المُسلمون يتّبعونه إلى حدٍّ ما منذ أوائل القرن التاسع فما بعد[21].

(19) انظر:
A. Marx, in *Revue des Études Juives*, LVIII 299-301 (1909).

(20) انظر:
A. Neubauer, *Medieval Jewish Chronicles*, II, 89-110 (Oxford 1895, *Anecdota Oxoniensia*).

(21) يقول البِيروني في: **الآثار الباقية**، طبعة سخاو لايبزيغ، 1878-1923م:
«ولهم كتاب يُسمّونه **سيدر عولام** وتفسيره سِنُوّ العالم، ينطق بأقلّ ممّا في كتب الأخبار التالية للتوراة ويقرب في بعضها من قولهم الأول، وقد جمعنا ما في كلا النوعين من كُتُبهم في هذا الجدول» (ص75). ويقول أيضاً: «ومُقتضى كتاب **سيدر عولام** وإن كان قريباً من الجُملة، فإنه مُخالف للتفصيل أعني في وقت العِمارة الأولى في اختلافهم خلا الشبهة فيما ذكرنا من أحوالهم». (ص78). انظر أيضاً: مخطوطة إستانبول من **الآثار الباقية** رقم 4667، ص127.
وتحتوي حَوْلية (يفترض أنها من القرن التاسع أو العاشر) إشارات مُتكرّرة إلى الحَوْليّات اليهودية في أُسلوب الحَوْليّات Chronikon المسيحية التي تبحث في تاريخ العالم، والحوادث الكبرى، والأعياد الدِّينية. أما عنوانه الآرامي فهو مُضطرب في المصدر، ولعله كتاب **حُشْبان عالما**، وقد اقتُرح أنّ هذا الكتاب مُقترن (؟ أو قل مُشابه) لكتاب **سيدر عولام**، وأنّ مُترجمه هو أحمد بن عبد الله بن سَلّام (سَلَام؟) الذي كان معروفاً من **الفِهرِست**، ص33 القاهرة 1348هـ، ص22، طبعة فلوجل. وهذا قد يضع ترجمة الكتاب في زمن هارون الرشيد. انظر:
G. Rothstein. «Der Kanon der biblischen Bücher bei den babylonischen Nestorianern im 9/10. Jhdt.». in *ZDMG*, LVIII 658 (1904).
وكذلك و. باخر المصدر الآنف، ص774 وما بعدها. غير أن كلّ هذا بما فيه الزمن المُبكر لهذا الكتاب غير مُؤكدة جداً. =

يقتصر هذا الكتاب المجهول المُؤلِّف على الأحداث التاريخيَّة التي لها أهميّة بالنسبة لليهود، ويُخصّص مُعظم صَفَحاته لفترة ما بين بدء الخليقة ونهاية الحياة السياسية اليهودية. ولم يحتجْ إلى أكثر من صفحة لبحث آخر المُلوك اليهود في العراق، بما في ذلك أسماء بعض المُلوك اليهود في سوريا وفلسطين وإمبراطورية الإسكندر والرومان ومُلوك الفُرْس ورأس الجالوت، واكتفى بربع صفحة لتقويم كلّ الأخبار عن بقية مُلوك الفُرْس، وإشارة مُقتضبة إلى العرب، وبعض رُؤوس الجالوت من اليهود المُتأخّرين.

ويبدُو أنّ يهود العصور الوسطى الذين عاشوا في البيئة الإسلامية لم يُنتجوا كُتُباً تاريخية، شأن اليهود الذين عاشوا في البيئة المسيحية آنذاك. لقد أدرك م. شتينشنايدر في مُقدِّمة كتابه عن **تاريخ اليهود الأدبي**(22) ضرورة التمييز بين الكُتُب التاريخيَّة والمصادر التاريخيَّة. ومع هذا، فإن مُعظم الكُتُب التي ذكرها في كِتابه هي من الصّنف الأخير، فعدد كُتُب التاريخ الحقيقية قليل جداً، وهذه الصورة لم ولن تبدّلها المباحث التالية لها.

ولعلّ الكتاب مجهول المؤلِّف رَغْم تَفَاهته، يُساعد على تفسير قلّة المُؤلّفات التاريخيَّة لليهود إبّان العصور الوسطى. وتَتَلاشى هذه المعلومات عندما يصل البحث إلى نهاية الاستقلال السياسي اليهودي.

إنّ الاهتمام الحقيقي في التأليف التاريخي، يعتمد على مدى الإسهام في الحياة السياسية. وهذه الظاهرة تنطبق أيضاً على المُؤلّفات التاريخيَّة المسيحية في

= وهُناك كتاب آخر عن التاريخ اليهودي لم يَثْبت مُؤلّفه، وقد استعمله حمزة الأصفهاني الذي يقول: إنّ مُؤلّف هذا الكتاب هو فِنْحاس بن باطا (؟) العبراني. انظر:
E. Mittwoch, «Die Literarische Tätigkeit Ḥamza al-Isbahânîs», in *Mitteilungen des Seminars für orientalische Sprachen*, Westas. Studien, XII, 124 n. 6 (1909)..

(22) فرانكفورت على نهر الماين سَنَة 1905م. انظر: المصدر السابق.
Die arabische Literatur der Juden, XXf. (Frankfurt a. M. 1902).
ويشير شتينشنايدر إلى رأي ابن ميمون السيِّئ بالكُتُب العربية في التاريخ والنَّسَب وغيرها من كُتُب الأدب. غير أنّ حكم ابن ميمون يُعبِّر عن وضعه فيلسوفاً وعالم دين أكثر من كونه يُعبِّر عن رأيه يهودياً.

اللُّغة العربية. غير أنّ النَّصارى كمجموعة تمتّعوا في بعض الفترات وفي بعض الأقاليم الإسلامية، باستقلال سياسي أكبر ممّا تمتّع به اليهود الأقل عدداً، على أنّ هذه المُؤلفات التاريخيَّة النَّصرانية آنذاك بَحَثت في الأُمور المسيحية غالباً. لقد قرأ اليهود كُتُب التاريخ الإسلامي التي وَجَدت طريقها إلى المكتبات اليهودية[23]، غير أنّ الشعور التاريخي لليهود في الإسلام كان يُعْوِزُه غِذَاء الاستقلال السياسي، فظلَّ محصوراً في ذِكريات الماضي وفي بعض التأمّلات الكئيبة في أحوالهم الحاضرة، وفي بعض الأحيان تبدَّد الشعور التاريخي لليهود في إعجابهم بعظمة الإسلام التاريخيَّة[24].

إنّ التطوّر الفِكري في القرن العاشر أدّى إلى انتصار نوع من التفكير تجلَّى بأَوضح أشكاله في الإسماعيلية التي رُبّما لم تقتصر، بوصفها عقيدة المُتعلّمين، على مُعتنقي النظريات السياسية من غُلاة الشيعة. وخير ما يتجلَّى فيه هذا النوع من التفكير في التواريخ الإسلامية العالمية هو **تجارب الأُمم** للفيلسوف الفارسي النزعة مِسْكَوَيه، الذي يقول إنه وجد المصادر التاريخيَّة مغمورة بالأخبار التي تجري مجرى الأسمار والخُرافات التي لا فائدة منها غير استجلاب الناس، ولا فائدة منها إلا أنها تجعل الإنسان يأخذه النُّعاس[25].

---

(23) انظر: **تاريخ المهدي وتاريخ العباسيين والبرامكة** في قائمة كُتُب نشرها:
J. Mann, *Text and Studies in Jewish History and Literature*, I, 652, 658 (Cincinnati 1931).
أما كتاب **الإسكندر** (المصدر السابق، ج1، ص654)، فقد يكون عَلامة أُخرى على اهتمام اليهود بصَبْغ التاريخ بصبغة خُلُقية. وإنّ وجود قِطعة تركية من حَوْليّات عثمانية مجهولة المُؤلّف مكتوبة بخط عِبري أندلسي، هو أمر طريف، غير أنّ الخط قد لا يكون كلّه من إنتاج بيئة إسلامية. راجع:
F. Babinger, in *Archiv Orientálni*, IV, 108-11 (1932).
انظر أيضاً: أدناه، ص230، هامش 12.

(24) انظر أعلاه: ص74 وما بعدها. إنّ هذه النُّصوص المذكورة أعلاه تُؤيّد أنّ بعض اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أصبَحوا مُؤرّخين مشهورين، وخاصة فضل الله رشيد الدِّين. انظر:
W. Fischel, «Über Rachid ad-Daulas jüdischen Ursprung», in *Monatsschrift für Geschichte und Wissenschaft des Judentums*, LXXXI, 145-53 (1937).

(25) مِسْكَويه: **تجارب الأمم**، ج1، ص4 طبعة كايتاني (ليدن ـ لندن 1905م في سِلْسِلَة جِب التذكارية، رقم 7).

لقد أراد مِسْكَوَيه أن يجعل خِبرات الأُمم تُستخدم كأمثلة للقُرّاء، فكان عليه إقصاء أمثال ذلك اللَّغو. ويتّضح قَصده من هذا الكلام في الصفحة التالية من كِتابه «وأنا مُبتدىء بذكر الله ومِنَّته بما نُقِل إلينا من الأخبار بعد الطوفان نقلته الثقة بما كان منها قبله، ولأن ما نُقل لا يُفيد شيئاً ممّا عزمنا على ذكره وضمَّنّاه في صدر الكتاب (وهو ذكر التجارب التي تُؤخذ عِبَراً) ولهذا السبب بعينه لم يتعرّض لذكر مُعجزات الأنبياء صلوات الله عليهم وما تمَّ لهم من السياسات، لأن أهل زماننا لا يستفيدون منها تجربة فيما يستقبلونه من أُمورهم، اللهمَّ إلا ما كان تدبيراً بشرياً لا يَقترن بالإعجاز».

لهذا السبب، لم تكن هُناك ضَرورة للحديث عن المُعجزات ـ يستطيع المرء تذكّر كُتُب الشيعة المُتطرّفين عن رأيهم في الأنبياء وأفكارهم حول النبوّة والدِّين ـ وقد أُقصيت كلّها من تاريخ مِسْكَويه، فقد حُذِف تاريخ الأنبياء كافة، حتى التاريخ الدِّيني للرسول حُذِف كله، لكنه بحث تاريخه السياسي بإيجاز. ويعتقد مِسْكَويه أنّ أقدم تاريخ مُسجّل هو تاريخ مُلوك الفُرْس، لذا يبدأ كتابه بهم، ثم يندفع في البحث فيصل بتاريخهم إلى نِهاية الإمبراطورية الفارسية. ويذكر بعض المُلاحظات العَرَضية عن البابليين والإغريق والنَّصارى والروم والعرب الجاهليين، إذا ما دَعَت دراسة التاريخ الفارسي لذلك.

وعندما بحث في التاريخ الإسلامي أَسعفه حُسْن ذوقه في الإفادة من الأدب القيّم، وإذا كان قد «قصر نفسه على اختصار نص تاريخ الطَّبَري بحذف سِلْسِلَة المسانِد واختصار الرِّواية» كما يقول أحد العُلماء المُحدثين[26]، فإنه يستحق على هذا التقدير لا التقريع. ففي السنين الأُولى من الإسلام يُهمل التقسيم الحَوْلي، ويقوم بعمل الشيء المعقول[27]، ففي روايته لأحداث السبعين سَنَة الأُولى من القرن الرابع الهجري، وبمزاياه أو مزايا مصادره، يُمثّل مستوى عالياً في الكتابة

(26) E. Blochet, *JRAS*, 1912, 1128.

(27) لَمّا كان القسم الذي بين وقعة صِفِّين وسَنَة 199هـ من الكتاب لم يُطبع بعد، لذا لا يُمكن التثبّت من المكان الذي اتّبع فيه التقسيم بحسب السنين.

التاريخيَّة على طريقة الحَوْليّات[28]، فهو قلّما يهتمّ بالأُمور التافهة، بل يُدرك كُلّ ما له قِيمة تاريخية جَوهرية، ويعرض الأحداث الهَامة بشكل معقول مُتماسك.

لعلّ كتاب **الغُرَر في سِيَر المُلوك وأخبارهم** للثعالبي[29]، يُشبه في بعض النَّواحي كتاب **تجارب الأُمم** لمِسْكَوَيه. ومن المُؤكّد أنّ الثعالبي كانت تنقصه البصيرة التاريخيَّة أو الحسّ بالتاريخ الذي امتاز به مِسْكَوَيه، غير أنه لم تبقَ من **الغُرَر** إلا أجزاء مُتفرّقة لا تكفي لإصدار حُكم مُعيّن على قِيمته التاريخيَّة، فقد اعتَمد بالدرجة الأُولى على الطَّبَري عند بحثه تاريخ الإسلام إلى زمن العباسيين، إلا أنه ترك التنظيم الحَوْلي، واتّبع التقسيم بحسب حُكم الخُلفاء، مع إضافة تقسيمات جُزئية خصّصها لبحث الوزراء وبعض كِبار رجال القصر. أما الأخبار المُتعلّقة بالمشرق فهي مُتماسكة وطريفة، ويتجلّى من عُنوان الكتاب اهتمام المُؤلّف بالأُمور الثقافية التي تَطغى على تاريخ ما قبل الإسلام، وقد سجّل بدقّة حُكم الخُلفاء.

إنّ ظُهور ما يُمكن اعتباره تاريخاً حقيقياً في فترة قصيرة في الإسلام، يُفسّره ظُهور طبقة من الرجال في القرن العاشر أمثال الصَّابئ، تجسّدت فيهم التطوّرات الثقافية التي حدثت في القرن السابق ممّن أصبحوا عناصر رئيسة في الحياة السياسية وعرفوا بواطن الأُمور التاريخيَّة التي دوّنوا أخبارها، كما كانوا محظوظين لظهورهم في زمن كانت عظمة الإسلام السياسية تبدو جلّية رَغْم الحكم العباسي المُتدهور.

وفي أوائل القرن الحادي عشر توقّفت فترة التجربة التاريخيَّة، وكان توقّفها مُفاجئاً وإن لم يكن غير مُنتظر. لقد بَقي في اللُّغة العربية تاريخ عالمي عظيم هو كتاب **المُنْتَظَم** لابن الجَوزي، أما الذين تَلوه فقد انحدرُوا إلى أدنى مستوى تدنّى

(28) انظر قول مِسْكَوَيْه: (حوادث سَنَة 340) عن مصادر أخباره، وهي تُفسّر لماذا كان كتابه يميل إلى أن يُصبح تاريخاً محلّياً للعراق وإيران بدل أن يكون تاريخاً عالمياً بالمعنى الدقيق.

(29) انظر أعلاه: ص129، هامش 100. وقد رَجعت إلى مخطوطة البودليان D'Orv. X2 (Uri 130) (542) بالإضافة إلى طبعة زُتنبرغ ومخطوطة باريس التي كانت الأصل المُعتمد لمطبوعة زُتنبرغ.

إليه التاريخ الإسلامي، كما يتجلّى ذلك في الكُتب التي تُمثّلها[30]. فـ **المُنتظَم** يُمثِّل مرحلة انتقالية لم يكن فيها علم الكلام مهنة ابن الجَوزي، لكنه فَرَضَ سيطرته فرضاً تاماً على التاريخ الإسلامي، رَغْم أنّ الاهتمام السياسي كان آخذاً بالتدهور.

لقد أَدخل ابن الجَوزي تقسيماً فاصلاً بين الحوادث وبين الوَفَيَات، فوضع الأخيرة بعد حوادث كلّ سَنَة ورتّبها بحسب الألفباء. إنّ فصل أخبار الوَفَيَات عن الأخبار التاريخيَّة لم يكن جديداً في أساسه، نظراً لأن أخبار الوَفَيَات كانت موضوعاً تاريخياً قائماً بذاته، فأبو طاهر مثلاً يُورد في **تاريخ بغداد**[31] أخبار وَفَيَات مُرتّبة بحسب السنين، يذكرها في نهاية حُكم كُلّ خليفة... غير أنّ البحث الثابت للتراجم بهذا الشكل الخاص يبدو وكأنه من ميزات ابن الجَوزي الذي اهتمَّ بصورة خاصة بالتراجم التي تُفيد نَقد رجال الحديث[32]. بل حتى إنه عندما يصل إلى بحث عصره يُكثر من ذكر الأحداث التافهة كبعض الظواهر الطبيعية الخارقة، وقلَّما يَلتفت إلى الأحداث المُهمّة. ومن الغريب أنّ ابن الجَوزي كان يعمل وهو مُتوهّم بأنه يَذكر الأُمور المُهمّة فقط، وإنّ بقية المُؤرّخين قد ملأوا كُتبهم بمادّة كان الأجدر عدم الالتفات إليها[33]. ويبدو من **شُذور العُقود**[34] أنّ تاريخ ما قبل الإسلام كان يهتمّ بصورة عامة في الكوزموغرافيا والجُغرافيا وتاريخ بني إسرائيل إلى زمن المسيح، ثم يتلوه فصل قصير عن مُلوك الفُرْس وإشارة مُقتضبة عن وجود الأُمم الأُخرى غير الإسلامية. أما التواريخ المُتأخّرة فتتبع النظام الحَوْلي بصورة دقيقة، فتعدّ السنين من وِلادة الرسول إلى الهجرة، ثم تتّبع التقويم الهجري، وتُحاول اتّباع الترتيب الشهري في أحداث كلّ سَنَة[35]. ويتجلّى إدراك ابن الجَوزي أهمّية القِوى التاريخيَّة، رَغْم كُلّ شيء، في إدراكه

(30) ليس من الصَّعب، طبعاً، أن نجد إنتاجاً أضعف في المُؤلّفات التاريخيَّة الصُّغرى.

(31) ج1، ص348 فما بعد، طبعة كللر، لايبزيغ 1908م، عن حياة المأمون.

(32) انظر: مُقدّمة كتاب **المُنتظَم** وقد أعاد نشرها.
O. Spies, *Beiträge zur arabischen Literaturgeschichte*, 61f. (Leipzig 1932, AKM, 19, 3).

(33) انظر: شبيز آنف الذكر.

(34) انظر أيضاً: شبيز آنف الذكر.

(35) انظر: J. De Somogyi, in *JRAS* 1932 59f.

أهمّية الإسماعيلية في زمنه، وبذلك يكون قد ذَهَب إلى أبعد ممّا ذهب إليه الطَّبَري في وصفه المُفَصَّل لِلقَرامطة في سَنَة 278هـ/ 891-2م، حيث يذكرهم لأول مرة[36].

ونُصادف عند ابن الجَوزي أيضاً مُختصرات تاريخية فيها جميع الأخبار المطلوبة لمن يفتقدون الوقت أو الصبر على دراسة المصادر الأُولى، ومن هذه المُختصرات كتاب **شُذُور العُقُود** الذي لخَّص فيه ابن الجَوزي كتابه **المُنْتَظَم**. وأساس هذه الكُتُب الاختصار، فيذكر في كُلّ سَنَة خبراً واحداً فقط. أما الحوادث ذات الأهمّية التاريخيَّة الحقيقية فلا تَجلب إلا إنتاجاً مُشتّتاً، ويهتمّ المُؤلّف بأخبار مُعيّنة كَوَفَيات الشخصيات البَارزة، والتطوّرات الدِّينية بما في ذلك ما يتعلّق بالنَّصارى واليهود، والوِلادات الغريبة والزلازل والأمراض، وافتتاح بيمارستان جديد، أو موجات البرد القارسة، أو انقضاض النيازك والشُّهب أو الحرائق الكُبرى، أو ظُهور الترك الدَّيْلم، أو المجاعات أو موت الخُلفاء، أو تولّيهم الخِلافة، أو تَزَوُّج امرأة زوجين، أو اضّطراب الأحوال المالية. وهي تبدأ عَادة ببحث مُقتضب عن تاريخ ما قبل الإسلام، ثم تُكمل صورةَ التاريخ الذي يبحثه عِدّةُ مراجع ضعيفة، وأحياناً مراجعُ أفضل، ككتاب **دُوَل الإسلام** للذَّهبي الذي هو مُلخَّص **تاريخ الإسلام** للمُؤلّف نفسه.

وهُناك تطوّر آخر في كِتابة التاريخ العالمي جدير بالذكر في هذه المُناسبة، وهو استخدام التقاويم شكلاً من أشكال العَرْض التاريخي. لقد استخدَم أصحاب الحَوْليّات والفَلَكيون هذه الطريقة دائماً، ثم انتقلت إلى المُناقشة العلمية للحَوْليّات، كما نَجدها في كِتاب **الآثار الباقية** للبيروني، إذ لم يكن بالإمكان أن تخفى قِيمتها التربوية والعلمية على المُؤرّخين، رَغْم أنّ أقدم تقويم تاريخي نعرفه يرجع إلى القرن الرابع عشر[37]. وهو يحتوي على ستة عشر جدولاً تبحث في

(36) انظر: **المُنتظَم**، ج5، ص2، 110 (حيدرآباد 1357-8هـ) الطَّبَري: **التاريخ**، سِلْسِلَة 3، ص2124-30.

(37) W. Barthold, *Turkestan Down to the Mongol Invastion*, 24 (London 1928 E.J.W. Gibb Mem. Series N.S. 5).

حُكّام الإسلام، وفيها حُقول نجد فيها معلومات عن والد كُلّ حاكم وأمه واسم جدّه ولقبه وكُنيته وسَنَة وِلادته، ومُدّة حُكمه وسبب وفاته ومكان دفنه[38].

إنّ التقويم الذي وَضَعه حاجي خليفة بالتّركية، مُتأخِّر، لكننا نجد فيه تحوّل تاريخ الحَوْليّات إلى جَداول، إذ يبدأ ببحث مُختلف الحِقَب، ثم يُتبع ذلك بجداول يَعرض فيها التاريخ العالمي، تبعاً لسِنِيّ العالم أولاً، ثم تبعاً لسِنِيّ الهجرة الذي ينقسم بدوره إلى حِقَب (يُتابع في ذلك الذَّهبي؟) ويذكر فيه أهم حادثة في كُلّ سَنَة[39].

وقد كتب سِبْط ابن الجَوزي **مرآة الزمان**، وهو تاريخ عام يتجلَّى في القسم الذي خصّصه لتاريخ ما قبل الإسلام غَزارة علم المؤلِّف، وشدّة توثّقه العلمي، التي تُشبه غزارة علم المسعودي. أما القسم الإسلامي، فقد قدّم فيه معلومات تاريخية أَوْسع بكثير ممّا قدمه ابن الجَوزي، كما ويُمكن اعتبار كتاب **الكامل في التاريخ** لابن الأثير خير ما أُلِّف من الحَوْليّات في التاريخ العالمي في الإسلام، فهو كتاب يتميّز باتزانه في بحث الفترة الشاملة التي درسها، فهو في تاريخ ما قبل الإسلام يبحث في خَلْق العالم، وتاريخ بني إسرائيل (مُختلطاً مع تاريخ الفُرْس) ثم قِصَص النَّصارى والقدّيسين والعرب الجاهليين، ثم يبحث تاريخ حياة الرسول بتفصيل، لكنه لا يُخصّص لذلك مقداراً شاذّاً في الطُّول، إذ إنها تشغل أقل من نسبة واحد إلى عشرين من الكتاب تقريباً، وهو يُبدي أسفه من أنّ «من

= وهو يشير إلى **تاريخ مُجَدْوَل** لرجل اسمه أبو القاسم محمد بن عليّ العِمادي، ورُبّما كان هذا قد عاش في أوائل القرن الثاني عشر إن لم يكن قبل ذلك، ومن المُؤكّد أنه عاش قبل القرن الثالث عشر. ويتبيّن من عُنوان الكتاب أنه ينبغي أن يكون تاريخاً بشكل جداول.

انظر أعلاه: ص134 عن عَرْض التاريخ العام بشكل جَداول أنساب.

انظر أيضاً: نص ابن فَرِيغُون بالعربية، ص75.

(38) مخطوطة القاهرة، تاريخ 86 مجاميع. نجد أنّ التقويم في المخطوطة يتبعه التِبر المسبوك لأبي الفِداء، ويبدو أنّ كِلا الكِتابين أَلَّفهما المُؤلّف نفسه غير أنّ مسألة تأليفهما تتطلّب دراسات أدقّ، إذ إنّ التِبْر ينتهي بحوادث عشر سنوات بعد وفاة أبي الفِداء.

(39) مخطوطة باريس رقم: Persan suppl. 1739 (Blochet 2293).

انظر: *GAL* II, 428 Supplement II, 636.

Storey, *Persian Literature* II, 128f.

كان في المَوْصِل، فلا بدَّ أن يغفل عن حوادث المناطق البعيدة في الشرق والغرب»[40]. ومن الواضح أنه حتى لو حذفنا هذا النّص الصريح، فإننا نجده قد بَذَل جُهده على الأقل لمُراعاة تَوازن معقول بين الأحداث في كافة أنحاء العالم الإسلامي، رَغْم أنّ عمله هذا لم يُكَلَّل بالنجاح التام. أضفْ إلى ذلك أنه حاول إنصاف الأحداث العجيبة وتراجم الشخصيات البارزة دون أن يُبالغ فيها. وعندما يقترب من عصره يُحاول تفصيل الأحداث التاريخيَّة، لكن دون إخلال. كما يُظهِر أحياناً لمحات من البصيرة التاريخيَّة الحقّة، فهو مثلاً يعتبر استيلاء الصليبيين على غَزَّة في سَنَة 491هـ (1098م) جُزءاً من هجوم ذي ثلاث شُعَب يشنّه العالم المسيحي على الإسلام: من إسبانيا، وصقلية، وقلب الإسلام[41]، كما أنه يُحاول تفسير سبب عدم استخلاف مُنْشئي الدُّول بأولادهم[42]، ويُحاول في مكان آخر أن يتفكّر شأن المُؤرّخين الآخرين، في عِظَم كارثة الغزو التتاري[43]، غير أنّ فهمه التاريخي والسيكولوجي في هذا المضمار يفوقه فهم ابن أبي أُصَيبعة الذي كان يَعلم أنه «ما طامّة إلا فوقها طامّة أعظم منها، ولا حادثة إلا وغيرها تكبر عنها»[44]، بل إنّ ابن الأثير تَرَك في إحدى المُناسبات الترتيب الحَوْلي لكي يُقدّم صورة مُنسّقة للسنوات الأربع للاضطرابات الصليبية والتي بدأت سَنَة 614هـ (1217 ـ 8م)[45].

إلا أنه في بعض النِّقاط الأساسية لم يرتفع في الحقيقة عن المستوى العادي للجامع الحَوْلي. وهو كثيراً ما يَعتمد على مصدر واحد فحَسْب، رَغْم أنه يُحاول إكمال المصادر الناقِصة من كُتُب أُخرى كما فعل في أخبار الطَّبَري. وفي

(40) **الكامل**، ج1، ص3 (القاهرة 1301هـ).

(41) **الكامل**، ج10، ص112، مصدر سابق.

(42) المصدر السابق، ج11، ص154 فما بعد حوادث سَنَة 564 نقل عنه بيبرس المنصوري. **زُبدة الفكرة** انظر: مخطوطة البودليان حوادث سَنَة 564 (Uri 704) Pocock 324.

(43) المصدر السابق، ج12، ص164 حوادث سَنَة 617.

(44) ابن أبي أُصَيْبعة، ج12، ص233 طبعة مولر. كان المُؤلّف يُقلّل من شكوى الطبيب صاعد بن بشر من الأحوال في القرن العاشر م. ـ الحادي عشر م.

(45) **الكامل**، ج12، ص147.

بعض الحوادث النادرة يذكر بصراحة أنه يستخدم أكثر من مصدر واحد[46]، كما أنه يختصر مصدره الرئيس اختصاراً غير مُتْقَن، بحسب مُيوله الشخصية[47]. إنّ كتاب **الكامل** غنيّ بالمعلومات، وهو من حيث العُموم غير مَوثُوق به جداً، ولكنه مع ذلك عمل عظيم.

لقد ظَهَر مُنذ القرن الثالث عشر فما بعد سيل من الكُتُب العامة في العربية والفارسية لا تختلف عن بعضها إلا في التأكيد على نواحٍ مُعيَّنة من تاريخ العالم الإسلامي، غير أنه حدث تطوُّر ملحوظ عندما سَيْطر الاهتمام الدِّيني على الكتابة التاريخيَّة. فأصبح تاريخ ما قبل الإسلام كلُّه تقريباً مجموعة من الأخبار الإسلامية عن خَلْق العالم وتاريخ بني إسرائيل. كما أنّ سيرة الرسول، التي لاحظنا من قبل أنّ بحثها بين اتجاه نَظرة المُؤرّخ العقلية، تجاوزت في طُولها الحدود المعقولة.

وخَير نَمُوذج لهذا الاتجاه هو كتاب **البداية والنهاية** لابن كثير[48]، كما وجد طريقاً آخر كان بمُوجبه تاريخ ما قبل الإسلام غير مُهمّ لعلم الكلام والفقه، بينما كانت سيرة الرسول مُقدّسة وجديرة بأن تُبحث لذاتها. وقد أنتج هذا كُتُباً

---

(46) المصدر السابق، ج11، ص170، حوادث سَنَة 568.

(47) عن علاقة بين ابن الأثير والطَّبَري، انظر:
C. Brokelman, «Das Verhältnis von Ibn al-Atîrs Kâmil fit-Târîkh zu Ṭabaris Aḫbâr er rusul wal mulûk». Dissertation Strassburg 1890.
لم أطّلع عليه.
أما عن علاقة ابن الأثير بابن القلَانِسي، فانظر:
H.A.R. Gibb, «Notes on the History of the Early Crusades» in *BSOS*, VII 739-54 (1933).
انظر أيضاً: Gibb, in *Speculum* XXV 49-72 (1950).

(48) مع أنّ المُسلمين كانوا يعتبرون أحداث يوم القيامة جُزءاً من التاريخ، وأنها لذلك كانت تدخل في كُتُب التاريخ كَكِتاب **البدء والتاريخ** للمُطَهَّر، فإن إضافة قسم ثانٍ خاص يبحث في النهاية كان دليلاً على نُموّ أثر علم الكلام لم يتحقّق بعد طبع النهاية الذي أعلن عنه في نهاية الجُزء الرابع عشر من طبعة القاهرة للبداية. أما عن مخطوطات هذا الكتاب في مكتبات إستانبول، فانظر:
O. Spies, «Beiträge zur arabischen Literaturgschichte», 79 (Leipzig 1932 *AKM*, 19, 3).

مثل **تاريخ ابن أبي الدّم**[49]، و**عُيون التواريخ** للكُتُبي (ت 768هـ/ 1367م)، وكلّها تبدأ البحث من السَّنة الأُولى للهجرة. وهُناك أيضاً كُتُب تاريخ دُول شاملة تبدأ بالخليفة الأول، كَكِتاب **الجوهر الثمين في سيرة الخُلفاء والسلاطين** لابن دُقْماق (ت 809هـ/ 1407م)، كانت هذه الكُتُب «تواريخ عالمية مبتُورة»، بالطريقة نفسها التي وُجدت فيها أحياناً تواريخ عالم صُورية، أي كُتُب تبحث في موضوعات تاريخية محدُودة، ولكن فيها مُقدّمات عن تاريخ العالم[50].

وبالإضافة إلى الشكلين المذكورين آنفاً، واللذين طَبَعَ فيهما علمُ الكلام أجزاء لما قبل الإسلام أو العُهُود الإسلامية الأُولى من تاريخ العالم، فإن تأثير علم الكلام يَظهر أيضاً في مُعالجة التاريخ الإسلامي المُتأخّر. فبدأ يتجلّى تفضيل التراجم، حيث احتلّت جُزءاً كبيراً من كِتابَيْ ابن كَثِير والذَّهبي.

أما ابن كثير، فإنه لم يَأخذ بالتنظيم الأَبجدي الذي وجده في **المُنْتَظَم** وهو من مصادره الرئيسة، وتَحَاشى إلى حدٍّ ما الفَصْل المُتحذلق بين الحوادث والتراجم.

---

(49) إنّ مخطوطة البودليان Marsh. 60 (Uri 728) هي بعَكْس ما يقول بروكلمان، ج1، ص346، كتاب لابن أبي الدّم، وليس فيها تاريخ للأنبياء، بل هي «تاريخ للإسلام يبدأ بحياة الرسول». ويبحث **تاريخ الإسلام** للذّهبي، في سيرة الرسول.

(50) لقد كان نِظام التأريخ العام يُطبّق أحياناً على الموضوعات الأدبية التي ليست لها إلا علاقة ضعيفة بالتاريخ. وقد كان لـ «الأوائل» دائماً شيء من الظَّرافة التاريخيَّة (نجدهم مثلاً مذكورين في كتاب **عُيون المعارف** للقُضاعي، مخطوطة البودليان Or. Pocock 270 Uri 865، ص54أ، وكذلك عند أقدم مُؤرّخينا كحديث البَلاذُري عن حياة يزيد الثاني في كتاب **الأنساب**). لذلك لا نَعجب إذا رأينا نظام التأريخ العام يُستعمَل لكِتاب عن **الأوائل**، وهو كتاب **محاسن الوسائل** للشِّبلي. يبدأ هذا الكتاب بأوائل الخليقة، فأوائل مكة والكعبة، ثم الأوائل من زمن آدم إلى إبراهيم وإسماعيل، ثم أوائل الأنبياء والمُلوك وأُمراء العرب ثُمّ الرسول والصحابة، فأوائل الإسلام وشريعته، فأوائل الوُلاة، وأوائل الشطرنج، وأوائل الأُمويين والعباسيين، ثم يذكر أوائل غير مُصنّفة. وأخيراً أوائل يوم القيامة ونِهاية العالم (مُصوّرة القاهرة، تاريخ 5557، ص11أ)؛ وبعكس هذا، فإن أوائل كُلّ حاكم من حُكّام الماضي تكون مُقدِّمة للتاريخ المُرتّب على السنين عن الأزمنة الأحدث في كتاب **السلوك** للمَقْريزي (ج1، القاهرة، 1934م).

وأما الذَّهبي، فكان يَفصل بين هَذَين الموضوعين دائماً. وإذا كانت مخطوطات تاريخ الإسلام في أُكسفورد تُمثّل نيّات الذَّهبي[51]، فإنه يُظهِر بعض التَّذبذُب في اتِّباع الشكل الذي نَظَّم فيه الحوادث والتراجم في كتابه.

ففي «العُقود الأُولى»[52]، نَجِد أنّ التراجم تَسبق الحوادث، ثم تتلو ذلك فترة صُنِّفت فيها التراجم تصنيفاً أبجدياً ووُضعت في نهاية كُلّ عقد من السنين. ثم نجد بعد ذلك حوادث لفترة خمسين سَنَة تبحث بصورة مجموعة ثم يتلوها تراجم تلك الفترة مُرتّبة بحسب سِنِيّ الوَفَيات، وتُرتّب تراجم المُتوفّين كُلّ سَنَة بحَسَب الحُرُوف الأبجدية. وبالإضافة إلى ذلك، يُوجد تنظيم أعلى مُرتّب بحَسَب العُقود، وفي نِهاية كُلّ عَقد معلومات عن وَفَيات أُناس لا تُعلَم سَنَة وفاتهم بالضَّبط، ومنذ نهاية القرن الثاني عشر فما بعد، تُتبع حوادث كُلّ سَنَة بقائمة أسماء من وُلِدوا في تلك السَّنة[53].

أما العُقود الأخيرة من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، فليس في تاريخ الإسلام كما نَعلمه، إلا التراجم. وممّا يجلب النَّظر فيه كثرة عدد التراجم وطُولها، وخاصة للشخصيات التي تبدُو مُهمّة من وِجْهة النَّظر الدِّينية.

وهكذا، فَقَد التاريخ العام قُوته في إعطاء صورة شاملة للكون، تلك القوة التي احتَفَظ بها عدّة قُرون، والتي لم تنقص إلا لِقلّة المعلومات عن العالم غير الإسلامي خلال فترة التاريخ الإسلامي.

إنّ طريقة المُسلمين في كِتابة التاريخ العام كثيراً ما كانت تدفعهم ليكونوا سطحيين، ولينقلوا من مصَادرهم بصورة ميكانيكية. وليُفضّلوا الكمِّيّة على

(51) عن النُّسخة التي كتبها المُؤلّف بخطّه وهي محفوظة بإستانبول، انظر: و. شبيز: المصدر السابق، ص70. أما عن مخطوطة أُكسفورد، فانظر القسم الثاني، ص521، هامش 65، (والكتاب يجري طبعه في القاهرة منذ سَنَة 1367هـ).

(52) انظر أعلاه: ص120.

(53) انظر أعلاه: ص141.

النوعيّة، غير أنها تُمثّل نوعاً من الإحساس التاريخي الذي هو أحد المراحل الضَّرورية الأُولى في سبيل الوصول إلى فِكرة إنسانية حقّة عن العالم.

2 ـ التواريـخ المحلّيـة

كان الاهتمام بالتواريخ المحلّية في كُلّ الأزمنة تعبيراً أدبياً مُحبّباً عن شعور الجماعة[54]... ولقد عَبَّرت المُجتمعات التي تُكوّن العالم الإسلامي كافة عن الرِّباط الوثيق الذي يَربط الناس بمكان مولدهم. ومع أنّ كثيراً من التواريخ المحلّية في الإسلام نشأت من الاعتبارات الدِّينية والفِقهية، غير أنّ المفاخر الإقليمية كانت وراء مباحث العُلماء. فالسَّلّامي في خُراسان[55] كان يعتبر قلّة التواريخ المحلّية عيباً فاضحاً، لا يقلّ عما اعْتَبَره ابن حزم في إسبانيا[56]، وقد اعْتَبَر من البديهي ألّا يُغفل المُؤرّخ تاريخ بلده عندما يكتب عن تاريخ إقليم آخر[57].

وأول ذكر صريح لِحُبّ الوطن كدافع لكتابة التاريخ المحلّي، وَرَد في كتاب **محاسن أصفهان** للمافَرُّوخي في القرن الحادي عشر بإيران[58]، ثُمّ أصبح منذ ذلك الحين دافعاً مُستمرّاً للتواريخ المحلّية.

والغالب أنّ المُؤلّفين المُتعاقبين في تاريخ مكانٍ ما يُتابعون مُتابعة عمياء أول كتاب أُلِّف عنه. وفيما عَدَا ذلك، أَتاح التاريخ المحلّي حرية واسعة لمُيُول

---

(54) انظر عن بعض المعلومات الإضافية: **الإعلان**، ص35-121، وتعليقنا عليه في القسم الثاني.

(55) انظر: **الإعلان**، ص39 وما بعدها.

(56) عن جواب ابن حزم على الرسالة التي وَجَّهَها الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيع القَيْرواني إلى أبي المُغِيرة عبد الوهاب بن أحمد، ابن عم ابن حزم، وفيها يتشكّى من قلّة التواريخ عند أهل الأندلس الذين يبحثون عن إسبانيا. انظر: المَقَّري، **نفح الطِّيب**، ج2، ص21-108 طبع دوزي وآخرين (ليدن 1855-61م).

(57) تقي الدين الفاسي: **العِقْد الثمين**. المُقدّمة فيما يتعلّق بكتاب قُطب الدِّين القَسْطلّاني عن تاريخ اليمن.

(58) كُتب في أواخر القرن، انظر:
H. Ritter, in *Oriens*, IV, 191 (1951).

المُؤرّخ الشخصية، وبذلك قَدَّم من الأشكال والمُحتويات أنواعاً تزيد عمّا قدّمها التاريخ الحَوْلي. فهُناك تَنويعات صُغْرى مُتعدّدة. لكن يُمكن التمييز في كتابة التواريخ المحلّية أو الإقليمية بين تيارين عامَّين، سنُطلق عليهما باختصار التاريخ المحلّي الدُّنيوي والديني.

كان للتاريخ المحلّي الدُّنيوي في الإسلام بعض السوابق التي ترجع إلى ما قبل الإسلام، وقد جاءت هذه السوابق من منطقة رُبّما كانت، بالنَّظر إلى موقعها الجُغرافي والثقافي، نُقطةَ التقاء يستطيع فيها المُسلمون التعرّف على ذلك النوع من التأليف. وهكذا نَجد أنه كان تحت تصرّف يوحنا مَلالاس تاريخٌ لأنطاكية، ويبدُو أنه أفاد أيضاً من تاريخ للقسطنطينية[59]، كما أنّ التآليف السُّريانية عرفت تاريخاً مُقتضباً لتأسيس روما منسوباً للمُؤرّخ ديوقليس الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد[60]. وكانت للآداب العربية بعض التواريخ المحلّية كذلك عن منشإ المسيحية الشرقية ومنها وصف غريب لروما[61]، وتاريخ عن نشأة أنطاكية فيه معلومات عن الأبنية والمعابد الوثنية والرُّسُل[62].

وقد نسخ الشريف إدريس بن الحسن بن عليّ الإدريسي المُؤرِّخ تاريخاً لأنطاكية ألَّفه بعض النَّصارى، وهذه النُّسخة قرأها ابن العَدِيم[63]. ويبدو فيها

(59) انظـر:
A. Freund, *Beiträge zur antiochenenischen und zur Konstantinoplitanischen Stadtchronik* (Jena 1882).

(60) انظـر: A. Baumstark, *Geschichte der syrischen Literatur* 171 (Bonn 1922).
انظر أيضاً:
H. P. Hatch, *An Album of Dated Syriac Manuscripts, pl.* LXVI (Boston 1946).

(61) انظـر:
I. Guidi, L, «Europa occidentale negli antichi geografi Arabi», in *Florilegium M. de Vogue* 263-9 (Paris 1909).

(62) لقد استعملتُ المخطوطتين الموجودتين في البودليان برقم:
Or. Selden super. 30 (Uri 432) fols. 54a-70b, and Laud or. 30 (Uri 870).
أما عن المخطوطات الأُخرى عن وصف روما وأنطاكية والقسطنطينية، فانظر:
G.L. Levi della Vida, *Elenco dei manoscritti arabi Islamici della Bibliotheca Vaticana* No. 286 (Città del Vaticano 1935 studi e testi 67).

(63) بُغية الطَّلَب، مُصوّرة القاهرة: تاريخ، 1566، ص138 و160. أما عن الشريف =

بحث تاريخي حقيقي عن الموضوع، ولكن زمن تأليفه واسم مُؤلِّفه غير معروفين. وقد بَقي وصف للقسطنطينية في إحدى المخطوطات إلا أنه لم يكن تاريخاً مُفصَّلاً لتلك المدينة والذي لم يكن موجوداً في القرن السابع عشر[64]، ولم يُكتب قطّ بالشكل التقليدي في الأقل. ويبدُو أنّ التواريخ الأُسطورية لروما وأنطاكية وَوَصْف العرب للقسطنطينية لم تكن قديمة جداً، إذ لم تبقَ إلا في مخطوطات حديثة. ولا رَيْبَ أنّ هذا لا ينهض دليلاً على حداثة تاريخ مُحتويات تلك الكُتُب، إذ قد يرجع تأليفها أو ترجمتها إلى العربية إلى زمن قديم نسبياً، غير أنها لا يُمكن أن تكون قديمة لدرجة تُؤثّر في التاريخ المحلّي الإسلامي. ثُمّ إنّ هذا يُمكن تطبيقه على التواريخ المحلّية العربية المسيحية التي تستخدم السُّريانية والإغريقية في علاقتها بالكُتُب الإسلامية المُتأخّرة، إذ لا تتشابه قطّ في الشكل أو العادة[65]. وهُناك أمر آخر يَدلّ على عدم اتّصال الكُتُب المحلّية الدُّنيوية الإسلامية بالنَّماذج النصرانية. فالكُتُب الإسلامية المعروفة يرجع أصل أقدمها إلى العراق. إنّ هذا النوع من التاريخ المحلّي يبدو أنه قد نشأ في العراق، لا في سوريا حيث ينتظر المرء الأثر المسيحي... ويبدو من شكل ومُحتويات التواريخ المحلّية الدُّنيوية الإسلامية أنها قد نشأت نوعاً مُتخصّصاً من التاريخ العام، ثم تأثّرت في تطوّرها فيما بعد بشكل ما بالتاريخ المحلّي الدِّيني، وبعِدّة اعتبارات إقليمية وثقافية مُختلفة.

= الإدريسي، فانظر أيضاً أبو شامة: **الرَّوْضَتين**، ج1، ص130 وما بعدها في مجموعة:
«Recueil des historiens des Croisades», *Historiens* or. 4, Paris 1898.

(64) حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص116، طبعة فلوجل. يُخبرنا هذا المُؤلّف أنه عرف ترجمة فارسية يرجع عهدها إلى القرن الخامس عشر عن تاريخ لآيا صوفيا، وترجمة تركية نُقلت من الترجمة الفارسية.
إنّ النُّصوص التركية التي تبحث عن تاريخ القسطنطينية وآيا صوفيا، والتي كانت ببال حاجي خليفة، هي مُستندة على مصادر بيزنطية، ومن الواضح أنها لا علاقة لها بالكتاب العربي، راجع مُراجعة ج.هـ. موردتمان في مجلة:
Der Islam XIII, 159ff. (1923).
F. Kraelitz and P. Wittek (editors), *Mitteilungen zur osmanischen Geschichte* (Vienna 1921-2).

(65) ويُمكن أن نُضيف هنا أنّ أصل التأريخ المحلّي الدِّيني في الإسلام، كما سنَصِفه فيما بعد، يستبعد أيّ فكرة لأثر الكُتُب المسيحية على ذلك الفرع من التأريخ المحلّي.

لقد بقيت في العراق في القرن التاسع والعاشر الميلادي أقسام كبيرة من كتابين محلّيّين دُنيويين[66]، هُما **تاريخ بغداد** الذي ألّفه أحمد بن أبي طاهر طَيْفُور ثم أكمله ابنه عبدالله[67]، والثاني هو **تاريخ المَوْصِل** لأبي زكريا الأزدي. فأمّا كتاب أحمد بن أبي طاهر، فقد أراد مُؤلّفه أن يجعله تاريخاً للخُلفاء العباسيين يدور حول حوادث عاصمتهم. وبذلك كان مُناسباً ليحلّ محلّ تاريخ عام للإمبراطورية الإسلامية[68]. وقد أُضيفَ على المعلومات التاريخيَّة فصل عن الخِطَط، إذ يُروى أنّ المُؤرّخ الأندلسي أحمد بن محمد الرازي ألَّفَ في «صفة قُرطبة وخِططها ومنازل العُظماء بها»، كتاباً على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكره لمنازل صحابة المنصور بها[69]. ولعلّ وصف بغداد اعتَمَد كثيراً على الإحصاءات الثقافية والاقتصادية، ويُمكن تكوين فكرة تقريبية عن شكل هذا النوع من المعلومات من النُّتَف الباقية من كِتابين في مدح بغداد ألّفهما مُؤلِّفان آخران في القرن التاسع، هما أحمد بن الطيب السَّرَخْسي ويَزْدْجَرْد بن محمد الكِسْرَوي[70].

لم يَظهر أيّ مجال للشكّ في الطابع الدُّنيوي لكتاب ابن أبي طاهر، أما كتاب **تاريخ المَوْصِل** لأبي زكريا فَيُوصَف بأنه كتاب عن مُحدِّثي تلك المدينة. ويبدو أنّ المُقتطفات التي اقْتَبَسها المُؤرّخون منه تؤيِّد صِحّة هذا الوصف[71]،

(66) عن تاريخ البصرة لزكريا بن يحيى الساجي، انظر تعليقنا في القسم الثاني الذي يبدو أنّ مُعظم مادته سياسية وجُغرافية، راجع: ياقوت: **معجم**، الفِهْرِست طبع وستنفلد، راجع أيضاً: F.J. Heer, *Die historischen und geographischen Quellen in Jâqût's Geographischen Wörterbuch*, 32f. (Strassburg 1898).

(67) انظر أدناه: قسم 2، ص386 هامش 5.

(68) انظر أعلاه: ص113.

(69) انظر: الحميدي: **جَذْوَة المُقْتَبِس**، ص45أ، مخطوطة البودليان، رقم Or. Hunt 464 (Uri 783).

(70) انظر أعلاه: ص158، هامش 56، وميخائيل عَوّاد في مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلد 19، ص31-322، (1944)، ويُفضّل عواد «مَهْمَنْدار» على «مَهْبُنداد»، غير أننا لسنا في وضع يُمكّننا من تقرير مَدَى كمّية المعلومات التاريخيَّة التي تحويها هذه الكُتُب، وبأيّ صورة عُرِضت بالضَّبط.

(71) انظر أدناه: قسم 2، ص568، **الإعلان**، ص133.

غير أنّ القطعة الباقية من هذا الكتاب تُنبئ عن قِصّة أُخرى[72]، إذ إنّ فيه تاريخاً حَوْليّاً مُمتازاً يشمل السنوات التي بين سَنَة 101-224هـ، ولعلّ هذا التاريخ يكوِّن قِسماً مُنفصلاً، أو حتى كِتاباً مُستقلّاً مُرفقاً بكتاب **طبقات المُحدِّثين**[73]. إنّ الأحداث السياسية التي بحثها ذات طابع عام، لكن لها بعض العلاقة بالمَوْصِل، وقد أَوْلى اهتماماً خاصاً لوُلاة المدينة وأعمالهم وتواريخ وَفَيَات العُلماء، وفيهم غير مَوْصِليين. ويُظْهِر أبو زكريا تفهّماً لأهمّية العوامل الاقتصادية في التاريخ عندما يصف أعمال السوق السوداء إبّان المجاعة التي حصلت سَنَة 207هـ (822-3م)، فهو يقول: «قال وكان سوق الطعام في ناحية دور أبي وهب بالقرب من سوق الحشيش، وكان لا يجترىء أحد يظهر نَموذج طعام، وإنما يخرج الرجل لشيء من كُمّه فيبيعه سراً ورُبّما كاله ليلاً خوفاً من الناس والمجاعة التي كانت»[74]. وبعض الأخبار ليست لها فيما يظهر علاقة واضحة بالمَوْصِل، غير أنّ مثل هذه الأخبار قليلة. ولعلّنا لو أمعنّا النَّظر فيها. لتبيّن لنا أنها مادّة أساسية ضَرورية لتاريخ تلك المدينة. يعتقد هذا المُؤرّخ أنه أول من كتب تاريخاً للمَوْصِل، وأنه لذلك لم يَستطع تدقيق صِحّة الخبر القائل إنّ المهدي عيَّن أحمد ابن إسماعيل بن عليّ والياً على المَوْصِل سَنَة 167هـ (783-4م)، فهو يقول: «... فإنهم ذكروا أنّ المهدي ولّى المَوْصِل في هذه السَّنة أحمد بن إسماعيل بن عليّ، والله أعلم بذلك... لم أعمل هذا التاريخ من كتاب معمول مُؤلَّف اعتمدَت فيه على أمر المَوْصِل خاصة، وإنما جمعتُه من كُتُب شتّى، وقد ذكروا ما وجدت ولم أعدل عن الصدق»[75]. ولعلّ **تاريخ المَوْصِل** للخالديَّيْن كان يُشبه تاريخ أبي زكريا. وإذا جاز لنا أن نَحكم من مُقتطفات باقية من هذا الكتاب، قلنا إنّ هذين

---

(72) لقد استُعمِلت مصورة القاهرة، تاريخ 2475 (وكذلك تيمور: تاريخ 2303)، وكانت النُسخة مكتوبة بخط إبراهيم بن جماعة بن عليّ في سَنَة 654-1256م.

(73) يقول المؤلِّف في ص258 فما بعد من مخطوطة القاهرة: «وقد وَفَّيْنا أخبار المُعافي (ابن عِمْران) في كتاب **طبقات المُحدّثين**».

(74) المصدر السابق، ص308.

(75) **طبقات المُحدّثين**، المصدر السابق، ص216 وما بعدها.

المُؤلّفين الشاعرين وَضَعا المَوْصِل في مكانها ضِمْن نِطاق جُغرافي، ورُبما تاريخي أوسع[76].

أما كتاب **تاريخ المَوْصِل** الذي ألّفه دون أن يُكمله ابن الأثير، فقد أُلِّف بعد الكتاب سَالف الذِّكر بثلاثة قُرون، واتّبع الأساليب الكُبرى في التاريخ المحلّي السياسي التوجيهي[77]. وقبل ابن الأثير بنحو نصف قَرْن، كتب ابن الأزرق كتابه **تاريخ مَيّافارِقِين** الذي مَثّلَ تاريخ المدينة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى زمن المُؤلِّف، وهو يُشكّل جُزءاً من التاريخ السياسي والثقافي العام للمنطقة.

لقد غطّى الحاضر الإسلامي المجيد في العراق على تاريخه العظيم ما قبل الإسلام. أما في مصر، فقد كان الشعور بتاريخ ما قبل الإسلام والتَّفاخُر به واضحاً، وقد عَبَّر عن نفسه بالتاريخ المحلّي. فتاريخ مصر وفضائلها لابن زُولاق كما حَفظته المخطوطات يُروى أنه مُقتطفات من كتاب المُؤلِّف[78]، وقد رَقِي الشكّ إلى صِحّة نِسبته[79]. والواقع أنه يُنتظَر أن نجد في كتاب مُؤلَّف في القرن العاشر تنظيماً أتقنَ للمادة وأخباراً أوسع عن العصور القديمة، كأيّ كتاب محلّي ديني، يبدأ بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة في مصر، ثم يبحث في الأخبار الهِلّنستية الشرقية عن مصر باعتبارها موطن الفلسفة والعلوم الإغريقية، ثم يتلو ذلك تاريخ مصر القديم حتى الفتح الإسلامي، ثم يُعدّد بعدها كبار الأُسر

---

(76) انظر أدناه: قسم 2، ص68 هامش 317، **إعلان** 133.

(77) انظر أدناه: قسم 2، ص68 هامش 317، من الواضح أنّ هذا الكتاب هو كتاب **تاريخ أتابكة المَوْصِل** نفسه الذي طُبع في مجموعة:
«Recueil des historiens des Croisades», Historiens or. II, 2 (Paris 1876).

(78) لقد استعملت مخطوطة باريس (ar 4727) ص186ب-212أ، والمخطوطة مُؤرّخة في صفر 988هـ/آذار-نيسان 1580م، ويُقال إنها نُسخت من مخطوطة تاريخها ربيع الأول 608هـ/ آب-أيلول 1211م، وهذه بدورها نُسخت من مخطوطة كتبت بخط المؤلف. أما الكُتُب التي يرويها بروكلمان، ج1، ص149، **الملحق** ج1، ص230 كأنها رقم 1-4 من كُتُب ابن زُولاق فيبدو أنها واحدة أو كالواحدة. انظر:
R. Gottheil, in *JAOS*, XXVII, 226, fn. 2 (1907).

(79) انظر: جوثيل آنف الذكر.

المصرية المُسلمة والأُسر الشيعية في مصر، ثُمّ يُبدي في الأخير مُلاحظات عن الخِطط والمحاصيل الزراعية والصناعية في مصر والتقاويم المُستعملة فيها.

وقد تابع كُلٌّ من المُسَبِّحي وابن مُيَسَّر تَقَاليد التاريخ المحلّي الدُّنيوي في مصر، وكتب محمد بن القاسم النُّويري تأريخاً غريباً لمدينة الإسكندرية تناول في بحثه تاريخ حوادث سَنَة 767هـ/ 1365-6م. وقد استَوحى هذا التاريخ من الصراع مع النَّصارى الأُوروبيين شأن كتاب **الفَتْح القُسِّي** للعماد أو كتاب أحمد ابن عبدالله ابن عمِيرة عن **فتح مَيورقه** الذي يُقال إنه كُتب على غِرار كتاب العِماد[80].

أما كتاب الإسكندرية، ففيه بحث طويل عن تاريخ الإسكندر وأرسطو، فضلاً عن بحثه في أُمور أُخرى ليست لها أهمية تاريخية أو علاقة خاصة بالإسكندرية.

إنّ تقليد التاريخ المحلّي الدُّنْيَوي في مصر أدَّى في القرن الخامس عشر، إلى تأليف كُتُب مراجع تُذْكَر فيها معلومات كثيرة طُوبوغرافية وثقافية وتاريخية واقتصادية مُرتَّبة ومُصنَّفة بشكل أنيق. وأعظم كتاب من هذا النوع هو **الخِطط** للمَقْرِيزي الذي يظهر سَعَة اهتمام المُؤلّف وقِراءاته الشاملة. ولعلّه، كان أشمل بكثير من الكُتُب المُشابهة التي دوَّنها أسلاف المَقْرِيزي، أمثال محيي الدِّين عبدالله بن عبد الظاهر (تُوفّي 692هـ/ 1293م). وتتجلّى النَّظرة الشاملة للتواريخ العامة في **الخِطط** بالبحث المُقتضب عن العالم والأرض في مطلع الكتاب.

إنّ الكتابة عن تاريخ مصر لم تَقف عند المَقْرِيزي، بل استمرت حيث ظهر بعده عدّة كتب كـ **الدُّرُّ المنظوم في ما وَرَد في مصر من موجود ومعدوم** لعليّ بن داود الجَوْهَري[81].

---

(80) انظر: المَقَّري: **نفح الطيب**، ج1، ص201، طبعة دوزي وآخرين (ليدن 1855-61م). لقد تُوفّي ابن عمِيرة في سَنَة 658-1260م. انظر أيضاً: Pons Boigues, *Ensayo* 288f. ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص203. ثُمّ إنّ محمد بن الخلف الصَّدفي (المُتوفَّى سَنَة 509هـ/ 1116م) ألّف كذلك عن أخذ النَّصارى لبَلَنْسية. انظر ابن الأبّار: ص146، رقم 314، طبعة كوديرا (مدريد 1886-9م، مجلد 6 من سِلْسِلَة المكتبة العربية ـ الإسبانية).

(81) انظر أعلاه: ص119. لقد راجعت مخطوطة القاهرة: تاريخ، 863، وتاريخها 1031هـ/ 1622م.

أما كتاب **حُسْن المُحاضرة** للسيوطي، فهو بارز وإن كان غيرَ شافٍ، إذ إنّ خُطّته تأثرت بالطريقة التاريخيَّة كما أبدعها مُؤرّخو القرن الخامس عشر، كما أنّ السيوطي بوصفه عَالماً ورجل دين أكّد كثيراً على أخبار التراجم. وقد أدّى هذا إلى إنتاج مليء بالأخبار، ومَرجع مُفيد لا يُمكن على أيّ حال أن نُطلق عليه وصف التاريخ.

أما في سوريا، فقد ظَهَر التاريخ الإقليمي والمحلّي الدُّنْيَوي في القرن الثاني عشر، إذ جعل ابن القَلانِسي تاريخه الحَوْلي يدور حول دمشق، كما دوّن ابن العَدِيم التاريخ السياسي لحلب في كتاب **زُبْدة الحَلَب في تاريخ حَلَب**[82]، ولا شكّ أنّ كتاب ابن العَدِيم الرئيس هو تاريخ ديني لحلب... لقد أُلِّفت عن حلب كُتُب دُنيوية قبل ابن العَدِيم، ألَّفها العَظِيمي[83]، وابن المُنلا فيما يظهر[84]. ثم إنّ التأثير المُنشِّط الذي خلّقته خِبرات الصليبيين التاريخيَّة عن الحياة الفكرية في سورية تجلَّى في مُؤلَّف آخر عن التاريخ المحلّي السوري ألا وهو **الأَعلاق الخطيرة في أُمراء وحُكّام الشام والجزيرة** لابن شدّاد، وهو تاريخ محلِّي، كما يَدلّ عليه العنوان. لقد كان تاريخ كُلّ هذه المنطقة يُبحث كوحدة، فصَار كُلّ إقليم من أقاليمها المُستقلّة المُختلفة يُبحث بصورة مُستقلّة. لذلك، فإن هذا الكتاب بدأ بِوَصف الظواهر الجُغرافية والطُّوبوغرافية لكُلّ قسم، ثم تلا ذلك تاريخ سياسي حتى الغَزو المغولي[85]. وبهذه المُناسبة، يُمكن أن نذكر أنه وُجد

(82) انظر أعلاه: ص218 وما بعدها.

(83) انظر بروكلمان: **الملحق** ج1، ص586 وعباس العزّاوي في **مجلة المجمع العلمي بدمشق** مجلد 18، ص199-209 (1943م).

(84) يبدُو أنّ كتابه كان تاريخاً خاصاً لحلب أكثر من كونه تاريخاً عاماً.

(85) إنّ وَصْف محتويات **الأَعلاق** مُستند إلى ما كتبه هوروفتز:
J.Horovitz, in *Mitteilungen des Seminars für or. Sprachen*, Westas. Studien, X, 30f. (1907).
«يتكوّن الكتاب من ثلاثة أقسام: أولها عن مدينة حلب والبلدان القريبة منها والثغور، ومنه مخطوطات في الفاتيكان، وآيا صوفيا وطوب قابي بالآستانة، والمتحف البريطاني، ولينينغراد، والقسم الثاني عن دمشق.
والقسم الثالث عن الجزيرة، ومنه مخطوطة بأُكسفورد. =

في اليمن أيضاً مثل هذا المَزْج بين الوصف الجُغرافي مع التاريخ السياسي المُرَتَّب على أساس الحَوْليّات (وعناصر أُخرى من التاريخ الحَوْلي كمُناقشة إدخال التقويم الهجري). ويُمثِّل هذا النوع كتاب **بُغْية المُستفِيد في أخبار مدينة زَبِيد** لابن الدَّيْبَع[86] (ت 944هـ/ 1537م)، ولعلّه تَكْملة لكتاب عُمارة الحَكَمي **المُفيد في تاريخ زَبِيد** إن كان هذا الكتاب يختلف عن **تاريخ اليمن** لعُمارة.

وهُناك نوع آخر من التاريخ المحلّي الدُّنيوي السوري، يَمزج فيه تاريخ الأُسَر بتاريخ المُدُن التي استقرّت فيها تلك الأُسَر، ويتجلّى هذا في كتاب **تاريخ بيروت وبني بُحْتُر** لصالح بن يحيى[87]، الذي بحث فتح المُسلمين لبيروت ووصف الخرائب التي تشهد بعظمة المدينة في الماضي، كما بحث الأساطير المسيحية المُتّصلة بها وبِقدَم تاريخها السابق لتاريخ المسيحية. ووصف كذلك موقعها الجُغرافي وأضاف بعض المُلاحظات عن مشاهير المُسلمين كالأوزاعي الذي عاش في بيروت، ومُلاحظات قصيرة جداً عن تاريخها في العهد الإسلامي قبل فترة الصليبيين، ثم بحث تاريخها في العهد الصليبي بشيء من التفصيل، غير أنّ مُعظم الكتاب يبحث في تاريخ بني بُحْتُر مُعزَّزاً بالوثائق. وقد قَسَّم الأجيال المُتأخّرة من تلك الأُسرة إلى ثلاث طبقات، وذكر تراجم أفراد كُلّ طبقة في مكانها التاريخي وفي ترتيب زمني.

لعلّ جنوب غربي الجزيرة كانت أشدّ أقاليم الإسلام حماساً للامتياز العظيم للتاريخ المحلّي بوصفه مُعَبِّراً عن الحاجات والآمال الخاصة في محيط ما.

= وهو يبحث عادة كُلّ بلدة على حِدَة، فيذكر تطوّر تاريخها وخِططها.
وقد طُبع الجُزء الخاص عن مدينة حلب سورديل سَنَة 1953م، كما طَبَعَ الجُزء الخاص عن دمشق سامي الدّهان سَنَة 1956م. [وكِلاهما من مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق. المترجم].

(86) لقد استعملت مخطوطة القاهرة: تاريخ 11 مجاميع.

(87) J. Sauvaget, «Corrections au texte imprimé de l'Histoire de Beyrouth de Ṣaliḥ b. Yaḥyâ», in *Bulletin d'études or. Institute française de Damas*, VII-VIII 65-81 (1937-8).
وقد أعلن سوفاجيه نيّته في ترجمة الكتاب. انظر أعلاه: ص87.

فذكريات الماضي العظيمة التي أدَّت مُنذ أوائل العصور الإسلامية إلى نُموّ ما يُشبه القومية في ذلك الجُزء من شبه جزيرة العرب، وأدَّت أيضاً إلى نوع من التاريخ المحلّي الذي مَزَجَ بين الطُّوبوغرافيا والتاريخ الحضاري والأنساب(88).

لم يكن الهَمْداني (ت334هـ/ 945-6م) أول ولا آخر مُمثّل لهذه الروح(89)، ولكن كِتابه **الإكليل** أعظم مُعَبِّر عن هذه الروح. و**الإكليل** يميل كثيراً إلى النواحي الأثرية والجُغرافية، ويدلّ عُنوانه على هذا «معلومات عن اليمن ومظاهرها ومعارفها وعن أهله... غير أنه لا يُمكن إنكار الصفة التاريخيَّة الأساسية لـ **الإكليل**» بمعناها الذي نبحثه هنا.

وقد وَصَفَ القِفْطي في كِتابه **إنباه الرواة** مُحتويات الأجزاء العشرة من هذا الكتاب بصورة وافية فقال: «الجُزء الأول في المبتدإ ونَسَب مالك بن حِمْيَر، والجُزء الثاني في أنساب ولد الهَمَيْسَع من ولد حِمْيَر ونوادر من أخبارهم، والجُزء الثالث في فضائل اليمن ومناقب قَحْطان، والجُزء الرابع في سيرة حِمْيَر الأُولى، والجُزء الخامس في سيرة حِمْيَر الوسطى، والجُزء السادس في سيرة حِمْيَر الأخيرة إلى الإسلام، والجُزء السابع في ذكر السيرة القديمة والأخبار الباطلة المُستحيلة، والجُزء الثامن في القُبُوريّات(90) وعجائب ما وُجد في قبور اليمن وشعر عَلْقَمة بن ذي جَدَن وأسعد تُبَّع، والجُزء التاسع في كلام حِمْيَر وحِكَمهم وتجاربهم المروية برطانة لسانهم، والجُزء العاشر في معارف هَمْدان وأنسابها ونُتَف من أخبارها(91). وهو كتاب جليل جميل، عزيز الوجود، لم أرَ منه إلا أجزاءً مُتفرّقة وصلت إليَّ من اليمن، وهي الأول، والرابع (ليس كاملاً)، والسادس، والعاشر، والثامن، وهي على تفرُّقها تقرب من نصف التصنيف، وصلت إليه في جملة كُتُب والده المُختلفة التي كان قد حصل عليها عند مقامه هُناك. وقيل إنّ هذا الكتاب **الإكليل** يتعذَّر وجوده تماماً، لأن المثالب المذكورة

---

(88) عن جنوب غربي اليمن كمركز للقصص التاريخيَّة. انظر أدناه: ص240، هامش 3.

(89) انظر: G.L. Della Vida, in *Orientalia*, N.S, IX, 164 (1940).

(90) يقصد بالقُبوريات الأشياء التي تُوجد في المقابر.

(91) القِفْطي، **إنباه الرواة**، مُصوّر القاهرة: تاريخ 2579، ج1، ص44 وما بعدها (طُبع في دار الكُتُب المصرية، 3 أجزاء، القاهرة، 1950-1955م).

(فيه) في بعض قبائل اليمن (و) أعدم أهل كُلّ قبيلة ما وجدوه من الكتاب، تتّبعوا إعدام النُّسَخ منه فحصل نقصه لهذا السبب».

رُوي لنا أنّ مصير كتاب **الإكليل** لاَقَاه أيضاً **تاريخ زَبِيد** لجَيّاش بن نَجاح، وهو تاريخ محلّي يماني رُبّما كان قريب الشبه بكتاب **الإكليل**. وترجع نُدرة كتاب **تاريخ زَبِيد** في الأزمنة السالفة (وفُقدانه اليوم) إلى أنّ المُؤلّف عرض المُدَّعَيات الكاذبة لبعض الأقوام في انتسابهم إلى العرب، ممّا حمل هذه الأقوام على طَمْس كتابه. وهُناك تفسير آخر لنُدرته وهو أنّ المُؤلّف تحدّث بشيء من التهجّم عن البعض، فاشترى هؤلاء جميع النُّسَخ التي وَصَلَت إليها أيديهم بأثمان باهظة جداً وأتلفوها[92].

إنّ التاريخ السياسي لليمن ازْدَهَر بقدر العُزلة المُتزايدة لذلك الإقليم عن بقية العالم الإسلامي[93]، غير أنّ التواريخ السياسية للبلاد المُستقلّة عملياً لم تَعُدْ تُكوِّن جُزءاً من التاريخ المحلّي، بل إنها تنصبّ في المجرى العام للكتابة التاريخيَّة. وخير أُنْمُوذج للمُؤرّخ المحلّي اليمني هو ابن الدَّيْبَع المذكور أعلاه، والذي جمع تاريخ الإقليم كُله. فمن مباحثه المُتعدّدة مثلاً، بحثٌ عن فضل اليمن وإسلامها وَوُلاتها في عهد الأُمويين والعباسيين وعن القرامطة في اليمن، ودُوَل صنعاء وعدن، ثُمّ تكلّم على زَبِيد وأُمرائها وسياسييها مع فصل عمّا فيها من البناء وما اتّصل بها من حوادث[94].

أما في أقصى الغرب من العالم الإسلامي، فنجد أنّ التاريخ المحلّي الدُّنْيوي يتمثّل في كُتُب منها كتاب **تاريخ قُرْطُبة** الذي ألَّفه أحمد بن محمد الرّازي[95]، وهو مفقود اليوم، ولكن يبدو أنه ساد عندهم الشكل الدِّيني (أو كُتُب التراجم عُمُوماً)،

---

(92) انظر: و. لوفغرين المصدر آنف الذكر (أعلاه، ص81، هامش 115، H.C. Kay, *Yaman*, XII (London 1892).

(93) عن المخطوطات في تاريخ اليمن انظر أدناه: قسم 2، ص571، هامش 333.

(94) ابن الدَّيْبَع: **قُرَّة العيون في أخبار اليمن الميمون**. وقد استعملت مخطوطة القاهرة، تاريخ، 1355.

(95) انظر أعلاه: ص198 هامش 69.

ونجد أنّ فُقدان التواريخ المحلّية القديمة في المغرب ترك آثاراً عميقة. فالتاريخ السياسي للمغرب وإسبانيا مُنفصل تماماً عن بَقِيّة عالم الإسلام، لذا كان يُبحث بصورة مُستقلّة في عدد من كُتُب الدُّول أو الحَوْليّات من التاريخ العام.

أما المشرق الإيراني، فكان له من الجِهة الثانية، تاريخ محلّي دُنيوي مُزْدهر، وهو مظهر قَوي للوطنية الإيرانية، فقد تغنّى في مدح بَلْخ وخُراسان عُلماء أصلهم فارسي كانت تَسْتَعر نُفوسهم بنار حب الوطن[96]، ورُبّما كانت كُتُبهم جُغرافيّة وثقافيّة أكثر منها تاريخية.

فأما أصفهان، فقد ألّف في تاريخها حمزة الأصفهاني، ولعلّه لم يكن من النوع الدِّيني العادي[97] رَغْم أنّ المُؤلّفين المُتأخرّين اقتطفوا منه ومن التَّكْملة التي ألّفها ابن مَرْدَوَيْه، لما فيه من أخبار تراجم. ويذكر المُؤلّف أنّ في هذا الكتاب عدّة حوادث[98]، كما أنّ القِفْطي يصفه بأنه «... من الكُتُب المُفيدة العجيبة الوضع الكثيرة الغرائب»[99]، وهو وصف لا يُمكن إطلاقه على كتاب ديني كَكِتاب **تاريخ أصفهان** لأبي نُعَيْم.

أما عن كِتاب **تاريخ بُخارى**، فلدينا معلومات واضحة. لقد فُقِدَ أصله العربي، وعلينا الاكتفاء بترجمته الفارسية المُتأخّرة الباقية التي يتبيّن منها أنه يبدأ بفصل عن قُضاة بخارى، هو بمثابة المدخل إلى الكتاب، ويستخدم موادّ تاريخية وطُوبوغرافية واقتصادية لتوضيح تاريخ المدينة[100].

---

(96) انظر أدناه: ص548 هامش 209، وص561 وما يليها. أما عن **أخبار الجبل** (؟) لأحمد ابن الفضل النُّعَيْمي (ت 415هـ/ 1024م)، فانظر: السَّهْمي: **تاريخ جُرجان**، ص82 (حيدرآباد 1950م).

(97) كما افترض ميتفوخ:
E. Mittwoch, in *Mitteilungen des Seminars für or. Sprachen, Westas. Studien*, XII, 131 (1909).

(98) حمزة الأصفهاني. **التاريخ**، ج1، ص187 طبعة غوتولدت (سان بطرسبورغ ـ لايبزيغ 1844-8م).

(99) **إنباه الرواة**، مصور القاهرة، تاريخ، 2579، ج1، ص287، ج1، ص6-335.

(100) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص211، وقد أشَار إلى طبعة حديثة للنص الفارسي: بروكلمان، **الملحق**، ج3، ص1197. =

أما **تاريخ قُم** فقد أَلَّفه الحسن بن محمد القُمِّي بعد تاريخ بُخارى بثلاثة عُقُود، ولَقِي مصيره نفسه، ويبدأ بمعلومات طُوبوغرافية واقتصادية، ثم يفصل الكلام عَمَّن استَوْطَن قُم من العرب، وخاصة من آل أبي طالب؛ ولعلّه يكون بذلك أكثر تركيزاً على تاريخ الأشخاص من تاريخ بُخارى(101).

ثُمّ أَلَّف المُفَضَّل المافَرُّوخي في القرن الحادي عشر **محاسن أصفهان** الذي يُمثّل تحوّلاً فردياً قوياً عن التاريخ المحلّي الدِّيني الاعتيادي، إنه لم يكن تاريخاً سياسياً ولكن الطابع الدُّنيوي يَطْغَى عليه، إذ إنه يُبيّن مزايا موقع أصفهان ومظاهرها البارزة، ثم يذكر الأصفهانيين البارزين الذين ظهروا قبل الإسلام وبعده، مُصَنِّفاً إياهم تَبَعاً لحِرَفِهم، ثم يُصَنِّف أهل كُلّ حِرْفة تَبَعاً لزمن ظهورهم. ومع أنه يبدأ بتصنيف رجال الدِّين، إلا أنه يُتابع بحثه في كُلّ الحِرَف، حتى المُخَنَّثين الذين يُعتبرون في أصفهان من أهل الفُكاهة والمرح. وقد أَوْرد في هذا الكتاب كثيراً من النُّصوص عن الطُّوبوغرافيا والإحصاءات الاقتصادية وبعض الظواهر الثقافية (كأغاني أصفهان وموسيقاها)(102).

أما الكُتُب الفارسية المُتأخّرة، فيُمكن أن نأخذ منها **تاريخ طَبَرِسْتان** لابن إسفنديار، الذي أُلِّف في أوائل القرن الثالث عشر(103). وتبدأ هذه الكُتُب بالكلام على آداب السلطان، ويَطْغَى عليها التاريخ السياسي والشخصيات السياسية، وإن كان مَدَارها بصورة عامة حول الشخصيات.

= وقد أعد ر.ن. فراي ترجمة إنكليزية، (كامبردج، 1954م).
[نُشرت هذه الترجمة في مطبعة جامعة هارفرد سَنَة 1954م. المترجم].

(101) Storey, *Persian Literature*, II, 348.
بروكلمان. **الملحق**، ج1، ص211.

(102) انظر بروكلمان: **الملحق** ج1، ص571 وأعلاه ص130، هامش 5 ـ أما كتاب البَيْهَقي المُهمّ **تاريخ بَيْهَق** (طهران، 1317هـ/ 1939م) فقد اسْتَطَعْت الحُصُول عليه (بفضل تلطّف الدكتور ج.أ. فرغَسون) بعد أن أكملت مُسَوَّدة كتابي فلم أستطع استخدامه إلا في الهوامش [ترجم الكتاب إلى اللغة العربية يَحْيى الخَشّاب وصادق نشأت. ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة سَنَة 1956م]. [المترجم].

(103) طبعة عباس إقبال (طهران 1320هـ/ 1942م)، وقد قام أ.ج. براون بترجمة مختصرة له (ليدن ـ لندن 1905م، سِلْسِلَة جِب التذكارية 2).

أما القرن الخامس عشر، فيُمكن أن يُقارن المرء فيه كتاب ظهير الدِّين المرعشي **تاريخ طَبَرِستان والرُّويان ومازَنْدَران**، وهو كتاب سياسي مُرتَّب تَبَعاً لترتيب الوُلاة[104].

وقبل أن نَلْتفت إلى التاريخ المحلِّي الدِّيني لا بدَّ أن نذكر شيئاً عن الأشكال المُتخصّصة من التواريخ المحلّية الدُّنيوية، أي تاريخ مُوظّفي الإدارة والقضاء لأماكن مُعيّنة، لأن مثل هذا النوع من الكُتُب لا يُمكن أن نجده بصورة أوّلية في التاريخ المحلِّي. إنّنا نجد عن القُضاة والوُلاة أقساماً خاصة من **تاريخ مكة** للفاكِهي، و**فُتُوح مصر** لابن عبد الحَكَم، و**تاريخ بُخارى** للنَّرْشَخِي، غير أنّ الكُتُب المُؤلّفة في تاريخ وُلاة كلّ بلد وإقليم، تبدو مُتّصلة بتاريخ تراجم كبار المُوظّفين الذي جاء مع القرن التاسع. لقد بحث الهيثم بن عَدِيّ في موضوعات كوُلاة الكُوفة، وقُضاة الكُوفة والبصرة، وحتى في الجماعات المُتخصّصة كرُؤساء الشرطة والأُمراء في العراق[105]. أما في خارج قلب الإمبراطورية العباسية، فيبدو أنّ أمثال هذه الكُتُب تمَّت في أقاليم كان فيها هؤلاء الوُلاة والقُضاة أعلى مُمثّلي السلطة المركزية، وفي زمن لم تكن هذه الأقاليم قد تمتّعت بالاستقلال الفعلي بعد، أي في أوائل القرن العاشر حيث نجد كِتابين للكِنْدِي المصري هما أقدم ما يُمثّل هذا النوع من الكُتُب أحدهما عن قُضاة مصر والآخر عن وُلاتها.

أما **تاريخ وُلاة خُراسان** الذي ألّفه السَّلّامي وبقي منه عدد من المُقتطفات في الأقل، فيرجع إلى حوالى سَنَة 950هـ[106]، وقد جعل تاريخ الوُلاة المحلّيين موضوعاً لقصائد، فقد نظم الجَزّار في القرن الثالث عشر قصيدة ضمّنها أسماء

---

(104) طبعه دورن (سان بطرسبرغ 1850م). أما عن تاريخ شيراز (فارس) لابن زَرْكُوب شيرازي فانظر:

Storey, *Persian Literature* II, 351.

أما **تاريخ هَراة** الذي ألّفه سيف بن محمد الهَرَوِي في القرن الرابع عشر، فقد طبعه م.ز. صدِّيقي (كَلْكُتا 1944م).

(105) انظر: **الفِهْرِست**، ص146 (القاهرة 1348هـ-100 فلوجل. انظر أيضاً: عُمَر بن شَبّة).

(106) انظر أدناه: قسم 2، ص251، انظر أيضاً أعلاه: ص116. أما عن **تاريخ ولاة هَراة** للباشاني، فانظر أدناه قسم 2، ص402.

وُلاة مصر(107). أما تاريخ قُضاة مصر، فقد كان موضوعاً لعدّة ناظمين منهم ابن دانيال الذي كانت قصيدته عن القُضاة أساساً لِكِتاب **رَفع الإِصْر عن قُضاة مِصْر** الذي أَلَّفه ابن حَجَر(108)، وكذلك لابن جَماعة(109) والكِناني(110).

وقد نَظَم ابن جَماعة أيضاً قصيدة عن قُضاة دمشق. كما نظم الصَّفَدي قصيدة ضمَّنها تاريخ الخُلفاء والأُمراء والوُلاة الذين اتّصلوا بتلك المدينة، ويقول الصَّفَدي إنه تابع في ذلك كتاباً لابن عساكر مُرتّباً على حُروف الهجاء، وهو يقصد بذلك فيما يظهر **تاريخ دمشق** المشهور.

وللصَّفَدي كتاب اسمه **تُحْفة ذوي الألباب**، وفيه رَجَز تتخلَّله فُصول طويلة من النثر فيها أخبار وأشعار تاريخية. وقد عُولجت أخبار مصر بمثل هذا الأُسلوب أيضاً، وعلى سبيل المِثال، **الذخيرة** للغُمْري من القرن السابع عشر(111).

والفُتُوح الإسلامية موضوع تاريخ كان بإمكانه الإسهام بأغلب صُوَر التاريخ المحلّي، غير أنّ أثره في الواقع كان محدوداً. لقد لَفَت هذا الموضوع نظر العُلماء الأوائل لأسباب عملية، وهو أنّ تاريخ الفُتُوح الإسلامية يُقدِّم للفُقهاء سوابقَ يستطيعون بمُوجبها تقرير الأوضاع الإدارية والمالية لمناطق مُعيّنة. يُضاف إلى ذلك أنّ في هذا الموضوع قَدْراً غير قليل من المعلومات الجُغرافية والتاريخيَّة، والتحوّل من تاريخ الفُتُوح الإسلامية إلى التاريخ المحلّي لم يكن ليتطلّب سِوى الاقتصار على منطقة جُغرافية وإضافة معلومات تاريخية عن عصور ما قبل الإسلام، وعن التاريخ الإداري والسياسي بعد زمن الفتح. وقد اتُّخذت هذه الخُطوة في القرن التاسع في كتاب **فُتوح مِصْر والمَغْرِب** لابن عبد الحَكَم،

(107) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص574، وقد استعملت مخطوطة باريس، رقم ar. 1816، ص45ب ـ 49أ و1608 ar. ص200ب ـ 202 ب، وانظر ذيل السيوطي (أعلاه): الورقتان ص202ب-203ب.

(108) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص1 وما بعدها.

(109) كذلك: ج2، ص80.

(110) كذلك: ج2، ص57.

(111) كذلك: ج2، ص297، وانظر أعلاه: ص78.

وهو مُؤلَّف عن التاريخ الإقليمي لم يجد ما يُوازيه في أيّ مكان آخر فيما بقي لنا من الكُتُب[112]، بالرَّغْم من مُعالجة المُؤرّخين المصريين والأندلسيين لهذا الموضوع بعده. ومن المُحتمل أنّ كتابَ **الرايات** المفقود لمحمد بن موسى الرّازي (القرن التاسع)، وهو عن تاريخ فتح الأندلس[113]. وكذلك، فإن كُتُباً أُخرى عن الفتح قد تَناولت تاريخ ما قبل الفتح وما بعده.

إنّ تاريخ التأريخ المحلّي المُتأثر بالدِّين لم يكن مُمتعاً كالكُتُب الدُّنيوية، غير أنه في الوقت نفسه لم يقتصر على جانب واحد. والحقيقة أنّ أوّلها وأقدمها كان يتمثّل بأقدم الكُتُب المحلّية في الإسلام، التي لم تكن بالشكل الذي آلت إليه فيما بعد. بل لقد ألَّف كلٌّ من الأَزْرَقي والفاكِهي كُتُباً عن مكة، لكنّهما لم يُعنونا كُتُبهما باسم تاريخ، بل أطلقا عليها اسم «أخبار»، وهو تعبير دقيق ينطبق على بحثهما، إذ لم يهتمّا كثيراً بالتواريخ والتراجم، بل استهدفا تمكين المُسلمين من معرفة التاريخ المُقدّس لمدينتهم المُقدّسة.

فأما كتاب الأَزْرَقي، فقد اسْتَغْرق ثلاثة أرباعه ذكر قِصَص كانت قد نَمَت مُنذ الجاهلية حول حَرَم مكة ووصف الشعائر المُتّصلة بها. أما الرُّبع الباقي، فيبحث في الأماكن المُقدّسة الأُخرى من مكة، وأحكام الإحرام، مع إشارة إلى الرسول وإلى مُعاصريه المكّيين وإلى خِطط مكة وأطرافها.

أما **تاريخ المدينة** الأول فلعلّه عُولج على نَمَط ما عُولج به تاريخ مكة، إذ يبدو أنه لم يحتوِ إلا على قليل من التراجم. ويَدلّ على هذا عدم اقتباس كُتّاب التراجم المُتأخّرين شيئاً من تواريخ المدينة المُنوّرة. ثم إنه حتى مُؤرِّخو القرن الثالث عشر أمثال ابن النجّار الذي كان يَعرف جيداً اهتمام التاريخ المحلّي بالتراجم، فقد ملأ هذا كتابه بأخبار الخِطط والتاريخ المُقَدَّس دون أيّ شيء آخر[114].

(112) لا نَعلم شيئاً مُؤكّداً عن مَدى ما ذَهَب إليه في هذه الناحية مُؤلّف كالهَيْثَم بن عَدِيّ في **نزول العرب بخُراسان والسَّواد** (**الفِهْرِست**، ص145، القاهرة 1348هـ، ص69، فلوجل).

(113) انظر: مَقَالة ليفي بروفنسال في **دائرة المعارف الإسلامية** مادة «الرّازي».

(114) يقول ابن النجّار في مُقدّمة كتابه «وبعد فإني لما دخلتُ مدينة النبيّ (ﷺ) وسعدتُ بزيارته أقمتُ بها، فاجتمعتُ بجماعة من أهل الصلاح والعلم والفضل من المُجاورين بها.. =

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذا الكتاب أُلِّف للغَرَض نفسه الذي يَسِمُ عدداً من تواريخ مكة والمدينة (وبعض الكُتُب التي تَبحث في بيت المَقْدِس وحِبْرون [الخليل] ويُميّزها عن بَقِيّة التواريخ المحلّية. وهذا الغَرَض هو استثارة الناس لزيارة الأماكن المقدّسة، وتقديم دليل مُرْشِد للحج، وبذلك كانت تجمع بين خصائص أدلة السُّيّاح ونشرات الدعاية.

يبدُو أنّ تواريخ مكة والمدينة ظلّت عدّة قرون غير مُثقلة بتاريخ التراجم[115]. وقد ذكر تقي الدِّين الفاسي، مُؤرّخ مكة البارز في القرن الرابع عشر، في مقدّمة كتابه **العِقد الثمين**، أنه غير مسبُوق بالفصل الذي خصّصه للتراجم من كتابه، وأنّ المؤلّفات الوحيدة التي يعرفها عن مكة هي كتابا الأَزْرَقي والفاكِهي، اللذان زوّداه بالفصول الأُولى من **العِقد**. وهو يضيف إلى هذا قوله: «رأيت ما يدلّ على أنّ بعض الناس ألّف تاريخاً لمكة، وهو الشريف زيد بن هاشم بن عليّ بن المرتضى العلوي الحسني، هكذا نَسَبَه الشيخ أبو العباس أحمد بن عليّ المَيُورَقي وترجمه بوزير مدينة الرسول (ﷺ)، وذلك في رسالة كتبها زيد المذكور للشيخ أبي العباس المذكور رأيتها في كتاب **الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة** لابن شاس المالكي بخط المَيُورَقي ووقعه بوج الطائف[116] ولم أَقِف على هذا التاريخ، وما عرفت على أيّ نَمَط هو، هل هو تراجم فقط أو هو حوادث فيها شيء من أخبار مكة والكعبة المُعَظَّمة ممّا يدخل في هذا التاريخ[117].

= فسألوني عن فضائل المدينة وأخبارها فأخبرتهم بما تَعلَّق بخاطري من ذلك، فسألوني إثباته في أوراق، فاعتذرتُ إليهم بأن الحفظ قد يزيد وينقص، ولو كانت كُتُبي حاضرة لقد كنت أجمع كتاباً في ذلك شافياً لما في النفس فألحوا عليَّ وقال (؟) تحصيل اليسير خير من فَوَات الكثير» (مخطوطة باريس ar. 1630 ص1ب). [وقد طُبع الكتاب مرتين في القاهرة: الأولى سَنَة 1946م، والثانية سَنَة 1956م مع كتاب **شفاء الغرام** للفاسي المترجم].

(115) قد يبرز تقليد التراجم، في حالتهم الخاصة، إدخال الأكثرية العظمى من المُسلمين كافة ممّا كان تجيزهم، باعتبار أنّ فريضة الحج كان يؤدّيها معظم المُسلمين مرة واحدة في حياتهم في الأقل.

(116) انظر أدناه: القسم الثاني ص370 هامش 47.

(117) الفاسي: **العِقْد الثمين**. وقد استعملتُ النُّسخة المؤلَّفة من أربعة مُجلّدات من هذا =

أما **شفاء الغرام** الذي يسير على نهج الأَزْرَقي والفاكِهي، فإن الفاسي يذكر فيه «أما بعد، فإنه لما وفّقني الله للاشتغال بالعلم الشريف، تشوّقت نفسي كثيراً إلى ما كان بعد الإمام أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن الوليد ابن عقبة الأَزْرَق بن أبي شمر الغساني الأَزْرَقي المَكّي مُؤلّف **أخبار مكة** رحمه الله... وما كان بعد أبي الوليد الأزرقي من الأوقاف على طَلَبة العلم والفُقهاء وغير ذلك من الرُّبَط والمدارس وغيرها، وتاريخ وقْف ذلك، وما كان بعد الأزرقي من الأمطار والسيول بمكة، فعرفت طَرَفاً جيداً من ذلك كله، بعضه من كُتُب التاريخ، وبعضه من رُخام وأحجار وأخشاب مكتوب فيها ذلك، ثابتة في الأماكن، وعَلِق ذلك كله بذهني وقيّدته في أوراق مُفردة من غير ترتيب، خِيفة ذهاب ذلك بالنسيان. ثم بَدَا لي أن أجمع ذلك مُرتّباً، وأضمّ إليه من تاريخ أبي الوليد إلى ذلك أُموراً كثيرة مُفيدة لم يذكرها الأزرقي، بعضها ممّا عُني بجمعه الأزرقي، وبعضها ممّا لم يُعْنَ به، فمن الأول أحاديث نبوية وآثار عن الصحابة والسَّلف وأخبار جاهلية لها تعلُّق بمكة وأهلها ومُلوكها وغير ذلك، وما علمتُه من أخبار وُلاة مكة في الإسلام على سبيل الإجمال، وأخبار إسلامية تتعلّق بمكة وأهلها ووُلاتها والحُجّاج ـ وكثير من هذه الأخبار ذكره الأَزْرَقي وذكر بعض المآثر، وبعض المسائل الفقهية.

وهذا القسم ممّا يكثر الاغْتِبَاط به لأن غَالبه لم يحوِه كتاب، وإليه يتشوّق ذوو الألباب، وأضفْ إلى ذلك ما حرّرناه في الكَعْبة والمسجد الحرام، وأماكن فيه، والأماكن المباركة بمكة، وحدود الحَرَم من جِهاته المعروفة الآن بما فيها من العلامات المُبينة... وبعض ما حرّرناه ليس في كتاب الأزرقي تحرير له، فلا يُعرَف تحريره إلا ممّا ذكرناه فجاء بحمد الله تأليفاً لأشتات الفوائد جامعاً وفي معناه إن شاء الله مُفيداً نافعاً، ويُستغنى به عن كتاب الأَزْرَقي والفاكهي ولا يُغنيان عنه.

وللإمام الأَزرَقي والفاكِهي فَضْل السَّبق والتحرير والتحصيل، فإن ما ذكراه هو الأصل الذي انْبَنَى عليه هذا الكتاب، وفي كتاب الفاكهي، ومحمد بن

= الكتاب (تيمور. تاريخ 849)، والجُزء الأول من هذه النُسخة هو مخطوطة قديمة، ولم تَتَوافر نُسخة مطبوعة منه (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص221).

إسحاق بن العباس المكي، أُمورٌ كثيرة مُفيدة جداً ليست من معنى تأليف الأَزْرَقي، ولا من المعنى الذي ألَّفناه، وكَانَا في المائة الثالثة، والفاكهي تأخّر عن الأَزْرَقي قليلاً في غالب الظنّ، ومن عَصْرهما إلى تاريخه خمسمائة سَنَة ونحو أربعين سَنَة وأَزْيَد، ولم يُصنِّف بعدهما في المعنى الذي صنَّفا فيه أحد، وقد حدثت بعدهما من هذه المُدّة من المعنى الذي ذكرناه عنهما أُمور مُستكثرة، فلذلك صارت الإحاطة بجميعها مُتعذّرة، وقد بذلنا الجُهد في تحصيل ذلك فظفرنا منه بطَرَف، وفي النفس على ما لم يُظْفَر به أَسَف.

وإني لأعجب من إهمال فُضلاء مكة بعد الأَزْرَقي للتأليف على مِنوال تاريخه، ومن تركهم تأليفاً لتاريخ مكة يحتوي على معرفة أعيانها من أهلها وغيرهم من وُلاتها وأئمّتها وقُضاتها وخُطبائها وعُلمائها كما صنع فُضلاء غيرها من البلاد»[118].

ووصف الفاسي في **شفاء الغرام**، تفاصيل أحوال سُور مكة وأبوابها في زمنه، وحاول توضيح تاريخ بعض التغييرات التي حدثت على مرِّ الزمن. وهُناك بالطبع عدد من الكُتُب الأُولى عن تاريخ مكة كما يتبيّن من إشارة الفاسي لها. ويروي السَّخاوي[119] أنّ بعض العُلماء كأبي سعيد بن الأعرابي وعبد الرحمن بن مَنْدَه كتبوا عن تاريخ مكة كُتُباً لا بدَّ وأنها حَوَت تراجم. غير أنه لا توجد أدلّة موثوقة تُؤيّد قول السَّخاوي.

وفيما عَدَا تواريخ مكة والمدينة، اتَّبع التاريخُ المحلّي الدِّيني شكلاً واحداً خاصاً به حيث كان يتكوَّن من مُقدّمة طُوبوغرافية يَتْلوها تعداد للشخصيات التي وُلدت أو عاشت أو كان لها اتّصال ما بذلك المكان. وكانت هذه الشخصيات في البداية مُقتصرة على عُلماء الدِّين، ثم صارت تشمل كافة العُلماء والأدباء ورجال الدولة، بل حتى التُّجار والأغنياء.

أما المُقدّمة الطُّوبوغرافية، فقد تقلّصت إلى درجة كُبرى. إنّ هذا النوع من

(118) طبعة وستنفلد:
F. Wüstenfeld, Die *Chroniken der Stadt Mekka*, II, 66ff. (Leipzig 1859).

(119) **الإعلان** أدناه قسم 2، ص566-567.

التاريخ المحلّي نشأ عن الحاجة إلى زيادة الحِيطة من اختلاق الأحاديث المكذوبة، بتقرير مَواطن الرُّواة. وقد رَحُبت بنُموّها المُنافسة السياسية بين مُختلف مراكز ومَدَارس رُواة الحديث الذين استقروا في مُدُن الإمبراطورية الإسلامية. لقد أدّت المُنافسة المدرسية المدفوعة بدوافع سياسية، لا الضَّرورات التربوية، إلى أن يَذكر عالِمٌ القول التالي الذي عزاه إلى صالح بن أحمد مُؤلِّف **طبقات الهَمذانيين**: «ينبغي لطالب الحديث ومن عُني به أن يبدأ بكُتُب حديث بلده ومعرفة أهله، وتفهُّمه وضَبْطه حتى يعلم صحيحه من سَقِيمه، ويعرف أهل التحديث به وأحوالهم معرفة تامة، إذا كان في بلده علم وعُلماء قديماً وحديثاً، ثُمّ يشتغل بعد بحديث البلدان والرحلة فيه»(120).

وأَقْدَم ما وصلنا من هذا النوع هو **تاريخ واسط** الذي أَلَّفه بَحْشَل في أواخر القرن التاسع، إذ نجد فيه الشكل والفكرة الأصليتين واضحتين جداً. وقد وصلتنا من هذا الكتاب مخطُوطة واحدة غير كاملة، كما أنّ بعض صفحاتها مُضطربة في تركيبها(121).

لقد بحث **تاريخ واسط** باقْتِضَاب تاريخ البلدة وأطرافها. ثُمّ بحث في عُلماء الدِّين فيها الذين تربطهم بالمُؤلّف سِلْسِلَة مُتّصلة من الرُّواة. وصنّف الرُّواة تَبَعاً لعصرهم «استعمل كلمة قَرْن بدل كلمة طبقة التي انْتَشَر استعمالها فيما بعد في هذا المضمار».

فأول جيل هم من جاء واسط من صحابة الرسول الذين خدموه ورَأَوه ورَوَوْا أحاديثه وسمعوا كلامه(122). وقد كتب عن كُلّ مُتَرْجَم له أخباراً قليلة جداً تقتصر عُمُوماً على ذكر الرَّاوية وأحاديثه، ومن رَوَى عنه وحديثهم، ورِواية الحديث المنسوب إلى ذلك الراوي للتعريف بمركز كُلّ شخصية (في العلم ودرجة توثيقه)(123).

ثم جاء القرن العاشر، فَشهد ازْدِيَاد الجماعات المُحترفة التي كانت جديرة بالإدخال في التواريخ المحلّية، ممّا أدّى إلى تساهل في شُروط مُحتوى كُلّ

(120) انظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج1، ص214.

(121) مخطوط القاهرة. تيمور، تاريخ 1483 كُتبت سَنَة 629هـ/ ديسمبر 1231م. أما عن بحثي، فانظر أدناه: قسم 2، ص570، هامش 331.

(122) المصدر السابق، ص56ب التي ينبغي أن تُوضع بعد ص7ب.

(123) كذلك: ص11ب.

ترجمة على حديث واحد في الأقل يرويه صاحب الترجمة. كما أدّى إلى إضافة كمّية كبيرة من أخبار التراجم وكانت هذه العملية بطيئة جداً في بعض الأماكن. فبعد بَحْشَل بِجِيلٍ من الزمن، اتّبع محمد بن سعيد القُشَيْري في كتابه **تاريخ الرَّقّة** العادة القديمة[124]. غير أنه في نِهاية ذلك القَرْن، كانت العملية قد تمّت تقريباً وفي الوقت نفسه صَارَت التراجم تُرتَّب ترتيباً أبجدياً، وهو ترتيب رُبّما كان مُتّبعاً في التواريخ المحلّية القديمة، غير أنّ الإشارات والمُقتطفات لا تُساعدنا كثيراً على تعيين زمن ظُهُورها.

فكلمة «تاريخ» في عُنوان أيّ تاريخ محلّي قد تُطلق على كتاب طبقات، لذا لا يُمكن أن نُقَرِّر صِنفَ أيّ كتاب إلا إذا ذكر بصراحة أنّ معلومات ذلك الكتاب مُرتّبة «على المُعجم» أيْ على حُروف الهجاء أو على الطبقات.

ويروي السَّخاوي أنّ **تاريخ هَراة** لابن ياسين، مُرَتَّب حسب الألفباء، وإنّ ابن ياسين عَاشَ في النصف الأول من القرن التاسع فيما يُقال[125]. وفي هذا الزمن تقريباً، اتَّبع البُخاري في تاريخه التنظيم الأبجدي. ورُبّما كانت للمُؤرّخين المحلّيين مُنذ وقت مُبَكِّر مثل هذه الأفكار من تنظيم تراجمهم على الحُرُوف الأبجدية، غير أنّ نصّ السَّخاوي مُضطرب جداً، وبحاجة إلى التأييد قبل أن نستطيع الاعتماد عليه.

إنّ معلوماتنا ناقِصة جداً عن التواريخ المحلّية القديمة حتى نهاية القرن العاشر[126]. وهذا يَنْطَبق مثلاً على كتاب أحمد بن سيّار عن (مَرْو) الذي كان يُسَمَّى أخباراً. ولذلك، فرُبّما لم يحتوِ تراجمَ مُرتّبة على الحُروف الأبجدية، وأحمد بن محمد بن عيسى عن (حِمْص)، والهُورَقاني عن (مَرْو)، وأبو عَرُوبة عن (الجزيرة) وابن يونس عن (مِصْر)، ومجهول (رُبّما كان إسحاق بن سَلَمة القَيْني؟) عن (رجال مالقة)، ومحمد بن يوسف الورّاق عن (إفريقية) الذي كانت

(124) انظر أدناه: قسم 2، ص551، هامش 225.

(125) **الإعلان**: ص133. انظر أدناه: قسم 2، 567.

(126) انظر **الإعلان**: ص121 وما بعدها. لم يَعتبر من هذه الكُتُب هنا إلا من كان زمن حياة مُؤلّفهم معروفة.

كُتُبه عن إفريقية تُسمّى أخباراً، وخالد بن سعد القرطبي (352هـ/ 963م) عن رجال الأندلس[127]، وصالح بن أحمد عن (هَمَذان)، ومحمد بن صالح المعافري القحطاني عن (الأَنْدلس)، وأبو الشيخ عن (أَصْفَهان)، وابن الرقيق عن (القَيْروان)، ومحمد بن جعفر التميمي عن (الكُوفة)، والحاكم عن (خُراسان، نِيْسابُور) وهو من كُتُب الطبقات[128]، والإدريسي عن (سَمَرْقَنْد، أَسْتراباذ).

ولعلّ كثيراً من هذه الكُتُب، ولا سيّما النصف الأخير من هذه القائمة، كانت مُرتّبة حسب حُروف الهجاء... ويذكر السَّخاوي «بَلْخاً»، وعملَ لها تاريخاً في مُجلّد ناصرُ الدِّين أبو القاسم محمد بن يوسف المديني الحَنَفي رتَّبه على الحُروف، وبدأ بالمُحَمَّدِين ثم بالأَحْمَدِين ثم بإبراهيم، وذكر الكُنَى مع الأسماء، وأفرد لشُعرائها مُؤَلَّفاً، وقال إنه اعتَمَد في تأليف تاريخه على الطبقات لأبي عبدالله محمد بن جعفر الجُوبياري الورّاق الذي عمل تاريخاً لها ورتّبه على الأمصار لا على الحُروف، ومن عُلمائها لأبي إسحاق المَبْدأُ به ورتَّبه على الحُروف... وتاريخاً لَمْرْو على المُعجم لأبي العباس أحمد بن سعيد المَعْداني (ت 375هـ/ 986م)[129]. وأَقْدم تاريخ مَحلّي باقٍ مُرتَّبة تراجمه على المُعجم هو **تاريخ عُلماء الأندلس** لابن الفَرَضي (ت 403هـ/ 1013م)، فقد رَتَّب ابن الفَرَضي تَراجمه على المُعجم بَدل أن يجمع القِصَص والأخبار التاريخيَّة عن مُختلف المُدُن الأندلسية[130]. وتنظيمه هذا بِدائي، ولكن اتَّبعه مُعظم من تَلاه من أهل الأندلس، فلم يَذكر إلا أسماء المُترجَم لهم فقط. ويقول أبو نُعَيْم (ت 430هـ/ 1038م) وهو الثاني الذي اتَّبع الترتيب على المُعجم في كتابه **تاريخ أصفهان** لأنه رآه أسهل للمُراجعة فهو يقول في مُقدّمة الكتاب: «أما بعد فإن بعض الإخوان، رَعَاهم الله، سأل الاحتذاء بِمَن تقدّمنا من السَّلَف ورُواة الحديث من نَظْم كتاب

---

(127) ابن الفَرَضي، ج1، ص113 وما بعدها رقم 396، طبعة كوديرا (مدريد 1890-1902م في المكتبة العربية الإسبانية رقم 8).

(128) انظر حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص155 وما بعدها، طبعة فلوجل.

(129) ليست لديّ معلومات عن **تاريخ داريا** لعبد الجبار الخَوْلاني الذي توجد منه نُسخة في المتحف البريطاني (وقد طُبع الآن في دمشق 1950م) وليس مُرتّباً ألفبائياً.

(130) ج1، ص5 طبعة كوديرا.

يشتمل على أَسامي الرُّواة والمُحدّثين من أهل بلدنا أصبهان ممّن حَدَّثَ بها، ويُضاف إلى ذِكْرهم مَنْ قَدِمَها من القُضاة والفُقهاء مُقَدِّماً طُرَفاً مِنْ ذِكْر بدئها وبِنائها وفَتحها وخصائصها، وأبتغي أن يكون ذلك مُرتّباً على ترتيب حُروف المُعجم ليسهل الوقوف عليه، فأجبته»[131].

أما الخطيب البغدادي الذي عاش في القرن الحادي عشر[132]، فإنه باتّباعه تنظيم المُعجم، استطاع أن يكون حاسماً في ترك تنظيم الطبقات والقُرون، حيث أخذ بترتيب المُعجم في ترتيب أسماء المُترجَم لهم وأسماء آبائهم، رَغْم أنه لا يتّبع ذلك دائماً أو بصورة منطقية في النُّسخة التي وصلتنا من **تاريخ بغداد**، ثُمّ رتَّب أصحاب الكُنَى[133] والنِّساء على المُعجم في آخر الكتاب.

لقد كان **تاريخ بغداد** شاملاً في تراجمه، غير أنه كان يُفضّل عُلماء الدِّين، وكانت تراجمهم أَوْسع من تراجم غيرهم. أما مُحتويات التراجم، فأكثر اهتمامها بالأحاديث، والتأكيد على الناحية الدِّينية دون كافة الأعمال، حتى أعمال غير عُلماء الدِّين. ومن الطبيعي أنّ صَحَابة الرسول لم يشهدُوا بناء بغداد، غير أنّ بعضهم جاء إلى أطرافها فيما يُقال. لذلك تقدّموا على غيرهم في ترتيب التراجم. وهذا في الحقيقة من بَقَايا أثر تنظيم الطبقات، غير أنّ مُؤلِّفِي الكُتُب التي تتّبع ترتيب المعاجم فسّروا ذلك دليلاً على احترام مكانة الصحابة ووسيلة لتسهيل معرفة أسمائهم[134].

---

(131) ج1، ص1 طبعة ديدرنغ (ليدن 1931-4م).

(132) انظر: **تاريخ بغداد**، ج1، ص213 وما بعدها.

(133) لقد استُعمِلَتْ هذه الترجمة المغلوطة للكُنية patronymics في الكتاب. ولا بدّ من أن تكون الكلمة الصحيحة هي هايونمِك أو بيدونمِك paidonymic أو Hyionymic لو كان هذا الأمر معروفاً عند الإغريق.

(134) يقول أبو نُعَيْم: «قال الشيخ رحمه الله بدأنا بعون الله بذكر مَنْ قَدِمَ أَصْبَهان من الصحابة رُضوان الله عليهم وتسميتهم مُجرّداً من أخبارها ليَسْهل حفظها ومعرفة أساميهم على من أرادها، ثم نَذكرهم بأنسابهم وأسنانهم وبعض أحوالهم مَقْروناً بما يقرب ويسهل من بعض أحاديثهم إن شاء الله». (**تاريخ أصفهان**، ج1، ص43، طبعة ديدرنغ). انظر أيضاً الرافعي: **التدوين في ذكر أخبار قزوين**.

وقد قَدَّم الخطيب كتابه بفصل طويل فيه أخبار طُوبوغرافية وحضارية وتاريخية عن بغداد وضَواحيها وأخبار إنشائها. وترجع المِيزة العظيمة لهذا القسم من الكتاب إلى أنّ المُؤلّف استَخْدم بُحوثاً تَرْجع إلى تواريخ دُنيوية قديمة عن بغداد.

لقد ظلَّ **تاريخ بغداد** للخطيب أُنْموذجاً سَار على نَهجه جميع من تَلاه من مُؤرخي بغداد، وأغلبية التواريخ المحلّية العديدة التي كُتِبت في العصور التالية، وليس في العالم الإسلامي مكان لم يتمثّل فيه هذا النوع من التاريخ المحلّي الديني (الذي قَطَع في بعض الأوقات كُلّ روابطه بالعلم الدِّيني).

لقد فَاق **تاريخ دمشق** لابن عساكر **تاريخ بغداد** في الحجم، وقد اهتمّ في مُقدّمة كِتابه بالعلاقة بين دمشق والرسول والمُسلمين الأوّلين. وقد استعَار من التاريخ الحَوْلي أبحاثاً كقِصّة أخذ التقويم الهجري، ويبدو أنّ أمثال هذه الأُمور كانت في نظر المُؤلّف أهَم من وَصف المدينة الطُّوبوغرافية الذي نشهده في **تاريخ بغداد**. ثُمّ إنّ مُؤرخاً سورياً آخر هو ابن العَدِيم الذي تحدّثنا عنه من قبل كمُؤلّف لتاريخ حلب الدُّنْيَوي[135]، ألّف على نَمَط **تاريخ بغداد** كتاب تراجم عُنوانه **بُغْية الطَّلَب في تاريخ حلب**.

إنّ ابن العَدِيم يستحقّ الذكر لا لأن لبعض تَراجمه خصائص تاريخية[136]، بل لأن المُقدّمة التاريخيَّة أَصْبحت على يَده فصلاً ضخماً عن جُغرافية شمالي سوريا، وأنها بُحثت تَبَعاً لأحسن المصادر وقدّمت فيها معلومات ثقافية غنية... وقد أَلَّف ابن خطيب الناصرية ذيلاً على **البُغْية** سمّاه **الدُّرّ المُنتَخب في تَكْملة تاريخ حَلَب**، لخّص فيه مُقدّمة **البُغْية**.

ويتبيَّن من هذا التلخيص أنه كان مُقسّماً إلى خمسة فصول هي:

1 ـ أسماء حلب وبناؤُها.

2 ـ موقعها وتوسّعها وضَوَاحيها.

---

(135) انظر أعلاه: ص202 وما بعدها.

(136) انظر: النَّماذج التي طُبعت في المجلد الثامن من:
Recueil des historiens des Croisades, Historiens or. pp: 695-732 (Paris 1884).

3 ـ امتيـازهـا.

4 ـ فتح المُسلمين حلب.

5 ـ مياهها، آثارها التاريخيَّة مساجدها وأماكنها المُقدّسة[137].

لقد أعطى ابن العَدِيم نُقطة انطلاق حسنة لمُؤرِّخي حلب في المستقبل، وكان أثره واضحاً حتى القُرْن الخامس عشر. وقد ألّف سِبْط ابن العَجَمي (ت884هـ/ 1480م) تَكْملة لكتاب ابن خطيب الناصرية سمّاه **كُنُوز الذَّهَب في تاريخ حَلَب**، فيه وَصْف مُمْتع جداً لحلب وتاريخها. ويُمكن اعتبار كلامه عن بعض مساجد حلب وصفاً تاريخياً للفنّ هو أَكْمل ما يُؤمَل من مُؤرّخ يسير على أساليب العصور الوسطى[138].

ثم أَلَّف ابن الشِّحْنة عن تاريخ حلب كتاب **الدُّرّ المُنتخَب في تاريخ مملكة حَلَب**، اعْتَمَد في تأليفه على موادّ من ابن شدّاد ومن مُؤرّخين حلبيين آخرين، وكذلك من مُقدّمة ابن العَدِيم. وقد حُذفت في هذا الكتاب جميع التراجم، ولم يُقدّم إلا قليلاً من المعلومات التاريخيَّة، غير أنه أظهر اهتمام المُؤلّف بزمن الأبنية والآثار والأقوال التي تَثَبَّت منها بنفسه أو ثَبَّتَها مصادره.

إنّ العُلماء الذين لم يُولدوا في مدينة أو إقليم مُعيَّن، لكنهم عاشوا ودرسوا فيه، كانوا دائماً مَجْلبة للأنظار، غير أنه ممّا يتميّز به التأريخ الدِّيني المصري هو وجود مُؤلَّف كبير لأبي سعيد بن يونس[139] **عن الغُرباء**، أي عُلماء الدِّين الذين لم يُولدوا في مصر لكن أقاموا فيها رَدْحاً من الزمن. إنّ ما لوادي النيل من جاذبية عُظمى للغُرباء معروفة مُنذ القدم، جعلت مثل هذا الكتاب مُمكناً، وهُناك تنويعات ثانوية في التأريخ المحلِّي الدِّيني تختصّ بمصر، وهي مجموعة مُرتَّبة

---

(137) عن مخطوطة ابن خطيب الناصرية التي اسْتَعْمَلْتها، انظر أدناه: قسم 2، ص520، هامش 62.

(138) لقد استَعْمَلْت المخطُوطة الناقِصة المحفوظة في القاهرة (تيمور؟) تاريخ 837. لقد كان وَصْف الآثار من واجب الجُغرافيين الذين اسْتَخدم المُؤرّخون أحياناً أدّلتهم. ومن أبرز الأمثلة هو وصف جامع قُرطبة الشهير.

(139) انظر أدناه: قسم 2، ص562، هامش 292. وإنّ ابن الفَرَضي قَلَّد ابن يونس بإضافة الأجانب، إن كانوا موجُودين، بعد كُلّ اسم.

على نَمَط الحَوْليّات عن تَواريخ وَفَيات المصريين المُعاصرين (وبضِمنهم عدد قليل من غير المصريين)[140].

وجدير بالذكر هنا كُتُب فضائل البُلدان كشكل مبتور لتأريخ محلّي ديني. لقد كانت كلٌّ من كلمة «فضائل أو خَواصّ» حتى القرن الحادي عشر، إذا ذُكرت مُقترنة بمدينة أو إقليم، وفضائل أهلها، وفيه أحياناً مُفاخرات ومُهاجاة مع محلّ آخر[141]. ثُمّ أصبحت عَناوين الفضائل تدلّ عادة على كتاب فيه مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة والمصادر المُعتمدة التي تَمتدح مكاناً مُعيَّناً، تماماً كالتي تجدها في مُقدّمات التواريخ المحلّية (الدُّنيوية والدِّينية).

وكُلّ هذا لا يُمكن اعتباره جُزءاً من التأريخ، رَغْم أنه ظلَّ مظهراً للشغف في الأقسام الإقليمية التي أثَّرت أحياناً بمجرى التاريخ الإسلامي وأدّت إلى نتائج سيِّئة جداً، لكنَّها أسهمت في التأريخ الإسلامي بأن قدّمت له واحداً من أهم فُروعه المُنتِجة.

3 ـ التاريخ المُعاصر والمُذكّرات

كان كُلّ كتاب في التاريخ الإسلامي يَتَناسق مع زَمَن المُؤلِّف. أما التأريخ القديم، فقد اقْتَصَر على مُؤلَّفات عَرَضية عن أحداث سِنِيّ الإسلام الأُولى وعن كِبار الصحابة فَقَط. وكان الاتجاه في هذه الكُتُب دينياً أكثر منه تأريخياً.

ومن النَّادر جداً أن يَذْكر الكاتب أيام العزّ القديمة ويصفها كما تجلَّت في البرامكة مثلاً[142]. وهُنا نجد أنّ التاريخ تَغْلِب عليه الآداب والتراجم التي كانت

(140) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص572 (وهو يقول: إنّ الحبّال تُوفّي سَنَة 482هـ/1089-90م)؛ يوسف العشّ: **فِهرِست مخطوطات دار الكُتُب الظاهرية**، ص151 (دمشق 1366هـ-1947م).

(141) انظر مثلاً: ج. شاخت وم. مايرهوف **الجدل الطّبي- الفلسفي بين ابن بُطْلان البغدادي وابن رِضْوان القاهري**، ص89 (القاهرة 1937م مطبوعات كلية الآداب بالجامعة المصرية، رقم 13)، أو المُقارنة بين دمشق والقاهرة في القرن الرابع عشر والمذكورة في المَقْريزي: **الخِطط**، ج1، ص368 (بولاق 1270هـ) انظر أدناه: قسم 2، ص557، هامش 257.

(142) انظر أدناه: قسم 2، ص502، هامش 300.

عُموماً غير مُقيّدة بالشخصيات المُعاصرة. ويستخدم المُؤلِّف التاريخَ الماضي أساساً للحاضر فقط، الأمر الذي أدّى إلى أن يكون في جميع الكُتُب التاريخيَّة شيء من التأريخ المُعاصر من جِهة، ومن جِهة ثانية صار كُلّ التاريخ المُعاصر لا يختلف عن التواريخ العامة في الصورة أو المَبنى. لم يستطع المُؤرّخون المُسلمون عند كِتابتهم تاريخ عصرهم أن يُهملوا الاهتمامات الفكرية في أيامهم، غير أنّ إسهامهم في صُوَر التاريخ ومَبْناه، لم تَزِدْ عمّا جاء في كُتُب التاريخ، لذا لا نرى كبير حاجة للكلام على كِتابة التاريخ المُعاصر في الإسلام.

إنّ أكثر الرسائل الباحثة في التاريخ المُعاصر شُيوعاً هي التي كُتبت بناءً على أوامر الأمير الحاكم الذي كان يُريد رُؤية أعماله (وأحياناً أعمال أُسرته) أو أحد الأحداث البَارزة في حُكمه مُخلَّدة في الكتابة. ويبدُو من الصَّواب القول إنّ عَظَمة الحاكم والأثر الذي يتركه في تاريخ عصره يتناسب طَرْدياً مع كمّية مُترجميه المُعاصرين ونوعيتهم (محمود الغَزْنوي، وصلاح الدِّين وسليمان القانوني).

وكثيراً ما يَشغل المُؤرّخون مَناصب إدارية كبيرة، فلقد أنتج القرن العاشر الصُّولي الذي كان نابغة في الآداب، رائع الأُسلوب، غنياً بالمعلومات، ومع هذا لم يَستطع إخفاء مَيْله لرُسوم البلاط[143] وما يدُور في أرجائه من حديث. والأَهَم من هذا، ما أدّت إلى استعماله في تراجم الأُمراء من السَّجع والزَّخرفة اللفظية التي كانت مُنتشرة بين كُتّاب الدَّواوين والمُوظّفين[144]. لقد كان ذلك الأُسلوب فائقاً في الإطراء والالتواء، وكان سائداً في هذا النوع من الكُتُب. ولمّا كان المُؤرّخ يحتلّ منصباً رسمياً، فكثيراً ما كان كِتابه يتّخذ صفة المُذكّرات. وقد عبّر ابن شدّاد عن هذا صَراحة في بحثه عن صلاح الدِّين حيث قال: «وكان الله قد

---

(143) استمرّت مَراسيم البَلاط العباسي تجري على التَّقاليد الفارسية، غير أنّ بيزنطة المُعاصرة كانت أُنموذجاً لامِعاً ينبغي مُنافسته. وقد ألَّف رجل اسمه أبو الحسين أحمد بن الحسين الأَهْوازي كِتاباً عن البيزنطيين استَند فيه على مُلاحظات شخصية، وقد بحث أُموراً منها مَراتب رجال الكنيسة في الدولة البيزنطية. انظر البِيروني: **الآثار الباقية**، ص289 وما بعدها، 293. طبعة سخاو (لايبزيغ 1878-1923م).
أما عن الصُّولي، فانظر أيضاً: أعلاه ص77 وما بعدها.

(144) انظر أدناه: ص226.

أوقع في قلبي مَحَبته مُنذ أن رأيته وحُبّه للجهاد، فأحببته لذلك وخدمتُه من تاريخ مُستهلّ جُمادى الأولى سَنَة أربع وثمانين (28 يونيو 1188م)، وهو يوم دخوله الساحل. وجميع ما حكيتُه قبل إنما هو رِوايتي عمّن أثق به ممّن شاهده. ومن هذا التاريخ ما سَطّرت إلا ما شَاهدته أو أخبرني به من أَثْقِ به خبراً يُقارب العِيان»[145].

وهكذا انقلبت الترجمة إلى مُذكّرة عن السنوات الخمس الأخيرة التي تحلّ في ثلاثة أرباع كتاب ابن شدّاد.

من بين مُؤلِّفي المُذكّرات اثنان عَاشَا في القرن الثاني عشر وتميّزا بطريقتهما الجديدة في مُعالجة موضوعها، وهما عُمارة الحَكَمِي اليَماني في كتابه **النُّكَت العَصْرية في أخبار الوزارة المصرية**، وأُسامة بن مُنْقِذ في كتابه المشهور **الاعتبار**. أما عُمارة فقد بدأ بترجمة حياته وسار بها إلى زمن استقراره بمصر، ثم تكلّم على تاريخ الوزراء المصريين كما أراد من عُنوان الكتاب، وتطرّق منه إلى دور عُمارة في نظم الشعر.

أما أُسامة فقد بحث عدداً من خُبراته الشخصية التي تُبيِّن أنه دقيق المُلاحظة وذُو شخصية إنسانية مُستقيمة. غير أنه من الواضح أنّ عُنصر الأدب عند عُمارة، وعنصر الفلسفة الشعبية عند أُسامة كانا أَقْوى من العُنصر التاريخي.

إنّ المواد الأساسية للمُذكّرات هي المُلاحظات الشخصية واليَوْميّات، ولعلّ عدداً من المُسلمين البارزين في مُجتمعهم كانوا يُدوِّنون مُلاحظات شخصية عن أعمالهم، لكن من المشكُوك فيه وجود عدد كبير تجرّأ على إيداع أفكاره الخاصة في يوميات مُنظّمة يحتفظ بها، وخاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار الجو السياسي في العصور الوسطى الذي يجعل مثل هذه المشاريع خطرة أحياناً.

ومع هذا، فقد احتفظ بعض المُوظّفين باليوميّات، ولعلّهم كانوا يهدفون من ذلك نشرها فيما بعد. أما المُذكّرات كالتي أَلَّفها الوزير ابن ماسَرْجِيس في القَرْن

(145) **النّوادر السلطانية**، ص71 (القاهرة 1317هـ) انظر أيضاً مِسْكَوَيه: **تجارب الأُمم**، حوادث سَنَة 340هـ.

التاسع[146]، أو العِماد الأصفهاني في كِتابه الضَّخم **البَرْق الشامي**، في القرن الثاني عشر، فقد كان كُلٌّ منهما مُستنِداً إلى مُلاحظات كَتَبها خلال مُدّة طويلة وإلى يَوميّات مُنظّمة. ولما رَافَق أحمد بن الطيب السَّرَخْسي المُعتضد (الخليفة التالي) في حَمْلة عسكرية على فلسطين في سَنَة 884-5م، عُني بتدوين يَوميّات عن الرحلة، والراجح أنه دَوَّنها بناءً على طلب رسمي. وكانت مُلاحظاته في الغالب جُغرافية وعسكرية[147]. وقد استُعملت اليوميات باسمها الفارسي (روزنامجة) عُنواناً لأحد كُتُب الصاحِب بن عَبّاد (ت385هـ/ 995م)، وقد بقيت من يَوميّاته عدّة مُقتطفات يظهر[148] منها أنها لا تهتمّ بموضوعات ذات أهمّية تاريخية، بل بأخبار أدبية ولُغوية من النوع المعروف بالأمالي أو كُتُب الآداب العامة، أو بعض أنواع المعاجم.

أما اليومية التي لها أهمّية تأريخية، فهي التي دوَّنها القاضي الفاضل البَيْساني (ت596هـ/ 1200م)[149] كاتب صلاح الدِّين، والذي قيل، مع بعض المبالغة، إنّ قلمه أمضى من سيف صلاح الدِّين في نجاح السلطان[150].

(146) انظر أعلاه: ص80. وقد ألّف الشاعر أحمد بن جعفر، جَحْظَة (224-324هـ/ 838(9)-936م) **كتاب ما شَاهده من أمر المُعتمد على الله**، رُبّما كان على أُسلوب **تاريخ الخُلفاء** للصُّولي. (انظر ياقوت: **إرشاد**، ج2، ص243، القاهرة، ج1، ص384، طبعة مارغليوث).

(147) F. Rosenthal, *Aḥmad aṭ-Ṭayyib as-Saraḫsī*, 62 ff. (New Haven 1943. *American Oriental Series 26)*, and *JAOS*, LXXI, 138ff (1951).

قد يستطيع المَرء عند قِيامه بالحَج من أذربيجان، أن يُدوّن يوميات لتعليم أطفاله، كما فعل رجل اسمه محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب الذي استخدم روزنامه ابن العَدِيم في **بُغْية الطَّلَب**. مصور، القاهرة: تاريخ، 1566، ص209.

(148) انظر بروكلمان: **المُلحق**، ج1، ص199، وهُناك مُقتبسات أُخرى مذكورة في: الثعالبي: **يتيمة الدهر**، ج2، ص11 (دمشق 1304هـ)، وعند أبي الطيب المتنبي، ص62 (الطبعة الثانية، القاهرة 1343هـ/ 1925م) كذلك، **خاص الخاص** ص42، (القاهرة 1326هـ)، الأزدي: **بدائع البدائه**، ج2، ص21 (القاهرة 1316هـ) ياقوت: **إرشاد**، ج15، ص112 وما بعدها، (القاهرة، ج5، ص440 وما بعدها طبعة مارغليوث. وعن يوميات أدبية أُخرى، انظر: البَيْهَقي: **تاريخ بَيْهَق** 193 (طهران 1317هـ).

(149) ابن كثير: **البِداية**، ج13، ص25. حيث يذكر اليوم والأسبوع.

(150) الصَّفدي: **الوافي**، مخطوطة البودليان:
or. Seld. Arch. A. 2 Fol 150a.

وقد اتُّخِذَتْ من كِتابه مُقتطفات، فجُعِلَتْ عَناوينَ لكُتُب، الكتاب العربي لليَوميّات (مُياومات) أو بعُنوان (مُتجدّدات سَنَة كذا)[151]. وقد اهتمّ القاضي الفاضل بحملة صلاح الدِّين البحرية على أَيْلة، وبالحركات العسكرية الأُخرى، وبتدمير الصليبيين العريش، وتحقيق تأريخ إنشاء مَنَارة. غير أنه ركّز جُلَّ اهتمامه على قَضَايا لها أهمّية إدارية، كزيادة النِّيل غير المَألوفة، والإقطاعات وتوزيع الصَّدقات، والاحتفال برأس السَّنة القِبطية، والمُطابقة بين السَّنة الخَرَاجية والسَّنة القمرية، والكُنوز التي خلّفها العاضد آخر الخُلفاء الفاطميين، وجبايات المُقاطعات، وارتفاع الأسعار في بعض السنين أو تدشين بيمارستان. كلّ هذه الأُمور كان يُدوِّنها بدقّة مع ذكر يوم حُدوثها والشهر والسَّنة. ولِكِتابته أهمّية خاصة من حيث إظهاره عِظَم الموادّ التي ينبغي على مُؤرّخي تلك الفترة مُعالجة بحثها. ونُشاهد عند المُؤرّخين الفُرْس والتُّرك استخدام اليَوميّات[152] في المُؤلَّفات التاريخيَّة وفي عَدَد من المُذكّرات. ولكن مُعظم أمثلة هذا الفصل القصير، يرجع تاريخها إلى الأزمنة الصليبية، ولعلّ هذا ليس من باب المُصادفة. إذ إنّ سرعة الانتقال من الخَوْف إلى الأمل ومن الأمل إلى الخوف في قلب البِلاد الإسلامية، كانت عظيمة لم تَشْهَدها أية فترة من التاريخ الإسلامي، وهذا ممّا يجعل الأحداث المُعاصرة تَظْهر جديرة باهتمام المُؤرِّخ.

---

(151) انظر: R. Guest, in *JRAS*, 1902, 110.
C.H. Becker, *Beiträge zur Geschichte Ägypten unter dem Islam*, I. 24f. (Strassburg 1902).
وهُما يُعدّدان المُقتطفات التي وَرَدَت في كتاب **الخِطط** للمَقريزي.
ويبدُو أنّ هذا الكتاب اقْتُبَس منه أيضاً ابن العَدِيم في **بغية الطلب**. انظر:
C. Cahen, *La Syrie du Nord*, 53 n. I. (Paris, 1940).
وعن يوميات مُحتملة أُخرى انظر: ابن خَلّكان، ج4، ص143، ترجمة دي سلان.

(152) انظر مثلاً: كبير قاضي زاده **تاريخ فتح سليم الأول لمصر** أُلِّف بناءً على أمر الأمير صدر الدين محمد بعد أن دَوّن مُلاحظات عن الحَملة التي ساهم فيها. انظر:
F. Tauer, in *Archiv Orientální*, IV, 98 ff. (1932).

الفصل السادس

الصُّوَر الفنّية لِلكِتابة التاريخيّة

1 ـ استخدام السَّجع

نَجَحَت الكِتابات التأريخية[1] من حيث العُموم في الوُقُوف بوجه هَوَس السَّجْع الذي أضرَّ بالآداب الإسلامية أكثر ممّا نفعها. وقد أسهم في خلق هذا الوضع الطيّب عِدّة عوامل، منها: إنّ التأريخ لم يكن أبداً فَرعاً من الآداب، بل كان مُحاولة عِلْمية من عدّة نَواحٍ، وبذلك استطاع مُقاومة الأساليب الأدبية. إنه يهتمّ بمسالك واضحة ومُلاحظات للحياة اليومية جَلَبَت تعبيراً لُغوياً، صورته

(1) إنّ بعض التَّوافه الصِّبيانية مثل **تاريخ الرسُوليين في اليمن** لابن المُقْرئ، الذي فيه مجموعة من الحُرُوف تُقرأ عمُودياً في كتاب ابتدائي عن الفقه (انظر: بروكلمان، ج2، ص190. وفي مكتبة الكونغرس في واشنطن نُسخة من هذا الكتاب، مطبوعة في القاهرة 1309هـ) لا يُمكن أن تدعى مُعالجة فَنية للعَرض التاريخي، غير أنه ينبغي ذِكر كلمة عن التواريخ المُصوّرة.
لمّا ظهر الإسلام على مسرح التاريخ، كان للكُتُب التاريخيَّة المُزيّنة بالصُّوَر، تاريخ طويل ومُنوّع (غير أنه لا يَدخل في نِطاق بحثنا) وقد كانت هذه التواريخ المُزيّنة بالصُّوَر معروفة في الآداب الإغريقية والفارسية. انظر عن الإغريقية بصورة خاصة:
A. Bauer - J. Strzygowsky, «Eine Alexandrinische Weltchronik», in *Denkschriften der K. Akad.* d. Wiss. zu Wien, Phil-hist Kl. LI, 2 (1905). H. Lietzmann, «Ein Blatt aus einer antiken Weltchronik», in *Quantulcumque, Studies presented to K. Lake*, 339-48 (London 1937).
K. Weitzmann, in *Byzantion,* XVI 87-134 (1944).
لم يلقَ من هذا قَبولاً في الإسلام إلا القليل. لقد كان المُسلمون يعرفون كُتُباً «مُصوّراً» فيها مُلوك الفُرس من آل ساسان، كما يُخبرنا بذلك نصّ يتكرّر ذكره في كتاب التنبيه للمسعودي (ص106 وما بعدها طبعة دي غويه). أما صُوَر الفلاسفة الإغريق، فتظهر في تَواريخ الفلاسفة لحُنَيْن ومُبَشِّر (وهذا الأخير إضافة مُتأخّرة؟). =

واضحة مُعتمدة على الحقائق. وكان المُؤرّخ مُلْزَماً بِذَكر النُّصوص التي ينقلها عن مَصَادره حَرْفياً، ويتجنّب أية مُحاولة للتصرّف بها، ممّا أدّى إلى أن يكتب تاريخ الماضي عَادة بأُسلوب المُؤلِّفِين الأوَّلِين الرَّصِين. ومن الطبيعي أن يلتزم السَّجْع في مُقدّمة التواريخ، كما استخدم كوسيلة لتجنُّب العَرْض الواضح للمادّة، وخاصة عندما تتدخّل عواطف الكاتب في الموضوع[2].

وقد سَيْطر السَّجْع على الكتابة التاريخيَّة خلال تراجم الإطراء التي دوَّنها المُوظّفون لأسيادهم. ففي هذه الكُتُب شَعَروا أنّ من واجبهم استخدام مَوَاهبهم في أساليب السَّجع التي كانت شائعة عند كتّاب الديوان. وفي بِداية الأمر كانت مَهَارة الكُتّاب وفُنونهم الأدبية وفَهمهم العميق لخصائص اللُّغة العربية، قد جعلت كُتُبهم روائع، عوّضت رَوْعة أُسلوبها عن المصاعب التي يُواجهها القارىء لفهم معانيها. غير أنّ المهارة والفن والقُدرة اللُّغوية هي مَوَاهب نادرة خاصة في الكُتُب الفارسية والتُّركية المُتأخّرة.

وقد كان إبراهيم بن هلال الصَّابئ (ت 384هـ/ 994م) يملكها إلى أقصى

= إنّ ظهور الكُتُب التاريخيَّة المُزيّنة بالصور في إيران في وقت مُتأخر يبدُو أنها جاءت تقليداً جديداً لأدب المَلَاحم. ولا نَزَال نحتفظ بمخطوطات مُصوّرة من الترجمة الفارسية للطَّبَري انظر:

E. Kühnel, in A.U. Pope. *A Survey of Persian Art*, III, 1853, 1855 New York 1939.

انظر أيضاً: الألواح 816ب 880.

انظر أيضاً **جامع التواريخ** لرشيد الدِّين (الكتاب السابق، ج3، ص1835 وما بعدها، والألواح 827-90، 847-50. وانظر أيضاً أعلاه: ص144، هامش 16). **تاريخ جهان كشاي** للجُوَيْني (المصدر السابق، ج3، ص1843)، وكذلك الكُتُب التاريخيَّة عن العصر المغولي، وهي شائعة كثيراً (إنّ المراجع إلى المخطوطات الإسلامية المُزيّنة بالصُّوَر في هذه الفقرة، هي مُنتخبة من قائمة مراجع طويلة عن الموضوع تَفَضَّل بتقديمها لي الدكتور إيتنغهاوزن في واشنطن).

(2) لقد كانت هذه هي الحالة مثلاً عندما كان كاتب يتكلّم عن نهاية الخلافة العباسية. انظر: مغلطاي: **إشارة إلى سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخُلفاء**. وقد رَجِعْتُ إلى مخطوطة البودليان من هذا الكتاب رقم (Or. Sale 56) لعدم توفّر النُّسخة المطبوعة لديّ، القاهرة 1326هـ، انظر: بروكلمان. **الملحق**، ج2، ص48.

حَدّ، واستخدمها في كتاب **التاج** الذي مدح به عَضُد الدَّولة والبُويهيين[3]. ولعلّ استخدامه السَّجْع في هذا الكتاب كان أقل ممّا عند العُتْبِي الذي ألّف كتابه **اليميني** في مدح يمين الدَّولة محمود الغَزْنَوي، وحَذَا فيه حَذْو الصَّابئ.

لقد كان العِماد الأصفهاني سيِّد هذا الفنّ، فقد كتب مْؤلّفاته التاريخيَّة بأجمعها بأُسلوب مُسَجَّع كثير الحَشْو واللَّغْو لكن غير ثقيل. وكثيراً ما كان يُعالج السَّجْع بِطَلاقة، ففي **تاريخ دولة آل سلجوق** أُبيح لطُغْرِلْبك مجال قصّ حُلم رآه بنثر عادي[4]، ولكن أَلْب أَرْسْلان من جِهة أُخرى اسْتَخدم سَجْعاً تاماً عندما كان على فِراش الموت[5].

ولما قام الفتح البُنْداري بتلخيص كتاب العماد بعد جيل من الزمن، كان يتشكَّى بقوله: «فَصَادفته قد سَلك فيه منهجه المعروف في إطلاق أعنّة أقلامه في مضمار بيانه، وإسباغ أذيال القرائن المُترادفة عن وشائج ما يُحبّره راقم بَنانه، بحيث صار المقصود مغموراً في تَضَاعيف ضمائر الأسجاع، ورُبّما كان لا يرفع للإصغاء إلى بدائعها حِجَاب بعض الأسماع»[6]، غير أنّ البُنْداري لم يُبدّل

(3) انظر: بروكلمان، ج1، ص96 (**الملحق**، ج1، ص151) وأعلاه، ص80 و90.
D.S. Margoliouth, in *Islamica*, II, 388 n. 4 (1927) and idem *Lectures on Arabic Historians* 134 (Caluctta 1930).
أما عن المراجع للتاجي، فانظر أيضاً البِيروني: **الآثار الباقية**، ص38 سخاو؛ العتبي: **اليمني**، ج1، ص47 فما بعد، 106 (القاهرة 1286هـ). انظر أيضاً بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص547. الثعالبي: **يتيمة الدهر**، ج2، ص3، 9 فما بعد؛ 26 فما بعد، ج3، ص3 (دمشق 1304هـ)، ابن حِسُّول: **تفضيل الأتراك**، **مقدّمة**. انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص553، ج3، ص1216، ابن إسفنديار، **تاريخ طَبَرستان**، ص90، 223 براون (ليدن ـ لندن 1905م، سِلْسِلَة جِب التذكارية رقم 2)، ابن خَلِّكان، ج1، ص213، ج2، ص263، ج3، ص216 ترجمة دي سلان. النُّوَيْري: **نهاية الأرب** مخطوطة باريس رقم ar. 1376، ص23أ. وقد اسْتَعمل هذا الكتاب أيضاً العَظِيمي (أعلاه: ص231 هامش 32). انظر:
C. Cahen, *La Chronique abrégée d'al-Azîmî*, in *J.A.* CCXXX, 355 (1938).

(4) **نصرة الفترة**. مخطوطة باريس رقم ar. 2145، ص22ب، البُنْداري، **دولة آل سلجوق**، ص26 (القاهرة 1318هـ/ 1900م).

(5) المصدر نفسه. انظر أعلاه: ص163.

(6) البُنْداري، ص3.

أُسلوب العِماد، ولا شكّ أنه إذا كان هذا الرجل الذي قام بترجمة **شاهنامه** الفِرْدَوْسي إلى العربية يهتمّ بنفسه بكتاب العِماد، فلا بدَّ أن يكون هذا دليلاً على رُقيّ أسلوبه.

لقد كان استمرار استخدام السَّجْع مصدر عَيْب خطير للكُتّاب غير المَوْهُوبين، فإن حبيباً الحلبي مثلاً، وهو من رجال القرن الرابع عشر، ألّف كتاب **دُرّة الأسلاك في دولة الأتراك**، كما ألَّف **جُهَيْنة الأخبار** وهو كتاب عام، قد جعلهما مَسْجُوعين، كُلّ جُملتين فيه مَسْجُوعتين سَجْعاً واحداً.

«ارْتَجَف ملك الفرنسيس، وتصدّع أساس البناء الذي أشاده، فقُتِل 30 ألفاً أو أُسِروا، وبحوالى مائة مُسلم تمّت الشهادة»[7].

ونَجِد السَّجْع القصير سائداً في **جُهَيْنة الأخبار**: «أباقا بن هولاكو أوقد نار الحرب، كأبيه رجل خِزْي وعار، واستمر مُجانباً لطريق الحق، إلى أن لَقي بعد ستة عشر (عاماً) يومه الأخير»[8].

ومن الواضح أنه لا يُمكن عَرْض الحقائق المُجرّدة والأوصاف الدقيقة بهذا الشكل، لأن أُسلوب السَّجْع يتجلّى فيه دائماً الابتعاد عن الحقائق والدّقة. فإذا التزم السَّجْع، فلا بدَّ من إضافة جُملة قد تكون مُجرّد تكرار، وقلّما تُعين على توضيح صُورة الشخصية أو الحادثة، وبذلك تشغل حيِّزاً واسعاً رُبّما كان بالإمكان تخصيصه لحقائق الأخبار، فابن حَبِيب الحَلَبي قيّد نفسه بذكر مصدر واحد في المُعَدَّل، بَدل أن يُقدّم قائمة كاملة بمصادر ترجمته العلمية. والأخبار الحقيقية الوحيدة التي نَجد آثارها عنده هي الإشارة إلى سَنَة الوفاة، وإلى عُمر الشخص المُتوفَّى إذا كانت معروفة ونَسَبه الذي يذكره في بداية الكلام عن وفاته. وبالإجمال، فإن استخدام السَّجْع إذا كان قد أضاف إلى الكتابة التاريخيَّة جاذبية

---

(7) **دُرَّة الأسلاك**، مخطوطة البودليان، رقم Marsh 223 (Uri 750) fol. 4a.

(8) **جُهَيْنة الأخبار**، مخطوطة القاهرة، تاريخ، 1610.

[لم أستطع الحصول على نَصّ كلام المُؤلّف المذكور هنا وفي الجملة السابقة، لذا اقْتَصَرت على إيراد ترجمتها الحَرْفية. المترجم].

في نظر القارىء المُثقّف[9]، فإنه لم يُسهم بشيء في تعميق الفَهم التاريخي. كما وأنّ استخدام السَّجْع لم يُنتج شَكْلاً جديداً في جَوْهَره من أشكال العَرْض التاريخي.

2 ـ استخدام الشعر

لم يكن السَّجْع أُسلوباً مُلائماً لِبَحْث التاريخ بصورة حَقّة؛ أما الوسيلة التقليدية في التعبير الشعري، فبمقدُورها وحدها القيام بتحويل التأريخ إلى شعر. ولا يوجد سبب جَوْهَري يمنع الشعر في لُغات الإسلام وهو «تأريخ مُختلق»[10] من القيام بِوَصف الوقائع الحقيقية وصفاً يسمُو بها.

غير أنّ الشعر في الإسلام لم يُدْعَ لتأدية هذه الخدمة إلا مرّة واحدة في الأراضي الإيرانية ولخدمة الوطنية الإيرانية.

ولقد وُلد الفِرْدَوْسي بين سَنَة 933 أو 936م، وتُوفّي بين سَنَة 1020 و1025م، وقد سَبَقه في مَلْحَمته العظيمة عدد من الشعراء المُتواضعين. فقد نظم شاعر اسمه المَسْعُودي قصيدة بالفارسية، رُوِيَت لنا أبيات قليلة منها، رواها المُطَهَّر ثُمّ قال: «وإنما ذكرتُ هذه الأبيات لأني رأيت الفُرس يُعظّمون هذه الأبيات والقصيدة ويُصوِّرونها (ويصونُونها؟) ويَرْوونها كتاريخ لهم»[11] غير أنّ الأبيات القليلة الباقية منها إذا درسناها يَصْعب أن نرى فيها أكثر من نثر ومن مُجرّد تعداد مُقتضب لحُكّام خُرافيين وتاريخيين لإيران القديمة.

أما الكتاب الأوسع وغير الكامل الذي استند إليه الفِرْدَوْسي، فهو لِدَقيقي (ألّفه بين سَنَة 960 و980هـ)، وتَذْكر بعض الرِّوايات أنّ دقيقي كان زرادشتياً.

---

(9) تُوجد مُلاحظة طويلة على هامش مخطوطة البودليان من كتاب **دُرَّة الأسلاك** (أعلاه ص228، هامش 7) ص24ب، وهي عن فتح هُولاكو لبغداد، يبدو منها أنها تُشير إلى أنّ القُرّاء اعترضُوا على قلّة المعلومات والحقائق.

(10) Francis Bacon, «*The Advancement of Learning*», in *Speaking about Poetry*. عند الكلام عن الشعر.

(11) انظر: المُطَهَّر: **البدء والتاريخ**، ج3، ص138 و173 (الترجمة: ص143 و176). =

فإذا صحّ ذلك، فإنه لا يصحّ اعتباره من المُؤرّخين المُسلمين، غير أنّ المرء قد يَرتاب في وضع الشّاهنامه نفسها من ضمن التأريخ الإسلامي، نظراً لأن هدفها الوحيد هو تمجيد بطولة إيران القديمة وعَظَمتها، غير أنّ كتابة الفِرْدَوْسي ومشاعره كانت إسلامية لدَرَجة لا تقلّ عن بعض المُؤرّخين أمثال مِسْكَوَيْه. ولقد وصل تاريخ الماضي إلى الفِرْدَوْسي على شكل قِصص وأساطير، ولم يكن من واجبه تمحيص وقائعه. وتكثر في كتابه أخبار شَجاعة الأبطال ذوي القوة الخارقة، وعِفّة النساء رائعات الحُسن والخَوَنة الوضيعين والمُحاربين المُخلصين. لقد صَوَّر كُلّ أولئك الأشخاص بتعابير قليلة، لكنها قريبة الشبه بالصُّوَر الحيّة. لقد كانت مأساة الإنسان وجمال العالم، والحُكم المُفكّك الذي تصدره الجريمة على مجرى التاريخ، كُلّها موضوعات لعدد من الحوادث المُثيرة التي يربطها الشاعر مع بعضها ربطاً ضعيفاً، ويكوّن منها قصيدة ضخمة.

وقد قُلّدت الشّاهنامه مَرات في بلدها واستُفيد من شكلها في مواضيع روائية مُختلفة، واستُعملت أحياناً أيضاً في القسم الشرقي من العالم الإسلامي لعَرْض التاريخ الإسلامي[12]. وقد اعتَرَف الكُتّاب العرب بشيء من الغصّة بعظمتها

= Huart (Paris 1899-1919) *Publications de l'École des Langues* or. vivantes, IVe serie vols. 16-18, 21-23).

انظر أيضاً الثعالبي، **الغُرَر في سِيَر مُلوك الفُرْس**، ص388 (زوتنبرغ باريس 1900م).

يذكر المُطَهَّر ثلاثة أبيات من هذه القصيدة:

نخستين كيومرت أمذ لشاهى — كرفتش بكيتي درون بيش كاهى

جوسى سالى بكينى باذ شابوذ — كى فرمانش بهر جاي روابوذ

(ج 3، ص138).

سبرى شذ نشان خسروانا — جو كام خويش راند ندرر جهانا

(ج 3، ص173).

(12) عن **ظفرنامه** لحَمْد الله المُسْتَوفي، التي أُكملت سَنَة 735هـ ـ 1334م. انظر:
Storey, *Persian Literature* II, 81ff.

لقد كانت هذه الصورة مُنتشرة لدرجة أنّ مُؤلّفاً يهودياً من أهل القرن السابع عشر اسمه باباي كان يتمكّن من استعمالها، انظر:

W. Bacher, in *Revue des Ét. Juives*, LI-III (1906 f.).

وانتشارها[13]، غير أنّ بَقِيَة العالم الإسلامي لم يُنتِج قطّ ما يُوازيها.

ظلَّت مُعالجة التاريخ بِمَلَاحم شِعْرية مجهولة في الأدب العربي، أو في الأقل إنّ المُحاولات القليلة في التأريخ الشعري التي جَرَت في القرن التاسع (انظر أدناه) لم تُنتِج أيّ مَلَاحم شعرية[14]، فكانت معرفة التاريخ تُعتبر زَخْرفة للمنتوجات الشعرية، غير أنها لا تزيد في ذلك على حِكَمِيّات حُكَماء الماضي[15]. وكثيراً ما كانت الحوادث المُعاصرة المُهمّة مادّة للشعراء. فالأحداث العسكرية المجيدة قد تستثير الشاعر للنَّظْم عندما تُؤمّل جائزة مادية ممّن لَعِب دَوراً رئيساً في تلك الأحداث.

كما يُمكن جعل الحوادث التاريخيَّة موضوعاً لقصائد هجائية مُقْذِعة، كانت كالهِجاء القديم، سِلاحاً مُهمّاً في الصراع بين الأحزاب المُتنافسة[16]. كما أنّ أثر التاريخ على الأحداث المُعاصرة يُمكن أن يُصوَّر في قصائد مديح أو رثاء تَبَعاً للأحوال والظُّروف[17]، وكُلّ هذه الأشعار ذات قِيمة في فهمنا لتاريخ عصرها،

---

(13) **قرآن العامة**، انظر: ضِياء الدين ابن الأثير، **المَثَل السائر**، ص503 (بولاق 1282هـ).

(14) لقد بَحَثَ ج. فون غرونباوم في هذه الأشعار، وأشار إلى أنّ صُورة الشعر المُستعملة فيها قد تكون مُستعارة من المصادر الفارسية.
«On the Origin and Early Development of Arabic Muzdawij Poetry», in *JNES*, III, 9-13 (1944).
ولعلّ بعض السابقين **لشاهنامه** الفِرْدوسي أثَّروا في المُحاولات التاريخيَّة لشعراء العربية. وقد يكون من المُهمّ بهذه المُناسبة، أن نذكر أنّ المُؤرّخ البَلاذُري تَرْجم **عهد أردشير** شعراً (؟) على ما يذكر **الفِهرِست**، ص164 (طبعة القاهرة 1348هـ، ص113، طبعة فلوجل)، وممّا تَجدر الإشارة إليه أيضاً أنّ بعض التحقيقات في الأُمور الفلكية وُجدت بتأثير أجنبي (هِندي) واستعملت نوعاً خاصاً من النَّظْم. انظر مُقتبسات منها في: البِيروني **إفراد المقال في أمر الظلال** (حيدرآباد 1367هـ ـ 1948م)، وكذلك **تَمْهِيد المُسْتَقَرّ لتحقيق معنى المَمَرّ** (ص26) (المطبوعة نفسها).

(15) الحصري: **زهر الآداب**، ج1، ص96 (القاهرة 1305هـ على هامش العقد لابن عبد ربه).

(16) انظر مثلاً شعرَ القفّال ضد نَقْفُور فُوكاس (انظر الكُتُب التي ذكرها بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص307، ج3، ص1200) أو نَمُوذَجاً أصغر من زمن الصليبيين في **الخِطط** للمَقْريزي، ج1، ص223 (بولاق 1270هـ).

(17) انظر مثلاً: =

غير أنَّها لا تُكوِّن تاريخاً بأيّ شكل كان، ولم يَنْظر الشُّعراء عند بحثهم للحوادث، إلى أهمّيتها التاريخيَّة، وهذه قضية مُؤكّدة، اللهمَّ إلا إذا أثبتت العكس دراسة شاملة لها. ولا شكّ أنّ مثل هذه الدِّراسة أمر ضَرُوري جداً.

إنّ القِيمة التي يجدها الشاعر المُسلم في استعراضه السريع لتاريخ العالم هي عدم ثبات كُلّ العظمة الإنسانية. إنّ مَغْزى الحوادث سيكون في ذِهْن الشاعر الذي يَنْظر إلى التاريخ، سواء أكان قد عاش في الأندلس في أوائل القرن الثاني عشر، كابن عَبْدُون[18]، أم عاش في أواخر ذلك القرن في اليمن كَنَشْوان بن سَعِيد مُؤلِّف القصيدة الحِمْيَرية المشهورة[19].

لقد أَقْدَم شُعراء كِبار، مع شيء من التردّد، في العصر الذَّهبي للأدب العربي، على تجربة مَهَارتهم في مَوضُوعات تاريخية. فَيُروى أنّ يَحْيَى بن الحَكَم الغَزال نظم رَجَزاً عن فَتْح الأندلس في النصف الأول من القرن التاسع[20]. غير أنّ هذا الرَّجَز لم يبقَ، ولا تُوجد أية دَلَالة على أنّ المُؤلّف قد أُودع في هذا

= J. De Somogyi, «A Qaṣîda on the Destruction of Baghdad by the Mongols», in *BSOS*, VII, 41-8 (1933-5).

وهي من شعر لأبي اليُسْر إسماعيل بن إبراهيم (بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص458). وقد لَاحَظ المُؤرّخون المُحْدَثون لإسبانيا الإسلامية، بصورة خاصة، أهمّية هذه الأشعار كمصادر تاريخية وخصَّصوا لها عدداً من الدِّراسات. انظر:

E. García Gómez, 'La «Qaṣîda Maqṣûra» del Qartajanni' (d. 684-1285), in *Al-Andalus*, I, 81-103 (1933);

E. Levi Provençal, 'Un «Zaŷal» Hispanique sur L'expedition Aragonaise de 1309 Contre Alméria', in *Al-Andalus* VI 377-99 (1941).

(18) انظر عن شِعره المشهور بروكلمان: ج1، ص271، **الملحق**، ج1، ص480.

A.R. Nykl, *Hispano-Arabic Poetry* 176f. (Baltimore 1946).

وقد وَرَدَ النَّص العربي في ص299-302 أيضاً من طبعة القاهرة (1340هـ) لشرح ابن بَدْرُون **كِمامة الزَّهر**.

(19) انظر:

R. Basset, *La Qaṣidah Ḥimyarite* (Alger 1914).

I. Goldziher, *apud* C.H. Becker, *Islamstudien*, I, 519 (Leipzig 1924).

(20) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص148. المَقَّري: **نَفْح الطِّيب**، ج1، ص178، ج2، ص123 طبعة دوزي وآخرين (ليدن 1855-61م).

É. Levi-Provençal, *Islam d'Occident*, 91 ff. (Paris 1948).

الرَّجَز عبقرية شعرية، كما أنّ الشعر الذي نظمه أبو فراس في مدح أعمال أجداده لم يكن دافعه الاعتبارات التاريخيّة[21]. لكننا نَجِد، من ناحية أُخرى، أنّ ترجمة المُعْتَضِد التي نظمها ابن المُعْتَزّ كانت تجربة طريفة جداً لتطبيق الصُّوَر المألوفة للشعر العربي على نَظْم قصيدة تاريخية طويلة مُؤلّفة من 419 بيتاً.

لقد كان ابن المُعْتَزّ يُدرك أنّ مُحاولته تختلف عن الشعر العادي الذي كانت تُنظمه العرب، لكنه لم يستطع التحرّر من قُيود تقاليد الأدب النثري، لذلك بدأ أبياته بالبَسْمَلة والخُطبة التي تُفتتح بها جميع كُتُب النثر. أما النهاية فقد أُضيفت بعد إكمال الشعر، وكانت مُقتصرة على سَطْرين من النثر المنظوم، يُؤكّد أحدهما تاريخ وَفَاة المُعْتَضِد، ويُعلّق الثاني على عدم ثَبات الحياة البشرية. أما مضامينها العامة، فهي وَصْف الأحوال المُضطربة قبل المُعْتَضِد وعظمته، ورُعونة أعدائه. لقد وُفّق ابن المُعْتَزّ إلى وَصْف كُلّ ذلك بأُسلوب المدح الرائع للمُعْتَضِد والهجاء المُقذع لأعدائه.

لقد كانت هذه الأُرْجوزة مُؤلّفة من مَقْطوعات مُستقلَّة ليس بينها أية رابطة داخلية، قائمة بذاتها[22]، كما أنّ ابن المُعْتَزّ لم يُظهر شخصية المُعْتَضد وأعماله من طريق سَرْد الحقائق التاريخيَّة، غير أنّ التواريخ العادية لا تَفُوقها في هذا المضمار. لقد كان من مَزايا ابن المُعْتَزّ اختياره أشكالاً من الشعر تُلائم في منطقها الأخبار التاريخيَّة المكتوبة بالطريقة التقليدية، وهو المديح والهجاء، وهذا اختيار مُوفّق وإنجاز غير هَيِّن... وقد نفَّذ الشاعر خُطته بمهارته الشعرية وبراعته المعروفة، وخاصة اختيار الكلمات والعِبارات، غير أنه من سُوء الحظ استخدم وَزْن الرَّجز العادي والتصريع، نظراً لأن الشعر العربي كان يميل لاعتبار القافية

(21) بروكلمان. **الملحق**، ج1، ص144.
انظر أيضاً مُقارنة د. سي مارغليوث بين شعر أبي الفِداء ومِسْكَويه في الفصل القَيِّم الذي كتبه عن «الشعر كأداة للتاريخ» في كتابه.
D.S. Margoliouth's *Lectures on Muslim Historians*, 59-81, (Calcutta 1930).

(22) انظر مُلاحظات سي. لانغ لطبعته أشعار ابن المُعْتَزّ وترجمته إياها في نشرة **أُرجوزة ابن المُعتز**.
ZAMG, XI, 536-611 (1886), XLI, 232-79 (1887).

في آخر البيت خاتمة وحدة الفكرة والتعبير. أما أُرجوزة ابن المُعْتَزّ، فقد أصْبَحت الأبيات فيها أَقْصر من أن تكفي للتعبير عن فكرة مُتماسكة، وبذلك تحوّلت القصيدة بأجمعها إلى جُمَل قصيرة، مُقتضبة مُمِلّة.

يَصْعب القول بأن ابن المُعْتَزّ اخْتَار هذا الشكل لعدم إمكان التزام القافية الواحدة في قصيدة واحدة مُكوَّنة من مئات الأبيات باعتبار أنه قد أدرك ما أكّده النُّقاد المُتأخّرون فيما بعد من أنّ القصائد الطويلة لا بدَّ من أن تشمل عدداً من الأبيات الرديئة[23]. وقد يكون سبباً ثانوياً، أما السبب الحقيقي، فإذا لم نُرِد أن نَعزوه إلى أثر التواريخ الفارسية المنظومة[24]، فقد يبدُو لنا أنّ سُهولة الوزن والقافية أكثر مُلازمة للموضوعات النثرية. إنّ تأثير الجَرْس جعل ذلك النوع من الشعر يُلْصق بالذاكرة، ويُكَوِّن شكلاً مُلائماً للتعليم لأن أوزانه تُساعد الذاكرة. واستعمال ابن المُعْتَزّ إياه، بُرهان على أنّ التواريخ المنظومة المُتأخّرة كانت كالتواريخ المُتأخّرة المَسْجوعة صُوراً عادية لمُحاولات قديمة مُعتبرة لصبّ المادّة التاريخيَّة في أحد القَوَالب الفنّية.

وقد سَبَق ابن المُعْتَزّ بعِدّة سَنوات شاعر آخر هو عليّ بن الجَهْم الذي كتب في تاريخ العالم حتى عصره رجزاً كُشِف أخيراً[25]. وقد ذيَّل أحمد بن محمد الأنباري قصيدة ابن الجَهْم[26]. وتُظهر بعض أبيات الأنباري أنّ القصيدة كانت مُجرّد تَعداد للخُلفاء، وأخفّ من قصيدة ابن المُعْتَزّ وهي غير جديرة بشاعر موهوب كعليّ بن الجَهْم. وهُناك أبيات عُرفت من قبل من مطلع القصيدة، وتبدو فيها رَكاكة الشعر:

---

(23) انظر: ضِياء الدين بن الأثير، المصدر السابق، (أعلاه: ص231، هامش 13).

(24) انظر أعلاه: ص231 هامش 14.

(25) نُشر كمُلحق خاص لديوان ابن الجَهْم الذي طَبَعه خليل مَردم بك (ص228-30) (دمشق 1369هـ/ 1949م).

(26) ياقوت. **إرشاد**، ج4، ص197 وما بعدها (القاهرة، ج1، ص62، طبعة مارغليوت) وهو يرى أنّ مُؤلّف الذيل على عليّ بن الجهم هو أحمد بن محمد بن شيخ نفسه، غير أنّ الزَّعم بأن المُؤَلِّفَيْنَ هُما شخص واحد يتطلّب التأييد من المصادر المُستقلّة. فقد تُوفّي ابن شيخ سَنَة 307هـ/ 919م على ما يقول الخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، =

ثـم تَـنَـاسَـلا وأحـبـا الـنَّـسْـلا   فَـحَـمـلَـت مـنـه حـواء حَـمْـلا
وَوَلَـدَت ابـنـاً فـسـمـى قـايـنـا   وعـايـنـا مـن أمـره مـا عـايـنـا[27]

وإنّ النصّ الكامل لا يُحسِّن الانطباع الذي حصلناه من المُقتطفات المعروفة من قبل.

أما التواريخ الشعرية فيما بين القرنين التاسع والعاشر، فيبدو أنها احتفظت عَادة ببعض الوِقَار الذي رفعها فوق مستوى تمارين الذاكرة، ومن سُوء الحظ لم يبقَ شيء من المُؤلَّف الأول الذي ألّفه تَمّام بن عامر بن عَلْقَمة عن تاريخ الأندلس[28]. أما الأُرجوزة الطويلة التي وُصِف بها ابن عبد ربه حُكم عبد الرحمن الثالث في الأندلس وحَمَلاته العسكرية، فقد كانت مُحاولة لتقديم أخبار تامة بأُسلوب أدبي مُناسب، إن لم يكن شعرياً. وقد اتَّبع المُؤلّف فيها التنظيم الحَوْلي، وأضاف أَسطُراً نَثْرية فيما بين الأبيات[29]. ولو قارنّا ابن عبد ربه بابن المُعْتَزّ، لرأينا بوضُوح الفَرْق الكبير بين استخدام الأول للسَّجْع، واستخدام الثاني الأشكال الشعرية الأصيلة للموضُوعات النَّثرية. أما الأُرجوزة التاريخيَّة التي نظمها عبد الجبار المتنبي الجَزَري في القرن الحادي عشر، فلم تكن فيها مظاهر الشاعرية العميقة، وهي تُذكّرنا بابن الجَهْم، غير أنها تبدُو بمُقدّمتها الفلسفية نِتاجاً معقولاً لتاريخ منظوم[30].

= ج5، ص42 فما بعد، وليس في سَنَة 320هـ كما يَفترض ياقوت (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص123) على أساس اقتران جريء.

(27) انظر: المُطَهَّر: **البدء والتاريخ**، ج2، ص85 وما بعدَها (الترجمة ص75 وما بعدها هوارت، وهو يذكر سبعة عشر بيتاً منها هذان البيتان، أما المسعودي فيذكر في **المُروج**: ج1، ص19 (طبعة القاهرة 1346هـ) البيت الأخير بقراءة مُختلفة ويضيف له بيتاً آخر.

فـشَـب هـابـيـل وشـب قـايـنُ   ولـم يـكـن بـيـنـهـمـا تـبـايـنُ

(28) بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص148، 233.

(29) انظر **العِقْد**: ج2، ص288-302 (القاهرة 1305هـ).

(30) انظر: ابن بَسّام، **الذَّخِيرة**: ج1، قسم 2، ص31-404 (القاهرة 1316هـ-1942م).

ضَعُف تيار التواريخ المنظومة في القرن الثالث عشر ولم يَستعد نشاطه قطّ، وفي هذا القَرْن عاش الطبيب سَدِيد الدِّين بن رَقِيقة (ت 635هـ/ 1237-38م)، وقد وَصَفَه ابن أبي أُصَيْبِعة بقوله: «وقد جَمع صِناعة الطب ما تَفرَّق من أقوال المُتقدّمين، وتميَّز على سائر نُظرائه وأضرابه من الحُكماء والمُتطّببين، هذا مع ما هو عليه من الفِطرة الفائقة والألفاظ الرائقة، والنَّظم البليغ، والشعر البديع، ما له من الأبيات الأمثالية والفقرات الحِكمية؛ وأما الرَّجَز، فإني ما رأيت في وقته من الأطبّاء أحداً أسرع عملاً له منه، حتى إنه كان يأخذ أيّ كتاب شاء من الكُتُب الطبية ويَنْظمه رجزاً في أَسْرع وقت مع استيفائه للمعاني ومُراعاته لحُسن اللفظ»[31].

وإنّ الغَرَض التعليمي للتواريخ المَسْجوعة واضح، رَغْم أنّ أحد المُؤلّفين يقول: إنه التزم النَّظْم لمّا رأى فيه الإيجاز[32]. وكانت الأشعار أحياناً تُقطع بتعليقات نثرية تُخفّف من صُعوبة حَصر الموادّ التاريخيَّة المُعيّنة في أبيات منظومة. ومن هذا النوع **رَقْم الحُلَل في نظم الدُّوَل** لابن الخطيب، وهو يبحث في الأنبياء والخُلفاء لكنه يُخصّص مُعظم مُحتوياته لدُوَل المغرب. وهو مَثَل طَيِّب يُظهر كيف أنه حتى ذَوُو الذوق الأدبي والفَهم التاريخي لم يعُودوا قادرين على تحسين شكل التواريخ المنظومة، فكانت قصائدهم تحوي عادة قائمة من الأسماء والحقائق المُجرّدة، كُلّها مُلائمة للذاكرة...

أما المُقدّمة فقد ظلَّت نُسخة مُشابهة لمُقدّمات التواريخ المنشورة[33]، ولم يحذفُوا المدح المألوف لأهمّية التاريخ[34]. بل حتى المصادر التي تستند عليها

---

(31) ابن أبي أُصَيْبِعة، ج2، ص220، طبعة مولر.

(32) ابن دانيال. انظر: السيوطي، **حُسْن المُحاضرة**، ج2، ص139 (القاهرة 1299هـ).

(33) انظر ما قلناه عن ابن المُعْتَزّ أعلاه: ص233 وما بعدها.

(34) انظر ابن الخطيب: **رَقْم الحُلَل**، مخطوطة باريس ar. 5026، ص2أ (أما مطبوعة تونس 1316هـ التي ذكرها بروكلمان، ج2، ص262 فلم أَستَطع الحُصُول عليها)، الباعُوني في السَّخاوي، **الإعلان**، ص15 و95 أدناه قسم 2، ص217 و336. الغُمْري، المصدر الآنف، ص45، هامش1.

القصيدة كانت تُوصف نَظْماً[35]، ومن الأمثلة على ذلك أرجوزة الغُمْري التي يقول فيها:

وبعدُ فالتاريخ علم يُرْتَضى   يُفيد من يسأل عمّا قد مَضَى
لا سيِّما معرفة الأخبارِ   في الدَّهْرِ والأَنْساب والأعمارِ
والحُكْم والدُّيُون والإجارهْ   ومُدّة الأُمراء في الإمارهْ
فإنه مَدار كُلّ عِلْمِ   عليه للحافظ رَبِّ الفَهْمِ
عن الإمام الشافعي نُقِلا   مَنْ يَحْفَظِ التاريخَ زاد عَقْلا
ولفظةُ التأريخ سُرْيانيهْ   مَعْناه ضَبْط الشيء بالعَرَبيهْ
في يَومِهِ وشَهْرِه وعامِهِ   ليَحْكُموا بالنَّقْصِ أو إبرامِهِ
إذ كُلّ علمٍ وله ضوابطُ   لا بدَّ منها، وله روابطُ
وكُنْتُ مشغُولاً بهذا العِلْمِ   لكونِهِ مِنْ أكْبَرِ المهمِ

■ ■ ■

جَمَعْتُه من كُتُبٍ عديدهْ   جَليلَةٍ صالِحةٍ مُفيدهْ

■ ■ ■

أول مَنْ أرّخَ في الإسْلامْ   محمدٌ النبيّ عليه السَّلامْ
سمَّيتُها ذَخِيرة الإعْلام   تاريخ أُمراء مصر في الإسْلامِ
أول باب الخُلَفاءَ يَذْكُرُ   والثاني عن أُمراء مِصْر يُخْبِرُ
خاتِمةُ الكتاب قَدْ اقْتَصَرتْ   على قَضاء قُضاة مِصْرِ حُصِرَتْ[36]

---

(35) انظر: الصَّفدي: **التُحفة**، وقد استعملتُ مخطوطة باريس ar. 2827 (مُصوّرة: القاهرة، تيمور، تاريخ، 102) انظر أعلاه: ص221، الغُمْري المذكور أعلاه. لقد أشار عليّ بن الجَهْم في قصيدته عن خلق العالم، إلى مصادره بتفصيل، وهم في رأيه رُواة مُعتمدون. انظر: عبد الجَبّار: المصدر السابق.

(36) الغُمْري. المصدر آنف الذكر، ص45.

ويتجلّى الطابع الشعري في المنظومة من أُرجوزة الشمي محمد بن أحمد الباعُوني الدمشقي **تُحفة الظُّرفاء في تواريخ المُلوك والخُلفاء** وَقَف فيها عند الأشرف بَرْسْباي قال في أولها:

وَبَعْدُ فالتاريخُ عِلْمٌ ساميةٌ شُرْفُهْ عاليةٌ بَيْنَ الأَنامِ غُرْفُهْ

فيه بما فيه من المنافعِ حتى لقد قال الإمام الشافعي

في خَبرٍ قَدْ صَحَّ عَنُه نَقْلُهُ مَنْ حَفِظَ التاريخَ زادَ عَقْلُهُ

وَهْوَ كلامٌ ظاهِرٌ في جَهْرِهِ لا شَكَّ في صِحَّتِهِ وسِرِّهِ

وهذا بعض هذه الأُرْجوزة، وهو قليل من كثير، ولعلّ باقيها لم يُنشر قطّ، وبعض الأراجيز معروفة من سِياق الكُتُب التاريخيَّة[37] الكبيرة، كالأُرْجوزة القصيرة عن العباسيين التي ذكرها ابن كثير في آخر كتابه **النهاية**[38]، وشعر ابن دانيال عن قُضاة مصر وقد نقلها السُّيوطي في كتابه **حُسْن المُحاضرة**[39] والتي يُمكن أن تُوجد أيضاً في كتاب **رفع الإِصْر** لابن حَجَر[40].

(37) السَّخاوي، **الإعلان**، ص95.
(38) ج13، ص206 فما بعد حوادث سَنَة 646هـ.
(39) ج2، ص42-138، **وذيل للسُّيوطي**، ص142 وما بعدها (القاهرة 1299هـ).
(40) طبعة حامد عبد المجيد وإبراهيم الأبياري، ص2 فما بعد (القاهرة، 1957-61م).

الفصـل السابـع

القِصَّـة التاريخيَّة

من الحقائق المُهمّة جداً هي أنّ الرِّواية في الأدب العربي تتمثّل إلى حدٍّ كبير بالرِّواية التاريخيَّة. وقد نظر المُتعلِّمون المُسلمون دائماً إلى الرِّوايات التاريخيَّة والقِصَص الأُخرى، كإنتاج بِدائي. والواقع أنّ هذه الرِّوايات والقِصَص كانت من حيث العُمُوم هزيلة بالنسبة للمنتوجات الأدبية الإسلامية الجيدة، سواء في أشكالها الفنّية أو في المُستوى الفكري لمُحتوياتها[1]. غير أنّ مُجرّد وجودها وشعبيتها دليل على الشعور التاريخي القَوي عند الشعوب الإسلامية. فمن خلال هذه الروايات نَفَذَ التاريخ إلى أعماق قُلوب الناس، ومن خِلالها تعلّم الأطفالُ الإسلامَ كظاهرة تاريخية.

فالأُميُّون إذا أَصغوا إلى القَصّاصين في الطُّرُق، استطاعوا أخذ فكرة عن التاريخ الإسلامي، أما القادرون على القِراءة وعلى شِراء الكُتُب، فقد كان أكثر ما يقرأون الرِّوايات والقِصَص، اللهمَّ إلا القرآن. ولعلّ التاريخ العربي لم يكن أقل بُروزاً في التعبير عن الاستطلاع الفكري دون وجود أُخته المُتواضعة، الرِّواية التاريخيَّة، لكن كان أقلّ إمكانية من أن يُصبح أداة لجعل التاريخ جُزْءاً من الخبرات الفكرية لكلّ مسلم.

لقد كانت الرِّواية التاريخيَّة الإسلامية في أصلها من منتوجات الجزيرة

---

(1) لن تَعدل هذه العِبارة على أساس أنّ هذه الكُتُب هي مصادر لا تُثمّن لفهم نفسية الرجل العادي في الإسلام وآماله. والقِيمة الأصيلة لأي كتاب أدبي ينبغي ألّا تقتصر على قِيمته كمصدر للأخبار فقط دون أن يَرتبط بمصيره الأصلي.

العربية، بِصَرف النظر عن وجود مقدار كبير من الأدب التاريخي الفارسي الذي عرفه المُسلمون، وسُرعان ما اعْتَبَروه أُسطورة[2]. وفي مراحلها الأُولى، كانت قد سَبَقَت تَبَلور العلم والأدب الإسلامي، فقد وُجد هذا النوع من الرِّواية الأدبية عندما بُدئ بكتابة الأدب الإسلامي، ثم صار جُزْءاً من الأدب التاريخي الذي لم يَعُدْ يَنقله القَصّاصون، بل أصبح يَنقله العُلماء كتابةً أو مُشافهةً دون أن ينتبهوا إلى أُصوله القَصَصية.

لقد كان تاريخ اليمن الأُسطوري مادة هذه الرِّوايات، وعن طريقه أصبحت لليمن مكانة قوية في الأساطير الإسلامية كمركز مُفضّل للروايات. ورُبّما كانت الحِكَم اليَمانية صَدى غير يماني للشعور الوطني اليماني[3]، إذ يَتصل أصلها بأسماء كوَهْب بن مُنبّه[4] الذي قد يكون رَوَى فعلاً عن المُؤرّخين الأوّلين بعض أخبار اليمن، وكذلك عَبِيد بن شريّة وابن القِرِّيّة اللذين كانت قِيمتهما التاريخيَّة أقلّ منهم جداً[5]، وقَد اسْتُخْدم في هذا الأمر أيضاً اسمُ عامر الشَّعْبي الراوية القديم الذي جعلته الأساطير المُتأخّرة شيخ العلم الإسلامي.

---

(2) انظر الفصل المكتوب عن الأسمار والخُرافات، **الفِهرست**، ص422 وما بعدها (القاهرة 1348هـ ـ 304 فما بعد، طبعة فلوجل)، ومن المَشكُوك فيه أن يكون المُسلمون قد عَرِفوا قبل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي عناوين الرِّوايات الإغريقية ـ الرومانية التي وضعت مجموعة معاً في **الفِهرست**، ص425 (305 وما بعدها، طبعة فلوجل)، ومن المُحتمل أنهم مُتأخرون بقَرْن عن الكُتُب الرِّوائية الفارسية.

(3) لقد جَذَبَ ج.ل. ديلافيدا انتباهي إلى أنه اشتغل على المخطوطات المَنسوبة للأصمعي الموجودة في باريس والتي ذكرتها في بحثي المنشور في:
JAOS, LXIX, 90ff. (1949), cf. *Orientalia*, N.S., IX, 164, n. 2 (1940).
وهو يُؤيّد النظرية القائلة: إنّ الأدب شبه التاريخي اليَماني ينبغي أن تُبحث أُصوله في اليمن حيث كان الأدب شائعاً كما يتجلّى من الأُصول اليمانية للمخطوطات التي تبحث فيها.

(4) انظر أدناه: قسم 2، ص400.

(5) عن عَبِيد، انظر بروكلمان **الملحق I**، ص100، الطبعة الجديدة. وليس أكيداً أنّ اسمه عَبِيد أو عُبَيْد. وانظر المراجع التي ذكرت أعلاه: ص78، هامش رقم 89، وص94، هامش 145. أما عن ابن القِرِّية، فانظر أيضاً:
Harun Mustafa Leon, «Ibnu'l-Ḳirriya, the Desert Orator», in *Islamic Culture*, II, 59-347 (1928).

ومن بين الشخصيات الأدبية التي نُشرت باسمها الموادّ، نجد الأصمعي مصدراً للمعلومات اللُّغوية، وابن هشام للمعلومات التاريخيَّة؛ ولم يُهمل ابن المُقَفَّع[6]، ولم يكن مجهولاً وُجود مُعظم هذه المادّة في القرن التاسع، بالرَّغْم من بعض الإضافات المُتأخّرة. ومن حيث العُمُوم قُبلت هذه القصص كُلّها كتاريخ، وعلى هذا الأساس رُويت، مع بَقِية تاريخ اليمن قبل الإسلام. أما قِيمتها التاريخيَّة، فقد كان الشكّ فيها أقلّ منه في[7] رِوايات الفُتوح ونَسَبتها إلى الواقِدي.

فَقَدَت هذه الرِّواية التاريخيَّة القديمة كِيانها المُميّز، في التاريخ العام، بينما احْتَفَظَت المرحلة الثانية من الرِّواية التاريخيَّة بخواصّها حتى اليوم، وهي تتمثّل بمجموعتين من الكُتُب: الفُتُوحات التي ذَكَرْنَاها أعلاه، والتي تبحث في تراجم روائية لأبطال أو شُعوب سواء أكانت صحيحة من وِجهة تاريخية أم غير صحيحة[8].

(6) عن كتاب مُلوك العرب المَنْسوب إلى الأصمعي (أو الوَشّاء؟) انظر: JAOS, LXIX,) (1949) 90, f.) كتاب التيجان المنسوب لابن هشام فقد طُبع في حيدرآباد 1347هـ. وقد ذكر ابن المُقفّع في نهاية الأرب انظر: ص52، هامش 6.

(7) يقول المسعودي عند كلامه عن إرَم ذات العِماد: «وقد تَنَازع الناس في هذه المدينة وأين هي ولم يصحّ عند كثير من الإخباريين ممّن وفد على مُعاوية من أهل الدراية بأخبار الماضين وسِيَر الغابرين من العرب وغيرهم من المُتقدّمين فيها الأخير عَبِيد بن شريّة وإخباره إياه عما سلف من الأيام وما كان فيها من الكوائن والأحداث وتشعّب الأنساب. وكتاب عَبِيد (أو عُبَيْد) بن شريّة في أيدي الناس مشهور، وقد ذَكَر كثير من الناس ممّن له معرفة بأخبارهم أنّ هذه الأخبار موضوعة مُزخرفة مصنوعة نظمها مَنْ تقرَّب إلى المُلوك بِروايتها وحال على أهل عصره بحفظها والمُذَاكرة بها، وأنّ سبيلها سبيل الكُتُب المنقولة إلينا والمُترجمة لنا من الفارسية والهِندية والرُّومية سبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانه وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خُرافة، والخُرافة بالفارسية يُقال لها: أفسانه والناس يُسمّون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرازاد ودينازاد، ومثل كتاب فرزه وسيماس وما فيها من أخبار مُلوك الهند والوُزراء، ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكُتُب في هذا المعنى (مُروج، ج4، ص89-90، طبعة باريس).

(8) إنّ مراجع بروكلمان، ج1، ص136، ج2، ص6 (الطبعة الجديدة، ج1، ص142، ج2، ص74. الملحق، ج1، ص28، 616، ج2، ص5-63) تُقدِّم كُلّ ما يحتاجه المرء من مصادر في الكُتُب الدِّينية، وتُوجد مثل هذه الكُتُب الرِّوائية أيضاً في الفارسية والتُّركية.

وقد وصل سيل الإبداع الرِّوائي التدريجي أوسع حُدوده في زمن الصليبيين، وظلَّ نَشِطاً في مصر في القرنين الرابع والخامس عشر حيث أَبْدَعَت بعض الرِّوايات **سيرة بَيْبَرس وسيرة سيف بن ذي يَزَن**[9]، غير أنَّها أخذت بالتناقص مع انحطاط النشاط الأدبي والسياسي في العالم الإسلامي في أواخر العصور الوسطى[10]. إلا أنّ الاهتمام السَّلبي بالرِّوايات التاريخيَّة ظلَّ حيّاً، كما يبدو ذلك مثلاً من أنّ المخطوطات القديمة للرِّوايات تبدو نادرة جداً، ولم تَعُدْ هدفاً لجامعي الكُتُب، بل كانت تُقرأ فتبلى ثم تبدل، فمخطوطات مجموعة شبرنغر في برلين ترجع إلى القرن السابع عشر، لكن أغلبيتها من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ويبدُو أنه لم يُمكن جَمْع شيء أقدم من ذلك في أيام شبرنغر[11]. أما في زماننا، فإن الطبعات الرخيصة المُتعدّدة من كُتُب الفُتُوح، ونجاح أفلام روايات عنتر، فإنها تدلّ على استمرار شعبية التقاليد الرِّوائية.

إنّ جُذُور هذا التقليد مُتّصلة اتّصالاً متيناً ببداية التاريخ الإسلامي. لقد لَاحَظ النقد التاريخي الحديث أنّ مُؤرّخي الفُتوح الأوّلين، كسيف بن عمر وأبي حُذَيْفة، مهّدوا الطريق لروايات الفُتُوح، كما أنَّهم بعَرْضهم الروائي المُلوّن للأحداث جعلوا بعض المُؤرّخين كالطَّبَري يُقدّرون أعمالهم بأكثر ممّا تستحق. ومن بِداية الألف الثاني أكّدها بوضوح وجود القِصَص كسيرة عنترة[12]، وأنّ بعض القِصَص كـ **سِيْرة بَيْبَرس**، يُمكن تعيين تاريخها من مُجرّد مُلاحظة عنوانها.

---

(9) انظر عن الأولى، دراسة هـ. ڤانغلَين (شتوتغارت 1936م). أما عن تاريخ الأخير، فانظر:
R. Paret, *Saif ibn Dhi Jazan, ein arabischer Volksroman* (Hannover 1924).

(10) انظـر:
R. Paret, *Die Geschichte des Islams in der arabischen Volksliteratur*, 20f. (Tübingen 1927, Philosophie und Geschichte, 13).

(11) انظـر:
W. Ahlwardt, *Verzeichniss der arabischen Handschriften* vol. VIII. (Berlin 1896). *Die Handschriften - Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin* 20.
انظر أيضاً:
R. Paret, *Die Legendäre Maghazi-Literatur* (Tübingen 1930).
ويشير باريت (ص124) بصورة غير جازمة إلى مخطوطة في القاهرة نُسخت، على ما يذكر فِهْرِست القاهرة، في سَنَة 846هـ/ 1442م.

(12) بروكلمان. **الملحق**، ج2، ص63.

وما عدا أمثال هذه، فإن التحليل الأدبي لها يستطيع وحده إعطاءنا بصيرة أحسن في تاريخ الرِّوايات الأَوَّل، اللهمَّ إلا إذا استطاع الأدب العربي إبداء إشارات أَدَقّ عن وجود هذه الرِّوايات في تاريخ أَقْدم أو عن الشكل الذي كانت فيه آنذاك. غير أنه من الخَطَر افتراض تاريخ مُعيَّن جداً لعناصر مُعيَّنة تختارها من مُحتوياتها[13]، نظراً لأن القصّاصين يستمدّون بعض مادّتهم من الكُتُب التاريخيَّة.

أما الإسهاب الزائد في بعض الرِّوايات فَيَرجع إلى عملية تكامل مُستمرّة، اسْتَغْرقت في الفُتُوح أمداً أَطْول ممّا استغرقته الرِّوايات الباحثة في بعض الأبطال المُحْدَثين. أما زَمَن استقرار الرِّواية على شكلها الأخير الذي نقرأها به اليوم، فرُبّما يُمكن تقريره تقريباً بجَمْع كافة المخطوطات الباقية ومُقارنتها، ودراسة الاختلافات بين نُصُوصها، لكن نَظَراً لحداثة تاريخ مُعظم المخطوطات، فقد لا يُمكن الوصول إلى نتائج قاطعة بهذه الطريقة.

أما عَنَاصر الصُّوَر المُكوِّنة لمُحتويات الرِّواية التاريخيَّة، فهي نفسها في تاريخ الخبر. لكن يبدُو أنّ حوادث الأفراد تجري فيما بينها بطلاقة أكثر ممّا في الكُتُب التاريخيَّة، والواقع أنه لا يُوجد أيّ تلكّؤ أو توقّف شأن جميع الروايات المُثيرة، قديمة أو حديثة، وأن لا تَظْهر لها أيَّة نهاية، فالخِطابات أطول وأكثر، والمعارك أَعْنَف ممّا في التواريخ الحقيقية، غير أنها قلّما تُوصف بالحيوية نفسها. أما الأماكن المحلّية، فإنها تُوصف بتعابير عامة جداً في الغالب، كما أنّ البناء الخُرافي يضم كلّ شيء، إذ إنه مُؤثّث بأنواع البُسُط والسَّجّاد، والأكسية من كُلّ لون، كما أنّ الأشجار فيها كُلّ أنواع الثِّمار[14].

ويَعتمد القَصّاص على خَيَاله الذي كثيراً ما لا يُسعفه، وكثيراً ما يُبقي على سِلْسِلَة مُختلفة من رجال السَّنَد التي تُبَيِّن مصدر كُلّ خبر، غير أنه يُلخّص أحياناً

---

(13) انظر: ر. باريت، المصدر السابق (ص257 هامش 10)، ص9 وما بعدها، غير أنه يَصْعب الاقتناع بقوله.

(14) انظر **فُتُوح البَهْنَسا**: (مخطوطة باريس، رقم ar. 1690، ص23ب ـ 24أ **فُتُوح اليمن** (مخطوطة باريس رقم ar. 1816، ص54أ).

مصادر الأخبار، فيجمع سَوِية جميع أنواع المُؤرّخين من مُختلف الأزمنة، وهذا أُسلوب رِوائي نَمُوذجي[15].

والشعر هو من أَهَم ما يُمزج بالرِّواية التاريخيَّة... وتتميّز الأشعار المذكورة في الرِّوايات بلُغتها السهلة التي تختلف عن الشعر العربي عُمُوماً بعدم الحاجة لمعرفتها إلى التبحُّر في دِراسة اللُّغة العربية. وكثيراً ما تجعلها سُهولتها جذّابة جداً للقارىء الحديث، لكن جَاذبيتها للمُسلم المُتعلِّم أقلّ، بل كان يُسمَح فيها باستعمال اللَّهجات المحلّية[16]، وكان السَّجْع مقبولاً في الرِّواية بالطبع، وهو يتخذ أشكالاً سَاذَجة كما يتجلّى ذلك من المُحادثة بين الرسول وعليّ:

الرسول ـ أين ابن عمي، يُفَرِّق الأحزان ولا يَذَر.

عليّ ـ لَبَّيْك لَبَّيْك، أنا بين يديك، وأدعو الله أن يُباركك[17].

وكثيراً ما تُعاد التَّعابير المألوفة مثل «وقام رسول الله فوقف على قدميه». أما الأحداث المُتكرّرة كَمَجِيء الصباح والمساء، فإن وَصفه كان يذكر دائماً في القِصّة، وهذا التِّكرار المُحبَّب لرُواة الملاحم، معروف لدينا منذ زمن هوميروس وأوغاريت حتى زمن الفِرْدَوسي وطَوَال العصور التاريخيَّة.

والرِّوايات، شأن الروايات الشعبية كافة، تحتوي على البطولة في الفُتُوحات، والبطولة وبعض الحبّ في السِّيَر[18]، واندِحَار الشر أمام صلاح البطل، وتضاءلت أمامه جميع الأخطار التي يستطيع التغلُّب عليها بجُهد قليل.

والعُنصر الذي يُميِّز القصص التاريخيَّة الإسلامية عن بقية قِصَص الأقدمين،

---

(15) انظر: **فتوح البَهْنَسا**، ج2، ص138 (في طبعة **فُتُوح الشام**. القاهرة 1354هـ/ 1935م).

(16) انظر: ابن خلدون. **المقدّمة**، ج3، ص362 ما بعدها (طبعة باريس) وطبعة أ.، بل لشعر من قِصّة بني هلال في:
JA, XI, 19, 289-347 (1902) 20, 169-236 (1902), X, 311-66 (1903).

(17) انظر: **فُتُوح اليمن** [لم أهتدِ إلى هذا النَّص في النُّسخة المطبوعة. المترجم].

(18) إنّ النِّسبة بين التاريخ والحبّ في الرِّوايات الإسلامية هي التي تُقرّر التمييز بين القِصَص التاريخيَّة وغيرها من القِصَص.

هو اهتمامها الكبير بالدِّين الذي يُعبِّر عن نفسه فيها جميعاً[19]، ويجعلها (وثائق عن التاريخ الدِّيني)[20] أكثر من أيّ شيء آخر، والبُطُولة في التاريخ تُظهر نفسها عند العُقول السَّاذَجة، في الحُروب، التي لا يُمكن أن تقوم بمُوجب النظرية الإسلامية إلا ضدّ الكُفّار، والواقع أنّ الحُروب الإسلامية المُستمرّة التي أثارت خَيَال العامة كانت مُوَجّهة ضد الكُفّار، سواء الحُروب الإسلامية الأُولى، أو الحُروب الدائمة مع الروم، أو مع الصليبيين. وقد يكون من الخطإ اعتبار سيادة الدِّين في الرِّواية التاريخيَّة مُجرّد نتيجة آلية للأحوال السياسية التاريخيَّة. ففي العُنصر الدِّيني تَتَلاقى الحياة والقِصَص، وبدُونها قد تبدُو الرِّوايات للمُسلم العادي عَقِيمة وغير واقعية، لذلك كان من الضَّروري جعل الشخصيات الجاهلية أسلافاً في الجهاد الإسلامي، وجعل عليّ بن أبي طالب بَطلاً عظيماً، وبذلك يَشعر الناس أنّ في هذا السلوك ما يُمكن أن يُقرّ الاقتداء بهم في تربيتهم الإسلامية. والخاتمة السعيدة الحقيقية الوحيدة التي يُمكن أن تحظى بها مخاطر البطل، هي عندما يُعلن الكُفّار اعتناقهم الإسلام.

إنّ وَصْفاً مُقتضباً لمُحتويات القسم الأول من فُتُوح اليمن المنسوبة إلى رجل يُدعى أبا الحَسَن البَكْري الذي اشْتَهَر بأكاذيبه[21]، قد يُفيدنا لتوضيح النغمة الأساسية للرِّواية التاريخيَّة في الإسلام. تبدأ فُتُوح اليمن برجل اسمه عُرْفُضة وهو يُخبر الرسول عن هَضّام بن الجَحّاف (الجَخّاف؟) اللَّعين الذي لا يستطيع دَحْرَه إلا عليّ بن أبي طالب، ثم إنّ الملك جبريل يُخبر الرسول بأن عليّاً سينجح في دَحْره. وعندما يتيقّن الرسول من ذلك يستدعي عليّاً، ثُمّ يجتمع الناس ويهتفون،

(19) ر. باريت، المصدر السابق، (ص242، هامش 15)، 7، وهو يُشير إلى أنّ قِصّة الزير سالم، هي قِصّة لا يَلعب الإسلام فيها دوراً قط.

(20) انظر ر. باريت: المصدر السابق، (ص242، هامش 11) 167.

(21) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص616. القَلْقَشندي: **صُبح الأعْشَى**، ج1، ص454 (القاهرة 1331هـ-1913م/ 1338هـ-1919م) أما سِبْط ابن العجمي، وهو أقدم من القَلْقَشندي (ت 841هـ-1438م انظر بروكلمان: ج2، ص67) فهو يُؤكّد في كتابه **نُور النِّبراس**، مخطوطة باريس، رقم ar. 1968، على التحذير منه، مع الإشارة إلى **الميزان** للذّهبي.

ويُؤمر عبدالله أُنَيْس بِوَصف كُفر هضّام، فيُخبر الناس أنّ هضّاماً قد اتخذ لنفسه صَنَماً علَّقه في الهواء بالمغناطيس، ثم يَصف هذا الصَّنَم وأبنية هضّام، وما فيها من ذهب وفضة ورُخام، وما حَوَته من حُور حِسان. ثُمّ يَذكر كيف دعا هضّام الناس إلى عِبَادته، وعندما يسمع الرسول هذه القِصّة يَسجد، ثم يسأل ابن أُنَيْس وعيونه مُغْرَوْرِقة بالدموع[22]، عن موطن هضّام، فيُجيبه أنه في اليمن، نائياً في القفار بوادي الصَّنَم. وهنا تُتاح فُرصة طيبة لإظهار بعض المعرفة السطحية ولتِعداد أسماء وديان في اليمن[23]. ولهضّام جيش هائل يتضاءل أمامه مُلوك اليمن والتبابعة وأحفاد العَمَالقة وأبطال حِمْيَر. ثم يَبتسم الرسول ويقول: «**يا ابن أُنَيس ستَرى ما يُسرّك إن شاء الله، فعون الله تعالى لأمته قريب، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم**» ثم يُنادي عليّاً فيأتي، فَيَبتسم الرسول ويضمّه إلى صدره، ثم يأمره أن يترأس حملة على هضّام. أما عليّ فيُطرق مُفكّراً ثم يرفع بصره وقد تورّدت وَجْنتاه، ثم يعود مُطرقاً (وللتكرار أثر في استثارة انتباه السامعين). أما المُسلمون فيُفكّرون، وأما المُنافقون فيفرحون لأنهم يظنّون أنّ عليّاً خائف، ثُمّ يسأله الرسول عن سبب سُكوته، فيُجيب أنه ما دام جبريل قد قال: إنّ هَضّاماً سيَنْدحر بعونه، فعليه ألّا يَعْتمد إلا على عَون الله وحده. ولذلك سيذهب وحده، فيُشرق وجه الرسول والمُسلمين بِشْراً. أما المُنافقون فتتبدّل وجوههم، ثم يكتب الرسول رسالة إلى هضّام، ويتطوّع جميل بن كَثِير بحملها إليه، فيسير قبل عليّ، ثم يبكي الرسول. أما عليّ فيصوم ويُصلّي ويتوضّأ ويلبس سلاحه، ويُقبِّل أولاده، ويُودّع زوجته فاطمة، ويستأذن الرسول ويُودّعه أهل المدينة كافة، ويُقَبِّله الرسول خارج المدينة، ثم يُسافر، وبعدها يتقدّم مُنافق، اسمه ورقة، إلى عليّ ويَقْترح عليه أن يكون دليله، فيُوافق عليّ بعد تردّد، رَغْم مَعْرفته بنيّات هذا المُنافق الخبيثة. وتمتلىء سَفْرته بالمخاطر الرهيبة المُتسبّبة عن وجود هذا

---

(22) لقد كانت المواقف العاطفية تُفضّل طبعاً في الرِّوايات. انظر مثلاً: منظر خالد بن سعيد وهو واقف على قبر ابنه في **فُتُوح الشام**، ج1، ص12 وما بعدها (القاهرة 1354هـ-1935م).

(23) يبدُو أنّ هُناك بعض العلاقة بين الرِّواية وبين التأريخ المحلّي في اختيار المادة. انظر: **الأحاديث المَرْوِية في مدح البَهْنَسا في فُتُوح البَهْنَسا**.

المُنافق، وعندما يقتربان من المكان الذي يقصدانه، يُهاجمهما سبعان، فيقتلهما عليّ، ويَشْطر أحدهما نصفين، وتكون هذه فُرصة طيبة لِيَشْطر فيها المُنافق نصفين عندما تتّضح نيّاته الخبيثة على إثر مُقابلته للسَّبُع، وكان يُراقب عليّاً عند مقابلته الأسد عبد أسود، فَأَسْلم وأرسله عليّ إلى الرسول، لإلقاء شيء من شعره.

بهذه الوسيلة، حقَّق علم التاريخ الإسلامي غايته كَقُوَّة حيّة ساعدت على تدوين تاريخ الإسلام.

الفصل الثامن

تقدير قِيمة علم التأريخ الإسلامي

تُكَوّن الكُتُب التاريخيَّة نِسبة عالية من مُؤلّفات الشُّعوب الإسلامية المُختلفة، والسُّؤال الذي يَفْرض نفسه هو فيما إذا كان للتاريخ على حياة المُسلمين الفكرية أثر يُوازي أهمّيته الكمّية، أو بِعِبَارة أُخرى ما هي المَكَانة التي احتلّها التاريخ الإسلامي في الحضارة الإسلامية إجمالاً؟

لِنَعْترفْ أنّ التاريخ لم يَكُن من العوامل المُؤثّرة في تَيّارات الحياة الفكرية الإسلامية، فقد بدأ حوالى سَنَة 700م، وكان شأن بقيّة فُروع العلوم الإسلامية لا يَزَال يخدم الدِّين والقانون الإسلاميين، وقد امتصَّ آنذاك المُؤثّرات البيزنطية والإيرانية وحاول أن يُصبح بِسُرعة موضوعاً تَرْبوياً سياسياً عالمياً، فلقي بعض النجاح. لقد أصْبَحَت كُتُب التاريخ في عصر العباسيين الذَّهبي، مرآة لأعظم نَواحِي النهضة الإسلامية تقدّماً[1]، والميدان الذي ظلّت تُجرّب عليه طُرُق جديدة لتقديم أكبر ما يُمكن من نتائج العُلوم والمعرفة لذوي الثقافة العلمية بطريقة

---

(1) لم يكن آدم متز [في كتابه الشهير **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** الذي ترجمه عبد الهادي أبو ريدة، والعنوان في الأصل يعني **عصر الإحياء الإسلامي**، أو **عصر النهضة الإسلامية**، المترجم] أوّلَ من استعمل هذا التعبير الذي يحمل القارىء الغربي الحديث الأهمّية الحقيقية للعملية الثقافية في الإسلام إبّان القرن التاسع ـ العاشر. وهو تعبير لا يُمكن أن يُعوّض عنه بأية كلمة أُخرى، وقد استعمله أيضاً.

L. Leclerc, *Histoire de la Medicine Arabe*, I, 139-323 (Paris 1876).

وفي الوقت نفسه الذي استعمل فيه متز هذا التعبير، قارن ت.ج. دي بور فكرة الرَّازي عن **الحكمة الباطنية** مع أفكار الإنسانيين في عصر النهضة الأوروبية. انظر: =

يستطيعون فهمها. أما في زَمَن الصليبيين، وفي عهد ازدهار الفكر الإسلامي في الأندلس فيما يظهر، فَقَد تقدّم التاريخ مُتردّداً لخدمة القُوَى الموجودة في الإنسان والتي تُريد إعلان أهمّية الأحوال القائمة، والتي كانت مُضطهدة عادة في الإسلام. وقد تعرّض في مصر إبّان القَرْنين الرابع والخامس عشر، إلى نقد فاحص لطُرُق البحث الاجتماعية والفِقْهية. وكانت الكُتُب التاريخيَّة أهم نِتاج للحركة الفكرية لدى الشُّعوب الأعجمية المُسلمة كالفُرْس والتُّرك وسُكّان بعض مناطق العالم العربي، بل إنها، إذا طَرَحْنا الثيولوجيا جانباً، كانت الوحيدة تقريباً التي تَخْدم عُمُوماً أغراضاً عملية. مع هذا لا يُمكن القَوْل إنّ التاريخ خَلَق حركة فِكرية في الإسلام والتعبير عنها. لأنه كان دائماً يحتلّ مركزاً أكثر تواضعاً، كوسيلة لحفظ مُنجزات الفكر الإسلامي.

وبهذا الاعتبار، قام التاريخ بعدد من الواجبات المُهمّة، فكان وسيلة لغَرْس مُثُل الإسلام وآماله في قُلُوب عدد كبير من المُسلمين، ولم يتفوّق عليه في هذا المضمار سوى تقاليد الحياة الدِّينية وأعمالها، والإسلام دين تاريخي بارز في أُصوله وتطوّراته الأخيرة. ثُمّ إنّ التاريخ كان يُساعد أيضاً على إبقاء حيوية ذِكريات مُختلف الشُّعوب الإسلامية عن أهمّية تراثها القومي البارز. كما وأنه كان يحتلّ دائماً مركزاً يُمكِّنه من استثمار بعض الاهتمام في الجوانب المُهمّة من النشاط الثقافي والتي كانت مُهدَّدة بالإقصاء عن الحياة الإسلامية، وإنّ إنتاجه الأدبي المُستمرّ كان بنفسه نَوْعاً من الضمان للحياة الفكرية أيّد المعرفة العالمية بعد كَبْت الدافع العلمي لتنميته بأمد طويل.

ثم إنّ التاريخ بارتباطه بالتراجم أصبح الوسيلة الوحيدة المُؤثّرة في الإسلام للنَّظر إلى الحياة الواقعية، باعتبار أنّ هذه النَّظرة إلى الحياة الواقعية وتحليل الإنسان وآماله هُما المصدر الوحيد للتطوّر الثقافي إذا استعملنا هذه الكلمة

= T.J. De Boer, *De Medicina Mentis von den arts Razi*, 8f. (Amsterdam 1922, *Medede 1. d, k. Akad. van Wetenschappen Afd. Letterkunde*, deel 53, ser. A.

وقد ظهر إسهام دي بور في سَنَة 1920م، أما متز فقد تُوفّي سَنَة 1917م أي قبل خمس سنوات من ظهور كتاب دي بور.

للإشارة إلى مبادىء علم النفس التي وُجِدت في الإسلام في العصور الوسطى.

بعد أن وَصَفنا باختصار مكانة التاريخ الإسلامي في مُحيطه الثقافي، نَعرض سؤالاً آخر يتطلّب الإجابة، وهو: ما المكانة التي يحتلّها التاريخ الإسلامي في تاريخ المَدَنية الغربية، وبصورة خاصة ما الإسهام الذي قدّمه، إن كان له إسهام في التاريخ الغربي الحديث؟

ومن المُؤكّد أن يكون لسُؤالنا أهمّية أساسية لو كُنّا نبحث في الطب أو الفلسفة، أما في حالة التاريخ الخاصة، فإن لها معنًى ضئيلاً نسبياً، فإن الأبحاث في المُستقبل لن تكشف أنّ التاريخ الإسلامي قد وَصَل في عُمق التحليل وجمال التعبير إلى الدرجة التي وصل إليها التاريخ الإغريقي الكلاسيكي والروماني، وإن كان قد فَاق بالتأكيد ما وَصَلَت إليه الكِتابات التاريخيَّة السابقة في الفهم الاجتماعي للتاريخ أو التنظيم العلمي للمادّة التاريخيَّة.

ولا شكّ أنّ كمّية المُؤلّفات التاريخيَّة الإسلامية كبيرة، وأنّ الحَوْليّات البيزنطية وثيقة الصِّلة بالحَوْليّات الإسلامية، غير أنّ التاريخ الإسلامي تميّز عنها بتنوّعه الكبير وكمّيته الهائلة.

والواقع أننا قد نشكّ في وجود أيّ مكان في التاريخ الأوَّل، كانت فيه المُؤلّفات التاريخيَّة تُعادل في كثرتها ما كان للمُسلمين. إنّ مُؤلّفات المُسلمين التاريخيَّة قد تُعادل في العدد المُؤلّفات الإغريقية واللاتينية، لكنها بالتأكيد تفوق في العدد مُؤلّفات أُوروبا والشرق الأوسط في العصور الوسطى، ولا شكّ أنه لم يكن بالإمكان إخفاء مَكَانتها المُمتازة في الحركة الأدبية الإسلامية عمّن اتصل بالعرب من عُلماء الغرب، غير أنّ هؤلاء العُلماء اهتمّوا بالعلوم والفلسفة واللّاهوت، وهم كأقرانهم من المُسلمين الاعتياديين، لم يستسيغوا الرُّضوخ إلى درجة الإقرار بأية معرفة عن وجود مُؤلّفات تاريخية[2].

(2) من المُؤكّد أنّ وليم الصُّوري كان يعرف الكُتُب التاريخيَّة العربية. انظر مثلاً:
C. Cahen, *La Syrie du Nord* 17 (Paris 1940).
كما افتخر يعقوب الفتري Jacob of Vitry في أوائل القرن الثالث عشر، بأنه راجع المصادر التاريخيَّة اللاتينية والإغريقية والعربية. راجع: =

ومهما كان مقدار مَعْرفتهم عن التاريخ الإسلامي، فإنهم لم يَنْشروا هذه المعرفة بين عدد كبير من الناس. إنّ الأوضاع السياسية لإسبانيا المسيحية إبّان القرن الثالث عشر، أثَارت بعض الاهتمام في التاريخ الإسلامي، غير أنه يُمكن القول باطمئنان إنّ أخبار التاريخ الإسلامي (بِما في ذلك الحقائق التاريخيَّة عن حياة الرَّسول التي كثيراً ما كانت تُرْوَى بشيء من التفصيل)[3]، كانت في الواقع غير موجودة في الغرب أو مُشوّهة بشكل فَاضِح، كما أنه لا تُوجد دلائل على أيّ أثر لصُوَر التاريخ الإسلامي أو مُحتوياته في الكِتابة التاريخيَّة في أُوروبا الوسطى. إنّ التاريخ الحديث يستمدّ إلهامه من السوابق الروحية الغربية، لذا فإن القِيمة الثقافية للتاريخ الإسلامي تتوقَّف على أهمّيتها كظاهرة إسلامية. فبقَدْر ما كانت جُزءاً من كُلّيات النشاط الفكري الإسلامي، كان له بصورة غير مباشرة مكان في التبادل الثقافي بين الشرق والغرب.

إنّ في المصادر الإسلامية مِقداراً كبيراً من الأخبار التاريخيَّة كان لها بعض الأهمّية في التطوّر الحديث في التاريخ الغربي، وهذه الأخبار في مُتناول يد كُلّ من يُحاول تعلّم العربية، وهي وحدها قد تُسرّع بحركة التاريخ الغربي البطيئة نحو نظرة عالمية حقّة للتاريخ.

= U. Monneret de Villard, *Lo Studio dell' Islam in Europa nel XII e nel XIII secolo* 25 f, città del Vaticano 1944 Studi e testi 110.

ويُمكن أن يُفَسّر هذا بأنه دليل على أنه على الأقل عَرف عن وجود مثل هذه المصادر، وأنّ التتبّع الدقيق للأدب الغربي في العصور الوسطى عن الشؤون الإسلامية قد يُقدّم بعض الإشارات الصريحة إلى وجود مصادر للتاريخ الإسلامي.

ومن المُحتمل أن لا تُوجد أهمّية لعدم وجود مُقابل عربي لأيٍّ من التعابير الثلاثة:

historia marratio rei geste preterite.
historicus qui instoriam scribit.
historiografus historie auctor.

في الكتاب الإسباني المُؤلّف في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر:

Glossarium Latino Arabicum 224 Seybold (Weimar-Berlin 1898-1900, *Semitistische Studien* 15-17, Ergänzungsheft zur ZA).

(3) انظر: حياة الرسول من تاريخ جيفري الفيتربوي:

Geoffry of Viterbo (E. Cerulii, II *Libro della Scala* 427, 552 città del Vaticano 1949 studi e testi 150).

وهو «غنيّ جداً بمعلوماته».

ويبدو أنّ تطوّر الكتابة التاريخيَّة الحديثة قد كسب من حيث السُّرعة والمادّة من إفادته من الكُتُب التاريخيَّة الإسلامية التي مَكَّنَت المُؤرّخ الغربي منذ القرن السابع عشر فما بعد، من رُؤية جُزء كبير من العالم بمنظار أجنبي.

ثُمّ إنّ التاريخ الإسلامي أَسْهم أيضاً في تكوين صُورة الإسلام التي أوحت بالنَّظرات التاريخيَّة أمثال د. هيوم، ث.وارتون وعن طريقهم ج.ج هردر[4]. وبذلك سَاعَدَت بصورة مُتواضعة وغير مُباشرة على تشكيل التفكير التاريخي الراهن اليوم.

من الواضِح أنّ التاريخ الحديث فَاق إجمالاً كُلّ ما أُنجز في حقل الكتابة التاريخيَّة في الإسلام. وقد نَستطيع الكلام كثيراً على التاريخ الإسلامي إذا طبّقنا عليه نظاماً كالذي وضعه ج.ج درويسن في كتابه **أُسس التاريخيَّة** *Grundriss der Historik*، غير أنّ التاريخ الإسلامي ظلّ عدّة قُرون يَفُوق الكُتُب التاريخيَّة غير الإسلامية المُعاصرة له كافّة. ثُمّ حلّت محلّ صُورة التاريخ الإسلامي فكرة جديدة عن التاريخ[5]، وفترة جديدة مُتّسعة جداً في عدّة ميادين لها علاقة بالتاريخ، والتعمُّق والتوسُّع في البحث الذي أحدثته الطِّباعة، غير أنه ظلّ أثراً خالداً عظيماً مُعجباً للفكر الإسلامي الوسيط البَحّاث. كما أنه مُستودع هائل للأخبار والحقائق والبصائر التاريخيَّة التي لم يُفَدْ إلا من بعضها حتى اليوم. وإذا كانت هُناك حقيقة أساسية يُمكن أن يُعلّمنا إياها التاريخ الإسلامي بعد كُلّ المجهودات التاريخيَّة، فهي أنّ المُعالجة الطفيفة للتاريخ مصدراً للحقائق والأمثلة المُفيدة والمُنوِّرة، يُمكن أن تكون حتى اليوم خير مفتاح للفهم التاريخي.

---

(4) على ما يقول ماينكه:
F. Meinecke, *Die Entstehung des Historismus* II, 459 (Munich-Berlin 1936).

(5) في:
J. G. Droysen, *Historik. Vorlesungen über Enzyklopädie und Methodologie der Geschichte*, ed. by R. Hübner, 360 ff. (Munich-Berlin 1937).

القســم الثانــي

النُّصُوص

ابن النديم	:	الكُتُب التي أَوْرَدها في «الفِهرِست»
الكافِيَجي	:	«المُختصَر في علم التاريخ»
السَّخاوي	:	«الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التاريخ»
السَّخاوي	:	«الجواهر والـدُّرَر»
السَّخاوي	:	نصّ من كتاب «القول المُنبي»
ابن حَجَر	:	«الإنـبـاء»
طاش كُبْري زاده	:	فصل من كتاب «مفتاح السعادة»

ابن النديم

الكُتُب التي أوردها في «الفِهْرِست»
مُصنّفة بحسب مواضيعها

ص	اسم الكتاب	المؤلف
	كُتُب التاريخ	
48	كتاب التاريخ	أحمد بن كامل بن خَلَف بن شَجَرة
179	كتاب التاريخ	لأبي صالح عبدالله بن محمد بن يَزْداد بن سُوَيْد
180	كتاب التاريخ	(أتمه ابنه أبو أحمد إلى سَنَة 300هـ)
180	كتاب التاريخ (عمله إلى أيامه)	لأبي سعيد القُطْرَبُّلي
398/ 407	كتاب التاريخ	يحيى النحوي
186	كتاب التاريخ من سَنَة 170 إلى زمانه (؟)	عبد الرحمن بن عيسى
185	كتاب التأريخ وأخبار الكتّاب	داود بن الجرّاح
186	كتاب الاستفادة في التأريخ	عبدالله بن عليّ بن محمد بن داود الجرّاح
195	كتاب جُمَل التأريخ	ابن سُرَيْج
243/ 321	كتاب التاريخ (من 295هـ إلى وفاته؟)	سِنان بن ثابت
243	كتاب المعرفة والتأريخ	لأبي سفيان
243	كتاب التاريخ	إسماعيل الخطبي
243	كتاب التاريخ	يحيى بن أبي بكير المصري
281	كتاب التاريخ	اللَّيث بن سعد
319	كتاب التاريخ	عبدالله بن المبارك
320	كتاب التاريخ	عبدالله بن محمد بن أبي شَيْبة
320	كتاب التاريخ (لم يخرج بأسره أو لم يتمّه)	الأثرم
320	كتاب التاريخ	ابن أبي خَيْثَمة
320	كتاب التاريخ	لأبي عبدالله بن أبي خَيْثَمة
321	كتاب التاريخ الكبير	محمد بن إسماعيل البُخاري
321	كتاب التاريخ الأوسط	محمد بن إسماعيل البُخاري
322	كتاب التاريخ الصغير	محمد بن إسماعيل البُخاري
322	كتاب التاريخ (عمله أصحابه عنه ولم يعمله)	يحيى بن معين
324	كتاب التاريخ	خليفة بن خيّاط

325	كتاب التاريخ	التِّرمِذي
325/ 383	كتاب التاريخ	الخوارزمي
310	كتاب التاريخ	الحسن بن محبوب السَّرّاد البَزَقي
144	كتاب التاريخ الكبير	محمد بن عمر الواقدي
146	كتاب التاريخ على السنين	الهَيْثَم بن عدي
163	كتاب التاريخ	عمر بن شَبّة
164	كتاب التاريخ	ابن الأزهر
322	كتاب التاريخ	مُسلم بن الحجّاج
327	كتاب التاريخ (تاريخ الرُّسل والمُلوك)	محمد بن جرير الطَّبَري
397/ 406	تاريخ الأطباء	إسحاق بن حُنَيْن
415	تاريخ الأطباء	إسحاق بن حُنَيْن
411	الفردوس في التاريخ	قُسْطا بن لُوقا
215	تاريخ القرآن	المَرْوَزي

كُتُب الأخبار والسِّيَر

110	السِّيَر	أحمد بن سهل
50	أخبار القصاص	محمد بن الحسن الأنصاري النقّاش
116	الأخبار الطِّوال	لأبي حنيفة الدِّينَوَرِي
132	الملوك وأخبار الماضين	عَبِيد بن شريّة
134	السِّيَر في الأخبار والأحداث	لأبي إسحاق الفِزاري
153	الأخبار والنَّوادر	أحمد بن الحارث الخَرّاز
222	النَّوادر والأخبار	ابن طُرَّخان
250	كتاب الأخبار	هشام بن الحكم
156	الأخبار والآثار	ابن شبيب
86	الأخبار	الزيـادي
157	أخبار الرُّواة	الراوندي
93	المُواصلات في الأخبار والمُذّكرات	ابن السّرّاج
161	أخبار العرب وأيامها	الزبير بن بكّار
165	الأخبار والأنساب والسِّيَر	لأبي العباس بن سلام المُطاولي
166	الأنساب والأخبار	لأبي الحسن النسّابة
164	الأخبار والأنساب	البَـلاذُري
164	جواهر الأخبار	الطلحـي
165	الأخبار المسموعة	ابن أبي شيخ
115	عيون الأخبار	ابن قتيبة
109	عيون الأخبار والأشعار	لأبي عصيدة

109	عيون الأخبار والأشعار	أحمد بن عبيد أبي عصيدة
167	أخبار الطُّفيليين	لأبي الفرج الأصبهاني
167	الأخبار والنَّوادر	لأبي الفرج الأصبهاني
312	الواحدة في الأخبار والمناقب والمثالب	ابن جمهور
200	أخبار العباسيين	سمكة (محمد بن علي بن سعيد)
321	أخبار الشُّعراء	ابن خَيْثَمة
211أ	النواحي في أخبار الأرض	أحمد بن أبي النجم
211	النواحي في أخبار البُلدان	لأبي إسحاق بن أبي عون
220	الأخبـار	محمد بن إسحاق السّرّاج
211	أخبار عُقلاء المجانين	ابن أبي الأزهر
211	أخبار قُدماء البُلغاء	ابن أبي الأزهر
273	أخبار المُحدِّثين	أبو عبدالله الحسني
94	أخبار النَّحويين	ابن دُرُسْتَوَيـه
218	أخبار الغِلمان	ابن الشاه الظاهري
218	أخبار النساء	ابن الشاه الظاهري
220	الأخبار (أخبار المُحدِّثين والوزراء وغير ذلك من سائر البُلدان وجعله رجلاً رجلاً)	محمد بن إسحاق السراج
219	مُروج الذهب	المسعـودي

كُتُب عن الرسول وسيرته

136	السِّيرة والمُبتدأ والمغازي	محمد بن إسحاق
144	السِّيرة	محمد بن عُمَر الواقدي
144	كتاب التاريخ والمغازي والمبعث	محمد بن عُمَر الواقدي
136	المغـازي	نجيح المدني
136	المغـازي	مَعْمَر بن راشد
159	المغـازي	الوليد بن مسلم
318	المغـازي	الوليد بن مسلم
147	المغـازي	عليّ بن محمد المدائني
153	مغازي النبي وسراياه وذِكر أزواجه	أحمد بن الحارث الخَزّاز
282	المغـازي	إسماعيل بن إسحاق القاضي
316	المغـازي	عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم
318	المغـازي	همـام
323	المغـازي	إبراهيم الحربي
312	الابتداء والمبتدأ	ابن فضّال
145	أخبار النبيّ	محمد بن سعد

147	صفة النبيّ	لأبي البختري
147	صفة النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
144	أزواج النبيّ	محمد بن عُمَر الواقدي
148	أزواج النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
144	وفاة النبيّ	محمد بن عُمَر الواقدي
145	الوفود	الهَيْثَم بن عديّ
148	الوفود	عليّ بن محمد المدائني
161	مزاح النبيّ	الزبير بن بكّار
147	أمّهات النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
147	أخبار المُنافقين	عليّ بن محمد المدائني
147	المُنافقون ومن نزل القرآن فيه منهم ومن غيرهم	عليّ بن محمد المدائني
147	الذين يُؤذون النبيّ وتسمية المُستهزئين الذين جعلوا القرآن عِضِين	عليّ بن محمد المدائني
147	رسائل النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
147	كُتُب النبيّ إلى المُلوك	عليّ بن محمد المدائني
147	إقطاع النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
147	صُلح النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
147	آيات النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
147/ 148	خطب النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
147	عُهود النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
147	سرايا النبيّ	عليّ بن محمد المدائني
148	السرايا	عليّ بن محمد المدائني
148	دعاء النبي	عليّ بن محمد المدائني
148	خبر الإفك	عليّ بن محمد المدائني
148	عُمّال النبيّ على الصدقات	عليّ بن محمد المدائني
148	أموال النبيّ وكتابه ومن كان يرد عليه بالصدقة	عليّ بن محمد المدائني
148	الخاتم والرسل	عليّ بن محمد المدائني
220	أمثال النبيّ	ابن خلّاد الرّامَهُرْمُزي

كُتُب عن الخُلفاء عُموماً

136	الخُلفاء	ابن إسحاق (رِواية الأموي)
149	أخبار الخُلفاء	عليّ بن محمد المدائني
149	تاريخ الخُلفاء	عليّ بن محمد المدائني
105	تاريخ الخُلفاء	محمد بن حبيب
149	تسمية الخُلفاء وكُناهم وعمارهم	عليّ بن محمد المدائني

153	أسماء الخُلفاء وكُتّابهم والصحابة	أحمد بن الحارث الخَرّاز
159	أبواب الخُلفاء	ابن أبي طَيْفُور
200	الشذور في مُؤامرات الخُلفاء والأمراء	لأبي نميلة النميلي
146	خواتيم الخُلفاء	الهيثم بن عديّ
146	شُرَط الخُلفاء	الهيثم بن عديّ
149	تاريخ أعمار الخُلفاء	عليّ بن محمد المدائني
149	حُلى الخُلفاء	عليّ بن محمد المدائني
149	من تَزَوَّج من نساء الخُلفاء	عليّ بن محمد المدائني
215	الأوراق في أخبار الخُلفاء	الصُولي

كُتُب عن الخُلفاء الراشدين (عدا الفُتُوح)

144	كتاب السقيفة وبيعة أبي بكر	محمد بن عمر الواقدي
144	كتاب سِيرة أبي بكر ووفاته	محمد بن عمر الواقدي
277	كتاب سِيرة أبي بكر	العياشي
144	كتاب مداعي قريش والأنصار في القطائع ووضع عُمَر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها	محمد بن عمر الواقدي
277	سِيرة عُمَر	العياشي
277	سِيرة عثمان	العياشي
80	كتاب مقتل عثمان	لأبي عُبيدة
137	الشورى ومقتل عثمان	لأبي مِخْنَف
149	مقتل عثمان	عليّ بن محمد المدائني
163	مقتل عثمان	عمر بن شَبّة
80	كتاب الجَمَل	لأبي عُبيدة
136	كتاب الجَمَل	لأبي مِخْنَف
137	الجَمَل	نصر بن مزاحم
137	الجَمَل	إسحاق بن بشر
137	الجَمَل ومسير عائشة وعليّ	سيف بن عُمَر
137	الجَمَل	عليّ بن محمد المدائني
144	الجَمَل	محمد بن عمر الواقدي
156	الجَمَل	الغلابي
156	الجَمَل	لأبي إسحاق العطار
320	الجَمَل	عبدالله بن محمد أبي شيبة
137	كتاب صِفِّين	لأبي مِخْنَف
137	كتاب صِفِّين	نصر بن مُزاحم

137	كتاب صِفّين	إسحاق بن بِشْر
144	كتاب صِفّين	محمد بن عُمَر الواقدي
156	كتاب صِفّين	الغَلّابـي
159	كتاب صِفّين	لأبي إسحاق العطّار
320	كتاب صِفّين	عبدالله بن محمد بن أبي شيبة
136	كتاب الخِرِّيت بن راشد وبني ناجية	لأبي مِخْنَف
149	كتاب بني ناجية والخِرِّيت بن راشد ومصقلة بن هبيرة	عليّ بن محمد المدائني
136	كتاب أهل النهروان والخوارج	لأبي مِخْنَف
149	كتاب النهروان	عليّ بن محمد المدائني
149	كتاب الخوارج	عليّ بن محمد المدائني
136	مقتل عليّ	لأبي مِخْنَف
157	مقتل أمير المؤمنين عليّ	الغلّابـي
167	مقاتل آل طالب	لأبي الفرج الأصبهاني
116	فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب	الأشناني القاضي
194	تفضيل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وتثبيت إمامة من تقدّمه	الصاحب بن عَبّاد
149	خُطَب عليّ وكُتُبه إلى عُمّاله	عليّ بن محمد المدائني
149	عبدالله بن عامر الحضرمي	عليّ بن محمد المدائني

كُتُب عن بني أُمية والأحداث في زمنهم

212	رسالة في بني أُميّة	ابن عماد الثقفي
134	سيرة معاوية وبني أُميّة	عوانة (ويقال لمنجاب بن الحارث)
277	سيرة معاوية	العياشـي
173	أخبار معاوية	لأبي عبدالله الحسني
137	وفاة معاوية وولاية ابنه يزيد	لأبي مِخْنَف
146	تاريخ العجم وبني أُميّة	الهيثم بن عدي
146	أخبار زياد بن سمية	الهيثم بن عدي
212	رسالة في بني أمية	ابن عماد الثقفي
144	مقتل الحسن	محمد بن عُمَر الواقدي
146	أخبار الحسن	الهيثم بن عدي
313	أخبار الحسن بن عليّ	أبو إسحاق الثقفي
220	الرجحان بين الحسن والحُسين	ابن خلاد الرَّامَهُرْمُزي
137	مقتل الحُسين بن عليّ	لأبي مِخْنَف
137	مقتل الحُسين بن عليّ	نصر بن مزاحم

157	مقتل الحُسين بن عليّ	الغلابي
166	مقتل الحُسين بن عليّ	الأشناني القاضي
80	مرج راهط	لأبي عبيدة
137	مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحّاك بن قيس	لأبي مِخْنَف
149	مرج راهط	عليّ بن محمد المدائني
149	الرَّبذة	عليّ بن محمد المدائني

كُتُب عن العباسيين

157	أخبار خُلفاء بني العباس	محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب
200	أخبار العباسيين	سمكة (محمد بن علي بن سعيد)
212	رسالة في تفضيل بني هاشم وأوليائهم وذم بني أُميّة وأتباعهم	ابن العماد الثقفي
141	أخبار السفّاح	عليّ بن محمد المدائني
153	أخبار أبي العباس	أحمد بن الحارث الخَرّاز
153	أخبار أبي جعفر المنصور	ابن عبدة
163	أخبار المنصور	عمر بن شَبّة
210	أخبار المُعتمد والمُعتضد والمُكتفي والمُقتدر	عبيد الله بن أحمد بن أبي طيفور
211	الهَرْج والمَرَج في أخبار المُستعين والمُعتز	ابن أبي الأزهر
327	(تاريخ موصول بكتاب أبي جعفر وقد ضمّنه أبو إسحاق السقطي من أخبار أبي جعفر وأصحابه شيئاً كثيراً)	أبو إسحاق السَّقَطي
76	مناقب بني العباس	محمد بن العباس اليزيدي

كُتُب عن العصر العباسي

192	أخبار أبي مسلم صاحب الدعوة	المَرْزُباني
193	أخبار البرامكة	المَرْزُباني
215	مناقب عليّ بن الفرات	الصُّولي
126	أخبار صاحب الزنج	الوشّاء
184	أخبار صاحب الزنج ووقائعه	شيلمة
194	التاجي في أخبار دولة بني بُويه	الصَّابئ
243	الدولة الديلمية	لأبي جعفر الدامغاني
133	مغازي البحر في دولة بني هاشم وذكر أبي حفص صاحب إقريطش	أحمد بن الحارث الخرّاز

كُتُب في الفُتُوح

137	الـردّة	لأبي مِخْنَف
144	الـردّة	محمد بن عُمَر الواقدي
149	الـردّة	عليّ بن محمد المدائني
159	الـردّة	لأبي إسحاق العطار
150	أمر البحرين	عليّ بن محمد المدائني
150	أمر عُمان	عليّ بن محمد المدائني
137	كتاب الفُتُوح الكبير والردّة	سيف بن عُمَر
159	الفُتُـوح	لأبي إسحاق العطار
320	الفُتُـوح	عبدالله بن محمد بن أبي شيبة
193	الرسل في الفُتُوح	ابن التستري
139	فُتُوح خالد بن الوليد	عبدالله بن سعد الزهري
136	كتاب فُتُوح الشام	أبي مِخْنَف
144	كتاب فُتُوح الشام	محمد بن عمر الواقدي
150	كتاب فُتُوح الشام	عليّ بن محمد المدائني
145	مديح أهل الشام	الهيثم بن عديّ
145	مداعي أهل الشام	الهيثم بن عديّ
150	كتاب فُتُوح مصر	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب موادعة النوبة	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فتح برقة	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فُتُوح الجزيرة	عليّ بن محمد المدائني
80	كتاب فُتُوح أرمينية	لأبي عبيدة
150	كتاب أخبار أرمينية	عليّ بن محمد المدائني
136	كتاب فُتُوح العراق	لأبي مِخْنَف
144	كتاب فُتُوح العراق	محمد بن عُمَر الواقدي
150	كتاب فُتُوح العراق	عليّ بن محمد المدائني
80	كتاب السواد وفتحه	لأبي عبيدة
150	كتاب فتح الأُبُلَّة	عليّ بن محمد المدائني
80	كتاب فُتُوح الأهواز	لأبي عُبيدة
150	كتاب خبر البصرة	عليّ بن محمد المدائني
197	رسائل في فتح البصرة	ابن أبي البغل
150	كتاب فُتُوح الأهواز	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب خبر سارية بن زنيم	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فارس	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فُتُوح سِجِسْتان	عليّ بن محمد المدائني

150	كتاب كرْمان	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فتح مكران	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب ثغر الهند	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فتح كابُل وزابُلِسْتان	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فتح سهرك (؟)	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب القلاع والأكراد	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب الرَّيّ وأمر العلوي	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فُتُوح الريّ	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فُتُوح جبال طَبرَسْتان	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب فُتُوح طَبرَسْتان أيّام الرشيد	عليّ بن محمد المدائني
150	فُتُوح جُرْجان وطَبَرِسْتان	عليّ بن محمد المدائني
79	كتاب خُراسان	لأبي عبيدة
78	فضائل خُراسان	البلخي
145	كتاب نُزول العرب بخُراسان والسواد	الهيثم بن عديّ
150	كتاب فُتُوح خُراسان	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب نوادر قتيبة بن مسلم	عليّ بن محمد المدائني
150	كتاب ولاية أسد بن عبدالله القسري	عليّ بن محمد المدائني
136	كتاب مقتل حجر بن عديّ	لأبي مِخْنَف
137	كتاب مقتل حجر بن عديّ	نصر بن مُزاحم
212	كتاب أخبار حجر بن عديّ	ابن عماد الثقفي
70	كتاب مسعود بن عمرو	لأبي عُبيدة
80	كتاب الحَرّات	لأبي عُبيدة
156	كتاب الحَرّة	للغلابي
137	كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه يزيد ووقعة الحَرّة	لأبي مِخْنَف
156	كتاب مقتل زيد بن عليّ	ابن النطّاح
166	كتاب مقتل زيد بن عليّ	للأشناني القاضي
194	كتاب الزيدية	للصاحب بن عبّاد
212	كتاب المبيضة في أخبار مقاتل آل أبي طالب	لابن عماد الثقفي
137	كتاب مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر ومحمد ابن الحنفية	لأبي مِخْنَف
214	أخبار عبدالله بن جعفر بن أبي طالب	ابن المَرْزُبان
137	كتاب المُختار بن أبي عبيد	لأبي مِخْنَف
137	كتاب يحيى	لأبي مِخْنَف
137	كتاب سليمان بن صُرَد وعين الوَرْدة	لأبي مِخْنَف
133	كتاب محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن حسن	لابن شبة
80	كتاب محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن حسن	لأبي عُبيدة

137	كتاب شبيب الحروري وصالح بن مسرح	لأبي مِخْنَف
137	كتاب حديث الأزارقة	لأبي مِخْنَف
137	كتاب نجدة أبي قبيل	لأبي مِخْنَف
137	كتاب الضحّاك الخارجي	لأبي مخنف
137	كتاب بلال الخارجي	لأبي مِخْنَف
151	كتاب عمران بن حطّان الخارجي	للمدائني
137	كتاب مُطَرفٌ بن المُغِيرة	لأبي مِخْنَف
137	كتاب المُستورد بن أبي علقمة	لأبي مِخْنَف
149	كتاب الخوارج	لأبي عبيدة
137	حصار ابن الزبير	لأبي مِخْنَف
137	كتاب مُصعب وولاية العراق	لأبي مِخْنَف
137	كتاب مقتل عبدالله بن الزبير	لأبي مِخْنَف
150	كتاب عبّاد بن الحصين	للمدائني
80	كتاب أخبار الحَجّاج	لأبي عبيدة
150	كتاب أخبار الحَجّاج ووفاته	للمدائني
137	كتاب دير الجماجم وطالع عبد الرحمن بن الأشعث	لأبي مِخْنَف
137	كتاب حديث باجميرا ومقتل ابن الأشعث	لأبي مِخْنَف
158	كتاب الأزارقة وهروب المُهَلَّب	لخالد بن خداش/ 223
158	كتاب أخبار المُهَلَّب	لخالد بن خداش
158	مناكح المُهَلَّب	مغيرة بن محمد المُهَلَّبي
159	المُهلَّب وأخباره وأخبار ولده	يزيد بن محمد المُهَلَّبي
153	كتاب مناكح آل المُهَلَّب	لأبي عبيدة
153	كتاب نسب ولد أبي صفرة والمُهَلَّب وولده	لأبي عبيدة
137	كتاب يزيد بن المُهَلَّب ومقتله بالعقر	لأبي مِخْنَف
137	كتاب خالد بن عبدالله القسري ويوسف بن عمر وموت هشام وولاية الوليد	لأبي مِخْنَف
146	كتاب مقتل خالد بن عبدالله القسري والوليد بن يزيد بن خالد بن عبدالله	الهيثم بن عديّ
80	كتاب مُسلم بن قُتيبة	لأبي عُبيدة
150	كتاب مُسلم بن قُتيبة	للمدائني
192	أخبار محمد بن حمزة العلوي	للمرزباني
167	مقاتل آل أبي طالب	أبو الفرج الأصفهاني
166	مقتل زيد بن عليّ	الأشناني

منوعات

167	كتاب أخبار خالد بن صفوان	للجلودي
151	كتاب أخبار خالد بن صفوان	للمدائني
167	كتاب أخبار العَجّاج ورُؤْبة بن العَجّاج	للجلودي
137	كتاب مقتل سعيد بن العاص	لأبي مِخْنَف
149	كتاب توبة ابن مُضَرِّس	للمدائني
149	كتاب خبر ضابئ بن الحارث البرجمي	للمدائني
149	كتاب إسماعيل بن هبّار	للمدائني
149	كتاب عمرو بن الزبير	للمدائني
150	كتاب حَرّة وأقم	للمدائني
150	كتاب ابن الجارود بن بِرُسْتَقُباذ (؟)	للمدائني
80	كتاب روستقباذ	لأبي عبيدة
137	كتاب روستقباذ	لأبي مِخْنَف
150	كتاب مقتل عمرو بن سعيد	للمدائني
150	كتاب زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي	للمدائني
150	كتاب خلافة عبد الجبار الأزدي	للمدائني
150	كتاب (المُسَوّر) بن عُمَر بن عبّاد الحَبَطي	للمدائني
150	كتاب يوم سَنْبِيل	للمدائني

كُتُب البُلدان والمسالك

82	جزيرة العرب	الأصمعي
83	كتاب مياه الأرض	الأصمعي
105	كتاب الأرضين والمياه والجبال والبحار	لسعيد بن المبارك
116	البُلدان	لأبي حنيفة الدِّينَوَرِي
117	المناهل والقرى	لأبي سعيد السُّكَّري
184	منازل العرب، وحدودها، وأين كانت محلّة كلّ قوم، وإلى أين انتقل منها	لأبي الوزير عمر بن المُطَرّف
153	المسالك والممالك	أحمد بن الحارث الخرّاز
198	المسالك والممالك	الجيهاني
213	المسالك والممالك	ابن خُرَّداذِبْه
164	البُلدان الكبير	البلاذُري
164	البُلدان الصغير	البلاذُري
213/ 366	المسالك والممالك	السَّرَخْسي
215	المسالك والممالك	المَرْوَزي

219	البُلدان (أخذه من كُتُب الناس وسَلَخَ كتاب الجيهاني)	لابن الفقيه الهمداني
209	البُلـدان	الحسن بن محبوب السراح البَرْقي
310	البُلـدان	أحمد بن الحسن بن محبوب السرّاج
142	البُلدان الكبير	ابن الكلبي
142	البُلدان الصغير	ابن الكلبي
142	قسمة الأرضين	ابن الكلبي
142	الأنهـار	ابن الكلبي
142	العجائب الأربعة	ابن الكلبي
142	أسواق العرب	ابن الكلبي
142	الأقاليـم	ابن الكلبي
142	عجائب البحر	ابن الكلبي
375	جُغرافيا في المعمور وصِفة الأرض	بطليموس
360	رسالة فيما يُنْسب إليه كلّ بلد من البُلدان	الكنـدي
364	رسالة في أبعاد مسافات الأقاليم	الكنـدي
364	رسالة في المساكن	الكنـدي
364	الرسالة الكبرى في الربع المسكون	الكنـدي
387	طبائع البُلدان وتولّد الرياح	لأبي مَعْشَر البَلْخي
166	الطريق	وكيـع
167	الخمّارين والخمّارات	لأبي الفرج الأصبهاني
167	الديارات	لأبي الفرج الأصبهاني
220	الديارات	الشُمَيْساطي
211	النواحي في أخبار الأرض	عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر
211	النواحي في أخبار البُلدان	أبو إسحاق، ابن أبي عون

كتب عن بلدان خاصة: (انظر أيضاً كتب الفُتُوح)

أصفهـان

99	كتاب أصفهان	حمزة الأصفهاني

البصرة

؟؟	كتاب البصرة	أبو عُبيدة
163	كتاب البصرة	ابن شبة
163	كتاب أمراء البصرة	ابن شبة
197	رسائل في فتح البصرة	ابن أبي البغل

بغـداد

185	فضائل بغداد وصفتها	يَزْدَجَرْد بن مِهِينْداز

209	بغـداد	طيفـور
210	(ما زاده على كتاب أبيه في تاريخ بغداد)	عبدالله بن أحمد بن أبي طيفور
366	فضائل بغداد وأخبارها	أحمد بن الطيب السَّرَخْسي

الحِيـرة

142	كتاب الحِيرة	ابن الكلبي
142	كتاب الحِيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين	ابن الكلبي
152	كتاب مُفاخرة أهل البصرة وأهل الكوفة	المدائنـي

السـواد

200	كتاب السواد	حكمويه بن عبدوس

الكوفـة

146	كتاب خِطَط الكوفة	الهيثم بن عديّ
146	كتاب وُلاة الكوفة	الهيثم بن عديّ
146	كتاب فخر أهل الكوفة على أهل البصرة	الهيثم بن عديّ
146	كتاب قُضاة الكوفة والبصرة	الهيثم بن عديّ

المدينـة

158	أخبار المدينة	ابن زبالة
151	كتاب المدينة	المدائنـي
151	كتاب حمى المدينة وجبالها وأوديتها	المدائنـي
163	كتاب المدينة	ابن شبّة
163	كتاب أُمراء المدينة	ابن شبّة
161	كتاب العقيق وأخباره	الزبير بن بكار
161	نوادر المدنيين	
158	المدينة وأخبارها	عبيد الله بن أبي سعيد الوراق
283	فضل المدينة على مكة	

مكـة

80	كتاب مكة والحرم	لأبي عُبيدة
80	كتاب قِصّة الكعبة	لأبي عُبيدة
144	كتاب أخبار مكة	الواقـدي
151	كتاب مكة	المدائنـي
151	كتاب بناء الكعبة	المدائنـي
163/ 167	كتاب مكة	ابن شبّة
163	كتاب أُمراء مكة	ابن شبّة
161	كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها	الأَزْرَقي

165	(صفات الجبال والأودية؟) وأسمائها بمكة وما والاها	ابن الأشعث بن مخراق
199	كتاب فضائل مكة على سائر البقاع	لأبي زيد البَلْخي
159	مكة وأخبارها في الجاهلية والإسلام	الفاكهي
159	حفر زمزم	لأبي إسحاق العطار
مصر		
161	كتاب فضائل مصر	الجُمَحي
المَوْصِل		
241	كتاب أخبار المَوْصِل	للخالديين
واسط		
243	كتاب تاريخ واسط	بَحْشَل
اليمن		
142	كتاب منار اليمن	ابن الكلبي

كُتُب عن الإدارة والمالية

الدولة		
146	كتاب الدولة	الهيثم بن عديّ
150	كتاب الدولة	عليّ بن محمد المدائني
156	كتاب الدولة	سلمويه بن صالح الليثي
157	كتاب الدولة	الراوندي
158	كتاب الدولة	الحسن بن ميمون البصري
176	الدولة	إبراهيم بن العباس الصُّولي
217	الدولتين في تفضيل الخلافتين	أبو القيس الصَّيْمَري
السياسة وآداب السلطان		
188	السياسة	قُدامة بن جعفر
198	السياسة الكبير	لأبي زيد البَلْخي
198	السياسة الصغير	لأبي زيد البَلْخي
363	الرسالة الكبرى في السياسة	الكندي
363	رسالة في سياسة العامة	الكندي
213	السياسة	السَّرَخْسي
366	السياسة الكبير	السَّرَخْسي
366	السياسة الصغير	السَّرَخْسي
169	سياسة المُلُوك	لأبي دُلَف العِجْلي
170	رسالة في السياسة المُلُوكية	عبيد الله بن عبدالله بن طاهر
149	آداب السلطان	عليّ بن محمد المدائني

163	السلطان	عُمَر بن شبّة
115	السلطان	ابن قتيبة
184	صُحبة السلطان	ابن نصر
382	السلطان	ما شاء الله
376	المُلوك	فاليس
212	أخلاق المُلوك	التغلبي
213/ 366	أدب المُلوك	التغلبي
213	أدب المُلوك	السَّرخَسْي
198	اختيارات السِّيَر	لأبي زيد البَلْخي
195	علم المُؤامرات بالحضرة	ابن سريح
218	المُنادمة وأخلاق الخُلفاء والأُمراء	أبو العبر الهاشمي
186	الكُتّاب وسياسة المملكة وسيرة الخُلفاء	محمد بن داود الجراح

الوُزراء

184/ 186	الوُزراء	الجَهْشِياري
194	الوُزراء	الصاحب بن عبّاد
215	الوُزراء	محمد بن يحيى بن العباس الصُّولي
212	الزيادات في أخبار الوُزراء	ابن العماد الثقفي
186	الوُزراء	محمد بن داود الجراح
187	الوُزراء	المطوق (وَصَلَ به كتاب الجراح)

الكُتاب:

153	أسماء الخُلفاء وكُناهم (وكُتّابهم)؟ والصحابة	أحمد بن الحارث الخرّاز
185	التأريخ وأخبار الكُتّاب	داود بن الجراح
186	الكُتّاب وسياسة المملكة وسيرة الخُلفاء	عليّ بن عيسى بن داود الجراح
188	امتحان الكُتّاب	ابن حمارة
211	الدواوين	أبو إسحاق بن أبي عون

الوُلاة

163	أُمراء البصرة	ابن شبّة
163	أُمراء الكوفة	ابن شبّة
163	أُمراء مكة	ابن شبّة
163	أُمراء المدينة	ابن شبّة

القُضاة

152	قُضاة أهل البصرة	المدائني
152	قُضاة أهل المدينة	المدائني
166	أخبار القُضاة وتاريخهم وأحكامهم	وَكِيع

الشُرَط

146	عُمّال الشُّرَط وأُمراء العراق	الهيثم بن عديّ

العهود والنظم

198	العهود للخُلفاء والأُمراء	الجيهاني
192	نسخ العهود إلى القُضاة	المرزباني
172	آيين نامة في الأصر	ابن المقفع
198	آيين	الجيهاني
198	الزيادات في كتاب آيين (الناسي)	الجيهاني

المالية

82	كتاب الخَرَاج	الأصمعي
186	الخَرَاج الكبير (لم يُتمّه)	عبد الرحمن بن عيسى
186	الخَرَاج	ابن العرمرم
188	الخَرَاج	قُدامة بن جعفر
189	الخَرَاج (نسختان)	الكلواذاني
194	الخَرَاج (أول مُؤلّف في الخَرَاج)	حفصويه
194	الخَرَاج	ابن عبد الكريم (الكهم)؟
195	الخَرَاج	ابن الماشطة
195	الخَرَاج (ألف ورقة)	ابن بشّار
195	الخَرَاج (جزآن)	ابن سُرَيج
195	الخَرَاج الصغير	ابن سُرَيج
288	الخَرَاج	اللؤلؤي
290	الخَرَاج للمهتدي	الخصاف
317	الخَرَاج	يحيى بن آدم
286	الخَرَاج	لأبي يوسف
186	سيرة أهل الخَرَاج وأخبارهم وأنسابهم في القديم والحديث	عبد الرحمن بن عيسى
82	الأوقاف	الأصمعي
106	الأموال	أبو عبيد القاسم بن سلام
144	ضرب الدنانير والدراهم	محمد بن عمر الواقدي
152	ضرب الدراهم والصرف	عليّ بن محمد المدائني
166	التصرف والنقد والسكّة	وكيع
152	معرفة المراتب والرسوم	عليّ بن محمد المدائني
394	ما يحتاج إليه العُمّال والكُتّاب من صنعة الحساب	البوزجاني
152	المراعي والجراد ويحتوي على الكُوَر والطّساسيج وجباياتها	عليّ بن محمد المدائني
151	من أفرط من الأعراب في الديوان فندم	عليّ بن محمد المدائني

382	الأسعار	ماشا الله

كُتُب عن العرب وعن الأنساب

العرب والعجم

116	التسوية بين العرب والعجم	ابن قتيبة
179	انتصاف العجم من العرب	سعيد بن حميد بن البختطان
179	فضل العجم على العرب	سعيد بن حميد بن البختطان الجُمَحي
185	فضل العرب على العجم	إسحاق بن سلمة
210	فضل العرب على العجم	طيفور
152	مفاخر العرب والعجم	عليّ بن محمد المدائني
161	الانتصار في الردّ على الشعوبية	الجُمَحي
196	كتاب التوشيح والترشيح في بعض التسوية بين الشعوبية	محمد بن عبدالله الأصبهاني

الأنساب عُموماً

83	النَّسَب	الأصمعي
193	النَّسَب	ابن أبي مريم
158	النَّسَب	ابن غنام الكلابي
109	النَّسَب	القاسم بن سلام
163	النَّسَب	عمر بن شبّة
155	النَّسَب	محمد بن حبيب
138	النَّسَب الكبير	لأبي اليقظان النسابة
153	النَّسَب الكبير	ابن عبده
160	النَّسَب الكبير	مصعب بن عبدالله
143	الأنساب	هشام بن الكلبي
153	الأنساب	لأبي خالد الغنوي
156	الأنساب والأخبار	لأبي الحسن النسّابة
165	الأخبار والأنساب والسِّيَر	لأبي العباس بن سلام المُطاولي
159	المآثر والأنساب في الأيام	غَنَويه السَّدُوسي
153	مُختصر أسماء القبائل	ابن عبده
153	الكافي في النَّسَب	ابن عبده
161	نوادر أخبار النَّسَب	الزبير بن بكار
184	مُفاخرة القبائل في النَّسَب	لأبي الوزير عمر بن المُطَرِّف
153	مُختصر كتاب البطون	أحمد بن الحارث الخرّاز
71	جماهير القبائل	مُؤَرِّج السَّدُوسي
110	جماهير القبائل	المُفَضَّل بن سَلَمة

80	القبائـل	ابن عبده
114	القبائـل	أبو عمرو الزاهد
153	القبائـل	أحمد بن الحارث الخرّاز
155	القبائل الكبير وأيام العرب	محمد بن حبيـب
23	جمهرة أنساب الفُرْس	ابن خُرَّداذِبْه
161	المُفاخرات بين القبائل وأشراف العشائر	أبو الحسن النسّابة
145	تاريخ الأشراف الكبير	الهيثم بن عديّ
145	تاريخ الأشراف الصغير	الهيثم بن عديّ
145	الأشـراف	الهيثم بن عديّ
80	مقاتل الأشراف	لأبي عبيدة
153	الأشـراف	أحمد بن الحارث الخرّاز
80	المثالـب	لأبي عبيدة
145	المثالب (الكبير، والصغير)	الهيثم بن عديّ
161	المثالـب	الجُمَحِـي
139	المآثـر	خالد بن طليق
139	المآثـر	ابن أبي مريم
80	الغـارات	لأبي عبيدة
137	الغـارات	نصر بن مُزاحم
139	المُفاخـرات	خالد بن طليق
166	المُنافرات بين القبائل وأشراف العشائر وأقضية الحُكّام بينهم في ذلك	لأبي الحسن النسّابة
139	نوافل العرب	ابن أبي مريم
151	البيوتـات	عليّ بن محمد المدائني
165	بيوتات العرب	محمد بن سلام الجُمَحِي
156	البيوتـات	ابن النطّاح
80	بيوتات العرب	لأبي عبيدة
81	بيوتات العرب	لأبي زيد الأنصاري
156	المعصوميـن	الجُمَحِي
157	الأحـلاف	ابن أبي ثابت الزُّهري
139	المتزوجـات	خالد بن طليق
153	أبناء السـراري	أحمد بن الحارث الخرّاز
153	الأمهـات	ابن عبده
89	مقاتل الأشراف	لأبي عبيدة
80	الأوفيـاء	لأبي عبيدة
80	لصوص العرب	لأبي عبيدة
80	الحمالين والحمالات	لأبي عبيدة

80	غريب بطون العرب	لأبي عبيدة
157	الأجـواد	الغلابـي
157	المبخليـن	الغلابـي
98	أشعار القبائل	أبو الحسن أحمد
140	حلف عبد المطلب وخُزاعة	هشام بن الكلبي
140	حلف الفُضُول وقِصّة الغزال	هشام بن الكلبي
140	حلف كلب وتميم	هشام بن الكلبي
140	حلف اسم في قُريش	هشام بن الكلبي
145	حلف كلب وتميم وحلف ذُهل وحلف طيّ وأسد	الهيثم بن عديّ
88	كتاب قحطان وعدنان	المُبـرّد
153	كتاب مَعَدّ بن عدنان وقحطان	ابن عبدة
142	تسمية مَنْ بالحجاز من أحياء العرب	هشام بن الكلبي
148	نسب قُريش وأخبارها	عليّ بن محمد المدائني
148	فضائل قُريش	عليّ بن محمد المدائني
153	مناقب قُريش	ابن عبدة
160	نسب قُريش	مصعب بن عبدالله
161	أنساب قريش وأخبارها	الجُمَحِـي
156	أنساب ابن عبد المطلب	السُّكَّـري
138	نسب خندف وأخبارها	لأبي اليقظان النسّابة
138	حلف تميم لبعضها بعضاً	لأبي اليقظان النسّابة
138	أخبار تميم	لأبي اليقظان النسّابة
73	مآثر بني أسد وأشعارها	الفقعسـي
80	تسمية من قتلت بنو أسد	أبي عبيدة
153	نسب بني فقعس بن طريف بن أسد بن خزيمة	ابن عبدة
80	مآثر غَطَفان	لأبي عبيدة
163	أخبار بني نُمَيْر	عرم بن شبة
153	أخبار غنى وأنسابهم	لأبي خالد الغنوي
80	مناقب باهلة	لأبي عبيدة
80	مثالب باهلة	لأبي عبيدة
80	بنو مازن وأخبارهم	لأبي عبيدة
196	مثالب ثقيف وسائر العرب	لأبي الحصين محمد
151	أخبار تهيف (ثقيف؟)	عليّ بن محمد المدائني
153	أشراف بكر وتغلب وفرسانهم وأيامهم ومناقبهم وأجلائهم	ابن عبدة
155	ألقاب النمر وربيعة ومُضَر	محمد بن حبيب

157	أخبار ربيعة وأنسابها	خراش بن إسماعيل الشيباني
145	مثالب ربيعة	الهيثم بن عديّ
80	أيام بني يشكر وأخبارهم	لأبي عبيدة
79	خبر عبد القيس	لأبي عبيدة
151	أشراف عبد القيس	عليّ بن محمد المدائني
79	غارات قيس واليمن	لأبي عبيدة
156	أنساب أزد عمان	ابن النطّاح
80	الأوس والخزرج	لأبي عبيدة
147	فضائل الأنصار	لأبي البختري
161	الأوس والخزرج	الزبير بن بكار
144	حرب الأوس والخزرج	محمد بن عمر الواقدي
145	نسب طيِّئ	الهيثم بن عديّ
145	أخبار طيِّئ ونزولها الجبلين وحلف ذُهل (وهبل؟) وثُعَل	الهيثم بن عديّ
214	كتاب الزنجيين وهم المعافرون	ابن بسّام

كُتُب الطبقات

243	كتاب الطبقات	محمد بن سعد
322	كتاب الطبقات	مسلم بن الحجاج
322	كتاب الطبقات	عليّ بن المديني
324	الطبقات	خليفة بن خيّاط
144	الطبقات	ابن النديم
310	طبقات الرجال	الحسن بن محبوب السراد البَرْقي
322	الأسماء والكُنى	مسلم بن الحجاج
324	طبقات القُرّاء	خليفة بن خياط
324	تاريخ الزَّمْنَى والعَرْجى والمَرْضى والعُميان	خليفة بن خياط
344	تاريخ الفُقهاء	محمد بن عُمَر الواقدي
192	كتاب المُتكلّمين	المرزباني
192	المقتبس في أخبار النحويين البصريين	المرزباني
88	طبقات النحويين البصريين وأخبارهم	المبرد

تراجم أشخاص

148	كتاب العباس بن عبد المطلب	المدائني
148	كتاب أخبار أبي طالب وولده	المدائني
148	فضائل جعفر بن أبي طالب	المدائني

148	فضائل الحارث بن عبد المطلب	المدائني
148	كتاب عبدالله بن العباس	المدائني
148	كتاب عليّ بن عبدالله بن العباس	المدائني
148	كتاب آل أبي العاص	المدائني
148	كتاب آل أبي العيص	المدائني
148	كتاب خبر الحَكَم بن أبي العاص	المدائني
148	كتاب عبد الرحمن بن سمرة	للمدائني
148	كتاب ابن أبي عتيق	للمدائني
148	كتاب عمرو بن الزبير	للمدائني
148	كتاب فضائل محمد ابن الحنفية	للمدائني
148	فضائل عبدالله بن جعفر	للمدائني
128	أخبار عبدالله بن جعفر	ابن المرزبان
212	أخبار عبدالله بن معاوية بن أبي جعفر	ابن عماد الثقفي
148	معاوية بن عبدالله	للمدائني
148	عبدالله بن معاوية	للمدائني
148	كتاب محمد بن عليّ بن عبدالله بن عباس	للمدائني
148	العاص بن أُميّة	للمدائني
148	عبدالله بن عامر بن كُرَيْز	للمدائني
148	بشر بن مروان بن الحكم	للمدائني
148	عمر بن عبدالله بن معمر	للمدائني
148	عمرو بن سعيد بن العاص	للمدائني
148	يحيى بن عبدالله بن الحارث	للمدائني
148	أسماء من قتل من الطالبيين	للمدائني
148	أخبار زياد بن أُميّة	للمدائني
148	أخبار زياد وولده ودعوته	للمدائني
151	كتاب أبي الأسود الدُّؤلي	للمدائني
212	كتاب مثالب أبي خراش	لابن عبّاد الثقفي
212	كتاب أخبار سليمان بن أبي شيخ	لابن عبّاد الثقفي
152	كتاب ذمّ الجنيد	للمدائني
152	أخبار رقبة بن مصقلة	للمدائني
152	أخبار إياس بن معاوية	للمدائني
152	أخبار ابن سيرين	للمدائني
192	أخبار أبي حنيفة	للمرزباني

الشُّعـراء

161	كتاب إغارة كثير على الشعراء	للزبير بن بكار
161	أخبار ابن ميادة	للزبير بن بكار
161	أخبار حسّان	للزبير بن بكار
161	أخبار أُميّة	للزبير بن بكار
161	أخبار العَرْجي	للزبير بن بكار
98	أشعار القبائل	لأبي الحسن أحمد
190	أخبار الشعراء	المرزبانـي
161	أخبار أبي السائب	للزبير بن بكار
161	أخبار حاتم	للزبير بن بكار
161	أخبار عبد الرحمن بن حسّان	للزبير بن بكار
161	أخبار هدبة وزيادة	للزبير بن بكار
161	أخبار توبة وليلى	للزبير بن بكار
161	أخبار ابن هرمة	للزبير بن بكار
161	أخبار المجنون	للزبير بن بكار
214	أخبار عمر بن أبي ربيعة	ابن بسّام
161	أخبار القارىء	للزبير بن بكار
161	أخبار ابن الدمينة	للزبير بن بكار
214	أخبار ابن قيس الرقيات ومختار شعره	ابن المرزبان
161	أخبار عبدالله بن قيس الرقيات	للزبير بن بكار
212	أخبار أبي نواس	لابن عماد الثقفي
212	أخبار أبي العتاهية	لابن عماد الثقفي
212	أخبار ابن الرومي	لابن عماد الثقفي
202	أخبار حَمّاد عَجْرَد	لإسحاق المَوْصِلي
161	أخبار أشعث	للزبير بن بكار
202	أخبار ذي الرمة	لإسحاق المَوْصِلي
178	أخبار ذي الرمة	هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات
192	أخبار عبد الصمد بن المعذل	للمرزبانـي
192	أخبار شعبة بن الحجاج	للمرزبانـي
214	أخبار الأحوص	ابن بسّام
215	أخبار أبي تمّام	محمد بن يحيى الصُّولي
220	أخبار أبي تمّام	السميـاطـي
216	العباس بن الأحنف ومختار شعره	محمد بن يحيى الصُّولي
181	أخبار أبي العيناء	محمد بن القاسم بن خلاد

المُغنّيات والمُغنّين

211	أخبار عَزَة الميلاء	لأبي أيوب المديني
202	أخبار عَزَة الميلاء	لإسحاق المَوْصِلي
212	ابن مُسْجِح	لأبي أيوب المديني
202	أخبار سعيد بن مُسْجِح	لإسحاق المَوْصِلي
212	أخبار ابن عائشة	لابن المديني
212	ابن أبي عتيق	لابن المديني
212	أخبار حنين الحيري	لابن المديني
202	أخبار حنين الحيري	لإسحاق المَوْصِلي
212	ابن سُريج	لابن المديني
202	أخبار معبد وابن سُريج وأغانيهما	لإسحق المَوْصِلي
212	الغريض	للمديني
202	أخبار الغريض	لإسحاق المَوْصِلي
212	أمر ابن محرز	لابن عماد الثقفي
202	أغاني معبد	لإسحاق المَوْصِلي
202	أخبار طويس	لإسحاق المَوْصِلي
202	أخبار المُغْنين المكين (أخبار المكسن؟)	لإسحاق المَوْصِلي
202	أخبار الدلال	لإسحاق المَوْصِلي
202	أخبار محمد بن عائشة	لإسحاق المَوْصِلي
202	أخبار الأبجر	لإسحاق المَوْصِلي
202	أخبار ابن صاحب الضَّوء	لإسحاق المَوْصِلي
212	قِيان الحجاز	لأبي أيوب المديني
202	قِيان الحجاز	لإسحاق المَوْصِلي
212	قِيان مكة	لأبي أيوب المديني
167	الأغاني الكبير	لأبي الفرج الأصفهاني
212	طبقات المُغنّين	لأبي أيوب المديني
222	صناعة الغناء وأخبار المُغنّين	قريض المغني
212	المُنادمين	لأبي أيوب المديني
214	الجلساء والنُّدماء	ابن المرزبان
212	أخبار ظُرفاء المدينة	لأبي أيوب المديني
202	كتاب القِيان	لإسحاق المَوْصِلي
220	ربيع المتيم في أخبار العشّاق	ابن خلاد الرامهرمزي
214	أخبار المُتيّمين المعصومين	ابن المرزبان

كُتُب عن الفُرْس

146	كتاب أخبار الفُرْس	الهيثم بن عدي
166	أخبار الفُرْس وأنسابها	لأبي الحسين النسّابة
213	جمهرة أنساب الفُرْس والنوافل (النوافل)	ابن خُرَّدَاذِبه
172	خداي نامه في السِّيَر	ابن المقفع
172	سيرة أردشير	أبان اللاحقي
172	سيرة أنوشروان	أبان اللاحقي
172	التاج في سيرة أنوشروان	ابن المقفع
172	مـزدك	ابن المقفع

كُتُب عن الروم

355	أخبار الفلاسفة	فرفوريوس
357	أخبار أرسطاليس ووفاته ومراتب كُتُبه	أرسطوس
425	تاريخ الروم	؟

أهل الكِتاب

34	كتاب ديوان الأيام فيه سِيَر المُلوك وأخبارهم	(لليهود)
35	كتاب العبور وهو التاريخ (كُتُب التوراة)	(لليهود)
35	(الأناجيل)	

كُتُب فلكية لها بعض الصِّلة بالتأريخ والتقويم

375	تحويل سِنِيّ العالم	بطليموس
376	تحويل سِنِيّ العالم	فاليس
383	تحويل سِنِيّ العالم	سهل بن بشر
386	تحاويل سِنِيّ العالم	الخيّاط
387	تحاويل سِنِيّ العالم	أبو معشر البلخي
387	تحاويل سِنِيّ العالم والحكم عليها	عبدالله بن مسرور
385	القرانات وتحويل سني العالم	ابن البازيار
375	تحويل سِنِيّ المواليد	ذورثيوس
382	تحويل سِنِيّ المواليد	الفضل بن نوبخت
383	تحاويل سِنِيّ المواليد	سهل بن بشر
386	تحويل سِنِيّ المواليد	الخيّـاط
387	تحاويل سِنِيّ المواليد	عبدالله بن مسرور
362	رسالة في تحويل سني المواليد	الكِنْـدي
382	المواليـد	أبو محمد بن عمر بن حفص الفرخان الطَّبَري

382	المواليد	ماشاء الله
382	المواليد الكبير	ماشاء الله
382	المواليد	الفضل بن نوبخت
383	المواليد الكبير	سهل بن بشر
383	المواليد الصغير	سهل بن بشر
384	المواليد	الحسن بن إبراهيم الأبح
385	المواليد	خرزاذ (خرزاد؟) بن دارشاد
386	المواليد	الخيّاط
388	المواليد	يعقوب بن طارق العنيسي
385	المواليد وتحويل سني المواليد	ابن البازيار
382	النهمطا في المواليد	الفضل بن نوبخت
387	الجمهرة (جمع فيه أقاويل الناس في المواليد)	أبو معشر البلخي
382	المُنتحل من أقاويل المُنجّمين في الأخبار والمسائل والمواليد وغيرها	الفضل بن نوبخت
387	السهمين وإعمار المُلوك والدُّوَل	أبو معشر البلخي
382	الواحد والعشرون في القرانات والأديان والمِلَل	ماشاء الله
381	الزيج على سِنِيّ العرب	الفزاري

كُتُب ذكرها الطُوسي في كتابه «الفِهْرِست»[1]

كُتُب في التاريخ

21	كتاب التأريخ	لأحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن
28	كتاب التأريخ	لأحمد بن محمد بن عقدة الحافظ
30	التأريخ الكبير	لأحمد بن إبراهيم العمي
30	التأريخ الصغير	لأحمد بن إبراهيم العمي
31	التأريخ	لأحمد بن محمد الرازي
24	تاريخ الرجال	لأحمد بن محمد العقيقي

الرسول (ﷺ)

18	المبدأ والمبعث والمغازي والسقيفة والردة	أبان بن عثمان العجلي
21	مغازي النبيّ	أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن
21	بنات النبيّ وأزواجه	أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن
89	المغازي	عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمي

(1) اعتمدنا على طبعة المطبعة الحيدرية. النجف 1356هـ/ 1937م.

الخُلفاء الراشدون

139	سيرة أبي بكر	محمد بن مسعود العياشي
139	سيرة عمر	محمد بن مسعود العياشي
139	سيرة عثمان	محمد بن مسعود العياشي
116	مقتل عثمان	عيسى بن مهران
125	مقتل عثمان	لأبي مِخْنَف
29	تسمية من شهد مع أمير المؤمنين حروبه من الصحابة والتابعين	أحمد بن محمد بن عقدة
30	مناقب أمير المؤمنين	أحمد بن إبراهيم العمي
95	الخونة لأمير المؤمنين	المدائني
104	مقتل أمير المؤمنين	عبدالله بن محمد بن أبي الدُّنيا
123	مقتل أمير المؤمنين	غياث بن إبراهيم

الحسين

7	مقتل الحُسين بن عليّ	إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي
79	مقتل الحُسين	سلمة بن الخطاب البراوستاني
95	مقتل الحُسين	المدائني
104	مقتل الحُسين	عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا
125	مقتل الحُسين	لأبي مِخْنَف
157	مقتل الحُسين	محمد بن عليّ بن بابويه القُمّي

كُتُب عن بعض الأحداث الإسلامية

28	الرّواية ومن روى يوم غدير خُمّ	أحمد بن محمد بن عقدة الحافظ
196	كتاب الغدير	عليّ بن بلال المهلبي
32	الكشف فيما يتعلق بالسقيفة	أحمد بن إبراهيم الصيمري
29	الشورى	أحمد بن محمد بن عقدة الحافظ
28	حديث الراية	أحمد بن محمد بن عقدة الحافظ
125	كتاب الجَمَل	لأبي مِخْنَف
132	كتاب الجَمَل في أمر طلحة والزبير وعائشة	لأبي مِخْنَف
125	كتاب صفّين	لأبي مِخْنَف
32	أخبار فاطمة	أحمد بن محمد بن جعفر الصولي
29	يحيى بن الحُسين بن زيد وأخباره	أحمد بن محمد بن عقدة الحافظ
29	المُبيِّضة	أحمد بن محمد بن عقدة الحافظ
79	فضل عبدالله وعبد المطلب وأبي طالب	سعد بن عبدالله القمي
125	أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي	لأبي مِخْنَف
125	مقتل محمد بن أبي بكر	لأبي مِخْنَف

30	أخبار صاحب الزنج	أحمد بن إبراهيم العمي
31	العباسي	أحمد بن إسماعيل بن سمكة

الإمامة والأئمة

12	الاستيفاء في الإمامة	إسماعيل بن إسحاق بن نوبخت
12	التنبيه في الإمامة	إسماعيل بن إسحاق بن نوبخت
13	الردّ على المُفاخرين في الإمامة	إسماعيل بن إسحاق بن نوبخت
12	الأنوار في تاريخ الأئمة	إسماعيل بن إسحاق بن نوبخت
32	الضياء في تاريخ الأئمة	أحمد بن إبراهيم الصيمري
46	الجامع في الإمامة	الحسن بن موسى النوبختي
76	الضياء في الإمامة	سعد بن عبدالله القُمّي
76	مقالات الإمامية	سعد بن عبدالله القُمّي
102	الإمامة	عبدالله بن جعفر الحميري القُمّي
102	الإمامة	عبدالله بن أحمد بن أبي زيد الأنباري
132	الإمامة	محمد بن النعمان الأحول
132	الإمامة	محمد بن الخليل السكّاك
132	الأنفاد في الإمامة	محمد بن بشر السوسنجردي
10	دين الإمامية	محمد بن عليّ بن بابويه القُمّي

الشيعة والفِرَق الدّينية

119	طبقات الشيعة	عبد العزيز يحيى الجلودي
34	فضائح الحشوية	أحمد بن داود بن سعيد الفزاري
34	استنباط الحشوية	أحمد بن داود بن سعيد الفزاري
34	محنة النائبة (في وصف الحشوية)	أحمد بن داود بن سعيد الفزاري
34	خلاف عُمَر برِواية الحشوية	أحمد بن داود بن سعيد الفزاري
34	مُناظرة البكرية والعمرية	أحمد بن داود بن سعيد الفزاري
34	الردّ على الأخبار الكاذبة	أحمد بن داود بن سعيد الفزاري
34	مُناظرة الشيعي والمرجي في المسح على الخفّين وأكل الجرّي	أحمد بن داود بن سعيد الفزاري
34	الغوغاء من أصناف الأمة من المُرجئة والقَدَرية والخوارج	أحمد بن داود بن سعيد الفزاري
132	الفرق بين الآل والأمة	محمد بن يحيى الدهني
132	التعريف على الزيدية	محمد بن قبة الرازي

كُتُب عن الفِرَق

48	الردّ على الغالية	إبراهيم بن أبي حفص الكاتب
7	الردّ على الغالية	إسماعيل بن إسحاق بن نوبخت

12	الردّ على الغُلاة	الحسن بن عليّ بن فضّال
58	الردّ على الغالية	الحسين بن سعيد
124	الردّ على الغُلاة	الفضل بن شاذان النيسابوري
12	الإرجاء	إسماعيل بن إسحاق بن نوبخت
124	الردّ على المُرجئة	الفضل بن شاذان النيسابوري
13	الردّ على المجبرة في المخلوق والاستطاعة	إسماعيل بن إسحاق بن نوبخت
132	الردّ على المُعتزلة في إمامة المفضول	محمد بن النعمان الأحول
135	الردّ على القرامطة	محمد بن يعقوب الكليني
124	الردّ على الباطنية والقرامطة	الفضل بن شاذان النيسابوري

كُتُب عن البُلدان

27	أسماء الجبال والمياه والأودية	أحمد بن إبراهيم بن حمدون الكاتب
21	ذكر الكعبة	أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن
137	كتاب مكة والحرم	محمد بن مسعود العياشي
28	فضل الكوفة	أحمد بن محمد بن عقدة الحافظ
92	فضل الكوفة	عليّ بن الحسين بن فضّال
76	فضل قُمّ والكوفة	سعد بن عبدالله القمّي

كُتُب عن المَوَالي

151	المَوَالـي	محمد بن عمر بن مسلم الجعابي

كُتُب عن العرب

97	كتاب النَّسَب	عليّ بن أحمد العلوي العقيلي
96	فضل العرب	عليّ بن بلال المهلبي
102	فضل العرب	عبدالله بن جعفر الحميري القمّي
124	فضل العربية والعجمية	محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري
27	كتاب بني مرّة بن عوف	أحمد بن إبراهيم بن حمدون الكاتب
27	كتاب بني النمير بن قاسط	أحمد بن إبراهيم بن حمدون الكاتب
27	كتاب بني عقيل	أحمد بن إبراهيم بن حمدون الكاتب
27	كتاب بني عبدالله بن غَطَفان	أحمد بن إبراهيم بن حمدون الكاتب
27	طيِّئ	أحمد بن إبراهيم بن حمدون الكاتب

الكافِيَجي

المُخْتَصَر في عِلْم التاريخ[1]

1 ـ مُقدّمـة

إنّ الكِتاب القصير الذي عنوانه **المُخْتصر في علم التاريخ**، والذي نَنْشر بعضه في الصَّفحات التالية كُتب سَنَة 867هـ/ 1463م. وبالرَّغْم من حَدَاثة تأريخه نسبياً، فإنه أَقْدَم رسالة إسلامية معروفة لدينا عن نظرية علم التأريخ. فإذا وُجدت عن الموضوع كُتُب أُخرى أَقْدَم منه، فإنها لم تَظْهر للنُّور بعد. أما مقدّمة

(1) لقد حاولنا بِقَدر الإمكان أن نَخْتصر الهوامش التي بالإمكان توسيعها إلى ما لا نهاية. أما الشخصيات، فقد عرّفناها عندما تُذكر لأول مَرّة في **الإعلان** سوى الذين لم أنجح في معرفة هُويّتهم، أما الخُلفاء وبعض الحُكّام فلم أُحاول تعريفهم لأنهم يُمكن الاطّلاع على تراجمهم في **دائرة المعارف الإسلامية**.
وقد حاولتُ، حيثما أَمْكَن ذلك، ألّا أُشير إلا إلى بروكلمان، وهذه الإشارات هي إلى الأصل، رَغْم أنّ من **الذيل** معلومات مُهمّة عادة. ومن حيث العُموم، لم أُعِد هنا المراجع من الكُتُب التي ذُكرت في بروكلمان.
أما عن الأحاديث النبويَّة فقد رَجعت إلى **المُعْجَم المُفَهرس لألفاظ الحديث النبويّ** أعدّه أ.ج فنسنك وج.ب منسنج (ليدن 1933م فما بعد)، وقد وَصل المطبوع من هذا المُعْجَم إلى حرف السين. وكان كثيراً ما يُعتبر كافياً. غير أنّ النُّصوص التي ذُكرت في **المُعْجَم المُفَهرس** لا تتفق دائماً مع نصّ الكُتُب المُترجمة.
أما الآيات القرآنية فقد اتّبعنا في ترقيمها الطبعة المصرية وأضفنا ترقيم الآيات في طبعة فلوجل بعد أن وضعناها بين قوسين.
إنّ بعض الكُتُب التي أكثرنا من الاقتباس منها هي: البُخاري: **التاريخ** (حيدرآباد 1360-4هـ)، الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد** (القاهرة 1349هـ/ 1931م)، ابن حجر: **التهذيب** (حيدرآباد 1325-7هـ)، ابن حجر: **لسان** (حيدرآباد 1329-31هـ)، ابن حَجَر: **الدُرَر** (حيدرآباد 1348-50هـ)، ابن الجَوزي: **المُنتظَم** (حيدرآباد 1357-9هـ)، ابن كثير: **البداية** (القاهرة 1351هـ/ 1932م-1358هـ)، السَّخاوي: **الضَّوء** (القاهرة 1353-5هـ).

ابن خلدون، فقد اعتُبرت كِتاباً مُستقلاً في حياة مُؤلّفها الذي أَطْلق على «موضوع الكِتاب الأول منها» عِلْماً مُستقلاً[2]. ومع هذا، فقد أُريدَ **بالمُقدّمة** أن تكون مُقدّمة لتاريخ عظيم، وكانت تَبْحث في التأريخ ولا تَبْحث في كتابة التاريخ إلا بصُورة غير مباشرة.

أما الكافِيَجي، فقد حاول، من جِهة ثانية أن يكتب كِتاباً يهتمّ بمُعالجة نظرية للتأريخ دون غيرها. ويُمكن القول لأول وهلة بأنه لم ينجح. فالنصف الثاني من الصفحات العشرين من المخطوطة المصرية للكتاب مليء بالقِصَص، وهذه القِصَص يَهدف منها إلى توضيح المُناقشات النَّظرية، غير أنها في الواقع مُجرّد أُمور خيالية عادية، وحِكايات عن الملائكة والأنبياء، مع بعض المعلومات التأريخية التي أُضيفت إلى آخر الكتاب. وإذا كان النصف الثاني من الكتاب مليئاً بمادة لا قِيمة لها، فإن القسم الأول يُعوّض تماماً عن نقائص القسم الثاني.

إنَّ مُحيي الدين محمد بن سليمان الكافِيَجي أصله من كوك جاكي في الأناضول، وقد وُلد على ما يقول ـ وقد يكون في قوله مُبالغة لعمره ـ في سَنَة 788هـ/ 1386-7م، وتوفي في سَنَة 879هـ/ 1474م[3]. وإنّ كثرة تردّد اسمه في تَراجم رجال القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي المذكورين في **الضَّوء اللامع** للسَّخاوي، تَدلّ على أنه كان مُعلّماً شعبياً. أما مُؤلّفاته، فكانت كثيرة، غير أنّ مُعظمها قصير ولم يُنشر منها شيء. وفي دار الكُتُب المصرية بالقاهرة بالإضافة إلى كتاب الكافِيَجي عن علم التاريخ، عِدّة مخطوطات رجعتُ إليها، ومنها شرح لكتاب ابن هشام في النحو ومجموعتان من رسائله الصغرى[4]، وموضوع هذه الرسائل لا يختلف كثيراً، غير أنه يبدُو أنّ الكافِيَجي عَالَجها بأصالة كبيرة.

---

(2) **المقدّمة**، ج1، ص62، طبعة باريس.

(3) انظر بروكلمان: ج1، ص134 فما بعد.

(4) مخطوطة: القاهرة، علم النحو 114 (انظر أيضاً: 240، 241، 440، 46 مجاميع) ومجمع 392، 395.

وكِتاب **المُختصر في علم التاريخ** هذا جدير بالاعتبار لأَصَالة طريقته، وجُودة كِتابته. وهو يَتْبع النظام المألوف في تعريف عِلْمي يرجع إلى الفلسفة الأرسطوطاليسية[5]. وكان مصدر الإلهام المُباشر في هذا المضمار هو طريقة البحث في علم الفقه[6]. وقد أجاب باختصار عن المسائل المُتعلّقة بخصائص علم التاريخ وغَرَضه، وهدفه وفوائده. غير أنه كرّس مَجَالاً أَوْسع للمُعضلات الناجمة عن غُمُوض كلمة «تأريخ» العربية، وعن مركز التأريخ في العُلوم الدِّينية الإسلامية.

لم يكن الكافِيَجي مُؤرّخاً مُحترفاً، ولا يبدُو أنه كان مُهتمّاً بصورة خاصة بالتاريخ. وبالإضافة إلى الكتاب الحالي، فَقَد اهتمّ بالمُعضلات التاريخيَّة في كتاب **النصر القاهر والفتح الظاهر**[7]. وكان يُعتبر في زمانه ثِقَة في العلوم غير الدِّينية وغير الأحاديث. وتَظهَر في كِتابه عن علم التاريخ معرفته الضئيلة بالفلسفة والعلوم، غير أنه كان فَوْق كلّ شيء عالماً دينياً مثل مُعاصره الأصغر، السَّخاوي، ومثل عُلماء عصره كافة. غير أنّ انشغاله بالتاريخ كان عَرَضياً بالنسبة لدِراساته عن الحديث والفقه، ولعلّ هذا كان أكثر ممّا يودّ أن يَعترف هو به.

إنّ أفكار الكافِيَجي عن التاريخ كما بيّنها في الكتاب الحالي، كان لها أثر كبير على السَّخاوي، فلَولا **المُختصر في علم التاريخ** لما كان بالإمكان ظهور **الإعلان بالتوبيخ** للسَّخاوي. فإن المسائل، وعَرْضها إلى حدٍّ ما، هي نفسها في كِلا الكِتابين. ولا يُوجد مُبرّر لافتِراض وجود مصدر مُشترك لهما. غير أنه قد

---

(5) إنّ مقدّمة الصَّفَدي **الوافي** من جِهة أُخرى، تُظهر المُعالجة اللُّغوية. انظر الترجمة التي قام بها:

E. Amar. «Prolégomènes à L'études des historiens Arabs par Khelil Ibn Aibak aṣ Ṣafadi» in *JA*, X, 17, 251-308, 465-531, X, 18, 5-48, X, 19, 243-97, 1911-2.

غير أنه يجب أن نُلاحظ أنّ **خِطط** المَقْريزي تبدأ بثماني مسائل «أرسطوطاليسية» تتحكّم في تأليف الكتاب الأدبي.

(6) انظر مثلاً: عليّ بن أبي عليّ الآمدي، **إحكام الأحكام**، ج1، ص6 (القاهرة 1914م).

(7) انظر:

W. Ahlwardt. *Verjeichniss der arabischen Handschriften* VII. 493 & A ad 110, 5807 C Berlin. *Die Handschrifter -Verseichmisse der königlichen Bibliothek zu Berlin* 19).

يكون من الخطإ ذمّ السَّخاوي لعدم تقديره لكِتاب سَلَفه. فقد كان السَّخاوي يُحاول دائماً أن يُعطي حُلولاً جديدة للمسائل التي أثارها الكافِيَجي. وقد كان السَّخاوي واضحاً بينما كان عَرْض الكافِيَجي شديد الإيجاز. وقد ملأ فراغاً كبيراً لنَواحي علم التاريخ الإسلامي كافة.

ومن سُوء الحَظ أنّ إبداع الكافِيَجي لم تُوازِه مَوَاهبه في التعبير الأدبي، فمُلاحظاته تبدو كأنها رؤوس أقلام المُحاضرات أُلقيت على جماعة من طُلّاب الفقه. وهُناك بعض الإشارات إلى مُناقشات سابقة لا نعرفها. ومع مُلاحظتنا للاصطِلاحات الفنّية التي كانت شائعة في ذلك العصر وهي اصطلاحات فِقْهية بصورة عامة، فإن المعنى المضبوط للنصّ يبقى في بعض الأحيان غامضاً... وهذا يَرجع من حيث العُمُوم إلى عدم قُدرة المُؤلّف على التعبير عن نفسه بوضوح. ثُمّ إنّ أفكاره أيضاً غامضة، ويبدُو أنّ كثيراً منها لم يُتَحْ لها الوقت الكافي لتنضج في ذهن المُؤلّف.

كُلّ هذه العوامل تَجتمع لتُعقِّد واجب المُترجم. وقد تَّمت ترجمة الكافِيَجي بالروح نفسها التي تُرجم فيها كتاب السَّخاوي، ويَنبغي أن تُقارن المُلاحظات على مُقدّمة ترجمة **الإعلان** «أدناه ص334-337». وفي بعض الأحيان كُنا نشعر بالحاجة إلى المزيد من التَّرجمة الحَرْفية. وقد تَرجمنا «علم التاريخ» في **الإعلان** «history» ولم نَستعمل التعبير المُحرج «historiography» أو «The Science of history» وهي ترجمة تُثير بسهُولة اقتِرانات مغلوطة في ذهن القارىء الحديث. أما في هذا الكتاب، فقد اخترتُ «historiography» لكلمة علم التأريخ. كما أني استعملت كلمة «Codification» ترجمة لكلمة «تدوين»، ولم أستعمل لها «Systematic Theoretical Treatment» وإن كان هذا التعبير الأخير أدقّ.

أما مخطوطة **المُختصر في علم التاريخ** التي استُنِدَت إليها هذه الترجمة، فهي المخطوطة المحفوظة في دار الكُتُب المصرية[8]. وقد كُتبت بعد ثمانية أيام

(8) مخطوطة، القاهرة، تاريخ 528. انظر: ج5، ص145 من الفِهْرِس القديم، ج5، ص335 من الفِهْرِس الجديد للكتب العربية والمخطوطات في دار الكُتُب المصرية.

من انتهاء المُؤلّف من الكِتاب من سَنَة 867هـ/ 1463م، أما نَاسخها فهو أحد تلامذة الكافِيَجي، وهو عليّ بن داود الجوهري، المُؤرّخ الذي ولد سَنَة 819هـ/ 1416م وتوفي سَنَة 900هـ/ 1495م، ولا بأس أن نذكر هنا عَرَضاً أنّ السَّخاوي جعله في **الضَّوء اللامع** ذا شُهرة رديئة جداً[9].

وهُناك مخطوطتان أُخريان من هذا الكتاب في إستانبول «آيا صوفيا 3402، 3403»، وقد استفسرتُ عنهما من هـ. ريتر الذي كان لا يزال آنذاك في إستانبول، فتلطّف بإخباري أنّ نُسخة واحدة منهما فقط يُمكن التوصّل إليها. أما الثانية، فكانت في الأناضول حيث نُقلت هُناك خشية من أخطار الحرب. غير أنّ كِلتا النُّسختين أصبحتا الآن في مُتناول اليد. وقد استطعتُ الحصول على مُصوّرات فوتوغرافية لهما بالتعاون الودّي التام للسلطات في تركيا، وباللُّطف العظيم للدكتور مصطفى كويمن، من رجال المكتبات في إستانبول، والدكتور ج.ك. برج من إستانبول والنُّسختان كتبهما الشخص نفسه وهو يحيى بن محمد الدمسيسي الذي وُلد سَنَة 833هـ/ 1430م وكان تلميذاً آخر للكافِيَجي. وقد ظلَّ الدمسيسي، بعكس الجوهري، على علاقات طيّبة مع السَّخاوي، فلما ألّف هذا **الضَّوء اللامع** كان الدمسيسي لا يزال على قَيْد الحياة، فحظي بقِسط وافر من المديح[10].

وقد تمَّ نَسْخ مخطوطة آيا صوفيا 3402 يوم الخميس في الثالث والعشرين من شعبان لسَنَة... (لم أستطع قراءة بقية الكتابة، ولعلها السَّنَة التي أُلِّف فيها الكتاب، غير أنّ اليوم الثالث والعشرين من شعبان سَنَة 867هـ/ 13 مارس 1463م يُصادف الجمعة).

وإذا كانت مخطوطة الجوهري كتبها لاستعماله الخاص كما يتجلّى ذلك من كتابتها الرديئة، فإن نُسَخ الدمسيسي قد نُسِخت لحساب المكتبات المُعتبرة لكُلٍّ

(9) انظر: **الضوء**، ج5، ص9-217 ابن إياس: **بدائع**، ج2، ص288 (بولاق 1311هـ/ 1893م ـ انظر أعلاه: قسم 1، ص74 فما بعد. بروكلمان، ج2، ص43، **الملحق**، ج2، ص41، الطبعة الجديدة، ج2، ص53).

(10) انظر: **الضَّوء**، ج1، ص251 فما بعد.

من قايتباي، سلطان المستقبل، ومحمود باشا، ولذلك كُتبت بخطّ مُمكن قراءته. والكتابة الرديئة في هذه الحالة، لا تعني أنّ النص جيد، فنُسخة الجوهري أردأ من نُسخة الدمسيسي؛ أما مُصوّرة آيا صوفيا 3403، فقد وصلت بعد أن أرسلت مُسودة كتابي للناشر، فلم تتوافر لي فُرصة مُقارنتها قبل طبع الكتاب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ[1]

الحمد لله الذي خلق الأرض والسماء وما فيهما عِبْرة لأُولي النُّهى[2]، والصلوٰة والسلام على رسوله وحبيبه محمد صاحب الوحي والهدى، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم الذين هم نُجوم الاقتداء والاهتداء.

وبعد، فإن من جُملة العلوم النافعة في المبدإ والمَعاد وما بينهما علم التاريخ الذي فوائده وغرائبه لا تُعَدّ ولا تُحصى، وهو بحر الدُّرَر[3] والمَرْجان، لا يُحيط بمنافعه نِطاق التحديد والتبيان، وفيه عجائب الملك والملكوت، وفيه إيصال إلى جَناب الحقّ ذي العظمة والجَبَرُوت.

ولكن لما كان دُرَراً منثورة في عُجاج بحر العُمان، غير مُنتظم في سلك القواعد والتبيان، وقد دعاني الحَدْب على أهل «الأدب والأرب[4]» إلى جمعه في قوانين الضَّبط والبيان، بقدر الوُسع والإمكان، مُتوكِّلاً في ذلك على الله المُعيَّن كثير الفضل والإحسان. ولئن كنت بمراحل من جانب التصدّي لذلك الخطب العظيم الشأن. دوّنت كتاب **المُختصر في علم التاريخ** (2أ) تُحفة مني إلى الإخوان، تحفة النّملة إلى سليمان، راجياً من الله الذكر الجميل في الأُولى،

---

(1) ب تضيف (وهو حسبي)، ج تضيف (وبه نستعين).
أ ـ مخطوطة القاهرة: دار الكُتُب رقم تاريخ 528 وقد أشرنا في النص إلى أرقام صفحاتها.
ب ـ مخطوطة آيا صوفيا، رقم 3402.
جـ ـ مخطوطة آيا صوفيا، رقم 3408.

(2) أ: (النها).

(3) ج: (الدُّر).

(4) ب، ج: (الأرب والأدب).

والأجر الجزيل في الأُخرى، إنه على كُلّ شيء قدير وبالإجابة جدير. ورتّبته على ثلاثة أبواب.

الباب الأول في مبادىء علم التاريخ

أقول التاريخ في اللُّغة هو تعريف الوقت، وفي «العُرْف والاصطلاح[5]» هو تعيين وقت ليُنسب إليه زمان مُطلقاً، سواء كان قد مضى أو كان حاضراً أو سيأتي. وقيل: التاريخ تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع كظهور مِلّة أو وقوع حادثة هائلة من طُوفان أو زلزلة عظيمة ونحوهما من الآيات السماوية والعلامات الأرضية. وقيل التاريخ مدّة معلومة بين حدوث أمر ظاهر وبين أوقات حوادث أُخَر.

ولكُلّ واحد من هذه الاصطلاحات وَجْهٌ وجيهٌ، فاخترْ منها ما كان أحلى عندك وأَوْلى. فعُلم من هذا أنّ التاريخ في الاصطلاح لفظ مشترك[6] كاشتراك العين بين معانيها. ولا حَجْر عن ذلك إذ كُلّ أحد له أن يصطلح على ما يشاء كيف يشاء بغَرَض[7] صحيح احترازاً[8] عن العبث[9]. والكُتُب مشحونة بذلك يشهد به من يُطالعها و﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (2ب). قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾. ومن هذا القَبِيل نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ، والرأي مختلف، لكن ينبغي للعاقل أن يتّبع الحق ولا يتّبع الهوى لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ومنه قول الشاعر:

---

(5) ج (الاصطلاح).

(6) إنّ التعريف السابق للتاريخ، رَغْم شُيوعه (انظر مثلاً: المَقْريزي: **الخِطط**، ج1، ص250، بولاق 1260هـ)، فقد أخذه الكافِيَجي مع بعض التبديل من كتاب **نهاية الإدراك** للشيرازي. انظر أدناه: ص313، هامش 2.

(7) ب، ج: (لغرض).

(8) أ. ب: (احترار).

(9) أ: (الغيب).

إلا إنّ رأيَ الأشعريِّ، أبي الحسنْ
ومُتَّبِعِيه في القبيح وفي الحَسَنْ[10]
وإن كان منسوباً إلى الجهل عن قِلىً[11]
لَرَأيٌ حقيقٌ بالقبول فاعلَمَنْ

والحاصل أنّ الحق[12] (أحق بأن[13]) يُتَّبع، والصدق جدير بأن يُستمع، وهذا ثابت بالأدلّة الشرعية وبالاستدلال العقليّ أيضاً.

فيكون لفظ التاريخ منقُولاً عُرفياً كسائر المنقُولات الشرعية والعُرفية كالإيمان والصلاة ونحوهما والدابّة ونحوها. فإن قلت: فما الفَرْق بين التاريخ اللُّغوي والتاريخ الاصطلاحي؟ قلت: الفَرْق بينهما بالعُمُوم والخُصُوص، فاللُّغوي أعمُّ من التاريخ الاصطلاحي عُمُومَ الحيوان من الإنسان.

وأما علم التاريخ فهو علم يُبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلّق به من حيث[13] (3أ) تعيين ذلك وتوقيته.

ثُمّ الزمان في اللُّغة هو الوقت، والوقت معروف عند القوم، والمِيقات أعمّ من الوقت. يُقال للوقت المضروب للفعل كوقت الحَجّ والصلاة ونحوهما «مِيقات»، كما يُقال مِيقات للموضع المُعيَّن لأمر من الأمور. تقول: مِيقات أهل الشام هو الموضع الذي يُحْرِمون[14] منه وهو الجُحْفَة، كما تقول: مِيقات أهل اليمن يَلَمْلَم[15]، وميقات العراق ذات عِرْق[16]، وهكذا سائر المواقيت، وتقول

(10) أ (الحسنى).
(11) أ، ب، ج: (قلا).
(12) أ: (بأحق أن).
(13) أ: (غير).
(14) أ: (يخرجون).
(15) أ: (ململم).
(16) انظر: البُخاري: **الصحيح**، ج1، ص386 فما بعد، طبعة كريهل. الخطيب البغدادي: **الكفاية**، ص73 فما بعد (حيدرآباد 1357هـ)، ياقوت **معجم**، ج2، ص35 فما بعد، ج4، ص1025 فما بعد، طبعة وستنفلد؛ **دائرة المعارف الإسلامية** مادة (إحرام).

وقَّته فلان، إذا[17] بيّن للفعل وقتاً يُفْعَل فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ أي مفروضاً في الأوقات والتوقيت هو تحديد الأوقات، تقول: وقَّتُه ليوم كذا مثل أجَّلْتُه وقُرىء (وإذا الرُّسل وُقِتَت) ووُقِتَت مُخفّفة، وأُقِّتَت لغة أيضاً مثل وجوه وأوْجُه. وأما المَوْقِت[18] فهو مَفْعِل من الوقت قال العَجّاج:

والجامعُ الناسَ ليومِ الْمَوْقِتِ

والزمان في العُرْف، هو مِقدار الحركة على الرأي المشهور وهو الذي يحتاج إلى معرفته أهل التاريخ، وقيل الزمان في العُرْف هو أمر مُتجدِّد يتقدّر به مُتجدِّد[19] (3ب) آخر.

ثُمّ الزمان إما سَنَة وإما غير سَنَة. أما السَّنة فهي إما سَنَة شمسية وإما سَنَة قمرية. أما الشمسية، فهي عبارة عن زمان مُفارقة الشمس أية نُقطة تفرض على فلك البُرُوج إلى عَوْدها إلى تلك النُّقطة بحركتها الخاصة[20] لها التي هي من المغرب إلى المشرق إلا أنهم حَوّلوا[21] ابتداء هذه السَّنة من حين وصول الشمس إلى رأس الحَمَل وهُناك يستوي الليل والنهار في أكثر العمارة، فإذا سارت منها فحينئذٍ تأخذ في الصعود حتى تبلغ إلى رأس السرطان، وهُناك غاية الارتفاع في الشمال وغاية طول النهار في أكثر العمارة. ثم تَنحدر عنها حتى تنتهي إلى رأس المِيزان، وهُناك يستوي الليل والنهار، فحينئذٍ يأخذ في الهبوط نحو الجنوب حتى تصل إلى رأس الجَدْي، وهُناك غاية الانحطاط في الجنوب وغاية طول الليل في مُعظم العمارة، فحينئذٍ تأخذ في الصعود نحو رأس الحَمَل فإذا انتهت إليه تمَّت السَّنة الشمسية. واختلفوا في مُدّة هذه السَّنة، والمشهور أنها ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم، والمُراد باليوم هو اليوم مع ليلته.

---

(17) أ: (إذ).
(18) أ: (الوقت).
(19) لا يُمكن أن تكون (مُتجدّد) الأصح هي (متحدد).
(20) أ: (محذوفة).
(21) ب، ج: (جعلوا).

وأما السَّنة القمرية، فهي اثنا عشر شهراً من الشهور القمرية[22]. الشهر القمري[22] عبارة عن زمان مُفارقة القمر من أيّ موضع يفرض له من الشمس إلى عَوْده إليه مثلاً من الهلال إلى الهلال ومن البدر إلى البدر. وأظهر الأوضاع هو الهلال[23] الغربي، لكن رُؤية الهلال تختلف باختلاف أوضاع المساكن وباختلاف البُروج التي حلَّ فيها، فلم يُلْتَفَت إلى رُؤية الهلال إلا في الأمور الشرعية، وجُعِل ابتداء الشهر من اجتماع الشمس والقمر في درجة واحدة. وزمان الشهر هو زمان ما بين الاجتماعين، وهذه السَّنة القمرية (4أ) ناقِصة عن السَّنة الشمسية بعشرة أيام وعشرين ساعة ونصف ساعة بالتقريب، وحقيقة الحال يعلمها مَنْ خَلَق الكائنات وحاطَ عِلْمُه بالموجودات والمعدومات.

وأما غير السَّنة، فهو الشهر والليل والنهار والساعات. أما الشهر فقد عرفتَ حاله آنفاً. وأما اليوم مع ليلته، فهو عبارة عن زمان مُفارقة الشمس دائرة نصف النهار إلى عَوْدها إليها بحركة الفلك الأطلس عند أهل الحساب والنجوم، وعند العامة اليوم بليلته عبارة عن زمان ما بين غُروب الشمس اليوم إلى غُروبها غداً. وإن كان ابتداء اليوم مع ليلته يُمكن اعتباره من مُفارقة الشمس كُلّ نُقطة تفرض على الفلك إلى عَوْدها. وزمان النهار بحَسَب العُرْف من طُلوع الشمس إلى غروبها، وبحَسَب الشرع من الفجر الصادق إلى غُروب الشمس. وزمان الليل بحَسَب العُرْف من غُروب الشمس إلى طُلوعها، وبحَسَب الشرع من غُروبها إلى الفجر الصادق.

ثم إنّ أهل هذه الصناعة قَسَّموا اليوم والليل إلى ساعات مُعتدلة وساعات زمانية. فالمُعتدلة وتسمّى المُستوية هي مقدار زمان دور الفلك الأطلس خمسة عشر جُزءاً. والزمانية ما هو جُزء من اثني عشر جُزءاً من النهار، وجُزء من اثني عشر جُزءاً من الليل أبداً سواء كان النهار أطول من الليل أو بالعكس. فالمُعتدلة يختلف عددها على قَدْر طول النهار وقِصَره وطول الليل وقِصَره[24] ولا يختلف مقدارها. والزمانية يختلف مقدارها باعتبار طول النهار وقِصَره وطول الليل وقِصَره ولا يختلف عددها.

(22) أ: (الشهر القمري).
(23) أ: (للهلال).
(24) أ: (محذوفة).

هذا ولفظة التاريخ (4ب) مُعَرَّبة، مأخوذة من ماه روز، والأصل فيه أنّ أبا موسى الأشعري كتب إلى[25] عُمَر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه «يأتينا من قِبَل أمير المؤمنين كُتُبٌ لا ندري على أيِّها نعمل قد قرأنا صكاً محلّه شعبان فما ندري أي الشّعبان هو؟ أهو الماضي أو الآتي»، وقيل: إنه رُفع إلى عُمَر صكّ محلّه شعبان، فقال: «أيّ الشّعبان هذا؟ أهو الذي نحن فيه أو الذي هو آتٍ». ثم جمع وُجوه الصحابة وقال: إنّ الأموال قد كَثُرت وما قَسَّمناه غير مُوقَّت فكيف التوصّل إلى ما يضبط به ذلك؟ فقال الهُرمزان، وهو ملك الأهواز وقد أُسر عند فُتوح فارس وحُمِل إلى عُمَر وأسلم على يده: «إنّ للعجم حساباً يُسمّونه ماه روز ويُسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة»، فعرّبوا لفظة ماه روز بمُؤرّخ وجعلوا مصدره التاريخ واستعملوه في وُجوه التصريف. ثم شرح لهم الهُرمزان كيفية استعمال ذلك، فقال عُمَر رضي الله عنه: ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطَوْنه من مُعاملاتهم. فقال له بعض من حضر من مُسلمي اليهود: لنا حساب مثله نُسنده إلى الإسكندر. فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطُّول، وقال قوم: نكتب على تاريخ الفُرْس، فقيل: إنّ تاريخهم غير مُستند إلى مبدإ معين، بل كُلّما قام فيهم ملك ابتدأوا من لَدُن قيامه وطرحوا ما قبله. فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من لَدُن هجرة النبيّ ﷺ من مكة إلى المدينة لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت مَبْعثه فإنه مُختلَف فيه[26]، وكذا وقت ولادته حتى قيل إنه وُلد ليلة الثاني من ربيع الآخر[27]، وقيل[28] ليلة الثامن، وقيل ليلة[29] الثالث عشر منه. وكذلك اختلفوا في السَّنة التي وُلد فيها فقيل سَنَة[30] أربعين من مُلْك أنوشروان (5أ)، وقيل سَنَة اثنين وأربعين، وقيل سَنَة ثلاث[31]

(25) أ: (إليه).
(26) أ: (به كتابه بعد).
(27) ب، ج: (الآخرة).
(28) أ: (قيل).
(29) أ: (محذوفة).
(30) أ: (محذوفة).
(31) ب، ج: (ثلث).

وأربعين منه[32]. وأما وقت وفاته ﷺ وإن كان مُعيَّناً فلم يحسن أن يجعلوه مبدأ التاريخ، فإن جعله أصلاً غير مُستحسن عقلاً، لكن[33] جعل وقت الهجرة لكونه وقت استقامة ملّة الإسلام وتَوَالي الفُتُوح وتَرادف الوفود واستيلاء المُسلمين أصلاً أولى[34] لأنه ممّا[35] يُتبرَّك[35] به ويَعْظُم وقعه في النفوس. وكانت الهجرة يوم الثلاثاء[36] لثمانٍ خَلَوْنَ من شهر ربيع الأول وأول السَّنة، أعني المُحَرَّم هو يوم الخميس بحسب الرُّؤية وحساب الاجتماعات فهو يوم الجمعة. وقال صاحب **نهاية الإدراك**: العمل عليه، وأرّخ منها في مُستأنف الزمان، وكان اتفاقهم على هذا الأمر في سَنَة سبع عشرة من الهجرة. وإلى هذا السَّنة كانوا يُسَمُّون كُلّ سَنَة باسم الحادثة التي وقعت فيها ويُؤرِّخون بها، فَسُمِّيت السَّنة الأولى من سِنِيّ مقام النبيّ ﷺ سَنَة الإذن بالرحيل، أي من مكة إلى المدينة، والثانية سَنَة الأمر بالقتال، والثالثة سَنَة التمحيص، وعلى هذا. ثُمّ بعد ذلك، تركوا تسمية السنين بالحوادث والتاريخ بها، وهذا التاريخ يُعرَف بتاريخ الهجرة.

وإذا عرفتَ معنى التأريخ، فاعلمْ أنّ التواريخ المشهورة في زماننا سَنَة تاريخ الهجرة والرُّوم والفُرس والملكي[37] واليهود والتُّرك. وسَنَة تأريخ الهجرة سَنَة قمرية، وقد عرفتَ معنى السَّنة القمرية فيما مَرَّ. وسَنَة تأريخ الرُّوم سَنَة شمسية، وقد عرفتَ معنى السَّنة الشمسية أيضاً. هذا[38] فإن قلت: إذا كان علم التاريخ (5ب) من العلوم المُدوَّنة يكون له مسائل وموضوع، فما مسائله؟ وما موضوعه؟ قلت: أما مسائله، فسيجيء بيانها في الباب الثاني على التفصيل إن

---

(32) أ: (سَنَة).

(33) أ، ج: (فلأن)، ب: (محذوفة).

(34) أ: (إنه ممّا)، ب: (لأنه).

(35) أ: (يترك).

(36) أ: (الثلثا).

(37) عن التقويم الذي أدخله ملكشاه بين سَنَة 467-471هـ (1074-1079م)، انظر مقالة سوتر Suter في **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة (جلالي)؛ التهانوي: **كشاف اصطلاحات الفنون**، ص59 (كلكتا 1862م).
S.H. Taqizadeh in *B S O S*, X 108-17 (1940-2).

(38) ب: (محذوفة).

شاء الله تعالى. وأما موضوعه، فهو[39] أُمور حادثة غريبة لا تخلو[40] من مصالح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط ونُصح واعتبار وبسط وانفعال[41] بحيث يُلاحظ فيها ضبطها بتحرير تحديد وتقرير تعيين وتوقيت لغَرَض صحيح في ذلك كوقائع مُتعلّقة بالأنبياء والرُّسُل عليهم الصلاة والسلام. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، كما قال[42]: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾، وكسائر حوادث من الأُمور السماوية والأرضية من حدوث مِلّة وظُهور دولة وَزْلَزلة وطُوفان وموتان إلى غير ذلك من الحوادث الصائلة العِظام والأمُور الهائلة الجسام.

وأما ما يُوجد في هذا الفنّ من مباحث لا يُلاحظ فيها تلك الحيثية المذكورة في تعريف الموضوع، فهو من باب التّتْميم والتكميل والإلحاق[43] لغَرَض من الأغراض كما يقع[44] مثل هذا في سائر العُلوم المُدوَّنة. وهذا الاعتذار ههنا، إنما هو على تقدير حمل المسائل على معانيها الظاهرة. وأما إذا أُريدَ منها قواعد علم التاريخ، ففيه غِنًى عن مثل هذا الاعتذار بِناء على أنّ مسائل العلم أعمُّ تحقيقاً من قواعده. وقد نُصَّ على ذلك في موضعه، وأنه علم كسائر العلوم المُدوَّنة كالفقه والنحو والبيان وغير ذلك. فثَبَت الاحتياج إليه، كما ثَبَت الاحتياج إلى ما عداه من العُلوم، وأنه واجب علمه على سبيل الكفاية كوجوب سائر العلوم لضَبط زمن المبدإ والمَعاد وما بينهما على أحسن ما يكون (6أ). وأما استغناء الأوائل عن تدوينه، فهو[45] لا يَقْدح[45] في وُجوبه كما لا يَقْدح في وُجوب سائر العُلوم مع أنهم[46] في زمان صدق وصفاء، عارفون ما

---

(39) أ: (فهي).
(40) أ: (بخلوا).
(41) انظر: **الإعلان**، ص42، أدناه ص392.
(42) ب، ج: (الله).
(43) أ: (والألحاف).
(44) أ: (يتبع).
(45) أ: (اليقين).
(46) أ: يضيف (قالوا).

سَنَحَ لهم من الأُمور والوقائع، فاستغنَوْا عن تدوين الفقه فضلاً عن تدوين مثله. وقد كانت الحوادث قليلة في ذلك الزمان. وأما الحوادث والوقائع، فقد كَثُرت جداً في هذا الزمان فمسَّت الحاجة إلى ضَبْطها على وجه كُلِّي[47] مُعتبر فيه، والضابط لها على وجه مُعتبر هو علم التاريخ. وهو إنما يتمّ ويدوم بالتدوين، فوجب التدوين، كما وجب تدوين كُلّ علم لمثل هذا المعنى.

ومعلومٌ عندك أنّ الأحكام تدور مع المصالح وُجوداً وعَدَماً، وجميع الفقه مبنيّ على هذا الأصل والقانون. وقد أشار إليه النبيّ عليه الصلاة والسلام بقوله: «**لو كان موسى حيّاً لما وَسِعه إلا اتّباعي**»[48]. ومنه قول الفقهاء: «هذا اختلاف بحَسَب[49] الزمان وليس باختلاف[50] بحَسَب[49] البُرهان»[51]. فإن قلت فهل في قول أمير المؤمنين عُمَر رضي الله عنه: «ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه[52] من مُعاملاتهم» واستحسان سائر الصحابة إياه، واتفاقهم عليه[53]، إيماءٌ إلى وُجوب تدوينه؟ قلت: فيه إيماءٌ إليه بل دلالة عليه بالفَحْوى عند من يفهم المعنى. فإن قلت هذا الذي ذكرته من علم التاريخ لا يُفيد واقعة واحدة بخُصوصها بالبديهة فضلاً عن إفادة وقائع كثيرة كشجرة لا ثمرة لها فيكون الاشتغال به نوعاً من العبث فيكون تركُه واجباً، احترازاً عما لا يُغني ولا يُهمّ. قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾

---

(47) أ: محذوفة.

(48) انظر: ابن عبد البَرّ: **جامع بيان العلم**، ج2، ص42 (القاهرة. بلا تاريخ)؛ ابن العربي: **كتاب الغناء**، منشور في **رسائل ابن العربي**، ص6 (حيدرآباد 1365هـ) ابن خلدون: **المُقدّمة**، ج2، ص387 (طبعة باريس).

(49) أ: (على الهامش).

(50) أ: (محذوفة).

(51) انظر بحثي:
«The Technique and Approach of Muslim Scholarship» 680 F n 4 (Rome 1947) *Analecta Orientalia* 24).
وقد أخطأتُ فيما ارتأيتُه في هذا البحث من أنّ إدخال هذا المبدإ في **المجلة العثمانية** قد يرجع إلى التأثير الغربي.

(52) أ: (يتعاطون).

(53) انظر: **الإعلان**، ص81، أدناه: ص446.

قلت: ليس الأمر كما ذكرتَه بل فيه فوائد لا تُحصى، منها إحاطة تلك الحوادث الجُزئية على وجه مُعتبر بهذا العلم الشريف (6ب)، ولولاه لكان الخائض فيها يتكلّم فيها كيف ما اتّفق، بلا تمييز بين صحيح وفاسد، وتخبط فيها خَبْط عشواء، فيكون كحاطب ليل[54] فيكون هذا العلم قانوناً لها، وميزاناً وعِياراً ومِكْيالاً لها، فإذا اتّزنت بهذا الميزان تكون صحيحة العِيار، مُعتبرة لدى أُولي الأبصار والأفكار. وكُلّ واحد من العلوم المُدوَّنة كالفقه والأُصول والنحو والبيان إلى غير ذلك بمثل هذه المثابة التي ذكرتها، إذ ليس واحد منها يُفيد جزئياً واحداً بخُصوصه. ولمثل[55] ما ذكرته ههنا، ترى خطاب الله تعالى مع عباده على وجه العُمُومات. فقال العُلماء: ما ذُكر واحد من الصحابة[56] (في القرآن[57]) باسمه الصريح إلّا زَيْدٌ على الأصحّ. وأنت تعلم أن في هذا القول نوعَ رَمْزٍ إلى نحو ما ذكرته ههنا.

وتعلم[58] أيضاً أنّ أُصول علم النحو ثلاث قواعد، الفاعل مرفوع وما سواه مُلحق به، والمفعول منصوب وما سواه مُلحق[59] به، والمُضاف إليه مجرور وما سواه مُلحق به، على النَّقل المشهور عن أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه، وأنه قد دَوَّنوه في كُتُب كثيرة كما ترى. وكذلك حال علم الكلام، فإن حاصله هو ثماني[60] مسائل على ما صَرَّح به الإمام الرَّازي[61] رحمه الله في

(54) أ: (غير واضحة) إنّ هذا التعبير يستعمله للمُؤرّخين أيضاً: أولوغ خاني في **ظفر الواله بمظفَّر وآلِه**، ج2، ص784 طبعة روس (1910-28م).
(55) أ، ب: يضيف (هذا).
(56) أ: (محذوفة).
(57) أ: (محذوفة).
(58) أ: (ويعلم).
(59) أ: (يلحق).
(60) أ، ب، ج: (ثمان).
(61) هذه للآمدي: انظر حاجي خليفة، ج1، ص145. غير أنّ إشارة النّص واضحة أنها لفخر الدين الرَّازي. ومع وجود كتاب شائع جداً له هذا العنوان، إلا أنه لا يُنسب للرَّازي. ولم أستطع أن أجد فيما بين يدي من كُتُب الرَّازي مرجعاً إلى مسائل الكلام الثماني.

كتاب **أبكار الأفكار**، وعلى هذا سائر العُلوم وتدوينها. ثم إنّ علم التاريخ مُحيط بقواعد ومسائل كثيرة على ما سيجيء بيانها في الباب الثاني إن شاء الله تعالى. فإذن قد استحقَّ التدوين أيَّ استحقاق، ولذلك دوَّنّاه تدويناً حسناً مقبولاً، ليكون منقولاً إلى الصدور والأقوام، باقياً على مُرور الأيام والأعوام، مذكوراً باللسان، محفوظاً بالجَنان، وتذكرة وتشويقاً إلى إتيان مثله[62] في كُلّ مكان وزمان، وإتياناً بمُوجب القول الذي قد شاع «كُلّ خط ليس في القِرْطاس ضاع» كُلّ سر جاوز الاثنين شاع (7أ).

وينبغي أن يُشترط في المُؤرّخ ما يُشترط في راوي الحديث من أربعة أُمور: العقل، والضَّبْط، والإسلام والعدالة، ليكون[63] كُلّ واحد منهما مُعتمداً في أمر الدِّين، وأميناً فيه، ولتزداد الرغبة في تاريخه، وللاحتراز[64] عن المُجازفة والافتيات فيحصل له الأمن من الوقوع في الضَّلالة والإضلال.

فإن قلتَ، فهل يجوز له أن يروي في تاريخه قولاً ضعيفاً؟ قلتُ: نعم[65] يجوز له ذلك في باب الترغيب والترهيب والاعتبار، مع التنبيه على ضعفه، لكن لا يجوز له ذلك في ذات الباريء عزَّ وجلَّ، وفي صفاته، ولا في الأحكام. وهكذا جواز رِواية الحديث الضعيف على ما ذُكر من التفصيل المذكور. ولا بدَّ له من مُستند في تاريخه. فإن قلت فما المُستند؟ قلت: المُستند هو ما يصحّ له من أجله أن يروي ما رواه ويُقبل منه، فإن لم يحصل له مُستند له فيه لم يَجُزْ له شيء من ذلك شرعاً، وهو السماع من الشيخ أو القِراءة عليه والإجازة والمُناولة والكتابة والوِجادة على ما فصّل في موضعه.

(62) في **الإعلان** (بمثله).

(63) ب، ج: (لكون).

(64) أ: (والاحتراز).

(65) انظر: البَيْهَقي: **تاريخ بَيْهَق**، ص16 فما بعد (طهران 1317هـ).

الباب الثاني في أُصول علم التاريخ ومسائله

أقول: الموجود[66] إما قديم، وإما حادث، وإما[67] لا يكون قديماً ولا حادثاً. فليس لنا غَرَض مُتعلّق به ههنا. فالقديم هو الله وصفاته، وعلم الكلام هو الباحث عن ذات الباريء جلَّ ذكره، وعن صفاته، وعما يتعلَّق بذلك فليس للمُؤرّخ التعرّض لذلك ههنا من جِهة بحث علم الكلام، كما لا يكون له التعرُّض لمباحث الفقه والأُصول ولسائر العُلوم، لكونه خارجاً عما هو بصَدَده. نعم يجوز له التعرُّض له من حيث التحديد والتوقيت لو احتاج إليه. فالحادث إما سماوي وإما أرضي.

ثُمّ مقصود المُؤرّخ نوعان: نوع مقصود أصلاً وبالغَرَض، ونوع مقصود تَبَعاً وبالعَرَض. أما النوع الأصلي ههنا فهو ضَبْط الإنسان على وجه مُعتبر (7ب) وللإنسان طبقات ومراتب ثلاث عُلْيا ووُسْطى وسُفلى. والطبقة العُليا هي طبقة الأنبياء والرُّسُل عليهم الصلاة والسلام. والطبقة الوُسطى هي طبقة الأولياء والمُجتهدين والأبرار. والطبقة السُّفلى طبقة من عَداهما. ووجه[68] أنصار عدد[70] هذه الطبقات في الثلاث ظاهر بأدنى فكر وتأمّل.

هذا ثم إنّ من القضايا المشهورة أنّ الحُكم على الشيء فرعُ تصوُّر ذلك الشيء[69] بوجه من الوُجوه. ثم إنّ كُلّ واحدة من هذه الطبقات الثلاث[70] معلومة إجمالاً. وكذلك كلّ واحد[71] بخُصوصه من كُلّ واحدة من هذه الطبقات

(66) ج: (المعلوم).

(67) أ: (ولما).

(68) أ: (عدد انحصار).

(69) أ: (محذوفة).

ويقصد بالتصوّر إدراك الأفكار العامة الواضحة. انظر:

H.A. Wolfson. «The Terms Taṣawwur and Taṣdîq in Arabic Philosophy», in *the Muslim World* 114-28 (1943).

وقد دخلت هذه التعابير في الفقه أيضاً «كان يتصوّر أقوالهم» كما ذكرها ابن تَغْرِي بِرْدِي في **النجوم الزاهرة**، ج6، ص34، طبعة بوبر Popper (باركلي ـ ليدن 1920-2م). أما كلمة (تصديق)، فهي بمعنى «الحُكْم» أو «التقدير» أو «الفكرة الواضحة المعالم».

(70) أ: (الثلاث).

(71) ب: (في الهامش).

فدون ذلك خَرْق القَتاد وشَيْب الغُراب، وهو الذي تُسكَب في تحصيله العَبَرات، وتحاكَّت فيه الرُّكَب، وتتفاوت[72] فيه مراتب الرجال حتى عُدَّ واحد منهم بألف، بل فُقْل فيه ما بدا لك من المَفاخر والمَناقب. قال الله تعالى: ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾. فمن هذا القَبيل قَول من قال:

فيا دارَها بالخَيْفِ إنّ مَزارها قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ[73]

فإذا تقرّرت هذه الأُمور فأقول، إذا أراد المُؤرِّخ تاريخ واحد بعينه من كُلّ واحدة من هذه الطبقات، كآدم عليه السلام مثلاً، يحصل له حينئذٍ عنده اعتبارات مُمكنة عقلاً، وحالات مُحتملة، سواء كانت[74] واقعة في الأمر نفسه أو ليست بواقعة، وسواء كانت مُمكنة الاجتماع في الواقع أو لا. ومثل ذلك جائز شَرْعاً وعَقْلاً وعُرْفاً وعادةً وطَبْعاً لغَرَض من الأغراض، والكُتُب مشحونة بذلك، ويقع ذلك كثيراً من المُحاورة والمُناظرة. قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ كما قال الله تعالى (8أ): ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث المُشتملة على مثل ذلك. ألا ترى إلى قول القوم: «لو كانت الثلاثة زوجاً لكانت مُنقسمة بمُتساويين» وإلى غير ذلك من سائر أقوالهم من هذا القَبيل يقع كثيراً في مَقام المُكالمة والمُحاورة، وفي مقام المُجادلة والمُناظرة.

وتلك الاعتبارات الحاصلة له عند قصد تاريخ واحد بعَيْنه[75] من كُلّ واحدة من تلك الطبقات خمسة أُمور مُحتملة، فيحصل[76] له خمسة عشر وجهاً[77]، وذلك بضرب الثلاثة في الخمسة[77]. وهذه الوُجوه إنما هي من حيث النظر إلى كُلِّيّات الطبقات الثلاث وعُموماتها. وأما الوُجوه فلا[78] تُعَدّ

(72) أ: (وتفاوت).
(73) أ: (وأهواله). وهذا شعر لشاعر قديم فيما يبدو، لكن لم أستطع معرفته.
(74) أ: يضيف (في واقعة).
(75) أ: (لعينه).
(76) أ: (ليحصل).
(77) أ: (محذوفة).
(78) أ، ب، ج: (لا).

ولا تَنحصر في عدد مُعيّن إذا نُظر إلى كُلّ واحد بعينه من كُلّ واحدة من الطبقات الثلاث.

وانحصار الاعتبارات في الخمسة، انحصار استقرائي على سبيل غلبة الظنّ. فإذا عرفت كيفية حُصول الوُجوه الخمسة عشر في طبقات نوع الإنسان فَقِسْ عليها حُصول الوُجوه الخمسة عشر في سائر الطبقات لكُلّ نوع من أنواع الحيوان[79] والنبات والمعدن، ومن سائر أنواع الكائنات من الأرضيات والسماويات وما عداهما، فيحصل لك وُجوه كثيرة لا تكاد تَنحصر في وُجوه الأنواع، فضلاً عن أن تَنحصر في وُجوه الآحاد والأفراد.

وتلك الاعتبارات الحاصلة له عند إرادة تاريخ شيء من الأشياء، **أولها**: اعتبار وجه الحُضور والعِيان، **ثانيها**: اعتبار وجه العلم واليقين، **ثالثها**: اعتبار وجه غلبة الظنّ (8ب)، **رابعها**: اعتبار وجه تَعارض بلا ترجيح، **خامسها**: اعتبار وجه غير الوُجوه الأربعة.

أما لو حَصَل له الوجه الأول الذي هو أحسن الوُجوه ـ قال الله تعالى حكاية عن الخليل صلوات الله عليه: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، ومنه قول من قال: «من فَقَد حِسّاً فَقَد علماً»[80]. وقد شاع هذا الخبر بين أُولي الأثر والبيان وليس خَبَرٌ كالعِيان[81]. قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه[82] الصلاة والسلام[82]:

---

(79) ج: (الحيوانات).

(80) انظر: Aristotle, *Anal. Post.* 81 a 38-9.

وقد اقْتَبَسه الفارابي من النصّ المنشور في:

Abhandlungen, ed. by F. Dietreici 20 (Leiden 1890) Die Philosophie der Araber in IX und X Jahrh N. chr 14).

كما اقْتَبَسه أيضاً هِبة الله البغدادي في **المُعْتَبَر**، ج1، ص230 فما بعد، حيدرآباد.

(81) عن القسم الأخير من الجملة، انظر: **المُعجم المُفهرس** ج2، ص5أ المُفَضَّل: **الفاخر**، ص205، طبعة ستوري Storey (ليدن 1915م) السَّهْمي: **تاريخ جُرْجان**، ص33، 461 (حيدرآباد 1950م) **تاريخ بغداد**، ج3، ص200، 360 (القاهرة 1348هـ/ 1929م) **الرسائل النادرة**، ص5، ابن حجر: **الدُرر**، ج4، ص94.

(82) أ: (السلام).

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، كما قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ وأراد المُؤرّخ تاريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يُعتنى بتاريخه غاية الاعتناء، اغتناماً بالفُرصة بهذه النِّعمة العظيمة النفيسة، وابتهاجاً بهذه المرتّبة الشريفة اللطيفة، فكيف لا وفيه مصالح ومنافع وعِبْرة لأُولي الألباب. قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ كما قال الله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾[83].

وأما[84] الوجه[85] الثاني إذا حصل له عند قصد تاريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يُؤرّخه على أحسن ما يكون لما فيه من المصالح والتنشيط والعِبَر إلى غير ذلك من سائر النصائح.

وأما الوجه الثالث إذا حصل له عند قصد تاريخ صاحبه[86]، فهو يُؤرّخه أيضاً لما فيه من الاعتبار وسائر المصالح النافعة في أمر الدِّين.

وأما الوجه الرابع يُؤرّخ صاحبه مع تنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ما[87] لم يتحقّق فيه مُرجِّح لأحد جانبيه على الآخر، وأما إذا[88] علم أو رُجِّح[88] أحد جانبيه على الآخر (9أ) فهو في حُكم ما مرَّ من الوجه الثاني والثالث. فإن قلتَ فهل في تاريخ هذا الوجه إذا لم يترجَّح أحد جانبيه على الآخر[89] فائدة؟ قلتُ: نعم فيه فائدة في الحِكَم والمصالح والعِبَر[89]، إذا ظهر رُجْحان أحد جانبيه فيما بعد، وإن لم يترجَّح الآن، وهي الاطِّلاع على ما فيه. ولذلك ترى العُلماء ينقلون المذاهب المُختلفة مع أدلّتها يُخالف بعضها بعضاً في كُتُبهم. والكُتُب مشحونة بذلك يشهد به من يُطالعها شهادة صدق وعِيان.

---

(83) ب: (يحذف).
(84) ج: (أما).
(85) أ: (للوجه).
(86) أ: (صاحب).
(87) أ: (بما).
(88) أ: (رجح أو علم).
(89) أ: يُضيف بعد كلمة (والعِبَر) (قلت: نعم فيه فائدة).

تنبيه ـ في تاريخ هذا الوجه يحصل[90] له ولغيره تصوّر صاحبه بوجه من الوُجوه[91]، وإن لم يحصل له التصديق به وتصوّره بوجه من الوُجوه[91] نوع من العلم والعلم فائدة بلا شُبهة فاعلمْ، فعلم المرء ينفعه. قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. وأنت تعلم أنّ السعي والاجتهاد إنما هو بحَسَب الطاقة والإمكان، وتعلم أيضاً أنّ ما لا يُدرَك جُلّه لا يُترك كلُّه، وكُلّ[92] إنسان سوى ما استدركوا يُؤخذ من كلامه ويُترك، وإنّ انتفاءه[93] التصديق المخصوص به لا يستلزم انتفاء تصديق به في الجُملة فضلاً عن انتفاء تصوّره[94].

وأما الوجه الخامس، فينبغي أن لا يُؤرّخه بل يسكت عنه لا يتكلّم فيه بِبِنْت شَفَة، لا بالنَّفْي ولا بالإثبات لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ولقول النبيّ ﷺ: «**دَعْ ما يُريبك إلى ما لا يُريبك**»[95]، وللاحتراز عن الرَّجْم بالغَيْب والافْتيات[96] والتبخيت[97]. ولئن وَرّخه بَيَّنَ حاله بأنه مجهول عنده ويعترف بعجزه عنه مع تفويض (9ب) علمه به إلى جَنَاب علّام الغيوب، ستّار العيوب، جلَّ ثناؤه ولا إله غيره. فإن قلتَ فهل يتصوّر فائدة[98] في تاريخه؟ قلتُ: نعم، إذ رُبّما يحصل الاطّلاع عليه فيما بعد. وإن لم يحصل الاطّلاع عليه في الحالة الراهنة على قِياس ما فصّلته في تحقيق تاريخ الوجه الرابع. هذا كُلّه بيان ما يتعلّق بالنوع الأول وهو الإنسان. فَقِسْ عليه بيان ما

(90) أ، ج: (يحصل).

(91) أ: (محذوفة).

(92) ج: (فكل) انظر: **الإعلان**، ص61 أدناه، ص285 فما بعد. الكافِيَجي أدناه، ص485 الذّهبي، **سيرة النبلاء**، ج1، ص81 (أدناه ص372، هامش 5).

(93) ب: (انتقى).

(94) **إعلان** ص188، هامش 1.

(95) انظر: **المُعجم المُفهرس**، ج2، ص322ب. انظر أيضاً: الجاحظ: **البُخلاء**، ص173، 184 (القاهرة 1948م). أبو نُعَيم: **تاريخ أصبهان**، ج1، ص45 طبعة ديدرنغ (ليدن 1931-4م). الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص417، طبعة أنغر، (بون 1853م). **تاريخ بغداد**، ج2، ص220، 387. الذّهبي: **بيان زغل العلم**، ص15 (دمشق 1347هـ).

(96) أ: (وللافتيات).

(97) أ: (والتبهيت).

(98) ج: يضيف (أُخرى).

يتعلّق بالنوع الثاني، وهو ضَبْط غير الإنسان من الأنواع على وجه كُلّي مُعتبر مُفيد.

فإذا تقرّرت هذه المُقدّمات، فَلْنشرعْ[99] في تمهيد أُصول علم التاريخ وقواعده، وذلك بأن نقول: كُلّ وجه من الوجه الأول يُؤرّخ صاحبه على الحُكْم المذكور في تصوير الوجه الأول، وكُلّ وجه من الوجه الثاني فهو يُؤرّخ صاحبه على الحُكْم المذكور في[100] توجيهه، وكُلّ وجه من الوجه الثالث فصاحبه يُؤرّخ على الحُكْم المذكور في[100] تقريره[101]. وكُلّ وجه من الوجه الرابع فصاحبه يُؤرّخ على قِياس ما ذكر في بَيَانه، وكُلّ وجه من الوجه الخامس فَيُؤَرَّخ على ما حُرِّر في توجيهه.

فقد ظَهَر لك ممّا ذُكر أن قواعد علم التاريخ خمسة أُصول، تَندرج جُزئيات كثيرة تحت كُلّ قاعدة وأصل منها واستخراجها منها[102] على هيئة الشكل الأول ظاهر على طرف التمام ظهور استخراج أحكام الجُزئيات المُندرجة تحت قواعدها منها في سائر العُلُوم المُدوّنة، كعلم الكلام والأُصول وغيرهما من العلوم.

ولولا خَوْف سآمة الخواطر من الإطناب، لذكرنا ههنا غرائب وعجائب (10أ) تُسَرّ بها خواطر[103] أُولي[104] الألباب، لكن فيما ذكرنا كفاية لكُلّ ذهن سليم وقّاد، وإرشاد لكلّ طبع مُستقيم نقّاد.

فإذا فَرغنا من تقرير القواعد والأُصول، فَلْنشرعْ لإيضاحها فيما يتعلّق بها من رجال الطبقات[105] الثلاث على سبيل الأُنمُوذَج والإيجاز. ولنبدأ بذكر الأنبياء والرُّسُل صلوات الله عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ

(99) ب: (فلنشرح).
(100) أ: (يحذف).
(101) أو (وتقديره).
(102) ج: (منه).
(103) ب، ج: (نواظر).
(104) أ: يضيف (النهى).
(105) أ: (للطبقات).

ﭐلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

فأوّل الأنبياء هو آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله تعالى من تراب[106] لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. فإن قلت: قد دلَّت هذه الآية الكريمة على أنه عليه السلام قد خُلق منه بأمره وإرادته وقُدرته، فهل فيها[107] إشارة إلى أنه ليس بمخلوق بطبعه وجِبلَّته؟ قلتُ: نعم فإنّ ثُبوت الأمر والإرادة يقتضي بُطلان حُصول الشيء بطبعه على ما قُرّر في موضعه. فإن قلتَ: قال الله تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾، كما قال الله تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ فهل يُمكن التوفيق بينهما؟ قلتُ: نَعَمْ وذلك بوجهين؛ الأول أنّ المعنى[108]: وكُلّ نبأ نقصّه عليه من أنباء الرُّسُل هو ما نُثبّت به فُؤادك، فيكون ما في قوله تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ولا يقتضي هذا القول قَصَّ جميع أنباء الرسل فاندفع توهّم[109] (10ب) التنافي بينهما بلا شُبهة[110] كما ترى. الوجه الثاني أنّ لفظة (كُلّ) تُستعمل تَارة على سبيل الاستغراق الحقيقي، وأُخرى على سبيل الاستغراق العُرْفي دون الحقيقي، فيُحمل استعمال كُلّ في قوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ على الاستغراق العُرْفي كما حُمِل عليه في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ ومنه[111] قول لَبيد:

ألا كلُّ شيء ما خَلا اللّهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائلُ

(106) أ: (يحذف).

(107) أ: (فيه).

(108) أ: (معنى).

(109) أ: (وهم).

(110) أ: (شبيهة).

(111) أ: (ومن).

فإن قلتَ: قد رُوِي أنّ[112] النبي ﷺ سُئل عن عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[113]. فقال: مائة ألف وأربعة[114] وعشرون ألفاً وفي رِواية: مائتا[115] ألف وأربعة[114] وعشرون ألفاً فكيف نعتقدهم؟ قلت: نعتقد أنّ الأنبياء حقّ وكُلّهم من عند الله عزَّ وجلَّ، ولا يُقتصر[116] في حق عددهم على عدد مخصوص[117] في التَّسمية حتى نأمن من وَرْطة الزيادة على عددهم والنُّقصان عن عددهم.

هذا ونُبوّة آدم عليه الصلاة والسلام بالكتاب الدالّ على أنه أمرٌ ونهي، مع القطع بأنه لم يكن في زمنه نبيّ آخر، فيكون ذلك بالوحي، وكذا السُّنّة والإجماع. فإنكار نُبوَّته على ما نُقل في البعض يكون كُفْراً. ورُوِي عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه أنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله كُلّ نبيّ مُرْسَل بِمَ يُرْسَل؟ قال عليه الصلاة[118] والسلام: بكتاب مُنْزَل، قلت[119]: يا رسول[119] الله أيّ كتاب أنزله الله على آدم؟ قال: كتاب المُعْجَم. قلت: أيّ (11أ) كتاب المُعْجَم يا رسول الله؟ قال: أ ب ت ث إلى آخره.

وقيل: كانت سبعة أُمور لسبعة من الأنبياء، القُرْبان[120] كان حُكماً لآدم عليه السلام، فمن أحرقت النار قُرْبانه، علم أنه مُحَقّ، ومن لا فلا. والسفينة كانت[121] حُكماً لنوح عليه الصلاة والسلام، فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك، علم أنه مُحَقّ، وإن تحركت علم أنه مُبْطَل. والسِّلْسِلَة كانت حُكماً لداود عليه السلام، فمن وصلت يده إليها علم أنه مُحَقّ، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مُبْطَل. والنار كانت حُكماً

---

(112) أ: (عن).
(113) أ: (الصلوة).
(114) أ، ب، ج: (وأربع).
(115) أ، ب، ج: (ماتا).
(116) نقتصر؟
(117) أ: (غير واضحة).
(118) أ: (الصلوة).
(119) ب، ج: (يرسول).
(120) أ: يضيف (كما).
(121) أ: (كانت).

لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو مُحَقّ، ومن أحرقت يده فهو مُبْطَل. والصَّاع كان حُكماً ليوسف عليه السلام، فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه مُحَقّ، وإن صوّت وصاح علم أنه مُبْطَل. والحُفْرة في صَوْمعة سليمان عليه الصلاة والسلام كانت حُكماً له، فمن وضع رِجله فيها ولم تأخذه علم أنه مُحَقّ، ومن أخذته علم أنه مُبْطَل. وقلم من حديد كان حُكماً لزكريا عليه السلام، وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه ويُلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه مُحَقّ، وإن رسب في الماء علم أنه مُبْطَل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ الآية فلما بلغت النبوَّة إلى سيدنا محمد ﷺ جُعلت البَيِّنة على المُدَّعي واليَمِين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذباً ويصير أمره إلى الله عزَّ وجلَّ. رُوِي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**خلق الله الأرض يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الإثنين، والظُّلمة يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدوابّ يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة**». وقال وَهْب بن مُنبّه: رأى ذو القَرْنين جبل ق، وهو جبل عظيم من زَبَرْجدة خضراء، وحوله جبال صغار وهي عُروقه، وكل عِرْق منها مُتّصل بأرض، فإذا أراد الله تعالى أن[122] يُزلزل أرضاً من الأراضي أمر بجَذْب (11ب) عِرْق تلك الأرض فتزلزل. ومن ورائه[123] جبال من ثلج يُحّطم بعضها بعضاً إلى يوم القيامة، ولولاها لاحترقت الدنيا وما فيها. وذكر في **مرآة الزمان** أنّ جبل ق وراء البحر الأعظم المُحيط بالدُّنيا، وأنّ أطراف السماء على جبل ق كأطراف الخيمة على وجه الأرض. فإن قلتَ: فهل مثل[124] هذا القول والخَبَر[125] (يقضي[125]) الاعتبار والاطّلاع على عجائب المَلَكوت والاعتراف بعظمة ذي العزة والجَبَروت سواء كان الخبر ثابتاً أو لا؟[126] (قلتُ: نعم[126] قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ وقريب من هذا الأسلوب قول من قال:

---

(122) أ: (يحذف).

(123) أ. ج: (رِواية).

(124) أ: (يحذف).

(125) ب، ج: (يفضي إلى).

(126) أ: (يحذف).

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ولكن لا حياةَ لمن تُنادي

ونارٍ لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في الرمادِ

والحاصل أنّ رِواية مثل هذه الأخبار لا تخلو[127] عن نوع صالح وعِبَر، فكلّ إنسان سوى ما استدركوا يُؤخَذ من كلامه ويُترَك.

وقال كَعْب ووَهْب: خلق الله[128] نار السَّمُوم، وهي نار لا حرارة لها ولا دُخان، وخلق منها الجانّ. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ ثم سمَّى ذلك الخَلْق مارجاً، وخلق منه زوجة وسمّاها مارجة[129] فحملت منه بالجانّ. أقول: قال الجوهري: الجانّ[130] أبو الجنّ، والجمع جِنان مثل حائط وحيطان انتهى. وقال كَعْب ووَهْب: ثُمّ تفرّقت قبائل الجنّ ومنهم إبليس اللعين فتَزَوج امرأة من الجانّ[131] يُقال لها روحاً فوَلَدَت منه ذكوراً وإناثاً لا يُحصَون كثرة، وجعل مسكنهم الطُّرقات والمزابل والكُنف والحمّامات وكُلّ موضع فاحش مظلم. ثم لما (12أ) امتلأت[132] من ذُرِّيّة إبليس أسكن الله الجان في الهواء[133] دون سماء الدنيا والجن في سماء الدنيا وأمرهم بالعبادة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الآية. ثم بعث إليهم نبيّاً منهم يُقال له عامر بن عُمَيْر فقتلوه. ثُمّ بعث الله إليهم نحو ثمانِ مئة نبيّ في ثمانِ مئة سَنَة، في كُلّ سَنَة نبيّ، وهم يقتلونه. فأوحى الله إلى أولاد[134] الجن الذين[135] في سماء الدنيا أن ينزلوا إلى الأرض ويقاتلوا من فيها من أولاد الجانّ فنزلوا ومعهم

(127) أ: (تخلو).
(128) ب، ج: يضيف (تعالى).
(129) أ: في الهامش (الجان).
(130) أ: (في الهامش).
(131) أ: (الجن).
(132) امتلأت (الأرض)؟.
(133) أ، ب: (الهوى).
(134) أ: (أولاء).
(135) أ، ب، ج: (الذي).

إبليس فقاتلوهم[136] حتى ألجأوهم إلى أَضْيَق البُقَع. ثُمّ أرسل الله عليهم ناراً من السماء، فأحرقتهم. وقيل: البلد الذي هو من حساب الصين يُسمّى نكنك دز هو مسكن الجنّ ومُستقر[137] الشياطين، وسَكَن إبليس وأولاد[138] الجنّ الأرض وعبدوا الله تعالى فيها حقَّ عبادته، وكان إبليس أكثرهم عبادة لربه فرفعه بذلك إلى سماء[139] الدنيا فعبد فيها ألف سَنَة[140]. ولم يَزَل يرفعه من سماء إلى سماء حتى رفعه إلى السماء السابعة، وفي كُلّ سماء[141] يعبد ربه ألف سَنَة، وكان في ذلك الوقت[142] بمنزلة عظيمة[142]، كان إذا مرَّ به جبرائيل أو ميكائيل أو غيرهما من الملائكة يقولون: لقد أعطى الله تعالى لهذا العبد من القوة على الطاعة ما لم يُعطِه لأحد من الملائكة. ثُمّ لما أمر الله الملائكة بأن يسجدوا لآدم تحية وتعظيماً وأبى إبليس عن السجود له، أُهبط من الجنة والسماء إلى الأرض ووقع عليه ما وقع، نعوذ بالله من سُوء الخاتمة.

وروى (12ب) مُقاتِل عن ابن عبّاس أنّ الله تعالى ألقى الغَلَمة[143] على إبليس حين أُهبط من الجنة فنكح[144] نفسه، فباض بيضات فمنها[145] ذُرِّيّته. قال[146] فإن[147] قلتَ: فهل يدفع هذا حصول ذُرِّيته بالتزوّج في الأرض قبل العصيان على الله تعالى وهُبوطه من الجنة؟ قلتُ: لا. ورُوي أنّ آدم عليه[148]

---

(136) أ: (فعاملوهم).
(137) أ: (مستقى؟).
(138) أ: (أولاده).
(139) ب، ج: (السماء).
(140) أ: (يحذف).
(141) أ: (سنه).
(142) أ: (منزلة عظمته).
(143) أ: (اللعنة).
(144) أ: (ففلح).
(145) أ: (فيها).
(146) ب، ج: (يحذف).
(147) أ: (يحذف).
(148) أ، ج: (السلام).

الصلاة والسلام[148] لقي إبليس في الأرض فقال[149] له يا[149] ملعون ما الذي حملك على أنك خدعتني وغدرتني[150] حتى أخرجتني من الجنة؟ فبكى إبليس وقال: يا آدم هَبْ أني فعلتُ بك ذلك فمن الذي فعل بي[151] هذه الفِعال وأنزلني هذه المنزلة؟ ويُروى أنه[152] تصوّر لفرعون في صورة ودخل عليه وهو في الحمّام، فأنكره فرعون فقال له إبليس: وَيْحك أما تعرفني؟ فقال له: لا، فقال: كيف لا تعرفني[153] وأنت تزعم أنك خالقي، ألست القائل: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. ويُروى أنّ رجلاً كان يلعن إبليس في كُلّ يوم مائة[154] مرة، فبينما هو ذات يوم[155] نائم تحت جدار وإذا بشخص يُوقظه ويقول له: قُمْ فإن الجدار يريد أن يسقط فما قام حتى سقط الجدار[156] من ساعته، فقال له الرجل: جزاك الله عني خيراً فمن أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: وكيف ذلك وأنا ألعنك في كُلّ يوم مائة مرة؟ فقال: والله لم أفعل ذلك شفقة عليك، بل خفتُ أن يسقط عليك الجدار فتبلغ الشهادة.

هذا وقال المُفسّرون: لمّا أراد الله خَلْق آدم أوحى إلى الأرض إني خالق منكِ خلقاً، فمن أطاعني منهم أدخلتُه جَنَّتي ومن عصاني أدخلتُه ناري. ثم أمر جبرائيل أن يهبط إلى الأرض ويقبض منها قَبْضة من زواياها[157] من طيبها وخبيثها وشرقها وغربها، فهبط. وكان إبليس حين علم بذلك قال للأرض: جئتكِ ناصحاً إنّ الله تعالى يُريد أن يخلق منك خَلْقاً يُفضّله على جميع خَلْقه (13أ) وأخاف أن يعصيه ويُعذّبه بناره، فإذا أتاك جبرائيل[158] فأقسمي عليه أن

(149) أ: (أحدنا).
(150) أ، ج: (وعزرتني).
(151) أ: (في).
(152) أ: (أن).
(153) أ: (تعرفه).
(154) أ: (يحذف).
(155) أ: (فراغ).
(156) أ، ج: (يحذف).
(157) زواياها الأربع؟ (انظر: الثعالبي: قصص الأنبياء).
(158) ب، ج: (جبريل).

لا يأخذ منك شيئاً. فلما أتاها[159] جبرائيل وأقسمت عليه رجع ولم يأخذ منها شيئاً، فأرسل إليها[159] إسرافيل فأقسمت عليه كذلك، فأرسل[160] إليها ملك الموت فلما أقسمت عليه، قال: وعزّة ربي لا أعصي له أمراً ثم قبض تلك القَبْضة ورجع بها حتى وقف بين يدي ربه أربعين عاماً لا يتكلّم، فأتاه النداء: ماذا صنعتَ يا مَلَك الموت؟ وهو أعلم به فأخبره الخبر، فقال: وعزّتي لأخلقنّ خَلْقاً[161] ممّا جئت به ولأسلّطنك على قَبْض أرواحهم لقلّة شَفَقتك بهم، فبكى[162] مَلَك الموت فقال: ما يُبكيك؟ فقال: يا ربّ إنك تخلق من هذا[163] الخلق أنبياء وأصفياء ومُرسلين، وإنك لم تخلق خَلْقاً أكره لهم من الموت، فإذا عرفوني يُبغضوني ويشتموني. قال الله تعالى[164] إني جاعل[165] للموت عِلَلاً وأمراضاً ينسبون الموت إليها، ولا يذكرونك معها، فخلق الأوجاع وعُجنت تلك القَبْضة بالماء العذب والمالح وخمرت، فمن ثَمّ اختلف الأخلاق. وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: إن الله[166] خلق آدم من قَبْضة من جميع الأرض فجاء بنو[167] آدم على قَدْر الأرض؛ جاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وصارت تلك القَبْضة كالفخّار وهو الطين اليابس الذي إذا ضرب باليد يبدو[168] له صوت وصَلْصلة. وقال كَعْب الأَحْبار: إنّ عزرائيل[169] مَلَك الموت ومسكنه في السماء[170] الدُّنيا قد خلق الله تعالى[171] له أعواناً (13ب) بعدد من

(159) ب، ج: (جاءها).
(160) ب: يضيف (ملك الموت).
(161) أ: (يحذف).
(162) أ، ب، ج: (فبكا).
(163) أ: (هذه).
(164) ب، ج: (عزَّ وجلَّ).
(165) أ: (عاجل).
(166) أ: يضيف (تعالى).
(167) أ: (بنوا).
(168) أ، ب: (يبدوا).
(169) أ: (عزرائيل).
(170) أ، ب: (سماء).
(171) أ: (يحذف).

يذوق الموت ووجهه في مُقابلة اللوح ينظر إليه لا يقبض روح أحد من الخلائق حتى يستوفي رزقه وأجله، فَرُوح المُؤمن يقبضها بيمينه ويرفعها إلى عِلِّيِّين، ورُوح الكافر يقبضها بيساره ويرفعها إلى سِجِّين، وفيها دواوين أهل النار وأعمالهم. ثُمّ لما أراد الله أن ينفخ الروح في آدم أمر جبرائيل أن يغمسها في جميع الأنوار، ثُمّ أمرها بالدخول في جسد آدم بالتأنّي فرأت مَدْخلاً ضيقاً فقالت: كيف أدخل؟ قال: أُدخلي كَرْهاً واخرجي كَرْهاً فدخلت من يافوخه إلى دماغه ودارت فيه مائتي عام، ثُمّ[172] نزلت إلى عينيه فجعل ينظر إلى نفسه طيناً وهو لا يقدر على الكلام ورأى مكتوباً على العرش: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، ثُمّ نزلت إلى أُذنيه فسمع تسبيح الملائكة وهم يترقّبون الأمر بالسجود له ليسجدوا وإبليس يُضمر خِلاف ذلك، ثم نزلت إلى خياشيمه فعطس فانتفخت مجاري العُروق المسدودة المُدوّرة[173]، ثُمّ صارت إلى اللسان فلُقِّن: «الحمد لله ربّ العالمين» وهي أول كلمة قالها آدم، فأجابه ربه: يرحمك ربُّك يا آدم، وللرحمة خلقتك، وهي لك ولذُرّيتك. فلما سمع آدم ذلك تأوَّه ووضع يده على رأسه، وقال: الرحمة لا تكون إلا للمُذنبين فصار رفع اليد عند المصيبة عادة في ذُرّيته من بعده.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: ليس شيء أشَدّ على الشيطان من تشميت العاطس لتذكّره مقالة الربّ تبارك وتعالى ذلك لعبده آدم.

ثُمّ انتشرت الروح في جسد (14أ) آدم فصار لحماً ودماً وعَصَباً وعْروقاً غير أنّ رجليه من طين، فهمّ بالقيام فلم يقدر، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾. وقيل: إنّ الروح لما وصلت إلى جسد آدم اشتهى[174] الطعام، فذلك أول حرص دخل جَوْف آدم، ثم إنّ الله[175] كسى آدم جِلْداً من الظُّفْر، وكان كالفضة البيضاء. ثُمّ لمّا اقترف الذَّنْب بدّل جِلْده بهذا الجِلْد، وبقي منه ما بقي على رُؤوس أنامله، ليتذكّر بذلك أول حاله. ثُمّ لما صارت الروح إلى قدمي آدم

---

(172) أ: يضيف (لما).

(173) أ، ب: (يحذف).

(174) أ: (اشتها).

(175) ب، ج: يضيف (تعالى).

استوى قائماً في يوم الجُمعة. ثم أمر الله[176] الملائكة فطافوا به جميع السماوات، وكُلّما مرَّ على ملأ من الملائكة يُسلّم عليهم، فيردّون عليه تحيته. ثُمّ علَّمه الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة، ثم أمر الله الملائكة بالسُّجود لآدم قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ وكان سُجودَ تحيةٍ وتعظيم لا سُجودَ عبادةٍ. وآدم عليه السلام يُكْنى أبا[177] البَشَر. وقال كَعْب الأَحْبار: ليس أحد في الجنّة يُكنى إلا آدم، كُنيته في الدُّنيا أبو البشر، وفي الجنة أبو محمد، وأنه عاش ألف سَنَة. وقال أهل التاريخ: مرض آدم أحد عشر يوماً، فأوصى لابنه شِيث، وكتب له صحيفة. وقال ابن إسحاق: لمّا مات آدم عليه السلام اجتمعت عليه الملائكة وغسلوه بالسِّدر والكافور، ثم قال جبرائيل لابنه شِيث: «تقدّم أنت»[178]، فصلِّ على أبيك، ففعل. ثم دُفِن بمكة في غار[179] في جبل أبي قُبَيْس هو أول جبل وُضع في الأرض، وقيل: أول جبل وُضع في الأرض جبل ق هكذا ذكره[180] في **مرآة الزمان** (14ب). وقيل: دُفِن بالهند[181] عند ابنه هابيل. وقيل: إنّ نوحاً عليه السلام حَمَل جسده في السفينة حتى دفنه في بيت المقدس، وكانت وفاته يوم الجُمعة، وعاشت حواء[182] بعده سَنَة ودُفِنت معه.

قال[183] بعض العُلماء عند شرح قول النبيّ ﷺ: «**إنّ الزمان قد استدار كهيئته**[184] **يوم خلق الله السموات والأرض السَّنة اثني عشر شهراً**» الحديث: إن الكشف التام أفاد أنّ مبدأ الدورة العرشية كان من الميزان ومنه إلى[185]

(176) ب، ج: (يحذف).
(177) أ: (أبو)، ب: (بابو)، ج: (بابي).
(178) انظر: **الثعالبي قصص الأنبياء**.
(179) ب: (غبار).
(180) ب، ج: (ذكر).
(181) ب، ج: (في الهند).
(182) أ، ب، ج: (حوى).
(183) أ، ج: (وقال) (؟).
(184) أ: (كهنه).
(185) ج: (يحذف).

الحوت، أوجد الله تعالى[186] فيه الأرواح السماوية والصُّوَر الأصلية في جوف العرش، ومُدّة هذه البُروج الستة واحد وعشرون ألف سَنَة، ومن الحمل إلى برج السُّنْبلة في الحُكم خَمسون ألف سَنَة. وفي أول حُكم دور السَّنة، ظهور النوع الإنساني ومُدّته سبعة آلاف سَنَة، ونبيُّنا[187] ﷺ[187] بُعث في الألف الأخيرة من السبعة في الأجزاء البَرْزَخِية الجامعة بين أحكام دَوْر[188] السنبلة ودَوْر الميزان المُختصّ بالآخرة. فزمان البعثة بالنسبة إلى زمان قيام الساعة، كزمان الفجر الصادق بالنسبة إلى زمان طُلوع الشمس. وقد أشار إليه[189] النبيّ ﷺ بقوله[189]: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**». وحُكي أنّ وقت هُبوط آدم من الجنة كان قلب الأسد في الجوزاء، والنَّسْر الطائر في العقرب، والعَيّوق في أوائل الحمل: هكذا ذكروا بحسب الأقوال والله سبحانه وتعالى[190] أعلم بحقائق الأمور والأحوال.

هذا ثُمّ إنّ نوحاً عليه[191] الصلاة والسلام[191] ثابتٌ نبوّته بالكتاب والسُّنّة والإجماع. قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ الآية (15أ) وهو من ذُرِّية شِيث بن آدم، بينه وبين آدم عشرة قُرون، على ما قالوا، والله تعالى أرسله إلى ولد قابيل ومن تابعهم من أولاد شِيث، بعد أن ظهر بين الطائفتين الفِسْق وشرب الخمور، وكان عمره حين ابتعثه الله تعالى[192] ثلثمائة وخمسين سَنَة، فمكث فيهم ألف سَنَة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله ويُخوّفهم بأسه، فلم يُؤمن منهم إلا القليل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ وكان لهم مَلِك من نَسْل قابيل، وكان يعبد الأصنام الخمسة، وهم وِدّ وسُواع ويَغُوث ويَعُوق ونَسْر، وهو

(186) أ: (يحذف).
(187) ب: (يحذف).
(188) أ: (درو).
(189) أ: (يحذف).
(190) ب، ج: (يحذف).
(191) أ: (السلام).
(192) أ: (يحذف).

أول من شرب الخمر واتّخذ القِمار. وسُمّي[193] نوحاً لكثرة نَوْحه على قومه حيث لم يُؤمنوا. ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ نوحاً كان[194] يُضْرَب في قومه حتى يُقال إنه[195] مات، ثم يُلَفّ في كساء[196] ويُلقى[197] على الطريق. ثم يخرج من الغد ويدعوهم كذلك وهم يضربونه حتى إنه جاء رجل إلى نوح ومعه ابنه، وكان الرجل يتوكّأ على عصا[198] بيده[199]، فلما صارا بين يدي نوح، قال الرجل لابنه: يا بنّي انظر إلى هذا الشيخ، وإيّاك أن يَغُرَّك بكيده، فإن أبي أوصاني بذلك وجدّي أوصى أبي على ذلك أيضاً (15ب) وأنا أُوصيك بذلك أيضاً. فقال الصّبيّ لأبيه: «يا أبتِ اجلس وناولني العصا. ففعل. فأخذها وقصد نوحاً وضربه بها، فشجَّ رأسه، فجعل نوح يأخذ من[200] دمه بيده ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهمَّ إن كان[201] لك في[201] عبادك حاجة فاهدِهم، وإلا فصبّرني إلى أن تحكم وأنت خير الحاكمين. أَمَّنت الملائكة على دعائه، فأوحى الله إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، ثُمّ أخبره إنه لم يبقَ في أصلاب الآباء ولا في بطون الأُمّهات مُؤمن ولا مُؤمنة، فعند ذلك[202] يئس[203] من إيمان قومه ودعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، فأجاب الله دُعاءه وأمره باتّخاذ الفُلْك[204]، فاتخذ الفُلْك[204] على ما أوحى إليه فركب الفُلْك ومن معه. فطافت السفينة بمن فيها الأرض كُلّها في ستة أشهر،

(193) وسمي (نوح)؟.
(194) ب، ج: (يحذف).
(195) ب، ج: (قد).
(196) أ: (كسى).
(197) أ: يضيف (في الأرض).
(198) أ: (عصى).
(199) أ: (يحذف).
(200) ب، ج: (يحذف).
(201) ب: (يحذف).
(202) ب، ج: (ذاك).
(203) أ، ب، ج: (يأس).
(204) أ: (يحذف).

حتى أتت الحرم فطافت به[205] أسبوعاً، وكان قد رفع الله البيت صيانة له من الغَرَق. ثُمّ انتهت بعد ذلك إلى جبل في بلاد المَوْصِل يُقال له الجُوديّ، فاستوت عليه وقد باد ما على وجه الأرض[206] من الخلائق ولم ينجُ منهم[206] سوى من ركب في[207] السفينة، وعوج بن عُنق[208]، ولأهل التأريخ كلام في عوج بن عُنق قد[209] فصّل ذلك في كتب التواريخ. رُوي[210] أنّ الله تعالى أمر نوحاً حين راثت[211] الدوابّ أن يضرب ذَنَب الفيل، فنزل منه خنزير وخنزيرة، فأكلا ما كان فيها من ذلك الزِّبتل، وأنه[212] أمره حين توالد الفار وكثرت أن يضرب جبهة[213] الأسد، فنزل منها سنّور وسنّورة، فأكلا ما كان فيها من ذلك الفأر. وعاش نوح بعد خروجه من السفينة ثلثمائة وخمسين سَنَة، فكان جميع عمره ألف سَنَة (16أ) إلا خمسين عاماً. وقيل: عاش بعد الطُّوفان ألف سَنَة إلا خمسين عاماً وكان قبله ثلثمائة وخمسين سَنَة، فعلى هذا كان جميع عمره ألف سَنَة وثلثمائة سَنَة[214]، وقيل: كان عمره حين مات ألف سَنَة وأربعمائة سَنَة، هكذا ذكروه والعلم بذلك عند الله عَلّام الغيوب.

وقيل: إنه لما حضرته الوفاة قيل له: كيف وجدت[215] الدُّنيا؟ فقال: كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

هذا ثُمّ إنّ سيد الأولين والآخرين محمد[216] نبي مُرْسَل[217] إلى الأَسْوَد

---

(205) أ: (يحذف).
(206) أ: (يحذف).
(207) أ: (على الهامش).
(208) ب: (عنق).
(209) أ: (ثم).
(210) أ: (وروى).
(211) أ: (لاثت).
(212) أ: (فإنه).
(213) أ: (جبهته).
(214) أ: (يحذف).
(215) أ: (وجد).
(216) أ، ب: (محمد).
(217) أ: (المرسل لله).

والأَحْمَر جميعاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ وثابت نُبوّته بالكتاب والسُّنّة والإجماع وبالاستدلال أيضاً، وذلك[218] أنه ادَّعى النبوَّة وأظهر المُعجزة. أما ادّعاء النبوَّة فقد عُلِم بالتواتر، وأما إظهار المعجزة فلأنه أظهر كلام[219] الله تعالى وتحدّى به البُلغاء مع كمال[219] بلاغتهم فعجزوا عن مُعارضته بأقصر سورة منه، مع تَهَالكهم على ذلك حتى خاطروا بمُهجتهم[220] وأعرضوا عن المُعارضة بالحُروف[221] إلى المُقارعة بالسيوف. ولم يُنقَل عن أحد منهم، مع توافر الدَّواعي، الإتيان بشيء ممّا يُدانيه، فدلَّ ذلك قطعاً على أنه من عند الله تعالى، وعُلِم به صدقُ دعوى النبيِّ ﷺ علماً عادِيّاً لا يقدح فيه شيء من الاحتمالات العقلية، على ما هو شأن سائر العلوم العادِيّة. على أنه نُقِل عنه من الأُمور الخارقة للعادة ما بلغ القَدْر المُشترك منه، أعني ظُهور[222] حدّ التواتر، وأنّ تفاصيلها آحاداً كشجاعة عليّ رضي الله عنه وجُود حاتم[223] وهي مذكورة[223] في كتب السِّيَر والتواريخ على وجه التحرير والتفصيل.

وأما بيان نسبه، فإنه[224] محمد بن عبدالله بن عبد المُطلّب بن هاشم[225] ابن قُصَي بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضِر بن كِنانة بن خُزَيمة (16ب) بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ ابن عَدنان. هذا هو المُتّفق عليه، وفيما بعد عدنان إلى آدم خلاف كثير.

ثُمّ إنّ الأُمور الخارقة للعادة، والصِّفات الفاضلة الفائقة، والأخلاق الفائضة الكاملة الشاملة، والسِّير الكريمة الكثيرة الشائعة للنبيِّ ﷺ، أكثر من أن تُعدّ وتُحصى. فلذلك اعترفنا بعجزنا عن ذلك، وإنما ذكرنا[226] ههنا لذّةً وتشريفاً

---

(218) أ: (ذلك).

(219) أ: (في الهامش).

(220) أ: (مهجتهم)، ج: (بمهجتهم).

(221) أ: (في الهامش).

(222) ج: يضيف (المعجزة).

(223) أ: (أو كذا).

(224) ب، ج: (فبإنه).

(225) أ، ب، ج: (هشام).

(226) ذكرناه؟

لنا بذكر جَنَابه العالي الرفيع كما[227] قال الأعشى:

ما إن مدحتُ مُحمّداً بمَقالتي لكن مدحتُ مَقالتي بمُحمّدِ

فتُوفّي النبيّ ﷺ وقد بلغ ثلاثاً وستين سَنَة[228]، وقيل غير ذلك، يوم الإثنين حين اشتدَّ الضُّحى لثنتي عشرة ليلة[229] من ربيع الأول. ومرض أربعة عشر يوماً ودُفِن ليلة الأربعاء في بيت عائشة رضي الله عنها فعزَّى[230] الخَضِرُ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فقال: إنّ في الله عزاء من كُلّ مصيبة، وخَلَفاً من كُلّ هالك، ودَرْكاً من كُلّ فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المُصابَ مَنْ حُرِم الثواب.

هذا وأبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ، ثَبُتت إمامته بالبيعة والإجماع. وتُوفّي وكان عمره ثلاثاً وستين سَنَة[231].

وعُمَر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة بعد أبي بكر رضي الله عنه، ثَبُتت خِلافته بنصّ أبي بكر على ذلك. وتُوفّي وكان عمره ثلاثاً وستين سَنَة على الأصحّ.

وعُثمان بن عَفّان رضي الله عنه خليفة بعد عُمَر رضي الله عنه، ثَبُتت خِلافته بالبيعة. وتُوفّي وكان عمره نحواً من سبعين سَنَة.

وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه خليفة بعد عثمان، ثَبُتت خِلافته[232] بالبيعة أيضاً. وتُوفّي وكان عمره ثلاثاً وستين سَنَة.

وترتيب أفضليتهم بحَسَب ترتيب خِلافتهم. ثُمّ إنّ تعظيم الصحابة كُلّهم واجب، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ (17أ) ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾.

(227) أ: (يحذف).
(228) ب، ج: (يحذف).
(229) أ: (يحذف).
(230) أ، ب، ج: (فعزا).
(231) أ: (يحذف).
(232) ب، ج: يضيف (رضي الله عنه).

وقال النبيّ ﷺ: «**أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم**»، كما قال ﷺ: «**لا تسبّوا أصحابي رضي الله عنهم أجمعين**».

هُذا وأبو حنيفة رحمه الله إمام تقيّ وتُوفّي وكان عُمره سبعين سَنَة، ومالك بن أَنَس رحمه الله تعالى إمام زاهد نجم السُّنّة، وتُوفّي بالمدينة وكان عُمره سبعاً وسبعين سَنَة[233] على المشهور، وأبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى إمام تقيّ فوق الذِّكر والوصف، وتُوفّي وكان عُمره أربعاً وخمسين سَنَة، وأحمد بن محمد بن حَنْبل رحمه الله تعالى إمام زاهد ومُجتهد، وتُوفّي ببغداد وكان عُمره سبعاً وسبعين سَنَة؛ رحم الله تعالى الأئمّة أجمعين آمين يا ربّ العالمين.

الباب الثالث في بيان شرف[234] أهل العلم وفي فضل العلم وفي بيان ما يُفيد التذكير والاعتبار

وفيه مقاصد: **الأول** إنّ الكتاب والسُّنّة والأثر والمعقول يدلّ على شرف أهل العلم، أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ فبدأ بنفسه وثنّى بملائكته[235] وثلّث بأهل العلم، وناهيك بهذا مَرْتَبة وجلالاً ومَنْقبة وكمالاً، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

وأما السُّنّة، فقول النبيّ ﷺ: «**من يُرِد الله به خيراً يُفقهه، وإنما العلم بالتعلّم**».

وفي رِواية عن النبيّ ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**[236]**، إنّ الله وملائكته**[237] **وأهل السموات والأرض حتى النَّملة في جُحْرها وحتى الحوت في الماء لَيُصَلُّون على مُعلّم الناس خيراً**».

---

(233) ب، ج: (يحذف).
(234) أ: يضيف (العلم).
(235) ج: (بالملائكة).
(236) أ: (في الهامش).
(237) ب: يضيف (يصلون على النبيّ).

وأما الأثر، فهو قول عليّ رضي الله عنه: «العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال (17ب)، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو[238] على الإنفاق». وقوله:

ما الفخرُ إلا لأهل العِلمِ إنهم على الهدى لمن استهدى أدّلاءُ
وقدرُ كُلِّ امرىء ما كان يُحسنه والجاهلون لأهل العِلم أعداءُ

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: خُيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين[239] العلم والمال والملك فاختار العلم، فأُعطي المال والمُلك معه.

وأما المعقول، فلأن العلم مطلوب وكُلّ مطلوب فله شرف وفضيلة، أما الأول فَلِكَوْن العلم شيئاً نفيساً ومرغوباً فيه ومقبولاً في العقول كلها، وأما الثاني فلأن كلّ مطلوب سواء كان مطلوباً لذاته أو لغيره أو لهما فله شرفٌ وفضيلة. غاية ما في الباب أنّ المطلوب لذاته له زيادةُ شرفٍ وفضل على المطلوب لغيره. أما المطلوب لذاته، فنحو المعرفة بالله والنظر إلى وجهه الكريم. وأما المطلوب لغيره، فنحو الدراهم والدنانير، فإنهما حَجَران لا منفعة فيهما، ولولا أنّ الله يسّر الحاجات بهما لكانا والحَجَر بمثابة[240] واحدة. وأما المطلوب لذاته ولغيره، فنحو سلامة البدن، فإن سلامة البدن أو الرِّجل مثلاً مطلوبة من حيث إنها سلامة عن الآلام[241] ومطلوبة للمشي والمآرب والحاجات.

وبهذا الاعتبار[242]، إذا نظرتَ إلى العلم رأيتَه لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته، ووجدتَه أيضاً وسيلة إلى الدار الآخرة وسعادتها، وذريعة إلى القُرب من الله عزَّ وجلَّ ولا يُتوصّل إليه إلا به. وأعظم الأشياء رُتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن يُتوصّل إلى ذلك إلا بالعمل والعلم، ولا يُتوصّل إلى العمل أيضاً إلا بالعلم بكيفية العمل.

---

(238) أ: (يزكوا).
(239) أ: (من).
(240) أ: (مثابة).
(241) أ: (الآلات).
(242) أ: (يحذف).

فأصل السعادة في الدنيا والآخرة[243] هو العِلم[243] فهو أفضل وأشرف، فكيف وأنّ لذّة العلم أعظم اللّذات كما أنّ أَلَم الجهل أشدّ الآلام!

المقصد الثاني، (18أ) هو ما يتعلّق بشرح العَنْقاء، والعَنْقاء طير معروف الاسم مجهول الجسم، رُوِي أنّ العَنْقاء قالت لسليمان: هل تستطيع ردّ القضاء والقدر؟ فقال لها: لا أقدر على ذلك. فقالت[244]: بل أنا أُطيق ردّ القضاء والقدر. فقال سليمان عليه السلام: إنه قد وُلد في هذه الليلة لبعض المُلوك غلام بالمشرق، ووُلد لبعض الملوك جارية بالمغرب، وإنّ الله تعالى قد قدّر أنّ الجارية تكون للغلام، فهل أنت قادرة على دفع ذلك بزعمك؟ قالت: نعم، فأَشْهَدَ الطير ثم طارت حتى أخذت الجارية من مهدها وجعلتها في كهف جبل شاهق في جزيرة بحر، وجعلت تأتيها بأطيب المآكل والمشارب، ثم كانت تأتي سليمان[245] وتقف في خدمته، ثم تأتي إلى عند الجارية، ثم إنّ الغلام بلغ مبلغ الرجال حتى صار مُغرماً بالصيد، فخرج في بعض الأيام إلى صيد البحر ليرى عجائبه، فلما توسّط[246] البحر ورأى تلك الجزيرة قال[247] لغِلمانه: مكانكم لا تبرحوا حتى أرجع إليكم ثم خرج إلى الجزيرة وجعل يدور فيها، ثُمّ[248] لما رأى الجبل الشاهق الذي فيه الجارية تعجّب منه وصَعِد إليه[249] حتى رأى الجارية فلما رأته هربتْ منه، ثُمّ لم يَزَلْ يُؤانسها حتى قالت له[250]: إني لا أعرف[250] غير أمّي العَنْقاء وإنها لتغدو[251] في كُلّ يوم إلى سليمان[252] ثُمّ ترجع. فقال لها: وأنا أعرفه ثُمّ لم يَزَلْ بها حتى دخلت معه في

---

(243) أ: (في الهامش).
(244) أ: (في الهامش).
(245) أ: (سليمن).
(246) أ: (توسد).
(247) ج: (فقال).
(248) أ: (يحذف).
(249) عليه؟.
(250) أ: (في الهامش).
(251) أ، ج: (لتغدوا).
(252) أ، ج: (سليمن).

بطن فرس بعدما نزع[253] منه(؟) وحملتها العَنْقاء وهي تظنّ أنْ ليس في جَوْف الفَرَس غير الجارية، فلما جاءت بالفَرَس في منقارها إلى بين يدي سليمان[254]، وقالت: يا سليمان[254] هذه الجارية في جَوْف الفَرَس[255]، فتبسّم سليمان[254] عليه السلام[255] وقال: إنّ[256] الغُلام قد اجتمع مع الجارية في جَوْف هذا الفَرَس وقد عَلِقت منه (18ب)، ثم أمرهما بالخروج فخرجا من جَوْف الفَرَس، فلما رأت العَنْقاء ذلك هربت فطلب إحضارها فأُحضرت وآمنت بالقضاء والقدر، هكذا ذكروا والعلم بذلك عند الله العليم.

المقصد الثالث، هو ما يتعلّق بعَيْن الحياة. رُوِي عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه أنّ ذا القَرْنين صحب مَلَكاً من الملائكة يقال له درفائيل، فكان يزوره ويُحادثه، وأنه سأل عن عبادة الملائكة فأخبره[257] من عبادتهم[258] وما هم فيه[258] من التسبيح والتقديس، وأنّ منهم الراكع لا يرفع أبداً، ومنهم الساجد لا يرفع رأسه أبداً، ومنهم القائم فلا يجلس أبداً، فعند[259] ذلك بكى[260] ذُو القَرْنين وقال: لقد وددتُ أن أعيش دهراً طويلاً[261] لأبلغ من عبادة ربّي حقَّها، فقال له المَلَك: إنّ لله في أرضه عَيْناً تُسَمَّى عَيْن الحياة من شرب منها شَرْبة لا يموت حتى يكون هو السائل للموت. فقال[262]: يا درفائيل[262] هل[263] تعلمون مكانها؟ فقال: لا[264] ولكنّا سمعنا إنّ لله في أرضه ظُلمة

(253) أ: (فرع).
(254) أ، ب، ج: (سليمن).
(255) (في الهامش).
(256) أ: (أرى).
(257) أ: (فأخبرهم).
(258) أ: (كذا).
(259) أ: (وعند).
(260) أ، ج: (بكا).
(261) أ: (طويلة).
(262) أ: (مادرفيل).
(263) أ: (وهل).
(264) أ: (في الهامش).

لا يطأها[265] إنسٌ ولا جِنّ وإنّا لنظنّ أنّ العَيْن هُناك، فسأل ذُو القَرْنين العُلماء ممّن قرأ الكُتُب القديمة والحديثة وأخبار الأُمم السالفة عن ذلك، فلم يُجيبوه بشيء، غير أنهم دلّوه على شخص عالم بالأخبار الماضية والكُتُب القديمة، فقصده وسأله عن تلك العَيْن، فقال له: أيها الملك إني وجدتُ في وصية آدم أنّ الله تعالى خلق في أرضه[266] ظُلمة، وأنّ العَيْن عندها، وأنه لا يقدر على وطئها إنسٌ ولا جِنّ. فسأله ذُو القَرْنين عن موضعها فقال: هو عند مطلع الشمس فتجهَّز ذُو القَرْنين وسار مُدّة مديدة حتى وصل إلى أول الظُّلمة فوجدها تفور من الأرض كالدُّخان ليست كظُلمة الليل[267]، فنزل هُناك واستشار خواصّه. وكان ممّن سار معه الخَضِر عليه السلام، فأشاروا عليه بعدم الدخول فقال: لا بدَّ لي من الدخول ثم سألهم (19أ)، فقال لهم: أيّ الدواب أبصر بالليل[268]؟ فقالوا له: الإناث من الخيل الصغار، فانتخب من عسكره ستة آلاف مُهرة لستة آلاف رجل من أصحابه ممّن له جَلَد وقُوة. وجعل الخَضِر مُقدَّماً على ألفي فارس، وبقي معه أربعة آلاف فارس. ثُمّ أعطى[269] الخَضِر الخَرْزة، وقال له: إنْ أنت ضللتَ عن الطريق أو اشتبه عليك، فألقِ هذه الخَرْزة فإنها تُصوّت، فاتبع صوتها تُهْدِك[270]. فسار الخَضِر بعد ذي القَرْنين فجعل يرحل (لهذا[271] الموضع)[271] وينزل ويقول: هذا موضعها. ثُمّ مرّ الخَضِر بوادٍ، فألهمه الله أنّ العَيْن في ذلك الوادي. فوقف على شفيره وألقى الخَرْزة فجعلت تُصوّت وهو يتبعها حتى وصلت به إلى تلك العَيْن، فنزع ثيابه فدخلها فإذا هي أبيض من اللّبن وأحلى[272] من العسل فشرب واغتسل، ثُمّ تبع[273] صوت الخَرْزة حتى وصل إلى أصحابه. وأما

(265) أ، ب، ج: (يطأوها).
(266) أ: (أرض).
(267) أ: (في الهامش).
(268) ب، ج: (في الليل).
(269) ب: (في الهامش).
(270) أ، ب، ج: (تهديك).
(271) ب، ج: (هذا)، أ: (لهذا)؟.
(272) أ: (واحلاً).
(273) أ: (تتبع).

ذُو القَرْنين، فإنه حاد عن طريق العَيْن ولم يزل سائراً مُدّة أربعين يوماً، حتى خرج من الظُّلمة إلى أرض[274] فيها ضوء[275] لا يُشبه ضوء شمس ولا قمر، وإذا في تلك الأرض قصر وفيه صورة شاب حَسَن الوجه رافع يديه إلى السماء، فسلّم عليه فردَّ عليه السلام، ثم قال له: يا ذا القَرْنين إنّ الساعة قد اقتربت، وإني أنتظر[276] أمر ربي، فأنفخ في الصُّور. ثم ناوله شيئاً يُشبه الحَجَر وقال له: خُذْه فإن لك فيه موعظة، فأخذه وجعله في[277] كَفّة ميزان[277] وجعل في مُقابلته حَجَراً، فَرَجحه، ثم آخر فَرَجحه، ثم آخر فَرَجحه، فأخبر الخَضِر بذلك فأخذه ووضع في مُقابلته حَجَراً واحداً وكفَّ تراب قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم فرجح الحَجَر والتراب على الحَجَر الآخر. فقال الخَضِر: يا ذا القَرْنين هذا مَثَلٌ ضَرَبَه[278] لك حين ملكت الأرض وأوطأك أرضاً لم يطأها إنسٌ ولا جِنّ فلم تشبع. وكذا ابن آدم لا يشبع حتى يُحثى عليه التراب (19ب) فبكى[279]، وقال: لا عدتُ أطلب قَصَّ أثر بعد سَيْري هذا.

قال النبيّ ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جَوْفَ ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب**». وقال أهل التفسير والأثر: هذا كان مكتوباً في مصحف[280] ابن مسعود رضي الله عنه.

المقصد الرابع أنّ كُلَّ أحد[281] ينتقل من هذه العوالم الجسمانية الملكية إلى جَنَاب تلك العوالم الرُّوحانية النُّورانية البَرْزَخِية المَلَكُوتية، ويُحيى أثره ويبقى ذكره في هذا العالم بالتاريخ والحديث، ولا شيء يدوم. فكُنْ حديثاً جميل الذكر، فالدُّنيا حديث. فالتاريخ من المُهِمّات العِظام، مقبول عند الأنام، مُشتمل

(274) أ: (الأرض).
(275) أ: (ضوءاً).
(276) ب، ج: (منظر).
(277) أ: (هذا الميزان).
(278) ضربه (الله)؟.
(279) أ، ب: (فبكا).
(280) أ: (صحف).
(281) أ: (واحد تصلح أحد).

على فكر وعِبَر، ومُنطوٍ على مصالح ومحاسن على وجه مُعْتَبَر. ولولا التاريخ لم يصل إلينا لا خَبَر ولا أَثَر، وهو غذاء الأرواح والأشباح. وهو خزينة[282] أخبار الناس والرجال. وهو مَعْدن العجائب والغرائب والروايات والأمثال. والتاريخ زِينة الأديب[283] وعُمدة اللبيب، وعَوْن المُحدِّث وذُخْر الأَرِيب. والتاريخ يحتاج إليه[284] الملك والوزير والقائد وغيرهم؛ أما الملك فيعتبر بما مضى من الدُّوَل ومن سلف من الأُمم. وأما الوزير، فيعتبر[285] بفِعال من تقدَّم ممّن حاز فضلَيْ السيف والقلم. وأما القائد[286]، فيطّلع منه[287] على مكائد الحرب ومواقف[288] الطَّعْن والضَّرْب. وأما غيرهم فيستمعونه على سبيل المُسامرة، فيحصل لهم بذلك المُبادرة إلى أنواع الخيرات والاجتناب عن المُنكرات. ولأجل هذا، قالوا: يجب على الملك أن يسلك طريق المُلوك الذين تقدّموا ويعمل عملهم في الخير، وأن يقرأ كتب مَوَاعظهم وَوَصَاياهم لأنهم أكثر تجربة واعتباراً، وأنهم[289] فَرّقوا بين الجيّد[290] والرديء، وعرفوا الجليّ من الخفّي. وكان أنو شروان مع حُسْن سِيرته يقرأ كُتُب الأوّلين ويطلب استماع حِكاياتهم ويمضي على طريقتهم (20أ). فإذن لا غناء عن التاريخ، فينبغي أن يُعتنى بشأنه ويُكتب ويُنقل، لكن ليس كيف[291] ما[292] اتّفق للاحتراز عن المُجازفة والرَّجْم بالغيب، بل على حَسَب الوجوه المذكورة في تحرير[293] الأُصول الخمسة[294] في الباب الثاني.

---

(282) ج: (خزانة).
(283) ج: (إعلان مخطوطة ليدن. الأدب).
(284) أ: (يحذف).
(285) أ: (في الهامش يعتبر).
(286) أ، ج: (إعلان. قائد الجيوش).
(287) إعلان (به).
(288) أ: (مواقع).
(289) أ: (كذا).
(290) أ: (الجيدي).
(291) أ: (أعلى السطر: كيف صـ).
(292) أ: (كما).
(293) أ: (تحديد).
(294) ج: (يحذف).

قيل: ذُكر في صُحف إبراهيم عليه السلام: العاقل[295] ينبغي أن يكون مُقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، حافظاً بلسانه[296].

ولمِثْل هذا، قال النبيّ ﷺ: «**كُفّ عليك هذا**».

المقصد[297] **الخامس**، أنّ مصر بلد أَمْن وبركة، قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، وقال النبيّ ﷺ: «**إذا دخلتم مصر فَاسْتَوْصوا بأهلها خيراً، فإن لكم منها (2أ) نَسَباً وصِهْراً، واتخذوا بها جُنداً كثيفاً**[298]**، فإن ذلك خير جنود أهل الأرض**[299]**، وهي كِنانة الله في أرضه، من أراد بها سُوءاً قصَمَه الله**». وقال: «**اللهمَّ بارك في نَبْتها وعسلها**»، وقال عمرو ابن العاص: «ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة». وعن كَعْب الأَحْبار قال: «من أراد النَّظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى أرض مصر[300] إذا أزهرت»[300].

وذُكِر في بعض التواريخ أنّ مصر مُصَوَّرة في كتب الأوائل، وسائرُ المُدن مادّةٌ أيديها إليها تستطعمها[301]. ورُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «دعا نوح ربَّه لولد ولده مصر بن بيصر بن حام» وبه سُمِّيت مصر، وهو أبو القِبْط، فقال: اللهمَّ بارك فيه وفي ذُرِّيته وأسكنْه الأرض المباركة التي هي أم البلاد وغَوْث العباد[302] التي نَهْرها أفضل أنهار الدنيا، واجعل فيها أفضل[303] البركات، وسَخِّرْ له ولوُلْده الأرض وذلِّلْها لهم. وكان منهم السَّحَرة آمنوا جميعاً

(295) أ: (للعاقل).
(296) ج: يصلحها (للسانه).
(297) (أ) والمقصد تصلح (المقصد).
أ: (منه).
(298) ب: (كنيفاً).
(299) أ: (يحذف).
(300) أ: (يوخر حين تزدهر).
(301) أ: (يستطيعها).
(302) أ: (للعباد).
(303) أ: (يحذف).

في ساعة واحدة ولا يُعلم جماعة أسلموا أكثر[304] من جماعة القِبْط. وكان جميع السَّحَرة مائتي ألف وأربعين ألفاً ومائتين واثنين وخمسين إنساناً. وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. فقال البعض الآخر: مصر خِزانة الأرض كلّها، استدلالاً على ذلك بقول الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، ولم[305] تكن تلك الخزائن بغير[306] مصر، فذكّر الله تعالى بخزائن الأرض.

ومصر في الإقليم الثالث والرابع فسَلِمت من حَرّ الأول والثاني، ومن بَرْد الإقليم السادس والخامس فطاب هواؤها[307] وضعف حَرّها، وخفَّ بردُها، فأمن أهلها من غارات التُّرك وجيوش الروم وقَحْط الأمطار والله أعلم.

قال مُؤلّفه أمتع الله الوجود[308] بوجوده: حصل الفراغ من ترتيب كتاب **المُختصر في علم التاريخ** بمصر صانها الله تعالى عن المصائب والزلازل والآفات والعاهات. وكان ذلك وقت الضُحى في يوم الثلاثاء ثامن رجب سَنَة سبع وستين وثمانمائة بالهجري القَمَري العُمَري[309]، وحَسْبنا الله ونعم الوكيل وصلواته على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلام.

(304) أ: (كثيراً).
(305) أ: (لمن).
(306) أ: (لغير).
(307) أ، ب: (هواها).
(308) ب: (المُسلمين).
(309) أ: (يحذف)، ج: يضيف (العبقري).

السَّخـاوي

الإعلان بالتَّوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ

مُقدّمـة

تحتوي الصفحات التالية على ترجمة لكتاب **الإعلان بالتَّوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ** الذي ألَّفه السَّخاوي (831-902هـ/ 1427-1497م)[1]. وقد أقام المُؤلِّف بهذا الكتاب نُصُباً قيّماً لعلم التاريخ العربي. والكتاب كما يدلّ عليه العنوان، كان ذا صِفة دفاعيّة، وقد كُتب للدفاع عن دراسة التاريخ كموضوع ثقافي مُساعد في مناهج الدراسة الدِّينية. والتاريخ بهذا المعنى يُفضّل الإشارة إلى بحث نواحٍ مُعيّنة من سِيَر عُلماء الدِّين.

والواقع أنّ هذا الكتاب كُتب من وِجْهة نظر العلوم الدِّينية. غير أنه في الوقت نفسه كَتَبه رجل مُفعم بالحماس لجمع التفاصيل، والذي يُمثّل نِهاية حِقبة عظيمة من البحث في مُعضلات كتابة التاريخ، وقد كانت نتيجته كتاباً يُكوّن عَرْضاً شاملاً وأحياناً رائعاً لعلم التاريخ الإسلامي.

قد نَتَردّد في تسمية **الإعلان** تأريخاً لعلم التأريخ الإسلامي، والكتاب بوصفه دِفاعاً، يهتمّ اهتماماً كبيراً جداً في كِتابات وآراء مُعاصري المُؤلِّف أو القريبين من عصره. أما بِداية علم التأريخ الإسلامي وثَمَراته الأُولى، فقد أُعيرت انتباهاً قليلاً جداً. وفي الكتاب مُحاولة لترتيب المُقتطفات من الكُتُب التاريخيَّة عن فوائد التاريخ، ترتيباً زمنياً، أما فيما عَدا ذلك، فلم يُتَّبع مبدأ تأريخي في ترتيب المادة أو المعلومات عن قائمة المصادر، بل عَدَّد المُؤلِّفين القُدماء والمُحدثين، والكُتُب

---

(1) انظر: بروكلمان، ج2، ص34، **الملحق**، ج2، ص3-30، لقد ولد في ديسمبر 1427 أو يناير 1428م.

التي يعرفها السَّخاوي مُباشرة أو بصورة غير مُباشرة، والباقية أو المشكوك في وجودها. وبذلك لم يُحافظ على الصُّورة التأريخية.

ومع ذلك، فإن كتاب السَّخاوي يَبقى عَرْضاً جميلاً لعلم التأريخ الإسلامي وآماله ومُعضلاته، لمن يَعرف كيف يقرأه. فهو صُورة مضبوطة لإنجازاته النهائية ولمَواطن فشله. وهي كثيراً ما كانت صورة غير بهيجة، غير أننا قد نُعزّي أنفسنا بالتفكير أنّ عصر السَّخاوي كان عصر انحطاط، وإنّ علم التأريخ الذي ازْدَهر في العصور الأُولى، لم يكن مُقتصراً على المُنازعات بين الشخصيات التافهة. غير أننا إنْ فعلنا ذلك نكون قد خدعنا أنفسنا، وقد نَغفل حقيقة أنه رَغْم ما كابد في القرن التاسع/العاشر من فترة أمل غير محدودة، ورَغْم أنه كانت تُوجد بعض الشواذّ التي كانت لها أهمّيتها التأريخية، فإن كافة الطُّرُق التي أدَّت إلى السَّخاوي، كانت قد بدأت منذ أول عهد علم التأريخ الإسلامي.

إنّ المعلومات التي يُقدّمها السَّخاوي عن أسماء الكُتُب واسعة جداً، غير أنها بالطبع لا يُمكن أن تُعتبر كاملة، كما أنه لم يكن أول من قدَّم هذه المعلومات. إذ إنّ كثيراً من الكُتُب التاريخيَّة المذكورة في بعض المُؤلَّفات، كمُؤلَّفات أستاذه ابن حَجَر وعدد آخر من العُلماء، كانت مُتوافرة بيُسر، وفي **الإعلان** عدد كبير من المُقتطفات غير المُباشرة، ولعلّه كان منها فيه عدد أكبر ممّا نستطيع ذكره الآن.

ومعرفة المُؤلِّف بأسماء الكُتُب التأريخية الدِّينية هي أَوسع من معرفته بعناوين كُتُب التأريخ العام. وأغلب الأماكن التي تختلف فيها عن المصادر الأُخرى، يكون هو المُخطىء، (غير أنّ الأخطاء أحياناً قد يكون سببها الناشر الحديث للكتاب).

والسَّخاوي بوصفه مُؤلِّف كُتُب تبلغ صفحاتها الآلاف، لم يخلص من شرّ السطحية، وهي النتيجة المحتومة للتقليد الأدبي الطويل والخِصْب. لقد كانت هُناك مادة واسعة يُمكن أن تُؤلَّف منها كُتُب أُخرى، إلى درجة أنّ مُجرّد التقاط أيّ مادّة بالمُصادفة من هنا وهُناك، يُمكن أن يتكوّن منه كتاب نافع ومُفيد جداً.

ولو حاول المُؤلّفون من طِرازه، أن يجمعوا بصورة جدّية أحد الموضوعات التي تناولوها بالبحث، لكان لا بدَّ أن يكون إنتاجهم الأدبي ليس بأكثر من جُزء صغير ممّا عُمل في الواقع. وأكثر ما يُزعج في **الإعلان** هو فُقدان التنظيم لمُحتوياته بالرَّغْم من الصفة التنظيمية لخِطته العامة والتي استُمدّت من الكافِيَجي[2].

ويُمكن القَول بأن ما هو أمامنا ليس الشكل النِّهائي للكتاب، إذ لم يكن من الصَّعب إملاء بعض الفَجوات التي فيه، وإنّ تكرار قوله في قائمة التواريخ المحلّية: «إنّ من الضروري التدقيق»[3] يُظهر أنّ السَّخاوي لم يَعتبر كتابه جاهزاً تماماً للنشر. وعلى كُلٍّ فإن **الإعلان** فيما عَدَا بعض التفاصيل، هو كما صمَّمه المُؤلِّف تماماً، وإنّ وضعه الحالي بشكل مُسَوّدة لا يُفسّر نَقْص تنظيمه، فإن سبب هذا ينبغي بحثه في الترتيب الذِّهني للمُؤلِّف وفي الاتّجاهات العلمية لفترته[4].

لقد كان السَّخاوي شديد الإقناع بالأهمية الكُبرى لكُلّ ما يتعلَّق بالأحاديث النبويَّة والشريعة. لذلك كان يقوم في كُلّ لحظة بالتطرُّق إلى هذه الموضوعات التي لها علاقة ضعيفة جداً، إن كانت هُناك علاقة، بمواضيع كتابه. وقد أشار السَّخاوي نفسه في أحد المواضيع[5] إلى أنه كان يبتعد عن موضوعه، غير أنّ هذا كان بالنسبة لمادّة أدبية، وليست دينية.

ويبدُو أنه لم يكن يرى في التطرّق إلى العُلوم الدِّينية أمراً خارجاً عن الصدد. ولم يشعُر بالنَّدامة لتعداد الكُتُب عن الدِّين المُقارَن، رَغْم أنه يقول: بأنها لا عَلاقة لها بموضوع التأريخ[6]، وإنّ حَشْر المادة الزائدة كثيراً ما يشوّش

---

(2) انظر في هذا الكتاب ص288.

(3) **الإعلان**، ص128، أدناه: ص555 وما يتبعها.

(4) وقد يكون من الأسباب الثانوية هو أنّ السَّخاوي جمع بين مُعالجة الكافِيَجي المُنظّمة والمُعالجة اللُّغوية كالتي تُوجد على سبيل المثال عند الصَّفَدي في **الوافي**، انظر أعلاه: ص287، هامش 5) ولعلّ هذا سبب بعض الاضطراب في التنظيم.

(5) **الإعلان**، ص35، أدناه: ص382.

(6) **الإعلان**، ص107، أدناه: ص504.

تنظيم النصّ. ومن استطراداته[7]، استطراد يتعلّق بتوزيع عُلماء الدِّين في مُختلف الفترات على مُختلف مُدن العالم الإسلامي، وقد أخذها من رسالة للذَّهبي مع تبديلات طَفيفة أدخلها السَّخاوي نفسه. ومن الواضح أنها دخلت **الإعلان** بعد أن خَطَرت له مُؤخراً، بمُناسبة قائمة التواريخ المحلّية، وهي ذات علاقة ضئيلة جداً بعلم التأريخ، حتى إنّ السَّخاوي نفسه أدرك ذلك، ولذلك حُذِفَتْ من الترجمة (غير أنّ الأسماء الواردة فيها أُدخلت في فِهْرِست أسماء الأعلام).

لقد كان للسَّخاوي مَيْل واضح للتطويل المُمِلّ والتكرار، كما أنّ فنّ النَّشر في ذلك العصر لم يكن مُلائماً لإصلاح أمثال هذه العادات السيّئة.

فلم تكن للكُتُب هوامش قد تُوضع فيها المواد المُستطردة[8]، أو تدقيق للمراجع قد يُحدّد من التكرار، إلا أنّ السَّخاوي أبدى أحياناً جُهداً صادقاً لتجنّب التكرار. وعند مُقارنة قائمته الأبجدية للمُؤرخين[9] بقائمة المسعودي، يُلاحظ المرء أنّ السَّخاوي لم يُكرِّر تعليقات المسعودي على المُؤرّخين وكُتُبهم، التي نَقَلها في مُناسبة سابقة.

إنّ مُترجم أيّ نص عربي يشعر أنّ النصّ الخاص الذي يقوم بترجمته هو أصعب النُّصوص العربية في الترجمة. غير أنّ هذا الشعور قد يكون له ما يُبرّره في حالة الكتاب الحالي. لأن السَّخاوي يقف في نهاية تطوّر طويل جداً، ويجمع المُؤثّرات الثقافية واللُّغوية لعِدّة حِقَب مُختلفة. وهو كثيراً ما يَذْكر مُقتطفات ويُشير إلى أُمور مألوفة جداً عند زُملائه وطُلّابه، ممّا يُمكِّنه من حَصْر نفسه في إشارات مُقتضبة. فالفَهْم الصحيح للنَّصّ يتطلّب أحياناً معرفة الكثير من أسباب الخُصومات والتَّحاسد بين عُلماء ذلك العصر، وهو عمل عقيم.

ثم إنّ لُغة المُؤلّف فنّية جداً، والتعابير الفنّية التي يستعملها هي لعُلوم

(7) **الإعلان**، ص136 سطر 4 ـ ص144، سطر 8.

(8) لقد فكّرت مرّة أن أَنْقُل مثل هذه المادّة من نصّ الترجمة وأضعها في الهوامش. ومثل هذا العمل قد يزيد التشويش الموجود، لذلك لم آخذ به.

(9) **الإعلان**، ص153 فما بعد انظر أدناه: ص596، هامش 413.

خاصة بالإسلام. وحتى في الحالات التي فيها سبيل واضح لترجمة أحد هذه التعابير إلى المُصطلحات الإنكليزية، فإن هذا المصطلح الإنكليزي يبقى مُفتقداً للعُنصر المُهمّ الذي يجعله مُصطلحاً فنّياً.

وفي مثل هذه الأوضاع، أخذ عُلماء اليونانية واللاتينية يميلون ميلاً مُتزايداً للاحتفاظ بكلماتهم «التي لا يُمكن ترجمتها» بأصلها الإغريقي. غير أنّ هذه الطريقة غير مرغوب فيها ولا عملية، وخاصة فيما يتعلّق بالعربية، غير أنه لا يُمكن تجنُّبها تماماً.

ويُمكن أخذ كلمة «تأريخ» مثلاً على ما ذكرنا(10). فإن كلمة «تأريخ» تُرجمت في كثير من الحالات المُمكنة، وفي بعض الحالات المشكوك فيها إلى «history»، غير أنها في بعض المواضيع ينبغي ترجمتها إلى «era, data, chronology» ممّا كان يحملنا إلى إبقاء الكلمة العربية بين قوسين. ثم إنّ هُناك كلمات عربية أُخرى ككلمة «خَبَر» مثلاً يُمكن ترجمتها أحياناً إلى «history»، ولتجنُّب الخَلْط بين «تأريخ» و«خَبَر»، فإننا كثيراً ما نُترجم «خَبَر» إلى «historical information» ولا نُترجمها «history» إلا في حالات نادرة جداً، وكنّا في كلتا الحالتين نضع الكلمة العربية بين قَوْسين.

وتكثُر في هذا النَّص أمثال هذه الصُّعوبات. بل حتى الكلمات التي تبدو سهلة جداً مثل «آثار» فيها صُعوبات غير قليلة، نظراً للظِّلال المُنوّعة الكثيرة للمعنى الذي تحمله هذه الكلمة، ومن المُستحيل أن نستعمل كلمة إنكليزية واحدة لترجمة هذه الكلمة. غير أننا في هذه الحالة لسنا سيِّئي الحظ بدرجة ما لو كنّا مثلاً نُترجم نصّاً فلسفياً. ومع هذا، فقد حاولنا ترجمة الاصطلاح العربي باصطلاح إنكليزي واحد، أو بأقلّ ما يُمكن من الاصطلاحات.

ثم إنّ كثرة مُقتبسات السَّخاوي من الكُتُب الأُخرى تُكوِّن مُشكلة أُخرى. فقد وُجدت هذه المُقتبسات في أزْمنة مُختلفة جداً، وهي مأخوذة من مُؤلِّفين عَالجوا مُشكلة التأريخ في زوايا مُختلفة. وهذه صُعوبة واحدة، وهُناك صُعوبة

(10) انظر أيضاً: بحث «تاريخ» و«خَبَر» في القسم الأول، ص32 فما بعد.

أُخرى، إذ مع أنّ السَّخاوي كان من حيث العُموم مضبوطاً في اقتباسه غير أنّ السبيل الذي رَفع فيه المُقتطفات من سِياقها، أدّت إلى إبقاء الضمائر، وفصلها عمّا تعود إليه، وبدل النّص المُقْتَبَس من كلام مُباشر إلى كلام غير مُباشر أو بالعكس أدّى إلى التشويش. يُضاف إلى ذلك أنّ السَّخاوي كثيراً ما يترك عادة المُؤلّفين العرب في الاقتباس من مصادرهم كما جاءتهم، بل إنه بدلاً من ذلك أعَاد تنظيم نصّ مصادره بالشكل الذي رآه مُلائماً، كما فَعَل مثلاً في مُقتطفاته من المسعودي والقاضي عِياض والكافِيَجي[11]. لذلك، فكثيراً ما لا يضمن الفهم الصحيح للنّص إلا بمُقارنته بالنّص الأصلي.

لذلك قُمنا، حيثما أَمْكَن، بمُقارنة المُقتطفات بالنُّصوص الأصلية. وقد قَدَّم السَّخاوي في بعض الأحيان تفاصيل عن المُؤلّفات التأريخية، غير أنّ مُلاحظاته في هذه الحالة أيضاً تَفْتَرِض معرفة بالمُؤلّفات موضوعة البحث.

وأَصْعب واجب يُواجه المُترجم، هو النَّقل الدقيق لخصائص الأُسلوب في كُلّ فقرة. فرُبّما كان أبسط النثر الإنكليزي يُلائم أشد الأساليب العربية تصنّعاً، غير أنّ العكس هو الأكثر شُيوعاً، فلُغة التخاطب العربية قد تبدو في الترجمة مُزوّقة، كثيرة التصنّع، ومن المُؤكّد أنّ الترجمة الحالية لم تُغالِ كثيراً في تجنُّب أمثال هذه الترجمات المَغْلوطة في الأُسلوب. ولم تجرِ إلا مُحاولات قليلة لحلّ هذه المُشكلة حلّاً عادلاً، وقد حُذفت من هذه الترجمة صِيَغ الدعوات والصلوات، المألوفة التي اتّبعها السَّخاوي بانتظام تام، تَبَعاً للتقاليد الدِّينية، فاستعملنا كلمة «ابن حَجَر» مكان «أُستاذنا». ومن الصَّعب أن نُقرّر أحياناً فيما إذا كانت «الكاتب» أو «القاضي» أو «الخازن»... إلخ. هي جُزء من الاسم أو أنها إشارة إلى مِهنة الشخص. وقد ترجمتُ بعض التعابير مثل «القاضي» «الحافظ» «المُحدِّث» إلخ. لأنه يبدُو من المُفيد أن نُبقي أقلّ ما نستطيع من الكلمات العربية، وكثيراً ما كانت هذه التَّرجمات سَمِجة، لذلك فإنه في حالة هذه الألقاب التي يقلُّ تكرّرها، رأينا من الأفضل اعتبارها جُزءاً من الاسم، وأن نتركها على حالها دون ترجمتها.

---

(11) **الإعلان**، ص36 فما بعد، 100، 145.

لقد كان من المُزعج أن نترك عناوين الكُتُب غير مُترجمة، لكن لم يكن مَنَاص من ذلك، وكثيراً ما تُرجمت بعض الجُمل مثل «كتاب يشفي العليل ويُزيل الحُزن» تَبَعاً لمعناها.

وهُناك تَعَابير مثل «كتاب مُرضٍ تماماً»[12]، وقد يحار من لا يعرف العربية بمعنى الترجمة الحَرْفية لتعبير مثل «وقاها الله منه»، وأعتقد أنّ المُختصين بالعربية لن يعترضوا على ترجمة هذا التعبير على هذه الصورة «heaven forbid what an idea»[13] غير أننا اختَرنا طبعاً الترجمة الحَرْفية حيثما بدا المعنى واضحاً في ذلك، أو إذا كانت جُملة مُلائمة تأخذ مكاناً أوسع ممّا تستحقّ. أما المُترادفات، فقد استُعمل لها أحياناً تعبير إنكليزي واحد. وكثيراً ما كنّا نُضيف بعض الكلمات كيما نُوضح المعنى المقصود، وقد أدخلنا مثل هذه الإضافات بين قوسين. غير أننا حاولنا بقدر الإمكان الاقتصاد في استعمالها.

لقد نُشر النّص العربي في دمشق 1349هـ/ 1930-31م، وهذه الطبعة رديئة جداً، وقد ذَكَر الناشر أنه أخذ نصَّه من مخطوطتين في مجموعة أحمد تيمور باشا، وقد ضُمَّت هذه المجموعة إلى دار الكُتُب المصرية في القاهرة. وأرقامها اليوم في فِهْرِس دار الكُتُب هي: تيمور: تاريخ 704 و2047، وهذه الأخيرة مكتوبة سَنَة 1115هـ/ 1703م، وقد نَقَلت منها نُسخة مُصوّرة برقم القاهرة: تاريخ 2346، وقد ذُكر على هامش ص92 من النّص العربي، مُلاحظة لا تُوجد في النُّسخ كافة، يَذكر الناشر أنّ محمد راغب الطبّاخ قارن النُّسخة المطبوعة بمخطوطة الأحمدية في حلب، ولَاحَظ أنّ تلك المخطوطة فيها بعض الفَجْوات هي الموجودة نفسها في مخطوطات القاهرة.

لا يَذكر الناشر اختلاف القِراءات، وقد قارنتُ بعض ما في المطبوعات مع المخطوطة المصوّرة في دار الكُتُب، فَظَهر من المُقارنة تَطابق تامّ بين النّص المطبوع والمخطوطة. غير أنّ بعض الجُمَل مثل «المُلاحظة الإضافية» في نهاية

(12) **إعلان**، ص5.

(13) **إعلان**، ص64.

الإعلان لا تُوجد في المخطوطة. ويبدو أنها كانت في مخطوطة القاهرة: تيمور. تاريخ 704 التي لم أرجع إليها.

وقد حاولتُ أن أرى المخطوطة التي نقلت منها مخطوطة القاهرة: تيمور. تاريخ 704 والتي كُتبت سَنَة 900هـ/ 1495م. وتذكر مُلاحظة على هامش آخر مطبوعة **الإعلان** أنّ المخطوطة محفوظة في مكتبة الرُّواق التركي في الأزهر، وبالرَّغْم من الجُهد اللطيف لأصدقائي المصريين فإني لم أتمكّن من الوصول إلى المخطوطة عندما كنتُ في القاهرة.

أما مخطوطة ليدن من **الإعلان** (رقم 746 من الفهرس المطبوع رقم Ms. or. Warner 677)، فقد كتبها رجل اسمه عليّ بن إبراهيم اليماني الحنفي. وقد بَقِيت الجُمَل التي تُشير إلى أنّ السَّخاوي كان لا يزال حيّاً عندما كُتبت المخطوطة. غير أنّ المخطوطة تُعطي انطباعاً أنها ترجع إلى (أوائل) القرن الحادي عشر ـ السابع عشر.

ولا يُظهر نصُّها اختلافاً حقيقياً عن النّص المطبوع، إلا في بعض الأغلاط وكثرة المحذوفات.

أما الحالات القليلة التي تَظْهر فيها مخطوطة ليدن أنّ قِراءتها أحسن، فهي عادة في المواضع التي حَدَث فيها خطأ مطبعي في المطبوعة.

وإن كثيراً من المحذُوفات، بما في ذلك «المُلاحظة الإضافية» في آخر الكتاب، هي ليست أخطاء ميكانيكية... وعلى أيّ حال، لا يُفضّل مناقشة المُعضلات التي تبرز من وجود هذه المحذوفات أو الإضافات قبل أن تتوافر مادّة المخطوطة كلها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال شيخنا الشيخ الإمام العلّامة، شيخ الإسلام، حامل لواء سُنّة الأنام، خاتمة الحُفّاظ[1] والمُحدِّثين، قامع المُفسدين والمُبتدعين، أبو الخير محمد شمس الدِّين بن الشيخ المُفَسِّر[2] المُقْرِىء زين الدِّين عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السَّخاوي القاهري الشافعي، نفعنا الله والمُسلمين بعلومه، وأفاض علينا من بركاته، آمين.

الحمد لله مُصَرِّف الأيام والليالي، ومُعرِّف العباد كثيراً ممّا سلف في الأزمان الماضية والدُّهور الخَوالي، ومُشرِّف هذه الأمة في سائر الأشهر والأعوام بالضَّبط التام المُتوالي، ومُعلِّم من شاء من العلم العقلي والنقلي ما هو أنفس من الجواهر واللآلي، ومُفهم الألبّاء في التعريف بالإنسان والزمان، الطريق المُسند المُدرج في العَوالي بالعبارة الرائقة، والإشارة الفائقة المُنعشة للرِّمَم البَوالي، والصلاة والسلام على أشرف الخلق المُنزل عليه ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120] يعني الخالص للمُجانِب والمُوالي صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم من السادات والمَوَالي.

وبعد، فلمّا كان الاشتغال بفنّ التاريخ للعُلماء من أجلّ القُربات، بل من العُلوم الواجبات المُتنوّعة للأحكام الخمسة بين أُولي الإصابات، ولكن لم أرَ في فضائله مُؤلَّفاً يشفي الغليل، ويُزيل الكُربات، بحيث تطرّق للتنقيص له ولأهله بعض أُولي البليّات، ممّن هو مُمْتَحَن بالجليّات فضلاً عن الخفيّات، فأردت

(1) لقد فصَّل السَّخاوي المقصود بكلمة «حافظ» في ترجمته لابن حَجَر في كتاب **الجواهر والدُّرر** (مخطوطة باريس).
ar. 2105 fal 8b - 13a.

(2) مخطوطة ليدن غير واضحة.

إتحاف العارفين السادات وكذا التائقين للأُمور المفادات، بما لا غناء عنه في هذا الشأن من المُهمّات، وإنّ أظهر ما فيه من الفوائد المأثورات، وأشهر كونه من الأُصول المُعتبرات، فأبدأ بتعريفه: (1) لغة، و(2) اصطلاحاً، و(3) موضوعه، و(4) فوائده المُعبَّر عنها بالثَّمرات، و(5) غايته، و(6) حكمه من الوجوب أو الاستحباب أو الإباحات، و(7) ما استُنبط في الأدّلة له من الكتاب والسُّنّة وغيرهما بالطُّرُق الواضحات، و(8) تقبيح من ذمَّه ممّن قصَّر في الطاعات، و(9) ماذا على المُعتني به من الشُّروط المُقرّرات، و(10) أول من أمر به وابتداء وقته شهراً وهجرة بتكرّر الساعات والأوقات، ثُمّ (11) ما علمته فيه من المُصَنَّفات على اختلاف المقاصد في الأشخاص والجِهات وغير ذلك من الفنون المتنوّعات، ثُمّ (12) من صنّف فيه، وكذا (13) أئمة الجَرْح والتعديل مع عدم استيعابها. وإن كُنّا أَطَلْنا البحث عن ذلك والتفحُّصات، فهذه عشرة فأَزْيَد سُدَّ بها الباب المُتطرّق به للظُّلُمات، وسمّيتُه **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التوريخ**، واللّهَ أسأل أن يحمينا جَهْلَ الجُهّال، ويكفينا سائر المُهمّات بالمغفرة في الماضي والحال والاستقبال، بمنّه وكرمه.

1 ـ تعريف التاريخ لغة

فالأول، فالتاريخ في اللغة الإعلام بالوقت. يُقال أرَّخت الكتاب وورَّخته، أي بيَّنت وقت كتابته.

قال الجوهري: التاريخ تعريف الوقت، والتّوريخ مثله: يُقال أرَّخت وورَّخت، وقيل اشتقاقه من الإِرْخ يعني بفتح الهمزة وكسرها، وهو صغار الأُنثى من بقر الوحش، لأنه شيء حدث كما يحدث الولد، انتهى[3].

---

(3) إسماعيل بن حمّاد الجوهري (توفي في نهاية القرن الرابع الهجري أي أوائل القرن الحادي عشر الميلادي) (انظر: بروكلمان، ج1، ص128 فما بعد) **الصّحاح**، ج1، ص200 (بولاق 1282هـ). انظر أيضاً موهوب بن أحمد الجواليقي (ت 359هـ/ 1144م، انظر بروكلمان: ج1، ص280): **المترجم**، ص39 فما بعد طبعة سخاو (لايبزيغ 1867م)، **لسان العرب**، ج3، ص481 (بولاق 1300-7هـ).

وقد فَرَّق الأصمعي بين اللُّغتين فقال: «بنو تميم يقولون وَرَّخت الكتاب توريخاً، وقَيْس تقول أَرَّخته تأريخاً[4]».

وهذا يُؤيّد كونه عربياً. وقيل إنه ليس بعربي مَحْض، بل هو مُعرَّب مأخوذ من ماه روز بالفارسية، ماه القمر وروز اليوم، وكان الليل والنهار طرفه.

قال أبو منصور الجَوَاليقي في كتابه **المُعَرَّب من الكلام الأعجمي**: «يُقال: إنّ التاريخ الذي يُؤرّخه الناس ليس بعربي مَحْض، وإنما أخذه المُسلمون عن أهل الكتاب. وتاريخ المُسلمين أُرّخ من سَنَة الهجرة كتب في خلافة عُمَر رضي الله عنه فصار تاريخاً إلى اليوم» انتهى[5].

قال أبو الفرج قُدامة بن جعفر الكاتب في كتاب **الخَراج** له: «تاريخ كُلّ شيء آخره، فيُؤرّخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة»[6].

ونحوه قول الصُّولي: «تاريخ كُلّ شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه، ومنه قيل لفُلان تاريخ قومه، إما لكون إليه المُنتهى في شرف قومه[7]، كما قاله

---

(4) عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي (ت 215هـ/ 830-1م أو 216هـ أو 217هـ). (انظر: بروكلمان، ج1، ص104 فما بعد). أما عن تمييز اللهجات، فانظر أيضاً الصُّولي: **أدب الكُتّاب**، ص180 (القاهرة 1341هـ).

(5) **المُعرَّب**. المذكور أعلاه.

(6) عاش قُدامة حوالى سَنَة 900م (انظر بروكلمان: ج1، ص228. ياقوت **إرشاد**، ج17، ص12 فما بعد طبعة القاهرة، ج6، ص203-5، طبعة مارغليوت): لم أَسْتطع أن أجد هذا المُقتطف من الأجزاء المطبوعة من كتاب **الخَراج** أو مخطوطة باريس ar. 5907 ومع هذا فانظر: **تاريخ دمشق**، ج1، ص18 (دمشق 1329هـ فما بعد) حيث يذكر إنّ هذا النص مأخوذ من **تاريخ** قُدامة، ولعلّ هذا التاريخ هو **زهر الربيع** الذي يقول المسعودي: إنه من كتب قُدامة (انظر الإعلان، ص156)، ياقوت: **إرشاد**، ج7، ص13، طبعة القاهرة، ج6، ص204 (طبعة مارغليوت) لكنه غير مذكور في **الفِهْرِست**، ص188 (طبعة القاهرة، ص130، طبعة فلوجل).

وقد نقل عن الجوهري وقُدامة، ابن الدَّواداري في **كَنْز الدُّرر** (مُصوّر القاهرة، تاريخ 2578، ج1، ص81 فما بعد)، كما نُقل عن قدامة فقط عبدالله بن الفضل اللخمي في **واسطة الأدب**، مخطوطة باريس، رقم ar. 6493 fal. 14b.

(7) محمد بن يحيى الصُّولي (ت 335-336هـ/ 946-947م انظر: بروكلمان، ج1، ص143). **أدب الكُتّاب**، ص178 (القاهرة 1341هـ).

المُطَرِّزي[8]، وذلك بالنَّظر لإضافة الأُمور الجليلة من كَرَم أو فَخْر أو نحوهما إليه. وإما لكونه ذاكراً للأخبار وما شاكلها. وممّن يُلقّب بذلك أبو البركات محمد بن سعد بن سعيد البغدادي العَسّال المُقْرىء الحَنْبلي المتوفَّى في سَنَة تسع وخمسمائة[9] (1116م).

2 ـ تعريف التاريخ اصطلاحاً

وفي الاصطلاح؛ التعريف بالوقت الذي تُضبط به الأحوال من مَوْلد الرُّواة والأئمة وَوَفاة وصحّة وعقل وبَدَن ورحلة وحَجّ وحفظ وضَبْط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا ممّا مرجعه الفَحْص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتَّفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظُهور مُلِمّة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغَزْوة، ومَلْحمة، وحرب، وفتح بلد، وانتزاعه من مُتغلِّب عليه، وانتقال دولة، ورُبّما يُتوسَّع فيه لبَدْء الخلق وقِصص الأنبياء، وغير ذلك من أُمور الأُمم الماضية، وأحوال القيامة ومُقدّماتها ممّا سيأتي، أو دونها كبناء جامع، أو مدرسة، أو قَنْطرة، أو رصيف، أو نحوها، ممّا يعمّ الانتفاع به ممّا هو شائع مُشاهَد، أو خفيّ سماوي، كجراد وكُسُوف وخُسُوف، أو أرضي كزَلْزلة وحريق وسيل وطُوفان وقَحْط وطاعون ومَوَتان وغيرها من الآيات العِظام والعجائب الْجِسام.

والحاصل أنه فنّ يُبحث فيه عن وقائع الزمان من حَيْثية التعيين والتوقيت، بل عمّا كان في العالم.

---

(8) ناصر بن عبد السيد، تُوفّي سَنَة 601هـ/ 1204م (بروكلمان، ج1، ص293 فما بعد) **المُغرب**، ج1، ص13 (حيدرآباد، 1328هـ) حيث ينقل عن الصُّولي.

(9) انظر: ابن العماد. **شذرات**، ج4، ص26 (القاهرة 1350-1هـ) يحيى بن عليّ بن عبد اللطيف المصري، وكان يُدعى «**تاريخ**» سوريا. انظر السِّلَفي: **المعجم**، مُصوّر القاهرة، تاريخ 3942، 468. أما صدقة بن منصور، فكان **تاريخ** العرب الأشراف (ت 501هـ/ 1108م). انظر ابن الجَوزي، **المُنتظَم**، ج9، ص159، ابن أبي الدّم، **مُختصر التاريخ**، مخطوطة البودليان Ms. or. Marsh 60. انظر أيضاً: **تاريخ بغداد**، ج4، ص150.

3 ـ موضوع التاريخ

وأما موضوعه فالإنسان والزمان، ومَسائلُهُ أحوالُهما المُفَصّلة للجُزْئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان.

4 ـ فائدة التاريخ

وأما فائدته فمعرفة الأُمور على وَجْهها، ومن أَجَلِّ فوائده أنه أحد الطُّرُق التي يُعلم بها النَّسْخ في أحد الخبرَيْن المُتعارضَيْن المُتعذِّر الجمع بينهما، إما بالإضافة لوقت مُتأخِّر «كرأيته قبل أن يموت بعام أو نحوه»، أو عن صحابيّ مُتأخِّر، وقد يكون بتصريح الرَّاوي كقوله: «كان آخر الأمرَيْن من النبيِّ ﷺ ترك الوضوء ممّا مسَّت النار»[10].

وقول عائشة: «إنه ﷺ كان قبل فتح مكة إذا لم يُنْزِل لم يغتسل ثم اغتسل بعد وأمر به إلى غيرها»[11].

وكون المَرْويّ من طريق بعض المُختلطين من قديم حديثه أو ضدّه، وكون الرَّاوي لم يلقَ من حدّث عنه، إما لكونه كذّب أو أَرْسَل، وذلك ينشأ عن معرفة ما في السَّنَد من انقطاع، أو عَضْل، أو تدليس، أو إرسال ظاهر أو خفي، للوقوف به على أنّ الرَّاوي مثلاً لم يُعاصر من روى عنه، أو عاصره، ولكنه لم يلقَه لكونهما من بلدين مُختلفين، ولم يدخل أحدهما بلد الآخر ولا التقيا في حجّ ونحوه مع كونه ليست له منه إجازة[12] أو نحوها.

---

(10) انظر:
A.J. Wensinck. *A Handbook of Early Mohammadan Tradition* 260 (Leiden 1927).
(وقد ترجم هذا الكتاب محمد فؤاد عبد الباقي بعنوان **مفتاح كنوز السُّنّة**، القاهرة، تاريخ بغداد، ج4، ص14. ابن الصلاح: **المقدّمة**، الفصل 34، ص239. طبعة محمد راغب الطبّاخ، حلب، 1350هـ/ 1931م).

(11) لم يذكر هذا الحديث النبويّ في مُسند عائشة الذي أورده ابن حَنْبل. انظر أيضاً: المراجع التي ذكرها فنسينك. المصدر الآنف الذكر، ص86أ؛ ابن حَنْبل. **المُسْنَد**، ج5، ص115 فما بعد (القاهرة 1313هـ).

(12) لم يَعُد الاتّصال الشخصي ضرورياً للحصول على الإجازة.

ولما استشكل بعض الحُفّاظ رِواية يونس بن محمد المُؤدّب[13] عن اللَّيْث[14] لاختلاف بلديهما وتَوهّم انقطاعاً بينهما، قال المِزّي: «لعلّه لقيه في الحَجّ»، ثم قال: «بل في بغداد حين دخول اللَّيْث لها في الرسلية»[15].

ومن الغريب ذِكْر الخطيب عبد الملك بن حبيب في الرُّواة عن مالك، مع كونه لم يَرحل إلا بعد موته بنحو من ثلاثين سَنَة، بل إنما وُلد بعده[16].

وكذا خَلَط ابن النجّار ترجمة محمد بن الجَهْم السُّوسي بمحمد بن الجَهْم السامي، وأسند عنه قِصّة سمعها من المُهتدي بالله بن الواثق أنه حضر عند أبيه وهو خليفة: قال شيخنا (ابن حَجَر) «وهذه غفلة عظيمة، فإن سماع السامي لهذه القِصّة كان بعد وفاة السوسي بنحو عشرين سَنَة»[17].

وَوَقع لابن السمعاني في القَدّاحي من أنسابه، أنّ عبدالله بن ميمون القَدّاح ادعّى بعد موت إسماعيل بن جعفر الصادق أنه ابنه، فردّ عليه ابن الأثير بأن

---

(13) تُوفّي سَنَة 208هـ/ 823م (**تاريخ بغداد**، ج4، ص350 فما بعد).

(14) اللَّيْث بن سعد المصري، تُوفّي سَنَة 175هـ/ 791م (**تاريخ بغداد**، ج13، ص3 فما بعد) وهو يذكر في السطر الثالث من هذه الصحيفة أنّ يونس هو أحد تلاميذ اللَّيْث عندما كان هذا في بغداد.

(15) يوسف بن عبد الرحمن المِزّي تُوفّي سَنَة 742هـ/ 1341م (انظر بروكلمان: ج2، ص64) ولم أستطع تدقيق كتابه **تهذيب الكمال** الذي كان مصدر هذا النصّ.

(16) عبد الملك بن حبيب، تُوفّي سَنَة 238هـ/ 853م أو سَنَة 239هـ. (انظر بروكلمان: ج1، ص149 فما بعد)، أما مالك بن أَنَس، فتُوفّي سَنَة 179هـ/ 795م (انظر بروكلمان: ج1، ص175 فما بعد). أما الخطيب البغدادي فهو أبو بكر أحمد بن عليّ، وُلد سَنَة 392هـ/ 1002م، وتُوفّي سَنَة 463هـ/ 1071م (انظر بروكلمان: ج1، ص329) ولم أستطع ضبط مكان هذا النصّ من كُتُبه.

(17) انظر: أحمد بن عليّ بن حَجَر (773-852هـ/ 1372-1449م). (انظر بروكلمان: ج2، ص67-70) **لسان** ج5، ص109 فما بعد. أما محمد بن الجَهْم الأول، فهو مشهور باسم «البَرْمكي». وأما الأخير، فهو أخو الشاعر عليّ بن الجَهْم، محمد بن محمود النجار (ت 643هـ/ 1245م). انظر بروكلمان: (ج 1، ص360) ورُبّما كان **ذيل تاريخ بغداد** هو مصدر ابن حَجَر.

إسماعيل مات في حياة والده جعفر الصادق، فكيف يُمكن القَدّاح ادّعاء بُنوَّته مع وجود والده[18]؟!

ولما خطّأ المِزّي نقل الحافظ عبد الغني في **الكَمال** أنّ جابر بن نُوح الحَمّاني مات سَنَة ثلاث ومائتين (818-9م)[19] وقال: بل سَنَة ثلاث وثمانين سَنَة (799-800م) ردّه شيخنا وقال: إنه من أعجب ما وقع للمِزّي في كتابه من الخطإ، وأيّده بقول الزُّهْري[20] عن أحمد بن حَنْبَل[21] أحد من رَوَى عن الحَمّاني أنه لم يرحل إلا بعد سَنَة ست وثمانين (705م) وكذلك من الرِّواية عنه أحمد بن بُدَيْل القاضي[22] ومحمد بن طَرِيف البَجَلي[23]، وهُما لم يسمعا إلا بعد التسعين[24]. وبهذا كُلّه يترجَّح قول صاحب **الكمال**.

---

(18) عبد الكريم بن محمد السَّمْعاني (ت 562هـ/ 1167م) انظر بروكلمان: (ج1، ص329 فما بعد) أنساب، ص449أ. أما ابن الأثير فهو مُؤلّف **الكامل**، واسمه عليّ بن محمد (ت 630هـ/ 1233م). انظر بروكلمان: (ج 1، ص345 فما بعد) لكنّي لم أستطع معرفة مكان المُقتطف.

(19) عبد الغني بن عبد الواحد الجَمّاعيلي المَقْدِسي (ت 600هـ/ 1203م. انظر بروكلمان: ج1، ص336) **كَمال**، مخطوطة القاهرة، مُصطلح الحديث رقم 55، ص28أ - ب، انظر أيضاً: **تاريخ بغداد**، ج7، ص237 فما بعد، حيث يذكر أنّ جابراً تُوفّي سَنَة 203هـ، وقد أخذ عبد الغني تاريخ وفاة جابر من مُطَيَّن. أما مصدر **تاريخ بغداد**، فهو محمد بن عبدالله الحضرمي. ومن الغريب أنّ هذا الحضرمي هو نفسه مصدر المِزّي. في ذكر تاريخ أقدم لوفاة جابر، انظر: **تهذيب الكمال**، مخطوطة القاهرة، مصطلح الحديث، رقم 25 تحت جابر بن نوح.

(20) هذا نصّ مخطوطة ليدن، ولا أعلم أيّ زُهْري مقصود هنا، ولعلّ الاسم غير صحيح.

(21) أحمد بن محمد بن حنبل (164-241هـ/ 780-855م) (انظر بروكلمان: ج1، ص3-181) ومن الطبيعي أنه كان بإمكان ابن حَنْبَل الدراسة مع جابر في بغداد في زمن مُبكِّر، كما يُقال إنه تَتَلْمذ على إبراهيم بن سعد الزُهْري الذي توفي بين سَنَة 183-185هـ، انظر: (**تاريخ بغداد**، ج6، ص6-81).

(22) تُوفّي سَنَة 258هـ/ 871-2م (ابن حَجَر، **التهذيب**، ج1، ص17 فما بعد).

(23) تُوفّي حوالى سَنَة 240هـ/ 854-5م (ابن حَجَر، **التهذيب**، ج9، ص235).

(24) كُلّ هذه الانتقادات موجودة معاً في هامش كُتُبه ناسخ مخطوطة القاهرة للمِزّي (ص207، هامش 4) الذي عاش في دمشق سَنَة 741هـ/ 1341م.

وقد أَرَّخَ جماعة وفاة مُجَمِّع بن يعقوب بن مُجَمِّع بن يزيد بن جارية الأنصاري[25] سَنَة ستين ومائة (776-7م)، فتوقّف الذّهبي في ذلك، لأن قُتَيْبة[26] مِمَن رَوَى عنه، ورحلته إنما كانت بعد السبعين ومائة، ولكن يحتاج إلى تحرير رِواية قُتَيبة عنه[27].

قال سفيان الثوري[28]: «لمّا استَعْمَل الرُّواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ».

وعن حَسّان بن زيد[29] قال: «لم يُسْتَعَنْ على الكذّابين بمثل التاريخ، يُقال للشيخ سَنَة كم وُلدت؟ فإذا أقرَّ بمولده مع معرفتنا بوفاة الذي انتمى إليه، عرفنا صدقه من كذبه».

وعن حَفْص بن غِيَاث القاضي[30] قال: «إذا اتّهمتم الشيخ فحاسبوه

---

(25) لقد ذكر البخاري في كتاب **التاريخ الكبير**، ج4، قسم 1، ص408-410 هذا الرجل كما ذكر جدّه.

(26) قتيبة بن سعيد، تُوفّي سَنَة 240هـ/ 855م أو سَنَة 241هـ (ابن حجر: **تهذيب**، ج8، ص358-361).

(27) محمد بن أحمد الذّهبي (673-748هـ/ 1274-1348م). انظر بروكلمان: ج2، ص46-48؛ وابن حَجَر: **التهذيب**، ج1، ص49.

(28) سُفْيان بن سعيد الثوري، تُوفّي سَنَة 116 أو 162هـ/ 779م (**تاريخ بغداد**، ج9، ص151 فما بعد).
إنّ النصّ المذكور أعلاه والنُّصوص الثلاثة التي تتلوه مذكورة في **محاسن الوسائل** للشِّبْلي، مصورة القاهرة، تاريخ 5557، ص95ب. كما أنها كلها، ما عدا النصّ المنسوب للحسن بن زيد مذكورة في **مقدّمة** ابن الصلاح، الفصل 60. وقد نقل نصّ سفيان أيضاً الخطيب البغدادي في **الكفاية**، ص119 (حيدرآباد 1357هـ). أما **مختصر تاريخ الإسلام** للذّهبي، الذي عمله ابن الجَزَري، فهو كتاب أنجزه المُؤلّف في رجب 798هـ ـ نيسان/ أبريل 1396م مخطوطة الإسكندرية. تاريخ 2072، ص3.

(29) انظر **تاريخ بغداد** ج7، ص357. ويقول الشِّبْلي في المصدر السابق الذكر إنّ ابن عساكر يرى أن يكون الاسم حَمّاد بن زيد لا كما تذكر مخطوطة **تاريخ بغداد** التي استعملها. انظر أيضاً السُّيُوطي، التاريخ ص8، طبع Seybold (ليدن 1894م) الكفاية ص199 فما بعد.

(30) تُوفّي سَنَة 195 أو 196هـ/ 810-11م، **تاريخ بغداد**، ج8، ص188 فما بعد.

بالسِّنَّيْن» بفتح النون المُشدّدة تثنية سنّ وهو العُمْر، يريد احسبوا سنّه وسنّ من كتب عنه.

وسأل إسماعيل بن عَيّاش[31] رجلاً اختياراً[32] (؟) أيّ سَنَة كتبت عن خالد بن مَعْدان، فقال سَنَة ثلاث عشرة وماية (731-2م)، فقال: أنت تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين.

وروى سُهَيْل بن ذَكْوَان أبو السِّندي عن عائشة وزعم أنه لقيها بواسط، وهكذا يكون الكذب. فموت عائشة كان قبل أن يخطّ الحَجّاج مدينة واسط بدهر[33].

ومنه قول ابن المُنادي[34] إنّ الأَعْمَش[35] أخذ بِركاب أبي بَكْرَة الثقفي[36]. قال شيخنا: غَلَط فاحش، لأن الأعْمَش وُلد إما في سَنَة إحدى وستين (680-1م) أو تسع وخمسين (678م)، وأبو بكرة مات سَنَة إحدى أو

(31) تُوفّي سَنَة 182هـ/ 798-9م (**تاريخ بغداد**، ج6، ص221 فما بعد).

(32) إن كلمة «اختياراً» تحلّ هنا محلّ المقدّمة التي تُطابق هذا القول في المصادر الأُخرى. وتذكر النُّسخة المطبوعة من **الإعلان** ص171 أنّ أحمد تيمور اِرتأى أنّ «اختيار» هي كلمة تُقابل شيخ «... سأل شيخناً». غير أنّ هذا غير مقبول، إذ يبدو أنّ معناها «لكي يجد» ولا يُمكن أن تكون «اختباراً». انظر أيضاً: الصَّفَدي: الوافي، ج1، ص45، طبعة ريتر، السُّيُوطي: **نَظْم العِقْيان**، ص6، طبعة فيليب حتّي (نيويورك 1927م).

(33) ابن حجر، **لسان**، ج3، ص124 فما بعد. ولعلّ هذا كان المصدر الأول للسَّخاوي، تُوفّيت عائشة سَنَة 58هـ/ 678م، أما واسط فإن الحَجّاج بن يوسف الذي تُوفّي سَنَة 95هـ/ 714م، أنشأها بين سَنَة 83-86هـ/ 702-5م، وقد ذكر سُهَيْل بدون تاريخ في البُخاري، **التاريخ** ج3، قسم 2، ص105.

(34) الظاهر أنه أحمد بن جعفر المُتوفَّى سَنَة 336هـ/ 947م، **تاريخ بغداد** ج4، ص69 فما بعد. وقد نقل من **كتاب الحُفّاظ** الذي ألفه ابن العَديم في **بُغية الطلب**، مصوّر القاهرة، تاريخ 1566، ص179 و428. أما كتابه **أفواج القُرّاء**، فقد نقل عنه **تاريخ بغداد**، ج5، ص41، **والأنساب** للسَّمْعاني، ص351أ. أما كتابه **الملاحم**، فقد نقل عنه **تاريخ بغداد** ج10، ص107.

(35) سُليمان بن مِهْران المُتوفَّى سَنَة 147 أو 148هـ/ 764-5م (**تاريخ بغداد**، ج9، ص3 فما بعد).

(36) نُفَيْع بن الحارث (النَّووي) ص677 فما بعد، طبعة وستنفلد.

اثنتين وخمسين (671-2م). فكيف يتهيّأ أن يأخذ بِرِكاب من مات قبل مَوْلده بعشر سنين أو نحوها. قال: وكأنه كان والله أعلم أخذ بِرِكاب ابن أبي بَكْرة، فسقطت «ابن» وثبت الباقي. وتعجّب من المِزّي مع حِفْظه ونقده كيف خَفِي عليه هذا[37].

وفي مُقدّمة مُسْلِم أنّ المُعَلّى بن عرْفان[38]، قال: حَدّثنا أبو وائل[39] قال: خرج علينا ابن مسعود[40] بصِفّين، فقال أبو نُعَيْم يعني الفضل بن دُكَيْن[41] حاكِيه عن المُعَلّى «أتُراه بُعِث بعد الموت»، يعني لأن ابن مسعود توفي سَنَة اثنتين أو ثلاث وثلاثين (652-3م) قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين، وصِفّين[42] كانت في خلافة عليّ بعد ذلك بسنتين، فلا يكون ابن مسعود خرج عليهم بِصِفّين.

في أشباه لهذا كنِسبة بعض الحُفّاظ إبراهيم بن يعقوب الجُوزَجَاني، جَرِيري المذهَب، لمحمد بن جَرِير الطَّبَري[43]. فإن إبراهيم في طبقة شيوخ ابن جَرِير، حسبما يُعلم ذلك من تاريخ الوفاة والمولد، وإنما هو بالزاي المُعجمة والحاء المهملة لحَرِيز بن عثمان[44].

---

(37) انظر ابن حَجَر، **التهذيب**، ج4، ص223 و225 فما بعد.

(38) انظر البخاري: **التاريخ**، ج4 قسم 1، ص390 ابن حَجَر، **لسان**، ج6، ص64.

(39) شقيق بن سَلِمة المُتوفّى سَنَة 79هـ/ 798-9م (البُخاري، **التاريخ**، ج2، قسم 2، ص246 فما بعد). **تاريخ بغداد**، ج9، ص368 فما بعد. النَّووي، ص318، طبعة وستنفلد.

(40) عبدالله بن مسعود (ابن كثير، **البداية**، ج7، ص162 فما بعد).

(41) تُوفّي سَنَة 219هـ/ 834م (**تاريخ بغداد**، ج12، ص346 فما بعد) وقد نقل ترجمته من كتاب **الكَمال** لعبد الغني الجَمّاعيلي نقلها:
E. Sachau. «Studien Zur Altesten Geschichts - überlieferung der Araber», in *Mitteilungen des Seminars für or Sprachen Westas Studien* VII, 189 H 1904.
وقد كان أبو نُعَيْم مصدراً بارزاً للمُؤرّخين. انظر مثلاً: **تاريخ البُخاري** حيث يعتمد عليه في عدد من التواريخ.

(42) انظر: مُسْلِم بن الحجّاج (تُوفّي سَنَة 261هـ/ 875م راجع بروكلمان، ج1، ص160 فما بعد) **الصحيح**، ج1، ص152 فما بعد (بولاق 1304هـ) على هامش كتاب **الإرشاد** للقسطلاني.

(43) المُؤرّخ المشهور (عاش بين 224 أو 225-310هـ/ 839-923م) راجع بروكلمان، ج1، ص142 فما بعد.

(44) تُوفّي سَنَة 162 أو 163 أو 168هـ (778 أو 784م) **تاريخ بغداد**، ج8، ص265».

وكونه أحد الطُّرُق التي يُعلم بها الغَلط في المُتّفقين بإضافةِ ما لواحِدٍ إلى آخر حيث يكون أحدهما وُلد بعد موت الآخر، كأحمد بن نصر بن زياد الهَمَذاني المُتوفَّى سَنَة سبع عشرة وثلثمائة (929-30م) حيث يُوهم أنه أحمد بن نصر الداوُدي المتوفَّى سَنَة اثنتين وأربعمائة (1011-2م) ولذلك أمثلة كثيرة.

وطالما كان طريقاً للاطّلاع على التزوير في المكاتيب ونَحوها بأن يُعلَم أنّ الحاكم الذي نُسِب إليه الثُّبوت أو الشاهد أو غيرهما من أسبابه أو نحو ذلك مات قبل تاريخ المكتوب. ومن ثَمّ لما أظهر بعض اليهود كتاباً وادَّعى أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجِزْية عن أهل خَيْبر وفيه شهادة الصحابة رضي الله عنهم، وذكروا أنّ خط عليّ رضي الله عنه فيه، وحُمل الكتاب في سَنَة سبع وأربعين وأربعمائة (1055-6م) إلى رئيس الرُّؤساء أبي القاسم عليّ[45] وزير القائم، عَرَضه على الحافظ الحُجّة أبي بكر الخطيب، فتأمّله ثم قال: «هذا مُزوَّر». فقيل له: «من أين لك هذا»؟ قال: فيه شهادة مُعاوية وهو إنما أسلم عام الفتح، وفتح خَيْبَر كان في سَنَة سبع (628 ـ 9م)، وفيه شهادة سعد بن مُعَاذ؛ وهو قد مات يوم بني قُرَيظة قبل فتح خَيْبَر بسنتين (8هـ/ 629-30م) فاستُحسن ذلك منه، واعتمده وأمضاه، ولم يُجِز اليهود على ما في الكتاب لظهور تزويره[46].

وفي الرافعي[47] سُئل ابن سُرَيج[48] عما يدّعونه يعني يهود خَيْبَر أن عليّاً

---

(45) عليّ بن الحسن، تُوفّي سَنَة 450هـ/ 1050م (ابن الجَوزي: **المُنتَظَم**، ج8، ص200 فما بعد).

(46) إنّ القِصّة المشهورة عن تبيان الخطيب لزَيْف وثيقة خيبر يتكرّر اقتباسها. انظر الإشارات إلى ذلك في كتاب:
F. Rosenthal. *The Technique and Approach of Muslim Scholarship* 47 a (Rome 1947 *Analecta Orientalia* 24).
راجع أيضاً الشِّبْلي: المصدر المذكور سابقاً، ص208، هامش 8.

(47) قد يكون هذا مُؤلف **تاريخ قزوين** وهو عبد الكريم بن محمد المُتوفَّى سَنَة 623هـ/ 1226م (انظر بروكلمان: ج1، ص393) والنصّ من هذه النُّقطة إلى قِصّة الشِّبْلي محذوف من مخطوطة ليدن.

(48) أعتقد أنّ المقصود بـ«عليّ» هنا هو عليّ بن أبي طالب، لا عليّ الوزير. أما ابن =

كتب لهم كتاباً بإسقاطها، فقال لم يُنْقَل ذلك عن أحد من المُسلمين، انتهى.

ولما حَقَّق لهم الخطيب ما تقدّم، صَنَّف رئيس الرُّؤساء المُشار إليه في إبطاله جُزءاً، وكتب عليه الأئمة أبو الطيب الطَّبَري[49]، وأبو نصر بن الصَّبّاغِ[50]، ومحمد بن محمد البَيْضاوي[51]، ومحمد بن عليّ الدَّامَغاني[52] وغيرهم.

وأخرج المُعَافى بن زكريا النَّهْرَواني[53] في المجلس الرابع والستين من **الجليس** له، من طريق مَعْمَر بن شَبيب بن شَيْبَة أنه سمع المأمون يقول: «امتحنتُ الشافعي[54] في كلّ شيء فوجدته كاملاً، وقَد بقيت خَصْلة وهي أن أسقيه من النبيذ ما يغلب على الرجل الجيّد العقل، وأنه استُدعي به، وسقاه، فما تغيّر عقله، ولا زال عن حُجّته». وقال المُعافَى عقبها: الله أعلم بصِحّتها. قال شيخنا في «**لسانه**»: (لا يخفى على من له أدنى معرفة بالتاريخ أنها كذب، وذلك أنّ الشافعي دخل مصر على رأس المائتين، والمأمون إذ ذاك بخُراسان، ثم مات الشافعي بمصر سَنَة دخل المأمون من خُراسان إلى العراق وهي سَنَة أربع ومائتين (819-20م) فما التقيا قطّ والمأمون خليفة، وكيف يُعتقد أنّ الشافعي يفعل هذا وهو القائل: لو أنّ الماء البارد يُفسد مُروءتي ما شربت إلا ماءً حاراً)[55].

وقد يكون طريقاً للتوصّل به لما المُتأهّل يستحقّه، كما اتّفق للشيخ شمس

= سُرَيْج فلا يُمكن أن يكون أحمد بن عمر المُتوفَّى سَنَة 306هـ/ 918م (**تاريخ بغداد**، ج4، ص287 فما بعد. بروكلمان، **الملحق** ج1، ص306 فما بعد) أو ابنه عُمَر، لأنه يشكّ أن تكون هذه الفِقرة تُشير إلى تاريخ أَقْدم من قِصّة الخطيب.

(49) طاهر بن عبدالله (348-450هـ/ 959-1058م) (ابن الجَوزي: **المُنْتَظَم**، ج8، ص198).

(50) عبد السيد بن محمد (400-477هـ/ 1009-1084م) (ابن الجَوزي: **المُنْتَظَم**، ج9، ص12 فما بعد).

(51) 392-498هـ/ 1001-1076م ابن الجَوزي: **المُنْتَظَم**، ج8، ص300.

(52) 398-478هـ/ 1007-1085م ابن الجَوزي: **المُنْتَظَم**، ج9، ص22 فما بعد.

(53) تُوفّي سَنَة 390هـ/ 1000م (انظر بروكلمان، ج1، ص184) إنّ مخطوطة برنستون رقم or. 1369 = 705 H تَقف في بِداية الفصل 64 ولا تذكر القِصّة المُشار إليها.

(54) محمد بن إدريس (150-204هـ/ 767-820م) انظر: بروكلمان، ج1، ص80-178.

(55) لقد أُخذت كلّ هذه الفقرة من ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص67.

الدين بن عَمّار المالكي[56] حين استقرَّ في تدريس المالكية بالمدرسة المُسَلّمية[57] بخطّ السُّيُوريِّين من مصر، ونُوزع بأن شرط الواقف أن يكون المُدَرِّس في حدود الأربعين، فأثبت محضراً بأن سِنّه إذ ذاك خمس وأربعون سَنَة.

وكذا انتزع البَدْر بن القَطّان[58] من زين العابدين بن الشَّرَفي المُنَاوي[59] في حياة والده وبعد انفصاله عن القضاء في الأيام الأشرفية الإينالية[60] تدريس الخَرُوبية، لكون شرط الواقف في مُدرّسها أن يزيد سنّه على الأربعين، وزين العابدين لم يبلغها إذ ذاك وحينئذٍ.

فما رويناه في الجُزء الأول من فوائد الحلبي[61] من طريق أبي إسماعيل التِّرمِذي[62] قال: «سمعت البُوَيْطي[63] يقول: سُئل الشافعي رضي الله عنه كم سِنُّك أو مولدك؟ قال: ليس من المُروءة أن يُخبر الرجل بسنّه». ومن طريق أبي إسماعيل أيضاً قال: «سمعتُ عبد العزيز الأوْسي[64] يقول: قال رجل لمالك: يا أبا عبدالله كم سِنُّك؟ قال: أقبلْ على شأنك» يُحمل على ما إذا كان عبثاً لم تَدْعُ

---

(56) محمد بن عَمّار (768-844هـ/ 1367-1441م: الضَّوء، ج8، ص232-4) وقد نقل الضَّوء عن ابن حَجَر وفيها يُشير إلى شهادة تُعَيِّن ولادة ابن عَمّار سَنَة 758هـ/ 1357م غير أنّ السَّخاوي لا يُوثقها.

(57) انظر: المَقْرِيزي: الخِطط، ج2، ص401 (بولاق 1270هـ).

(58) محمد بن محمد (814-879هـ ـ أول يناير 1412-1475م) (الضَّوء، ج9، ص52-248).

(59) محمد بن يحيى بن محمد (829-873هـ/ 1426-1469م) (الضَّوء، ج11، ص173 فما بعد)، وقد تُوفي والده سَنَة 876هـ/ 1471-2م. انظر الضَّوء، ج9، ص25.

(60) حكم بين سَنَة 857-865هـ/ 1453-1461م (الضَّوء، ج2، ص328).

(61) لم أستطع معرفة مصدر هذا النصّ.

(62) محمد بن إسماعيل، تُوفّي سَنَة 280هـ/ 893م (تاريخ بغداد، ج2، ص42 فما بعد).

(63) يوسف بن يحيى، تُوفّي سَنَة 231هـ أو 232هـ/ 845-6م (تاريخ بغداد، ج14، ص299 فما بعد).

(64) عبد العزيز بن عبدالله، تُوفّي حوالى سَنَة 220هـ/ 835م راجع:
L. Caetani, *Onomasticon Arabicum* 161 (Rome 1915).

إليه حاجة، خُصوصاً من كان مع صِغَر سِنّه حصل فضائل لكون ذوي الأسنان[65] الجامدين يُحتقرون غالباً بالصِّغَر.

ولذا لمّا استشعر يحيى بن أَكْثَم[66] ذلك ممّن سأله حين وُلّيَ القضاء عن سنّه وهو ابن عشرين أو نحوها، أجابه بقوله: «أنا أكبر من عَتّاب بن أَسِيد[67] حين ولّاه النبيّ ﷺ مكة». وكان سِنُّ عَتّاب حينئذٍ أزيد من عشرين سَنَة فيما قاله الواقدي[68]، ومن مُعاذ بن جَبَل[69] حين وجّهه النبيّ ﷺ إلى اليمن قاضياً، ومن كَعْب بن سُور[70] حين وجّهه عُمَر رضي الله عنه إلى البصرة قاضياً. وكذا اتفق لشيخنا الكمال بن الهُمام[71] حين خطبه الأشرف بَرْسباي لمشيخة مدرسته ونُبذ عنده بصغر سِنّه، سأله حين أحضره، لإلباس خِلعتها، عن سِنّه، فقال: أكبر من عتّاب ومن فُلان أو نحو هذا، ولم يُفصح له بمقدار سنّه، وإلا فقد أخبر كلٌّ منهما بمولده.

بل لمّا سُئل العباس[72] رضي الله عنه أنت أكبر أم النبيّ ﷺ؟ فقال: أنا أسنُّ منه، وهو أكبر مني، وتَبِعه في جوابه شيخنا الزين رِضْوان[73] حين قيل له: أأنت أكبر أم شيخ الإسلام ابن حَجَر رحمهما الله تعالى.

---

(65) لم يكن من المألوف أن يكون العُلماء مُحِبِّين للدُّعابة كالذَّهبي، أو يكونوا شاردي الذهن أو لهم عِناد أهل الحديث، انظر ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص337.

(66) تُوفّي في نهاية سَنَة 242 أو أوائل سَنَة 243هـ/ 847م (**تاريخ بغداد**، ج14، ص191 فما بعد). ويذكر **تاريخ بغداد**، ج14، ص198 فما بعد روايتين للقِصّة المذكورة أعلاه. انظر أيضاً: الغزالي: **إحياء**، ج1، ص128 (القاهرة 1334هـ).

(67) تُوفّي سَنَة 13هـ/ 634م (النَّووي، ص405، طبعة وستنفلد).

(68) محمد بن عمر (130-207هـ/ 747-823م) (انظر بروكلمان: ج1، ص135 فما بعد).

(69) تُوفّي سَنَة 18هـ/ 639م (النَّووي، المذكور أعلاه، ص559-61).

(70) تُوفّي سَنَة 36هـ/ 656م (ابن سعد: **الطبقات**، ج7، قسم 1، ص65 فما بعد. طبعة سخاو وآخرين).

(71) محمد بن عبد الواحد (790-861هـ/ 1388-1457م) (**الضَّوء**، ج8، ص127-32) وقد عُيِّن في مدرسة بَرْسُبَاي في سَنَة 829هـ/ 1426م (**الضَّوء**، ج8، ص130).

(72) العباس بن عبد المطلب تُوفّي سَنَة 32 أو 34هـ/ 652-3م (النَّووي، المذكور أعلاه ص330-32) وبالطَّبْع إنّ الاستعمال المُزدوج لكلمة أكبر لا نعرفه الآن.

(73) رِضوان بن محمد (769-852هـ/ 1306-1448م) (**الضَّوء**، ج3، ص226-9).

وكَوْنُ التاريخ أحد الأدّلة لضبط الرّاوي حيث يقول في المَرْوِيّ، «وهو أول شيء سمعته منه» أو «كان فُلان آخر من رَوَى عن فُلان» أو «رأيته في يوم الخميس يفعل كذا» أو «سمعتُ منه قبل أن يحدث ما أحدث، أو قبل أن يختلط» وفي المُتُون من ذلك الكثير. كأول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرُّؤيا الصادقة[74]، وأول ما نزل من القرآن كذا، وأول مسجد وُضع أولاً المسجد الحرام، ثُمّ الأقصى[75] وحدَّد المُدّة التي بينهما، وأول مولود في الإسلام أيْ بالمدينة عبدالله ابن الزُّبَيْر[76]، وآخر ما كان كذا كما تقدّم[77]، وكقوله عن يوم الإثنين و«ذاك يوم وُلدت فيه» الحديث، وكُنّا نفعل كذا حتى قَدِمنا الحبشة، ونهى يومَ خَيْبَر عن كذا، وما أشبه ذلك، كقوله قبل أن يُوحى إليه، بحيث أفرد جماعة من القدماء فمن بعدهم الأوائل، وأبو زكريا بن منده[78] «آخر الصحابة موتاً» وبعض المُتأخّرين الأواخر مُطلقاً[79]. ولكثرة ما وقع في المُتُون من ذلك أفرده البُلْقيني[80] بنوع مُستقلّ.

وكان يُمكن أن يُجعل التاريخ على قسمين سَنَدِيّ ومَتْنِيّ، وقد ذكرنا أمثلة على فوائد التاريخ في دراسة السَّنَد، وهُناك أيضاً أحوال يُؤثّر فيها

---

(74) انظر مثلاً ابن هشام: **السيرة**، ص161، طبعة وستنفلد، البُخاري: **الصحيح**، ج1، ص4 فما بعد طبعة كريهل، الشِّبْلي، **محاسن الوسائل**، مُصوّر القاهرة، تاريخ 5557، ص42أ.

(75) انظر: مثلاً ياقوت، **المعجم**، ج4، ص592، طبعة وستنفلد. ابن كثير: **البداية**، ج2، ص298 حيث توجد إشارات إلى الصحيحين.

(76) انظر مثلاً: الشِّبْلي، المصدر المذكور أعلاه، ص105ب، **الإعلان**، ص80.

(77) انظر **الإعلان**: ص8.

(78) يحيى بن عبد الوهاب حفيد أبو عبدالله بن منده، تُوفّي سَنَة 512هـ/ 1119م (ابن الجَوزي: **المُنْتَظَم**، ج9، ص204) أو سَنَة 511هـ/ 1118م (ابن خَلِّكان، ج4، ص57 ترجمة دي سلان). ويذكر **المُنْتَظَم** أنه ولد سَنَة 484هـ، وهو مُخطىء طبعاً لأن عبد الوهاب أبا يحيى، تُوفّي سَنَة 475هـ/ 1082م (**المُنْتَظَم**، ج9، ص5) لقد وُلد يحيى سَنَة 434هـ/ 1042-3م (ابن خَلِّكان المصدر المذكور أعلاه).

(79) انظر مثلاً ابن اللّبودي (**الضَّوء**، ج1، ص293).

(80) قد يكون هذا عبد الرحمن بن عمر المتوفَّى سَنَة 824هـ/ 1421م (راجع بروكلمان، ج2، ص112) غير أن **الضَّوء** لا يذكر كتاباً من هذا الصنف ألّفه هذا الرجل أو أيّ واحد من الاثنين المشهورين من أُسرته.

التاريخ[81] على السَّنَد والمَتْن في الأحاديث[82] ممّا قد يشتركان فيه كما فعل في المُضطرب والمقلوب وغيرهما.

وممّا وقع في المُتُون «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يومَ خَلَقَ الله السموات والأرض، السَّنة اثنا عشر شهراً»[83] و«من صامَ رمضان وأتبعه بِسِتّ من شوال»[84] و«أفضل الصيام بعد رمضان المُحرَّم وصوم تاسوعاء وعاشوراء» وكون (قول؟) ابن عباس[85] كان تاسوعاء عنده العاشر (من المُحَرَّم) والشهر ثلاثون وتسع وعشرون[86]، و«الأمر بصيام الأيام البِيض» و«النَّهي عن صَوم يوم العيد والسبت إلا مع يوم قَبْلَه أو بَعْده»[87] ونحو ذلك ممّا لا ينحصر «كالحَجّ لا يتم إلاَّ بالوُقوف في عَرَفة»[88]، «وخلق الله الأرض يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الإثنين، والظُّلمة يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدوابّ يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة[89]»، وقوله ﷺ في أواخر عُمره: «إنّ **على رأس مائة سَنَة لا يبقى ممّن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»**[90].

فكُلّ هذا مُرْشِدٌ إلى الافتقار للتاريخ، أو هو من فوائده، ومن ثَمّ قيل كما سيأتي قريباً عن ابن عباس رضي الله عنهما إنّ الله عزَّ وجلَّ ذكره في كتابه العزيز فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]،

---

(81) لست متأكداً من هذا التصحيح الذي أرتئيه.

(82) عن تعبير «مُضطرب» و «مقلوب» انظر مثلاً: **مقدّمة ابن الصلاح** الفصل 19، والفصل 22.

(83) انظر: **الفِهرس المفصل**، ج2، ص158أ.

(84) انظر: **الفِهرس المفصل**، ج1، ص861ب.

(85) عبدالله بن العباس تُوفّي سَنَة 68 أو 69 أو 70هـ/ 687-8م).

(86) انظر: **الفِهرس المفصل**، ج1، ص272ب، 298ب.

(87) انظر: **الفِهرس المفصل**، ج1، ص243ب، ج2، ص390أ.

(88) انظر: **الفِهرس المفصل**، ج1، ص420ب، انظر أيضاً: البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 2، ص111 فما بعد. ابن سعد: **الطبقات**، ج7، قسم 2، ص104 طبعة سخاو وآخرون.

(89) انظر: **الفِهرس المفصل**، ج2، ص390. انظر أيضاً الكافِيَجي.

(90) انظر: **الفِهرس المفصل**، ج1، ص207أ. انظر أيضاً مثلاً: البُخاري، **الصحيح**، ج1، ص150 فما بعد، طبعة كريهل.

وعن قتادة[91]: «جعلها الله مواقيتَ لصوم المُسلمين، وإفطارهم وحَجِّهم، وعُدَد نسائهم».

وأما ما لعلّه يُذكر فيه من أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وسُنَّتهم فهو مع أخبار العُلماء ومذاهبهم، والحُكماء وكلامهم، والزُّهّاد والنُّسّاك ومواعظهم، عظيم الغَناء، ظاهر المنفعة، فما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه وسريرته في اعتقاداته، وسيرته في أُمور الدِّين، وما يصلح به أمر مُعاملاته ومعاشه الدُّنيوي.

وكذا ما يذكر فيه من أخبار المُلوك وسياساتهم، وأسباب مبادىء الدُّوَل وإقبالها، ثُمَ سبب انقراضها، وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء، وما يتّصل بذلك من الأحوال التي يتكرَّر مثلها وأشباهها أبداً في العالم[92]، غزير النفع كثير الفائدة بحيث يكون من عَرَفه كمن عاش الدهر كُلّه وجرَّب الأُمور بأسرها وباشر تلك الأحوال بنفسه، فيغزر عقله ويصير مُجرِّباً غير غِرٍّ ولا غَمْر كما سيأتي في نَظْم بعضهم[93].

وما أحسن قول بعض السادات «العقل عقلان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع ما لم يكن ثَمَّ مطبوع»[94].

ونَحو هذا ما يقع فيه من ذكر ذَوِي المُروءات والأَجْواد والمُتّصفين بالوفاء ومحاسن الأخلاق والمعروفين بالشجاعة والفُروسية، وأنه أيضاً جَمُّ الفوائد كثير النفع لذَوِي الهِمَم العالية والقرائح الصافية، لِما جُبِل عليه طِباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبُّه والاقتداء بأربابها، ليصير لهم نصيب من حُسن الثناء وطِيب الذِّكر الذي حَرَّضَ عليه خُلاصة البشر، وأخبر الله تعالى عن

(91) **قَتادة بن دِعامة**، تُوفّي سَنَة 117هـ/ 735م (ياقوت: **إرشاد**، ج17، ص9 فما بعد طبعة القاهرة، ج6، ص202، طبعة مارغليوت).

(92) انظر البَيْهَقي: **تاريخ بَيْهَق**، ص8 (طهران 1317هـ). «لا تُوجد حادثة لم يحدث مثلها من قبل».

(93) هذه إشارة إلى شِعر للباعُوني (**الإعلان**، ص15، 95 أدناه، ص217، 336).

(94) إن هذا النصّ الذي يكثر تردّده يُنسب لعليّ بن أبي طالب، وقد أعاد السَّخاوي ذكره في **الإعلان**، ص24»، أدناه ص367. ويبدُو أنّ السَّخاوي يعتقد أنه لشخص باسم عليّ. وقد نقل الغزالي هذا النصّ باعتباره لعليّ، يُنظر: **الإحياء**، ج1، ص76؛ ج3، ص14، (القاهرة 1346هـ).

إمام الحُنَفاء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] وامتنَّ على غير واحد من رُسله عليهم الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الصافات: 78، 108، 119، 129] وعلى خِيرته من خلقه عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: 4] وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: 44].

ولمزيد رغبة ذَوِي الأنفس الزّكية في التاريخ، قال أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البَنّاء القُرَشي الحَنْبلي صاحب **رسالة السُكُوت** وغيرها «ليت الخطيب البغدادي ذكرني في تاريخه ولو في الكذّابين»[95].

ونحوه قول بعضهم ممّن توهّم اقتصاري على تراجم الأموات: «ليتني أموت في حياة السَّخاوي حتى يُترجمني». ولجملة ممّا نشرنا من متين فوائده وفضله ممّا طوينا من كمين زوائده، أشار غير واحد من الأئمّة الأعلام واختاره بأرشده إليها التنويه به بين الأنام ليندفع من لعلّه يُنكره من الجُهّال وينتفع به الفُحول من الأبطال، فذكر الإمام الأعظم والمُجتهد المُقدّم إمامنا الشافعي رضي الله عنه حسبما نقله عنه الإمام الشمسي محمد بن الشهاب البَاعُوني ممّا سيأتي وحكم بصحته «إنّ من حفظه زاد عقله وأيّده»[96]. وقال الإمام أبو جعفر بن جَرير الطَّبَري ما حاصله أنَّ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء: 12] الإرشادَ للتوصّل به إلى العلم بأوقات

---

(95) القِفْطي: **إنباه الرُواة**، مُصوّر القاهرة: تاريخ 2579، ص1239، وقد نَقَله ناشرو ياقوت **إرشاد**، ج7، ص265 فما بعد (القاهرة) ويقول ياقوت (**إرشاد**، ج7، ص268، طبعة القاهرة ـ 111، ص25، طبعة مارغليوت). إنّ القِفْطي فيما يظهر أخذها من **ذيل تاريخ بغداد** للسَّمْعاني، وقد عاش ابن البنّاء بين 396-471هـ/ 1006-1078م.

(96) محمد بن أحمد الباعُوني (تُوفّي سَنَة 871هـ/ 1465م. انظر بروكلمان: ج2، ص41) **الضَّوء** ج7، ص114، **تُحفة الظرفاء**، مخطوطتي باريس ar. 1615 fals 2b - 3a ar. 3412 fal 75b، وقد روى **الإعلان** ثلاثة أبيات أُخرى للباعُوني (ص95)، وتذكر هذه الأبيات أيضاً في **بُغية المُستفيد** لابن الدَّيْبع، مخطوطة القاهرة، تاريخ 11، مجاميع، ص1 فما بعد. الصخري: **الذخيرة**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 104، ص2أ.

فُروضهم التي فَرَضها عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين من الصَّلَوات والزَّكَوات والحَجّ والصيام وغير ذلك من فُروضهم وحين حلّ ديونهم وحقوقهم كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: 189] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 5] إنعاماً منه سبحانه بكُلّ ذلك على خلقه، وتفضّلاً منه به عليهم وتطوُّلاً"[97] إلى آخر كلامه المُتضمّن استنباطه وفائدته.

بل يُروى عن ابن عباس رَضي الله عنهما أنه قال: ذكر الله التاريخ في كِتابه لأن مُعاذ بن جَبَل رضي الله عنه قال: يا رسول الله ما بَال الهِلال يبدو دقيقاً مثل الخطّ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدقّ حتى يعود كما كان على حاله الأول، فنزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ﴾ [البقرة: 189] وهي جَمْع هلال ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي في دِينهم وصَوْمهم وفِطْرهم وعِدّة نِسائهم ومُدَد حواملهم ومحلّ دُيونهم وأُجور أُجرائهم، وغير ذلك من الشُّروط إلى أن ينتهي إلى أجل معلوم، حِكمة بالغة ونِعَم ظاهرة[98].

وعن قَتادة في تفسيرها: جعلها الله مَوَاقيت لصَوْم المُسلمين، وإفطارهم، وحَجّهم، ومَناسكهم، وعِدّة نسائهم، وغير ذلك[99] والله أعلم بما يصلح خلقه.

بل ثَبت في الصحيحين عن ابن عُمَر[100] رضي الله عنهما قال: ذُكِر الهلال عند رسول الله ﷺ فقال: «**لا تصُوموا حتى تَروه، ولا تُفطروا حتى تَروه، فإنْ غُمّ عليكم فأكملوا عِدّة شعبان ثلاثين يوماً ثم صوموا**»[101]. ورَوَى بعض العُلماء

(97) انظر: **تاريخ الطَّبَري سِلْسِلَة** 1، ص3 فما بعد، طبعة دي غويه وآخرون.

(98) إنّ حديث ابن عباس نَقَله مُختصراً ابن الدَّواداري: **كنز الدُّرر**، مُصوّر القاهرة، تاريخ، 2578، ج1، ص81 فما بعد.

(99) انظر **الإعلان**: ص13.

(100) عبدالله بن عُمر بن الخطاب. تُوفّي سَنَة 73 أو 74هـ/ 692-3م (ابن سعد: **الطبقات**، ج4، قسم 1، ص38-105، طبعة سخاو وآخرين).

(101) انظر **الفِهْرِس المُفصّل**: ج2، ص202أ. **تاريخ بغداد** ج7، ص210. والظاهر =

المُحقّقين ممّا حكاه الجَنَدِي في مُقدّمة تاريخه «إنّ الله تعالى أنْزل في التوراة سِفْراً من أسفارها مُتضمّناً أحوَال الأُمم السالفة ومُدَد أعمارها»[102]. قال الجَنَدِي: «بل قصَّ الله تعالى في كِتابه المُبين كثيراً من أخبار الأُمم الماضين، كقوم نُوح وهُود، وكمَدْيَن وثَمُود، وما حكاه عن موسى وهارُون وفِرْعَون وقارُون، وعن أصحاب الكهف والرَّقيم، وعن النّمرود وإبراهيم وقال تعالى وهو أصْدق القائلين: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120] ونُسب لبعض المُفسّرين أنه استنبطه من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247]» فيه نَظَر.

وكَفَى بهذا دليلاً على جَلالة علم التاريخ وفَضْله وفخامة قدر صاحبه ونُبله، وقالَ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثَّعْلَبي في الحكمة في قصّ الله تعالى على المُصطفى ﷺ أخبارَ الأنبياء الماضين والأُمم السالفين أمورٌ[103] منها:

1 ـ (قِصَص عن) إظهار نُبوّته، والاستدلال بذكرها على رسالته، لأنه ﷺ كان أُمياً لم يختلف إلى مُؤدِّب ولا مُعلِّم، ولا فَارق وطنه مُدّة يُمكنه الانقطاع فيها إلى عالِم يأخذ ذلك عنه. فإذا عَلم بها وتدبَّر العاقل من قومه ذلك،

= أنّ الإشارات إلى **صحيح** مسلم، ج5، ص50 (بولاق 1304هـ على هامش القَسْطَلاني، **إرشاد**).

(102) محمد بن يعقوب بن يوسف الجَنَدي (تُوفّي سَنَة 732هـ/ 1332م). انظر بروكلمان: ج2، ص184): **السلوك**، مُصوّر القاهرة: تاريخ 996، ص3. انظر: **الإعلان** ص134 أدناه ص571، **الإعلان**، ص29، أدناه ص374 حيث يذكر أنّ اسم المُؤلّف هو محمد بن يوسف بن يعقوب. أما مُصوّر القاهرة وكتاب حاجي خليفة **كشف الظنون** ج3، ص613، طبعة فلوجل، فيذكر أنه يوسف بن يعقوب (دون ذكر **محمد بن**) انظر أيضاً: ضياء الدين ابن الأثير: **الوَشْي المَرْقُوم**، 66 (بيروت 1398هـ).

(103) إنّ النّص التالي حتى الشعر المذكور فيما يلي، هو تلخيص لمُقدّمة **قِصَص الأنبياء** للثعلبي (تُوفّي سَنَة 427هـ/ 1035م. انظر بروكلمان: ج1، ص350).

عَلم أنه بوحي من الله سُبحانه وتعالى، فآمن به وصدَّقه، وكان ذلك من المُعجزات الدالّة على صِحَّة نبوَّته. وقد يُنكر ويُجحد حسداً وعناداً[104].

2 ـ ومنها (قِصَص) التّأسّي بهم فيما أثنى الله عليهم به والانتهاء عن ضده.

3 ـ ومنها (قِصَص) التثبيت له (الرسول) والإعلام بشرفه وشرف أُمّته، حيث عُوفي (الرسول) وأُمته عن كثير ممّا امتُحن به من قبلهم، وخُفّف عنهم في الشرائع، وخصَّهم بكرامات انفردوا بها عنهم. وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20] إنّ الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة هنا تضعيف الصنائع.

4 ـ ومنها (قِصَص) التهذيب والتأديب لأُمّته كما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: 7] و﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: 111] ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 66] ولذا كان الشِّبْلي[105] يقول فيها: «اشتغل العامّة بذكر القِصَص، والخاصّة باعتبار من القِصَص».

5 ـ ومنها (قِصَص) الإحياء لِذكرهم ليكون للمُحسن سبباً للاجتهاد في العمل رجاءَ تعجيل ثوابه وبقاءً لذكره وآثاره الحسنة، كما رغب خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] والناس أحاديث، يُقال ماتَ مَيِّت والذِّكْرُ يُحييه، وقيل: «ما أنفق المُلوك والأغنياء الأموال على المصانع والحُصون والقُصور إلا لبقاء الذِّكر».

«وإنـمـا الـمـرءُ حـديـثٌ بـعـده فكُنْ حديثاً حسناً لِمَنْ وعى»[106]

---

(104) بشأن: قواعد النحو في هذا النص، انظر ما ذكره الثعلبي.

(105) من المُؤكّد أن هذا هو الصُوفي المشهور أبو بكر الذي تُوفّي سَنَة 334 أو أوائل سَنَة 335هـ/ 946م (انظر بروكلمان: ج1، ص199 فما بعد).

(106) لقد أُخذ هذا الشعر من **مقصورة** محمد بن الحسن بن دُرَيْد (تُوفّي سَنَة 321هـ/ 933م انظر بروكلمان: ج1، ص111 فما بعد) انظر طبعة الآستانة سَنَة 1300هـ، ص115 (الشعر رقم 180 من طبعة Aggaeus Haitsma 1773، ورقم 171 من طبعة Everardus Scheidius. 1786. انظر ابن إسفنديار: **تاريخ طَبَرِستان**، ج1، ص13، طبعة عباس إقبال (طهران 1320هـ-1942م).

قلتُ: وانظرْ إلى الأحاديث ترى فيها الكثير من كثير ممّا أُشيرَ إليه (في قول الثَّعْلبي): كـ «رَحِم الله موسى لقد أُوذي بأكثر من هذا»[107]، وفي التسلّي ونحوه «اللهمَّ اجعلها عليهم سنين كسِنِيّ يوسف»[108] «اللهمَّ إنّ إبراهيم عبدك وخليلك، دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة في الاقتفاء والتأسّي» و«لولا دعوة أخي سليمان في التأدّب مع عُلُوّ المقام»[109]، بل قال: «يرحم الله موسى لو صبر»[110] حتى يقصّ علينا من خبرهما. وكذا تأسَّت عائشة رضي الله عنها حيث قالت: «ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]»[111].

وقال أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي الشافعي: «إنه عِلْم يستمتع به العالِم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكُلّ غريبة منه تُعرف، وكُلّ أُعجوبة منه تُستطرَف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تُقتبس، وآداب سياسة المُلوك وغيرها منه تُلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يُتزيَّن في كُلّ مَحْفل ومَقام، وأنه حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المُشاكلة التي قصدها العُلماء وقَفّاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذِكْراً محموداً وعلماً منظوماً[112] عتيداً».

وقال أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمد الأصبهاني الكاتب في مُقدّمة **الأغاني**: «إنّ القارىء إذا تأمّل ما فيه من الفقر ونحوها لم يَزل مُنتقلاً بها من فائدة إلى فائدة، ومُتصرّفاً منها بين جدٍّ وهزل وآثار وأخبار وسِيَر وأشعار مُتّصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقِصَص المُلوك في الجاهلية والخُلفاء

---

(107) انظر: **صحيح البُخاري**، ج2، ص358، طبعة كريهل، **الفِهرِس المُفَصَّل**، ج1، ص149.

(108) انظر: البُخاري، ج1، ص255، ج4، ص158.

(109) انظر: **الفِهرِس المُفصَّل**، ج2، ص134.

(110) انظر: **الفِهرِس المُفصَّل**، ج2، ص235ب، البُخاري، ج2، ص358.

(111) هذه تتعلّق بحديث الإفك. انظر ابن حَنْبَل: **المُسْنَد**، ج6، ص197 (القاهرة 1313هـ).

(112) المسعودي (تُوفّي سَنَة 345 أو 346هـ/ 956م). انظر بروكلمان: ج1، ص143-5، **مروج** ج1، ص9 طبعة باريس، ج1، ص4، طبعة القاهرة، 1346هـ.

في الإسلام، يجمل بالمُتأدّبين معرفتها، وتحتاج الأحداث إلى دراستها، ولا يرتفع من فوقهم من الكُهول عن الاقتباس منها إذ كانت مُنتخلة من غُرر الأخبار ومُنتقاة من عُيونها ومأخوذة من مظانّها ومنقولة عن أهل الخِبرة بها»[113].

ومن غرائبه أنّ شخصاً جُهَنِياً كان من نُدماء المُهَلَّبي[114]، فكان يأتي بالطامّات. فجرى مرّة حديث النَّعْنَع، فقال في البلد الفُلاني نَعْنَع يطول حتى يصير شجراً ويعمل من خشبه سلالم. فثار منه أبو الفرج هذا، فقال: نعم عجائب الدنيا كثيرة ولا يُنكر هذا والقُدرة صالحة، وأنا عندي ما هو أغرب من هذا: إنّ زوج حمام يبيض بيضتين فآخذهما وأضع تحتهما سنجة مائة وسنجة خمسين، فإذا فرغ زمن الحضان انفقست السنجتان عن طست وإبريق، فضحك أهل المجلس، وفطن الجُهَني لما قصد به أبو الفرج من الطَّنْز، وانقبض عن كثير من حِكاياته. قلت: وقريب من هذا أنّ بعض من اتّهمناه بالمُجازفة حكى، ونحن بحضرة شيخنا، أنّ عندهم بحَلَب من له أربعون ولداً ذكراً فهم يركبون معه في مهمّاته، وكان في المجلس بعض أصحابنا فقال وأغربُ من هذا، فتبسم ابن حَجَر وقَطَع المجلس وشَرَع في الصلاة. ومن العجب أنه كثر اجتماعي بالرجل الثاني وأستخبره عن الذي رام يقوله ويشرع في حكايته فيقطعه عارض، تكرّر لي ذلك منه مِراراً. وقال أبو عبدالله محمد بن سَلامَة بن جعفر القُضَاعي الشافعي قاضي مصر أنه جمع جُمَلاً من أنباء الأنبياء وتواريخ الخُلفاء وولايات المُلوك والأُمراء إلى سَنَة اثنتين وعشرين وأربعمائة (1031م) على وجه الاختصار ليقرب حفظه على من أراده، ففيه ـ يعني من فائدته مع حفظه ـ كِفاية المُحاضرة وبُلغة منيعة للمُذاكرة[115]. وقال محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهَمَذاني (الهَمْداني؟) الفَرَضي الشافعي في ذَيْله لتاريخ ابن جرير أنه «رغب في الاطّلاع

---

(113) أبو الفرج (تُوفّي سَنَة 356هـ/ 967م، انظر بروكلمان، ج1، ص146) **الأغاني**، ج1، ص2 (بولاق 1285هـ).

(114) الحسن بن محمد تُوفّي سَنَة 352هـ/ 963م (انظر **دائرة المعارف الإسلامية** مادة «المُهلّبي»).

(115) القُضاعي (تُوفّي سَنَة 454هـ/ 1062م. انظر بروكلمان: ج1، ص343) **عيون المعارف**. مخطوطة البودليان رقم Marese 37 المقدّمة. وهذ النصّ يختلف قليلاً عما في مخطوطة البودليان، رقم Pocock 270، ص3ب.

عليه سادة الأُمم والقبائل، وأهل المحامد والفضائل، كالأئمّة من وُلد العباس -وغيرهم بدون إلباس-» إلى أن قال: «فما كان في ذلك من استقامة في الأحوال كان بالنِّعَم مُذكّراً، وما شاهدوا فيه من الاختلال كان مُنبّهاً ومُنذراً، وقد رُوِي أنّ رجلاً قال لسعيد بن المُسَيَّب(116) رضي الله عنه: «إني رأيت النبي ﷺ في منامي فقال له: يا هذا إنّ الله تعالى بعث نبيّه ﷺ بشيراً ونذيراً، فمن كان على خير بَشّره وأمره بالزيادة، ومن كان على شر حَذَّره وأمره بالتوبة، والاطّلاع في أخبار الناس مرآة الناظر يصدق فيرغب في المحاسن، ويرهب من القبائح، ومُهذِّب ذوي البصائر والقرائح، وبها يذكر الله من عباده من يراه أهلاً لذكره ومُستوجباً لكريم ثوابه وأجره»(117). وقال أبو القاسم محمد بن يوسف المَدَني نزيل بَلْخ ومُؤلِّف **النافع** في فِقههم (الحنفية)(118) في **تاريخ بَلْخ** الذي أُلِّف في سَنَة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة (1143-44م) وجعله مُتوسّطاً لقلّة رغبة الناس وضعف همّتهم إنزالاً لهم منازلهم وتكليماً معهم على قدر عُقُولهم، وختمه بأحواله وتصانيفه فيما ذكره من منافعه بزيادة بعض ألفاظ في غير محلّ من مواضعه «فيه إحياء ذكر الأوّلين والآخرين من عُلمائها، والطارئين عليها، فإن ذكرها حياة جديدة ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»(119). وتصوّرهم في القُلوب ومعرفة أفعالهم وزُهدهم وورعهم ودِيانتهم وانصرافهم عن الدُّنيا واحتقارهم لها وصبرهم على شدائد الطاعات والمصائب في الله، فيتخلّق النَّاظر بأخلاقهم، ويتعطَّر السامع

---

(116) تُوفّي حوالى سَنَة 100هـ/ 718-9م (البُخاري: **التاريخ**، ج2، قسم 1، ص467 فما بعد، الذّهبي: **تاريخ الإسلام**، ج4، ص4-7 القاهرة 1367هـ فما بعد. ابن خَلِّكان، ج1، ص568 فما بعد ترجمه دي سلان).

(117) الهَمَذاني (تُوفّي سَنَة 521هـ/ 1127م (انظر بروكلمان: ج1، ص142) مخطوطة باريس رقم ar. 1469، ص3ب ـ 4أ ابن خَلِّكان، بالإضافة إلى **تاريخ الوُزراء** للهَمَذاني (انظر أدناه: ص481 هامش 172) وهو ينقل أيضاً من ذيل **تجارب الأُمم** لمِسْكَوَيه (؟)، ابن خَلِّكان، ج1، ص464 ترجمة دي سلان). وفي الحقيقة، ذَيْل على ذَيْل أبي شُجاع على مِسْكَوِيَه، انظر أدناه ص583. ومن كتاب تاريخي آخر اسمه **المعارف المُتأخِرة** (ابن خَلِّكان، ج1، ص280، 399).

(118) يقول بروكلمان، ج1، ص381: إنّ مُؤلّف **النافع** تُوفّي سَنَة 656هـ/ 1258م وأنه غير سَميّه (بروكلمان، ج1، ص413) الذي تُوفّي سَنَة 550هـ/ 1161م انظر أيضاً **الإعلان**، ص124.

(119) انظر: **الإعلان**، ص28.

بأحوالهم، فالطبع مُنقاد، والإنسان مُعتاد، والأُذن تعشق قبل العين أحياناً[120]، ولمّا كان سبب النجاة الاستقامة في الأحوال والأفعال ولا يتمّ ذلك إلا بسائق وقائد، كصُحبة الصالحين، أو سماع أحوالهم، والنَّظر في آثارهم، عند تعذُّر الصُّحبة حيث تتصوّر النَّفس أعيانهم وتتخيّل مذاهبهم، لأنك لو أبصرت لم يبقَ عندك إلا التذكُّر والتخيُّل، وكان السمع كالبصر، والعِيان كالخَبَر، وإن كان بينهما بَوْن[121]، ولكن إن لم يكن وابلٌ فَطَلٌّ، سيّما وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة[122]، وذكر للآخرين واعتبارهم. فلولا الكُتُب لنُسِي أكثر الأخبار والأحوال وكان بعد قريب لم يذكر الصادر ولا الوارد، ولا الطريف ولا التَّالد، والدُّرّة المَكْنُونة والجوهرة المَخْزُونة علم الحديث الذي هو أساس الإسلام، وأصل الأحكام، ومُبيِّن الحلال والحرام، ومُقتدى الخاص والعام، وبيان مُجمل الكتاب، ومركز الحقيقة والصواب، يعني وهذا الفنّ طريق إليه وتحقيق للمُعَوَّل منه عليه، وبيّن أنّ سبب تصنيفه له الاسترواح ممّا كان فيه من تصنيف كتاب التحقيق الجامع أُصول مسائل الفقه الجليل منه والدقيق إلى هذا العلم اللطيف، الحلو النافع المُنيف، الذي قدماً اعتدته في رَيْعان الشباب، واعتمدته في التوصّل إلى الصواب، ومُكافأة لأهل بَلْخ حسب الطاقة وجُهْد المُقِلّ لإحسانهم عند نزولي عليهم وتعصّباً لعُلماء المِلّة وأُمناء الأُمّة، حيث يدرس جلَّ أخبارهم، بل تعدم أسماؤهم وشريف آثارهم وإنه استمدَّ فيه من كُتُب ذكرها ومن مشايخ عصره وفُضلائهم وأقطابهم ممن علمها وخبرها وعيّن منهم جماعة، وأنه ذكر الفتيان والشبّان لأنهم إن كانوا صِغار قوم فعسى أن يكونوا كِبار قوم آخرين، وبادر إلى تأليفه خوفاً من طُرُوء الموانع وشفقاً على العلم من الدُّرُوس والدُّثُور بوفاة الحَمَلة

---

(120) انظر: **الأغاني**، ج3، ص67 (بولاق 1285هـ).

(121) يرجع هذا الحصر إلى حديث نَبَوي يقول: إنّ خبر الثالث ليس كالمُشاهدة. انظر الكافِيَجي أعلاه: ص190، هامش 1.

(122) انظر أيضاً: **الإعلان** ص28، 50، وإن **الإعلان** ص32 وعِياض في **المدارك** (مخطوطة القاهرة، تاريخ، 2293، ص4ب يروي هذا الكلام عن سفيان بن عُيَيْنة (تُوفّي 198هـ/ 814م). انظر **تاريخ بغداد**، ج9، ص174 فما بعد). أما بن عبد البَرّ، فهو ينسب هذا القول إلى (سُفْيان) الثَّوْري (**جامع بيان العلم**، ج2، ص162 القاهرة بلا تاريخ) انظر أيضاً: E. Levi Provençal. *Les historiens des Chorfa* 46f. n 2 Paris 1922.

المُتوجّهين بجَمْع الجوامع. وقد كتب عُمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة انظروا ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه فإني خِفتُ دُرُوس العلم وذهاب العُلماء، فإذا خافوهم ذلك والإسلام غَضّ رَطِب والجِدّ فيه عجيب، والزمان مُنْجِب ونجيب، أفلا يُخاف في زماننا وقد يقهقر في جدنا وأبنائنا، وكذا ذكر مقابر الأئمة ومَواضعهم ومَضاجعهم لأن أجسامهم وقوالبهم سبب دفع البلايا والأوصاب، والمُستعاذ منها بالتوجّه لِرَبّ الأرباب، وقد جعل الله في ذلك الجسد من الخاصّية ما تُدفع به البلايا، وشارك في العالم بسببه حيّاً ومَيْتاً، وذلك جزيل الفضل والعطايا، واستدلَّ لذلك بحديث بُرَيْدة رفعه: (من مات من أصحابي ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة)[123]. والله نسأل أن يحفظنا بالإسلام وقوة اليقين وأن يُبقي لنا ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84]، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وقال الحافظ أبو الفرج بن الجَوْزي[124] في مُقدّمة **المُنتَظَم**: وللسِّيَر والتواريخ فوائد كثيرة أهمّها فائدتان:

1 ـ **إحداهما**: أنه إن ذُكرت سيرة حازم ووُصفت عاقبة حاله، أفادت حُسن التدبير واستعمال الحَزْم، أو (إن ذكرت) سِيرة مُفَرِّط ووُصفت عاقبته، أفادت الخَوْف من التفريط، فيتأدّب المُتسلِّط ويعتبر المُتذكِّر، ويتضمّن ذلك شَحْذ صوارم العُقُول، ويكون روضة للمُتَنَزّه في المَقُول.

2 ـ **والثانية**: أن يُطّلع بذلك على عجائب الأُمور، وتقلُّبات الزمن وتصاريف القدر، وسماع الأخبار، قال أبو عمرو بن العلاء لرجل من بكر بن وائل كبر حتى ذهبت منه لذّة المأكل والمشرب والنكاح «أتحبّ أن تموت»؟

---

(123) بُرَيْدة بن حُصَيب الأَسْلَمي، تُوفّي بين سَنَة 60-64هـ/ 680-4م، انظر: البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 2، ص140 فما بعد حيث يُروى هذا الحديث عن عبدالله بن بُرَيْدة. انظر أيضاً: **تاريخ بغداد**، ج1، ص128، البيهقي: **تاريخ بَيْهَق**، ص22 (طهران 1371هـ).

(124) لم يُطبع القسم الأول من كتاب **المُنْتَظَم** لعبد الرحمن بن عليّ بن الجَوْزي (تُوفّي سَنَة 597هـ/ 1200م. انظر بروكلمان: ج1، ص499-506).

قال: «لا» قيل: «فما بَقي من لذّتك في الدنيا» قال: «أسمع العجائب»[125].

وقال أيضاً في أول **شُذور العُقود في تاريخ العُهود** الذي اختصره منه «إنّ التواريخ وذكر السِّيَر راحة القلب وجلاء الهمّ وتنبيه للعقل، فإنه إنْ ذُكِرتَ عجائب المخلوقات دلّت على عظمة الصانع، وإن شُرِحَت سِيرة حازم علمت حُسن التدبير، وإن قَصَصْتَ قِصّة مُفَرِّط خَوَّفت من إهمال الحَزْم، وإن وُصفت أحوال ظريف أوجبت التعجّب من الأقدار والتنزُّه فيما يُشبه الأسمار»[126].

قال العِماد بن محمد بن حامد الأصبهاني الشافعي الكاتب[127] في **الفَتْح القُدْسي** على يد الصلاح أبي المُظَفَّر يوسف بن أيوب الذي ابتدأه بسَنَة ثلاث وثمانين وخمسمائة (1187م) وقال: «إنّ عادة التواريخ الابتداء ببدء الخَلْق أو بدولة من الدُّوَل، فليست أُمّة أو دولة إلّا ولها تاريخ يرجعون إليه ويُعَوِّلون عليه، ينقله خَلَفُها عن سَلَفِها، وحاضرُها عن غابرِها، تُقيّد به شوارد الأيام، وتُنصَب به معالم الأعلام، ولولا ذلك لانقطعت الوُصَل وجُهلت الدُّوَل، ومات في أيام الأواخر ذكر الأوائل، ولم يعلم الناس أنهم لعِرْق الثَّرى[128]، وأنهم نُطَف في ظُلمات الأصلاب طويلة السُّرى، وإن أعمارهم مُبتدأة من العهد القديم لآدم، وقد أخذ ربك من ظُهورهم ذُرِّيّاتهم لما أراده من ظهورهم وتقادم[129]، فيعلم المرء أنه قبل انقضاء عُمره وقبل نُزول قبره ما استبعده أهل الطيّ من حقيقة

(125) تُوفّي أبو عمرو سَنَة 154-159هـ/ 771-776م. انظر بروكلمان: ج1، ص99.

(126) إن هذا النصّ موجود في مُصوّر القاهرة تاريخ 994، ص3.

(127) إنّ الشكل الصحيح لاسم العِماد (تُوفّي سَنَة 597هـ/ 1201م). انظر بروكلمان: ج1، ص314-6) موجود في مخطوطة ليدن، انظر طبعة لاندبرغ Landberg للنصّ العربي، ص3-5 (ليدن 1888م). أما طبعة القاهرة 1322هـ، فهي مُجرّد إعادة لطبع نصّ لاندبرغ. وقد أعلن لاندبرغ عن ترجمته للكتاب غير أنه لم يُنفّذ هذا المشروع العسير.

(128) انظر: **لسان العرب**، ج12، ص114 (بولاق 1300-7هـ) مع الإشارة إلى شعر لامرىء القيس.

(129) إنّ نص **الإعلان** الذي استعمل في الترجمة صَعب جداً، غير أنه قد يكون أحسن من النّص المطبوع. انظر أيضاً: تعبيراً كالذي استعمله بديع الزمان الهَمَذاني، على ما يقول القَلْقَشَندي **صُبْح الأعْشَى**، ج1، ص459: «والناس لآدم وإن كان العهد قد تقادم». أما الإشارة إلى القرآن، فإلى سورة الأعراف، آية: 172.

النشر، وليقبل في واحدة من الأطوار شهادة عشرة، فقد قَطَع عُمْراً بعد عُمْر، وسار دهراً بعد دهر، وثوى وانَّشر في ألف قبر، وإنما كان من الظهور في ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجر. ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذامّ هي الفاصلة، وتعذَّر الاعتبار بمُسالمة الأيام وعُقوبتها، وجهل ما وراء صُعُوبة الأيام من سُهُولتها وما وراء سُهُولتها من صُعُوبتها، ثم ذكر ما كان يُؤرِّخ كثيرون ممّا مضى به كالطُّوفان والسيل والأرصاد القصير الذيل. وإنّ التاريخ بالهجرة نَسَخ كُلّ تاريخ مُتقدّم، وهدم كُلّ ما لم يكن مُرتكبه فيه مُتندّم[130]، بحيث أمن به بيقين، ووقوع الخلق الواقع في الماضين، واستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض[131]، وأمر الله عباده ببذل ما عَيَّن لهم في الأموال، بل والأنفس ممّا يُعيده إليهم مُضاعفاً من الفرض، إلى آخر كلامه الحُسن في انتظامه». وقال الجمال أبو الحسن عليّ بن أبي المنصور ظافر بن حسين الأزدي المصري المالكي[132] في **أخبار الدُوَل الإسلامية** «أنه لو لم يكن من فوائده غير وعظه بأنّ الدَّهر لا يبقى على حاله ولا يلزم من أخلاقه الاستحالة، لكان كافياً، ولغَرَض المُتأمّل شافياً، فكيف وفوائده لا تُحصى، وفرائده لا تُستقصى، والناظر فيه جامع بين عِبرة تَسلها عبرة وفرحة تُنيلها منحة، ثم عدَّ الدُّول وأطال في الإشارة إليها. وقال إمام الدِّين أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي في **التدوين**[133][134].

وقال العِزّ أبو الحسن عليّ بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير[135] في

(130) إنّ النِّصف الأخير من الجُملة لا يُوجد في مطبوعة **الإعلان**.

(131) انظر: **الإعلان**، ص13.

(132) إنّ مخطوطة غوتا لكتاب **الدُول المُنقَطِعة** للأَزْدي (تُوفّي سَنَة 613هـ/ 1216م. انظر بروكلمان: ج1، ص321)، التي رجعتُ إلى صورتها الفوتوغرافية الموجودة في مؤسسة كايتاني Fondazione Caetani في روما ليس فيها مطلع الكتاب.

(133) مصورة، القاهرة، تاريخ 2648 وهي أيضاً ناقِصة من أولها. انظر السُّيُوطي: **نَظْم العِقْيان**، ص8، طبع فيليب حتّي، نيويورك 1927م.

(134) هنا بياض في الأصل تركه المُؤلّف ليضع فيه مُقتطفاً من الكتاب.

(135) تُوفّي سَنَة 630هـ/ 1234م (انظر بروكلمان: ج1، ص345 فما بعد). وهذا الاقتباس من **الكامل** ج1، ص4-6 (القاهرة 1301هـ، وهو يمتدّ إلى ص368، سطر 15).

كامله «إنّ فوائده كثيرة، ومنافعه الدُّنيوية والأُخروية غزيرة، وها نحن نذكر شيئاً ممّا يظهر لنا فيها، ونكل إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها.

فأما الدُّنيويّة، فمنها أنّ الإنسان لا خَفَاء به يُحبّ البقاء، ويُؤثر أن يكون في زُمرة الأحياء، فيا ليت شِعري أيّ فَرْق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكُتُب المُتضمِّنة أخبار الماضين وحوادث المُتقدّمين، فإذا طالعها فكأنه عاصرهم، وإذا عَلِمها فكأنه حاضرهم. ومنها أنّ المُلوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجَوْر والعُدوان، ورأوها مُدوَّنة في الكُتُب يتناقلها الناس، فيرويها خَلَف عن سَلَف، ونظروا إلى ما أعقبت من سُوء الذِّكر وقُبح الأُحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها، واطَّرحوها. فإذا رأوا سيرة الوُلاة والعارفين وحُسنها، وما يتّبعهم من الذِّكر الجميل بعد ذهابهم، وأنّ بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها درّت، استحسنوا ذلك، ورغبوا فيه، وثابروا عليه، وتركوا ما يُنافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مَضَرّات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستضافوا نفائس المُدُن وعظيم الممالك، ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فَخْراً. ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، وأنه لا يحدث له أمر إلّا وقد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد عقلاً ويُصبح لأن يُقتدى به أهلاً. ولقد أحسن القائل حيث يقول: العقل عقلان؛ فمطبوعٌ ومسموعُ. ولا ينفع مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعُ[136].

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة. وجعله عقلاً ثانياً توسّعاً وتعظيماً له، وإلا فهو زيادة في عقله الأول. انتهى. ويُشير إليه المَرْويّ في المرفوع (إن حُدّثت أنّ رجلاً تحوّل عن طِباعه فلا تُصدّق)[137] ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذِكْر شيء من معارفها ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماع

---

(136) انظر **الإعلان**: ص14.

(137) لا يذكر هذا الحديث عند ابن الأثير.

مُصغية إليه، والوجوه مُقبلة عليه، والقُلوب مُتأمّلة ما يُورده ويُصدره، مُستحسنة ما يذكره.

وأما الأُخرويّة، فمنها أنّ العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلُّب الدنيا بأهاليها، وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنها سلبت نُفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يَسْلم من نَكَدها غنيّ ولا فقير، زَهِد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورَغِب في دار تنزَّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص. ولعلّ قائلاً يقول: ما نرى ناظراً فيها زَهِد في الدنيا، وأقبل على الآخرة، ورَغِب في درجاتها العُليا الفاخرة. فيا ليت شِعري كم رأى هذا القائل قارئاً للقرآن العزيز الذي هو سيّد المواعظ، وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحُطام، فإن القُلوب مُولعة بحبّ العاجل ومنها التخلّق بالصبر والتّأسّي، وهما من محاسن الأخلاق، فإن العاقل إذا رأى أن شرّ الدُّنيا لم يسلم منه نبيّ مُكرَّم، ولا مَلِك مُعظَّم، بل ولا واحد من البشر، عَلِم أنه يُصيبه ما أصابهم ويَنُوبه ما نابهم.

وهل أنا إلاَّ من غَزِيةٍ إن غوتْ غـويـتُ وإن تـرشـد غـزيـةٌ أرشـدِ[138]

ولهذه الحكمة، وَرَدَت القِصَص في القرآن المجيد: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] فإن ظنَّ هذا القائل أن الله تعالى أراد بذكر الحكايات الأسمار، فقد تمسَّك من أقوال أهل الزَّيْغ الذين ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: 109]، بمُحكم سببها حيث قالوا ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: 5] وقال أبو بكر محمد بن محمد بن عليّ بن خميس[139] في مُقدّمة **تاريخ مالِقة** «إنّ أحسن ما يجب أن يُعتنى به، ويُلَمّ بجانبه، بعد الكتاب والسُّنّة، معرفة الأخبار، وتقييد المَناقب والآثار، ففيها تذكرة بتقلّب الدَّهر

---

(138) هذا الشعر لدُرَيْد بن الصِّمّة (انظر بروكلمان: الملحق، ج1، ص938) انظر **الأغاني**: ج9، ص4 (بولاق 1385) **رسائل الخوارزمي**، ص168 (إستانبول 1297هـ) **لسان العرب**، ج19، ص361 (بولاق 1300-7هـ) ابن بسام: **الذخيرة**، ج1، قسم 2، ص141 (القاهرة 1361-1942م).

(139) تُوفّي بعد سَنَة 636هـ/ 1239م. انظر **الإعلان**: ص129.

بأبنائه، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه، وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تُتَّبع آثارهم، وتُدوَّن مَناقبهم وأخبارهم، ليكونوا كأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال، ومُتصرّفون ومُخاطِبون لك في كُلّ حال، ومعروفون بما هم به مُتّصفون، فيتلو سُوَرهم من لم يُعاين صُوَرهم، ويُشاهد محاسنهم من لم يُعطِه السّنّ أن يُعاينهم، فيعرف بذلك مَراتبهم ومَناصبهم، ويعلم المُتصرّف منهم في المنقول والمفهوم، والمُتميّز في المحسوس والمرسوم، ويتحقّق منهم من كَسَته الآداب حُلِيّها، وأرضعته الرِّياسة ثَدْيها، فيجدّ في الطلب ليلحق بهم ويتمسّك بسَبَبهم».

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن المُنعم بن أبي الدَّم الفقيه القاضي الحَمَوي الشافعي(140): «إنما الفائدة في التاريخ الإسلام مع قُربه من الصِّحّة، ذكره لعُلماء هذه الأُمّة المُحمّدية، وذكر مَحاسنهم وعُلُومهم ومواعظهم وحِكَمهم وسِيَرهم التي يستدلّ العامل بها في أُموره، ويتدبّرها ويتفكّر فيها، فينتفع بما قالوه وعانوه، وما ينقل عنهم من المحاسن دُنيا وأُخرى». إلى أن قال: «وإن كان هذا العلم كالعَلاوة على ما نَعتمده من العُلوم الشرعية ونَتوخّاه من الفنون السمعية والعقلية».

وقال الشَّمْس أبو المُظَفَّر يوسف بن فِزُغلي الحَنَفي سِبْط ابن الجَوزي(141): «إنّ الفِطَرَ السليمة، والفِكَرَ المُستقيمة، تستشرف إلى معرفة البدايات، وتشرئبّ إلى إدراك المُنشئات، ومن تدبّر مَجَاري الأقدار ومَبَادىء الليل والنهار، صار كأنه عاصر تلك العُصور، وباشر تلك الأُمور، وإليه وقعت الإشارة الإلٰهية، والإمارة الربانية، إلى سيّد الأوّلين والآخرين، بقوله تعالى وهو أصدق القائلين:

---

(140) لا يُوجد هذا النص في مخطوطة البودليان المنسوبة لابن أبي الدَّم (تُوفّي سَنَة 612هـ/ 1244م). انظر بروكلمان: ج1، ص346.

(141) في الجُزء الأول من كتاب سِبْط ابن الجَوزي (تُوفّي سَنَة 654هـ/ 1257م. انظر بروكلمان: ج1، ص347 فما بعد) نجد أنّ اسم أبيه مكتوب مُحرّكٌ قُزُغْلي. انظر أبا رافع: **مُنتخب المُختار (تاريخ عُلماء بغداد)**، ص237 بغداد 1357هـ/ 1938م) غير أني لم أستطع قراءته. وهو لا تتضمّنه مخطوطة كوبرللي (مُصوّر، القاهرة، تاريخ، 551) التي رجعتُ إليها.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120] وقال سُبحانه في كتابه المجيد: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: 100] في آيات كثيرة، وآيات غزيرة. فالله تعالى مَنَّ على نبيِّه عليه الصلاة والسلام بما قصَّ من أخبار الأُمم في سالف الدُّهور والأعوام، ومقاصد الناس في ذلك تختلف على ما قد أُلِف، منهم من يُؤثر مُطالعة سِيَر القُدماء والحُكماء، أو يميل إلى سماع أنباء الأنبياء والخُلفاء والمُلوك والوُزراء والأُدباء والشُّعراء، أو يختار النَّظر في سِيَر الفُضلاء والزُّهّاد والصُّلحاء والعُبّاد[142]، أو مقصوده الوُقوف على سيرة حازم ليستفيد منها حُسن التدبير، أو على آثار مُقصِّر ليَحْذَرَ من مثلها كُلّ التحذير[143]. وهذا حَرْف المسألة في معرفة السِّيَر لمن فهم المعنى وخَبَرَ الخبر، قال: «ولما كان الغالب على التواريخ جمع الغَثّ والسَّمين، والواهي والمَتين، والتَّكرار الخالي عن الفوائد والفرائد التي يعجز عن جمعها ألف رائد، استخرت الله» إلى آخر كلامه.

وقال المُحْيَوي أبو زكريا يحيى بن شَرَف النَّووي في أول **طبقات الفُقهاء**[144] التي بَيَّضها من كتاب ابن الصلاح وهي على الحُروف «إنّ معرفة الإنسان بأحوال العُلماء رِفعة وزَيْن. وإنّ جهل طَلَبة العلم وأهله بهم لوَصْمة وشَيْن. ولقد علمت الأيقاظ أنّ العلم بذلك جمّ المصالح والمراشد، وأنّ الجهل بها إحدى جَوَالب المَناقص والمَفاسد، من حيث كونهم حَفَظة الدِّين الذي هو

---

(142) انظر: **الإعلان**، ص51 أدناه 403-404؛ 162 أدناه 613-614.

(143) انظر: **الإعلان**، ص21؛ أعلاه، ص364.

(144) مُقدّمة عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح (تُوفّي سَنَة 643هـ/ 1243م). انظر بروكلمان: ج1، ص260-358، وهو يقول: إنه رتّب كتابه على الطّبقات لأنه رأى أن الترتيب على المعاجم قد يكون حسناً. أما النَّووي (تُوفّي سَنَة 676هـ/ 1278م. انظر بروكلمان: ج1، ص394-7) فهو يذكر بهذه المُناسبة سبب اختياره ترتيب المعاجم. إنّ مخطوطة هذا الكتاب (القاهرة، تاريخ، 2021) التي راجعتها، تمّ نَسْخها يوم الأربعاء في العشرين من رمضان سَنَة 742هـ/ 27 فبراير 1342م. غير أنّ العشرين ورقة الأُولى وموضع محلّها نُسخة مُستوية بخطّ حديث رديء، وهذا المُقتطف موجود في ورقة 1ب ـ 2أ من المخطوطة.

أُسّ السعادة الباقية، ونَقَلة العلم الذي هو المِرقاة إلى الرُّتب العالية. فكمال أحدهم يكسب مُؤدّاه من العلم كمالاً، واختلالها يُورثه خللاً وخَبَالاً، وفي المعرفة بهم معرفة من هو أحقّ بالاقتداء وبالاقتفاء، والجاهل بهم من مُقتبسة العلم مسؤول عن حالهم عند اختلافهم من الغَثّ والسَّمين، غير مُميّز بين الرُّتب والدَّرين، وقد روينا عن مُسْلِم صاحب **الصحيح** أنه قال: «إنّ أول ما يجب على مُبتغِي العلم وطالبيه أن يعرف مِقدار مراتب العُلماء في العلم، ورُجحان بعضهم على بعض، ولأن المعرفة بالخَوَاصّ آصِرة ونَسَب، وهي يوم القيامة وَصْلة إلى شفاعتهم وسَبَب، ولأن العالِم بالنسبة إلى مُكتسب علمه بمنزلة الوالد بل أفضل، وإذا كان جاهلاً به فهو كالجاهل بوالده بل أضلّ. ولعَمْري من يسأل من الفُقهاء عن المُزَني[145] والغزالي[146] مثلاً فلا يهتدي إلى بُعْد ما بينهما من الزمان والمنزلة، لمنسوب من القُصور إلى ما يسوؤه، ومن النَّقص إلى ما يَهيضه. ولقد قام أهل الحديث في رُواته بحق هذا الشأن فيما أودعوه في كُتُبهم في الجَرْح والتعديل، وفيما دوّنوه في مُؤلّفاتهم الموسومة بالتواريخ. وأما الفُقهاء فإنهم أضاعوه، فضاع ما اختُصّوا بإدراكه من تفاوت مراتب أئمّتهم في التحقيق، واختلاف خُصوصهم من العلم بتوفيق. ولم أزل منذ زمن الحداثة ذا عناية بهذا الشأن أطلبه من مظانّه وغير مظانّه، وأَصِيد أوابدَه، وأُقيِّد شواردَه، وأُتبِعه بما صنّفه أهل الحديث في تواريخ أُمّهات الأمصار شرقاً وغرباً، المُشتملة على التعريف بخواصّ أهلها ووَارديها، ومن معاجم كثيرة في أسماء شُيوخهم، وفهارس، وتواريخ لهم قليلة، ومن مُؤلّفات في ذكر الفُقهاء، شِرْذمة قليلة من الفُقهاء، وهي قليلة المضمون، والمحصول غير قليل ما فيها، ممّا لا يصحّ أو لا يُوثق به من المنقول وممّا عنيت به من مُصنَّفات الفقه المبسوطة، وممّا لا أُحصيه من زَوَايا وخَبَايا وبَقَايا وخَفَايا» إلى آخر كلامه.

وقال أبو العباس أحمد بن عليّ بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد

(145) إسماعيل بن يحيى، تُوفّي سَنَة 264هـ/ 878م (انظر بروكلمان: ج1، ص180).

(146) محمد بن محمد، تُوفّي سَنَة 305هـ/ 1111م (انظر بروكلمان: ج1، ص419-26) وفي كتاب النّووي ترجمة طريفة للغَزالي.

المَيُورَقي[147] في **أعمال الاحتمال** وأظنّه اسم كتاب، مَنْ كَتَبَ في التاريخ «ولياً لله، حباً فيه لله تعالى، كان معه يوم القيامة في دَرَجته، ومن طالع اسمه في التاريخ حُبّاً له كان كمن زاره، ومن زار ولياً لله غفر الله له جميع ذُنوبه، ما لم يُؤذِه بزيارته، أو يُؤذي بسبب زيارته له مُسلماً في طريق إتيانه، فالأذى مُبْطِل. وقد قال ﷺ: **«من أحبَّ شيئاً أَكْثَر من ذكره، والمرء مع من أحبّ، ومن أحبّ قوماً حُشِر معهم»**[148].

وَرِّخْهـم تَـحْـظـى بـأَجْـرٍ وافـرٍ   إذْ ذِكْرُهـم دِينٌ وتَقْوى واعْتِصامْ
الحُبُّ في المَوْلى مُلائم سَعْدَنا   والبُغْضُ فيه مَحْك أَحْكَام الأنامْ

وعنه[149] أيضاً: «من ورّخ مُؤمناً فكأنما أحياه، ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً[150]، ومن زار وليَّ الله فقد استوجب رِضوان الله في غُرَف الجنّة، وحقّ على المَزُور أن يُكرم زائره». وعنه أيضاً: «ذِكْر الصالحين من الأموات رحمة الأحياء من أهل المودّات، ويُرجى لمن وَرَّخ جماعة أن يشفع السعيد منهم في الشقيّ، وفي الخبر: «لكُلّ امرىء منهم ما نوى والأعمال بالنيّات»[151]، وفي لفظ: «إذا ذُكر الله نزل الرِّضوان، وإذا ذُكر رسول الله ﷺ نزلت المحبّة، وإذا ذُكر الصالحون نزلت الرحمة، وهم

---

(147) تُوفّي في أو قبل سَنَة 678هـ/ 1279-80م على ما يذكر هامش على مخطوطة ليدن. وقد ذكر في **الشّفاء** لتقي الدِّين وفي **العِقْد** (في مقدّمة ترجمة ابن سبعين). انظر: بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص635، وانظر أعلاه ص211.

(148) لقد ذُكرت الجملة الثانية من هذه الثلاث في **صحيح البُخاري**، ج4، ص5 طبعة كريهل، **صحيح مُسْلِم**، ج10، ص68 (بولاق 1304هـ على هامش **الإرشاد** للقَسْطَلّاني، **تاريخ بغداد**، ج2، ص16 ترجمة البُخاري) ج4، ص259، ج11، ص227، ج13، ص86، 455، أبو شامة. **الرَّوضتين** ص7 (طبعة باريس 1898م).
Recueil des hist. des Croisades, (Hist Or., 4).

(149) يبدو أنّ هذه الأحاديث أُخذت من مصدر واحد.

(150) انظر: **الإعلان**، ص19.

(151) يكثر نقل الجملة الثانية وهي مشهورة، على ما يقول أبو داود أحد أصحاب الصِّحاح الستة (**تاريخ بغداد**، ج9، ص57) انظر مثلاً: أُسامة بن مُنقذ، **لُباب الآداب**، ص333 (القاهرة 1354هـ/ 1935م) **الإعلان** ص46 فما بعد.

في السعادة جُلساء من ذكرهم، ومن أحبّ شيئاً أَكْثَرَ من ذِكْره[152]، والمرء مع من أحبّ وله ما نَوَى»[153].

وقال التَّاج أبو طالب عليّ بن أنجب الخازن[154]: «أَرْوَح الأشياء للخاطر المتعوب، مُطالعة وسماع، وأَنْفى لطرد الهمِّ المجلوب فائدة وانتفاع، وأحسن الأسمار وأطيب الأخبار ما حصل به موعظة واعتبار، وهو علم التواريخ والأخبار، ومنه أيضاً يُعلَم تقلُّب الدُّوَل وسُرعة انتقالها وتصرُّف الأحوال بانقضائها وزوالها». وقال في كتابه: **أخبار الوُزراء في دُوَل الأئمّة الخُلفاء** إنه «رأى ذلك أَوْفى مُصنَّفات التواريخ فائدة، وأكثرها عائدة، وأجلّها أثراً، وأطيبها خبراً وأحسنها سَمَراً، وأحلاها ثمراً. لأنَّ فيها ما بَعَثَ على اجتلاب الفضائل، واجتناب الرذائل، وفي مَصارع الأعيان، ومن ساعده الزمان، وملك البُنيان، اعتباراً لمن اعتبر، وتجربة لمن تفكَّر. إذ اللّبيب يرى مكارم الأخلاق فيستحسنها، ورذائل الأفعال فيستهجنها، وعوائد الخير فيطلبها، وعواقب الشر فيجتنبها. وما زال أرباب الهِمَم العليّة، والنُّفوس الأبيّة، يتطلَّعون إلى محاسن الأخبار ليجعلوها لَقاحاً لأفهامهم، وصِقالاً لأذهانهم، وتَذْكِرة لقلوبهم، ورياضة لعقولهم. ثُمّ إنّ تأمُّل ذلك يبعث على التوحيد، والاعتراف بوحدانية الباري جلَّ جلاله. إذ في تدبُّر مجاري الأقدار، وتقلُّب الأدوار، واختلاف الليل والنهار، وتوالي الأُمم وتعاقُبها، وتداول الدُّول وتناوئها، عِظة للمُتَّعظين، وتنبيه للغافلين. قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 140] ولو لم يكن في ذلك إلا ما ينتفع به المُعتبِر من قلّة الثِّقة بالدُّنيا الفانية، وكثرة الرغبة في الآخرة الباقية، لكفى ما تتوجّه إليه البصيرة من جميل الأفعال، وتحثّ عليه من مصالح الأعمال». وقال أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عليّ الأنصاري القَيْرَواني[155]

(152) انظر: المُبَشِّر: **مُختار الحِكَم**، كلام هوميروس رقم 6 في الطبعة التي عدّها.

(153) انظر أعلاه: هامش 148، حسن السَّنْدُوبي: **رسائل الجاحظ**، ص304 فما بعد (القاهرة 1352هـ).

(154) وهو يُعرف أيضاً بـ «ابن السَّاعي» (593-674هـ/ 1197-1275م). انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص590.

(155) لا يُوجد هذا النصّ في **معالم الإيمان** (تونس 1320-25هـ) أو طبعة ابن النَّاجي =

في تاريخه إنه: «اقتصر منهم على أهل العلم والدِّين وعِباد الله الصالحين. وذلك أَلْيق وأجْمل وأشْرف وأكْمل وأسْبق إلى الأجر الجليل والثواب الحفيل، لِما في ذِكْرهم من استنزال البركات الجَمّة، واستجلاب القُرَب المُلمّة. فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»[156].

وقال البهاء أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي ما أدرجناه في حِكاية كلام ابن جَرِير الماضي[157]. وقال العَلَم أبو محمد القاسم بن محمد البِرْزالي[158]: «وهو من أحسن العُلوم وأشهاها، وأجلّ الفوائد وأبهاها، وأكمل المُحاضرات وأزْهاها، لأنه سبيل إلى الاعتبار، ومنهاج يعين على الاستبصار، وتُحفة تُريك من مضى من الأُمم عِياناً، ونُزهة تَشرح للمُطالع فيه قلباً وتبسط له لساناً». وقال الكمال جعفر الأُدْفُوي[159] في مُقدّمة **الطالع السعيد** هو: «فنّ يُحتاج إليه، وتُشدَّد الضَّنانة عليه، إذ به يَعرف الخَلَف أحوال السَّلَف، ويُميّزوا منهم من يستحقّ التعظيم والتبجيل، ممّن هو أهون من النَّقير وأحقر من الفَتيل، ومن وُسم منهم بالجَرْح أو بالتعديل، وما سلكوه من الطرائق، واتّصفوا به من الخلائق، وأبرزوه من الحقائق للخلائق. وهو أيضاً من أقوى الأسباب في حفظ الأنساب أن تنساب، وقد وضع فيه السادة الحُفّاظ، والأئمة العُلماء الأيقاظ، كُتُباً تُكاثِر نُجوم السماء. ثُمّ منهم بيقين من رتَّب على السنين، ومنهم من رتَّب على الأسماء ليكون أَسْنى وأسمى[160]، ثُمّ منهم من خصَّ بعض البلاد، ومنهم من عمَّ كُلَّ قطر وناد»[161].

وقال محمد بن إبراهيم بن ساعد بن الأَكْفَاني في **إرشاد القاصد إلى أسْنى**

= لكتاب القَيْرَواني (تُوفّي سَنَة 696هـ/ 1297م. انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص337).

(156) انظر: عن الجملة الأخيرة ص363، هامش 122.

(157) انظر ص357 في هذا الكتاب.

(158) 665-739هـ/ 1267-1339م (انظر بروكلمان: ج2، ص36).

(159) جعفر بن ثعلب (؟) الأُدْفُوي (تُوفّي سَنَة 748هـ/ 1347م. انظر بروكلمان: ج2، ص31)، **الطالع السعيد**، ص4 (القاهرة 1333هـ/ 1914م).

(160) من النصّ لعب على الألفاظ جميل وغير قليل.

(161) **الطالع السعيد** يذكر «وادٍ» بدل «نادٍ».

المقاصد[162]، وهو كتاب نفيس ما نصُّه: «وكُتُب التواريخ يُنتفع بها في الاطِّلاع على أخبار المُلوك والعُلماء والأعيان وحوادث الحَدَثان في الماضي من الزمان، وفي ذلك ترويح للخاطر، وعِبَر لأُولي البصائر. وأَضْبَط التواريخ في زماننا الذي جمعه ابن الأثير الجَزَري، وقد جمع في بعض الكُتُب بين عُيون الأخبار ومُستحسنات الأشعار، فجاءت حسنة التأليف كـ **التذكرة الحمدونية**[163]، و**ريحانة الأدب** لابن سعيد[164]، و**العِقْد** لابن عبد ربه[165]، و**فَصْل الخِطاب** للتِّيفاشي[166]، و**نثر الدُّرَر** للآبي ونحوها[167].

ورأيتُ من نقل عن ابن الأكفاني في كتابه **الدُّر النظيم في العلم والتعليم**[168] ما نصّه: «وكتب التواريخ يُنتفع بها للاطِّلاع على أخبار العُلماء والعُقلاء ووقائعهم، وحوادث الحَدَثان وسِيَر الناس، وما أبقى الدهر من فضائلهم ورذائلهم بعد أن أبادهم»[169]. وسمَّى الوليّ الشهير العفيف اليافعي تاريخه

---

(162) الأَكْفَاني (تُوفِّي سَنَة 749هـ/ 1348م). انظر بروكلمان: ج2، ص137 **إرشاد**، ص15 (القاهرة 1318هـ/ 1900م).

(163) محمد بن الحسن بن حَمْدُون، تُوفِّي سَنَة 562هـ/ 1167م (انظر بروكلمان: ج1، ص280 فما بعد).

(164) عليّ بن موسى بن سعيد من القرن السابع ـ الثالث عشر (انظر بروكلمان: ج1، ص336 فما بعد) انظر حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج3، ص524، طبعة فلوجل. ومن الغريب أنّ النصّ في **الإعلان** يذكر **تجارب الأُمم**، وهو عنوان كتاب مشهور لمِسْكَوَيه. أما العنوان الصحيح فهو مذكور في ص162 من **الإعلان** وفي الأَكْفاني. ثُمّ إنّ النُّقطتين الأخيرتين من نص الأَكْفاني مُضطربة في نصّ **الإعلان** وقد أصلحتُ في هذا النص تَبَعاً لنصّ الأَكْفاني، إذ إنّ نفس الاضطراب يظهر في ص162 من **الإعلان** ممّا يدلّ على أنّ السَّخاوي استعمل نُسخة مغلوطة من **الإرشاد** أو أنّ قلّة معرفته بكُتُب الأدب أوقعته في هذا الخطأ.

(165) أحمد بن محمد، تُوفِّي سَنَة 328هـ/ 940م (انظر بروكلمان: ج1، ص154 فما بعد).

(166) أحمد بن يوسف، تُوفِّي سَنَة 651هـ/ 1253م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص904).

(167) منصور بن الحسين، تُوفِّي سَنَة 421هـ/ 1030م. (انظر بروكلمان: ج1، ص351).

(168) انظر بروكلمان: ج2، ص137.

(169) انظر عن الجملة الأخيرة **الإعلان**: ص38 فما بعد.

المُرتّب على سِنِيّ الهجرة مرآة الجَنَان وعبرات اليقظان في معرفة ما يُعتبر به من حوادث الزمان، وتقلُّب أحوال الإنسان، وتاريخ موت بعض المشهورين الأعيان وأنشد في أوله[170]:

أيا طالباً علمَ التواريخِ لم يُشَنْ ... بإخلال تفريط وإملال إفراطِ
تَلَقّ كتاباً قد أتى مُتوسّطاً ... وخير أُمور حلَّ منها بأوساطِ
مُحلَّى بأشعار زهت ونَوادر ... وما لاقَ من إثبات ذِكْرٍ وإسقاطِ
ومِنْ دُررِ الألفاظ غُرّ معانٍ ... ونخبات جودات نقاوة لقاطِ
بذاك اعتبار واطّلاع مُطالع ... على علم دهر رافع الدهر[171] حطّاطِ
وتصريف أيام حكيم مُداول ... بها مقسط في خلفه غير قسّاطِ
فكم في تواريخ الوقائع عِبْرَةٌ ... لمُعتبرٍ خاشي العواقبِ مُحتاطِ
فتى من صُروف الدهر حزم مُجانب ... تعاطى أموراً مُعطيات لمُتعاطِ
قَنوع بما فيه الخبير أقامه ... وقدره راضي القضا غير مسخاطِ
أَجِرْ ربِّ من كُلّ البلايا وفتنة ... بدينا بها كم ذي افتتان وكم خاطي
وكم غارق في بحرها جاء لشطّه ... فكيف بِمَنْ للبحر قد جاوز الشاطي

وقال البدر أبو محمد عبدالله بن محمد بن فَرْحُون المَدَني المالكي في **نصيحة المُشاور وتعزية المُجاور** الذي ردَّ فيه على من أَنْكَر وضع حجر أو نحوه بالمسجد النبويّ علماً لمجلس حاكم أو مُفتٍ أو عالم، واستطرد فيه لذكر جماعة من مُعاصريه، وشيء من كَراماتهم، ليحيا بها ذكرهم، وينتشر بسببها علمهم. وأَلْحَقَ بذلك أشياء حَسَنة من تواريخ مَنْ قبله من الثِّقات. وقال: «إنه يرتاح إليها من سمع بها، ولم يقف على صِحّة نقلها، فيجدها هنا وعسى أن يقف على ذلك

(170) عبدالله بن أسعد (تُوفّي سَنَة 768هـ/ 1367م) (انظر بروكلمان: ج2، ص176 فما بعد) **مرآة الجنان**، ج1، ص3 فما بعد (حيدرآباد 1337-9هـ).
(171) اليافعي: الخلق.

مُنصف، فيتّصف بأخلاقهم السَّنِيّة، ويتأدّب بآدابهم العليّة»[172]. وقال: «إنّ الله عظَّم للعُلماء أجراً، بِمَن تسلَّط عليهم من جَهَلة الناس[173]، سيّما من يزعم في نفسه الاتّقاء في دفع الإلباس، مع تخلّفه عن هذه المرتّبة. ولله دَرُّ مالك رحمه الله تعالى حيث قال: لا خَيْر فِيمَن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلاً، وما جلست بالمسجد حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم بالتأهُّل. رحمه الله وإيانا»[174]. وقال الحافظ المُحْيَوي وأبو محمد عبد القادر القُرَشي الحَنَفي[175] في **طبقاتهم** «إنّ في ذكر تراجم العُلماء، من أحوالهم ومَنَاقبهم وأعصارهم ومَراتبهم، فوائد نفيسة ومهمّات جليلة، منها طمأنينة القلب. فقد قال جماعة من السَّلَف في قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] هو ذكر أصحاب النبيِّ ﷺ، وكيف لا وهم مُشرّفون بِأمور أعظمها رُؤية النبيِّ ﷺ، وحسن اتّباعهم له، واكتسابهم العلم. ومنها التأدُّب بآدابهم، والاقتباس من محاسن آثارهم. ومنها إنزال كُلٍّ منهم منزلته، فلا يقصر بالعالي في الجلال عن درجته، ولا يرفع غيره عن مرتبته، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]. وأشار ﷺ لذلك بقوله: «**لِيَلِيَنِ منكم أُولو الأحلام والنُّهى**»[176]. ومنها الترجيح عند المُعارضة للأعلم والأَوْرَع. ومنها بيان ما لهم من المُصنَّفات وتمييز المُنتفع به منها. ومنها زَوَال الوَسْم له بجهالتهم والتعرّض من غيره

---

(172) ابن فَرْحُون (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص221). **نصيحة المُشاور**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 68، ص3. يذكر ابن حجر في **الدُّرر** ج2، ص300 أنّ رجلاً اسمه عبدالله بن محمد بن فرحون، تُوفّي سَنَة 769هـ/ 1368م، غير أنّ الكتاب، على ما تذكر المخطوطة، أُنجز في 21 رمضان سَنَة 777هـ/ 13 فبراير 1376م (بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص221، 774). وقد كتبت مخطوطة القاهرة سَنَة 1093هـ/ 1682م غير أنّ نصفها الأول إضافة مُتأخرة.

(173) يظهر هذا القسم من **المُقْتَطَف** على ص1 من مخطوطة القاهرة.

(174) يظهر هذا القسم من **المُقْتَطَف** في ص2.

(175) عبد القادر بن محمد (تُوفّي سَنَة 775هـ/ 1373م، انظر بروكلمان: ج2، ص80) **الجواهر المُضية في طبقات الحَنَفية**، ج1، ص3، 6 (حيدرآباد 1332هـ).

(176) راجع: **تاريخ الطَّبَري**، ج9، ص281، ج11، ص192، ج12، ص150 **مُسْنَد أبي عَوانة**، ج2، ص41 فما بعد (حيدرآباد 1362-3هـ) طاشْكُبْري زاده: **مفتاح**، ج1، ص67 (حيدرآباد 1328-56هـ) وفي مخطوطة ليدن النصّ الصحيح.

لاستجهالهم[177] انتهى مُلخَّصاً. وقد قال سُفيان بن عُيَيْنة «عند ذِكْر الصالحين تَنزل الرحمة»[178]. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: «الحِكايات عن العُلماء ومحاسنهم أحبّ إليَّ من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم»[179]. وأما ما لعلّه يذكر من مِحَن مُمتحنهم فَفِيه مَسْلاة للمُمْتَحَنين، وأدلّة على ثَبات قَدَمهم في الصالحين، وكذا ما يذكر من بُلدانهم وأوطانهم فوائد كثيرة. وقال البرهان أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن فَرْحُون[180] ابن أخي الماضي في خطبة **طبقات المالكية** له: «شرف العلم لهذا العلم معلوم[181]، والجهل به مذموم، وليس هو ممّا قِيل فيه علم لا ينفع وجهالة لا تضرّ، فإن ذلك مَقُول في علم الأنساب، وهو فنّ غير هذا» انتهى. بل الأنساب ممّا يجب الاهتمام به، وفوائده كثيرة قد ذكرها ابن عبد البَرّ[182]، وأَوْدَع الشِّهاب القَلْقَشندي[183] في كتابه فيه فيها

---

(177) استجهال، للمجهول انظر عن هذا النصّ الفنّي: الخطيب البغدادي، **الكفاية**، ص88 فما بعد (حيدرآباد 1357هـ) والجُملة الأخيرة غير مذكورة في النصّ المطبوع من **الجواهر**.

(178) انظر: **الإعلان** ص20، أعلاه ص363، هامش 122.

(179) أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت، تُوفّي سَنَة 150 أو 151هـ/ 767-8م (انظر بروكلمان: ج1، ص71-169) وقد اقْتَبَسَ هذا النصّ أبو بكر ابن العربي (انظر بروكلمان، ج1، ص412 فما بعد، و**الملحق**، ج1، ص663، 732 فما بعد) **مراقي الزُّلفى** من ابن الحاج العَبْدَري: **مدخل الشرع الشريف**، ج1، ص56 فما بعد (القاهرة 1320هـ).

(180) تُوفّي سَنَة 799 هـ/ 1397م (انظر بروكلمان: ج2، ص175 فما بعد) انظر كتابه: **طبقات المالكية**، ص2 (فارس 1316هـ).

(181) ابن فَرْحُون: الفن.

(182) يوسف بن عبدالله (تُوفّي سَنَة 463هـ/ 1071م، انظر بروكلمان: ج1، ص367 فما بعد) أن الأنساب علم لا تُفيد مَعرفته ولا يضرّ جهله، انظر كتاب **جامع بيان العلم**، ج2، ص23 (القاهرة. بلا تاريخ) وكتابه **الإنباه** ص43 (القاهرة 1350هـ) وقد اتّبع حديثاً نبوياً، انظر أيضاً ابن حزم: **جَمْهَرة**، ص3، 5 (القاهرة 1948م) السَّمْعاني: **أنساب** ص3ب ـ 4أ، الغزالي: **إحياء**، ج1، ص27 (القاهرة 1334هـ)، ابن خلدون: **المُقدّمة**، ج1، ص236، طبعة باريس، ابن حَجَر: **لسان**، ج3، ص104.

(183) أحمد بن عليّ، تُوفّي سَنَة 821هـ/ 1418م (انظر بروكلمان: ج2، ص134) ولعلّ الكتاب المُشار إليه هو **صُبح الأَعْشَى**، وفيه فَصل عن أنساب العرب اللهمَّ إلا إذا كان المقصود هو **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**. (انظر **الإعلان**: ص109، أدناه ص509).

الكثير، وقال وليّ الدِّين بن خلدون المالكي[184] في تاريخه[185].

وقال المُوفَّق أبو الحسن عليّ بن الحسن بن أبي بكر الخَزْرَجي[186] في مُقدّمة **تاريخ اليمن** ما نصّه: «حَدَاني على جَمْعِه ما رَأَيْت من إهمال الناس لفنّ التاريخ، مع شِدّة احتياجهم إليه وتعويلهم في كثير من الأُمور عليه، ولِما يَندرج في ضِمْنه من المواعظ والآداب، وتفصيل شوابك الأرحام والأنساب»، قال: «ولولا معرفة التاريخ ما اتّصل أحد من الخَلَف بشيء من أخبار السَّلَف، ولا عُرف فاضل من مفضول، ولا امتاز معروف عن مجهول». وقال الشمس محمد ابن عَمّار المصري المالكي[187]: «لو لم يكن من فوائده إلا رُؤية الحِكايات السالفة، والروايات المُترادفة، فإن فيها ما يُسلّي الوجد من سُوء هذا الزمن الأليم، ويعلم منها أنّ مصراع الهمّ قديم»، فحكى الأستاذ أبو عبدالله ابن الأبّار أديب الأندلس[188] في **التُحفة** أنّ الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين[189] خرج غازياً في جماعة، منهم ميمون الهَوَّاري، أحد فُقهاء قُرطبة ونُبهائها، والقاضي أبو الوليد بن رشد[190]، وكان مَدَار أمرهم عليه، ومصرف حكمهم إليه. فَنَزلوا بظاهر مُرْسية. فَلَقِيهم أبو محمد بن أبي جعفر هنالك، ودار بينهم في مُجتمعهم ما أَفْضى إلى التفضيل بين لا إله إلا الله والحمد لله، فغلَّب أبو الوليد

---

(184) عبد الرحمن بن محمد 732-808هـ/ 1332-1406م (انظر بروكلمان: ج2، ص5-242)، ولعلّ السَّخاوي كان يُريد الاقتباس من الصفحات الأُولى من **المقدّمة**.

(185) كذا بياض في الأصل.

(186) تُوفّي سَنَة 812هـ/ 1409م (انظر بروكلمان: ج2، ص184 فما بعد).

(187) قد يبدو أن المُقتطف من ابن عمّار (انظر ص350) يستمرّ إلى ص362، سطر 2.

(188) محمد بن عبدالله، تُوفّي سَنَة 658هـ/ 1260م (انظر بروكلمان: ج1، ص340 فما بعد).
وقد أشار ابن الأبّار نفسه إلى هذه القِصّة في كلام قصير عن ميمون الهَوَّاري في **التكملة** ص395، طبعة كوديرا.
Codera (Madrid 1889 *Bibl. Arabico - Hispana* 6.
وهي مذكورة في كتابه **تُحفة القادم**. انظر **المشرق** مُجلّد 91، ص371 فما بعد (1947م).

(189) تُوفّي سَنَة 520هـ/ 1126م (انظر: ابن أبي زَرْع، ص106 ترجمة 145 تورنبرغ، أُبسالا 1843-6م).

(190) محمد بن أحمد، تُوفّي سَنَة 520هـ/ 1126م (انظر بروكلمان: ج1، ص384).

الهَيْلَلة، وأبو محمد الحَمْدَلة. فقال ميمون يُخاطبه زارياً عليه وكتب به إليه:

أَعِدْ نظراً فيما كتبتَ ولا تَكن بغير سِهام للنِّضال مُسارعا
فدونَك تسليم العُلوم لأهلها وحَسْبُك منها أن تكون مُتابعا
أَخِلْتَ ابن رشد كالذين عُهدتهم ومن دونه تلقى الهِزَبْرَ مُدافعا

فأجابه أبو جعفر بن وَضّاح[191] مُنتصراً لأبي محمد وعلى لسانه:

رُوَيْدَك ما نبَّهْتَ منّي نائماً ودونك فاسمعها إذا كنتَ سامعا
فلو سلَّمْتَ تلك العُلوم لأهلها لما كنتُ فيما تدَّعيه مُنازعا
ولو ضَمَّنا عند التناظُر مجلسٌ سقيناك فيه السُّمَّ لكن ناقعا

وقد حَكَى ابن عمّار هذا أيضاً في محلّ غير ما نحن فيه، لكنني أردتُ بِحكايته تَمام الاستشهاد به للتسلِّي، وذلك أنه قال: «ولا شكّ أنّ العلم قد شَرِك فيه غير أهله قديماً، ولا أُريد بالشَّرِكة أنهم داخلوا العُلماء بالحرص على الجدّ في الطلب للعلم حتى ينالوا مَرتبتهم العليّة. وإنما شَرِكوهم بسيف الجاه وحَيْف المال في مَراتبهم المُستحقّة لهم شرعاً وقهراً وغلبة، والتلبُّس بخِرقة طَيْلسانهم وعَذَبتهم، وإذا كُشف الغِطاء عنهم بعين الحقّ والنُّور تجدهم تَشَبَّهوا[192] بما لم يُعطوا، ولبسوا ثوبَيْ بُهتان وزُور، وانقلبوا هُزْأة للساخرين، وضُحْكة للناظرين، بل صاروا تاريخاً يُعاد بِذكره ويبدأ ويُراد التنويه به في دفع الأعداء». قال: «وقد غُبِنَ الناس قديماً وحديثاً، وماتوا حقيقة، وإن كانوا بالعلم أحياء تصنيفاً وتحديثاً فسِيبَوَيه الذي هو إمام النَّحو، وأَخَذَه عن العرب شِفاهاً، والفائق في تعبيره عن العُلوم التي حقّقها واصطفاها، قد قتله الغُبْن، وخصمه المُناظِر له الكِسائي لمّا أَحْضَره البرامكة معه وسأله عن مسألة الزُّنْبُور[193]، وأجاب سيبويه بالصَّواب فيها

---

(191) أحمد بن مَسْلَمة توفي حوالى سَنَة 530هـ/ 1135-6م، انظر:
E. Levi Provençal. *La Peninsula Iberique* 32 fn 2 (Leiden 1938).
ويظهر أن البيت الأخير من قصيدة ابن وَضّاح يُشير إلى المُناقشات الحامية.

(192) تُفضّل قراءة مخطوطة ليدن «تَشَبَّعوا».

(193) عن نَحَويي القرن الثاني المشهورين: عمرو بن عثمان سِيْبَويَه (انظر بروكلمان: =

وما تقتضيه طبيعة العرب وألسنتهم، والكِسائي يأباه مُغالبة بسيف النجوة والمنزلة عند الرشيد، حتى أحضروا العرب لتصويب أحدهما، فَوَافَقت الكسائي، بمُجَرَّد القولِ، قولَ الكسائي لمنزلة، أو لكونهم فيما قيل أُرْشوا على ذلك، مع كونهم لا يستطيعون النُّطق به، وسيبويه يقول ليحيى بن خالد البرمكي[194] مُرْهُم أن يَنطقوا بذلك، فإن ألسنتهم لا تَنهض به. فما وَسِع سيبويه إلا أن خرج من البصرة قَهْراً وغُبْناً إلى فارس، وأَقَام بها حتى مات. وقد ضَمَّنَ ابن حازم الأندلسي[195] الواقعة مع الإشارة إلى المسألة مَنْظومته النَّحوية، فقال وساق الأبيات.

وممَّن مات بأُخَرَة غُبْناً، الجَمَالُ بن مالك راوية جزيرة العرب[196] نحواً ولغة، فإنه مع أوصافه الجليلة، وكونه كان على جانب عظيم من الاحتياج وضيق الوقت، عُورِض فيما استقرَّ فيه من خطابة ببعض قُرى دمشق من بعض جَهَلتها، وانتُزعت منه له، فكاد أن يموت، سيّما وقد حَضَر الجُمعة وسأل الجاهل المُشار إليه بعد فَراغه من الخُطبة والصَّلاة عن مَخْرج الألف، فتحيَّر، وظنّ أنه كلّمه بالعجمية ثم عدّد له حُروف الهجاء مُبتدئاً بالألف، وسردها فصاح العامّة الذين تعصّبوا لهذا الجاهل سُروراً، لكونه سُئل عن مسألة فأجاب بتسع وعشرين، وما وجد الجَمَال ناصراً، بل استكان، ومات بعد أيام يسيرة، وأطال ابن عمَّار في حكايته هذا وأشباهه. وقال: إنّ ابن الرِّفعة[197] مع جلالته لم يصل لمنصب الإعادة، فضلاً عن التدريس الذي ارتقى إليه الجُهّال بالمال أو بالاختلاط

= ج1، ص100-2) وعليّ بن حمزة الكسائي (انظر بروكلمان: ج1، ص115). وعن المسألة الزُّنْبوريّة، انظر:

A. Fischer, *Die Mas'ala Zunbûrîja*, in *A Volume of Oriental Studies Presented to E.G. Browne* 150-56 (Cambridege 1922) *idem* in *Islamica* V 211 ff. (1931).

(194) تُوفّي سَنَة 189هـ/ 805م.

(195) حازم بن محمد، تُوفّي سَنَة 684هـ/ 1285م (انظر بروكلمان: ج1، ص269)، وقد أورد هذا الشعر ابن هشام: **مغني اللبيب**، ج1، ص75 فما بعد (القاهرة 1317هـ).

(196) من الواضح أنه محمد بن عبدالله مُؤلّف **الألفية**، تُوفّي سَنَة 672هـ/ 1274م (انظر بروكلمان: ج1، ص298-300).

(197) الظاهر أنه أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 710هـ/ 1310م (انظر بروكلمان: ج2، ص133 فما بعد) وعلى كُلٍّ فقد كان رجلاً ناجحاً جداً.

بالمُتَجَوِّهين الأنذال. وكان غاية ما وَصَل إليه ابن الحاجب[198] بالقاهرة والإسكندرية عند عوده من دمشق أن عملوه شاهداً، مع قول ابن خَلِّكان[199] في تاريخه إنه «جَاءَني مِراراً بسبب أداء شهادات، وسألته عن أماكن من العربية مُشكلة فأجاب عنها وأبلغ، مع سُكون كثير وتثبُّت تام». وسَرَد (ابن عَمّار) شيئاً من ذلك ممّا كلّه ليس من عَرَضنا هنا، ولكن الحديث شُجون[200]، سيّما وقد بسطته مع أشباهه في مُؤلّف آخر سمّيتُه **الفُرْجة**[201].

وقال التَّقي المَقْرِيزي «العِلْم في الجُملة على قسمين: عقليّ ونقليّ، فينبغي أن يتفرّغ المَرء بعد إتقان ما يجب مَعرفته منهما لمُطالعة التاريخ وتدبُّر مواعظه، فإنه يحصل بتدبيره لمن أزال الله تعالى أَكِنّة قلبه، وغِشاوة بصره، نتيجة العلم بما صار إليه أبناء جنسه من الغَناء[202] والبُيُود، بعد التخوُّل في الأموال والجُنُود[203]، فيُخطئ بالعُزوف عن الدُّنيا والرَّغبة في الآخرة»، ثم قال: «فما أقبح من اتَّسم بالعِلْم وزَعَمَ أنه من ذوي الدِّراية والفَهْم، إذا سئل عن رُسِل الله تعالى الذين أُمِر بالإيمان بهم، فلم يُجب بغير سَرْد أسماء يجهل مُسمّياتها. وما أسوأ من تصدَّى للتدريس والإفتاء وتصدَّى للحُكم بين الناس وفصل القضايا، إذا جهل من أحوال المصطفى ﷺ ونَسَبه وجميل سِيرته ورفع منصبه وما كان له من الفضائل الذاتية والعَرَضية ما لا غَناء لمن آمن به عن معرفته، ولا بدَّ لكُلّ من

---

(198) عثمان بن عُمَر، تُوفّي سَنَة 649هـ/ 1249م (انظر بروكلمان: ج1، ص303-6).

(199) أحمد بن محمد بن خَلِّكان (تُوفّي سَنَة 681هـ/ 1282م. انظر بروكلمان: ج1، ص326-8) **وفيات** ج1، ص194 ترجمة دي سلان.

(200) عن هذا المَثَل انظر مثلاً: لين Lane، ص1509ب، مادة «رد، شجن» أو عُمارة الحَكَمي: **النُّكَت العصرية**، ص6 طبعة:
Derenburg, Paris 1897, Pub. de l'Ecole des Langues or *Viv* IVe Seria, Vol. 16.

(201) العنوان الكامل **الفُرجة بكائنات الكاملية التي ليس فيها للمُعارض حُجّة** (**الضَّوء**، ج8، ص17 سطر 24 فما بعد).

(202) في نص **الخِطط** «الفَناء».

(203) أحمد بن عليّ المَقْرِيزي 766-845هـ/ 1364-1442م (انظر بروكلمان: ج2، ص38-41) وهذا المُقتطف يتفق إلى هذه النُّقطة مع ما جاء في **الخِطط**، ج1، ص4 (بولاق 1270هـ).

اتَّسم بالعِلْم من دِرايته. فما أَجْدر من كان كذلك أن يُجيب فتّانَي القبر إذا سألاه[204] ما تَقُول في هذا الرَّجل بأن يقول: لا أدري سمعت الناس يقولون فقلتُ[205]، أَعَاذنا الله من ذلك. ولذا، قال أبو الحسين بن فارس[206] أحد أئمّة النُّحاة واللُّغويين: «إنّ هذا بخُصوصه ممّا يحقّ مَعرفته على المُسلمين: أُفٍّ على من يَزْعم أنه عالِم، ولا يدري من هم السَّابقون الأوّلون من المُهاجرين، ولا يُفرّق بين من أَنْفق من قبل الفتح وقاتل، وبين من أَنْفق من بعد ذلك، ولا يعرف من أهل بَدْر الذين قيل فيهم: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[207]، ولا من أهل بَيْعة الرِّضوان الذين لا تمسّهم النار[208]، ولا يَعرف من الأنصار الذين أُمرنا أن نُحسن لمُحسنهم ونَتَجاوز عن مُسيئهم وحُبّهم إيمان[209]. وقال المَقْريزي فيما نَقَلَه النَّجم بن فَهْد[210] عن خَطّه «من أَرَّخ فقد حَاسَب الأيام على عُمره، ومن كَتَب حوادث دَهره فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره، فهو يهدي إلى الفُضَلاء أعماراً، ويَبُوء أسماعهم وأبصارهم دياراً ما كانت دياراً»[211].

غَـرَّنـي أن أرى الـديـار بـعَـيْـنـي ولـعـلـي أرى الـديـارَ بِـسَـمْـعـي[212]

---

(204) عن المَلَكَيْن مُنْكَر ونكِير، انظر: **لسان العرب**، ج17، ص197 (بولاق 1300-7هـ).

(205) انظر: **الفِهرس المُفصّل**، ج2، ص537أ، **الإعلان** ص47.

(206) أحمد بن فارس: **تُوفّي** بعد سَنَة 390هـ/ 999-1000م (انظر بروكلمان: ج1، ص130) انظر: **الإعلان**، ص47 أدناه ص263، ولعلّ هذا النصّ جاء إلى السَّخاوي عن طريق المَقْريزي.

(207) ابن هشام: **السيرة**، ص810، طبعة وستنفلد.

(208) انظر عن بَيْعة الرِّضْوان: ابن هشام: **السيرة**، ص746، طبعة وستنفلد.

(209) انظر: **الفِهرس المُفَصَّل**، ج1، ص401أ، **صحيح البُخاري**، ج3، ص6، 9، طبعة كريهل، **تاريخ بغداد**، ج1، ص295، ابن حَزم: **جمهرة** ص3 (القاهرة 1948م)، ابن خلدون، **المُقدّمة** ج1، ص350، طبعة باريس.

(210) عمر بن محمد، 812-885هـ/ 1409-1480م (انظر بروكلمان: ج2، ص175) **الضّوء**، ج6، ص31-125.

(211) «لهم» أضافها النَّهْرَوالي (انظر: الهامش الثاني).

(212) هذا شعر للشريف الرَّضِي محمد بن الحسين (تُوفّي سَنَة 406هـ/ 1015م. انظر بروكلمان: ج1، ص82)، انظر: **ديوانه**، ج2، ص82، (القاهرة 1306هـ، =

فسبُحان من هو كُلّ يوم في شأن. وقال في خُطبة كتابه **العُقود الفريدة**: «إنّ الله أقام الخلائق جيلاً بعد جيل، واستعمَرهم قَبِيلاً في إثر قَبِيل، ليبقيَ الأولُ للثاني قِصَصَه مَواعظَ وعِبَراً، ويُحيي الآخِرُ للمُتقدِّم ذِكْراً وينشر خَبَراً، كي يَرْعوي الفَطِن عن فعل يُذَمّ ويُستقبح، ويقتدي الأديب بِمَا هو الأحسن من الأخلاق والأصلح» إلى آخر كلامه. وقال التَّقي بن قاضي شُهْبة[213]: «إنّ ذكره لِمَنْ يكون من المُتأخّرين ليتشرّف بسماع أخبارهم مع عزّة وجود تراجمهم، وحينئذٍ يكون هذا من جُملة فوائده». وقال البدر حسين الأهَدْل[214] في أول **تُحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**: «إنه من العُلوم المُفيدة، إذ به يحصل للخَلَف علم أحوال السَّلَف، ويتميّز به أهل الاستقامة عن أهل الصَّلَف، ويستفيد به الناظر الاعتبار ومعرفة عُقول الأوائل، ويتبيّن به كثيراً من الدلائل. ولولاه لجُهلت الأحوال والدُّول والأنساب والأسباب، ولَمَا عُرِف الفَرْق بين الجَهَلة وذوي الألباب، وقد قيل إنّ الله تعالى أنزل سِفْراً من التوراة مُفرداً مُضمَّناً أحوال الأُمم السالفة ومُدَد أعمارها وبيان أنسابها»[215]. ولقد أرسل إليَّ العالم المُحْيَوي الكافِيَجي الحَنَفي[216] المُجْمِل لي بقوله: «أنت أَعْلم أهل عَصرك بالمعقول والمنقول»[217] بمُؤلّف له في ذلك انتهى منه في رَجَب سَنَة سبع وستين وثمانمائة (مارس 1463م) افتتحه بأنه «من جُملة العُلوم النافعة في المبدإ والمعاد، وما بينهما.

= ص500، بيروت 1310هـ). الكُتُبي: **فوات**، ج2، ص161 (بولاق 1299هـ) الصَّفَدي: **الوافي**، ج1، ص190 طبعة ريتر، محمد بن أحمد النَّهْرَوالي (تُوفّي حوالى سَنَة 909هـ/ 1582م، تاريخ مكة طبعها:

F. Wustenfeld, *Die Chroniken der Stadt Mekka III*, 4 (Leipzig 1306).

ابن بَسّام: **الذخيرة**، ج4، قسم 1، ص194 (القاهرة، 1945م) ابن الجَوزي: **الأذكياء**، ص2 (القاهرة، 1306هـ).

(213) أبو بكر بن أحمد المُتوفّى سَنَة 851هـ/ 1448م (انظر بروكلمان: ج2، ص51) ورُبّما كان هذا المُقتطف من كتابه **الإعلام بتاريخ أهل الإسلام**.

(214) الحسين بن عبد الرحمن المُتوفّى سَنَة 855هـ/ 1451م (انظر بروكلمان: ج2، ص185).

(215) انظر أيضاً: أعلاه ص357؛ وأدناه ص386.

(216) انظر أعلاه: ص285 فما بعد.

(217) كذا بياض في الأصل.

قال: وفوائده وغَرائبه لا تُعَدّ ولا تُحصى، وهو بحر الدُّرَر في المَرجان لا يُحيط بِمَنَافعه نِطاق التحديد والبيان. وفيه عجائب المُلك والمَلَكوت وإيصال إلى جَنَاب الحَقّ ذي العَظَمة والجَبَروت. ولكن لمّا كان دُرَراً منثورة في عُجاج بحر العُمان، غير مُنتظم في سِلك القواعد والبيان، دَعَاني الحَدْب على أهل الأَرب والأَدب إلى جمعه في قوانين الضَّبط والبيان بقَدْر الوُسع والإمكان، وإن كنتُ بمراحل من جانب التصدّي لهذا الخَطْب العظيم الشأن. ولكن دَوَّنْتُ هذا المُختصر في علم التاريخ تُحفة منّي إلى الإخوان تُحفة النَّملة إلى سليمان»[218]. ثم بَيَّن أنه مُسْتَحِقّ للتّدوين أيَّ استحقاق، يعني لانتشار كُتُبه في سائر الآفاق، وكذا دَوَّنه كما قال تدويناً حسناً مقبولاً قَبولاً بيِّناً، ليكون منقولاً إلى الصُّدور والأقوام، باقياً على ممرّ الأيام والأعوام، مذكوراً باللسان، محفوظاً بالجَنان، وتذكرة وتشويقاً إلى الإتيان بمثله في كُلّ مكان وزمان، وإتياناً بمُوجب القول الذي قد شاع وذاع (كلّ خط ليس في القرطاس ضاع، كُلّ سِرٍّ جاوز الاثنين شاع)[219]. فالتاريخ من المُهمّات العِظام، مقبول عند الأنام، مُشتمل على فِكَر وعِبَر، ومُنطوٍ على مصالح ومحاسن على وجه مُعتبر. ولولاه لم يصل إلينا لا خَبَر ولا أَثَر. وهو غذاء الأرواح والأشباح، خزانة أخبار الناس والرجال، معدن العجائب والغرائب والروايات والأمثال، زَيْن الأديب وعُمْدة اللبيب، عَوْن المُحدِّث وذُخْر الأديب، يحتاج إليه المَلِك والوزير والقائد البصير وغيرهم ممّن عزَّ أمرهم. أما الملك فيعتبر بما مضى من الدُّوَل ومَنْ سلف من الأُمم. وأما الوزير، فيعتبر بفِعال من تقدّم ممّن حاز فضلَي السيف والقلم. وأما قائد الجيوش، فيطّلع به على مكائد الحرب ومواقف الطَّعْن والضَّرْب. وأما غيرهم فيستمعونه على سبيل المُسامرة فيحصل لهم بذلك إلى أنواع الخيرات، والاجتناب عن المُنكرات، المُبادرة. ولأجل هذا قالوا: يجب على المَلِك أن يسلك طريق المُلوك الذين تقدّموا، ويعمل عملهم في الخير، لا فيما عليه تندّموا. وأن يقرأ كُتُب مواعظهم

---

(218) الكافِيَجي: ص291 فما بعد. أما أمر سليمان والنَّملة، فهو يُشير إلى سورة "النَّمل"، آية: 18.

(219) الكافِيَجي: ص301.

ووصاياهم، ويَنظر أحكامهم وقَضاياهم، لأنهم أكثر تجربة واعتباراً، وأبصر غالباً ممّن بعدهم سراً وجَهاراً لأنهم ممّن فَرَّق بين الجيّد والرديّ، وعرف الجليّ من الخَفيّ، وقد كان أنو شروان مع حُسن سيرته يقرأ كُتُب الأوّلين، ويطلب استماع حِكاياتهم، ويمضي على طريقتهم. فإذاً لا غَناء عن التاريخ، فينبغي أن يُعتنى بشأنه، ويُكتب ويُنقل مع الاحتراز عن المُجازفة والرَّجْم بالغيب[220]، بل على حَسَب ما تقدّم. وانظرْ لما نُقل عن صُحُف بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ينبغي للعاقل أن يكون مُقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، حافظاً للسانه[221]، ولمثل هذا قال النبيّ ﷺ: «**كُفَّ عليك هذا**»[222]، وإلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3]، وقوله: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [غافر: 78]. انتهى بمُدْرجات يسيرة (عن الكافِيَجي). وقال صاحبنا ومُفيدنا الحافظ العُمدة النَّجم عمر بن فَهْد الهاشمي المكّي في مُقدّمة كِتابه **الدرُّ الكَمِين بذَيْل العِقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** الذي ذَيَّل به على كتاب شيخه الحافظ التَّقي الفاسي[223] رحمهما الله تعالى ما نصّه: «إنه من العُلوم الحسنة المُفيدة، والتنبيهات المُتعيّنة الأكيدة، إذ به يحصل للمُتأخّرين علم أحوال المُتقدّمين. ولولاه لجُهلت الأحوال، ولَما عُرِف الفَرْق بين العُلماء والجُهّال. وقد اتّفق الناس عليه في كُلّ زمان، وصَنَّفوا فيه كُلّ أنواع وأفْنان. وقيل إنّ الله تعالى أنزل سِفْراً من التوراة مُفرداً مُضمَّناً لأحوال الأُمم السالفة، ومُدَد أعمارهم، وبيان أنسابها»[224]. ثُمّ

(220) انظر سورة الكهف، الآية 22.

(221) يقول الكافِيَجي: إنّ هذا المُقْتَطَف هو من "كُتُب" النبي إبراهيم.

(222) الكافِيَجي: ص499 فما بعد.

(223) محمد بن أحمد (775-832هـ/ 1373-1429م) (انظر بروكلمان: ج2، ص172 فما بعد).

(224) انظر: **الإعلان** ص16، أعلاه ص357.

نقل كلام ابن الأكفاني في **الدُّر النظيم**[225] وكلام العِزّ الحنبلي في فَتواه[226].
وقال النَّجم أيضاً في خُطبة كتابه **حوادث مكة** المُسمّى **إتحاف الوَرَى بأخبار أمّ القُرى**، إنه لا شكّ في جَلالة قَدْره، وعِظَم موقعه، يُنتفع به للاطّلاع على حوادث الزمان، وسِيَر الناس، وما أبقى الدهر من أخبارهم بعد أن أبادهم[227]، مع أنه عِبرة لمن اعتَبر، وتنبيه لمن افتَكر، وأخبار حال مَنْ مضى وغَبَر، وإعلام بأن ساكن الدُّنيا على سَفَر. وفي ضَبْطه بالسنين أمور مُهمّة، وفوائد جَمّة، لحظها الفاروق والصحابة رضي الله عنهم عند وضع التاريخ». ثم نقل عن شيخه المَقْريزي الكلام المُختصر الذي حَكيناه تِلْو كلامه المبسوط[228] في آخرين[229] ممّن في غُضون ذلك كأبي عليّ أحمد بن محمد بن يعقوب الرَّازي مِسْكَويه، فإنه قال: «إنه لمّا تصفّح أخبار الأُمم وسِيَر المُلوك، وقرأ أخبار البُلدان وكُتُب التواريخ، وجد منها ما يُستفاد تجربة في أُمور لا يَزال التكرّر بمثلها ويُنتظر حدوث أشباهها وشكلها، بحيث صنّف كتابه **تجارب الأُمم وعواقب الهِمَم**[230] في أربع مُجلّدات وذيَّل عليه وزير الحضرتين أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي[231]، وكأبي الفتح أحمد بن مُطَرِّف الكِنَاني[232]، فإنه قال: «اقتْنص من تَصانيفه كِتاباً مُجرّداً في التواريخ المُعيَّنة على الطُّرُقات المبينة، ممّا ينبغي لأهل العلم أن يعلموه ويستيقنوه ولا يجهلوه، وممّا يحتاج إليه أهل العلم بالأديان والسِّيَر وأهل المعرفة بالأيام والغِيَر كأبي الحسين عليّ بن

---

(225) انظر: ص374 في هذا الكتاب.
(226) يظهر أنه أحمد بن إبراهيم الكناني المُتوفَّى سَنَة 876هـ/ 1471م (بروكلمان: ج2، ص57).
(227) انظر: **الإعلان**، ص30، وأعلاه ص375؛ 44، وأدناه ص397.
(228) انظر: أعلاه ص382 وما بعدها.
(229) إن هذه المُقتطفات إلى ص393 قد تكون غير مُباشرة.
(230) راجع: مُقدّمة كتاب مِسْكَوَيه (المُتوفَّى سَنَة 421هـ/ 1030م. انظر بروكلمان: ج1، ص342).
(231) تُوفّي سَنَة 488هـ/ 1095م، (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص583، ابن الجَوزي **المُنتَظَم**، ج9، ص4-90).
(232) رُبّما كان هذا هو المُؤلّف نَفسه الذي تُوفّي سَنَة 413هـ/ 1022-3م. انظر ياقوت: **إرشاد**، ج5، ص63 فما بعد (القاهرة، ج2، ص115، طبعة مارغليوت).

أحمد السَّلّامي[233]، فقرأتُ بخطّ الحافظ الجَمَال أبي المحاسن اليَغْمُوري[234] فيما لخّصه من أخبار وُلاة خُراسان له «إنّ صُنوف المعارف كثيرة،

(233) عاش حوالى سَنَة 950هـ، انظر بروكلمان: الملحق، ج1، ص571، ويُكمل هذا:
W. Barthold. *Turkestan Down to the Mongul Invasion 11 and 21* (London).
وقد اعتبر بارتولد السَّلامي مصدراً للأقسام ذات العلاقة من **زين الأخبار** للغَرْديزي (انظر: طبعة م. ناظم للأقسام المُتعلّقة بالبويهيين والسامانيين والغزنويين، برلين 1928م **والكامل** لابن الأثير.
E.G. Brown Mem Series I Berlin 1928.
والشكل الصحيح للاسم هو أبو عليّ الحسين بن أحمد السَّلامي. أما البَيْهَقي في **تاريخ بَيْهَق**، ص154 (طهران 1317هـ) فإنه يَنقل من المُؤلّف روايته عن نِسبته للسَّلامي. أما الثعالبي، فيذكر في ص29، ج4 من **يتيمة الدهر** (دمشق 1304هـ) أنه أبو عليّ السَّلامي، أما الشكل الكامل للاسم، فيظهر في ياقوت: **إرشاد** ج3، ص16 (طبعة القاهرة، ج1، ص118، طبعة مارغليوت. انظر أيضاً:
W. Barthold in *Orientalistiche Studien* Th. Noeldeke I, 174 f (Glessen 1906).
أما عن كُتُب السَّلامي الأُخرى، فلا نَجد مُقتطفات إلا من كتابه **نُتَف الطُّرَف** (ويدعوه البيهقي **النُّتَف والطُّرَف**)، انظر كِتابَي الثعالبي: **ثمار القلوب** ص487 (القاهرة 1326هـ/ 1908م)، **والنهاية في التعريض** ص47، (مكة 1301هـ) ياقوت، **إرشاد**. انظر:
G. Bergsteasser. «Die Quellen Von Jaqut's Irshad» in *Zeitschrift Für Semitisik* II 205 (1924).
وكذلك ياقوت: **المُعْجَم**، ج4، ص203، طبعة وستنفلد.
إنّ النصّ الأخير المذكور أعلاه أخذه سخاو E. Sachau عند بحثه عن رجل اسمه سَلَامي نقل عنه البِيروني في **الآثار الباقية** ص332 (لايبزيغ 1878-1923م). ويظهر من مخطوطة إستانبول: عُمُومي 4667، ص370، 372 أنّ كتاب السَّلامي عنوانه **كتاب التاريخ** وأنه يبحث في تواريخ الرسول، وميلاد الحسن (الحسين) بن علي. وإنه من المُغري أن يُنسب هذ الكتاب لمُؤلّف **تاريخ وُلاة خُراسان**، غير أنّ هذا غير مُؤكّد لأنه لا يُوجد دليل إيجابي يُثبت أنّ كِلا الكِتابين مُؤلّفهما الشخص نفسه، وإلا فإن تشابه النِّسبة لا يَنهض دليلاً قاطعاً. ويذكر **تاريخ بغداد**، ج1، ص148 فما بعد حديثاً لعالم ومُؤرّخ وشاعر اسمه السَّلامي أبو الحسن عبدالله بن موسى (تُوفّي سَنَة 374هـ/ 984م)، وقد يكون هذا هو السَّلامي نفسه الذي ذَكَره البِيروني، والذي رُبّما كان فلكياً أيضاً.
إنّ المُقتطف المحذوف من مخطوطة ليدن رُبّما وقف عند الشِّعر الفَكِه، أدناه ص389؛ غير أنه كان بمقدوره أن يضم أشعار الشعراء الثلاثة القدماء.

(234) يوسف بن أحمد المُتوفّى سَنَة 673هـ/ 1274-5م (انظر الذّهبي: **تاريخ الإسلام** مخطوطة البودليان رقم Laud 279 ص80أ. انظر أيضاً **الإعلان**: ص126.

وطُرُقها مُتشعِّبة، وأنواعها مُتفنّنة. ويجب على كُلّ مُتّسم بالأدب ومُنتسب إليه أن يجتني من أجناسها نصيباً، وأن يَضرب مع المُتنازعين فيها بِسَهم، ويفوز من زَينتها بقسم. وأحد رُؤساء المعارف علم التاريخ لأنه باب يَدلُّ على أعلام أهل كُلّ زمن، ويُبيِّن عما حَدَث فيه من حَدَث، وتجدَّد من خبر، وعرض من سبب، مُستفيداً صاحبه المعرفة بأوقات الأكوان، وأحوال أيام الأعيان، في كُلّ حِين وزمان، فيأمن عَيْب الغَلَط والتغليط فيما يقوله فيهم، ويُورده فيما يُخبر عنهم. فإنا نرى قوماً يحكون أشياء لا يَعرفون عُهود حُدوثها ووُقوعها، فيُقدّمون ما تأخّر ويُؤخّرون ما تقدّم عنه منها، سيّما من كان من أرض خُراسان. فقد جَرى على أيدي أهلها ما لم يجرِ على أيدي غيرهم من الواجب[235] العِظام. والواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يَعلم جُمَل أنبائها، ويحفظ أيام أُمرائها. لا شيء أَزْرى عليه من أن يَجهل أخبار أرضه. ولعلّه يتطلّب أخبار غيرها، فيكون كمن ترك الواجب، وتَبع النَّوافل، كما قال القائل في رجل كان يتولّى عمل البريد، فذهبت جاريته بِعِلّة الحمّام إلى خَدَن لها لم يعلم به، فقيل فيه:

دَهَتْك بِعِلّة الحَمّام نُعْم ... ومال بها الطَّريقُ إلى سعيدِ[236]

أرى أخبارَ دارِك عنك تَخْفَى ... فكيف وُلِّيتَ أخبارَ البريدِ

وكما قال ابن هَرْمَة[237]:

فإنّي وتَرْكي نَدَى الأكرمين ... وقَدْحي بكفِّي زنداً شحاحا

(235) إنّ كلمة «الواجب» الأُولى في النصّ ينبغي أن يُوضع مكانها كلمة تعني «الحوادث».

(236) انظر عن الوضع أيضاً:
F. Rosenthal. «Ahmad b. aṭ-Ṭayyib as-Saraḫsî» 96 (New Haven 1943) *American Oriental Series* 26.

(237) إبراهيم بن هَرْمَة، وهو من أهل القرن الثامن، انظر:
O. Rescher. *Abriss der Arabischen Literaturgeschichte* I 296f (Konstantinopel-Pera 1925).

وانظر عن الشعر مثلاً العَسْكَري: **الصناعتين** ص109 (القاهرة 1320هـ) ابن قُتيبة: **معاني الشعر**، ج1، ص213 (حيدرآباد 1368هـ/ 1949م) **لسان العرب**، ج3، ص326 (بولاق 1300-7هـ).

كـتـاركـةٍ بـيـضَـهـا بـالـعـراء ومُلبسةٍ بيضَ أُخرى جَناحا

وهذا ما وُصفوا به النَّعامة في شِدّة حُمْقها، حتى قالوا: إنه لَأَمْوَقُ من نَعامة[238]، لأنها رُبّما قامت عن بيضها تطلب لنفسها مَرعى فتنتهي إلى بيض نعامة أُخرى فتحتضنها وتُهمل بيضها حتى يَفسد، وإياها عَنَوْا بقولهم: بيضة البلد، والبلد المَفازة، قال الرّاعي[239]:

تأبى قُضاعةُ أن تعرف لكم نَسَباً وابنا نزار فأنتم بيضةُ البلدِ

فقوله: فأنتم بيضة البلد أي إنهم لا يُعرفون ولا يُعرف لهم والد، كما لا يُعرف بَيْض النّعامة التي أُهملت في المَفازة. وهذه البيضة تسمى التَّرِيكة، والتَّرِيكة هي المتروكة وجمعها ترائك قال الأعشى[240]:

ويهماءَ قَفْرٍ تائه العير وسطَها ويلقى بها البَيْضَ الحسانَ ترائكا

وكالمصري صاحب كتاب الدولتين المُسمّى **زهْرة العُيُون وجلاء القُلُوب**[241]، فإنه قال فيه: «إنه وما في معناه دالٌّ على معالي الأُمور، ومُرشدٌ لكرائم الأخلاق والأفعال، وزاجرٌ عن الدَّناءة والقُبْح، وباعث على صواب التدبير وحُسن التقدير ورِفق السياسة. يكون للأديب تَبصرة، وللعالِم الأريب

---

(238) تجد توضيحاً لهذا المثل في:
O. Lofgren. *Ambrosian Frangments of an illuminated manuscript containing the Zoology of al Jahiz* PL XVI C Uppsala-Leipizg 1946 Upsala Univ. Årsskrift 1945.

(239) عَبِيد (عُبَيْد ؟) بن حسين، وهو من شُعراء القرن السابع (انظر: ريشر D. Rescher، المصدر السابق، ج1، ص166 فما بعد). وانظر عن هذا الشعر: الثعالبي، **ثمار القلوب**، ص392 (القاهرة 1326هـ/ 1908م) **لسان العرب**، ج8، ص894 (بولاق: 1300-7هـ).

(240) ميمون بن قيس (انظر بروكلمان: ج1، ص37) الديوان طبعة جاير R. Gaer ص65، رقم 11 البيت الخامس (لندن 1928م سِلْسِلَة جِب التذكارية. السِّلْسِلَة الحديثة 6) والشعر الوارد في نص **الإعلان** يختلف كثيراً عما ذكر في الديوان أو في: **لسان العرب**، ج12، ص286 (بولاق 1300-7هـ).

(241) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص587، **الإعلان** ص159، أدناه ص610، عن المسعودي.

تَذكرة، ولسائر الناس مُؤَدباً، وللمُلوك استراحة. تعمُر به المجالس في الجِدّ والهَزْل، وتتّضح بأمثاله الحُجَج، وتَبلغ به الإرادة بأخفّ مُؤنة، ويستولى به على الأُمور كأنها مُشاهدة. وقد قَال عليّ رضي الله عنه: «إنّ هذه القُلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها من طرائف الحِكمة[242]، وكَفى بالكتاب الحَسَن أنيساً ومُحدِّثاً وجليساً، وهو عَون اللّبيب وتذكرة للأديب»، ويُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول إذا أفاض من عنده بالحديث بعد القرآن والتفسير: «أحمضوا، أي خوضوا في الشعر وغيره»[243]. وعن بعضهم «القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فَنَقُّوها بالذِّكر»[244]؛ وعن أبي الدَّرْداء[245] رضي الله عنه: «إني لأستجمّ قلبي بالشيء من اللّهو لأقوى به على الحق» انتهى. فكيف بما ينضمّ إليه ممّا حكيناه من فوائده. وكبعض من يَثِق أبو العباس المَيُورَقي بدينه وعلمه أنه قال: «الاشتغال بنشر أخبار فُضلاء العصر ولو بتواريخهم من عَلامات سعادات الدُّنيا والآخرة، فهم شُهود الله في أرضه. فإن بغضوا فَمِنْ بُغضه، وحبُّ الله حبُّهم، وبُغْض المُسيء علامة بُغْض الله له، فرحمة الله ورضوانه وبركاته ومغفرته على المُستقدمين منهم والمُتأخّرين»[246]. وكشُيوخنا القاياتي[247] وأستاذنا والعَيْني[248] وابن الدَّيْري[249] والعِزّ الحنبلي ممّن سأحكي كلامهم فيما سيأتي

(242) انظر: ابن الجَوزي: **أخبار الحمقى**، ص10 فما بعد (القاهرة 1347هـ)، أحمد بن محمد الأشعري: **لُبّ الألباب**، أول الكتاب (مخطوطة برنستون رقم Or. 242 - 366b).

(243) انظر: **لسان العرب**، ج8، ص410 (بولاق 1300-7هـ).

(244) انظر: **تاريخ بغداد**، ج1، ص85.

(245) أبو الدَّرداء (عُوَيْمِر بن زيد) تُوفّي حوالى سَنَة 34هـ/ 654م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 1، ص76 فما بعد). انظر: الحُصري، **زَهر الآداب**، ج1، ص157 (القاهرة 1305هـ في هامش **العقد**) ويذكر النصّ مع اختلاف قليل في اللفظ: الجاحظ: **البخلاء**، ص170 (القاهرة 1948م).

(246) ليس من الواضح فيما إذا كانت الفقرة الأخيرة جُزءاً من النصّ المُقْتَطَف، أو إضافة من السَّخاوي.

(247) محمد بن عليّ (785-850هـ/ 1383-1446م) (انظر: **الضَّوء اللامع**، ج8، ص4-212).

(248) محمود بن أحمد (762-855هـ/ 1361-1451م). انظر بروكلمان: ج2، ص52 فما بعد.

(249) سعد بن محمد (ولد سَنَة 766 أو 767 أو 768هـ وتُوفّي سَنَة 867هـ/ 1463م (بروكلمان. **الملحق**، ج2، ص144، **الضَّوء اللامع**، ج3، ص253).

بعد بترجمة(250)، بل كُلّ من صَنَّف فيه، أو تكلَّم في الجَرْح والتعديل، ممّن سألَمَّ بجُملة من الفريقين، لو لم يعلم ما فيه من الفوائد الدُّنيوية والأُخروية، ما وجه عزمه لذلك. بل قد بَانَ لك أنه سبيل إلى معرفة أكثر ما يضرّ وينفع. بل قال الأُستاذ أبو القاسم الجُنَيد(251) رَحمه الله في «الحِكايات» إنها جُند من جُنود الله، يثبِّت الله عزَّ وجلَّ بها قُلوب أوليائه. فقِيل له: من أين لك هذا يا أُستاذ؟ فقال قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120] وأيضاً فما كان على السنين منه من فوائده، وبيان آجال الحُقوق، واختلاف النُّقود، ووَقْف الأوقاف المُترتّب عليها الاستحقاقات(252)، وكذا معرفة القُرون الفَاضِلة المُشار إليها بقوله ﷺ: «**خير الناس قَرْني ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يَلُونهم**»(253) ليتميّز المُقْتَدَى به (الرسول) من غيره، وإن تخلّف العمل بمُقتضى ذلك في أفراد(254)، بحيث تكون الخيرية بالنَّظر للمجموع على المجموع، ومعرفة انقضاء الزّمن المُحدّد للخُلفاء الراشدين الذين أُمِرْنا باقتفاء سُنَّتهم، وبيان الوقت الذي ظهرت فيه البِدَع والحوادث، وما لا يدخل تحت الحصر بحيث قال العَيْني كما سيأتي: «إنّ فوائده تحتاج لمُجلّدات»(255). وحينئذٍ فَثَمرته الترغيب والترهيب، والتنشيط والتغبيط، والإنذار والاعتبار، والتسلّي والتأسّي، والنُّصح والنُّجح، والتمريض والتنهيض(256). ولا يمنع هذه الثَّمرة قلّة المُعتبرين، وإنشاد بعض المُتقدّمين:

---

(250) **الإعلان**، ص54 فما بعد، أدناه 406-411.

(251) الجُنَيْد بن محمد الصوفي المشهور (تُوفّي 298هـ/ 910-1م). انظر بروكلمان: ج1، ص199.

(252) انظر: **الإعلان**، ص44 أدناه 395.

(253) انظر: **الفِهرِس المُفَصّل**، ج2، ص96ب. انظر الخطيب البغدادي: **الكفاية**، ص47 (حيدرآباد 1357هـ) الحُمَيْدي: **جَذْوة المُقْتَبِس**، مخطوطة البودليان Or. Hunt 464، ص2ب.

(254) أو «وإن كان بعض الأفراد تَخَلّفوا بالفعل؟».

(255) **الإعلان**: ص55 أدناه، ص409.

(256) انظر: الكافِيَجي أعلاه، ص301.

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ولكن لا حياةَ لِمَن تنادي[257]

وناراً لو نفختَ بِها أضاءت ولكن أنت تنفخُ في الرَّمادِ

فلا بدَّ من وجود راغب ومُعتبر، ومُتأمّل ومُستبصر. فنسأل الله تعالى أن يَرزقنا قلباً عَقُولاً، ولساناً صادقاً، عن المُشكلات سَؤُولاً، ويُوفّقنا للسَّداد في القول والعمل، ويختم لنا بالمُراد عند انتهاء الأجل.

إذا عُلِم هذا فنقول: إنه لمّا كانت محاسنه مع كونها ليست مُنحصرة فيما ذكرناه، غير مُختصّة بالعُلماء ومعادنه، يشترك في استثارة جواهرها من الصيارف العُلماء والفُهماء، كانت الرغبة فيه منهم، بل ومن غيرهم من المُلوك والمُباشرين، والصُّحبة لأهله مقصودة لأهل السلوك والمُناظرين. فتوجَّهوا لمُطالعته أو المُجالسة لأهله، ونَوَّهوا بجُملته بالمُراجعة حتى في جليّ الأمر وسهله، بحيث كان العلّامة المُجتهد التّقي ابن دَقِيق العِيد[258] يقول لتلميذه الحافظ ابن سَيِّد الناس[259] بعد تعبه من إلقاء الدَّرْس: «الذِّذْنا يا شيخ فَتْح الدِّين بتراجم هؤلاء السادات». وحُكي ما الله أعلم بصِحّته أنّ القاضي أبا يوسف[260] كان، مع ما اشتمل عليه من العلم، يحفظ المغازي وأيام العرب ونحوها من التاريخ، فَمَضَى وقتاً لسماع المغازي أو لإسماعها، وأخلَّ بمجلس أيامه أياماً، ثم جاء فقال له من كان صاحب راية جالوت؟ ففهم أنّ ذلك على سبيل المُداعبة أو نحوها، فَغَضِب، وقال له: «إن لم تُمْسِك عن مثل هذا، وإلا سألتك على رُؤُوس الناس: أيّما كان أول وقعة بدر أو أُحُد، فإنك لا تدري ذلك وهي أهون

(257) انظر: الطَّبَري. سِلْسِلَة 2، ص930، ابن بَسّام: **الذخيرة**، ج1، قسم 1، ص115 (القاهرة 1939م).

(258) محمد بن عليّ (625-702هـ/ 1228-1302م) (انظر بروكلمان: ج2، ص63).

(259) فتح الدِّين محمد بن محمد بن محمد (671-734هـ/ 1273-1334م) (انظر بروكلمان: ج2، ص71 فما بعد). ويقول ابن حَجَر: (**الدُّرر**، ج4، ص210 أنّ ابن دَقِيق العِيد كان يَعتمد في معرفته بالتراجم على ابن سيِّد الناس).

(260) يعقوب بن إبراهيم الحَنَفي المشهور المُتوفّى سَنَة 182هـ/ 798م (انظر بروكلمان: ج1، ص171). أما عن مَعرفته بالتاريخ، فانظر: **تاريخ بغداد**، ج4، ص246 فما بعد. والواقع أنّ من الغريب أن تُروى هذه القِصّة عن رجل من أهل القرن الثاني ـ الثامن.

مسائل التاريخ». بل اتّفق أنّ الأمير سَنْجَر الدَّواداري[261] سأل الحافظ الشرف الدِّمْيَاطي[262] وناهيك بجلالته، عن سَنَة وفاة البُخاري، فلم يتّفق له المُبادرة لاستحضارها. ثم دخل عليه ابن سَيِّد الناس فسأله عنها، فبادر لذِكْرها. فحَظِي عنده بذلك جدّاً، وزاد في إكرامه وتقريبه. وطلع القاضي جلال الدين البُلْقِيني يوماً من بيته، فأمر جِهاراً بعض خَواصّه بالتَّوجه للتقيّ المَقْرِيزي ليسأله عن شيء من تعلُّقات التاريخ؛ فكان في هذا الفخر له من مثله، وأعظم من هذا في الفخر له كون شيخنا كان يقصده في بيته للمُذاكرة[263] معه، مع كثرة تردُّد التّقيّ له. ولهما في ذلك مَقَاصد. وحَكَى لنا شيخنا أنّ الظاهر طَطَر قال له: إنه في الليلة التي مات فيها المُؤَيّد ضَاقت يده جداً، حتى إنّ شخصاً قدَّم له مأكولاً فلم يجد في حاصله خمسة دنانير يُكافئه بها، ولا من يُقرِضها له، وأنه لم يكن بأسرع من استيلائه على المَمْلكة وذخائرها. ثم أمره بكتابتها في تاريخه[264] فإنها عجيبة. وكان شيخنا البدر العَيْني يقرأ عند الأشرف بَرسْباي وغيره التاريخ ونحوه بحيث يقول الأشرف ما معناه: إنه ما عُرِف الإسلام إلا منه[265]. وجَمَع هو وغيره كَابْنِ ناهِض[266] وغيره للمُلوك سِيَراً، لعلمهم برغبتهم في ذلك. ورام مِني الدَّوادار الكبير يَشْبَك المُؤَيَّدي[267] الفقيه، وكان من خِيار الأُمراء وأجلّائهم،

---

(261) تُوفّي سَنَة 699هـ/ 1299-1300م (الذَّهبي: **الدُوَل**، ج2، ص156، الطبعة الثانية، حيدرآباد، 1364هـ. ووظيفة «الدَّوادار» في العهد المَمْلوكي تُشبه وظيفة وزير الداخلية اليوم.

(262) عبد المؤمن بن خلف (613-705هـ/ 1217-1306م (انظر بروكلمان: ج2، ص73 فما بعد)؛ محمد بن إسماعيل البُخاري تُوفّي سَنَة 256هـ ـ 870م. (انظر بروكلمان: ج1، ص157 فما بعد).

(263) أو «مع كثرة تردّد التق لدروسه؟».

(264) تُوفّي المُؤيّد في أوائل سَنَة 824هـ-1421م، وتُوفّي طَطَر في آخرها، وقد ذُكرت هذه القِصّة أيضاً في **الضَّوء اللامع**، ج4، ص8».

(265) انظر: ابن تَغْرِي بِرْدِي: **النجوم**، ج6، ص774 فما بعد طبعة (Popper (Berkeley 1915 «لولا العَيْني لما كنا مُسلمين صالحين ولما عرفنا الدِّين».
ويظهر هذا أن الضمير في **الإعلان** يعود إليه (إلى العَيْني) لا إلى التاريخ.

(266) إن محمد بن ناهض المتوفّى سَنَة 841هـ/ 1438م (**الضَّوء**، ج10، ص67 كتب ترجمة للمُؤيّد).

(267) يَشْبَك بن سلمان شاه تُوفّي سَنَة 878هـ/ 1473م (**الضَّوء اللامع**، ج10، ص270-2).

وممّن يقرأ عليَّ منهم، بقصده الجميل، أن أفعل مع الظاهر خُشْقَدَم[268] نظير العَيْني، فما وَافقتُه. نعمْ سألني الدَّوادار بعده يَشْبَك بن مهدي عظيم الدولة[269]، وكان في الذوق سيّما لهذا المعنى بمكان، أن أُذيِّل له على تاريخ المَقْرِيزي **السلوك** فأجبته بعد الاستخارة والاستشارة، وجمعت **التِّبْر المَسْبُوك**، واغْتَبَط بذلك بحيث كان يَستصحب ما حصّله منه في أسفاره، ويُوقف عليه من يكون بين يديه مُتبجِّحاً به، إلى غيرهم من المُباشرين والرُّؤساء، وأعلى منهم ممّن لهم تلفُّت للثناء والذكر الجميل، وجَلب لمن يتوهَّمون ذكره لهم بالتعليل، ولكن بَطُلَ ذلك كله، وما بَقي غالباً سوى الجهل وقِلّة الأدب والتلفُّت للحُطام والسلام. وكان ممّا قلتُه في مُقدّمة **التِّبْر**: علم التاريخ فنٌّ من فُنون الحديث النبويِّ، وزَيْن تقرّ به العيون، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي. بل وَقْعُه من الدِين عظيم، ونفعه يتعيّن في الشَّرع لشُهرته، غنيٌّ عن مزيد البيان والتفهيم، إذ به يُعلم أهل الجلالة والرُّسوخ ما يُفهم به الناسخ من المنسوخ، ويظهر تزييف مُدَّعي اللقاء، ويشهر ما صدر منه من التحريف في الارتقاء، لمّا تبيّن أنّ الشيخ الذي جعل روايته عنه من مَقْصده كان قد مات قبل مَوْلده أو كان اختلَّ عقله أو اختلط أو لم يُجاوز بلدته التي لم يَدخلها الطالب قط. وتُحفظ به الأنساب المُترتّب عليها صِلة الرَّحم، والمُتسبب عنها الميراث والكَفَاءة، حيث ما قرّر في محله وفهم. وكذا تُعلم منه آجال الحقوق، واختلاف النُّقود، والأوقاف[270] التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو معهود. ويُنْتَفَع به في الاطّلاع على أخبار العُلماء والزُّهّاد والفُضلاء والخُلفاء والمُلوك والأُمراء والنُّبلاء، وسِيَرهم ومآثرهم في حربهم وسِلْمهم، وما أَبْقَى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم، بعد أن أبادهم الحَدَثان وأبلى جديدهم المَلوان[271]، حيث تتبع الأُمور الحسنة من آثارهم، ولا يسمع منهم فيما تَنْفر عنه العُقُول المُستحسنة من أخبارهم. ويعتبر بما فيه من المواعظ

---

(268) تُوفّي سَنَة 872هـ،/ 1467م (**الضَّوء اللامع**، ج3، ص175 فما بعد).

(269) تُوفّي سَنَة 885هـ/ 1480م (**الضَّوء اللامع**، ج10، ص272-4) لم تُذكر قِصّة عظيم الدولة في **الضَّوء اللامع**.

(270) انظر: ص392.

(271) انظر: ص386-387.

النافعة، واللطائف المُفيدة، لترويح النُّفوس الطامعة، مع ما يلتحق به من المسائل العلمية، والمباحث النظرية والأشعار التي هي جُلّ موادّ العُلوم الأدبية كاللُّغة والمعاني والعربية. ولهذا صَرَّح غير واحد من عُلماء المذاهب أُولي الأمانات، بأنه من فُروض الكِفايات الراجح ارتقاؤُه على فرض العَيْن، للاندفاع بقيامه به عن غيره التأثيمات. بل رُبّما انْحَصر وتَعيَّن حسبما يعلمه من استظهر وتَبيَّن. هذا مع كونه فرداً من أفراد عُلومه، وعقداً من معلوماته ورُسومه[272]، وما أحسن ما بَلَغَنِي من الشعر في مدحه، وأَبْيَن ما أعجبني ممّا يرغب في الاعتناء به وعدم طرحه، قول القاضي الأَرَّجاني[273] البديع الألفاظ والمعاني:

إذا عَلِمَ الإنسانُ أخبارَ مَنْ مضى   تَوَهَّمْتَه قَدْ عاشَ مِنْ أوّل الدّهْرِ
وتَحْسَبُه قد عاشَ آخِرَ عُمْرِه   إذا كانَ قَدْ أَبْقَى الجَمِيلَ من الذِّكْرِ
فَقَدْ عاشَ كنلَّ الدَّهْرِ مَنْ كان عالماً   حليماً كريماً فاغتنمْ أَطْوَلَ العُمْرِ[274]

ولو لم يكن من شرف هذا الفنّ إلا أنّ البُخاري رحمه الله صَنَّف تاريخه في المدينة النبويَّة عند قبر النبيِّ عليه السلام، وكان يكتبه في الليالي المُقْمِرة، وسَوّى بَيْنه وبين صحيحه، حيث حَوَّل تراجمه بين القبر النبويِّ والمنبر الشريف، وكان يُصلّي لكُلّ ترجمة ركعتين[275]، قلت واستواؤُهما ظاهر، فإنه لا يُتوصَّل للحُكم على الحديث إلا به.

ويُسْتَفاد من أنباء هذا الفنّ ما لعلّه مُندرج في عُلوم أُخر كالسياسة، (وهو) العلم الذي يُتعرَّف منه أنواع الرِّياسات والسياسات والاجتماعات الفاضلة

---

(272) إن الفقرة المحصورة بين قوسين لا تُوجد في **التِّبر**، وهي من المُمكن إضافة في **الإعلان** وليست من الأشياء الكثيرة التي حُذِفت من طبعة **التِّبر**.

(273) أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 544هـ/ 1149-50م (انظر بروكلمان: ج1، ص253 فما بعد)، وقد رُويت هذه الأشعار في **الوافي** للصفدي، ج1، ص4، طبعة ريتر. ويُذكر البيت الأول أيضاً في **بُغية المستفيد** لابن الدَّيْبَع (مخطوطة القاهرة، تاريخ 11، مجاميع ص1أ).

(274) السَّخاوي، **التِّبر**، ص2 فما بعد (بولاق 1315هـ).

(275) **تاريخ بغداد** ج2، ص9، ويظهر أنّ هذه الإشارة في النصّ المذكور لا يُمكن أن ترجع إلى **تراجم التاريخ**، كما قد يَتَصَوَّر المرء، بل إلى فصول **الصحيح**.

والمُرْدية وتوابع ذلك، وكعلم الأخلاق الذي يُعلم منه أنواع الفضائل، وكَيفية اكتسابها، وأنواع الرذائل، وكَيفية اجتنابها، وكعلم تدبير المنزل الذي يُعلم منه الأحوال المُشتركة بين الإنسان وزَوجه وولده وخدمه، ووجه الصواب فيها. وممّا بلغنا أنّ بعض نُدماء الأشرف بَرْسْباي مدحه بكونه أغنى الفُقهاء بِما انْفَرد به عن كثيرين ممّن قبله، يعني بأنه بنى مدرسة بالقاهرة وبالصحراء وبالخانقاه وغير ذلك(276). فقال: «إنّ من سبقنا كان فُقهاؤهم غير مُوافقين(277) لهم، فقصَّروا في جانبهم لذلك، وفُقهاؤنا لا يُخالفوننا، فلا أقلّ من أن نسمح لهم بحُطام الدنيا». قلت: وهذا قد كان، وأما الآن فالمُوافقة حاصلة والانقياد بالحُطام دون الحُطام(278)، بل هم مُزاحمون في أرزاقهم المُرصدة لهم ممّن قبلهم، غفر الله لنا ولهم.

تتمّة فيها فائدتان:

الأُولى، قال العِزّ بن جماعة(279): «وممّا يُشكِل ويُحتاج إليه معرفة التَّفرقة بين علم التاريخ وعلم الطبقات، ومعرفة الافتراق بين موضوعهما وغايتهما»، قال: «والحَقّ عندي أنهما بحَسَب الذات يَرجعان إلى شيء واحد، وبحَسَب الاعتبار بتحقُّق ما بينهما من التغاير». قلت: بينهما عُمُوم وخُصُوص وَجْهي، فيجتمعان في التعريف بالرُّواة، ويَنْفرد التاريخ بالحوادث والطبقات، بِما إذا كان في البدريين مثلاً من تأخّرت وفاته عمّن لم يَشهدها لاستلزامه تقديم المُتأخّر الوفاة، هذا هو الأصل. وإن خَرج غالب مَنْ صَنَّف بعد المُتقدّمين **طبقات الشافعية** مثلاً عنه لمُراعاتهم في الطَّبقة قُرب الوَفَيات، ورُبّما يكون الواحد من

---

(276) إن الإشارة إلى مدرسة بَرْسْباي في القاهرة، وقَبره بالصحراء ومسجده في خانقاه سِرياقُوس، وهي آثار معروفة اليوم في القاهرة، انظر **الضَّوء اللامع**، ج3، ص9. أما النديم المذكور هنا فيقصد به «العَيْني» على ما يقول **الضَّوء اللامع**.

(277) إنّ كلمة «غير» محذوفة من **الضَّوء اللامع**.

(278) يحتوي النصّ العربي هنا على استعارة بيانية.

(279) الأقرب أن يكون هذا عبد العزيز بن محمد (المُتوفَّى سَنَة 767هـ/ 1366م. انظر بروكلمان: ج2، ص72) من أن يكون محمد بن أبي بكر (المُتوفَّى سَنَة 819هـ/ 1416م. انظر بروكلمان: ج2، ص94).

طبقة تَلي المذكور فيها لقِدَم موته، وإن كان دُونهم في الأخذ. وقد فَرَّق بينهما بعض المُتأخّرين بأنَّ التاريخ يُنْظَر فيه بالذات إلى المَواليد والوَفَيَات، وبالعَرَض إلى الأحوال. والطبقات يُنْظَر فيها بالذات إلى الأحوال، وبالعَرَض إلى المواليد والوَفَيات، ولكن الأول أشبه.

الثانية، يَقَع في كَلَامهم فُلان المُتوفَّى وأنت في فتح الفاء وكسرها بالخيار، والكسر مُوجّه بالمُستوفي لمُدّة حياته، ويَشهد له قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ على قِراءة عليّ رضي الله عنه في فتح الياء، أي يستوفون آجالهم. وإن حُكي أنّ أبا الأسود الدُّؤَلي[280] كان مع جنازة فقال له رجل: مَنْ المُتوفِّي؟ بكسر الفاء، فقال: الله، وإنها كانت أحد الأسباب الباعثة لأمر عليّ له بالنحو. فقد قيل يعني على تقدير صِحّة الحكاية أنه اقتصر على ما يحتمله فهمه ويتعقّله، خُصُوصاً وهو القائل: «حَدِّثوا الناس بما يعرفون»[281].

5 ـ غاية علم التاريخ

وأما غايته: فالترجّي لرِضا الله، فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والأعمال بالنيّات[282].

6 ـ حُكْم التاريخ

وأما حُكْمه فليس بمُطّرد في واحد، بل منه ما هو واجب إذا تعيَّن طريقاً للوقوف على اتّصال الخبر (من سِلْسِلَة الرُّواة) وشِبْهه[283]، ولمعرفة النَّسخ،

---

(280) إنّ اسم «الدُّؤلي» الذي يُروى أنه تُوفّي سَنَة 69هـ/ 688-9م (انظر بروكلمان: ج1، ص42) غير مُؤكّد. ويبدو أنه الصِّفة الشائعة هي «ظالم بن عمرو»، انظر: ابن كثير: **البداية**، ج8، ص312، ويذكر الصَّفَدي في **الوافي** ج1، ص44 طبعة ريتر، هذه القِصّة دون الإشارة إلى الدُّؤلي.

(281) يُنسب هذا القول إلى النبي ﷺ في **الإعلان**، ص64، أعلاه ص423. انظر **الفِهْرِس المُفصَّل**، ج1، ص434أ.

(282) انظر أعلاه: ص372 هامش 152.

(283) إن كلمة «شبهه» يَصعب أن تكون من الاشتباه أي الشكّ، والأرجح أنها من الشبه أو المُماثلة.

وللأنساب التي ينشأ عنها التوارث والكَفَاءة، ومن ثَمَّ صَرَّح بعضهم بأن عليه مَدَار الأحكام. وغير واحد أنه من فُروض الكِفايات، وبعضهم أنه ممّا ينبغي[284]، لكنها غير مُتمحِّضة الوُجُوب، بل يَنْدرج تحتها المُستحبّ بحَسَب المقام والسياق، وربما يستعمل في المُباح. وعقد الخطيب باباً لوُجوب بيان أحوال الكذّابين (من الرُّواة)، والنكير عليهم، وإنهاء أمرهم إلى السلاطين[285]. وأورد عن الإمام أحمد (ابن حَنْبَل) أنه لِشِدَّة اعتنائه به لمّا ودَّع أبا عليّ الحسن ابن الربيع[286] قَعد معه، وأخرج ألواحه، وسأله أن يُملي عليه وفاة ابن المُبارك[287]، فَفَعل، وأنها في سَنَة إحدى وثمانين ومائة (797م) وأنه سُئل عن مقصده به، فقال: أُريد أن أعرف به الكذّابين (من الرُّواة) أو كما قال. وقال أبو الحسين بن فارس كما مَضَى: «إنّ السيرة النبويَّة بخُصُوصها منه ممّا يحقّ على المرء المُسلم حفظها، ويجب على ذي الدِّين معرفتها»[288]. ويتأيّد بقول بعضهم: «إنه يخشى لمن جهلها إذا قيل له ما تقول في هذا الرجل، أن يقول: لا أدري سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلتُه، أعاذنا الله من ذلك[289]، ونحوه القول بعدم صِحّة إيمان المُقَلّد. وقد يَتَمَسك بقول أبي محمد بن حَزْم في كتابه **مَراتب العُلوم**[290]: العُلوم القائمة سبعة أقسام عند كُلّ أُمّة، وفي كُلّ مكان، وزمان: علم الشريعة، وعلم أخبارها يعني المُتضمّن لفنّ التاريخ، وعلم لُغاتها، وذكر باقيها للوُجوب. وذكر العِزّ بن عبد السلام[291] في **قواعده** من أمثلة البِدَع

---

(284) يبدو أنّ السَّخاوي يُفَكِّر في درجات تصنيف التاريخ.

(285) رُبّما كانت هذه الإشارة إلى كتاب **الجامع** للخطيب.

(286) تُوفّي حوالى سَنَة 220هـ/ 835م (**تاريخ بغداد**، ج7، ص307).

(287) عبدالله بن المبارك (**تاريخ بغداد**، ج10، ص152 فما بعد. بروكلمان: **المُلحق**، ج1، ص255) وتوجد نُسخة من كتابه **الرقائق** في الإسكندرية 7314، وهي منسوخة في سَنَة 466هـ، وتَرِد هذه القِصّة في **تاريخ بغداد**، ج7، ص308.

(288) انظر **الإعلان**: ص35، أعلاه ص382-383.

(289) انظر **الإعلان**: ص35، أعلاه ص382-383.

(290) عليّ بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 456هـ/ 1064م (انظر بروكلمان: ج1، ص399 فما بعد) انظر: M. Palacios, in *Al Andalus* II, 31 f (1934).

(291) عبد العزيز بن عبد السلام المُتوفَّى سَنَة 660هـ/ 1262م (انظر بروكلمان: ج1، ص430 فما بعد)، ولا أَعْلم، هل إنّ هذا النصّ مأخوذ من **القواعد** الكبير أم الصغير.

الواجبة الكلام في «الجَرْح والتعديل» ليتميّز الصحيح من السَّقيم (في الحديث). وقد دلَّت قواعد الشريعة على أنّ حِفْظ الشريعة فَرْض كفاية فما زاد على القدر المُتعيِّن، ولا يتأتّى حِفْظ الشريعة إلا بما ذكرناه» انتهى. وإدراجه لذلك في البِدَع ليس بجيّد، فقد قال ﷺ: «**نِعْمَ الرجل عبدالله**[292]، **وبئس أخو العشيرة**»[293] في أشباه لذلك في الطرفين، منها ممّا أوْرده الدّارَقُطْني[294] في **العِلَل** من رِواية ابن المُسَيَّب عن أبي هُرَيْرة[295] رفعه (إذا عَلم أحدكم من أخيه خيراً فليُخبره به، فإنه تزداد رغبته في الخير)[296]، وقال: إنه لا يصحّ عن الزّهري[297]. ورَوَى عن ابن المسيَّب (حديثاً) مُرْسَلاً ومنها ما للطَّبَراني[298] بسند ضعيف من حديث أُسامة بن زيد رفعه (إذا مُدِحَ المؤمنُ رَبا الإيمان في قلبه). ومنه ما هو حرام كالمذكور ممّا وقع لكثير من جُهّال المُؤرّخين الذين مُعَوَّلُهم غالباً على الناقلين عن كتب الأوّلين، كـ **مبتدأ** وَهْب بن مُنَبِّه[299] القائل مُصَنِّفُه «قرأتُ ثلاثين كتاباً

---

(292) انظر: النَّوَوي، ص560، طبعة وستنفلد، ابن كثير: **البداية**، ج7، ص113 حوادث سَنَة 21.

(293) انظر: **الفِهرس المُفصَّل**، ج1، ص141أ؛ **صحيح البُخاري**، ج4، ص121، 126، 142، طبع كريهل؛ الخطيب البغدادي. **الكفاية** ص39 فما بعد (حيدرآباد 1327هـ)؛ **الإعلان** ص52.

(294) عليّ بن عمر المُتوفَّى سَنَة 385هـ/ 955م (انظر بروكلمان: ج1، ص165).

(295) تُوفّي سَنَة 57 أو 58هـ/ 676-7م.

(296) انظر: **الفِهرس المُفصَّل**، ج2، ص98ب، وفيه مثل هذا الحديث.

(297) محمد بن مُسْلِم بن شِهاب، تُوفّي بين سَنَة 123-5هـ/ 740-3م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص220 فما بعد)، ابن كثير: **البداية**، ج9، ص340-8.

(298) سليمان بن أحمد، المُتوفَّى سَنَة 360هـ/ 971م (انظر بروكلمان: ج1، ص167).

(299) يُعتقد أنّ وَهْبٌ تُوفّي سَنَة 114هـ/ 732م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص101). وقد نُقل من كتاب **المبتدأ** المنسوب إليه النُّويري أيضاً في كتاب **نهاية الأرب**، مخطوطة باريس رقم ar. 1573، ص96 ب «عبدالله بن المبارك من كتاب **المبتدأ** عن وَهْب»، ورُبّما كانت «الإسرائيليات» التي تُنسب إلى وَهْب هي **المبتدأ** نفسه. انظر هوروفتز:
J. Horovitz: *Islamic Culture I*, 4-556.
وهي تذكر مُباشرة في مخطوطة ترجع إلى سَنَة 229هـ/ 843-4م انظر:
C.H. Becker. *Papyri Schott-Reinhardt* I, 8 ff (Hiedellerg 1908 *Vorofpentli-schungen aus der Heidellerger Payrus - Sammlung* 3.

انظر أيضاً:
= M. Lidzbarki. *De Propheticis, quae dicuntur Legendis Arabicis* (Leipzig 1893).

نزلتْ على ثلاثين نبيّاً»، وإنّ كُلّاً من عبدالله بن سَلَام ثم كَعْب الأحبار[300] أعلم أهل زمانه، وأنه جَمع عِلْمهما، وكَذَا غيره من الأخبار التي تجري مجرى الخُرافات، حيث أَوْرده بالجَزْم، من غير بيان لبُطلانه، ولا أنه ممّا نُقل عن كُتُب الأوائل، سِيَّما المُضاف لسِيَر الأنبياء، والمَحْكيّ عَمّا شَجَر بين الصحابة من الإخباريين، إذ الغالب عليهم الإكثار والتخليط[301]. وكذا ما يُستهجن ذكره عند أرباب العُقُول، من حوادث لا معنى لها ولا فائدة، وذكر أُناس من المُلوك والأكابر، يُضاف إليهم شرب الخمر وفعل الفواحش، ممّا تصحيحه عنهم عزيز[302]، وهو مُتردّد بين إشاعة الفاحشة إن صحّ، أو القذف إن لم يصحّ[303]، سِيَّما ويتضمّن التهوين على أبناء جنسهم فيما هم من الزَّلل. على أنّ الأخبار لا تَسلم من بعض هذا ومن أعظم خطإ السلاطين والأُمراء نظرهم في سياسات مُتقدّميهم، وعملهم بمُقْتَضاها، من غير نَظَر فيما وَرَد به الشَّرع، ثُمّ تسمية أفعالهم الخارجة عن الشَّرع سياسة. فإن الشَّرع هو السياسة، لا عمل السلطان بهواه ورأيه. ووجه خطئهم في هذا، أنّ مضمون قولهم يقتضي أنّ الشَّرع لم يَرِد بما يكفي في السياسة، فاحتجنا إلى تتمّة فيما رأيناه، فهم يقتلون من لا يجوز قتله، ويفعلون ما لا يحلّ فعله، ويُسمّون ذلك سياسة. وهذا تعاطٍ على الشريعة يشبه المُراغمة، وهو قريب من ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23]. ومنه ذكر المَساوىء على الوجه المشروح من يُخرج مَساوىء الكبير وهيئته في هيئة المَدح والمكارم والعَظَمة، غير مُلتفت للتحريم. وكذا من أسباب التحريم، الزيادة في الجَرْح على ما يحصل الغَرَض والنقص من المدح.

= يذكر في بداية كتاب **التّيجان** (حيدرآباد 1347هـ) المنسوب إلى ابن هشام، أنّ وَهْباً قرأ كثيراً من الكُتُب المُنزلة على الرُّسل، وعددها ثلاثة وتسعون. والحديث يتكرّر ذكره عدة مَرات في **تاريخ صَنعاء** للرَّازي، مخطوطة البودليان، or. 736 ص126ب» وهي مخطوطة كُتبت سَنَة 980هـ/ 1572م، وفيها «اثنان وتسعون» إن كانت مُلاحظاتي صحيحة.

(300) رواة حديث قُدماء يشكّ في تاريخيتهم، ويقال: إنّ كَعْباً تُوفّي سَنَة 32 أو 34هـ/ 652-3م.

(301) انظر **الإعلان**، ص64.

(302) يقصد «يصعب تصحيح هذه الأخبار».

(303) انظر: H. Richter, *Engl Geschichtschreuber* 88 (Berlin 1938)، وهو يُشير إلى كتاب: William of Malmesbury, *Memorials of St Dunster* 252 Stubles..

ومنه ما هو مُستحبّ حيث كان طريقاً للاقتفاء في المحاسن، وترك ما لا يُناسب من المشائن، وإعمال الفكر في تدبُّر العواقب، وعدم الوُثوق بدوام قريب أو صاحب وغيرها، ممّا أشرنا إليه في فوائده. ومنه ما هو مكروه لكثيرين من تسويد كثير منهم للأوراق، حسبما ذكره ابن الأثير[304]، بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أَوْلى، وترك تسطيرها أَحْرَى وأَعْلى، كقولهم: خُلع على فلان الذِّمّي، وزِيد في السعر اليومي، وأُكرم فلان وهو من المُجرمين، وأُهِين[305] فُلان وهو من أئمّة المُسلمين أصحاب الهيئات المُعتبرين، لاقتضاء هذا التجرّي على غيرهم كما سيأتي[306]. ومنه ما هو مُباح حيث لا نَفْع فيه، لا دُنيوي ولا أُخروي، كما صرَّح به حُجّة الإسلام الغزالي في **الإحياء** فإنه قال: «وأما المُباح من العلم، فالعلم بالأشعار التي لا سُخف فيها، وتواريخ الأخبار، وما يجري مجراه». بل قال في موضع آخر، وتَبِعه النَّوَوي في قسم الصدقات من **الروضة**[307]: «الكتاب يُحْتاج إليه لثلاثة أغراض: التعليم، والتفرّج بالمُطالعة، والاستفادة. فالتفرّج لا يُعَدّ حاجة، كاقتناء كُتُب الشعر والتواريخ ونحوها، ممّا لا ينفع في الآخرة ولا في الدُّنيا، فهذا يُباع في الكفّارة وَزَكَاة الفِطر، ويمنع اسم المسكنة. ونحوه قوله في الباب الأول من كتابه **فضائح الباطنية**[308] إنه طالع الكُتُب المُصنَّفة في هذا الفنّ، فَصَادَفها مشحونة بِفَنَّيْن من الكلام، فنّ في تواريخ أخبارهم وحكاية أحوالهم من مبدإ أمرهم إلى ظُهور ضَلَالتهم، وتسمية كُلّ واحد من دُعاتهم في كُلّ قُطر من الأقطار، وبيان وقائعهم فيما انْقَرَض من الأعصار. فهذا فنّ أرى التشاغل به اشتغالاً بالأسمار، وذلك أَلْيَق بأصحاب التواريخ والأخبار. إلى آخر كلامه، وذكر الفنّ الثاني، وصَرَّح بأنه لا يرى التشاغل به، فاقتضى إباحة الأول

(304) ابن الأثير: **الكامل**، ج1، ص2 فما بعد، «القاهرة 1301هـ» مع بعض الاختلاف في اللفظ.

(305) انظر ص432 في هذا الكتاب.

(306) ج 1، ص15 (القاهرة 1334، 1346هـ، كتاب العلم، الباب الثاني). ويبدُو أنّ الغزالي كان أساساً لكُتُب العَلْمَوي **المُعيد في أدب المُفيد والمُستفيد**، ص25 (دمشق 1349هـ).

(307) انظر: **الإحياء**، ج1، ص199 (القاهرة 1334هـ، كتاب **أسرار الزكاة**، الفصل الثالث).

(308) انظر كتاب **فضائح الباطنية**، ص3 من النصّ العربي الذي نشره:
I. Goldziher. *Die Streitschrift de Ğazâlî gegen die Bâṭinijja-Sekte* (Leiden 1916).

مع قَبوله للنِّزاع. وأمّا ما اسْتَنْبَط له من الأدّلة فيُؤخذ ممّا تقدَّم في فوائده وممّا سيأتي قريباً.

ذمّ نَاقدي التاريخ

وأما الذامُّون له فمنهم من خَصَّص، ومنهم من عَمَّم:

(1) فالمُخصِّصون اقتصَروا على من مَلأ منهم كُتُبه بما يُرْغَب عن ذكره ممّا أَدْرجناه في التحريم.

(2) ومنهم من يدَّعي المعرفة والرَّزانة، ويظنّ بنفسه التبحُّر في العلم والأمانة، يُعمِّم فيُحقِّر التواريخ ويَزْدَريها، ويُعرض عنها ويُلغيها، لظنّه أنّ غاية فائدتها إنما هو القَصَص والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار.

(3) ومنهم من نَسب بعضهم إلى القُصُور، حيث لم يتعرَّض للجَرْح وضدّه، مع كونه أعظم فوائده، ولا على أخبار الأئمّة والزُّهّاد والعُلماء الذين بذكرهم تَنزل الرحمة[309]، ولا على شرح مَذَاهب الناس مع عُمُوم الحاجة إليه. بل اقتصر على الحُروب والفُتوحات ونحوها، مع أنّ من أنصف يعلم أنه ليس من العلم فتح البلد الفُلاني في سَنَة كذا، ولا أنّ عدد الجيش كان كذا.

(4) ومنهم من نَسب المُتعرِّض منهم للتجريح في الأزمان المُتأخّرة إلى ارتكاب المُحرَّم لكونه غَيْبة، وأنّ الأخبار المُرخَّص له من أجلها قد دُوِّنت وما بَقِي له فائدة وممّن صَرَّح بهذا أبو عمرو بن المُرابط[310]. وقال: إنّ فائدته انْقَطَعَت من رأس الأربعمائة، ودَنْدَن هو وغيره مِمّن لم يتدبَّر مقاله بعَيْب المُحدِّثين بذلك، وصرَّح بعضهم بأن ما يقع في كلام جماعة من المُتأخّرين القائمين بالتاريخ وما أشبهه، كالذَّهبي ثم شيخنا، من ذكر المَعائب، ولو كان المُعاب من أهل الرِّواية، غَيْبة مَحْضة. ونحوه تعقَّب التَّقي ابن دَقِيق العِيد بن

(309) انظر أعلاه: ص363 هامش 122.

(310) محمد بن عثمان (680-752هـ/ 1281-1351م) (ابن حَجَر: الدُرَر، ج4، ص45).

السَّمعاني في ذكره بعض الشعراء وقَدَح فيه بقوله: إذا لم يُضطر إلى القَدْح فيه للرِواية لم يَجُز.

(5) ومنهم من نَسب بعضهم إلى التقصير والتعصّب، حيث لم يَسْتَوعب القول فيمن هو مُنحرف عنهم، بل يحذف كثيراً ممّا يراه من ثناء الناس عليهم، ويستوفي الكلام فيمن عداهم غير مُقتصر عليهم.

(6) ومنهم من الحامل له على الذمّ مُجرَّد الجهل. فأما الأول فلا شكّ في تحريم الاقتصار عليه حسبما قرّرناه[311]، وأما الثاني[312] فقد رَواه ابن الأثير بِما حاصله أنه ظنّ من اقتصر على القشر دون اللُّبّ، واختصر فلم ينظر ما فيها من الجواهر لما عنده من التعصُّب. ومن رزقه الله تعالى طبعاً سليماً، وهَداه صِراطاً مُستقيماً، علم أنّ فوائده كثيرة، ومنافعه الدُّنيوية والأُخروية، يعني كما قدمنا، جَمّة[313] غزيرة، وأما الثالث فليس مُجرَّد الاقتصار على ما ذَكَر نَقْص. فالمُؤرّخون مَقَاصدهم مُختلفة، فمنهم من اقتصر على ذكر الابتداء، أو على المُلوك والخُلفاء. وأهل الأثر يُؤْثِرون ذكر العُلماء، والزُّهّاد يُحبّون أحاديث الصُلَحاء. وأرباب الأدب يميلون إلى أهل العربية والشعراء[314]. ومعلوم أنّ الكُلّ مطلوب، والجميع محبوب، وفيه مرغوب. وكُلّ من التزم شيئاً، فالغالب عدم خروجه عن موضوعه، وإن لم يُمكنه الاستيفاء لمجموعه. والسعيد من جمعه في ديوان، وأَوْدعه من غير كبير خَلَل ولا نُقصان، والكمال لله. وأما الرابع فقد أجبناهم بأن الملحوظ في تسويغ ذلك كونه نصيحة، ولا انحصار لها في الرِّواية، فقد ذكروا من الأماكن التي يجُوز فيها ذكر المرء بما يكره، ولا يُعَدّ ذلك غَيْبة، بل هو نصيحة واجبة، أن تكون للمذكور ولاية لا يقوم بها على وَجْهها، إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً أو مُغفَّلاً، أو نحو ذلك، فيذكر ليُزال بغيره ممّن يصلح، أو يكون مُبتدِعاً من المُتصوِّفة وغيرهم، أو

(311) انظر أعلاه: ص400 فما بعد.

(312) في مخطوطة ليدن «ردّه».

(313) **الإعلان** ص23. أما الجُمَل الإضافية فقد أُخذت من **الكامل** نفسه.

(314) انظر أعلاه: ص370.

فاسقاً ويرى من يتردّد إليه للعلم أو للإرشاد، ويخاف عليه عَوْد الضَّرر من قِبَله، فيُعلمه بِبَيَان حاله، ويلتحق بذلك المُتساهل في الفَتْوى أو التصنيف أو الأحكام أو الشهادات أو النقل أو الوَعْظ، حيث يذكر الأكاذيب، وما لا أصل له على رُؤُوس العَوامّ، أو المُتساهل في ذكر العُلماء، أو في الرُّشى أو الارتشاء، إما بتعاطيه له، أو بإقرار عليه مع قُدرته على منعه، وأكل أموال الناس بالحِيَل والافتراء، أو الغاصب لكُتُب العلم من أربابها أو المساجد بحيث تصير مِلكاً، فضلاً عن الأوقاف التي لا حَقيقة للمُسوّغ فيها، أو غير ذلك من المُحرَّمات، فكُلّ ذلك جائز أو واجب ذِكْره ليحذر ضَرره. وبِذَا ظَهَر أنّ الجَرْح لم يَنْقطع، وأنه والحالة هذه من النَّصيحة الواجبة المُثاب فاعلها وقد قال من لم يُشَكّ في وَرعه، الإمام أحمد رضي الله عنه، لأبي تراب النَّخْشَبي[315] حين عذله عن الجَرْح بقوله: «لا تَغْتَب الناس»: «وَيْحك، هذه نصيحة وليست غَيْبة». بل قال: إنه أفضل من الصوم والصلاة، وقال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: 29] وَأَوْجب الله الكشف والتبيين عند خبر الفاسق بقوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: 6]، وقال النبي ﷺ في الجَرْح: «**بِئْس أخو العشيرة**»، وفي التعديل: «**إنّ عبدالله رجل صالح**»[316] إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة في الظرفين. ولهذا كان مُستثنى من الغَيْبة المُحرَّمة. بل أَجْمَعَ المُسلمون على جَوَازه، بل عُدَّ من الواجبات للحاجة إليه ومِمَّن صَرَّح بذلك النَّووي والعِزّ بن عبد السلام كما سيأتي كلامه[317]، بل وسبق أيضاً وتكلّم فيه من المُتأخّرين من كان في الورع بمكان، كالحافظ عبد الغني المَقْدِسي، ومن المُتقدّمين أحمد (ابن حَنْبَل) كما سَلف قريباً، وابن المُبارك، فإنه قال: «لو خُيِّرت بين أن أدخل الجَنّة

---

(315) تُوفّي سَنَة 245هـ/ 859-60م، أما اسمه فَمَشْكوك فيه، ولعلّ الاسم الصحيح هو عَسْكَر (بن محمد) بن الحسين، انظر: **تاريخ بغداد**، ج12، ص315-317»، السَّمْعاني: **أنساب**، ص556ب، وقد ذكر هذه القِصّة الخطيب البغدادي: **الكفاية**، ص45 (حيدرآباد، 1357هـ) و**تاريخ بغداد**، ج12، ص316. انظر أيضاً:
I. Goldziher. *Muh. Studien* II, 354 f (Halle 1899 - 90).

(316) انظر أعلاه: ص400.

(317) **الإعلان** ص47، أعلاه ص264، **الإعلان** ص55، أدناه ص276.

وبين أن أَلقى عبدالله بن المُحرِّر[318]، لاخترتُ أن ألقاه ثم أدخل الجَنّة، فلما رأيته كانت بَعْرةٌ أحبَّ إليَّ منه»، وابن مَعِين[319] مع تصريحه بقوله: «إنا لنتكلّم في أُناس قد حَطُّوا رِحالهم في الجَنّة»، والبُخاري القائل: «ما اغتبتُ أحداً منذ سمعتُ أنّ الغَيْبة حرام»، وروى الخطيب في تاريخه من جِهة بكر بن منَيِّر[320] «سمعتُ البُخاري يقول: إني لأرجو أن ألقى الله ولا يُحاسبني إذا اغتبتُ أحداً»، ولما قال له محمد بن أبي حاتم وَرّاقه، حين سمعه يقول: «لا يكون لي خصم في الآخرة» ما نصّه «إنّ بعض الناس يَنْقمون عليك التاريخ، يقولون فيه اغتياب الناس»، فقال: «إنما رَوَينا ذلك، ولم نَقُلْه من عند أنفسنا، وقد قال النبيّ ﷺ بِئْس أخو العشيرة»[321] انتهى. وسيأتي[322] أنه رضي الله عنه زائد التوقّي، بليغ التحرّي في ذلك، أكثر ما يقول: «سكتوا عنه»، «فيه نظر»، و«تركوه» ونحو هذا[323]. وقلّ أن يقول: «كذّاب أو وضّاع»، وإنما يقول: «كَذَّبه فلان، رماه فلان» يعني بالكذب. قلت: ولذا قال «إنما روينا ذلك، ولم نَقُلْه من عند أنفسنا». وحُجَّتهم التَّوصّل بذلك لصَوْن الشريعة، وأنّ حق الله ورسوله هو المُقدَّم. ومِمَّن صرَّح بذلك يحيى بن سعيد القَطّان[324]، حيث قال لمن قال له:

---

(318) تُوفّي بين سَنَة 150-160هـ/ 767-777م. انظر ابن حجر: **التهذيب**، ج5، ص789، حيث وردت هذه القِصّة.

(319) يحيى بن مَعِين: تُوفّي سَنَة 233هـ/ 848م (انظر: بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص259، **تاريخ بغداد** ج14، ص177 فما بعد)، وقد ذكر بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص934 كتاباً عن **الرجال** اسمه مَعِين بن مُحْرِز راوية ابن مَعِين، ولكن يوسف العش اعْتَبَره كِتاباً لابن مَعِين كما ذكر ذلك في «فَهْرَس مخطوطات دار الكُتُب الظاهرية»، ص231 (دمشق 1366هـ/ 1947م).

(320) انظر: **تاريخ بغداد** ج2، ص13، ويَذْكر هذا الكتاب اسم «مُنيِّر» عِدّة مرات عند الكلام عن ترجمة البُخاري، بدلاً من «مُنَبِّه» الذي يذكره **الإعلان**.

(321) انظر أعلاه: ص264.

(322) **إعلان** ص69، أدناه، ص296.

(323) انظر مثلاً: البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص64، 232 الخ ـ ج1، قسم 1، ص86، 162 إلخ ـ ج1، قسم 2، ص191 ـ 343 إلخ ـ «كذاب» ج1، قسم 2، ص297 ـ «يُتّهم بالكذب»، ج2، قسم 1، ص158.

(324) تُوفّي سَنَة 198هـ/ 814م (**تاريخ بغداد**، ج14، ص135 فما بعد) وتُذكر هذه القِصّة أيضاً في **الكفاية** للخطيب البغدادي ص44 (حيدرآباد 1357هـ).

«أما تخشى أن يكون هؤلاء خُصماءَك عند الله يوم القيامة»؟: «لَأَنْ يكونوا خُصماء لي، أَحَبُّ إليَّ من أن يكون خَصمي النبيِّ ﷺ، حيث لم أذُبَّ عن حديثه». ورأى رَجل عند موت ابن مَعِين النبيِّ ﷺ وأصحابه مُجتمعين، فسألهم عن سبب اجتماعهم، فقال النبيِّ ﷺ «**جئتُ لأُصلّي على هذا الرجل، فإنه كان يذبُّ الكذب عن حديثي**». ونُودي بين يدي نعشه «هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول الله ﷺ» ثم رُؤي في النوم، فقيل له: «ما فَعل الله بِك» فقال: «غفَر لي، وأعطاني، وحَباني، وزوَّجني ثلثماية حُوراً، وأدخلني عليه مرتين»[325]، وقيل فيه:

ذَهَبَ العليمُ بعيبِ كُلِّ محدِّثٍ   وبكُلِّ مُختلفٍ من الإسنادِ
وبكُلِّ وَهْمٍ في الحديث ومُشْكِلٍ   يُعْنَى به عُلماءُ كُلِّ بلادِ[326]

وكذا يجب ذكر المُتجاهر بشيء ممّا ذكرناه ونَحوه من باب أَوْلى لما يُروى حسبما بيّنّاه في غير مَوْضع «أَتَرَعُوَنَّ عن ذكر الفَاجر. اذْكُروه بما فيه يحذره الناس»[327]، و«لا غَيْبة لِفَاسق»[328] مع شَواهدهما. ولكن محلّه ما إذا ظنَّ انكفافه، أو انكفاف من هو نَظيره أو نحوه. وقد استفتى بعض الأئمّة من أصحابنا، غير واحد من شُيوخنا رَحمهم الله، فيمن عَاب المحدِّث بذلك. فقال شيخُنا ومُرشدُنا: «المُحدِّث أصل وَضع فنّه الجَرْح والتعديل، فمن عابه بذكره لِعَيْب المُجاهر بالفسق، أو لمُتَّصِف بشيء ممّا ذُكر، فهو جاهل، أو مُلبس، أو مُشارك للمُجاهر في صِفَته، فيُخشى أن يسري إليه الوصف». قلت: وهذا

---

(325) انظر: **تاريخ بغداد** ج14، ص187.

(326) انظر: **تاريخ بغداد** ج14، ص186. ابن خَلِّكان، ج4، ص27، ترجمة دي سلان.

(327) هذا القول يُنسب إلى الحسن البصري (تُوفّي سَنَة 110هـ/ 728م) كما يذكر **الإعلان** ص56. وقد ذُكر كحديث نبوي عند الخطيب البغدادي: **الكفاية** ص42 (حيدرآباد 1357هـ) **تاريخ بغداد** ج2، ص382، ج3، ص188، ج7، ص262 فما بعد ص268. انظر أيضاً الغزالي: **إحياء**، ج3، ص132 (القاهرة 1334هـ)؛ البَيْهقي: **تاريخ بَيهق**، ص149 (طهران 1317هـ).

(328) انظر: البُخاري: **التاريخ**، ج2، قسم 2، ص304؛ الخطيب البغدادي: **الكفاية** ص42 فما بعد (حيدرآباد 1357هـ).

مُشاهَد، فغالب من يُنكر هذا وشِبْهه يكون مُتلوّثاً بالقَاذورات، أو مُشتملاً على الضَّغينة والحسد وشِبهها من البليّات، ورُبّما يكون غَافلاً عمّا للعُلماء من المَقالات، أو عن إدراجه في النَّصائح العامّات، وقد ردّ شيخنا رحمه الله على من نَسَبه إلى الغَيْبة، حيث قال في الصدر بن الأَدَمي[329]، أحد خَواصّه وأصحابه ما نَصُّه: «وكان مُسْرِفاً على نفسه، مُتجاهراً بما لا يليق بالفُقهاء، وقد أُصيب مِراراً وامتُحن. ولما مدَّ الله تعالى له العَطاء، وأَسْبغ عليه النَّعماء، لم يُقابلها بالشُّكر. بقوله: ليس ذِكر الجَرْح والتعديل من الغَيْبة. بل قال مرة: إنّ هذا الزاعم أنه غَيْبة، إن كان جاهلاً فليعلمْ، فإن أصرَّ فليؤدَّب بما يليق به من الزَّجر، حتى يرجع عن الطَّعْن في البري، والذبّ عن المُجتري، ويُثاب وليّ الأمر أيَّده الله تعالى على ذلك» انتهى. وهو كلام مُعتمد. وتبعه في فتواه القاياتي، وأنه من النصيحة التي يُثاب مُرتكبها، ويكون آتياً بفَرْض كِفاية، وقد قام بواجب أسقط به الحَرَج عن غيره. قال: «ومن هنا قيل إنّ القيام بفَرْض الكِفاية يفضل القيام بفرض العَيْن». وقال ابن الدَّيْري الحَنَفي «منهم لا يُنْكِر على من سلك في ذلك مَسْلَك أهل الضَّبط والإتقان، وتَجَنَّبَ المُجازفة، واحتاط لنفسه من ذلك، فإن أصل ذلك من الواجبات التي لا يَسَع الإخلال بها، والقواعد التي يتعيَّن حفظها ورعايتها، فإن خطر الدِّين أعظم من خطر الدُّنيا، وقد شرط في الحقوق المالية رعاية العدالة وثُبوت الأهليّة، وأَحْرى أن يتعيَّن ذلك في الأحكام الشرعية، صوناً لها عن التغيير والتحريف، خُصُوصاً ممّن غلب عليه هَواه فأضلَّه عن هُداه، كالمُبْتَدِعة والدُّعاة إلى الضلال. فيجب الاحتياط بكشف أحوال نَقَلة الأخبار، والتفرقة بين من يُوثَق بقوله ويُركَن إلى روايته، وبين من يجب الإعلام بحاله، فلا يُنكَر على من اعتمد في قوله على أقوال المعروفين بذلك المجانبين للأهواء، بل يكون فاعل ذلك محموداً مُثاباً، إذا صدقت نِيَّته واستقامت طريقته.

وقال العَيْني، أحد الرُّؤوس من المُؤرّخين، بوجوب التعذير[330] على

---

(329) عليّ بن محمد المُتوفَّى سَنَة 816هـ/ 1413م (**الضَّوء اللامع**، ج6، ص8 فما بعد) ويذكر هذا الكتاب أنّ ابن حَجَر يذكر هذا الكلام في مُعجمه. أما بالنسبة إلى «الأدمي»، فهي تُقال لمن يُعِدُّ ويبيع الأَدَم أي الجُلود.

(330) «التعزير» أو «التقرير»؟

المُنكر. قال: «وأمّا الكلام في المُؤرّخين المُتأخّرين الذين كتبوا التاريخ، مثل الخطيب وابن الجَوزيّ وسِبْطه وابن عساكر[331] وأمثالهم، فإنهم لم يُريدوا بهذا إلا وُقوف الناس من أهل العلم على ذلك، ليُميِّزوا المُعدّل من المجروح. وأما الذي يكتب التاريخ في زماننا هذا، فإن كان نقله عن مُشاهدة وعِيان أو بأخبار ثِقات فلا بأس بذلك، لأن فيه فوائد كثيرة لا تَخْفى على المتأمّل وتحتاج إلى مُجلّدات».

وقال العِزُّ الكِنَاني الحَنْبلي الفريد في زمانه «لا شكّ في جلالة علم التاريخ، وعِظَم موقعه من الدِّين، وشدّة الحاجة الشرعية إليه. لأن الأحكام الاعتقادية والمسائل الفقهية مأخوذة من كلام الهادي من الضلالة، والمُبصر من العَمَى والجَهَالة، والنَّقَلة لذلك هم الواسطة بيننا وبينه. فوجب البحث عنهم، والفحص عن أحوالهم. وهذا أمر مُجمَع عليه. والعلم المُتكفِّل بذلك هو علم التاريخ، ولهذا قيل: إنه من فُرُوض الكِفاية. وقد اختُلف في فَرْض الكِفاية، هل هو أفضل من فَرْض العَيْن لسقوط التكليف بفعله عن الفاعل وغيره بخلاف العَيْن».

ثم ذكر جُملة من فوائده ومن صَنَّف فيه من نُجوم الهدى ومصابيح الظلم ممّن لا مَطْعن فيهم ولا قَدْح. وسَرَد جماعة ختمهم بالذّهبي وشيخنا ابن حَجَر والعَيْني. ثم ردَّ على القائل بأنه غَيْبة، وقال: «وعلى تقدير تسليمه، فما كُلّ غَيْبة حرام»، ثم سَرَد الأماكن التي جُوِّزت فيه من كلام النَّوَوي في **رياضه**[332] وابن مُفْلِح[333] وغيرهما ممّا أصله لحُجّة الإسلام الغزالي. وقول العِزّ بن عبد السلام في **القواعد**: «القَدْح في الرُّواة واجب، لما فيه من إثبات الشرع، ولما على الناس في ترك ذلك من الضَّرر في التحريم والتحليل وغيرهما من الأحكام. وكذلك كُلّ خبر يجوز الشرع الاعتماد عليه والرجوع إليه، وجَرْح الشهود واجب عند الحكّام وعند المصلحة ولحِفْظ الحُقوق من الدِّماء والأموال والأعراض

(331) عليّ بن الحسن مُؤرخ دمشق (499-571هـ/ 1106-1176م) (انظر بروكلمان: ج1، ص331).

(332) انظر: ص402 من هذا الكتاب.

(333) محمد بن مفلح المُتوفّى سَنَة 763هـ/ 1362م (انظر بروكلمان: ج2، ص107).

والأبضاع والأنساب. وسائر الحقوق أعمّ وأَعْظَم والدَّلالة على النصيحة قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: 29]. وعن فاطمة ابنة قيس(334) رضي الله عنهما قالت: «أتيت النبيِّ ﷺ فقلت: إنّ أبا جَهْم(335) ومُعاوية خَطَباني، فقال: **«أما مُعاوية فصُعلوك لا مال له، وأما أبو جَهْم فلا يضع العصا عن عاتقه»** مُتَّفَق عليه. وفي رِواية لمُسْلِم: «فضرّاب للنِّساء». قال بعض العُلماء فهذا حُجَّة لقول الحسن البصري: «أَتَرْعُوَنَّ عن ذكر الفاجر؟ اذْكُروه بما فيه ليحذَره الناس، فإن النُّصح في الدِّين أَعْظَم من النُّصح في الدُّنيا». فإذا كان النبيّ ﷺ نَصَح المرأة في دُنياها، فالنَّصيحة في الدِّين أعظم.

ثم ذكر أماكن كثيرة تجوز الغَيْبة عندها، وختم ما نقله عن النَّوَوي بقوله: «فيُحْمَل حال هذا المُؤرّخ على مَحْمل من المحامل الحسنة، لأنه لم يتعيّن(336) غيره فيجب، وحُسن الظن به مُتعيّن، وهو أَخْبَرُ بيِّنة(337). إذ لا سبيل لنا إلى الاطِّلاع عليها إلا من قِبَله، وحينئذٍ فلا اعتراض عليه إذ أدنى حالاته أن يكون مُباحاً، إن لم يكن مُستحبّاً ولا واجباً، وهو مُثاب مأجور إذا كان قصده النَّصيحة، وإنما الأعمال بالنِّيّات. بل يُلائم المُنفِّر عن هذا العلم والعائب له، وكيف يليق عيب علم شرعي اتّفق الناس عليه في كُلّ زمان ومكان، كما نقله ابن حزم(338)، أم كيف تُعاب أئمّة الهدى المُتَّفَق على عَدالتهم والاقتداء بهم - انتهى.

---

(334) لقد تزوَّجت عَمرو بن حفص ثُمّ أُسامة بن زيد. انظر: عن القِصّة مثلاً **المُعجم المُفَهْرس**، ج2، ص45ب، الخطيب البغدادي: **الكفاية**، ص39 فما بعد (حيدرآباد 1357هـ). ابن حجر: **الإصابة**، ج4، ص62 فما بعد (كلكتا 1856-73م)، إنّ النّص المُتعلّق بأبي الجَهْم، يُثير معناه النقاش.

(335) إنّ اسم أبي جَهْم بن حُذَيْفة غير معروف بصورة أكيدة: انظر ابن حَجَر: المصدر أعلاه.

(336) «يغتب»؟

(337) تذكر مخطوطة ليدن «أَخْبَرُ بِنِيّاتِهِ»؛ ولعل هذا هو الأصحّ، غير أنّ النّص بأجمعه يُثير الشك.

(338) انظر: **الإعلان** ص47 أعلاه 264 وفي القرن الثامن الهجري أي الرابع عشر الميلادي، كانت العلاقات بين النَّوَوي وابن حَزْم مُهِمّة للعلماء حتى إنّ أيّ مُؤلّف كان يتمنّاها. انظر: ابن كثير: **البداية**، ج14، ص291.

وأما الخامس، فالذي نَسَب الذَّهبي لذلك هو تلميذه التاج السُّبْكي[339]، وهو على تقدير تسليمه إنما هو في إفراد ممّا وقع التاج في أَقْبح منه، حيث قال فيما قرأته بخطّه تجاه ترجمة سَلامة الصياد المَنْبِجي الزاهد ما نصه: «يا مُسْلِم استحي من الله. كم تُجازف، وكم تضع من أهل السُّنّة الذين هم الأشعرية، ومتى كانت الحنابلة، وهل ارتفع للحنابلة قطّ رأس». وهذا من أعجب العُجاب، وأصحب للتعصّب، بل أبلغ في خطأ الخِطاب، ولذا كَتَبَ تحت خطّه بعد مُدّة قاضي عصرنا وشيخ المذهب العِزّ الكناني ما نصّه: «وكذا والله ما ارتفع للمُعَطِّلة رأس»، ثم وَصَفَ التاج بقوله: «هو رجل قليل الأدب، عديم الإنصاف، جاهل بأهل السُّنّة ورُتَبِهم، يدلّك على ذلك كلامه» ـ انتهى.

وأما السادس، فمن جهل شيئاً عَادَاه[340]، والجاهلون لأهل العلم أعداء، على أنّا رأينا كثيراً ممَّن عاب ذلك لم يرفع الله له رأساً.

انتقد بعض المُعاصرين لشيخنا كثيراً من تراجم مُعجمه بانتقادات ساقطة، فلم يكن ذلك بمانع من التنافس في تحصيل المُعجم والتناقل عنه إلى وقتنا بين العرب والعجم، بل كان، ولله الحمد، سبباً لإخماد القائم بإظهاره ونشره وعدم استتاره، مع إطفاء ذكره وإخفاء فَخْره، بحيث إنه ما مات حتى صار عِبْرة، وصار محفوفاً بالنَّدامة والحَسْرة.

وأفحش أبو عمرو بن المُرَابط في حق الذَّهبي بسبب التاريخ ونحوه، حيث ردَّ عليه إجمالاً، ولم يترك في القُبح مَقالاً، فلم يُلتفت إليه، بل كان سبباً لتكذيبه والطعن عليه ونسبته إلى التحامل المُفْرِط الذي هو به للرب مُسْخِط. وكيف لا ويُقال إنّ الحامل له على هذا كونه أنكر عليه الدعوى لأمر نسبه إلى أنه فيه هَذِي[341].

---

(339) عبد الوهاب بن عليّ (727 أو 728-771هـ/ 1327-1370م). انظر بروكلمان: ج2، ص89 فما بعد.
أما قِصّة تحيُّز السُّبكي والذَّهبي، فقد بُحثت بتفصيل فيما بعد. انظر: **الإعلان**، ص76؛ أدناه ص304 فما بعد.

(340) انظر مثلاً: ابن عبد البَرّ. **جامع بيان العلم**، ج2، ص160، (القاهرة: بلا تاريخ).

(341) انظر: **الإعلان**، ص58.

ونحوه غضب الشمس محمد بن أحمد بن بَصْخَان الدمشقي المُقرئ من الذَّهبي لكونه ترجمه ببعض ما فيه، وكَتَب بخطّ غليظ على الصفحة التي بخطّ الذَّهبي كلاماً أقذع فيه في حقّ الذَّهبي، بحيث صار خطّ الذَّهبي لا يُقرأ غالبه. فلما رأى الذَّهبي ذلك، انتقَم منه بأن ترجمه في **مُعجم شُيُوخه** ووصف ما وقع، إلى أن قال: فَمَحَى اسمه من ديوان القُرّاء[342].

---

(342) ابن بَصْخَان (668-743هـ/ 1269-1343م)، وتُؤكد شكل هذا الاسم مخطوطات الذَّهبي رَغْم أنّ المُعجم يذكره بالحاء المُهْمَلة بدل الخاء المُعْجَمة، وكذلك ابن حَجَر: (**الدُرر**، ج3، ص309)؛ وله ترجمة في **طبقات القُرّاء**، مصوّر، القاهرة، تاريخ، 1537م، ص223، وفي **المُعجم**، مخطوطة القاهرة، مُصطلح الحديث 65، ص121 أ ـ ب.
يقول الذَّهبي في **المُعجم**: «محمد بن أحمد بن بصْخان بن عَيْن الدولة، الإمام المُقرىء المُجوّد البارع بدر الدين أبو عبدالله بن السراج الدمشقي.
ولد سَنَة ثمان وستين وستمائة، وقرأ لثلاث وثمانين وبعدها من العزّ ابن الفرّاء، وجماعة.
وكان مليح التلاوة، خبيراً بحلّ الشاطبية، مُشاركاً في العربية، تُوفّي في ذي الحجة سَنَة ثلاث وأربعين (وثمانمائة).
أنشدنا ابن بَصْخَان سَنَة ثلاث وتسعين، أنشدنا ابن دبوقا، أنشدنا رشيد الدِّين الأديب لنفسه.

مَرَّ النسيمُ على رَوْض البسيم فما ... شَكَكت (من) أن سَلْمى حلت السّلما
ولاح بَرْق على أعلى الثنيّة لي ... فخلت بَرْق الثنايا لاح وابتسما
مغنى الحبيبة رواك السحاب فكم ... ظمئت قبل وكم رويت قبل ظما

وذكر القصيدة بطولها».
وروى ابن الذَّهبي أيضاً في **طبقات القُرّاء**:
«محمد بن أحمد بن بصخان بن عز (!) الدولة، الإمام البارع المُقرىء المُجوّد النحوي بدر الدِّين بن السراج الدمشقي.
ولد سَنَة ثمان وستين وستمائة، وسمع الكثير بعد الثمانين من العِزّ بن الفَرّاء وجماعة.
وعُنِي بالقراءات سَنَة تسعين وبعدها. فقرأ لأبي عمرو، وابن كثير، ونافع، عليّ رضي الدِّين بن دبوقا. ولابن عامر على الفاضلي، ثم جمع عليه السبعة، فمات الفاضلي وأنا وهو وابن غدير (؟) وشمس الدِّين الحَنَفي في أثناء الختمة لم يُكمل أحد منّا، ثُمّ عرض ختمة بالسبع على الدّمياطي، وأُخرى (على) بُرْهان الدِّين الإسكندري، وقرأ ختمة لعاصم عليّ شرف الدِّين الفزاري، ولازمه مدّة، وقرأ عليه شرح أبي شامة، وتردّدنا إلى شيخنا مجد الدِّين نبحث عليه القصد. ثُمّ حجَّ غير مرة. وانجفل إلى مصر سَنَة سبع مائة وجلس في حانوت تاجراً.
ثُمّ أقبل على العربية فأحكمها، وقَدِم دمشق بعد ستة أعوام، وتصدّى لإقراء القراءات =

وقد قال شيخنا في ترجمة ابن المُرَابِط من **الدُّرر**: إنه وقف له على تخريج غير مُعْتَبَر، لِكثرة ما فيه من الخَبْط الناشىء عن عدم الفَهْم والضَّبط[343]. ومن يكون بهذه المثابة كيف يتعرّف لمن هو الغاية في الإتقان والإصابة، بحيث إنّ شيخنا قد شرب ماء زمزم لنيل مَرتبته والكيل بمعيار فِطنته، وتقسيمه تاريخ الذَّهبي لأربعة أقسام، قسم منها مَحْض غَيْبة[344] تعقَّبه فيها العِزّ الكِناني، فقال هذه

= والنحو، وقَصَدَه القُرّاء والمُشتغلون، وظهرت فضائله، وبهرت معارفه، وبَعُدَ صِيْتُه.
ثم إنه أقرأ لأبي عمرو بإدغام «والحمير لتركبوها» وأبانه (؟) في المخطوط (وبابه) ورآه سائغاً في العربية، والتزم إخراجه من القصيد، وصمّم على ذلك مع اعترافه بأنه لم يقرأ به، وقال: أنا قد (   ) أن أقرأ بما في القصيد، وهذا يخرج منها. فقام عليه شيخنا مجد الدين، والشيخ كمال الدّين ابن الزملكاني وغيرهما، فطلبه قاضي القُضاة بحضورهم، وراجعوه وباحثوه، فلم ينتهِ، فمنعه الحاكم من الإقراء به، وأمره بمُوافقة الجُمهور، فتألّم وامتنع من الإقراء جُملة. ثُمّ إنه استخار الله تعالى واستأذن الحاكم في الإقراء بالجامع، وجلس للإفادة، وازْدَحَم عليه (نصّ)، وأخذوا عنه القراءات والعربية، وله مِلك يقوم بمصالحه، ولم يتناول من الجِهات درهماً إلى الآن، ولا طالب جهة مع كمال أهْليته».
إنّ القِصّة المذكورة والتي يُفيد ذكرها **الإعلان** في ص76، أدناه ص305 وفي ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص310 فما بعد، غير مذكورة في مخطوطة القاهرة **للمُعجم**، وقد نجد الدليل لتفسير هذه الحقيقة من النّص الذي نجده في ص191أ من أنّ الذَّهبي طلب من عبدالله بن أحمد الزَّرَّنْدي (المُتوفَّى سَنَة 749هـ-1348م. انظر ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج2، ص247) عندما كان يدرس معه، أن يحذف بعض التعليقات عن أصحاب [طُلّاب] ابن البخاري. ولعلّ الذَّهبي كان يقترح أحياناً كذلك لطُلّابه أن يحذفوا العبارة اللاذعة عن ابن بَصْخان من النّص.
ولعلّ العبارة المُثيرة للاعتراض في **طبقات القُرّاء** هي إشارة إلى مُشكلة صادفت ابن بَصْخان عندما كان بدمشق بسبب قِراءته الآية الثامنة من السورة السادسة عشرة من القرآن، اللهمَّ إلا إذا صحّ أنه ذهب إلى مصر مُدّة من الزمن للتجارة.

(343) انظر ابن حَجَر: ج4، ص45 حيث يذكر رسالة عن الذَّهبي وترجمة قاسية له وهامش لبُرهان الدين بن جماعة ضد هجوم ابن المُرابط على الذَّهبي. انظر أيضاً السَّخاوي: **الجَواهر والدُّرَر**، مخطوطة باريس، ar. 2105، ص297أ، أدناه ص523.

(344) لقد كان الشُّرب من ماء زَمْزَم والدُّعاء بتحقيق المُراد، عادة مألوفة. وقد رُوي أنّ الخطيب البغدادي كان ممّن فعلها، انظر: ياقوت، ج4، ص16 انظر أيضاً:
F. Rosenthal. *Die Arabishce Autobiographie* 36 fn 2 Rome 1937 (*Analecta Orientalia*).

الإعلان ص76؛ ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج1، ص92.

الأقسام الأربعة لا يخلو عنها تاريخ غالباً. وأما قوله قسم مَحْض غَيْبة، فليس الأمر فيه كذلك، بل فيه فوائد عديدة منها: الاعتبار بأحوالهم، والوُثوق بفضائلهم، والتحذير من رذائلهم، إلى غير ذلك.

وأَفْرَد بعض الحُفّاظ الرَّدَّ على إمام الحُفّاظ أبي بكر الخطيب لأماكن من تاريخه، فلم ينتشر، ولا رأى من يُوافقه عليه، ولم ينتصر. بل كان قَولاً مطَّرحاً، وعَملاً مُستقبَحاً.

وقال الأُستاذ أبو حَيّان[345] ممّا لم يأتِ فيه ببُرهان في الناقد المَتين يحيى بن مَعِين:

ويحيى وما يحيى وما ذُو رِواية　　وما إنْ ليحيى ذِكْرُ علمٍ به يحيا

سوى ثَلْب أقوام مَضَوا لسبيلهم　　سيُسأل عنها حين يُسأل عن أشيا

إلى غير هذا ممّا يملّ إيراده، ويقلّ مفاده، ممّا لم يَعتمد أحد على شيء منه قديماً ولا حديثاً. ورُبّما قال المُؤيِّد للحق إذا بلغ الماء قُلّتين لم يحمل خبثاً[346]. والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع[347] والدقّ لرأس المُبطِل أَوْفق إن لم يُقطع. والإجماع مُنعقد على الاعتناء بهذا الفَنّ، والانثناء عمّن في أئمته طَعْن.

وكذا قال العِزّ تِلْو كلامه السابق[348] في الردّ على ابن المُرَابِط، وقد عاب

(345) محمد بن يوسف المُتوفَّى سَنَة 745هـ/ 1344م (انظر بروكلمان: ج2، ص109 فما بعد إذا كان النّص صحيحاً).
أما مُلاحظات ابن مَعِين اللاذعة، فقد ذكرها ابن عبد البَرّ: **جامع بيان العِلْم**، ج2، ص159 فما بعد (القاهرة، بلا تاريخ)؛ ومصدر ابن عبد البَرّ، هو **كتاب الضعفاء** لأبي الفتح الأزدي.

(346) انظر: **المُعْجم المُفَهرس**، ج2، ص6ب؛ قاموس لين Lane، ص647 ب مادة رد، حمل؛ **تاريخ بغداد**، ج13، ص405.

(347) يُذّكرنا هذا التعبير بالآية الكريمة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: 3].
انظر أيضاً: الكافِيَجي، ص470.

(348) **الإعلان**، ص57.

ابنُ المُرابط الذَّهبي بثَلْبه الناس وذكر مَساوئهم، وقال: «إنّ ذلك غَيْبة لا تجوز، وأنّ الجَرْح قد انقطعت فائدته من رأس الأربعمائة، فما الحامل له على المُساواة له في هذه الكبيرة التي عابها من غيره. فإن اعتذر بشيء فلعلّ الذَّهبي يعتذر بمثله».

ونحوه ممّا اعتمده العِزّ رحمه الله في الردّ ما حَكَاه أيضاً لنا قال: «كنتُ جالساً مع شخص، فجرى ذِكْر بعض من يُعاديني، فتظّلمتُ عنده منه، وذكرتُ له شيئاً من أوصافه. فردّ عليَّ بأن هذا غَيْبة. فما وَسعني إلا السُّكوت وجارَيْتُهُ الحديث، إلى أن جاء ذِكْرُ بعض مَنْ بينه وبينه عداوة، فأخذه في تنقيصه، فرددتُ عليه بما رَدَّ به عَلَيّ».

وأما قول بعض الأئمّة: «قَدِم أُناس المدينة وليست لهم عُيوب، فتكلّموا في عُيوب الناس، فاختلق الناس لهم عُيوباً، وأُناس لهم عُيوب، فسكتوا، فسكت الناس عن عُيوبهم، بحيث قال بعض الشعراء:

كُفّ عن الناسِ إذا شئتَ أن تَسْلم من قولِ جَهُولٍ سَفِيهْ
من قذف الناس بما فيهم يقذفُه الناسُ بما ليس فيهْ

ومن العجيب إيراد الدَّيْلمي بسنده له في مُسنده[349] عن ابن عُمَر مرفوعاً، «كان بالمدينة أقوام لهم عُيوب فسكتوا عن عُيوب الناس... الحديث».

وقال الآخر: «كُفَّ عن الشرّ يكفَّ الشرُّ عنك»[350].

فينبغي حمله على ما إذا كان الذِّكر عَبْثاً لا بقصد صحيح مُرخَّص له، أو زِيد فيه على ما يحصل القصد بدونه. وكذا قولهم لُحوم العُلماء مسمومة، وعادة الله في هَتْك أستار مُنتقصيهم معلومة، والمُعترض لهم بالسبِّ يُخْشى عليه من موت القلب، ليس على إطلاقه.

(349) شِيُرَوَيْه بن شَهْرِدار الدَّيْلَمي (تُوفّي سَنَة 509هـ/ 1115م. انظر بروكلمان: ج1، ص344؛ انظر: **الإعلان**، ص82، أدناه ص313) **فِرْدَوْس**، مخطوطة القاهرة: حديث 355، مادة كان. انظر: **الضَّوء**، ج1، ص106.

(350) انظر المُبَشِّر: **مختار الحِكَم**، أرسطو، القول رقم 142.

وما أحسن قول ابن عساكر[351]: «الوقيعة فيهم بما هم منه بَرَاء أمر عظيم، والمُتناول لأعراضهم بالزُّور والافتراء مَرْتع وَخِيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لِنَعْش العلم خُلُق ذَمِيم، والاقتداء بما مدح الله به قول المُتّبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصفٌ كريم، إذ قال مُثنياً عليهم في كتابه، وهو بمكارم الأخلاق وضدها عليم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] انتهى».

وقد روى أحمد بن نصر الرُّوياني، ولا وُجود له، عن الأَشَجّ أبي الدُّنيا[352] عن عليّ رفعه: «إذا أَلِف القلب الإعراض عن الله، ابتلاه بالوقيعة في الصالحين». ولا يصحّ، وإن صحّ فهو محمول على ما قُلناه[353].

وقول ابن دَقِيق العِيد: «أعراض المُسلمين حُفرةٌ مِن حُفَر النّار، وَقَفَ على شفيرها طائفتان من الناس، المُحَدِّثون والحُكّام»[354] وقول غيره: «من أراد بي سُوءاً جعله الله مُحدِّثاً أو قاضياً»، ممّا يتعيَّن تأويله، وإلا حيث صدر عن اجتهاد مُعتبَر، وتحرٍّ، فهو فيه مأجُور لا مأزُور[355]، كما قدّمنا حكايته عن أئمّة المُسلمين[356].

وممَّن امُتحِن بسبب إطلاق لسانه بغير مُستند ولا شُبهة، الإمام أبو شامة[357] أحد شُيوخ النَّووي رحمهما الله تعالى، فإنه مع كونه عالماً راسخاً في

(351) **تبيين كذب المُفتري** ص29 (دمشق 1347هـ).

(352) عثمان بن الخطّاب المُتوفَّى سَنَة 327هـ/ 938-9م (**تاريخ بغداد** ج11، ص297 فما بعد، ابن حَجَر: **لسان**، ج4، ص134 فما بعد، ج6، ص376).

(353) إنّ كُلّ هذه الفقرة مأخوذة من ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص318.

(354) انظر: **الإعلان** ص72 أدناه، ص299؛ ويقول السُّبكي في **طبقات الشافعية**، ج1، ص190 (القاهرة 1324هـ) إنّ هذا القول مأخوذ من كتاب **الاقتراح** لابن دَقِيق العِيد.

(355) انظر عن هذا الاصطلاح العربي: **لسان العرب**، ج7، ص145 (بولاق 1300-7هـ).

(356) انظر **الإعلان** ص52، 54، 56 أعلاه، ص270، 274، 277.

(357) عبد الرحمن بن إسماعيل المُتوفَّى سَنَة 665هـ/ 1267م (انظر بروكلمان: ج1، ص316 فما بعد).

العلم، مُقرئاً مُحَدِّثاً نحويّاً يكتب الخطّ المليح المُتقن، مع التواضع والانطراح، والتّصانيف العِدّة، كان كثير الوقيعة في العُلماء والصُّلحاء وأكابر الناس، والطَّعن عليهم، والتنقُّص لهم، وذكر مَساوئهم، وكونه عند نفسه عظيماً، فصار ساقطاً من أعين كثير من الناس ممَّن علم منه ذلك، وتكلّموا فيه، وأدّى ذلك إلى امتحانه بدخول رجلين جليلين عليه داره في صورة مُسْتَفتِيَيْن، فضرباه ضرباً مبرِّحاً إلى أن عِيل صبره، ولم يُغثه أحد، بحيث أنشد أبياتاً يستغيث فيها الله عزَّ وجلّ[358].

وذُكر في ترجمة الحافظ الشمس أبي العباس محمد بن موسى بن سِنْد[359] أنه تغيّر ذهنه في آخر عُمره، ونسي غالب محفوظاته حتى القرآن، وأنه قيل إنّ ذلك كان عُقُوبة من الله له، لكثرة وقيعته في الناس. على أنّ ذلك قد وقع للبُرْهان الحلبي[360]، مع أنه لم يكن يتعرَّض لأحد، بل كان وَرِعاً زاهداً، ولكنه تراجع قبل موته. ونظيره قولهم: إنما يَخْرف الكذّابون، فإنه قد يَخْرف من لم يُوصف بذلك.

وبلغني عن الجَمَال محمد بن أبي بكر المصري[361] أنه شاهد الجَمَال أبا عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر الرَّيْمي اليَماني القاضي الشافعي[362] عند موته؛ وقد اندلع لسانه واسوَدَّ، فكانوا يرون أنّ ذلك بسبب اعتراضه، وكثرة وقيعته في النَّوَوي رحمه الله تعالى.

---

(358) لم يَمُت أبو شامة في أول مرة، ولكنه لم يَرِد التشكّي ممّن ضربه، وكان يقرأ بعض الآيات. غير أنه قُتل عندما أعاد الحشّاشون الكَرّة ثانية. انظر ابن كثير: **البداية**، ج13، ص250 فما بعد.

(359) 729-792هـ/ 1329-1390م، انظر ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج4، ص270 فما بعد، وهو مصدر نص **الإعلان**. أما الاسم الأخير فغير مُؤكّد شكل تهجئته.

(360) إبراهيم بن محمد سِبْط ابن العَجَمي 753-841هـ/ 1352-1438م. (انظر بروكلمان: ج2، ص67؛ **الضَّوء** ج1، ص138-45) ولا يذكر **الضَّوء** شيئاً عن فُقدان هذا العالم ذاكرته.

(361) تُوفّي سَنَة 820هـ ـ ديسمبر 1417م (**الضَّوء** ج7، ص181 فما بعد).

(362) تُوفّي سَنَة 792 أو 791هـ/ 1389-90م (ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج3، ص486، بروكلمان. المُلحق، ج2، ص971 رقم 21أ) وابن حَجَر هو مصدر أخبار السَّخاوي. أما نسبة «الرَّيْمي»، فقد كُتبت بصورة صحيحة في مخطوطة ليدن.

وأعلى[363] من هذا ما حكاه ابن النجّار في **ذَيْل تاريخه** عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي[364] أنه «سمع القاضي أبا الطيِّب الطَّبَري يقول: كُنّا في حلقة النَّظر بجامع المنصور، فجاء شاب خُراساني حَنَفي، فطالب بالدليل في مسألة المِصْراة[365]، فأورده المُدرّس عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، فقال الشاب: إنه غير مقبول الرِّواية. قال القاضي: فما استتمّ كلامه حتى سقطت عليه حَيّة عظيمة من سقف الجامع، فهرب منها فتبعته دون غيره، فقيل له: تُبْ، فقال تُبْتُ، فغابت ولم يُرَ لها بعد أَثَر»[366]. وقال أحمد بن محمد بن عُمَر اليماني[367] فيما أسنده عنه ابن بَشْكُوال[368]: «كنت بصنعاء فرأيت رجلاً والناس مُجتمعون عليه، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا رجل كان يَؤُمّ بنا في شهر رمضان، وكان حسن الصوت بالقرآن، فلما بلغ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56] قرأ يُصَلُّون على عليّ النبيّ، فَخَرِسَ وتَجذَّم وبَرِصَ وعَمِي وأُقْعد فهذا مكانه» انتهى.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

وكذا ممَّن حصل من بعض الناس منهم نُفْرة، وتحام عن الانتفاع بعلمهم مع جلالتهم علماً وورعاً وزُهداً لإطلاق لسانهم وعدم مُداراتهم، بحيث يتكلّمون ويجرحون بما فيه مُبالغة، كابن حَزْم وابن تَيْمِيّة[369]، وهما ممّن امتُحن وأُوذي. وكُلّ أحد من الأمة يُؤخذ من قوله ويُترك، إلا رسول الله ﷺ[370].

---

(363) إنّ تعبير «أعلى من هذا» لا يُقصد منه التعبير المعروف عند أهل الحديث والذي يقصدون منه أنه «مُتّصل بالرَّاوية الأول بعدد قليل من الرُّواة» أي قريب من عهد الرسول.

(364) إبراهيم بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 476هـ/ 1083م (انظر بروكلمان: ج1، ص387 فما بعد).

(365) الإشارة إلى الحديث الذي ذكره **المُعجم المُفهرس**، ج1، ص244أ. انظر أيضاً:
J. Schacht. *The Origins of Mohammadan Jurisprusdence* 123, 299, 327 (Oxford 1950).

(366) انظر أيضاً ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج9، ص154 فما بعد.

(367) القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي (**تاريخ بغداد** ج5، ص65 فما بعد؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص282 فما بعد).

(368) خلف بن عبد الملك المُتوفَّى سَنَة 578هـ/ 1183م (انظر بروكلمان: ج1، ص340).

(369) أحمد بن عبد الحليم المُتوفَّى سَنَة 728هـ/ 1328م. (انظر بروكلمان: ج2، ص100-5).

(370) انظر: الكافِيَجي، أعلاه ص191.

وكذا مِمَّن تعطَّل لغير العارف الانتفاع بتصانيفهم، لا من هذه الحيثية، بل لمُبالغتهم في القصد الذي صنَّفوه، جماعةٌ، كالحاكم[371] فإنه تَساهل في **مُستدركه** الذي شرط فيه المَشْي على شرط الشيخين أو أحدهما، حتى أدرج فيه الموضوع فضلاً عن الضعيف. وكابن الجَوزي، فإنه توسّع في موضوعاته، حتى أَدرج فيها الصحيح، فضلاً عن الضعيف. فهما طرفا نقيض رحمهم الله تعالى وإيانا ونفعنا ببركاتهم.

وبالجُملة، فالمُؤرّخون كغيرهم من سائر المُصنِّفين، في كَلامهم الخَمِير والعَفِين، والسعيد من عُدَّت غَلطاته وما اشتدّت سَقْطاته[372]. فكُلّ إنسان سوى ما استدركوا يُؤْخَذ من كلامه ويُترَك[373]. وهي الدُّنيا لا يَكمُل فيها شيء؛ ولا يخلو مُصنَّف من نَشْر وطَيّ. وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**حقٌّ على الله أن لا يرفع شيئاً من الدُّنيا إلا وضعه**»[374]، ليس المعنى بوضعه إعدامه وإتلافه، إنما هو نقص فيه.

(371) محمد بن عبدالله، 321-405هـ/ 933-1014م (بروكلمان: ج1، ص166) **المُستدرك** (حيدرآباد 1334-42هـ) انظر **تاريخ بغداد**: ج5، ص474، ابن حجر، **لسان**، ج5، ص233.

(372) إنّ هذا المَثَل المشهور جداً (انظر أيضاً **الإعلان** ص56) نقلته عدّة كتب مع قليل من الاختلاف، مثلاً ابن قُتَيْبة: **عُيون** ص273 طبعة بروكلمان؛ العسكري: **التصحيف**، مخطوطة جامعة ييل، Landberg 45 ص4أ؛ الثَّعالبي، **يتيمة الدهر**، ج1، ص79 (دمشق 1304هـ) كذلك: ج1، ص105 في شعر للمُتنبّي، كذلك، **إعجاز**، ص67 (القاهرة 1897م)، كذلك أبو الطيب المُتنبّي ص4627 (القاهرة 1343هـ/ 1923م) الحصري: **زهر الآداب**، ج1، ص59 (القاهرة 1316هـ على هامش العقْد) ابن إسْفِنْدِيار: **تاريخ طَبَرستان**، ص67، طبعة براون Browne، السُّهْرَوَرْدي: **حكمة الإشراق**، ص10 (طهران 1313-5هـ). ابن كثير: **البداية**، ج9، ص193، حوادث سَنَة 101؛ الإبشيهي: **المُسْتَطْرَف**، ج1، ص80 (بولاق 1268هـ).
Yehûḏâh hal-Lewi. Ḥazarî 42 f. Hirschfeld (Leipzig 1887).
انظر أيضاً: المُبَرّد: **الكامل**، ص477، طبعة رايت Wright؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج1، ص42، طبعة فلوجل.

(373) أعلاه: ص284، هامش 5. والإشارة ترجع إلى «صَحَّ عنه صلعم».

(374) انظر: **المُعجَم المُفهرس**، ج2، ص281أ.

نَعَمْ، قد ظهر الكثير من الخَلَل، وانتشر من المَنَاكير، ما اشتمل على أقبح العِلَل، حيث انتُدب لهذا الفنّ الشريف من اشتمل على التحريف والتصحيف؛ لعدم إتقانهم شُروط الرِّواية والنَّقل، وائتمانهم من لا يُوصف بأمانة ولا عَقْل؛ بل صاروا يكتبون السَّمين مع الهزيل، والمَكِين مع المُزَلزل العليل. ولو سَوَّدْتُ لك ما وقع لشيخ المُؤرّخين التَّقي المَقْرِيزي، لقضيتَ العَجَب، وتجنَّبت لتصانيفه الطَّلب. وكذا لغيره من شُيوخنا أئمّة الإسلام وخُلاصة الأَنَام، ممّا أشار أُستاذنا في خطبة **إنبائه**[375] لبعضه، اكتفاءً بإيمائه.

ويا أَسَفي عليهم فقد جاء بعدهم من لا يصل، ولو بالغَ، إليهم خُصوصاً من نَدَب نفسه في هذا العصر لذلك، وتَجَاسر إلى الخوض في غمرة هذه المسالك، ورأى من يُمدّه بسببه غاية الإمداد من النُّقُود والأقمشة وجُلّ ما يُراد، مع كَوْنه لم يصلْ ولا كاد، ولكن لكونه من نَمَطهم، وعلى شريطتهم، سِيَّما في العبارات. وتلك الإشارات التي لا يرتضيها عاقل، ولا يمضيها إلا من هو غَمْرٌ عاطل، بحيث يُميّزوا كِتابته على كِتابة أُستاذنا ومن عليه اعتمادنا. ومع ذلك فكنتُ، لكثرة اختصاص المُشار إليه بأعيان المُلوك والأُمراء وعُظماء الدُّول والوُزراء، أتوهّم إتيانه بأخبارهم على الوجه المُعتبَر، مع علمي بتقصيره فيمن عَدَاهم وإتيانهم بالعُجَر والبُجَر، ممّا يفوق فيه الخَبَر والخُبْر، فأقتصر على ضَبْط ما أحتاج إليه من الوَفَيَات، وأختصر الحوادث والماجريات، إلى أن رأيتُ بعد موته في ذلك أيضاً العجائب، وسمعتُ من يَرجع إليه فيه يصفه بمزيد المعائب،

---

(375) يُشير السَّخاوي إلى انتقاد ابن حَجَر العَيْني وابن دَقِيق العِيد. ويقول ابن حَجَر عند تعداده مصادر **الإنباء** (مخطوطة البودليان) or. Hunt 123: «والحافظ محمود العَيْني وذكر أنّ الحافظ عماد الدِّين بن كثير عُمدته في تاريخه وهو كما قال، لكن مُنذ انقطع ابن كثير صارت عُمدته على تاريخ ابن دُقماق حتى كان يكتب منه الورقة الكاملة المُتوالية، ورُبّما قلّده فيما يتمّ فيه حتى للّحْن الظاهر مثل أَخْلَعَ على فلان (بدل خَلَعَ على). وأعجب منه أنّ ابن دُقماق يذكر في بعض الحادثات ما يدلّ على أنه شاهدها، فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمّنه وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعد في عَنْتاب، ولم أتشاغل بتتبّع عَثَراته بل كنتُ منه ما ليس عندي ممّا أظن أنه اطَّلع عليه من الأُمور التي كنّا نغيب عنها ونحضرها».

فندمتُ، وماذا يُفيد الندم، حيث لم أتفحّص عن الأخبار في حياته، وإن كان ما بالعهد من قِدَم.

ولعلّ الخِيرة كانت في ذلك للتفرُّغ لما هو أهمّ منه من علم الحديث المُتشعب المسالك إذ هو بَحْرٌ لا ساحلَ له، وأمر لا يتهيّأ استيفاء مقاصده المُجْمَلة فضلاً عن المُفصَّلة. ولَيْتَ هذا أيضاً دام، وإن كان في الفنّ ما استقام، فقد خلفه بعض العوامّ، ممّن لا يُذكر بغير الجهل والإقدام، فيصف الناس بما لا يليق، بالألفاظ المُكذبة المُستحقَّة للتمزيق، ويحكي من الحوادث ما يلعب النُّفوس، وتَجِب إزالته بالفُؤوس. وما أحسن قول بعض الوَرِعين وقد وصف له بأنه للتاريخ من المُعتنين «هو والله تاريخ مُبِين، يُشير لقُرب ما وقع له من الفُسّاق والمُتلوّثين»[376]. ولكن قد حصل الاستقرار بأن من يكون كذلك لا يرتقي مع المُتقنين المُتقين لشيء من المسالك، ويزول سريعاً عمله، ولا يطول للابتلاء بكلماته، ولو كانت فيه كثرة من فضيلة، فضلاً عن شِرْذمة قليلة.

وآخر مِمَّن عَلمناه منهم بيقين، بعض العصريين، فإنه أكثر الوقيعة في الناس، بدون تدبُّر ولا قِياس، فأُبعد عن البلد، وتزايد به الألم والنَّكَد، ومع ذلك فما كفّ، حتى ثَقل على الكافّة وما خَفّ، فلم يَلبث أن مات، وما اشتفى من تلك النِّكايات.

في آخرين من المُؤرّخين، كبعض المَقادِسة، ممن عُرِف بالمُدارسة، ومشاركة الأبالسة. والله تعالى يقينا شُرور أنفسنا، وحصائد ألسنتنا.

شُروط المُؤَرِّخ

وأما شرط المُعتني به[377]: فالعدالة مع الضَّبط التام الناشىء عنه مزيد

---

(376) لقد هاجم السَّخاوي في مكان آخر المُؤرّخ عليّ بن داوُد الجوهري. انظر **الضَّوء**: ج5، ص218 أعلاه، ص180؛ وقد عبَّر ابن حبيب عن الفكرة تعبيراً حسناً بنثر مَسْجوع في مُقدّمة كتابه **دُرَّة الأسلاك**.

(377) قد يكون من الطريف أن نُقارن بهذه المُناسبة ما يقوله لوسيان Lucian عن شُروط المُؤرخ Πῶς δεῖ ἱστορίαν συγγράφετν 54 f. انظر أيضاً: Cicero, *De Oratore* II, 15, 62 ff.

الإتقان، والتحرِّي سِيَّما فيما يراه في كلام كثير من جَهَلة المُعْتنين[378] بِسِيَر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقد قال الخطيب في **جامعه**[379] ويجمعون، أي أهل الحديث، أيضاً ما رُوِي عن سَلَف المُسلمين، من أخبار الأُمم المُتقدّمين، وأقاصيص الأنبياء وسِيَرِهم. والذي نستحبّه أن لا يتعرّض لجمع شيء من ذلك إلا بعد الفراغ من أحاديث رسول الله ﷺ، «ثُمّ ساق عن ابن عَيّاش القَطّان»[380]، «قلت لأحمد أشتهي أن أجمع حديث الأنبياء. فقال لي: حتى تَفْرغ من حديث نبيِّنا ﷺ». كذا صَرَّحَ، هو وغيره، بأنه ينبغي التحرُّز فيما يُكتب من أخبار الأوائل والكُتُب القديمة، وما يكون من الحوادث والملاحم، لتردُّد الأمر فيها بين تجويز الإبطال، أو الجَزْم، كالكتاب المنسوب لدانيال. بل ليس يصحّ في ذكر الملاحم المُرتقبة، والفِتَن المُسَطَّرة إلا اليسير ممّا اتّصل بنا أسانيده إلى الرسول ﷺ[381].

وسأل رجل الإمام مالك عن زَبُور داوُد[382]، فقال له: «ما أجهلك، ما أفرغك. أما لنا في نافع[383] عن ابن عُمَر عن نبيِّنا ﷺ ما يشغلنا بصحيحه[384]، عمّا بيننا وبين داوُد»، كما بسطتُ ذلك في كتابي **الأصل الأصيل**[385].

(378) في مخطوطة ليدن «جُمْلة» بدل «جَهَلة» المذكورة في النّص.

(379) إنّ مخطوطة الإسكندرية لهذا الكتاب الذي قد يكون بالغ الأهمية، لم تكن مُتوافرة عند زيارتي لتلك المدينة.

(380) لعلّه يحيى بن عيّاش المُتوفّى سَنَة 269هـ/ 882-3م (**تاريخ بغداد**، ج14، ص219 فما بعد).

(381) انظر أيضاً عدم إقرار السَّخاوي بالقِصَص الإسرائيلية، **الإعلان** ص150، أدناه، ص417. ولتنبّؤات دانيال تاريخ طويل في الأدب الإسلامي. انظر أعلاه: قسم 1، ص99 فما بعد.

(382) يبدو أنّ هذا التقليد للخطّ العربي شائع جداً، انظر مثلاً:

G.L. Della Vida. *Elenco dei Manoscritti Arabi Islamici della Biblioteca Vaticana*, No. 899 (Città del Vaticano 1935 Studi e testi 67).

(383) تُوفّي سَنَة 117هـ/ 735م. انظر: البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص84 فما بعد، ابن حَجَر: **تهذيب**، ج10، ص412-5.

(384) في مخطوطة ليدن «تصحيحه».

(385) انظر أيضاً: **الإعلان**، ص150، أدناه ص417. ويُقال: إنّ أحد الأشخاص يمتلك نُسخة من هذا الكتاب، انظر سباث P. Sbath **الفِهْرِس**، **ملحق**، ص55 (القاهرة 1940م).

وبالجُملة فأكثر ذلك إلى الوهاء أقرب. بل في كتاب **التّوابين** لشيخ الإسلام المُوفّق بن قُدَامة[386] أشياء ما كنتُ أحبُّ له إيرادها، خُصوصاً وأسانيدها مُختلّة. وكذا فيما يراه من الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم، لِما أُمِرْنا به من الإمساك عمّا كان بينهم، والتأويل له بِمَا لا يحطّ من مِقدارهم.

وَرَحم الله مُنقِّح المَذهب، المُحْيوي النَّووي، فإنه لمّا أثنى على فوائد **الاستيعاب** للحافظ الحُجّة أبي عُمَر بن عبد البَرّ، قال: «لولا ما شانه من ذكر كثير ممّا شجر بين الصحابة، وحِكايته عن الأخباريين، والغالب عليهم الإكثار والتخليط»[387] انتهى. ويتأكّد تجنُّبه إلا مع تأويله بحضرة من لا يفهم كما قالوه في أحاديث الصِّفات وشِبْهها. وأقول في قِصّة الإفك أيضاً، وأنّ قول عليّ رضي الله عنه في ذلك ممّا يتعيَّن تأويله، كما قرَّرتُه في بعض الأجوبة، وكذا يتعيَّن تأويل قول القائل، كما وقع قُبَيْل **الإكراه** من **صحيح البُخاري**[388]، لقد علمت الذي جرى صاحبك يعني عَلِيّاً رضي الله عنه على الدِّماء، مُشيراً لكونه من أهل بَدْر المغفور[389] لهم، لعُلوّ مقامه عن حمل الكلام على ظاهره.

وكذا قول العباس لعليّ رضي الله عنهما حين مجيئهما لعُمَر رضي الله عنه في أموال بني النَّضِير، مع أشياء وَقَعَت في القِصّة واجبة التأويل، إلا مقرونة بالبيان[390].

كُلّ ذلك عملاً بـ «حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبُّون أن يُكَذَّب الله ورسوله»[391]. ما من رجل يحدّث قوماً بحديث لا تبلغه عُقولهم إلا كان

---

(386) عبدالله بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 620هـ/ 1223م (بروكلمان: ج1، ص398).

(387) انظر: **الإعلان**، ص48.

(388) **صحيح البُخاري**، ج4، ص333 فما بعد، طبعة كريهل. انظر أيضاً **المُعْجَم المُفَهْرَس**: ج2، ص148ب.

(389) انظر: **الإعلان**، ص35؛ **إعلان**، ص247، هامش 4.

(390) انظر: I. Goldziher *Muh. Studien* II, 102 (Halle 1888-90).

(391) انظر: الغزالي: **إحياء**، ج1، ص32 فما بعد (القاهرة 1334هـ). أما عن النصف الأول من الحديث، فانظر: **الإعلان** ص46.

لبعضهم فتنة[392]. وما أحسن قول الإمام اللّيث بن سعد إنه: «ينبغي لمن سمع حديث «**لو أنّ فاطمة ابنة محمد سَرَقت لقطعت يدها**»[393] أن يقول أعاذها الله من ذلك».

وكذا ما أحسن صنيع أبي داوُد[394] حيث كَنَّى، حين أراد الحديث الذي قال فيه النبيّ ﷺ لابنته فاطمة: «**لو فعلتِ كذا ما دخلتِ الجنة حتى يراها جَدُّ أبيك**»[395] بقوله: فذكر تشديداً عظيماً.

وقال السُّهَيْلي[396]: «ليس لنا أن نقول نحن في أبويه ﷺ ذلك» وعلّل ذلك. وعندي أنّ الصواب عدم التكلُّم فيهما إثباتاً ونفياً، إلا عند الاضطرار إليه، مع ثابتي الإيمان، وانظر قول عائشة رضي الله عنها: «لا أهجر إلا اسمك»[397] تتسلَّط به على تأويل ما تراه في الهَجْر من بعضهم لبعض.

ويلتحق بذلك ما وقع بين الأئمّة، سِيَّما المُتخالفين في المُناظرات والمُباحثات. وأما ما أسنده الحافظ أبو الشيخ بن حِبّان[398] في كتاب **السُّنّة** له من الكلام في حقّ بعض الأئمّة المُقلّدين. وكذا الحافظ أبو أحمد بن عديّ[399] في **كامله** والحافظ أبو بكر الخطيب في **تاريخ بغداد** وآخرون ممّن قبلهم كابن أبي

---

(392) انظر الغزالي: المصدر السابق، ج1، ص32.

(393) انظر: ابن حَنْبَل، **المُسْنَد**، ج6، ص41 (القاهرة 1323هـ). انظر أيضاً البَيْهَقي: **المحاسن والمساوىء**، ص395 فما بعد طبعة شفّالي (Schwally (Giessen 1902.

(394) سليمان بن الأشعث المُتوفَّى سَنَة 275هـ/ 889م (انظر بروكلمان: ج1، ص161).

(395) انظر **المُعجم المُفهرس**: ج1، ص324ب، سطر 27.

(396) من الواضح أنه عبد الرحمن بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 581هـ/ 1185م (انظر بروكلمان: ج1، ص413) وهو مُؤلّف **الرَّوض الأُنُف**، وهو شرح سيرة ابن هشام.

(397) انظر: **صحيح البُخاري**: ج1، ص131، طبعة كريهل، **مُسْنَد** ابن حَنْبَل، ج6، ص61 (القاهرة 1313هـ).

(398) عبدالله بن محمد بن جعفر المُتوفَّى سَنَة 369هـ/ 979م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص347؛ ابن حجر: **لسان**، ج6، ص395؛ أبو نُعَيْم: **تاريخ أصفهان**، ج2، ص90 طبعة ديديرنغ، حيث يذكر «حَيّان» بدل «حِبّان».

(399) عبدالله بن عديّ المُتوفَّى سَنَة 365هـ/ 976م (انظر: السَّهْمي: **تاريخ جُرْجان**، ص225-7 حيدرآباد 1369هـ/ 1950م) بروكلمان، ج1، ص167.

شَيْبَة في مُصنَّفه[400] والبُخاري والنَّسائي[401]، ممّا كنت أُنزّههم عن إيراده، مع كونهم مُجتهدين، ومَقَاصدهم جميلة، فينبغي تجنيب اقتفائهم فيه. ولذا عَذَرَ بعض القُضاة الأعلام من شُيوخنا من نُسب إليه التحدّث ببعضه، بل منعنا شيخنا حين سمعنا عليه كتاب **ذمّ الكلام** للهَرَوِي[402] من الرِّواية عنه، لما فيه من ذلك.

ولما سمع بعض المُعْتَبَرِين قِصّة حاطِب بن أبي بَلْتَعة[403]، حملته الغيرة، غير مُلاحظ جانب الصحابي رضي الله عنه، إلى التكلُّم بما لم يتدبّره. فبادر بعض من حضر لتقبيحه، بحيث كان ذلك سبباً لاختفائه شهراً. وكان في هذا تأديب من الله تعالى له، فإنه أنكر فيما سبق على بعض طَلَبة شيخنا ترجمته لقريب له، وَوَثَب عليه وَثْبة كاد يهلك فيها، فما وَسِعه إلا الاختفاء بجامع عمرو شهراً كاملاً حتى سكن الأمر. ثم وقع المُنكر فيما هو أشد كُلّ هذا، مع التحرّي فيمن يُحبّه، لاقتفائه له، أو لصَداقته معه، ممّا قد تكون في الله تعالى، أو لإحسان ونحوه، لما جُبلت القُلوب عليه من حبّ من أحسن[404]، بحيث قيل: «اللهمَّ لا تجعل لفاجرٍ عندي نعمة يرعاه بها قلبي».

وانظرْ لشدّة تَحَرُّز ابن مَعِين، فإنه لما قَدِم حَرّان، طمع أبو سعيد يحيى بن عبدالله بن الضحّاك البَابْلُتّي[405] أنه يجيء إليه، فوجَّه بصُرَّة فيها ذَهَبٌ وطعامٌ طيِّب، فقبل الطعام وردَّ الصُّرة، فلما رحل سألوه عنه، فقال: والله إنّ صِلته لحسنة، وإنّ طعامه لطيّب، إلا أنه لم يسمع من الأَوزاعي شيئاً[406].

(400) عبدالله بن محمد المُتوفَّى سَنَة 235هـ/ 849م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص215).
(401) أحمد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 303هـ/ 915م (انظر بروكلمان: ج1، ص162 فما بعد).
(402) عبدالله بن محمد المُتوفَّى سَنَة 481هـ/ 1089م (انظر بروكلمان: ج1، ص433، الذَّهبي، **طبقات الحُفّاظ**، الطبعة الرابعة، رقم 27، طبعة وستنفلد).
(403) تُوفّي سَنَة 30هـ/ 650-1م (ابن كثير: **البداية**، ج6، ص156) أما عن خياناته، فانظر: ابن هشام، **السيرة**، ص809، طبع وستنفلد.
(404) انظر: **تاريخ بغداد**، ج7، ص346.
(405) تُوفّي سَنَة 218هـ/ 833م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص288، السَّمْعاني، **أنساب** ص56أ) انظر أيضاً: **تاريخ الطَّبَري**، ج7، ص391.
(406) عبد الرحمن بن عمرو المُتوفَّى سَنَة 157هـ/ 774م (بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص308 فما بعد).

وأما ما يُروى عن الأَعْمَش من أنه لما بلغه ولاية الحسن بن عُمارة[407] مظالم الكوفة[408] قال: «ظالِمُنا وابن ظالِمِنا، وليّ مظالِمِنا». ثم قال بعد يسير، وقد جهَّز المُشار إليه شيئاً: «صالحُنا وابن صالِحِنا، وليُّ مصالِحِنا[409]» وأنه قيل له في ذلك، فروى «جُبِلَت القلوب على حُبّ من أحسن إليها[410]» فأحسبه غير صحيح، سِيَّما وقد قيل: إنه لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقرَ منهم في مجلس الأعْمَش، مع شدّة حاجته وفقره[411]، وهَبْ أنه رأى بتوجُّهه إلى إكرام أهل العلم تغيَّر وصفه له، فبأيّ شيء تغيَّر وصف أبيه[412].

وقد يكون حبُّه له قريباً له، كأب أو ابن. فقد قال ابن المَدِيني[413] لمن سأله عن أبيه: «سَلُوا عنه غيري». فأعادوا المسألة، فأطرق ثم رفع رأسه، فقال: «هو الدِّين إنه ضعيف».

وكان وَكِيع بن الجَرّاح[414]، لكون والده كان على بيت المال، يقرن معه آخر إذا روى عنه.

وقال أبو داوُد صاحب **السُنَن**: «ابني عبدالله كذّاب[415]، مع تأويلنا له في بذل المجهود».

---

(407) تُوفّي سَنَة 153هـ/ 770م (**تاريخ بغداد**، ج7، ص345 فما بعد).

(408) انـظـر: E. Tyan. *Histoire de l'organization judiciaire en pays d'Islam* II-141 H (Paris 1938-34).

(409) «له» توجد في نصّ مخطوطة ليدن. أما نصّ المطبوع فقد يدلّ على أنّ الهدايا كانت تُقدّم لعُلماء الدِّين عامّة.

(410) إنّ الرِّواية المُختصرة التي يرويها الأعْمَش عن القِصّة، أكثر ضعفاً، وهي في **تاريخ بغداد**، ج7، ص346 فما بعد.

(411) انظر **تاريخ بغداد**، ج9، ص8، ابن حجر: **التهذيب** وج4، ص223 فما بعد.

(412) يبدو أنّ هُناك حَذْفاً في النصّ بهذا المكان.

(413) عليّ بن عبدالله بن جعفر المُتوفَّى في نهاية سَنَة 234 أو 235هـ/ 849م (**تاريخ بغداد**، ج11، ص458 فما بعد).

(414) تُوفّي وَكِيع سَنَة 197هـ/ 812-3م (**تاريخ بغداد**، ج13، ص496 فما بعد).

(415) عبدالله بن سليمان المُتوفَّى سَنَة 316هـ/ 929م (**تاريخ بغداد**، ج9، ص464 فما بعد. بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص329). أما المُلاحظة الغريبة عن الأب الذي يبدو أنه كان مُغرماً بولده فقد بحثها ابن حَجَر: **لسان**، ج3، ص294».

ونحوه قول الذَّهبي في ولده أبي هُرَيْرة[416] إنه حفظ القرآن ثم تشاغل عنه حتى نَسِيه.

وقال زيد بن أبي أُنَيْسة كما في مُقدّمة **صحيح مُسْلِم**: «لا تأخذوا عن أخي يحيى المذكور بالكذب»[417].

إلى غير هذا ممّا يُنافيه ما رواه الدّارَقُطْني في **غرائب مالك** من حديث إسحاق بن إسماعيل الجُوزَجَاني عن سعيد بن عيسى بن مَعْن (مَعِين؟) الأَشْجَعي عن مالك عن نافع عن ابن عُمَر مرفوعاً (ممّا يُصفي لك ودّ أخيك المُسلم أن تكون له في غَيْبته أفضل ممّا تكون بحضرته) سِيَّما وقد قال إنه باطل ومن دون مالك[418] ضعفاً.

نَعَمْ في الخُلفاء وآبائهم وأهليهم، كما قاله الذَّهبي، قومٌ أَعْرَضَ أهل الجَرْح والتعديل عن كشف حالهم، خوفاً من السيف والضرب، قال: «وما زال هذا في كُلّ دولة قائمة يَصِف المُؤرخ مَحَاسنها، ويُغْضي عن مَسَاوئها».

هذا إذا كان المُؤرخ ذا دِين وخَيْر، فإن كان مدّاحاً مُداهناً، لم يلتفت إلى الوَرَع، بل رُبّما أخرج مَسَاوىء الكبير، وهَنَاته في هيئة المدح والمكارم والعظمة. قلت: بل رُبّما يخفى من ترجمته ما يظهر خِلافه، ولا يسمح بترجمته بعد موته بما ترجمه به في حياته. وأحسن من هذا التحرّي في العبارات، والتَّبَرِّي من الصريح دون خفيّ الإشارات.

وكذا مع التحرّي فيمن يُبغضه لعداوة سببها المُنافسة في المَراتب، ممّا كثر الاختلاف بين المُتعاصرين والتباين لها، بحيث عقد ابن عبد البَرّ في **جامع بيان**

---

(416) تُوفّي سَنَة 799هـ/ 1396م.

(417) زيد تُوفّي سَنَة 124هـ/ 741 ـ 2م (البُخاري: **تاريخ**، ج2، قسم 1، ص355؛ الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**: الطبعة الرابعة، رقم 30، وستنفلد، وهو يذكر أنه تُوفّي سَنَة 125هـ). أما يحيى فليس له تاريخ وفاة في البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص262، انظر: **صحيح مسلم**، ج1، ص157 (بولاق 1304هـ على هامش: **القسطلاني إرشاد**).

(418) لقد أخذت هذه الفقرة من ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص352 فما بعد. أما عن الجُوزَجاني والأَشْجَعي، فانظر: ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص352 فما بعد، ج3، ص40.

العلم له باباً لكلام الأقران المُتعاصرين من العُلماء بعضهم في بعض، وأنه لا يقبل كلام بعضهم في بعض، وإن كان كُلٌّ منهم بمفرده ثِقة حُجّة[419]. ورُبّما يكون بين المُتعاصرين الشيء من غير عَداوة. وكذا فَصَله بعضهم عنها، والحُكم كذلك، فإن اجتمعا فأَوْلى بعدم القَبول.

وقد يكون سبب تلك العداوة ظنٌّ فاسد بأن يُخالفه في الاعتقاد الذي يظنّ فساده، وذلك أحد الأسباب التي تُدخل الآفة على المُجَرّحين منها، لأنها أوجبت تكفير الناس بعضهم لبعض، أو تبديعهم، وأوجبت عصبيّة اعتقدوها ديناً يتديّنون ويتقرّبون به إلى الله تعالى، ونشأ من ذلك الطَّعن بالتكفير أو التبديع، أفاده التَّقي بن دَقِيق العِيد، وذلك موجود كثيراً قديماً وحديثاً.

ونحوه الاختلاف الواقع بين المُتصوِّفة وأصحاب الفُرُوع. فقد وقع بينهم تنافر أوجب كلامهم بعضهم في بعض. قلت ومنها تكلَّم ابن خِرَاش[420] في أحمد بن عَبْدة الضَّبّي[421]، لكنهم لم يلتفتوا لذلك لكون ابن خِرَاش رافضي أو خُرّمي. وإذا تقرّر هذا، فلا يرفع من يُحبّه فوق مَرتبته، بل يقتدي بمن أسلفت الحِكاية عنهم، وإن كان الغالب أنه لا قُدرة للمرء على تجنُّبه. **فحُبُّك الشيء يُعْمِي ويُصِم**[422].

---

(419) انظر: ابن عبد البَرّ: **جامع بيان العلم**، ج2، ص150 فما بعد (القاهرة. بلا تاريخ). انظر أيضاً السُّبكي: **مُعِيد النِّعَم**، ص106، طبعة ميرمان Myhrman (لندن 1908م).

(420) عبد الرحمن بن يوسف المُتوفَّى سَنَة 283هـ/ 896م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة العاشرة، رقم 51؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج3، ص444). إذا كان هُناك أيّ معنى واضح مُرتبط بتعبير «**خُرَّمي**» في ذهن السَّخاوي، فهو الرافضي الإسماعيلي نفسه.

(421) تُوفّي سَنَة 245هـ/ 859-60م (ابن حَجَر: **التهذيب**، ج1، ص59).

(422) انظر: **المُعجم المُفهرس**، ج1، ص409أ؛ انظر أيضاً البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 2، ص107، الوَشّاء: **المُوَشَّي**، ص16، طبعة برونو Brunnow (ليدن 1886م)؛ العسكري: **الصناعتين**، ص133 (القاهرة 1349هـ/ 1929م، **الرسائل النادرة** 5)، أُسامة بن مُنْقذ، **لُباب الآداب**، ص231 (القاهرة 1354هـ/ 1935م) مع هامش 2. أحمد بن الحسين البَيْهَقي: **كتاب الآداب**، الفصل الخامس عن العصبية، مخطوطة القاهرة، حديث 43؛ ابن الأثير: **الكامل**، حوادث سَنَة 182هـ.

وعَيْنُ الرِّضا عن كُلّ عَيْبٍ كليلةٌ كما أنّ عَيْنَ السُّخْط تُبدي المساويا(423)

[وقد يكفي(424)] ولو لم يكن من آفات المُبالغة إلا ما أشار إليه إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى بقوله: «ما رفعتُ أحداً فوق مقداره إلا واتّضع من قَدْري عنده بقدر ما رفعتُه به أو أَزْيَد». ونحوه: «ثلاثة إنْ أكرمتَهم أهانوك، المرأة والفلّاح والعبد»(59)، قاله الشافعي أيضاً. وبه يُقيّد كلامه الأول بأن يُحمل على الأنذال واللِّئام غير الكرام. وليتأمّلْ: أحببْ حبيبك هَوْناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغضْ بغيضك هَوْناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما(425). ولا يحمله البُغْض على سُلوك غير الإنصاف، وإن كان أيضاً في الغالب غير مأمون. ومن ثَمّ حصل التوقُّف في القَبول مِمَّن هذا سبيله.

ورحم الله التَّقي ابن دَقِيق العِيد، فإنه لمّا جِيء إليه بالمحضر المُكتتب في التَّقي بن بنت الأعزّ(426) ليكتب فيه، امتنع منها أشدّ امتناع، مع ما كان بينهما من العداوة الشديدة، بل وأغلظ عليهم في الكلام وقال: «ما يحلّ لي أن أكتب فيه» وَرَدَّه، فتزايدت جَلالته بذلك، وعُدَّ في وُفور دِيانته وأمانته. وكيف لا وهو القائل: «ما تكلّمتُ بكلمة أو فعلتُ فعلاً إلا وأعددتُ لذلك جواباً بين يدي الله سبحانه».

ولما ترجم شيخنا للقَياتي بعد موته قال: «إنه باشر بنزاهة وعِفّة، ولم يأذن لأحد من النوّاب إلا لعدد قليل، وتثبَّت في الأحكام جداً، وفي جميع أُموره،

---

(423) انظر:
F. Rosenthal. *The Technique and Approach of Muslim Scholarship* 32 (Rome 1947 *Analecta Orientalia* 24).

(424) ينبغي أن يكون في النّص هذه الجملة.

(425) انظر طاشْكُبْري زاده، **مِفتاح السعادة**، ج2، ص169 (حيدرآباد 1328-56هـ) مع بعض الاختلاف في القراءات؛ جمال الدِّين القَزْوِيني (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص914) **مُفيد العُلوم**، ص138 (القاهرة 1310هـ).

(426) انظر: أُسامة بن مُنْقِذ: **لُباب الآداب**، ص25 (القاهرة 1354هـ/ 1935م) والمصادر التي ذكرت في هامش 5 منه؛ الوشّاء: **المُوشّى**، ص26، فما بعد، طبعة برونو Brunnow (ليدن 1886م).

هذا مع ما أسلفه من التقصير في جانبه، وعدم رعاية مشيخته[427]. فنسأل الله كلمة الحق في السُّخْط والرِّضا».

ثُمّ إنه للخوف من عدم التقيّد بأكثر ممّا يُقدّم، رأى ابن عبد البَرّ أنّ أهل العلم لا يُقبل الجَرْح فيهم إلا ببيان واضح، وهو واضح[428].

وانظر صنيع إمامنا الشافعي رضي الله عنه في التحرّي حيث يقول: «ثنا إسماعيل الذي يُقال له ابن عُلَيّة»[429] لعلمه بكراهته للانتساب لذلك، مع الترخيص فيه إذا لم يُعرف إلا به. ولا يكن كمن يختلق للناس ألقاباً أو نحوها، كقوله ابن الطَّرّاق، أو ابن غَفِير السماء، من غير تدبُّر لقوله ﷺ: «**إنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة ما يُلقي لها بالاً يهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً**»[430]. وإذا أمكنه الجَرْح بالإشارة المُفهمة أو بأدنى تصريح لا تجوز له الزيادة على ذلك. فالأُمور المُرخّص فيها للحاجة لا يرتقي فيها إلى زائد على ما يحصل الغَرَض.

وقد روينا عن المُزَني قال: «سمعني الشافعي يوماً وأنا أقول فُلان كذّاب، فقال لي: يا [أبا] إبراهيم اكسُ ألفاظك أحسنها. لا تَقُلْ كذّاب، ولكن قُلْ حديثه ليس بشيء».

ونحوه أنّ البُخاري كان لمزيد ورعه قلَّ أن يقول: «كذّاب أو وضّاع» أكثر ما يقول: «سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه» ونحو هذا، نعم رُبّما يقول: «كذّبه فُلان. أو رماه فُلان بالكذب»[431].

وحكى مُسْلِم في مُقدّمة **صحيحه** أنّ أيوب السَّخْتِياني[432] نكر رجلاً،

---

(427) عبد الرحمن بن عبد الوهاب المُتوفّى سَنَة 695هـ/ 1296م (ابن كثير: **البداية**، ج13، ص346).

(428) انظر ابن عبد البَرّ: **جامع بيان العِلم**، ج2، ص152 (القاهرة، بلا تاريخ).

(429) إسماعيل بن إبراهيم 110-193هـ/ 728-809م (**تاريخ بغداد**، ج6، ص229 فما بعد) **الضَّوء** ج8، ص2 هامش 5.

(430) انظر مثل هذا في: **صحيح البُخاري** ج4، ص225 فما بعد، طبعة كريهل.

(431) **الإعلان**: ص52 فما بعد.

(432) أيوب بن أبي تَمِيْمَة المُتوفّى سَنَة 131هـ/ 748-9م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص409 فما بعد).

فقال: «هو يَزِيدُ في الرَّقم[433]»، وكَنَّى بهذا اللفظ عن الكذب.

وإذا كان الذي بلغه فيه احتمال مُستوي الطرفين، لا يجزم بأحدهما، بل يقف ويحتاط فيما يُمكن المُخلّص عنه بتأويل صحيح.

وقد اتّفق أنّ قاضياً توقّف في شهادة بعضهم، فحضر إليه سرّاً وسأله عن سبب توقُّفه، واحتجّ بأنه رآه بأرض الطّبّالة[434]، التي هي محلّ كثير من القاذورات. فقال: يا مولانا قد كنتُ بها في ضرورة غير قادحة، فما بالكم كنتم بها؟ فبادر إلى قَبوله والرَّقم لشهادته.

ولا بدَّ أن يكون عالماً بطريق النَّقل، حتى لا يجزم إلا بما يتحقَّقه، فإن لم يحصل له مُستنَد مُعتمَد في الرِّواية، لم يَجُزْ له النَّقل لقوله ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكُلّ ما سمع**»[435]. وليكنْ بذلك مُحترزاً عن وُقوع المُجازفة والبُهتان والافتئات والعُدوان، وهو لا يشعر ولا يُبصر، وينفر عن تاريخه العُقلاء والعُلماء والنُبلاء والحُكماء، ولا يرغب فيه إلا من هو مثله أو أفحش. بل رُبّما تكون مُجازفته آئلة معه أيضاً إلى التَرْك والسقوط في الحش[436].

ولا يكفي بالنَّقْل الشائع خصوصاً إنْ ترتّبت على ذلك مَفْسَدة من الطَّعن في حقّ أحد من أهل العِلْم والصلاح. بل إنْ كان في الواقعة أمر قادح في حقّ المستور، فينبغي له أن لا يُبالغ في إفشائه، ويكتفي بالإشارة، لئلا يكون المذكور وقعت منه فَلْتة، فإذا ضُبطت عليه لزمه عارها أبداً. وإلى ذلك الإشارة بقَبول الشارع: «**أقيلوا ذَوِي الهيئات عَثَراتهم**».

وكذا يتجنَّب التعرّض للوقائع المُنْقصة الصادرة في شُبُوبية من صَيّره الله تعالى بعد ذلك مُقتدًى به. فمن ذا سَلِم؟ وقد عَجِبَ الربُّ عزَّ وجلَّ من شابٍّ

---

(433) **صحيح مُسْلِم** ج1، ص136 (بولاق 1304هـ على هامش القَسْطلّاني، **إرشاد**).

(434) انظر: المَقْريزي. **خِطط**، ج2، ص125 فما بعد 165 فما بعد (بولاق 1270هـ).

(435) انظر: **صحيح مسلم**، ج1، ص97 فما بعد (بولاق 1304هـ على هامش القسطلّاني: **إرشاد**؛ المِزّي: **تهذيب الكمال**، المُقدّمة (مخطوطة القاهرة، مُصطلح الحديث 25).

(436) «الحسن» بدل «الحش».

ليست له صَبْوة[437]، والشباب شُعبة من الجُنون[438]، والاعتبار بحاله الآن. وما أحسن قول سعيد بن المُسَيَّب إنه «ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل، يعني من غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا وفيه عَيْب. ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذْكَر عُيُوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه، وُهِب نقصه لفضله»[439].

ومن هنا يُشْتَرَط أن يكون عارفاً بمقادير الناس وبأحوالهم وبمنازلهم، فلا يرفع الوضيع، ولا يضع الرفيع، ليكون مُمتثلاً لقوله ﷺ: «**أنزلوا الناس منازلهم**»[440] يعني من الخير والشر، ولا يحكي ممّا لعلّه يتفق لذوي الوجاهات والولايات من أرباب الدولة من الضَّرْب والسَّجْن والإهانة ونحوها، إلا ما يضطر لإيراده. وإن أمكنه الإشعار بما يقتضي الإنكار فَعَلَ، حتى لا يكون ذلك تطرُّقاً لمن يروم فعل مثله، وحُجّة يُحتَجّ بها. كما وقع للحَجّاج اللّعين في قِصّة العُرَنِيِّين. فقد قال سَلّام بن مِسْكِين[441] كما في **الطِّبّ** من صحيح البُخاري[442] «بلغني أنّ الحَجّاج، يعني ابن يوسف الثَّقَفي، قال لأَنَس بن مالك[443] رضي الله عنه، حدِّثني بأشدّ عقوبة عاقب بها النبيّ ﷺ، فحدَّثه بها. فلما بلغ الحَسَن، يعني البَصْري، ذلك، قال: «وددتُ أنه لم يُحَدِّثه».

وبالجُمْلة، فالشَّرط مع العدالة والضَّبْط، والتمييز بين المقبول والمردود،

(437) انظر: المُحاسبي: **الرعاية**، ص19، طبعة سميث Smith (لندن 1940م سِلْسِلَة جِب التذكارية، السِّلْسِلَة الجديدة 15)؛ ابن فُورَك، **بيان مُشكِل الأحاديث**، فقرة 61 طبع: Köbert (Rome 1941 *Analecta Orientalia* 22).
الغزالي. **إحياء**، ج4، ص44 (القاهرة 1334هـ).

(438) انظر: **لسان العرب**، ج1، ص481 (بولاق 1300-7هـ).

(439) انظر الخطيب البغدادي: **الكفاية**، ص79 (حيدرآباد 1357هـ).

(440) انظر أيضاً السَّخاوي: **الجواهر والدُرر**، مخطوطة باريس، ar 2105، ص2أ.

(441) تُوفّي سَنَة 164هـ/ 781م أو 167هـ/ 784م (البُخاري: **التاريخ**، ج2، قسم 2، ص135؛ ابن سعد: **الطبقات**، ج7، قسم 2، ص40، طبعة سخاو وآخرين).

(442) الإشارة إلى **صحيح البخاري** ج4، ص58 فما بعد طبعة كريهل، غير أنّ قِصّة الحَجّاج لم تُؤخذ من البُخاري طبعاً.

(443) تُوفّي حوالى سَنَة 91-93هـ/ 709-711م (انظر: دائرة المعارف الإسلامية).

ممّا يصل إليه من ذلك، وبين الرفيع والوضيع، وعدم العداوة الدُّنيوية، والمُحاباة المُفضية للعَصَبية، المُعبِّر بعضهم عنه بتجنُّب الغَرَض والهوى الفهم، بحيث لا يكون جاهلاً بمراتب العلوم، سيَّما الفُرُوع والأُصُول، ويفهم الألفاظ ومواقعها، خوفاً من إطلاق ألفاظ لا تليق بالمُتَرْجَمين، فيحصل التعرّض له بالتنقيص والتعزير الذي يَشِين. وكما اتفق لمُغُلْطاي(444) مع جَلالته، ثم لابن دُقْماق(445) مع وَجاهته، فقد كان حَسَنَ الاعتقاد، غير فاحش اللسان ولا القَلَم. وكذا لابن أبي حَجَلة، مع كونه بخُصُوصه معذوراً(446). بل كلُّهم مِمَّن تعصَّب العدوّ عليهم، ونَصَب حبائل الحسد إليهم.

وقد كان الحافظ الزاهد النُّور الهَيْثَمي(447) يُبالغ في الغَضّ من الولوي ولي الدِّين بن خلدون قاضي المالكية، لكونه أنه بلغه أنه ذكر الحسين بن عليّ رضي الله عنهما في **تاريخه** وقال: قُتِل بسيف جدّه. قال شيخنا: «ولما نطق شيخنا يعني الهَيْثَمي بهذه الكلمة، أردفها بلعن ابن خلدون وسبِّه، وهو يبكي». قال شيخنا: «ولم تُوجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن، وكأنه كان ذكرها في النُّسخة التي رجع عنها»(448). وسأذكر عن ابن خلدون في ذكر الخُلفاء ما يكاد أن يكون شاهداً لصدور هذا منه نسأل الله السلامة(449).

---

(444) مُغُلْطاي بن قِلِج المُتوفَّى سَنَة 762هـ/ 1361م (انظر بروكلمان: ج5، ص50).

(445) إبراهيم بن محمد المُتوفَّى سَنَة 809هـ/ 1407م (انظر بروكلمان: ج2، ص50).

(446) قد تكون القراءة الصحيحة «معزوراً» إذا كانت الشخصية المشار إليها هي المشهور أحمد بن يحيى (المُتوفَّى سَنَة 776هـ/ 1375م. انظر: بروكلمان: ج2، ص12 فما بعد). الذي حدثت له مُشكلة بسبب تقليده ابن الفارض.

(447) عليّ بن أبي بكر المُتوفَّى سَنَة 807 هـ/ 1405م (انظر بروكلمان: ج2، ص76).

(448) إنّ هذا النّص وكذلك النّص المذكور في **الإعلان** ص94 أدناه ص335، مأخوذة من ابن حَجَر: **رَفْع الإصْر**، مخطوطة باريس، رقم ar. 2149، ص70أ، انظر أيضاً: **الضَّوء** ج4، ص147. وكما ذكر هامش في مطبوعة **الإعلان**، فإن هذه الفقرة تذكر في النُّسَخ المطبوعة من **المُقَدِّمة** (ص 106، بولاق 1274هـ، ج1، ص392، باريس) التي تذكر أنها مأخوذة من **العَواصِم والقَواصِم** لأبي بكر بن العربي. والنّص لا يذكر «سيف»، بل يذكر بدلها «شرع».

(449) يقول المرحوم الأستاذ المُحَقَّق أحمد تيمور باشا في حاشية نُسخته قوله: قال شيخنا يعني الحافظ ابن حَجَر العَسْقلاني، وقد ذكر ذلك في ترجمة ابن خلدون في كتابه **رَفْع الإصْر عن قُضاة مِصْر**، رقم 1316، تاريخ صحيفة 312-313: والصواب أنّ ابن =

(ويُحتاج للمُؤرّخ) مُصاحبة الوَرَع والتقوى، بحيث لا يأخذ بالتوهُّم

= خلدون نقل هذا القول عن أبي بكر بن العربي وذكره في فضل ولاية العهد من **مقدّمة تاريخه** وردَّ عليه ونَسَب قائله للغَفْلة. فانظر كيف يُنسب إلى الرجل ما لم يَقُلْ ويُشنَّع عليه هذا التشنيع الذي لا يستحقه.

وقال الباشا أيضاً في الآثار: ولا جدال في أنّ ابن خلدون لم يُصِب في بعض مواضع من **مُقَدِّمته**، ولكنه لم يكن فيها إلا كغيره من البشر في عدم العِصمة من الخطإ، فالتمسّك بهذا القليل لطَمْس حسناته الكثيرة ليس من الإنصاف في شيء على أنّ هذا القول مع ما عليه من مسحة التحامل لا يُذكَر في جنب تقويل الرجل ما لم يقل وتحميله تبعة ما جازف به غيره، فيُقال عنه بعد ذلك ما نصّه: «وقد كان الحافظ النُور الهَيْثَمي... السلامة».

ونحن نسأل الله السلامة من الوَهْم والتسرُّع في الحُكم على الشيء قبل التثبُّت منه، فإن الكلمة موجودة في فصل ولاية العهد من المُقَدِّمة إلا أنها ليست من مَقولة فيستحق عليها اللَّعن والسَّب، وإنما نقلها عن أبي بكر بن العربي في معرض الردّ عليه فقال: (وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا، فقال في كتابه الذي سَمّاه بـ **العَواصِم والقَواصِم** ما معناه أنّ الحسين قُتل بشرع جَدِّه وهو غَلَط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومَنْ أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء.

أما ما استدلّ به المُؤلّف ورأى أنه يكاد يكون شاهداً على صُدور مثل هذا عن ابن خلدون، فهو قوله: «كان ابن خلدون يَجزم بصحة نَسَب بني عُبَيْد الله الذين كانوا خُلفاء بمصر وشُهِروا بالفاطميين إلى عليّ رضي الله عنه، ويُخالف غيره في ذلك ويدفع ما نُقِلَ عن الأئمة من الطَّعن في نسبهم، ويقول إنما كتبوا ذلك المحضر مُراعاة للخليفة العباسي. قال شيخنا، وابن خلدون كان لانجرافه عن آل عليّ يُثبت نسبة الفاطميين إليهم لما اشتهر من سُوء مُعتقد الفاطميين وكون بعضهم نُسب إلى الزَّندقة وادَّعى الألوهية كالحاكم وبعضهم في الغاية من التعصّب لمذهب الرفض حتى قُتل في زمنهم جمع من أهل السُّنّة، وكان يُصرَّح بسبّ الصحابة في جوامعهم ومجامعهم. فإذا كانوا بهذه المثابة وصحَّ أنهم من آل عليّ حقيقة التصق بآل عليّ العيب، وكان ذلك من أسباب النُّفرة عنهم نسأل الله السلامة». وهو استنتاج غريب فإن من يُطالع تاريخ ابن خلدون لا يرى فيه انحرافاً عن آل عليّ وإن كان خالف المُؤرّخين في إثبات نسب الفاطميين فقد خالفهم في كثير غيره. أما كونه فعل ذلك لإلصاق العيب بآل عليّ فحَسْبنا في دَحْضه قوله: «والعجب من القاضي أبي بكر الباقّلاني شيخ النُّظّار من المُتكلّمين يجنح إلى هذه المَقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف، فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدِّين والتعمُّق في الرافضية، فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس إثبات مُنتسبهم بالذي يُغني عنهم من الله شيئاً في كُفْرهم، فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه: (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنَّ ما ليس لك به علم) بل لم يفعل مع الفاطميين إلا ما فعله مع الأَدَارسة أمراء المغرب في ردّ فِرْية من أنكر نسبتهم إلى الإمام الحسن بن عليّ، ولم يكن في نِحلة القوم ما يحمل على الرِّيبة في صحّة مُعتقدهم».

والقرائن التي تختلف، خوفاً من الدخول تحت قوله ﷺ: «**إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث**»[450] ومتى لم يكن وَرِعاً مع كونه معروفاً بالعلم، اشتدّ البلاء به، بخِلاف العكس، فالوَرَع والتُّقَى يحجزه ويُوجب له الفَحْص والاجتهاد وترك المُجازفة كما بسطتُه في أماكن من تصانيفي.

وقد أشار لبعض هذه الشُّروط التاج السُّبْكي فقال في كتابه: **مُعِيد النِّعَم**[451] ممّا هو مُؤاخذ في إطلاقه ما نصّه: «وَهُمْ، أي المُؤرّخون، على شفا جُرُفٍ هارٍ، لأنهم يتسلَّطُون على أعراض الناس[452]، ورُبّما نقلوا مُجَرَّد ما يبلغهم من كاذب أو صادق. فلا بدَّ أن يكون المُؤرِّخ عالماً، عادلاً، عارفاً بحال من يُترجمه، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصُّب له، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغضّ منه، ورُبّما كان الباعث له على الغضّ من قوله مُخالفة العقيدة، واعتقاد أنهم على ضلال، فيقع فيهم، أو يُقَصِّر في الثناء لذلك»، إلى أن قال: «ومنهم من تأخذه في الفُرُوع الحَمِيّة لبعض المذاهب، ويركب الصَّعب والذَّلُول في العصبية. وهذا من أسوإ أخلاقهم. ولقد رأيتُ في طوائف المذاهب من يُبالغ في العصبية، بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض. إلى غير هذا ممّا يُستقبح ذكره. ويا وَيْح هؤلاء أين هم من الله. ولو كان الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله حَيَّيْن لشدَّدا النَّكير على هذه الطائفة» إلى آخر كلامه.

وقال في ترجمة أحمد بن صالح المِصْري[453] من **طبقاته الكُبْرى**[454]: «أهل التاريخ رُبّما وَضَعُوا من أُناس، أو رفعوا أُناساً، إمّا لتعصُّب، أو جهل، أو

---

(450) انظر **المُعجم المُفهرس**: ج1، ص436أ.

(451) ص 105 فما بعد طبعة:
Myhrman (London 1908) translated by O. Rescher 66 f (Constantinople 1925).

(452) انظر: **الإعلان** ص59، سورة التوبة، آية: 109.

(453) تُوفّي سَنَة 248هـ/ 863م (**تاريخ بغداد** ج4، ص195-202؛ السُّبكي: **طبقات الشافعية**، ج1، ص186 فما بعد (القاهرة 1324هـ)، ابن حَجَر: **التهذيب**، ج1، ص39-42).

(454) **الإعلان**، ص73 سطر 10 ـ ص75 سطر 11، مأخوذ من **طبقات الشافعية**، ج1، ص9-197 (القاهرة 1324هـ).

الإعلان، ص75 سطر 13 إلى 76 سطر 9، مأخوذ من **طبقات الشافعية**، ج1، ص190 فما بعد.

لمُجرَّد اعتماد على نقل من لا يُوثَق به، أو لغير ذلك من الأسباب»، قال: «والجهل في المُؤرّخين أكثر منه في أهل الجَرْح والتعديل. وكذلك التعصُّب، قَلَّ أن رأيتُ تاريخاً خالياً منه». وأمّا تاريخ شيخنا الذَّهبي غَفَرَ الله له ولا آخَذَه، فإنه على حُسنه وجَمْعه، مَشْحُون بالتعصُّب المُفْرِط، فلقد أكثر الوقيعة في أهل الدِّين، أعني الفُقراء الذين هم صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثيرين من أئمّة الشافعية والحَنَفِية».

وقال: «فأفرط على الأشاعرة، ومَدَح وزاد في المُجَسِّمة، هذا وهو الحافظ القُدوة والإمام المُبَجَّل، فما ظنُّك بعوامّ المُؤرّخين. فالرأي عندنا أن لا يُقبل مدح ولا ذمّ منهم، إلا بما اشترطه، يعني والده[455]، فإنه قال يُشْتَرَط في المُؤرّخ الصدق، وإذا نَقَل يعتمد اللّفظ دون المعنى، وأن لا يكون ما نقله ممّا أخذه في المُذاكرة ثُمّ كتبه بعد، وأن يُسَمِّي المنقول عنه. فهذه شُروط أربعة فيما ينقله. أما ما يقوله من قِبَل نفسه، وما عساه يطول فيه من المنقول بعض التراجم دون بعض، فيُشْتَرِط فيه أن يكون عارفاً بحال المُترجَم علماً وديناً، وغيرهما من الصِّفات، وهذا عزيز جداً. وأن يكون حَسَن العبارة، عارفاً بمدلولات الألفاظ، حسن التصوّر[456]، بحيث يتصوّر حين ترجمة الشخص جميع حاله، ويُعبِّر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص، وأن لا يغلبه الهوى، فيُخيِّل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك معه طريق الإنصاف، وإلا فالتجرُّد عن الهوى عزيز. فهذه أربعة أُخرى، ولك أن تجعلها خمسة، لأن حُسن تصوّره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف، فيجعل حضور التصوّر زائداً على حُسن التصوّر والعلم، فتصير تسعة شُروط في المُؤرخ، وأصعبها الاطّلاع على حال الشخص في العلم، فإنه يحتاج إلى المُشاركة في العلم والقُرْب منه، حتى يعرف مرتبته» انتهى ما حكاه عن أبيه.

---

(455) عليّ بن عبد الكافي المُتوفَّى سَنَة 756هـ أو 755هـ/ 1355م (انظر بروكلمان: ج2، ص86-8). انظر الصَّفدي: **الوافي**، ج1، ص46 طبعة ريتر Ritter.

(456) «تَصَوُّر» انظر بروكلمان، ج2، ص188.

قال: «وما أحسن قوله وما عَسَاه، فإنه أشار به لفائدة جليلة يَغْفل عنها كثيرون، ويَحْترز منها المُوَفَّقون، وهي تطويل التراجم وتقصيرها. فَرُبَّ مُحتاط لنفسه لا يذكر إلا ما وجده منقولاً، لكنه يأتي إلى من يُبْغِضُه فينقل جميع ما ذُكر من مذامّه، ويحذف كثيراً ممّا يراه من مَمَادحه، ويعكس الحال فيمن يُحبّه، ويظنّ المسكين إنه لم يأتِ بذَنْب، فإنه لا يجب عليه تطويل ترجمة أحد، ولا استيفاء ما ذُكر من مَمَادحه. ولا يظنّ المُغترّ أن تقصيره لترجمته بهذه النيّة استزراء به، وخِيانة لله ولرسوله ﷺ وللمُؤمنين في تأدية ما قيل في حقّه من حَمْد وذمّ.

قلتُ: وهذا كمَنْ يسمع الحِكمة وغيرها فلا يُحدِّث إلا بِشَرّ ما سمع. ومثله الشارع بمن يأتي إلى راعٍ، فيقول له: أَجْزِرْنا من غَنَمِك، فيقول له: خُذْ أيّها شئت، فيعمد إلى كلب الغنم فيأخذه»[457] انتهى.

ثم قال التاج: «إنّ من يَرتكب ما تقدّم كمن يُذْكَر بين يديه شخص، فيقول: دعونا منه، أو إنه عجيب، أو الله يُصلحه، فيظنّ إنه لم يغتبه بشيء من ذلك، مع أنه من أَقْبح الغَيْبة»، قال: «وكذلك ما أَحْسن قوله وأن لا يغلبه الهوى، فإن الهوى غلّاب، إلا مَنْ عَصَم الله. ولكن قد لا يتجرَّد عن الهوى، بأنه لا يظنّه هوى، بل يظنّه لجهله أو بِدعته حَقّاً، فلا يتطلّب حينئذٍ ما يقهر به هواه، لأن المُستقرّ في ذهنه أنه مُحِقّ، وهذا كما يفعل كثير من المُتخالفين في العقائد بعضهم في بعض، فلا يَنْبغي أن يُقبَل قول مُخالف في العقيدة على الإطلاق إلا أن يكون ثِقَة. وقد رَوَى شيئاً مضبوطاً عَاينه أو حَقّقه. فقولنا مضبوطاً، احترزنا به عن رِواية ما لا يضبط من التُّرَّهات التي لا يترتّب عليها عند التأمُّل والتحقُّق شيء. وقولنا عاينه أو حَقَّقه، ليخرج ما يرويه عَمَّن غَلا أو رَخَّصَ ترويجاً لعقيدته. وما أحسن اشتراطه العلم ومعرفة مَدلولات الألفاظ. فلقد وقع كثيرون فيما لا يقتضي جَرْحاً لجهلهم، بل في كُتُب المُتقدِّمين **الجَرْح** لأحمد بن صالح المِصْري، وأبي حاتم الرّازي[458] وغيرهما بالفلسفة، لظنّهم أنّ علم الكلام

(457) **المُعجم المُفهرس**، ج1، ص343ب.

(458) محمد بن إدريس المُتوفَّى سَنَة 273هـ/ 887م (**تاريخ بغداد**، ج2، ص73-8، ابن حَجَر: **التهذيب**، ج9، ص31-4).

فلسفة، بحيث رَدَّ على المُجرِّحين بعدم مَعرفتهما. وقريب منه قول الذَّهبي في المِزِّي: «إنه يَعرف مَضايِق المعقول» مع كون كُلٍّ منهما لا يدري شيئاً من العقليات.

ثُمّ قال: «إنه لا يجوز الاعتماد على شيخه الذَّهبي في ذَمِّ أَشْعَرِيّ، ولا شُكْرِ حَنْبليّ»[459]، بل لمّا حكى عن العَلائي[460] كونه بعد وصفه له بأنه: «لا يُشكّ في دينه ووَرَعه وتحرِّيه فيما يقوله في الناس»، قال: «إنه غلب عليه مذهب الإثبات، ومُنافرة التأويل، والغَفْلة عن التنزيه، حتى أثّر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه، وميلاً قوياً إلى أهل الإثبات. فإذا ترجم واحداً منهم يُطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن، ويُبالغ في وصفه، ويتغافل عن غَلطاته، ويتأوَّل له ما أمكن. وإذا ذَكَرَ أحداً من الطرف الآخر، كإمام الحرمين[461] والغزالي ونَحْوهما، لا يُبالغ في وصفه، ويُكثر من قول من طعن فيه، ويُعيد ذكره ويُبديه ويعتقده ديناً، وهو لا يشعر، ويُعرِض عن محاسنهم الطافحة فلا يَسْتوعبها، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذَكَرَها، وكذلك فعله في أهل عصرنا إذا لم يُقلّد على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته والله يعلم»[462]. ونحو ذلك ممّا سببه المُخالفة في العقائد.

فقال التاج: «إنّ الحال في حقّه أَزْيَدُ ممّا وصف، يعني العَلائي، وهو شيخنا ومُعَلِّمنا، غير أنّ الحقّ أحقّ أن يُتَّبَع[462]. وقد وَصَل من التعصُّب المُفْرِط إلى حَدّ يسخر منه، وأنا أخشى عليه يوم القيامة مِن غالِب عُلماء المُسلمين»، إلى أن قال: «والذي أَدْركنا عليه المشايخ النَّهْي عن النَّظر في كلامه، وعدم اعتبار قوله، ولم يكن يستجرىء أن يُظْهِر كُتُبه التاريخيَّة إلا لمن يغلب على ظنّه أنه لا ينقل عنه ما يُعاب عليه».

ثُمّ شاحَحَ العَلائي في وَصْفه له بالورع والتحرّي، وأنه كان أيضاً يعتقد

---

(459) انظر **الإعلان**: ص56.

(460) خليل بن كَيْكَلْدِي المُتوفَّى سَنَة 761هـ/ 1359م (انظر بروكلمان، ج1، ص388 فما بعد).

(461) النّص الصحيح في السُّبْكي.

(462) **الإعلان**، ص58.

ذلك، وأنه رُبّما اعتقدها ديناً. ثُمّ توقّف فيه حين يراه يحكي ما يقطع بأنه يعرف أنه كَذب، وأنه لا يختلقه، ولكنه يُحِبّ حِكايته مع قِلّة مَعرفته بمدلولات الألفاظ، وعدم مُمارسته لعُلوم الشريعة، إلى آخر كلامه الذي بَالَغ فيه، مع أنه عُمدته في جُلّ التراجم، وكونه هو قد زاد[463] في التعصُّب على الحنابلة، كما أسلفته، مقروناً بإنكاره، فشاركه فيما زعمه من التعصُّب ودعوى الغَيْبة، مع أني لا أُنزِّه الذَّهبي عن بعض ما نسبه إليه. وقد نَسب ابن الجَوزي إلى أنه في كتابه في **الضُّعفاء** يذكر من طَعَنَ في الراوي، ولا يَذكر من وثَّقه، قاله شيخنا في أَبَان ابن يزيد العَطّار[464] من **تهذيبه**[465]. وعندي تحسيناً للظنّ به أنه لم يقف على التوثيق، والكَمال لله. ويكفينا في جَلالته شرب شيخنا ماء زَمْزَم لِنَيل مَرتبته كما سبق[466]، وهل اتّفق الناس في هذا الفنّ بعده وإلى الآن بغير تصانيفه. والسعيد من عُدَّت غلطاته[467].

وعلى كُلّ حال، فطالما نَالَ غير المُوفّقين من الذَّهبي قياماً، مع حظوظ أنفسهم، إما لكونه ترجمهم بما هو دون مرتبتهم عند أنفسهم، أو لغير ذلك، ممّا يُقاربه. ومن هنا لمّا ذكر الشمس محمد بن أحمد بن بَصْخَان المُقرىء في **طبقات القُرّاء** وَوَقَفَ المُترجَم على مَقَاله كَتَب بخطٍّ غليظ على الصفحة التي بخطّ الذَّهبي كلاماً أَقْذع فيه في حقّ الذَّهبي، بحيث صار خَطُّ الذَّهبي لا يُقرأ غالبه، ووقف المُصنِّف على ذلك، ترجمه في مُعجم شُيوخه، وَوَصَف ما وقع منه إلى أن قال: «فمحى اسمه من ديوان القُرّاء»[468] انتهى.

وقد رأيتُ له عقيدة مجيدة، ورسالة كتبها لابن تيمية، هي لدفع نسبته لمزيد تعصُّبه مُفيدة، وقال مَرَة فيه مع حلفه بأنه: «ما رَمَقت عينه أوسع منه علماً،

---

(463) **الإعلان**، ص56.

(464) تُوفّي سَنَة 160هـ/ 776 ـ 7م تَبَعاً لما يقول كايتاني:
L. Caetani. *Onomasticon Arabicum* 12 (Rome 1915).

(465) ابن حَجَر: **التهذيب**، ج1، ص101 فما بعد.

(466) **الإعلان**، ص57.

(467) **الإعلان**، ص61.

(468) **الإعلان**، ص56.

ولا أَقْوى ذكاءً، مع الزُّهد في المأكل والملبس والنساء، ومع القيام في الحقّ بكلّ مُمكن. إنه تعب في وزنه وتفتيشه سنين مُتطاولة، فما وجد آخره بين المصريين والشاميين، ومَقَتته نُفوسهم بسببه، وازدروا به، وكذَّبوه، بل كفَّروه، إلا الكِبر والعُجب والدعاوى، وفَرْط الغَرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار، ومحبة الظهور، بحيث قام عليه ناس ليسوا بأورع منه ولا أعلم ولا أزهد، بل يتجاوزون عن ذُنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم، ولكن ما سلَّطهم الله عليه بتقواهم وجَلَالتهم، بل بذُنوبه. وما دَفَع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقُّون»[469].

وقال عن الحَنابِلة: «عندهم عُلوم نافعة، وفيهم دين، في الجُملة، ولهم قلّة حظّ في الدُّنيا، وبعض العلماء يتكلَّمون في عقيدتهم، ويرمونهم بالتجسيم، وبأنه يلزمهم، وهم بريئون من ذلك، والله يغفر لهم». وقال في **أُصول الدِّين**: «إنه مُنطبق على حفظ الكتاب والسُّنّة، فهما أُصول دين الإسلام ليس إلّا، ولكن العُرْف في اسمه مُخْتَلف باختلاف النِّحَل، فالأُصُول عند السَّلَف الإيمان بالله، وكُتُبه، ورُسله، وملائكته، وبصِفاته، وبالقَدَر، وبالقرآن المُنَزَّل كلام الله غير مخلوق، والترضّي عن كلّ الصحابة، إلى غير ذلك من أُصول السُّنّة. وعند الخَلَف هو ما صَنَّفُوا فيه، وبَنَوْه على العقل والمنطق، ممّا كان السَّلَف يحطُّون على سالكه ويُبَدِّعونه، وبينهم اختلاف شديد في مسائل تَرْكُها مِنْ حُسن إسلام العبد[470]، وأنه يُورث أمراضاً في النُّفوس، ومن لم يُصدِّق يُجرِّب. فإن الأُصولية بينهم السيف، يُكفِّر هذا هذا، ويُضلِّل هذا هذا. فالأُصُولي الواقف مع الظواهر والآثار عند خُصومه يجعلونه مُجسِّماً وحَشوياً[471] ومُبتدعاً، والذي طرد التأويل عند الآخرين جَهْمياً ومُعتزلياً وضالاً. والذي أثبت بعض الصفات

(469) الذَّهبي: **بيان زَغَل العلم**، ص17، فما بعد (دمشق، ص1347هـ)؛ ويقول محمد زاهد الكوثري ناشر الكتاب إنّ: «النصيحة الذَّهبية لابن تيمية» التي نشرها مع **بيان زَغَل العلم** هي نفس الرسالة التي أشار إليها السَّخاوي.

(470) يُشير الذَّهبي هنا إلى الحديث النبويِّ الشهير: «المُؤمن من ترك ما لا يعنيه».

(471) لقد قام ببحث هذا التعبير هالكن:
A.S. Halkin in *JAOS*, LIV, 1-28 (1934).

ونَفَى بعضها وتأوّل في أماكن، يقولون مُتناقضاً. والسلامة والعافية أَوْلى بك، فإن برعتَ في الأُصول وتَوابعها من المنطق والحِكمة الفلسفية وآراء الأوائل ومجازات العُقول، واعتصمتَ مع ذلك بالكِتاب والسُّنَّة وأُصُول السَّلَف، وَلفَّقْتَ بين العقل والنقل، فما أظنّك في ذلك تبلغ رُتبة ابن تيمية، ولا والله تُقاربها، وقد رأيتَ ما آل أمره إليه، من الحطّ عليه والهَجْر والتضليل والتكفير والتكذيب بحقّ وبباطل، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة مُنَوَّراً مُضيئاً، على مُحَيّاه سيماء السَّلَف، ثم صار مُظْلِماً، مكشوفاً، عليه قَتَمة عند خلائق من الناس، ودجَّالاً أفّاكاً كافراً عند أعدائه، ومُبتدعاً فاضلاً مُحقّقاً بارعاً عند طوائف من عُقلاء الفُضلاء، وحامل راية الإسلام وحامي حَوْزة الدِّين ومُحيي السُّنّة عند عُموم عوامّ أصحابه»(472).

إدخال التقويم الهِجْري

وأما أوّل من أرَّخ التاريخ(473) فاخْتُلِف فيه.

---

(472) **بيان زَغَل العلم**، ص18، 1أ ـ 8 (دمشق 1347م).

(473) من الطبيعي أن يهتمّ العُلماء المُسلمون بهذا الموضوع المُهمّ جداً، وقد أوردت عدّة كُتُب الأحاديث التي أشار إليها السَّخاوي. ويكفي أن نُشير هنا إلى بعضها: البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص9 فما بعد؛ **صحيح البُخاري**، ج3، ص59، طبعة كريهل. الطَّبَري: **التاريخ**، سِلْسِلَة 1، ص6 ـ 1250، طبعة دي غويه وآخرين، الجَهْشِياري: **الوُزراء**، ص9ب، طبعة مزيك Mžik، الصُّولي: **أدب الكُتّاب** ص86-178 (القاهرة 1341هـ) ابن دُرُسْتَوَيه: **الكُتّاب**، ص79 فما بعد (بيروت 1927م)؛ العسكري: **أوائل**، مخطوطة باريس، رقم ar. 5986، ص76أ ـ ب؛ والكُتُب الأُخرى عن **الأوائل** ككتاب الشِّبْلي: **محاسن الوسائل**، مصوّر القاهرة، تاريخ، 5557، ص93أ ـ 95أ؛ المسعودي: **التنبيه**، ص196 فما بعد (عماد قبل الإسلام) ص290، طبعة دي غويه، حمزة الأصفهاني: **التاريخ**، ج1، ص7 طبعة غوتولدت، البِيروني: **الآثار الباقية**، ص29 فما بعد، طبعة سخاو؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج1، ص18 فما بعد؛ الضَّبِّي: **بُغية المُلْتَمِس**، ص8-10، طبع:
Codera and Ribera (Madrid 1885 *Bibliotheca Arabico-Hispana* 3).
المَرْزُوقي: **الأزمنة**، ج2، ص271 (حيدرآباد 1332هـ)؛ المَقْريزي، **الخِطط**، ج1، ص284 (بولاق 1270هـ)؛ السَّخاوي: **التِّبْر**، ص3 (بولاق 1315هـ)؛ السيوطي: **الشماريخ**، طبعة سيبولد Seybold (ليدن 1894م)؛ وإلى التَّهانَوِي: **كشّاف اصطلاحات الفنون**، ص56 فما بعد (كُلْكُتا 1862م *Seybold. Bibiotheca Indica*)؛ عبد =

فَرَوَى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أَنَس قال: «كان التاريخ من مَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة» وكذا قال الأصمعي: «إنما أرَّخوا من ربيع الأول شهر الهجرة»[474].

ورَوَى الحاكم في **الإكليل** من طريق ابن جُرَيج[475] عن أبي سَلَمة[476] عن ابن شِهاب الزُّهْري «أنّ رسول الله ﷺ لما قَدِم المدينة أمر بالتاريخ فكُتب في ربيع الأول».

وهذا مُعْضِل. والمحفوظ، كما قال ابن عساكر: «إنّ الأمر به في زمن عُمَر» وكذا صَحَّحَه الجمهور، بل هو الصحيح المشهور، أنه كان في خلافة عُمَر، وأنه ابتدأه بالهجرة النبويَّة، وبالمُحرَّم منها. وإن كان البُخاري[477] رَوَى عن القَعْنَبي[478] عن عبد العزيز بن أبي حازم[479] عن سَلمة بن دينار[480] عن أبيه عن سَهْل بن سعد الساعدي[481] رضي الله عنه أنه قال: «ما عَدُّوا من مبعث النبيِّ ﷺ، ولا من وفاته. ما عَدُّوا إلا من مَقْدمِه المدينة».

وفي رِواية الحاكم من طريق مُصْعَب الزُّبَيْري[482] عن عبد العزيز قال: «أخطأ

= الرحمن الجَبَرتي: **عجائب الآثار**، ج1، ص3 فما بعد (القاهرة 1301هـ على هامش كتاب **الكامل** لابن الأثير).

(474) لم أستطع معرفة مكان هذا المُقتطف في **تاريخ دمشق**.

(475) عبد الملك بن عبد العزيز المُتوفَّى سَنَة 149هـ/ 766م أو 150هـ/ 767م (**تاريخ بغداد**، ج10، ص400-7).

(476) أبو سَلمة بن عبد الرحمن، تُوفِّي حوالى سَنَة 100هـ/ 719م (ابن حجر: **التهذيب**، ج12، ص115-8).

(477) **صحيح البُخاري**، ج3، ص49، طبعة كريهل.

(478) عبدالله بن مَسْلَمة، تُوفِّي سَنَة 221هـ/ 836م (السَّمْعاني: **الأنساب**، ص459ب).

(479) تُوفِّي سَنَة 182هـ/ 798م أو 184هـ800م (ابن حَجَر: **التهذيب** ج6، ص333).

(480) تُوفِّي حوالى سَنَة 140هـ/ 758م (البُخاري: **التاريخ**، ج2، قسم 2، ص79؛ ابن حَجَر: **التهذيب**، ج4، ص143).

(481) تُوفِّي سَنَة 88هـ/ 706م (البُخاري: **التاريخ**، ج2، قسم 2، ص98 فما بعد).

(482) مُصْعَب بن عبدالله، تُوفِّي سَنَة 235هـ/ 851م أو 333هـ/ 848م. (انظر بروكلمان، ج1، ص212؛ **تاريخ بغداد**، ج13، ص112)، أما عبد العزيز الذي يأتي بعده، فقد يكون هو المذكور قبلاً (هامش 5) أو قد لا يكون.

الناس العَدَد. لم يعدُّوا من مَبْعثه، ولا من قُدومه المدينة، وإنما عدُّوا من وفاته»، فقد قال الحاكم: إنه وَهم، ثم سَاقه كالبُخاري على الصَّواب بلفظ «ولا من وفاته، إنما عدُّوا من مَقْدَمِه المدينة». والمُراد بقوله: «أخطأ الناس العَدَد» أي أغفلوه وتَركوه ثُمّ استدركوه. ولم يُرِد أنّ الصواب خِلاف ما عملوا. ويحتمل أن يُريده، وإن كان يرى أنّ البَدَاءة بالمَبْعَث أو الوفاة أَوْلى، وله اتّجاه. لكن الراجح خِلافه.

والصحيح أنّ التاريخ إنما وَقع من أول السَّنة.

وقد أَبدى بعضهم للبَدَاءة بالهجرة مُناسبة، فقد كانت القضايا التي اتّفقت له، ويُمكن أن يُؤَّرخ بها أربع: مَوْلده، ومَبْعثه، وهِجرته، وَوَفاته. فَرجح عندهم جعلها من الهجرة، لأن المَوْلد والمَبْعث لا يخلو واحد منهما من النِّزاع في تعيين سَنَته. وأما وَقت الوفاة فأَعرضوا عنه، لما يوقع تذكّره من الأسف عليه، فانحصَر في الهجرة. وإنما أَخَّروه من ربيع الأول إلى المُحَرَّم، لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المُحَرَّم، إذ البَيْعة وَقَعت في أثناء ذي الحِجّة[483]، وهي مُقَدِّمة الهجرة. فكان أول هِلال استُهِلّ بعد البَيْعة، والعَزْم على الهجرة، هلال المُحَرَّم. فَنَاسب أن يجعل مُبتدأ. قال شيخنا: «وهذا أَقْوى ما وقفتُ عليه من مُناسبة الابتداء بالمُحَرَّم».

وذكروا في سبب عمل التاريخ أشياء، منها ما أخرجه أبو نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن في تاريخه، ومن طريقه الحاكم من طريق الشَّعْبي[484] «أنّ أبا موسى الأشعري[485] كتب إلى عُمَر رضي الله عنه: «إنه يأتينا منك كُتُب ليس لها تاريخ» فجمع عُمَر الناس. فقال بعضهم: أرّخ بالمَبْعث، وبعضهم أرّخ بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فَرَّقت بين الحق والباطل، فأرِّخوا بها، وذلك سَنَة سبع عشرة. فلما اتّفقوا، قال بعضهم ابدأوا برمضان. فقال عمر بالمُحَرَّم، فإنه مُنصرَف الناس من حَجِّهم. فاتفقوا عليه».

---

(483) تُعرف هذه الحادثة باسم «بَيْعة العَقَبة».

(484) عامر بن شراحيل أو ابن عبدالله بن شَراحيل، تُوفّي بين سَنَة 103-106هـ/ 721-725م (**تاريخ بغداد**، ج11، ص227 فما بعد).

(485) عبدالله بن قيس، تُوفّي سَنَة 42 أو 52هـ/ 662-672م.

وقيل أول من أرّخ التاريخ يَعْلى بن أُمَيّة[486] حيث كان باليمن، وذلك أنه كَتَب إلى عُمَر كِتاباً من اليمن مُؤرّخاً، فاستحْسَنه عُمَر، فشرع في التاريخ. أخرجه أحمد بن حَنْبل بِسَنَد صحيح، لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار[487] ويَعْلى.

وكذا قال الهَيْثَم بن عَديّ[488] «أول من أَرَّخ يَعْلى». وروى أحمد وأبو عَرُوبة[489] في **الأوائل** والبُخاري في **الأدب**[490] والحاكم من طريق ميمون بن مِهْران[491] قال: «رُفِع لعُمَر صَكّ محلّه شعبان[492]، فقال أيّ شعبان: الماضي أو الذي نحن فيه أو الآتي. ضَعُوا للناس شيئاً يعرفونه»، فذكر نحو الأول.

وكذا حكاه أبو اليَقْظان[493] عن عُمَر.

---

(486) لا يذكر تاريخ في البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص414: ابن سعد: **الطبقات**، ج5، ص337 طبعة سخاو وآخرين، ابن حَجَر: **التهذيب**، ج11، ص399 فما بعد.

(487) تُوفّي سَنَة 126هـ/ 821-3م (ابن سعد: **الطبقات**، ج5، ص353، فما بعد، طبعة سخاو وآخرين).

(488) تُوفّي سَنَة 206 أو 207هـ/ 821-2م (انظر بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص213؛ القِفطي: **إنباه الرواة**، مُصوّر القاهرة، تاريخ، 2579، ج2، ص7-303).

(489) الحسين بن محمد بن مَوْدُود الحَرّاني المُتوفّى سَنَة 318هـ/ 930-1م (**الفِهْرِست**، ص322 طبعة القاهرة، 1348هـ، ص230، طبعة فلوجل؛ يوسف العش، فهرس مخطوطات دار الكُتُب الظاهرية، ص169، دمشق، 1366هـ/ 1947م. أما كتابه **الأوائل**، فقد درسه الشِّبْلي **محاسن الوسائل**، مُصوّر القاهرة، تاريخ، 5557، ص5أ.

(490) لا يُمكن أن تكون الإشارة إلى **الصحيح** أو في **الأدب المُفرد**.

(491) وُلد سَنَة 40هـ/ 660م وتُوفّي سَنَة 118 أو سَنَة 117هـ/ 736م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 1، ص338).

(492) لقد ذكر ابن كثير بصراحة أنّ الصكّ هو وصل (**البداية**، ج7، ص73 وقد اعْتَمَد ابن كثير في ذلك على الواقدي).

انظر عن قِصّة أُخرى لصكّ كتبه عُمَر:

G. Jacob. *Die ältesten Spuren des Wechsels*, in *Mitteilungen des Seminars für or. Sprachen, Westas. Studien* XXVIII 280 f (1928).

(493) يقال إنّ اسمه «سُحَيْم» أو «عامر بن حَفْص» تُوفّي سَنَة 190هـ/ 805-6م (**الفِهْرِست**، ص138، القاهرة، 1348هـ، ص94، فلوجل) وقد نَقَل من كتابه **النَّسَب** ابن خَلّكان، ج4، ص244، ترجمة دي سلان.

وَرَوَى الحاكم عن سعيد بن المُسَيَّب قال: «جمع عُمَر الناس، يعني من المُهاجرين وغيرهم، فسألهم عن أول يوم يكتب التاريخ. فقال عليّ من يوم هاجَرَ رسول الله ﷺ، يعني إلى المدينة وتَرَكَ أرض الشِّرْك. ففعله عُمَر».

وَرَوَى ابن أبي خَيْثَمة(494) من طريق محمد بن سِيرِين(495) قال: «قَدِم رجل من اليمن، فقال رأيتُ باليمن شيئاً يُسمّونه التاريخ، يكتبون من عام كذا وبشهر كذا». فقال عُمَر هذا حسن، فأَرِّخوا: «فلما أَجْمع على ذلك، قال قوم أَرِّخوا للمَوْلد، وقال قائل للمَبْعث، وقال قائل من حين خرج مُهاجراً، وقال قائل من حين تُوفّي. فقال عُمَر: أَرِّخوا من خُروجه من مكة إلى المدينة.

ثم قال بأيّ شهر نبدأ؟ فقال قوم بِرَجَب، وقال قائل بِرَمَضان، فقال عثمان: أَرِّخوا من المُحرَّم، فإنه شهر حرام، وهو أول السَّنة، ومُنصرف الناس من الحجّ، قال وكان ذلك في سَنَة سبع عشرة في ربيع الأول».

فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أنّ الذي أشار بالمُحرَّم عُمَر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم.

وَكَذا روينا عن عَمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان التاريخ في السَّنة التي قَدِم فيها النبيّ ﷺ المدينة، وفيها وُلد عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما. وكانت العرب قبل ذلك تُؤَرِّخ بعام الفيل، وهو العام الذي وُلد فيه رسول الله ﷺ.

فقال سعد بن أبي وَقّاص(496) لعُمَر: أَرِّخ بوفاة النبيّ ﷺ، فقال عليٌّ: بل أرِّخ بهجرة النبيّ ﷺ، فإنها فَرَّقت بين الحق والباطل، وأظهرت الإسلام،

---

(494) أحمد بن زهير المُتوفَّى سَنَة 279هـ/ 893م. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص272)؛ وقد نَقَل عنه، بوصفه راوية هذه القِصّة، ابن الفرات، مخطوطة باريس ar. 1595، ص127 (أما مصدر ابن الفرات، فهو **تاريخ المُظَفَّري** لابن أبي الدّم).

(495) تُوفّي سَنَة 110هـ/ 728-9م (**تاريخ بغداد**، ج5، ص331 فما بعد).

(496) تُوفّي حوالى سَنَة 52-55هـ/ 672-675م (البُخاري: **التاريخ**، ج2، قسم 2، ص44، ابن كثير: **البداية**، ج8، ص72-8).

فاجْتمع رأي المُسلمين على الابتداء بسَنَة الهجرة، إذ هي السَّنة التي عزَّ فيها الإسلام وأهله، ثم اختلفوا في الشهر.

فقال عبد الرحمن بن عوف[497] أَرِّخ برَجَب، فإنَّه أول الأشهر الحُرُم. فقال عليّ بالمُحَرَّم، فإنَّه أول السَّنة، وهو من الأشهر الحُرُم. فأمر عُمَر بذلك، فانتشر في سائر بلاد الإسلام».

وعن ابن عباس: «قَدِم النبيّ ﷺ وليس لهم تاريخ. فكانوا يُؤَرِّخون بالشهر والشهرين من مَقْدمه. فأقاموا على ذلك إلى أن تُوفّي رسول الله ﷺ وانقطع التاريخ. ومَضَتْ أيام أبي بكر رضي الله عنه على هذا وأربع سنين من خلافة عُمَر، ثم وُضِع التاريخ».

وقيل: إن عُمَر رضي الله عنه لما جمع وُجوه الصحابة رضي الله عنهم قال: إنّ الأموال كَثرت، وما قسّمناه غير مُوَقَّت، فكيف التوصُّل إلى ما يَضبط ذلك[498]. فقال الهُرْمُزان، وهو ملك الأهواز، وكان قد أُسِر عند فُتُوح فارس وحُمِل إلى عُمَر فأَسلم: «إنّ لِلعجم حِساباً يُسمّونه ماه روز، ويُسندونه إلى من غَلَب عليهم من الأَكاسرة»، فعرّبوا لفظة ماه روز بِمُؤَرَّخ. وجعلوا مصدره التاريخ، واستعملوه في وُجوه التصريف. ثم شرح لهم الهُرْمُزان كيفية استعمال ذلك، فقال عُمَر: ضَعوا للناس تاريخاً يَتَعاملون عليه، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من مُعاملاتهم، فقال بعض من حضر من مُسلمي اليهود: «لنا حساب مثله نُسنده إلى الإسكندر»، فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطُّول. وقال قَوْم يكتب على تاريخ الفُرْس، فقيل: إنّ تاريخهم غير مُستند إلى مبدإ مُعيَّن، بل كُلّما قَامَ فيهم ملك ابتدأوا من لَدُن قيامه، وطرحوا ما قبله. واتَّفَقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من لَدُن هجرة

(497) تُوفّي سَنَة 32هـ/ 652-3م، انظر مثلاً ابن سعد، ج3، قسم 1، ص87-89، طبعة سخاو وآخرين.

(498) وتُنْسَب قِصّة شهيرة مُشابهة لهذه إلى إدخال الدواوين، انظر مثلاً: البلاذُري: **فُتُوح**، ص449، طبعة دي غويه، الصُّولي: **أدب الكُتّاب**، ص190 (القاهرة، 1341هـ).

النبيِّ ﷺ من مكة إلى المدينة، لأن وَقت الهجرة لم يختلف فيه أحد، بخلاف وقت مَبْعثه فإنه مُختلف فيه، وكذا وَقت وِلادته لَيلة وسَنَة. وأما وقت وفاته، فهو وإن كان مُعَيَّناً، فلا يحسُن عَقْلاً أن يُجعل الأصل لمبدإ التاريخ، وأيضاً فوقتُ الهجرة ووقت استقامة مِلّة الإسلام، وترادف الوفود، واستيلاء المُسلمين، فهو ممّا يُتبرَّك به، ويعظُم وَقْعه في النُّفوس. وكانت الهجرة يوم الثلاثاء لثمانٍ خَلَوْنَ من ربيع الأول أول السَّنة أعني المُحَرَّم، هو يوم الخميس، بحَسَب أمر الأوسط. ولما كان مُشتهراً عند القوم[499] اعتبروه. وأما بحَسَب الرُّؤية وحساب الاجتماعات فهو يوم الجمعة. وقال صاحب **نهاية الإدراك**[500] إنّ العملَ عليه. وأُرِّخ منها[501] في مُستأنف الزمان. وكان اتّفاقهم على هذا الأمر في سَنَة سبع عشرة من الهجرة، وهي السَّنة الرابعة من خِلافة عُمَر. وإلى هذه النِّسبة كانوا يُسمّون كُلّ سَنَة باسم الحادثة التي وقعت فيها، ويُؤَرِّخون بها. فَسُمِّيت السَّنة الأولى من سِنِيّ مُقام النبيِّ ﷺ بالمدينة «الإذن بالرحيل» أي: من مَكّة إلى المدينة، والثانية «سَنَة الأمر بالقتال»، والثالثة «سَنَة التمحيص» وعلى هذا. ثُمّ بعد ذلك تركوا تسمية السنين بالحوادث.

وقال عُبَيْد بن عُمَيْر[502]: «المُحَرَّم شهر الله، وهو رأس السَّنة، فيه يُؤرَّخ التاريخ، وفيه يُكسى البيت، ويُضرب الوَرِق، وفيه يوم تَابَ فيه قوم فَتِيبَ عليهم». وفي كون أول السَّنة من المُحَرَّم، حديث مرفوع أورده الدَّيْلمي في

---

(499) لعله يُشير إلى عُلماء الدِّين، على ما يُبين نصّ **النهاية** هامش 2.

(500) محمود بن مسعود الشيرازي (تُوفِّي سَنَة 710هـ/ 1311م. انظر بروكلمان: ج2، ص211 فما بعد) **نهاية الإدراك**، المَقَالة الثالثة، الباب العاشر، وقد رجعتُ فيه إلى مخطوطة البودليان، or. Marsh 133. وقد أخذ السَّخاوي كُلّ هذا النّص من الشيرازي لا مُباشرة، بل عن طريق الكافِيَجي. أما مصدر الشيرازي فهو **المُنتهى** للخَرَقي (انظر بروكلمان: ج2، ص211 فما بعد) **نهاية الإدراك**، المَقَالة الثالثة، الباب فيها عادة فصل عن «التاريخ».

(501) البِيروني: **الآثار الباقية** ص30 فما بعد طبعة سخاو، وهو يرى أنّ الضمير هنا يعود إلى الهجرة (ومن المُحتمل أيضاً أن يكون أول حُدوثها بالتأنيث).

(502) انظر: ابن سعد: **الطبقات**، ج5، ص341 فما بعد، طبعة سخاو وآخرين.

الفِرْدَوْس وتبعه وَلَدُه بلا سَنَد عن عليّ رضي الله عنه[503].

هذا الكلام في التاريخ الإسلامي. وأما الجاهلي فَرَوَى ابن الجَوزي من طريق عامر الشَّعْبي قال: «لما كَثُر بنُو آدم عليه السلام في الأرض وانتشروا، أَرَّخُوا من هُبوط آدم، فكان التاريخ إلى الطُّوفان، ثُمّ إلى نار الخليل عليه الصلاة والسلام، ثُمّ إلى زمان سليمان عليه السلام، ثُمّ إلى زمان عيسى[504] عليه السلام» وقد رَوَاه محمد بن إسحاق[505] عن ابن عباس.

وفيه أقوال أُخَر: منها أنه «كان من آدم إلى الطُّوفان، ثُمّ إلى زمان نار الخليل عليه السلام، ثُمّ أرّخ بنُو إسماعيل من بِناء البيت، ثُمّ إلى مَعَدّ بن عدنان، ثُمّ إلى كَعْب بن لُؤَيّ، ثُمّ من كَعْب إلى عام الفيل» قاله الواقِدي[506]. وعن بعضهم: «كان بنُو إبراهيم عليه السلام يُؤَرِّخون من نار إبراهيم إلى بُنْيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل عليه السلام، ثُمّ أَرَّخ بنُو إسماعيل من بُنيان البيت حتى تفرّقوا، فكان كُلّما خرج قَوْم من تِهَامة أَرَّخُوا بمَخْرجهم، ومن بقي بِتِهامة من بني إسماعيل يُؤَرِّخون من خُروج سَعد وفَهد وجُهَيْنة بني زيد من تِهامة، حتى مات كَعْب بن لُؤَيّ، فأَرَّخُوا من موته إلى الفيل. ثُمّ كان التاريخ من الفيل، حتى أرَّخ عُمَر من الهجرة، وذلك في سَنَة ستّ عشرة أو سبع عشرة أو ثمانِ عشرة».

ومنها أنّ حِمْيَر كانت تُؤَرِّخ بالتَّبابعة، وغسّاناً بالسدّ[507]، وأهل صنعاء بظهور الحبشة على اليمن، ثم بغَلَبة الفُرْس. ثم أَرَّخت العرب بالأيام المشهورة، كحرب البَسُوس، وداحِس والغَبْراء، وبيوم ذي قار والفِجار ونحوه. وبين حرب البَسُوس ومبعث نبيّنا ﷺ ستون سَنَة» حكاه محمد بن سعد[508] عن ابن الكَلْبي[509].

---

(503) فِردُوس، مخطوطة القاهرة، حديث 355 مادّة أول.

(504) ابن الجَوزي: **تلقيح فُهوم أهل الأثر**، مخطوطة باريس، ar. 734، ص49.

(505) مُؤلّف السيرة، تُوفّي سَنَة 150 أو 151هـ/ 767م (بروكلمان، ج1، ص134 فما بعد).

(506) محمد بن عُمَر، تُوفّي سَنَة 207هـ/ 823م (انظر بروكلمان: ج1، ص135 فما بعد).

(507) انظر: المسعودي، **التنبيه**، ص202، طبعة دي غويه؛ وكذلك عماد الدِّين الأصفهاني: **الفتح**، ص5، طبع لاندبرغ (ليدن، 1888م).

(508) مُؤلّف **الطبقات**، تُوفّي سَنَة 230هـ/ 845م (انظر بروكلمان: ج1، ص136 فما بعد).

(509) هشام بن محمد، تُوفّي سَنَة 204 أو 206هـ/ 829-30م (بروكلمان، ج1، ص138-9).

ومنها: «أنّ الفُرْس أرّخت بأربع طبقات من مُلوكها. فالأول بكَيُومَرْت، وقيل طَيُومَرْت بالطاء بدل الكاف، ويُقال غِل شاه ومعناه ملك الطين، ويعتقدون أنه آدم. والثاني بَيَزْدَجَرْد. والثالث بأَرْدَشِير بن بابَك. والرابع بأنُوشَرْوان العادل»، حكاه هشام بن الكلبي عن أبيه(510).

قال: «وأما الرُّوم فأرّخت بقتل دارا بن دارا إلى ظُهور الفُرْس عليهم.

وأما القِبْط فأرّخت ببُخْتَنْصَّر إلى قلابطره [كليوباترا] صاحبة مصر.

وأما اليهود فأرّخت بخراب بيت المقدس.

وأما النَّصارى فبرفع عيسى المسيح عليه السلام».

وقال أبو مَعْشَر(511) التواريخ أكثرها مدخول، والفساد يعتريها من أجل أنه يأتي على سِنِيّ أُمّة من الأُمم زمان من الأزمنة، وتطول أيامه، فإذا نقلوه من كتاب إلى كتاب، أو من لسان إلى لسان، يقع فيه الغَلَط، إما بالزيادة فيه أو النُّقصان منه، كالغَلَط الذي وقع بين آدم ونوح والأنبياء في السِّنين، فإنَّ اليهود اختلفوا في ذلك اختلافاً مُتفاوتاً. وكذا ما وقع في تواريخ الفُرْس مع اتصال مُلكهم إلى أن زال، في تخليط كثير.

ثُمّ إنّ الدليل على صِحّة ما ذكره أبو مَعْشَر قوله ﷺ: «**لا تجاوزوا عدنان، كذب النَّسّابون**»(512)، قال ابن الأثير(513): «وقد كانت كُلّ طائفة من العرب تُؤرِّخ بالحادث المشهور فيها. ولم يَكُنْ لهم تاريخ يجمعهم. ويُشير إلى هذا قول بعضهم(514):

---

(510) محمد بن السائب المُتوفَّى سَنَة 146هـ/ 763م (بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص331 فما بعد) **الفِهرِست**، ص139 فما بعد طبعة القاهرة، 1348هـ، ص95، طبعة فلوجل.

(511) جعفر بن محمد المُتوفَّى سَنَة 272هـ/ 886م (انظر بروكلمان: ج1، ص221 فما بعد)، ويُذكر نفس النّص في حمزة الأصفهاني: **التاريخ**، ج1، ص9 فما بعد طبعة غوتولدت.

(512) انظر: ابن كثير: **البداية**، ج2، ص194.

E. Bräunlich. "Beiträge zur Gesellschftsordnung der Arabischen Bediunenstämme" in *Islamica* VI 72 (1933).

(513) **الكامل**، ج1، ص6 فما بعد (القاهرة 1301هـ) ومصدره الطَّبَري: **التاريخ** سِلْسِلَة 1، ص1254، طبع دي غويه.

(514) يُقال إنّ هذا الشاعر هو الربيع بن ضَبُع الفِزاري وهو مُعاصر لامرىء القيس. انظر المرزوقي: **الأزمنة**، ج2، ص276 (حيدرآباد 1332هـ).

هـا أنـا أُؤمّـل الـخـلـود وقـد   أدرك عـقـلـي ومَـولـدي حُـجْـرا[515]

وقـول الجَعْدي[516]:

ومـن يَـكُ سـائـلاً عـنّـي فـإنـي   مـن الـشُّـبّـان أيـام الـخُـنـانـي[517]

وقـال آخر[518]:

ومـا هـي إلا فـي إزار وعَـلـقـة   مَـغـارَ ابـن هَـمّـام عـلـى حَـيٍّ خَـثْـعَـمـا

فكُلّ واحد منهم أرَّخ بحادث مشهور. فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا في التاريخ».

(515) حُجْر بن عمرو والد امرىء القيس.

(516) النابغة الجَعْدي المُتوفَّى سَنَة 65هـ/ 684م (انظر بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص92) أحد المُعمِّرين. وقد رَوَى شعره ابن حبيب في **المُحَبَّر** طبعة ليشتنشتادتر Lichtenstaedter (حيدرآباد 1361هـ/ 1942م) الصُولي، **أدب الكُتّاب**، ص179 (القاهرة، 1341هـ) المسعودي: **التنبيه**، ص204، طبعة دي غويه، **الأغاني**، ج4، ص129 (بولاق 1285هـ) العسكري: **الأوائل**، مخطوطة باريس، ar. 5966 ص76أ. المرزوقي: **الأزمنة**، الصَّفدي: **الوافي**، ج1، ص10، طبعة ريتر، انظر أيضاً:

Nallino *R. S. O*, XIV 429-31 (1934).

وقد ذُكِر النصف الأول من البيت في مُناسبات أُخرى، انظر:

G.L. Della Vida. *Les Livres des Chevaux* 75 (leiden 1928. Publications de la Fondation «De Goeje» 8).

(517) «زمن الخُنان» الذي نَفَقَت فيه كثير من الإبل، وتروي الروايات أنه كان زمن المُنْذِر بن ماء السماء.

(518) يقول الطَّبَري: المصدر السابق، إنّ الشاعر كان مُعاصراً لشُعراء آخرين، غير أنه عُرف بأنه الشاعر حُمَيْد بن ثَوْر وهو من شُعراء صدر الإسلام. انظر أيضاً المُبرّد: **الكامل**، ص115، طبعة رايت Wright، لايبزيغ 1864م، وقد ذكر النِّصف الثاني من الشعر **كتاب الأغاني**، ج7، ص119 (بولاق 1285هـ، ج8، ص175، القاهرة، 1935م) **لسان العرب**، ج12، ص141.

التَّصانيف في التاريخ

وأما التَّصانيف في التاريخ فكثيرة جداً، لا تَدخل تحت الحصر، بحيث قال الحافظ العَلاء مُغُلْطاي الحَنَفي في كتاب **إصلاح ابن الصلاح** له فيما قرأته بخطّه «رأيت مَنْ مَلَكَ نحواً من ألف تصنيف فيه».

(أ) كُتُب التاريخ في تصنيف الذَّهبي

ورأيت بخطّ الحافظ المُؤرّخ العُمدة أبي عبدالله الذَّهبي[1] ما نصّه «فُنون التواريخ التي تَدخل في **تاريخي الكبير المُحيط**، ولم أَنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد.

1 ـ سيرة نبيِّنا ﷺ.

2 ـ قِصَص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

3 ـ تاريخ الصحابة رضي الله عنهم.

4 ـ تاريخ الخُلفاء من الصحابة، ومن بني أُميّة، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعُبَيْدية بالمغرب ومصر.

5 ـ تاريخ المُلوك والدُّوَل، والأَكَاسرة والقياصرة، ومعهم مُلوك الإسلام، كابن

(1) يبدو أن السَّخاوي قد أخذها عن طريق ابن حَجَر بصورة غير مُباشرة، كما يدلّ على ذلك آخر النص (**الإعلان** ص86)، غير أنها لا تُوجد في **تاريخ الإسلام** للذَّهبي.

طُولُون، والإِخْشِيد، وابن بُوَيه، وابن سَلْجُوق ونحوهم. وملوك خُوَارزم، والشام، ومُلوك التتار، ومن لُقِّب بالمَلِك.

6 ـ تاريخ الوُزراء أوّلهم هارون عليه السلام، وأبو بكر، وعُمَر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخُلفاء، وغير ذلك، وفي المُلوك.

7 ـ تاريخ الأُمراء، والأكابر، ونُوّاب الممالك، وكبار الكُتّاب. ومنهم خلق من المُوقِّعين، وبعضهم أُدباء، وشُعراء.

8 ـ تاريخ الفُقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمّة الأزمنة، والفَرضيين. قلت: ويدخل فيه أهل الاجتهاد مِمَّن قلّد، وغيرهم.

9 ـ تاريخ القُرّاء بالسبع.

10 ـ تاريخ الحُفّاظ.

11 ـ تاريخ مَشيخة المُحدِّثين وأَئمتهم.

12 ـ تاريخ المُؤرّخين.

13 ـ تاريخ النُّحاة، والأُدباء، واللُّغويين، والشُّعراء، والبُلغاء، والعَرُوضيين، والحُسّاب.

14 ـ تاريخ العُبّاد، والزُّهّاد، والأولياء، والصُّوفية، والنُّسّاك.

15 ـ تاريخ القُضاة، والوُلاة ومعهم تاريخ الشُّهود، والأُمَناء.

16 ـ تاريخ المُعلّمين، والوَرّاقين، والقُصّاص، والطُّرقية[2]، والغرباء.

17 ـ تاريخ الوُعّاظ، والخُطباء، وقُرّاء الأنغام، والنُّدماء، والمُطربين.

18 ـ تاريخ الأشراف، والأجواد، والعُقلاء، والأذكياء، والحُكماء.

19 ـ تاريخ الأَطباء، والفلاسفة، والزَّنادقة، والمُهندسين، ونحو ذلك.

---

(2) انظر: ابن كثير. **البداية**، ج5، ص252.

20 ـ تاريخ المُتكلِّمين، والجَهْمِيّة، والمُعتزلة، والأشعرية، والكرّامية، والمُجَسِّمة.

21 ـ تاريخ أنواع الشيعة، من الغُلاة، والرافضة، وغير ذلك.

22 ـ تاريخ فُنُون الخوارج، والنَّواصب، وأنواع المُبْتَدِعة، وأهل الأهواء.

23 ـ تاريخ أهل السُّنّة من عُلماء الأمة، وصُوفيتها، وفُقهائها، ومُحدِّثيها.

24 ـ تاريخ البُخلاء، والطُّفيلية، والثُّقلاء، والأَكلة، وذوي الحُمْق، والخُيَلاء، والسُّفهاء. قلت ولم يُتَعَرَّض لضدّهم من الكُرماء والأَجواد، كأنه للاكتفاء بالأجواد فيما تقدّم، وقد اجتمع لي منهم جُملة.

25 ـ تاريخ الأضرّاء، والزَّمنى، والصُّم، والخُرس، والحُدْبان.

26 ـ تاريخ المُنجِّمين، والسَّحَرة، والكيمائيين، والمُطالبين، والمُشعوذين.

27 ـ تاريخ النَّسّابين، والإخباريين، والأعراب.

28 ـ تاريخ الشُّجعان، والفُرسان، والشُّطّار، والسُّعاة[3].

29 ـ تاريخ التُّجّار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغُرباء البحرية[4]، والمُجردين.

30 ـ تاريخ أُولي الصنائع العجيبة، والرَّشِقِين في أشغالهم، واقتراحهم، وتوليدهم فُنُون الأعمال.

31 ـ تاريخ الرُّهبان، وأُولي الصوامع، والخَلوات والأحوال الفاسدة.

32 ـ تاريخ الأئمة، والمُؤذِّنين، والمُوقِّتين، والمُعبِّرِين، والعامة.

33 ـ تاريخ قُطّاع الطريق، والغداوية، ولُعّاب الشطرنج والنَّرْد والقمار. قلت: وتُرِكَ الرَّمْي بالنَّشّاب.

---

(3) إذا أخذنا الكلمتين الأخيرتين وحدهما، فإنهما يعنيان معنىً آخر.

(4) يقول الجَوْبَري في: **المختار في كشف الأسرار**، ص16، 39 (القاهرة، 1316هـ) أنّ «البحرية» من كِبار اللُّصوص وأنّ «الغُرباء» هم نوع من العرّافين.

34 ـ تاريخ المِلاح، والعُشّاق، والمُتيَّمين، والرقّاصين، وشَرَبة الخُمور، والعُرَر[5].

35 ـ تاريخ أُولي الدَّهاء والحَزم والتدبير والرأي والخِداع والحِيَل.

36 ـ تاريخ المُندبين[6]، والمُخايلين، والصانعين[7]، والفرشيين[8]، والمُخَنَّثين، وأهل المُجُون، والمُزاح، والتَّجِر، والتَّلار[9]، والكذب.

37 ـ تاريخ عُقلاء المجانين، والمُوَسْوَسِين، والمُتْمِرين، والمُدمغين، والمطعومين.

38 ـ تاريخ السائلة، والشحّاذين، والمُتمنين، والحراشفة[10]؟ والجمرية.

39 ـ تاريخ قتلى القرآن والحُبّ والسماع والفَزَع والحال.

40 ـ تاريخ الكُهّان، وأُولي الخَوارق والكشف الذي كأنه كرامات، من الفَسَقة وغيرهم.

قال: فهذه أربعون تاريخاً إن جُمعت في مُصنَّف واحد، جاء في غاية الطُول، يكون وَقْر بعير. وإن أُفردت فقد أَفرد الفُضلاء كثيراً منها، ويتكرّر الرجل في تاريخين وثلاثة فأكثر. وإذا أنت ذَاكرت كُلّ إنسان ممّن هو مُقَدَّم في فنّه من ذلك، وجدت عنده عجائب ونَوادر ممّا يتعلّق بذلك، لا تكاد توجد في تاريخ» انتهى ما قرأته بخطّ الذَّهبي. وقوله «وَقْر بعير» يُنافي قوله أولاً ستمائة مجلد، لأن هذا العدد أكثر من وقر بعيرين. أفاده شيخنا فيما قرأته بخطّه.

---

(5) يذكر أبو دُلَف في «القصيدة الساسانية» (ذو الغزر) وهي غير واضحة لي (**انظر الثعالبي: اليتيمة**، ج3، ص185، دمشق، 1304هـ) لكنها قد تكون ذات علاقة بـ «العُرَر» التي يذكرها **الإعلان**.

(6) المكدين؟

(7) في مخطوطة ليدن «والمُصَنِّعِين» أي الذين يُحاولون الحُصول على المال بالتملُّق والمُداجاة.

(8) انظر: الجاحظ، **البُخلاء**، ص39، 44 (القاهرة، 1948م)، البَيْهَقي، **المحاسن والمساوىء**، ص626 طبعة شفالي Schwally (Giessen 1902) حيث يقرأ الكلمة «قرسي».

(9) في مخطوطة ليدن «التلاد» غير أنّ ترجمة الكلمتين الأخيرتين غير مُؤكّدة.

(10) في مخطوطة ليدن «المقمرين» غير أنّ القواميس لا تذكر في مادة «قمر» ما قد يدلّ على هذا الاشتقاق.

وقرأت بخطّ الذَّهبي أيضاً في أول **تاريخ الإسلام**[11] له أنه «جمعه، وتعب فيه، واستخرجه من عِدّة تصانيف، يَعرف بها الإنسان ما مَضى من التاريخ، من أول تاريخ الإسلام إلى عصرنا هذا، من وَفَيات الكِبار من الخُلفاء، والقُرّاء، والزُّهّاد، والفُقهاء، والمُحَدِّثين، والعُلماء والسَّلاطين، والوُزراء، والنُّحاة، والشُّعراء، ومعرفة طبقاتهم، وأوقاتهم، وشُيوخهم، وبعض أخبارهم. بأخصر عبارة، وألْخص لفظ، وما تَمَّ من الفُتُوحات المشهورة، والملاحم المذكورة، والعجائب المسطورة، من غير تَطويل، ولا إكثار، ولا استيعاب. ولكن أذكر المشهورين ومن يُشبههم، وأترك المجهولين ومن يُشبههم. وأُشير إلى الوقائع الكِبار، إذ لو اسْتَوعبت التراجم والوقائع، لَبَلغ الكتاب مائة مُجلّد، بل أكثر، لأن فيه مائة نفس يُمكنني أن أذكر أحوالهم في خمسين مُجلّداً».

قال: «وقد طالعتُ على هذا التأليف من الكُتُب مُصنَّفات كثيرة، ومادّته من **دلائل النبوّة** للبَيْهقي[12]، و**السيرة النبويّة** لابن إسحاق، و**مغازيه** لابن عائِذ الكاتب[13]، و**الطبقات الكُبرى** لابن سعد كاتب الواقدي، و**تاريخ البُخاري**، والبعض من **تاريخ** أبي بكر أحمد بن أبي خَيْثَمة، ومن **تاريخ** يعقوب الفَسَوي[14]، و**تاريخ** محمد بن مُثَنّى العَنَزي[15]، وهو صغير، وأبي حَفْص

---

(11) **تاريخ الإسلام**، ج1، ص7-13 (القاهرة، 1367هـ) انظر أيضاً: **الإعلان**، ص160.

(12) أحمد بن الحسين المُتوفَّى سَنَة 458 هـ/ 1066م (انظر بروكلمان: ج1، ص363).

(13) محمد بن عائذ الدمشقي. انظر البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص207، ويظهر أنه نفس المُؤلّف الذي ذكره **الفِهرِست**، ص158 (طبعة القاهرة، 1348هـ، ص109، طبعة فلوجل) وقد ظلّت «غَزَواته» تُستعمل إلى زمن ابن سَيِّد الناس، **عيون الأثر**، ج2، ص344 (القاهرة، 1356هـ).

(14) يعقوب بن سفيان المُتوفَّى سَنَة 277هـ/ 891م (انظر السَّمْعاني: **الأنساب**، ص428ب، بروكلمان، **الملحق**، ج3، ص1195، ج1، ص174، الطبعة الجديدة، ج2، ص662 حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص139، رقم 2269، طبعة فلوجل). ويذكر **الإعلان** أنّ تاريخ ابن أبي خَيْثَمة والفَسَوي استُعمل قسم من كُلٍّ منهما فقط. أما الذَّهبي فيقول: إنّ الكِتاب السابق فقط هو الذي استُعمل قسم منه.

(15) تُوفّي سَنَة 252هـ/ ديسمبر 866 ـ يناير 867م (**تاريخ بغداد**، ج3، ص283 فما بعد) وكان معروفاً باسم «أبو موسى الزَّمِن».

الفَلّاس[16]، وأبي بكر بن أبي شَيْبة، والواقدي، والهَيثم بن عَدِيّ، وخليفة بن خَيّاط[17]، مع **الطبقات** له وأبي زُرْعَة الدمشقي[18]، **والفُتُوح** لسيف بن عُمَر[19] **والنَسب** للزُّبير بن بكّار[20]، **والمُسْنَد** لأحمد، **وتاريخ** المُفَضّل بن غَسّان الغَلّابي[21]، **والجَرح والتعديل** عن ابن مَعِين، ولعبد الرحمن بن أبي حَاتِم[22]، وطالعتُ أيضاً **تهذيب الكمال** لشيخنا المِزِّي. ومن التواريخ التي اخْتَصرتها **تاريخ** أبي عبدالله الحاكم، وابن يونس[23]، والخطيب **وتاريخ دمشق** لابن عساكر، وأبي سعد بن السَّمْعاني، مع **الأنساب** له، **وتاريخ** القاضي الشمس بن خَلِّكان، والعلّامة الشهاب أبي شامة، والشيخ القطب بن اليُونيني[24] الذي ذَيَّل به على **مرآة الزمان** للواعظ الشمس يوسف سِبْط بن الجَوْزي، وهُما على الحوادث والسنين، مع كثير من الأصل، وكثيراً من **تاريخ** الطَّبَري، وابن الأثير، وابن الفَرَضي[25]، **وصِلته** لابن بَشْكُوال، **وتَكْملتها** لابن الأبّار، **والكامل** لابن عَدِيّ، وكُتُباً كثيرة، وأجزاءً عديدة.

---

(16) عمرو بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 249هـ/ 864م (**تاريخ بغداد**، ج11، ص207 فما بعد).

(17) تُوفّي سَنَة 204هـ/ 819-20م. انظر: **الفِهرِست**، ص342 (القاهرة 1348هـ) الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة الثامنة رقم 22، عنده 240: **الإعلان** ص117 أدناه ص373، هامش 1؛ وقد بقي قسم من **طبقاته في دمشق**، انظر: يوسف العش، **فهرس مخطوطات دار الكُتُب الظاهرية**، ص199 (دمشق 1366هـ/ 1947م). أما جدّه فكان يحمل نفس الاسم وقد تُوفّي سَنَة 160هـ/ 776-7م (السمعاني: **أنساب**، ص392ب) وقد ذكره البُخاري: **التاريخ**، ج2، قسم 1، ص175.

(18) عبد الرحمن بن عمرو المُتوفَّى سَنَة 282هـ/ 895م (انظر بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص208 فما بعد).

(19) تُوفّي سَنَة 180هـ/ 796-7م (انظر: بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص213 فما بعد).

(20) عاش في القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي. انظر: **تاريخ بغداد** ج13، ص124، وقد نقل منه أبو نُعَيْم في **تاريخ أصفهان** ج1، ص69 طبعة ديدرنغ (ليدن 1931-4م).

(21) تُوفّي سَنَة 256هـ/ 870م (انظر بروكلمان: ج1، ص41).

(22) تُوفّي سَنَة 327هـ/ 939م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص279 فما بعد).

(23) المُؤرّخ المصري عبد الرحمن بن أحمد أبو سعيد، تُوفّي سَنَة 347هـ/ 958م (ابن كثير: **البداية**، ج11، ص233).

(24) موسى بن محمد (640-726هـ/ 1242-1326م) (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص589).

(25) عبدالله بن محمد المُتوفَّى سَنَة 403هـ/ 1013م (انظر بروكلمان: ج1، ص338).

قلتُ: وقد تتبّعتُ تفصيل كثير ممّا أجمله، وبيّنتُ التّصانيف التي فيه، لا على وَجه الحصر، لعدم التمكُّن من ذلك. على أنّ الكثير لا وجود لتاريخ فيه، لكن يُمكن أخذه من التّصانيف في ذلك العلم أو الوصف، أو نحو ذلك، وفاتَهُ أخبار المُمْتَحَنِين.

1 ـ سيرة الرسول

فأما السِّيرة النبويَّة والمَغَازي فقد انتُدب لجمعها، مع سائر أيامه، ممّا يُرشد لطريقته من فَاق كثرة، وَرَاقَ خبرة.

كموسى بن عُقْبة الأَسَدي المدني[26] أحد التابعين.

ومحمد بن إسحاق المُطَّلِبي، مولاهم، المَدَني، أحد التابعين أيضاً، لرؤيته أَنَساً رضي الله عنه.

وأبي عبدالله محمد بن عمر الأَسْلَمي، مولاهم، المدني، القاضي، الوَاقِدي نسبة لجدّه وَاقِد. وفي أول **الطبقات الكبرى** لكاتبه أبي عبدالله محمد بن سعد البغدادي، سيرة مُطَوَّلة.

وأبي بكر عبد الرزاق بن هَمّام الحِمْيَري، مولاهم، الصَّنَعاني[27].

وأبي أحمد محمد بن عابد، القُرَشي، الدمشقي، الكاتب.

وأبي عثمان سعيد بن يحيى الأُموي، البغدادي[28].

وأبي القاسم التَّيْمي الأصبهاني[29].

وأوَّلُها (سيرة موسى بن عُقْبة) أَصَحُّها، كما قاله تلميذه الإمام مالك[30] وغيره.

---

(26) تُوفّي سَنَة 141هـ/ 758-9م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص205).

(27) تُوفّي سَنَة 211هـ/ 827م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص233).

(28) تُوفّي سَنَة 249هـ/ 864م (**تاريخ بغداد**، ج9، ص90 فما بعد).

(29) إسماعيل بن محمد المُتوفَّى سَنَة 535هـ/ 1141م (انظر بروكلمان: ج1، ص324؛ ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج10، ص90).

(30) انظر: J. Horowitz. "The Earliest Biographies of the Prophet", in *Islamic Culture* : II, 165 (1928).

وأما الثاني، وهو القائل فيه الشافعي رَضي الله عنه: «من أراد التَّبَحُّر في المغازي، فهو عِيال عليه»[31]، فَرَوَى المُبْتَدأ والمغازي عنه سَلَمة بن الفَضْل الرَّازي، والمغازي كُلٌّ من جَرِير بن حازم[32]، ويحيى بن محمد بن عبَّاد بن هاني[33]. وَرَوَى كتابه الشهير جماعة منهم أبو محمد، وأبو زيد، زياد بن عبدالله ابن الطفَيْل البَكّائي العامري[34]، ويونس بن بُكَير الشيباني[35] الكوفيان، وأولهما أوثقهما. وأخذ الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام[36] كتاب ابن إسحاق، بعد أن سمعه من زياد البَكّائي عنه، فهذَّبه ونقَّحه بحيث صار المُعَوَّل عليه. وَكَتَب عليه أبو القاسم السُّهَيْلي **الرَّوْض الأُنُف** الذي اختصره الذَّهبي وغيره، بل لمُغُلْطاي على كُلٍّ من **السيرة والرَّوض و الزّهر الباسم**. ولشيخنا تخريج الأحاديث المُنقطعات فيها، وشرح منها قطعة كبيرة شيخنا البَدْر العَيْني، ورواها عنه جماعة حسبما بَيَّنْتُ ذلك كله واضحاً في جُزء عَملتُه حين خَتَم قراءتها عليّ.

ثم إنه قد رَوَى ابن لَهِيعة[37] عن أبي الأسود عن عُرْوة بن الزُّبَيْر[38] **المغازي** وكذا الزُّهْرِي عن عُروة بن الزُّبَيْر عن أبيه وحَجّاج ابن أبي مَنِيع[39] عن الزُّهْري.

---

(31) عن هذه المُلاحظة التي يَكْثر اقتباسها، انظر: **تاريخ بغداد**، ج1، ص219، ج13، ص246، سطر 11 فما بعد؛ والمُترجمين الآخرين لابن إسحاق في **سيرة ابن هشام**، ج2، ص111 فما بعد، طبعة وستنفلد.

(32) تُوفّي سَنَة 170هـ/ 786-7م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة الخامسة رقم 34، طبعة وستنفلد).

(33) انظر البخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص304؛ ابن حَجَر: **التهذيب**، ج11، ص273.

(34) تُوفّي سَنَة 183هـ/ 799-800م (**تاريخ بغداد**، ج8، ص476 فما بعد).

(35) تُوفّي سَنَة 199هـ/ 814-5م (ابن كثير: **البداية**، ج10، ص245).

(36) تُوفّي سَنَة 218هـ/ 833م (انظر بروكلمان: ج1، ص135).

(37) أما أن يكون عبدالله المُتوفَّى سَنَة 174هـ ـ 790-1م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص256؛ ومُقدّمة ر. غيست R. Guest لطبعته لكتاب **وُلاة مصر وقُضاتها**، ص31 فما بعد، لندن 1912م، سِلْسِلَة جِب التذكارية، رقم 19) أو أنه أخوه عيسى (ابن حَجَر: **لسان**، ج4، ص403 فما بعد).

(38) انظر البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص31 فما بعد؛ انظر هوروفتز.
J. Horovitz, in *Islamic Culture* I, 555 H (1927).

(39) الحَجّاج بن يوسف المُتوفَّى بعد سَنَة 216هـ/ 831-2م (ابن سعد: **الطبقات**، ج7، قسم 2، ص175، طبعة سخاو وآخرين. البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 2، ص376 فما بعد؛ ابن حَجَر: **التهذيب**، ج2، ص208).

وروى يونس بن يزيد[40] مشاهد النبيّ ﷺ عن الزُّهري والوليد بن مُسْلِم أبو العباس القُرَشي الدمشقي[41] الذي قال أبو زُرْعة الرَّازي[42] إنه: «أعلم بأمر المغازي والسِّيَر[43] عن الأوْزاعي، ومحمد بن عبد الأعلى[44] **السِّيَر** عن مُعْتَمِر ابن سليمان[45] عن أبيه، وعبد الملك بن حبيب [. .] المُسَيَّب بن واضِح[46]، وأبو عُمَر معاوية بن عَمْرو[47]، والسِّيَر عن أبي إسحاق الفَزاري[48].

والحسن بن سُفْيان[49] عن أبي بكر بن أبي شَيْبة **المغازي**. ولكُلٍّ من أبي بكر بن أبي خَيْثمة وأبي القاسم بن عساكر في **تاريخهما**، وكذا ابن أبي الدَّم.

وأبي زكريا النَوَوي في **تهذيب الأسماء واللُّغات**.

وأبي الحَجّاج المِزّي في **تهذيب الكمال**.

وأبي عبدالله الذَّهَبي في **تاريخه**.

والعِماد بن كَثِير[50] في مُقدّمة **بدايته**.

وأبي الحسن الخَزْرَجي في مقدّمة **تاريخ اليمن**.

---

(40) تُوفّي سَنَة 59 [1] هـ/ 775-6م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص406).
(41) تُوفّي سَنَة 195هـ/ 810-1م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص152 فما بعد).
(42) عبيد الله بن عبد الكريم المُتوفّى سَنَة 264هـ/ 878م (**تاريخ بغداد**، ج10، ص326-37).
(43) تحذف مخطوطة ليدن حرف «و» قبل «السِّيَر».
(44) تُوفّي سَنَة 245هـ/ 859-60م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص174).
(45) تُوفّي سَنَة 187هـ/ كانون الأول 802 ـ كانون الثاني 803م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص49).
(46) يبدو أنّ في النص اضطراباً لم أستطع إصلاحه. فلا أعلم هل إنّ عبد الملك بن حبيب هو المُؤرّخ الأندلسي الذي كتب عن سيرة الرسول كما نعلم. أما المُسَيَّب، فقد تُوفّي سَنَة 246هـ/ 860-1م (ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص40 فما بعد).
(47) تُوفّي سَنَة 214هـ/ 829م (**تاريخ بغداد**، ج13، ص197 فما بعد).
(48) إبراهيم بن محمد المُتوفّى سَنَة 186هـ/ 802م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص321؛ ابن كثير: **البداية**، ج10، ص20، حوادث سَنَة 188هـ.
(49) تُوفّي سَنَة 303هـ/ 916م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج6، ص132-6).
(50) إسماعيل بن عمر المُتوفّى سَنَة 774هـ/ 1373م (انظر بروكلمان: ج2، ص49).

والتَّقِي الفاسي في **تاريخ مكة** في آخرين.

سيرة مُطوّلة لبعضهم، كابن عساكر، أو مُختصرة.

وأفردها:

أبو الشيخ بن حِبّان.

وأبو الحسين بن فارس اللُّغوي.

وأبو عمر ابن عبد البَرّ في **الدُّرَر في اختصار المغازي والسِّيَر**.

وأبو محمد ابن حَزْم.

والشرف أبو أحمد الدِمْيَاطي.

وعبد الغني المَقْدِسي، وكتب على كتابه القُطْب الحلبي[51] **المورد الهني** وهو نافع جداً. وأبو عبدالله الذَّهبي. وأبو الفتح بن سَيِّد الناس في **عيون الأثر** وما أحسنه، كتب عليه البُرْهان الحلبي تعليقاً في مُجَلَّدين سَمّاه **نور النِبْراس** يعني المِصْباح، وفي **نور العيون** وهو مُختصر، وقال ابن القَوْبَع[52] إنه أوقفه على **العيون** فعلّم عليها على أكثر من مائة موضع أوهام.

وأبو الربيع الكِلاعي[53]، وضمَّ إليها سِيَر الثلاثة الخُلفاء، وسَمّاه **الاكتفاء**.

---

(51) عبد الكريم بن عبد النور (664-735هـ/ 1266-1334م) (ابن حَجَر، **الدُرر**، ج2، ص398 فما بعد) انظر أيضاً:

E. Amar *J.A.X* 19, 235 fn 5 (1912).

(52) أو ابن قُوبَع، محمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 738هـ/ 1338م (الصَّفدي: **الوافي**، ج1، ص238-47 طبعة ريتر؛ ابن حَجَر. **الدُرر**، ج4، ص181-4).

R. Brunschvig, *La Berberie Orientale* I, P. XXXVI f (Paris 1940).

إنّ هذه الإشارة المذكورة موجودة في **الوافي** و**الدُرر** غير أنّ السَّخاوي كان مصدره **الدُرر**.

(53) سليمان بن موسى المُتوفَّى سَنَة 634هـ/ 1237م (انظر بروكلمان: ج1، ص371).

وللعلاء عليّ بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن صاحب **مقبول المنقول**(54)، سيرة مُطوَّلة.

وكذا للظَّهير عليّ بن محمد بن محمود الكازَرُوني ثُمّ البغدادي(55)، وهو سابق عليه، سيرةٌ.

والمُحبّ الطَّبَري(56).

والقاضي عِزّ الدِّين بن جَماعة، في تصنيفين.

والشمس البِرْمَاوي(57) كذلك. وله على أحدهما حاشية، أفردها مضمومة للأصل التَّقي بن فَهْد، سوى سيرة له في مُجلّدين.

والعلاء عليّ بن عثمان التُّرْكماني الحَنَفي(58).

وأبو أُمامة بن النَّقّاش(59).

والشمس بن ناصر الدِّين(60)، في مُؤلّف حافل مُتقن.

والتَّقي المَقْريزي في كتابه **الإمتاع** وفيه الكثير ممّا يُنْتَقَد.

ولعثمان بن عيسى ابن دَرْباس الماراني(61) **الفوائد المُنيرة**(62) **في جوامع السِّيرة**.

---

(54) تُوفّي سَنَة 741هـ/ أول سَنَة 1341م (انظر بروكلمان: ج2، ص109).

(55) تُوفّي سَنَة 697هـ/ 1297م أو بعد سَنَة 700هـ (ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج2، ص119) انظر **الإعلان**، ص96.

C. Cahen in *RÉI*, X 342 (1936) 337.

(56) أحمد بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 694هـ/ 1295م (انظر: بروكلمان، ج1، ص361 فما بعد).

(57) محمد بن عبد الدائم المُتوفَّى سَنَة 831هـ/ 1428م (انظر: بروكلمان، ج2، ص95 فما بعد).

(58) تُوفّي سَنَة 750هـ/ 1349م (انظر: بروكلمان، ج2، ص64).

(59) محمد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 763هـ/ 1362م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص95 فما بعد).

(60) محمد بن عبد الله المُتوفَّى سَنَة 842هـ/ 1438م (انظر بروكلمان ج2، ص76، فما بعد).

(61) تُوفّي سَنَة 602هـ/ 1206م (ابن خَلِّكان، ج2، ص187 فما بعد)، ترجمة دي سلان.

(62) كذا في مخطوطة ليدن وفي كتاب **الجواهر والدُّرَر** للسَّخاوي.

وكذا الشهاب أحمد بن إسماعيل الإبْشِيطي الشافعي الواعظ[63] المُتوفَّى في سَنَة خمس وثلاثين وثمانمائة (1432م)، كتاب جامع، كتب منه نحو ثلاثين سِفْراً، يحتوي على **سيرة ابن إسحاق** مع ما كتبه السُّهَيلي وغيره عليها، وما اشتملت عليه **البداية** لابن كثير، وعلى ما احتوت عليه **المغازي** للواقدي. وغير ذلك ضابطاً للألفاظ الواقعة فيها، وكان زائد اللَّهج بها.

ونظمهـا:

الفتح بن مِسْمار[64].

والشهاب بن العماد الأَقْفَهْسي[65].

والبِقَاعـي[66].

وشرح كُلّ نظمه، وكذا نظمها العِزّ الدّيرِيني[67].

وفتح الدِّين بن الشَّهيد[68] في بضع عشرة ألف بيت، مع زيادات، دلَّت على سَعَة باعه في العلم.

والزَّيْن العراقي[69] في ألفيته التي مشى فيها على سيرة مُختصرة للعلاء مُغُلْطاي، كتب على هذه **المُختصرة** وفوائد الشمس البِرْماوي والشرف أبو الفتح

(63) 760هـ/ 1358-9م، انظر: **الضَّوء اللامع** ج1، ص244 حيث يُوجد هذا النّص أيضاً، ما عدا الجُملة الأخيرة.

(64) من الظاهر أنه الفتح بن موسى المُتوفَّى سَنَة 636هـ/ 1264-5م (بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص206، ف. وستنفلد في مُقدّمته لطبعة كتاب **السيرة** لابن هشام، ج2، ص48 فما بعد).

(65) أحمد بن عماد المُتوفَّى سَنَة 808هـ/ 1405م (انظر بروكلمان: ج2، ص83 فما بعد).

(66) إبراهيم بن عُمَر المُتوفَّى سَنَة 85هـ/ 1480م (انظر بروكلمان: ج2، ص142 فما بعد).

(67) عبد العزيز بن أحمد المُتوفَّى حوالى سَنَة 697هـ/ 1297م (انظر بروكلمان: ج1، ص451 فما بعد).

(68) محمد بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 793هـ/ 1391م (ابن حَجَر: **الدرر**، ج3، ص296 فما بعد).

(69) عبد الرحيم بن حسين المُتوفَّى سَنَة 806هـ/ 1404م (انظر بروكلمان: ج2، ص66 فما بعد).

المَراغي[70]، وجَرَّدَ ذلك في تصنيف مُفرد[71] التَّقي بن فَهْد[72].

وشرح النَّظم الشهاب ابن رَسْلان[73]، ومن قبله المُحبّ ابن الهائم[74]، الفريد في الذكاء. وهو مُطوَّل وقفتُ على مجلّد منه قَرَضه له الناظم وغيره[75]. وكذا شرح شيخنا بعض أبيات من أوَّله. وتمَّمْتُ عليه وأرجو تحريره وإبرازه.

ونَظَم سيرةَ مُغُلْطاي أيضاً في زيادة على ألف بيت الشمسُ البَاعُوني الدمشقي، أخو الأستاذ البُرْهان[76]. وسمعتُ بعضه منه، وسَمّاه **منحة اللبيب في سيرة الحبيب**.

وأفرد مولده بالتأليف غير واحد:

كأبي القاسِم السَّبْتي[77] في **الدُّر المُنَظَّم في المَوْلد المُعظَّم** في مُجلّدين، استطرد فيه لزوائد على موضوعه.

ثُـمّ العراقـي.

وابن الجَزَري[78].

(70) محمد بن أبي بكر (775-859هـ/ 1374-1455م) (**الضَّوء اللامع**، ج17، ص162-5).

(71) «فوائد» بدل «وفوائد» انظر: السَّخاوي: **الجواهر والدُّرَر**، مخطوطة باريس، ar. 2105 ص293أ.

(72) محمد بن محمد (787-871هـ/ 1385-1466م) (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص225).

(73) أحمد بن الحسين المُتوفَّى سَنَة 844هـ/ 1441م (انظر بروكلمان: ج2، ص96).

(74) محمد بن أحمد بن محمد بن عماد المُتوفَّى في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي (**الضَّوء اللامع**، ج2، ص157؛ بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص70).

(75) إنّ التعبير المُستعمل هنا يتكرّر أحياناً في زمن السَّخاوي ليظهر التلقّي المُرْضي لأيّ كتاب جديد في الأوساط العلمية، غير أني غير مُتأكّد من أهميته بالضَّبط.
ويقول السَّخاوي في **الجواهر والدُّرَر** إنه لم يَرَ الكتاب قط.

(76) إبراهيم بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 870هـ/ 1465م (**الضَّوء اللامع**، ج1، ص26-9).

(77) (العباس؟) بن محمد بن أحمد من القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي (انظر بروكلمان: ج1، ص366) (Pons Boigues (Ensayo 101-3.

(78) هكذا تذكر مخطوطة ليدن، و**الجواهر والدُّرَر** للسَّخاوي، لا ابن الجَوزي.

وابن ناصر الدِّين.

وأسلافه محمد بن إسحاق المُسَيَّبي[79].

وأسمائه أبو الخطّاب بن دِحْية[80].

والقُرْطُبي وغيرهما، نَظْماً ونَثْراً، وبلغتها نحو خمسمائة، وهي قابلة للزيادة، وأكثرها أوصاف.

وختانه وأنه وُلِد مختوناً:

الكمال بن طَلْحة[81]. ورَدَّ عليه، في تصنيف أيضاً، الكمال أبو القاسم بن أبي جَرَادة[82].

ولأبي بكر الخَرائطي[83] **هواتف الجانّ، وعجيب ما يُحْكى عن الكُهّان، مِمَّن بَشَّرَ بالنبيِّ ﷺ بواضح البُرْهان.**

وكذا لابن أبي الدُّنيا[84] **الهواتف.**

ولابن دُرُسْتَويه[85] **حديث قُس بن ساعدة.**

ولهشام بن عمار[86] **المَبْعث.**

ولأبي الخطّاب بن دِحْية وغيره **المِعْراج.**

---

(79) تُوفّي سَنَة 236هـ/ 850م (**تاريخ بغداد**، ج1، ص236 فما بعد).
(80) عُمَر بن الحسين المُتوفَّى سَنَة 633هـ/ 1235م (انظر بروكلمان: ج1، ص310-2).
(81) يبدو أنه محمد بن طلحة المُتوفَّى سَنَة 652هـ/ 1154م (ابن كثير: **البداية**، ج13، ص332).
(82) عمر بن أحمد بن العَديم، مُؤرّخ حلب المُتوفَّى سَنَة 660هـ/ 1262م (انظر بروكلمان: ج1، ص332) ولم أجد هذا الكتاب المذكور في أيّ مكان.
(83) محمد بن جعفر المُتوفَّى سَنَة 327هـ/ 938م (انظر بروكلمان: ج1، ص154).
(84) أبو بكر عبدالله بن محمد المُتوفَّى سَنَة 281هـ/ 894م (انظر بروكلمان: ج1، ص153 فما بعد).
(85) عبدالله بن جعفر المُتوفَّى سَنَة 347هـ/ 958م (انظر بروكلمان: ج1، ص112 فما بعد).
(86) تُوفّي سَنَة 244 أو 245هـ/ 858-9م (ابن كثير: **البداية** ج10، ص346؛ مُلاحظات فلوجل على **الفِهْرِست**، ص29، 37).

وجمع دلائل النبوّة كثيرون منهم:

أبو زُرعة الرَّازي.

وثابت السَّرَقُسطي(87).

وأبو القسم الطَّبَراني.

والتَّيْمـي.

وأبو عبدالله بن مَنْده(88).

وأبو الشيخ بن حِبّان.

وأبو نُعَيْم الإصبهاني(89).

وأبو بكر بن أبي الدُّنيا.

وأبو أحمد بن العَسّال(90).

---

(87) ثابت بن حزم المُتوفَّى سَنَة 313هـ/ 925م (ابن الفَرَضي، ص88، رقم 306، طبعة كوديرا Codera) وهو الذي أكمل **الدلائل** الذي ألّفه ولده أبو القاسم، بعد أن تُوفّي هذا سَنَة 302هـ/ 914-5م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج3، ص1196؛ ابن الفَرَضي ص293 فما بعد، رقم 1060). لقد كان للقاسم ابن اسمه ثابت تُوفّي سَنَة 352هـ/ 963م، وروى **الدلائل** (ابن الفَرَضي، ص89، رقم 308) وكان لثابت هذا حفيد اسمه ثابت أيضاً، وكان لهذا حفيد اسمه ثابت أيضاً، وقد تُوفّي هذا الحفيد الثاني سَنَة 514هـ/ 1120-1م (ابن بَشْكُوال: **الصّلة**، ص126 رقم 283، طبعة كوديرا).

(88) محمد بن إسحاق المُتوفَّى سَنَة 395هـ/ 1005م (انظر بروكلمان: ج1، ص167، **الملحق**، ج1، ص281)؛ أو سَنَة 396هـ/ 1005م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج7، ص232). ويذكر بروكلمان أنّ وِلادته كانت سَنَة 310هـ/ 922م، غير أنّ هذا لا يُمكن أن يكون صحيحاً لأن ابنه عبد الرحمن وُلد سَنَة 388هـ (**المُنتظَم**، ج8، ص315) وتُوفّي سَنَة 470هـ/ 1077-8م، كما أنّ عبد الوهاب ابن هذا المُؤلّف وُلد سَنَة 386هـ (ابن خَلِّكان، ج4، ص57، ترجمة دي سلان؛ انظر أعلاه، ص214، هامش 6) أنّ سَنَة 316هـ/ 928-9م (ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص71) قد تكون مُبكرة جداً للزمن الحقيقي لولادته.

(89) أحمد بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 430هـ/ 1038م (انظر بروكلمان: ج1، ص362).

(90) محمد بن أحمد بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 349هـ/ 960م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج5، ص398؛ **تاريخ بغداد**، ج1، ص270)، الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبعة الثانية عشرة، رقم 4، وستنفلد.

وأبو بكر النَّقّاش المُفَسِّر[91].

وأبو العَبّاس المُسْتَغْفِري[92].

وأبو الأسود عبد الرحمن بن الفَيْض.

وأبو ذَرّ المالكي[93].

وأبو بكر البَيْهَقي.

وهو أَحْفَظُها، كما بيَّنْتُه في جُزء مُفرد في خَتْمِه.

وكذا جمعها مع غرائب الأحاديث إبراهيم بن الهيثم البَلَدي[94].

وأعلام النبوَّة أبو محمد بن قُتَيبة[95].

وأبو داود صاحب **السُّنَن**.

وأبو الحسين بن فارس.

وأبو الحسن المَاوَرْدي[96] الفقيه.

وقاضي الجماعة أبو المُطَرِّف المغربي[97].

والعـلاء مُغُلْطاي.

(91) محمد بن الحسن المُتوفَّى سَنَة 351هـ/ 962م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص334).
(92) جعفر بن محمد المُتوفَّى سَنَة 432هـ/ 1040م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص617).
(93) مُصعب بن محمد بن مسعود المُتوفَّى سَنَة 604هـ/ 1207م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص206)؟.
(94) المُتوفَّى سَنَة 277 أو 278هـ/ 890 ـ 1م (**تاريخ بغداد**، ج6، ص9 ـ 206).
(95) عبدالله بن مسلم المُتوفَّى سَنَة 276 أو 270هـ/ 889 أو 880م (انظر بروكلمان: ج1، ص3 ـ 120).
(96) عليّ بن محمد المُتوفَّى سَنَة 450هـ/ 1058م (انظر بروكلمان: ج1، ص386).
(97) من الواضح أنه عبد الرحمن بن محمد بن فُطَيْس المُتوفَّى سَنَة 402هـ/ 1012م، انظر: Pons Boigues. (Ensayo 101-3).

والشمائل النبويَّة:

أبو عيسى التِّرْمِذي[98].

وأبو العباس المُستَغْفِري.

وأبو بكر بن طَرْخان البَلْخي[99].

وكتبت من شرح أولها قِطعة. ورأيت قِطعة من مُسوّدة بخطّ الجمال بن الظاهر[100]، كالمُستخرج عليها.

والصفة النبويَّة:

أبو البَخْتَري[101].

وأبو عليّ محمد بن هارون[102].

والأخلاق النبويَّـة:

وإسماعيل القاضي[103].

---

(98) محمد بن عيسى المُتوفَّى سَنَة 279هـ/ 892م (انظر بروكلمان: ج1، ص161 فما بعد).

(99) **الإعلان** ص142، وهو يذكر محمد بن عليّ بن طَرْخان من بَلْخ. غير أنّ هذا هو أقرب إلى أن يكون محمد بن طَرْخان التُّركي المُتوفَّى سَنَة 513هـ/ 1119م (ابن الجَوزي: المُنتظَم، ج9، ص215؛ السُّبكي: **طبقات الشافعية**، ج4، ص70، القاهرة 1324هـ) وهو يظهر كآخر راوٍ لمخطوطة القاهرة: مُصطلح الحديث 54، لكتاب **الكامل** لابن عديّ الذي كتب لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين.

(100) أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 696هـ/ أول سَنَة 1267م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبعة العشرين رقم 8، وستنفلد).

(101) وَهْب بن وَهْب المُتوفَّى سَنَة 99 أو سَنَة 100هـ/ 814-5م (**تاريخ بغداد**، ج13، ص481، **الفِهرِست**، ص146 فما بعد (القاهرة، 1348هـ، ص100، طبعة فلوجل).

(102) تُوفّي سَنَة 353هـ/ 964م (ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص411).

(103) إسماعيل بن إسحاق المُتوفَّى سَنَة 282هـ/ 896م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص273) انظر: يوسف العش: **الخطيب البغدادي**، ص106 (دمشق 1364هـ-1945م).

وصفة **نَعْلِه الشريف** أبو اليُمْن بن عَسَاكر[104].

و**الهدي النبويّ** ابن القَيِّم[105] وغيره.

ولأبي نُعَيْم والمُسْتَغْفِري.

والضياء المَقْدِسي[106] **الطب النبويّ**.

والقاضي عِيَاض[107] **الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى**، وقد شرحتُ شأنه وبيان من كتب عليه، في مُؤلَّف لي في خَتْمِه.

ولأبي الربيع سليمان [...] بن سَبْع السَّبْتي[108] **شفاء الصدور** في مُجلّدات. واختصره بعض الأئمّة. وفيه مناكير كثيرة، ولأبي الفَرَج بن الجَوْزي **الوفا بالتعريف بالمصطفى**. ولابن المُنَيِّر[109] **الاقتفا**.

ولأبي سعد النيسابوري[110] **شرف المُصطفى** في مُجلّدات.

ولجعفر الفَرْيابي[111] **المُعجزات وتكرير الطعام والشراب**. وكذا لغيره **المُعجزات**.

---

(104) عبد الصَّمَد بن عبد الوهاب 614-686هـ/ 1217-1287م (ابن رافع: **مُنتخَب المُختار**، **تاريخ عُلماء بغداد**، ص96-8، بغداد، 1357هـ-1938م.

(105) محمد بن أبي بكر بن قَيِّم الجوزيّة المُتوفَّى سَنَة 751هـ/ 1350م (انظر بروكلمان: ج2، ص105 فما بعد).

(106) محمد بن عبد الواحد المُتوفَّى سَنَة 643هـ/ 1245م (انظر بروكلمان: ج1، ص398 فما بعد).

(107) عِياض بن موسى اليَحْصُبي المُتوفَّى سَنَة 544هـ/ 1149م. (انظر بروكلمان: ج1، ص369).

(108) على ما يقول حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج4، ص52، رقم 594، فلوجل، يشترك في هذا الأمر اثنان هما أبو الربيع سليمان بن موسى الكَلاعي والثاني اسمه ابن سَبَع السِّبتي.

(109) أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 683هـ/ 1284-5م (حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج1، ص377، رقم 1054، طبعة فلوجل).

(110) عبد الملك بن محمد المُتوفَّى سَنَة 406 أو 407هـ/ 1015-6م (انظر بروكلمان: ج1، ص200، **الملحق**، ج1، ص361).

(111) جعفر بن محمد المُتوفَّى سَنَة 301هـ/ 913م (**تاريخ بغداد**، ج7، ص199 فما بعد ولا يزال أحد كُتُبه مخطوطاً وموجوداً في مجموعة Chester Beatty Collection. انظر مقالة أربري A.J. Arbery في مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلد 24، ص234 فما =

ولجماعة: كالماوَرْدي.

وابن سَبْع.

والجلال البُلْقيني **الخصائص**.

ولأبي أحمد العَسّال.

وأبي الشيخ ابن حِبّان.

خُطَب النبي:

وأفرد بعضهم خُطبة الوداع، وهي فيما قال ابن بَشْكُوال آخر خُطبه.

بل لبعضهم كلماته المفردة.

وللطَّبَراني.

وأبي عبدالله بن مَنْدَه.

نسب النبيّ:

وكذا لعُمَارة بن زيد[112] **مُكاتباته ﷺ للأشراف والمُلوك**.

ولغيرهم **الوفاة النبويّة**.

وللبَيْهَقي **حياة الأنبياء في قُبورهم**[113].

ولآخرين **فضل الصلاة على النبيّ ﷺ**.

كإسماعيل القاضي.

= بعد (1949م)؛ وقد ألَّف الواقدي كتاب **طُعم النبي**، انظر ابن سعد: **الطبقات**، ج8، ص32، طبعة سخاو وآخرين.

(112) محذوفة من مخطوطة ليدن.

(113) انظر: مقالة سپايز (1936) Spies in *ZDMG*, XC 113، حيث يجب أن يقرأ المرء «بعد» بدلاً من «وبعد».

وأبي بكر بن أبي عاصم[114]. ومن سردتُ أسماءهم في خاتمة كتابي **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**[115]. ولخلق كما سيأتي «أصحابه» مع بيان من أفرد منهم «أردافه»[116] و«أزواجه» ممّن جمعهنّ الدِّمْيَاطي و«مواليه» و«كُتّابه».

ممّن جمعهم عبدالله بن عليّ بن أحمد بن حَدِيدة[117] وسمّاه **المِصْباح المُضِيّ في كُتّاب النبيّ**.

إلى غيرها ممّا لو حصل التصدّي لجَمْعه كُلّه في كتاب لكان في عشرين مُجلّداً فأكثر.

2 ـ قِصَص الأنبياء

وأما قِصَص الأنبياء، ففي **المُبْتَدأ** لمحمد بن إسحاق بن يَسار المُطَّلِبي صاحب **السيرة النبوية**، ولأبي حُذَيْفة إسحاق بن بِشْر البُخاري[118]. وأفردها وَثِيمة بن موسى ابن الفُرَات[119] في مُجلّدين.

وكذا أفردها أبو إسحاق الثعالبي[120]، وآخرون.

---

(114) أحمد بن عمرو المُتوفَّى سَنَة 287هـ/ 900م (ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص349 فما بعد. ابن كثير: **البداية**، ج11، ص84).

(115) نُشر في الله آباد 1321هـ، ص197 فما بعد. وقد صدرت طبعة جديدة عام 1963.

(116) الأرداف الذين يركبون معه على جمل أثناء الغزوات.

(117) القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي (انظر بروكلمان: ج2، ص72) لا تُوجد في مخطوطة ليدن الإشارة إلى كتابه أو إلى كتاب الدِّمياطي.

(118) المُتوفَّى سَنَة 206هـ/ 821م (**تاريخ بغداد**، ج6، ص326-8). أما عن اقتباسات **مُعجم البلدان** لياقوت من كتاب **الفُتوح**، فانظر:
F.J. Heer. "Die historischen und geographischen Quellen" in Jâqût's *Geographischem Wörterbuch*, 10 (Stassbury 1898).

(119) تُوفّي سَنَة 237هـ/ 851م (ياقوت: **إرشاد**، ج19، ص247 فما بعد، طبعة القاهرة، ج7، ص225 فما بعد، طبعة مارغليوت).

(120) القِفْطي: **إنباه الرواة**، مصورة، القاهرة: تاريخ 2579، ج1، ص112، وهو يُشير إلى أنّ المُؤلّف نسبته الثعلبي أو الثعالبي.

كالكِسائي[121] أبي الحسن محمد بن عبدالله.

بل وفي جُملة تاريخَيْ ابن جَرِير (الطَّبَري)، وابن عساكر، و**البداية** لابن كثير، والجمال أبي الحسن عليّ بن (أبي) منصور المالكي صاحب **بدائع البداية**.

3 ـ تاريخ الصحابة

وأما الصحابة، ففيه تواليف جَمَّة كعليّ بن المَدِيني في كتابه **معرفة من نزل من الصحابة سائر البُلدان**، وهو في خمسة أجزاء، فيما قاله الخطيب، يعني لطيفة.

وكالبُخاري. وقال شيخنا: «إنه أوّل من صَنَّف فيه فيما عُلِم».

وكالتِّرْمِذي.

ومُطَيَّن[122] وأبي بكر بن أبي داود.

وعَبْدان[123].

وأبي عليّ بن السَّكَن في **الحُروف**[124].

وأبي حَفْص بن شاهين[125].

وأبي منصور البَارُودي.

وأبي حاتم بن حِبّان[126].

(121) عاش حوالى سَنَة 400هـ/ 1009-1010م (انظر بروكلمان: ج1، ص350).

(122) محمد بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 298هـ/ 910-911م (**الفِهرِست**، ص323 فما بعد، طبعة القاهرة، 1348هـ، ص232، طبعة فلوجل).

(123) لعلّه عَبْدان بن محمد المَرْوَزي المُتوفَّى سَنَة 293هـ/ 906م (**تاريخ بغداد**، ج11، ص135 فما بعد).

(124) سعيد بن عثمان بن سعيد المُتوفَّى سَنَة 353هـ/ 964م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**؛ الطبعة الثانية عشرة، رقم 38، طبعة وستنفلد) وهو أحد مصادر **الاستيعاب** لابن عبد البَرّ.

(125) عمر بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 385هـ/ 995م (انظر بروكلمان: ج1، ص165).

(126) محمد بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 354هـ/ 965م (انظر بروكلمان: ج1، ص164).

وأبي العباس الدُّغُولي[127].

وأبي نُعَيْم.

وأبي عبدالله بن مَنْدَه. والذيل عليه لأبي موسى المَدِيني[128].

وكأبي عمر بن عبد البَرّ في **الاستيعاب**، والذيل عليه لجماعة كأبي إسحاق ابن الأمين وأبي بكر بن فَتْحُون[129]، وهما مُتعاصران، وثانيهما أحسنهما. واختصر محمد بن يعقوب بن محمد بن أحمد الخليلي[130] **الاستيعاب** وسمّاه **إعلام الإصابة بأَعلام الصحابة**.

في آخرين يَعْسُر حَصْرُهم.

كأبي الحسن محمد بن صالح الطَّبَري.

وأبي القاسم البَغَوي[131].

والعُثْماني[132].

وأبو الحسين بن قانع[133] في **معاجيمهم**.

وكذا أبو القاسم الطبراني في **مُعجمه الكبير** خاصة.

ثُمّ العزّ أبو الحسن بن الأثير أخو صاحب **النهاية**[134] في كتابه **أُسْد الغابة**

---

(127) محمد بن عبد الرحمن المُتوفَّى سَنَة 325هـ/ 936-7م، انظر:
F. Wüstenfeld. *Der Imam Al Schâfi'î* 133 (Göttingen 1980).

(128) محمد بن عمر المُتوفَّى سَنَة 581هـ/ 1185م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص604).

(129) محمد بن خلف المُتوفَّى سَنَة 519 أو 520 هـ/ 1125-6م. انظر: Pons Boigues. *Ensayo* 178f. ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص445.

(130) القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص928).

(131) عبدالله بن محمد المُتوفَّى سَنَة 317هـ/ 929م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص278) ومخطوطة **مُعجم الصَّحابة** المذكورة عند بروكلمان هي الآن في شيكاغو.

(132) لقد حُذفت الكُنْية من مخطوطة ليدن.

(133) عبد الباقي بن القانع المُتوفَّى سَنَة 351هـ/ 962م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص279).

(134) مُؤلِّف **النهاية** هو مجد الدِّين المبارك بن محمد، تُوفِّي سَنَة 606هـ/ 1210م (انظر بروكلمان: ج1، ص357 فما بعد).

جمع فيه بين عِدّة من الكُتُب السابقة، كابن مَنْده وأبي نُعَيم، وابن عبد البَرّ، وذيل أبي موسى وعَوَّل عليه من جاء بعده، حتى إنّ كُلّاً من النَّوَوي والكاشْغَري اختصره، واقتصر الذَّهبي على تجريده، وزاد عليه العراقي عِدّة أسماء.

وكذا لأبي العباس جعفر بن محمد بن المُعْتَزّ المُسْتَغْفِري مُؤلَّف في **الصحابة**.

ولأبي أحمد العسكري(135) فيه كتاب رتَّبه على القبائل.

ولأبي القاسم عبد الصمد بن سعيد الحِمْصي(136) **من نزل منهم حِمْص خاصة**.

ولمحمد بن الربيع الجِيزي(137) من نزل منهم مصر.

وللمُحِبّ الطَّبَري **الرياض النَّضِرَة في مناقب العشرة**.

ولأبي محمد بن الجارُود(138) **الآحاد منهم**.

ولأبي زكريا بن مَنْده **أردافه منهم** وكذا من عاش منهم مِاية وعشرين.

---

(135) الحسن بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 382هـ/ 993م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص193).

(136) تُوفّي سَنَة 324هـ/ 935-6م. انظر ابن العماد: **شذرات**، ج2، ص302 (القاهرة 1350-1هـ).

L. Caetani. *Onomasticon Arabicum* 606 (Rome 1913).
E. Amar in *J A X* 39, 254 fn I (1912).

ولا أعلم على أيّ أساس استند في إقرانه هذا المُؤلّف بعبد الصمد بن عبد الوارث بن سَعِيد (سَعْد) الذي تُوفّي سَنَة 207 أو 206هـ/ 822-3م. انظر إلى ما اقْتَبَسه **مُعجم البُلدان** لياقوت من كتابه: **تاريخ حِمْص**.

F. J. Heer Die *historischen und geographischen Quellen* in *Jâqût's Geographischem Wörterbuch* 31 (Strassburg 1898).

(137) لقد اقْتَبَس من هذا الكتاب المَقْريزي في **ضوء الساري**، طبعة:

CH. D. Mathewa, in *Journal of the Palestine Oriental Society* XIX 166 (1939-40).

(138) عبدالله بن عليّ، تُوفّي حوالى سَنَة 320هـ/ 932م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص93، **تاريخ بغداد**، ج2، ص47 فما بعد)، وقد نقل **تاريخ بغداد** ج14، ص298 من كتابه **كتاب الأسماء والكُنَى**.

ولأبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى[139].

وزهير بن العلاء العَبْسي[140] وغيرهما.

أزواج النبيّ:

وسَمَّى المُحِبّ الطَّبَري كتابه فيهم **السِّمْط الثمين في مناقب أُمّهات المؤمنين**.

ولغيرهم **مَوَاليه** وكذا **كُتّابه**.

وللخطيب **من روى منهم عن التابعين**.

ولأبي الفتح الأَزْدِي[141] **من لم يروِ عنه منهم سوى واحد**.

وللحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المَقْدِسي **الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة** لأبي نُعيْم في جُزء كبير.

ولخليفة بن خَيّاط.

ومحمد بن سعد.

ويعقوب بن سُفْيان، وأبي بكر ابن أبي خَيْثَمة وغيرهم.

في كُتُب لم يخصَّها بهم، بل يضمُّ مَنْ بعدهم إليهم.

وكتاب شيخنا المُسمّى بـ **الإصابة** جامع لما تفرّق منها مع تحقيق، ولكنه لم يُكمل.

---

(139) تُوفي سَنَة 208هـ/ 823-4م، و213هـ/ 828-9م (انظر بروكلمان: ج1، ص103 فما بعد).

(140) انظر: ابن حَجَر: **لسان**، ج2، ص492.

(141) محمد بن الحسين المُتوفّى سَنَة 367هـ/ 977-8م أو سَنَة 374هـ/ 984-5م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص280).

4 ـ تواريخ الخُلفاء

وأما تاريخ الخُلفاء، وهم من الصحابة[142] ستة سوى ابن الزُّبَيْر، ومن بني أُمَيَّة إلى مروان أربعة عشر، سوى عثمان. ومن بني العباس إلى وقتنا هذا بضع وخمسون. ومن المَرْوانيين بالأندلس جماعة.

من العُبَيْديين والفاطميين بمصر أحد عشر، سوى ثلاثة بالمغرب، أولهم أبو عبدالله محمد بن الحسين المَهْدي بُويِـع له في سَنَة ثمانٍ وتسعين ومئتين (910 ـ 11م) وكان خُروجه من القَيْروان، وكان ظُهوره إذ ذاك في خلافة المُقتدر بالله العباسي وهو ببغداد. فأقام بالمغرب دولته، ثُمّ القائم بالله بعده، ثُمّ المنصور ابنه. وأقام باقيهم بمصر. فأولهم بها المُعِزّ لدين الله أبو تَمِيم المَعَدّ بن المنصور إسماعيل بن محمد المَهْدَوي، بُويِـع له بالخلافة بعد أبيه المنصور بالمهدية سَنَة إحدى وأربعين وثلثمائة (952 ـ 3م)، ثُمّ خرج إلى مصر في سَنَة ثمانٍ وخمسين وثلثمائة (969م)، واستولى عليها. وهو الذي بنى القاهرة، وأُضيفت إليه، فيُقال لها القاهرة المُعِزِّية. وكان مولده سَنَة تسع عشرة وثلاثمائة (931م) وعاش خمساً وأربعين عاماً وتسعة أشهر، ومات على فراشه في ربيع الآخر سَنَة خمس وستين وثلاثمائة (975م)، ودُفن بقَرَافة مصر[143]. وآخر الفاطميين العاضد لدين الله، مات على فراشه سَنَة سبع وستين وخمسمائة (1171م) ودُفن بالقصر، المكان المعروف بدار الضَرْب من القاهرة، كما أشرت لذلك في كُرّاسة لسنا بصدد تحقيقه هنا.

(فائدة) كان ابن خلدون يجزم بصحة نسب بني عُبَيْد الذين كانوا خُلفاء بمصر وشُهِروا بالفاطميين إلى عليّ رضي الله عنه، ويُخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نُقِل عن الأئمّة[144] من الطَّعن في نسبهم، ويقول: إنما كتبوا ذلك المَحْضر مُراعاة للخليفة العباسي. قال شيخنا: «وابن خلدون كان لانحرافه عن

(142) أي أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والحسن بن عليّ ومعاوية.

(143) عن مقبرة القَرافة انظر: المَقْريزي، **الخِطط** ج2، ص443-5، بولاق، 1270هـ).

(144) من سَنَة 402هـ/ 1011م، انظر:

B. Lewis. *The Origins of Ismailism* 60 f (Cambridge 1940).

آل عليٍّ يُثبت نِسبة الفاطميين إليهم، لما اشتهر من سُوء معتقد الفاطميين، وكون بعضهم نُسِب إلى الزندقة وادّعى الإلٰهية كالحاكم، وبعضهم في الغاية من التعصّب لمذهب الرَّفض حتى قُتل في زمانهم جمع من أهل السُّنّة. وكان يُصرَّح بسبّ الصحابة في جوامعهم ومجامعهم. فإذا كانوا بهذه المثابة، وصحَّ أنهم من آل عليٍّ حقيقة، التصق بآل عليٍّ العَيْب، وكان ذلك من أسباب النُّفرة عنهم» نسأل الله السلامة[145].

ولأبي بِشْر محمد بن أحمد بن حمّاد الدَّوْلابي[146].

وأبي بكر بن أبي الدُّنْيا في آخرين.

كأبي بكر محمد بن زكريا الرَّازي[147] صاحب **المنصوري** وغيره في الظنّ له **سِيَر الخُلفاء** ومنهم من المُتأخّرين ناصر بن دُقْماق.

والتَقي المَقْريزي في **اتّعاظ الحُنَفاء بأخبار الخُلفاء** وتبعهما بعض المُنتدبين للتاريخ.

ولأبي الحسن عليّ بن محمد بن أبي السرور عبد العزيز السَّرُوجي **بُلْغَة**

(145) انظر: **الإعلان**، ص71.

(146) تُوفّي سَنَة 320هـ/ 932م (السَّمْعاني: **الأنساب**، ص233ب ومصدره أبو سعيد بن يونس الذي قال أيضاً: إنّ الدَّوْلابي قَدِم مصر سَنَة 260هـ/ 873-4م؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص41 فما بعد، الذي يذكر أنّ وفاته حَدَثت سَنَة 310هـ. وهذا يتفق أكثر مع النّص القائل إنه وُلد سَنَة 224هـ/ 838-9م. الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة العاشرة، رقم 101، طبعة وستنفلد، وهو يذكر سَنَة 301م. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص278).

(147) الفيلسوف والطبيب المشهور، تُوفّي سَنَة 313هـ/ 925م (انظر بروكلمان: ج1، ص233-5) ولا يعرف بأنه مُؤلّف لكتاب تاريخ إلا من مصدر السَّخاوي. المسعودي، **مُروج** ج1، ص17، طبعة باريس، ج1، ص6، طبعة القاهرة، 1346هـ. انظر: **الإعلان**، ص158 أدناه، ص430. ويُمكن الافتراض أنّ المسعودي كان أيضاً مصدر الصَّفدي: **الوافي**، ج1، ص51، طبعة ريتر. انظر: بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص421. ومن الصعب أن نفترض أنّ المسعودي خَلَط بين الطبيب الفيلسوف وبين المُؤرّخ الأندلسي أبي بكر بن محمد الرَّازي، لأنه كان يتكلّم عن مُعاصريه.

الظُّرفَاء في تاريخ الخُلفاء.

ولبَيْبَرْس الدَّوَادار[148] **اللّطائف في أخبار الخَلائف في** مُجلّدات.

ولأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المَرْوَزِي الكاتب[149] **أخبار الخُلفاء**.

وللصُّولي **الأوراق في أخبار خُلفاء بني العباس وأشعارهم**. وأفرد غير واحد من العباسيين. وكنت ممّن أشرتُ إليهم فيما كتبته من مناقب العباس والمأمون منهم [؟] وكذا أبو العباس المُعْتَضِد في تصنيفين.

ونَظَمهم في أُرْجُوزة أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السَّرّاج[150].

ثُمّ الذَّهبي في أبيات.

وكذا نظم الشمس محمد بن أحمد البَاعُوني الدمشقي **تُحفَة الظُّرفَاء في تواريخ المُلوك والخُلفاء** وقف فيها عند الأشرف بَرْسْباي قال[151] في أولها:

وبعدُ فالتاريخ علم، سامية شُرَفُه   عـالـيـة بـيـن الأنـام غُـرَفُـه

وفـيـه بـمـا فـيـه مـن الـمـنـافـعِ   حتى لقد قال الإمام الشافعي

فـي خـبـر صـحَّ عـنـه نـقـلُـهُ   من حَفِظَ التـاريـخ زاد عَقْلُهُ

وهو كلام ظاهر لا شكّ في صِحّته، وسرّه غير خفيّ».

وذَيَّل عليه ابن أخيه البهاء محمد ابن القاضي الجمال يوسف[152]، وأطال في مآثر سُلطان وقتنا، وافتتح لها بقوله:

---

(148) تُوفّي سَنَة 725هـ/ 1325م (انظر بروكلمان: ج2، ص44).

(149) أحمد بن أبي طاهر طَيْفُور المُتوفَّى سَنَة 280هـ/ 893-4م (انظر بروكلمان: ج1، ص138). وأخبار الخلفاء هو تاريخ بغداد نفسه، انظر: **الإعلان** ص123.

(150) تُوفّي سَنَة 500 أو 501 أو 502هـ/ 1106م (انظر بروكلمان: ج1، ص351، ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج9، ص151 فما بعد).

(151) انظر: **الإعلان**، ص15.

(152) تُوفّي سَنَة 910هـ/ 1505م (انظر بروكلمان: ج2، ص54). انظر: **اللّمحة الأشرفية والبهجة السَّنِيّة فيما لمولانا السلطان المالك المَلِك الأشرف قايِتْباي من الأعمال الزّكية والأقوال القوية**، مخطوطة باريس، ar. 1915 ص31أ.

وبـعـدُ فـالـتـاريـخ والأخـبـارُ عـلـم لـه فـي الـمِـلّـة اعـتـبـارُ
وقـد كـفـى فـيـه مـن الـبُـرْهـانِ مـا جـاءنـا مـن قَـصَـص الـقـرآنِ

ولابن أبي البقاء أُرْجُوزة في الخُلفاء، في مُجلّد.

ولأحمد بن يعقوب المصري(153) وعبدالله بن الحسين.

ولابن سعد الكاتب(154) أخبار العباسيين وغيرهم.

وكذا لمحمد بن صالح بن مِهْران بن النَّطّاح الأخباري النسّابة(155) **أخبار الدولة العباسية** وغيرها. وقيل: إنه أوّل من صنّف في أخبار الدولة. ولبعضهم

---

(153) قد يكون هذا اليعقوبي الذي تُوفّي سَنَة 284هـ/ 897-8م (انظر بروكلمان: ج1، ص226 فما بعد) أو بعد سَنَة 292هـ/ 904-5م؛ إذا صحّ أنه يرجع إلى **البُلدان** النّص الذي اقْتَبَسه المَقْريزي والذي أشار إليه دي غويه في ص372 في طبعته لكتاب **البُلدان** لليعقوبي Leiden 1892, *Bibliotheca Geographorum Arabicorum 7*. غير أنّ هذا غير مُؤكّد. أما معلومات السَّخاوي فهي مُستمدّة من **مُروج الذهب** للمسعودي، ج1، ص18، طبعة باريس، ج1، ص6، طبعة القاهرة، 1346هـ انظر: **الإعلان** ص154. ولـمّا كان المسعودي يُشير إلى **تاريخ العباسيين** للمُؤلّف، فمن الصعب أن يفتكر المرء أنه أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن الدّاية المصري الأديب المشهور، ومؤلف **الدولة الطُولُونية** (تُوفّي سَنَة 330هـ/ 941-2م أو 340هـ/ 951-2م؟ انظر بروكلمان: ج1، ص149). وممّا تجدر مُلاحظته أنّ اليعقوبي هو مصدر نُقلت منه مُشافهة عدّة قِصَص من كتاب **المُكافاة** لابن الدَّاية. غير أنّ هذه الحقيقة لا تُساعد على توضيح **تاريخ** اليعقوبي لأن ابن الدّاية على أي حال يبدو أنه وُلد قبل سَنَة 260هـ/ 873-4م، وهو الترجيح التقريبي لوفاة والده الذي كان آنذاك في الثمانين من عمره (انظر مقدّمة طبعة كتاب **المُكافاة**، القاهرة، 1332هـ/ 1914م، وكذلك طَبْعَتَيْ سَنَة 1940 و1941م من الكتاب. انظر **مجلة المجمع العلمي** بدمشق المجلد 19، ص32-40 سَنَة 1944م التي لم أستطع الحصول عليها). وهكذا، فإنه حتى لو كان اليعقوبي قد تُوفّي في زمن قبل هذا، فإنه كان له وقت كافٍ للاتصال بابن الدَّاية.

(154) من سَنَة المسعودي: **مروج**، ج1، ص18، طبعة باريس، ج1، ص1، طبعة القاهرة 1346هـ، انظر: **الإعلان** ص155.

(155) تُوفّي 252هـ/ 866-7م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص216، **تاريخ بغداد** ج5، ص357 فما بعد، **الفِهرِست**، ص156، طبعة القاهرة 1348هـ، ص107، طبعة فلوجل؛ المسعودي: **مُروج**، ج1، ص12، طبعة باريس، ج1، ص5، طبعة القاهرة، 1346هـ)، انظر القسم الأول، ص79).

تاريخ الخُلفاء وأخبار الدَّولتين: بني أُمّية وبني العبّاس.

ولعليّ بن مُجَاهد[156]، وخالد بن هشام الأُموي **أخبار الأمويين** وغيرهم.

وأفرد سِيرة عُمَر بن عبد العزيز غير واحد.

وجمع الجمال محمد بن عليّ العُمْراني[157] **الإنباء في تاريخ الخُلفاء**، وذَيَّلَ عليه (إلى نهاية المُسْتعصم بالله ظهير الدِّين الكازَرُوني، وقد كتب ابن الكازَرُوني) سَديد الدِّين يوسف (ظهير الدِّين عليّ) ذيلاً عليه[158].

وبعضهم خُلفاء الفاطميين.

وجَمَعَ مناقب الخُلفاء وكذا تاريخَ نِساء الخُلفاء، وسيرةَ الخليفة الناصر، أبو طالب عليّ بن أَنْجَبَ البغدادي الخازن.

وللعِماد الكاتب **نُصْرَة الفِترْة وعُصرة الفِطْرة في أخبار بني سَلْجُوق ودولتهم.**

وكذا لأبي الحسن عليّ بن أبي المنصور الأَزْدي المالكي **أخبار المُلوك السَلْجُوقية.**

وتاريخ الدولة اللَّمْتُونية أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الغَرْناطي[159].

أبو إسحاق بن هلال الصَّابئ[160].

---

(156) تُوفّي سَنَة 182هـ/ 798-9م (**تاريخ بغداد**، ج11، ص106 فما بعد، المسعودي: **مروج**، ج1، ص12، طبعة باريس، ج1، ص5، طبعة القاهرة، 1346هـ).

(157) القرن السادس الهجري-الثاني عشر الميلادي (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص586).

(158) يذكر النّص سديد الدِّين يوسف بن المُطهّر؛ وقد ارتأى عباس العزّاوي تصحيحاً غير مُؤكّد للنّص في **مجلة المجمع العلمي** بدمشق، مُجلّد 23، ص49 فما بعد (1948م) ولا يُمكن أن تُقصد هنا الشخصيات المذكورة في بروكلمان، ج1، ص466، **والملحق**، ج1، ص825.

(159) تُوفّي سَنَة 557هـ/ 1161-2م (حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص104، طبعة فلوجل).

(160) تُوفّي سَنَة 384هـ/ 994م. (انظر بروكلمان: ج1، ص96؛ ياقوت: **إرشاد**، ج2، ص20 فما بعد، طبعة القاهرة، ج1، ص324 فما بعد، طبعة مارغليوت.

شيئاً من دولة بني بُوَيْه الدَّيْلَم التي انتهتْ في سَنَة اثنتين وثلاثين وأربعمائة[161] (1040 ـ 1م) وشَرَحَ المَقْريزي أخبار الدولة الفاطمية... ودولة السَّلجوقية وانتهتْ في سَنَة تسعين وخمسمائة 1194 ـ 1م.

ولعبدالله بن المُعْتَزّ[162] **أشعار الخُلفاء والمُلوك**.

5 ـ تاريخ مُلوك الإسلام

وأما المُلوك، فجمع تاريخ المُلوك والدُّوَل محمد بن عبد الملك الهَمَذاني.

وللجمال أبي الحسن عليّ بن أبي المنصور الأَزْدي **الدُّوَل المُنقطعة** مُفيد جداً في بابه سوى مُصَنَّفَيْه **بدائع البَدَائه** و**أساس البلاغة**، بل له **أخبار المُلوك السَّلجوقية** كما تقدّم قريباً، و**أخبار الشُّجْعان** كما سيأتي[163].

ولابن هشام **التّيجان في أخبار مُلوك الزمان**، وذيّل عليه أيضاً. ولمحمد بن الحارث التغلبي[164] **أخلاق المُلوك** ألّفه للفَتْح بن خاقان[165] وله غيره.

و**أخبار الدُّوَل الإسلامية** لظافر بن حسن الأَزْدي[166].

---

(161) قد يدلّ نصّ **الإعلان** أنّ الصَّابئ ألّف كتاباً عن الفاطميين، والمَقْريزي عن البويهيين والسلاجقة؛ لذلك أشرنا إلى التصحيح المذكور أعلاه. وهُناك كتاب آخر مشهور عن تاريخ السلاجقة ألّفه القِفْطي.

(162) تُوفّي سَنَة 296هـ/ 908م (انظر بروكلمان: ج1، ص80 فما بعد).

(163) **الإعلان**، ص108.

(164) إنّ هذه «النسبة» هي الموجودة في المسعودي. انظر: **الفِهْرِست**، ص212 (القاهرة 1348هـ) ومن مُلاحظات فلوجل على طبعته **للفِهْرِست**، ص148.

(165) انظر: O. Pinto in *RSO* XIII, 133-49 (1931-2).

(166) قد يكون هذا والد السابق الذِّكر عليّ بن أبي المنصور ظافر بن الحسين الأَزْدي (انظر: ياقوت، **إرشاد**، ج13، ص264 فما بعد، طبعة القاهرة، ج5، ص228، طبعة مارغليوت) أنّ الظافر مُؤلّف **الدُّول المُنقطعة**، تُوفّي سَنَة 597هـ/ 1201م، انظر: السيوطي، **حُسْن المحاضرة**، ج1، ص258 (القاهرة 1299هـ) ويبدو أنّ المرجع مُكرّر ومغلوط.

وللغَرْنَاطي **الإِخبار والإِعلام في دُوَل الإسلام** في رباط المُوفّق.

و**أخبار الدولة البُويهية** لإبراهيم بن هلال الصَّابئ الكافر، عمله لعَضُد الدولة.

و**سيرة ابن طُولُون** وولده خُمارَوَيْه، أبو محمد بن زُولاق المصري[167]، في تأليفين.

و**سيرة الإخشيد محمد بن طُغْج، والصلاح يوسف بن أيوب**، غير واحد.

والظاهر بيبرس، العِزّ بن شَدّاد[168]، وكاتبه المُحيوي بن عبد الظاهر[169]، بل لأبي شامة **الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين**.

والظاهر بَرْقوق، ابن دُقْماق.

والمُؤَيَّد، شيخنا العَيْني، وغيره، والظاهر طَطَر، والأشرف بَرْسْباي، والظاهري جَقْمَق غير واحد، ولبعضهم مناقب السلاطين وخِصالهم.

ولمحمد بن الهَيْثم بن شَبَابة **كتاب الدولة**[170].

6 ـ تواريخ الوُزراء

وأما الوُزراء، فلأبي بكر الصُّولي، وفيه غرائب لم تقع لغيره، وأشياء مُفرد بها، لأنه شاهدها[171]. ثم ذَيَّل عليه محمد بن عبد الملك الهَمَذاني[172].

---

(167) الحسن بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 387هـ/ 997م. (انظر بروكلمان: ج1، ص149).

(168) محمد بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 684هـ/ 1285م (انظر بروكلمان: ج1، ص482 فما بعد). أما ترجمته لبيبرس، فقد ذكرها ابن كثير في **البداية** ج13، ص305).

(169) عبدالله بن عبد الظاهر المُتوفَّى سَنَة 692هـ/ 1293م (انظر بروكلمان: ج1، ص318 فما بعد).

(170) إنّ هذه المعلومات مأخوذة من **مُروج الذهب** للمسعودي. Abû Tammâm wrote poems for him, cf. H. Ritter, *Die Geheimnisse der Wortkunst*, 275, 360 (Wiesbaden 1959).

(171) إنّ هذه المعلومات مأخوذة من **مُروج الذهب** للمسعودي.

(172) **عنوان السِّيَر**، انظر: **الإعلان** ص144 فما بعد، أدناه؛ ابن العَديم: **بُغية الطَّلب** *Recueil des Historiens des Croisades*, Hist or. III, 706 (Paris 1884). ابن خَلِّكان، ج1، =

ولأبي الحسن عليّ بن الحسن بن الماشِطة[173] أيضاً **أخبار الوُزراء** انتهى فيه إلى آخر أيام الرّاضي.

ولأبي الحسن عليّ بن الحسن بن الفَتْح الكاتب، عُرف بابن المُطَوَّق[174].

وأبي الحسين هِلال بن المُحسِّن بن إبراهيم الصَّابئ[175].

وآخرين، منهم إبراهيم بن موسى الواسطي، عارض فيه محمد بن داود بن الجَرّاح منهم[176]، بل لابن المُطوّق أخبار عِدّة من وُزراء المُقتدر.

وكذا عمل أبو طالب بن أنْجَب الخازن **أخبار الوُزراء في دُوَل الأئمّة الخُلفاء** وهو عند الزيني بن ظُهَيْرَة[177]. وقال في أوله: «إنّ الخُلفاء العباسيين أول من اسْتَوزر الوُزراء، لأن بني أُمّية كانوا يُفوّضون أمر الأموال وجباياتها وتقسيطها إلى كُتّاب البلاد من قبل أُمرائهم في النَّواحي. وكانت دواوين الشام بالرُّومية، ودواوين مصر بالقِبطية، ودواوين العراق بالفارسية، وكانوا نَصارى ومجوساً لا غير. فنقل سليمان بن سعد **القُضاة** دواوين الشام إلى العربية على عهد عبد الملك بن مروان[178]، وكان بنو أُميّة لا يَسْتَوزرون بل يتّخذون أديباً من وُجوه

= ص405، ج3، ص220، 257، ترجمة دي سلان، السيوطي: **حُسن المُحاضرة**، ج2، ص149 (القاهرة 1299هـ).

(173) تُوفّي بعد سَنَة 310هـ/ 922-3م (ياقوت: **إرشاد**، ج13، ص15 فما بعد طبعة القاهرة، ج5، ص5-113، طبعة فلوجل).

(174) مُعاصر للمسعودي. انظر: **الفِهرِست**، ص187 (القاهرة 1348هـ، ص129، طبعة فلوجل) الصَّفدي: **الوافي**، ج1، ص52 طبعة ريتر؛ وقد ذكر أيضاً أنّ اسمه عليّ بن (أبي) الفتح. انظر: A. Wiener in *Der Islam* IV, 404 (1913).

(175) تُوفّي سَنَة 448هـ/ 1056م. (انظر بروكلمان: ج1، ص323 فما بعد).

(176) ابن الجرَّاح المُتوفّى سَنَة 296هـ/ 908م (انظر بروكلمان: الملحق، ج1، ص224 فما بعد) وقد أخذت المعلومات من **مُروج الذهب** للمسعودي، انظر ياقوت: **إرشاد**، ج2، ص20 (القاهرة، ج1، ص324، طبعة مارغليوت).

(177) إن تهجئته الاسم «ظُهَيْرة» لا «ظَهِيرة» انظر: F. Wustenfeld. *Die Chroniken der Stadt Mekka* II XVII، **الضَّوء اللامع**، ج11، ص214. ولعلّ ابن ظُهَيْرة هذا هو نفس زين الدِّين عبد الباسط (عمر) بن محمد المولد سَنَة 951هـ/ 1448م (**الضَّوء اللامع**، ج4، ص29 فما بعد).

(178) انظر الجَهْشَياري: **الوُزراء**، ص18أ طبع: =

العرب، ممّن يُرجع إليه في الرأي والتدبير» انتهى.

ولأبي القاسم عليّ بن مُنْجِب بن الصَّيرفي[179]، الوُزراء بمصر خاصة.

ولبعض المصريين سيرة وزير المُستنصر أبي الحسن عليّ بن عبد الرحمن اليازوري[180].

7 ـ تاريخ الكُتّاب

ولابن الأبَّار **الكُتّاب**.

8 ـ تاريخ الأُمراء

وأما الأُمراء فلأبي عُمَر الكِنْدي[181]، أُمراء مصر خاصة.

ولبعض من أخذتُ عنه أخبار الطاغية تَيْمُور.

وللعماد بن كثير **سيرة مِنْكِلي بُغا**[182].

9 ـ تاريخ الفُقهاء

وأما الفُقهاء فَصَنَّف فيهم مُطلقاً: الشيخ أبو إسحاق الشِّيرازي، وهو مُختصر جداً.

وكذا للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن محمد الشِّيرازي[183] **تاريخ**

= Mzik, *Bibliothek Arabischer Historiker und Geographen* I (Leipzig 1).
الصُّولي: **أدب الكُتّاب**، ص192أ (القاهرة، 1341هـ)؛ الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص349 فما بعد طبعة أنغر Enger (Bonn 1853)، ويذكر النّص سعد القُضاة.

(179) تُوفّي سَنَة 542هـ/ 1147م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص489 فما بعد).

(180) تُوفّي سَنَة 450هـ/ 1058م (ابن مُيَسَّر: **النُّكت العصرية**، ص8 فما بعد، ص32، طبع ماسيه Masse القاهرة، 1919م)، وهو مشهور لما يذكر عن رعايته المُصوّرين. انظر: المَقْريزي. **الخِطط**، ج2، ص318 (بولاق، 1270هـ)، وقد رَوَى المَقْريزي في **الخِطط** ج1، ص109، ترجمة حياته مُستمدّة من مصدر لا يذكر اسم صاحبه.

(181) محمد بن يوسف المُتوفَّى سَنَة 350هـ/ 961م (انظر بروكلمان: ج1، ص149).

(182) من أتابكة دمشق تُوفّي سَنَة 774هـ/ 1372م (ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج4، ص367).

(183) الضامن المُتوفَّى سَنَة 500هـ/ 1107م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج9، ص152 فما بعد) =

الفُقهاء. وللباجي[184]، وآخرين.

ولمُحمّد بن عبد الملك الهَمَذاني الشافعي **طبقات الفُقهاء**.

ومُقيّداً بالشافعية خلق[185]: أولهم أبو حفص عُمَر بن عليّ المُطَوِّعي الأديب[186] سمّاه **المُذْهَب في ذكر شيوخ المَذْهَب**.

ثُمّ عمل القاضي أبو الطيب مُختصراً في مَوْلد الشافعي، عَدَّ في آخره جماعة من الأصحاب.

= والمراجع التي ذكرها وستنفلد لا تزال مُفيدة في هذا المجال:
F. Wustenfeld. *Der Imam el Schafi'c* (Gottinger 1890).

(184) سليمان بن خلف المُتوفَّى سَنَة 474هـ/ 1081-2م (انظر بروكلمان: ج1، ص249، طبعة القاهرة، ج4، ص252، طبعة مارغليوت).

(185) لقد ذكر السُّبكي عدداً من هؤلاء ومن المُؤلّفين السابقين، باعتبارهم مصادر في مُقدّمة **الطبقات الصغرى** (مخطوطة البودليان، رقم Marsh 428) ثُمّ إنّ مُعظم الكُتُب لابن باطيش، عدَّدَها محمد بن الحسن الواسطي (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص30) في كتابه **تاريخ الشافعية**، انظر:
O. Spies. *Beitrage Zur Arabischen Literaturgeschicte cichte 27-9* (Leipzig 1932 AKM 19).
وهُناك عرض مُقتضب لطبقات الشافعية في **العِقْد المُذَهَّب (المُذْهَب؟) في طبقات حَمَلة المَذْهَب** (مخطوطة البودليان or. Hunt 108) حيث يذكر «وقد عُنِيَ بهذا الشأن الجماعات من المُتقدّمين والمُتأخّرين والفوافية تواليف، فأول من عَلِمْتُه أَلَّف في ذلك الإمام أبو حفص المُطوِّعي ولخَّصه الشيخ تقي الدين بن الصلاح، ثم القاضي أبو الطيب الطَّبَري، ثُمّ العبادي، ثُمّ أبو إسحاق الشِّيرازي، ثُمّ أبو محمد الجُرْجاني، ثُمّ القاضي عبد الوهاب الشِّيرازي، ثُمّ البَيْهَقي المعروف بفُنْدق أحد أجداده، ثُمّ أبو النجيب السَّهْرَوْردي، ثُمّ ابن الصلاح وهذّبه النَّوَوي وأهمل خَلْقاً من الأعيان أفردتهم في جُزء، وألّف في ذلك ابن باطيش أيضاً وهذا التأليف...».

(186) هل هو الأديب الذي ذكره الثعالبي في **يتيمة الدهر**، ج4، ص311 (دمشق 1304هـ)؟ وقد نقل عنه البَيْهَقي في **تاريخ بَيْهَق**، ص158 (طهران 1317هـ).
أما ابن المُلَقِّن المُتأخّر عن هذا كثيراً وهو يتفق اسمه مع المُطَوِّعي، إلا في النسبة وقد تُوفّي سَنَة 804هـ/ 1401م (انظر بروكلمان: ج2، ص92 فما بعد؛ **الضَّوء**، ج6، ص100-5) فقد ألّف تاريخاً بنفس العنوان تقريباً. انظر أعلاه: هامش 3، ويقول ابن المُلَقِّن: إنّ النَّووي لخّص كتاب ابن المُطَوِّع.

ثُمّ أبو عاصم العَبّادي[187]، عمل الطبقات في مُؤلَّف مُختصر جداً، كراريس.

ثُمّ أبو محمد عبدالله بن يوسف الجُرْجاني الحافظ.

ثُمّ المُحدِّث[188] أبو الحسن بن أبي القاسم البَيْهَقي، عرف بفُنْدق[189]، وله **وسائل الألمعي في فضائل الشافعي**.

ثُمّ أبو النجيب السُّهْرَوَرْدي[190]. له مجموع في ذلك.

ثُمّ عمل أبو عمرو ابن الصَّلاَح كتاباً، ومات قبل إتمامه، فأخذه النَّوَوي، فاختصره وزاد بعض الأسماء، ومات قبل تبييضه أيضاً، فبيَّضه المِزِّي.

ثُمّ ألّف العماد بن باطيش[191] كتاباً في ذلك.

ثُمّ العماد بن كَثِير، في مُجلّد ضخم، وذيَّل عليه العفيف المَطَري[192].

وعمل الجمال الإِسْنَوي[193] كتاباً مُستقلاً، وذكر في أول المُهمّات جُملة منهم. ولخاله من قبله سليمان بن جعفر الإِسْنَوي[194] **طبقات الشافعية** مات عنه مُسوَّدة.

وللتاج ابن السُّبْكي في ذلك ثلاثةُ تصانيف. كبير وصغير ومُتوسّط.

---

(187) محمد بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 458هـ/ 1066م (انظر بروكلمان: ج1، ص386).

(188) تُوفّي سَنَة 489هـ/ 1096م. انظر: السُّبكي، **طبقات الشافعية**، ج3، ص219 (القاهرة 1324هـ).

(189) عليّ بن زيد مُؤرّخ بَيْهَق المُتوفَّى سَنَة 565هـ/ 1169م. (انظر بروكلمان: ج1، ص324).

(190) عبد القاهر بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 563هـ/ 1168م. (انظر بروكلمان: ج1، ص436).

(191) إسماعيل بن هبة الله المُتوفَّى سَنَة 655هـ/ 1257م، انظر: السُّبكي، المصدر السابق، ج5، ص51.

(192) عبدالله بن محمد بن أحمد بن خلف المُتوفَّى سَنَة 765هـ/ ديسمبر 1363م (ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج2، ص284).

(193) عبد الرحمن بن الحسن المُتوفَّى سَنَة 772هـ/ 1370م (انظر بروكلمان: ج2، ص90 فما بعد).

(194) تُوفّي سَنَة 756هـ/ 1355م (ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج2، ص145).

والسِّراج بن المُلَقِّن[195] في كُتاب مُستقلّ، بل أفرد من طبقات السُّبْكي ذَيْلاً على الإِسْنَوي.

وأفردها التَّقي بن قاضي شُهْبَة وبعض الشاميين.

وألحق شيخنا بهوامش نُسخته من الوسطى لابن السُّبْكي، زوائد أفردها في مُجلّد. وأخذها القُطْب الخَيْضَري[196] مضمومة للأصل مع زوائد أفردها بالتأليف.

واجتمع عندي خَلْق، لو توجّهت لإفرادهم لكان غاية. يَسَّرَ الله ذلك.

(فائدة) رُواة القديم عن الشافعي أربعة: الزَّعْفَراني، وأبو ثور[197]، وأحمر، والكَرَابيسي[198]. ورُواة الجديد عنه ستة: المُزَني، والربيع الجِيزي[199]، والربيع المُرَادي[200]، والبُوَيْطي، وحَرْمَلة[201]، ويونس بن عبد الأعلى[202]. وأول من أدخل مذهبه دمشق أبو زُرْعَة محمد بن عثمان بن إبراهيم الثَّقَفي الدمشقي، بعد أن كان الغالب عليها مذهب الأَوْزاعي. فكان أبو زُرْعة يَهَبُ لمن يحفظ **مُختصر المُزَني** مائة دينار. ووُلِّي مصرَ لأحمد بن طُولُون، ثُمّ قضاء دمشق، ومات سَنَة اثنتين وثلاثمائة (914 ـ 5م).

وعن الإمام محمد بن عليّ بن إسماعيل القَفّال الكبير الشاشي[203]، انتشر فقه الشافعي فيما وراء النهر. وكانت وفاته في ذي الحِجّة سَنَة خمس وستين وثلثمائة (أغسطس 976م) عن أربع وسبعين.

---

(195) انظر بروكلمان: ج2، ص90.

(196) محمد بن محمد بن عبدالله 821-894هـ/ 1418-1489م، **الضَّوء اللامع**، ج9، ص117-24).

(197) الحسن بن محمد المُتوفَّى سَنَة 260هـ/ 874م (**تاريخ بغداد**، ج7، ص407).

(198) إبراهيم بن خالد المُتوفَّى سَنَة 240هـ/ 854م (**تاريخ بغداد**، ج6، ص65 فما بعد).

(199) الحسين بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 248 أو 245هـ/ 862-3م (**تاريخ بغداد**، ج8، ص64 فما بعد).

(200) الربيع بن سليمان المُتوفَّى سَنَة 256هـ/ 870م.

(201) حرملة بن يحيى المُتوفَّى سَنَة 243هـ/ 858م.

(202) تُوفّي سَنَة 264هـ/ 878م.

(203) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص307.

وعَبْدَان بن محمد بن عيسى أبو محمد المَرْوَزي الحافظ هو الذي أظهر مذهب الشافعي بمَرْو وخُراسان، بعد أحمد بن سَيّار[204]. وكان السبب في ذلك أنَّ ابن سَيّار حمل كُتُب الشافعي إلى مَرْو، وأُعجب بها الناس، فنظر عَبْدَان في بعضها وأراد أن ينسخها، فلم يُمكِّنه ابن سَيّار. فباع ضيعة له وخرج إلى مصر، فأدرك الربيع وغيره من أصحاب الشافعي، فنسخ كتب الشافعي ورجع إلى مَرْو وابن سَيّار حيّ. ومات عَبْدان في ليلة عَرَفة سَنَة ثلاث وتسعين ومئتين (906م).

وأبو عَوَانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد النِّيسَابوري الإِسْفَرَائيني، صاحب **الصحيح** المُستخرَج على مُسْلم[205]، أول من أدخل مذهب الشافعي وتصانيفه إلى إِسْفَرَائين، وهو ممّن أخذ عن الربيع والمُزَني، ومات سَنَة ست عشرة وثلثمائة (928 ـ 9م).

وأبو إسماعيل محمد بن إسماعيل بن يوسف السُّلَمي التِّرْمِذي هو الذي حمل كُتُب الشافعي من مصر، فانتسخها إسحاق بن راهَوَيه[206] وصنَّف عليها **الجامع الكبير** لنفسه، وهو ممّن روى عن البُوَيْطي، ومات سَنَة ثمانين ومائتين (893 ـ 4م).

وعن ابن سُرَيْج[207]، انتشر مذهب الشافعي في أكثر الآفاق. وحَجَّ الربيع ابن سليمان سَنَة أربعين ومئتين (855م) فالتقى مع أبي عليّ الحسن بن محمد الزَّعْفَراني بمكة، فسلّم أحدهما على الآخر، فقال الربيع: يا أبا عليّ أنت بالمشرق، وأنا بالمغرب[208]، نَبُثُّ هذا العلم، يعني علم الشافعي.

---

(204) تُوفّي سَنَة 268هـ/ 881-2م (**تاريخ بغداد**، ج4، ص187 فما بعد) انظر عن القِصّة السُّبكي: **طبقات الشافعية**، ج2، ص50 فما بعد (القاهرة، 1324هـ).

(205) تُوفّي سَنَة 316هـ/ 928م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص266، ج2، ص947). وقد طبع مُسنده، وهو عنوان كتابه، في حيدرآباد 1362-3هـ.

(206) إسحاق بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 238 أو 237هـ/ 852-3م (**تاريخ بغداد**، ج6، ص345-55).

(207) انظر: (بروكلمان: ج1، ص174 فما بعد)..

(208) انظر أيضاً: F. Wastenfeld. *Der Imam el Schafi'i* 76.

وقال الربيع المُرَادي: أجزتُ كتب الشافعي لجميع أهل خُراسان.

وقال عبد الملك البَغَوي: «كتبتُ كُتُبَ الشافعي لابن طُولُون بخمسمائة دينار».

واعتنى بالفُقهاء، وأظنّهم الحَنَفِيِّين، أبو محمد عبد الوهاب بن محمد عبد الوهاب الفَامي، فقد نقل عنه في ابن القُدُوري الحَنَفي[209].

وجمع طبقات الحَنَفية، المُحْيَوي عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله القُرَشي الحَنَفي وسمّاه **الجواهر المُضِيَة في طبقات الحنفية** سوى الوَفَيَات التي له. واختصر الطبقات المجد اللُّغويّ صاحب **القاموس**[210] وجمعها قبل القُرَشي، المُحدِّث ابن المهندس[211]، وبعده ابن دُقْماق المُؤرخ، ثم البدر العَيْني، في آخرين. بل للقُرَشَي **تهذيب الأسماء الواقعة في الهِداية والخُلاصة**، وأظنه حاكى به النَّوَوَي رحمه الله تعالى.

وبالمالكية، القاضي عِياض في **المدارك** وهو حافل، رتَّبه على الطبقات، وقال: إنه أفرد الرُّواة عن مالك اقتداءً بخلقٍ سَمّاهم، بحيث اشتمل كتابه على أَزْيَد من ألف وثلاثمائة[212]، وأنه فنٌّ لم يتقدّم فيه تأليف جامع، ولا اختصّ به تصنيف رائع، يُوصل الطالب إلى الغَرَض، ويقف بالرَّاغب على البُغية فيما له عَرَض، مع شدّة حاجة المُجتهد والمُقلِّد إليه، وضرورة الفقيه والمُتفنِّن[213] إلى ما انطوى عليه، إلا ما جمع عبدالله بن محمد بن أبي دُلَيْم[214] من ذلك،

---

(209) أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 428هـ/ 1037م (انظر بروكلمان: ج1، ص174 فما بعد). أما عن المُقتطفات من كتاب **طبقات الفُقهاء** للضامن، فانظر: عبد القادر القُرَشي: **الجواهر المُضية** ج1، ص93 (حيدرآباد 1332هـ).

(210) محمد بن يعقوب الفِيْروزآبادي (وهذا لفظه صحيح كما يذكر النَّووي في **الطبقات**، مخطوطة القاهرة: تاريخ 2021، ص37أ)، وقد تُوفّي سَنَة 817هـ/ 1415م. (انظر بروكلمان: ج2، ص181-3).

(211) عبدالله بن محمد 691-769هـ/ 1292-1367م (ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج2، ص282).

(212) **مدارك**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 2293، ص2ب.

(213) **المُتَفَقِّه** (مدارك). يبدو من السياق أنّ «المُتَفَنِّن» في **الإعلان** له المعنى نفسه.

(214) تُوفّي سَنَة 351هـ/ 962م، انظر: Pons Boigues, *Ensayo* 68 وهو يُتابع ابن الفَرَضي ص192 فما بعد رقم 705 في تهجئة دَلِيم).

ومحمد بن حارث القَرَوي[215] مع تقدّم زمانهما وما اقتنصه[216] الشيخ الفَيْرُوزآبادي في موضع ذكرهم في مُختصره، وكُلّها[217] ما شَفَتْ غليلاً، ولا تضمّنت من الكُتُب إلا قليلاً[218]. على أنّ ابن أبي دُلَيْم اتّسع اتّساعاً حسناً فيمن يُمكنه من المغاربة من اتِّباع رُواة مالك[219] من المصريين، والأندلسيين، وطائفة من القَرَويين. واقتصر على ذِكْر تطبيقهم وأسمائهم، دون شيء من أخبارهم وبيان أحوالهم. ولم يجرِ لأحد من الحِجازيين والمشرقيين ذكر، على جَلالة مكانهم، وكثرة أعلامهم[220].

وإنّ الاعتناء بذلك كما قال أبو إسحاق النَّجِيرَمي[221] أَوْلَى الأشياء بالضَّبط، لأن أسماء الناس لا مَدْخل للقِياس فيها، وليس قبلها ولا بعدها شيء يدلّ عليه[222].

وذكر (القاضي عِياض) فصلاً في نحو هذا، وذكر كثيراً من الكُتُب التي طالعها، ومنها[223] كتاب الزُّبَيْر بن بكّار القاضي، وأبي بكر بن حَيّان، والقاضي وَكِيع[224] في القُضاة، وكتاب الطَّبَري، والصُّولي، وأبي كامل، وكُتُب أبي عُمَر

---

(215) تُوفّي سَنَة 371هـ/ 981م (انظر بروكلمان: ج1، ص150).

(216) «اقتضبه» (مدارك) ويقصد هنا **طبقات الفُقهاء** لأبي إسحاق الشيرازي الذي يُدعى أحياناً الفِيْروزآبادي الذي وُضع تحت هذه النسبة في السَّمْعاني: **أنساب**، ص435ب.

(217) «وكل الكُتُب» (**مدارك**).

(218) «من الكثير إلا قليلاً» (**مدارك**).

(219) «فيمن ذكره» (**مدارك**).

(220) **مدارك** ص2أ. ويتبيّن تفسير **الأعلام** من المُلاحظة التالية.

(221) إبراهيم بن عبدالله، من القرن الرابع الهجري-العاشر الميلادي (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص201 فما بعد).

(222) انظر العَلْمَوي وابن جَماعة في:
F. Rosenthal. «The Technique and Approach of Muslim Scholarship» 15a (Rome 1947; *Analecta Orientalia* 24).
إنّ سِياق المُؤلِّفَيْن يدلّ على أنّ معلوماتهما مُستمدّة من القاضي عِياض، فإذا صحَّ ذلك فلا بدَّ أن تكون قد فاتتني عند تدقيقي **المدارك**.

(223) يُضيف (**المدارك**) أبا عبدالله البُخاري، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو الحسن الدّارَقُطْني.

(224) اسمه الصحيح محمد بن خَلَف، وقد تُوفّي سَنَة 306هـ/ 918م، (**تاريخ بغداد**، =

الكِنْدي، وابن يونس، وتاريخ أبي عُمَر الصَّدَفي القُرْطبي[225]، وكُتُب أبي عبدالله ابن حارث في القَرَويين والأندلسيين، ومن كُتُب أبي العَرَب التميمي[226]، وأبي إسحاق الرقيق الكاتب[227]، وأبي عليّ بن البصري (عن القيروانيين مُلاحظات كتبها الشيخ أبو عمران الفاسي عن ذلك ثم رأيت تاريخ)[228] أبي بكر بن أبي عبدالله المالكي[229] في القَرَويين، ومن تواريخ الأَنْدَلسيين، ككتاب أبي عبد الملك بن عبد البرّ[230] **والاحتفال** لأبي عُمَر بن عَفِيف[231].

= ج5، ص236 فما بعد، بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص223؛ **الفِهْرِست**، ص166، طبعة القاهرة، 1348هـ. ص114، طبعة فلوجل.
أما كتاب وَكِيع عن القُضاة، فقد اقْتَبَس منه **المدارك** مثلاً ص105أ كما أنّ حمزة الأصفهاني اقْتَبَس من كتاب له يشمل تاريخاً من زمن قسطنطين إلى سَنَة 301هـ.

(225) أحمد بن سعيد بن حزم المُتوفّى سَنَة 350هـ/ 961م (ياقوت: **إرشاد**، ج3، ص50-2، طبعة القاهرة، ج1، ص134 فما بعد، طبعة مارغليوث).

(226) محمد بن أحمد المُتوفّى سَنَة 333هـ/ 945م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص228).

(227) إبراهيم بن القاسم حوالى سَنَة 400هـ/ 1009-10م (انظر بروكلمان: ج1، ص155، **الملحق**، ج1، ص252 و229). أما كتاب **قُطْب السرور في وصف الأنبذة والخمور** لابن الرقيق، فقد رجعت فيه إلى مخطوطة باريس ar. 3302 وهو في الحقيقة رسالة تاريخية عن موقف الخُلفاء من الخمور وعاداتهم في الشرب، والقِصَص فيه مُرتّبة تبعاً لترتيب الحُكّام في عهد مُختلف الخُلفاء.

(228) الإضافات مأخوذة من نصّ **المدارك**.

(229) عبدالله بن محمد من القرن الرابع الهجري أي العاشر الميلادي (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص210).

(230) أحمد بن محمد المُتوفّى سَنَة 338هـ/ 950م (انظر: Pons Boigues. *Ensayo* 58f).

(231) أحمد بن محمد المُتوفّى سَنَة 420هـ/ 1029م (انظر: Pons Boigues. *Ensayo* 58f).
لا شكّ أنه هو الشخص المقصود هنا، رَغْم أنّ كتابه غير معروف باسم **الاحتفال**، أما كتابه **تاريخ قُضاة وفُقهاء قُرطبة**، فقد كان مصدراً لابن بَشْكُوال في كتابه **الصِّلة**. وهُناك كتاب تاريخ عنوانه: **الاحتفال** ألّفه بين سَنَة 417-420 هـ/ 1026-9م الحسن بن محمد بن المُفَرَّج (؟) القَبَّشِي (المُتوفّى بعد سَنَة 430 هـ/ 1038-9م) غير أنه لا يُمكن القول بأنه هو نفس أبو القاسم بن مُفْرِح (؟) مُؤلّف **الانتخاب** لأن كُنيته «أبو بكر». انظر أيضاً:
E. Levi Provençal and E. Garcia Gomez; *Una Crónica anonima de 'Abd - al-Raḥmān III al Nāṣir* 21 f (Madrid - Granada 1950).
انظر أيضاً: المَقَّري، **نَفح الطِّيب**، ج1، ص902.

والانتخاب لأبي القسم بن مُفْرِح (مُفَرَّج)، وكتاب القاضي أبي الوليد بن الفَرَضي، وتواريخ أبي مروان بن حيَّان(232)، والرَّازي(233)، وكتاب أحمد بن عبد الرحمن بن مُظَاهر(234) في الطُّلَيْطُليين، وسَوَّد جُملة(235).

وقد عَوَّلَ على **المدارك** كلُّ مَنْ بَعْدَه. واختصره جماعة منهم تلميذه أبو عبدالله بن حَمّاد السَّبْتي. ورَتَّبَها على الحُروف، لسُهولة الكَشْف، صاحِبُنا ابن فَهْد في نحو كُرّاسَيْن، على قِسْمين، أحدهما أصحاب مالك وثانيهما مَنْ عَداه.

وللقاضي البُرْهان أبي إسحاق إبراهيم بن عليّ بن محمد بن فَرْحُون في **الطِّراز المُذْهَب** اقتصر فيه على جَمْع مِن أعيانهم نحو ستمائة، رتّبهم على حُروف المُعجم.

وعملتُ لهم كتاباً حافلاً في المُسوَّدة، بعد أن رَتَّبْتُ كتاب ابن فَرْحُون ترتيباً مُعتبراً، وجرّدتُ من **المدارك** ما لم يذكره ابن فَرْحُون، كلّ واحد في مُجلّد(236).

ولأبي محمد عبدالله بن سَهْل القُضَاعي جُزء فيه جماعة من مشهوري مذهب مالك.

والحنابلة، أبو الحسين محمد بن أبي يَعْلَى محمد بن الحسين بن الفَرّاء(237) القاضي ابن القاضي.

وأبو عليّ بن البَنّاء.

والحافظ أبو الفَرَج بن الجَوْزي.

---

(232) حَيّان بن خَلَف المُتوفّى سَنَة 469هـ/ 1076م (انظر بروكلمان: ج1، ص338).

(233) أحمد بن محمد بن موسى المُتوفَّى سَنَة 344هـ/ 955م. انظر: مقالة ليفي بروفنسال Levi Provençal عن «الرَّازي» في **دائرة المعارف الإسلامية** (بروكلمان، ج1، ص150)؛ وليس المقصود أباه.

(234) تُوفّي سَنَة 489هـ/ 1096م (ابن بَشْكُوال: **الصلة** ص72 فما بعد، طبعة كوديرا Codera) وقد استعمل ابن بَشْكُوال أيضاً ابن مظاهر.

(235) **مدارك** ص5أ، وهو يذكر في الأخير «وسوى هذه جملة»؟

(236) انظر: بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص226.

(237) تُوفّي سَنَة 526هـ/ 1132م، (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص557).

وعمل الحافظ الزَّيْن ابن رَجَب(238) ذَيْلاً على ابن الفرّاء، وهو كالأصل على **الطبقات**. وقد رتّبهما على الحُروف صاحبُنا ابن فَهْد في تصنيفين.

واعتنى بجمعهم شيخ المذهب العِزّ الكِنَاني، فجمع للحنابلة كتاباً حافلاً لم يُكمله تهذيباً وتحريراً(239).

10 ـ تاريخ القُــرّاء

وأما القُرّاء: فلأبي عَمْرو الدَّاني(240).

وأبي بكر أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الباطِرْقاني(241).

والذَّهَبي، وهو حافل. وذَيَّل عليه التَّاج بن مَكْتُوم(242) في جُزء اشتمل على عشرين نَفْساً. وأخذ ابن الجَزَري(243) كتاب الذَّهبي وضمَّ إليه زيادات كثيرة في التراجم وتراجم مُستقلّة. وكتبتُ عليه ذَيْلاً حافلاً. ورتَّبَ [عَمَلَ] الذَّهبيّ على المُعجم العزيُّ بن فَهْد، بقية بيتهم، وجَمالُ الحَرَم(244).

11 ـ تاريخ الحُفّاظ

وأما الحُفّاظ: فلابن الجَوزي.

---

(238) عبد الرحمن بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 795هـ/ 1393م (انظر بروكلمان: ج2، ص107).

(239) ينبغي أن نُلاحظ أنّ السَّخاوي نفسه يقول في كتابه **الذيل على رفع الإصْر** لابن حَجَر أنّ الكِناني (المَوْلد سَنَة 800هـ/ 1397-8م) ألَّف **تاريخ طبقات الحنابلة** كبيراً يبلغ أربعة عشر مُجلّداً، ومُتوسّطاً يبلغ ثلاثة مُجلّدات، وصغيراً يبلغ مُجلّداً واحداً. انظر: السَّخاوي: **بُغية العلماء والرُّواة في الذيل على كتاب الشيخ في القُضاة**، مخطوطة باريس، ar. 2250، ص7ب.

(240) عثمان بن سعيد المُتوفَّى سَنَة 441هـ/ 1049-50م أو سَنَة 444هـ/ 1053م (انظر: بروكلمان، ج1، ص407).

(241) تُوفّي سَنَة 460هـ/ 1067م (ياقوت: **إرشاد**، ج4، ص10-2، طبعة القاهرة، ج2، ص16، طبعة مارغليوت).

(242) أحمد بن عبد القادر المُتوفَّى سَنَة 749هـ/ 1348م. (انظر بروكلمان: ج2، ص110) انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص46.

(243) واضح أنه محمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 833هـ/ 1429م (انظر بروكلمان: ج2، ص201-3).

(244) قد يكون هو نفس عبد العزيز بن عُمَر المذكور.

وأبي الوليد بن الدَّبّاغ.

وكذا لابن دَقِيق العِيد مُقتصراً على الموصوفين في الأسانيد بذلك.

وعمل الذَّهبي كتاباً حافلاً بالنسبة لمن تقدَّمه، رتَّبه على الطبقات. والتقط منه شيخنا من ليس في **تهذيب الكَمَال** وذَيَّل على الذَّهبي الحافظ شمس الدِّين الحُسيني[245]. ثُمّ على الحُسيني شيخنا التَّقي بن فَهْد المَكِّي. ورتّب ذلك مع الأصل على المُعجم تحديداً ولدُه النَّجم عُمَر. وللحافظ بن ناصر الدِّين في ذلك منظومة سمّاها **بديعة البيان في وَفَيَات الأعيان** وشرحها في مُجلّد سمّاه **التِّبْيَان لبديعة البيان**، وجُملة من زاده على الذَّهبي ستة وعشرون نَفْساً. وذيَّل عليه شيخنا بكُرّاسة فيها ثمانية وعشرون نَفْساً. ولي زيادات.

12 ـ تاريخ المُحَدِّثين

وأما المُحَدِّثون، فلأبي الوليد يوسف بن عبدالله بن الدَّبّاغ **طبقات المُحَدِّثين** وللذَّهبي المُعجم المُختصّ بهم.

13 ـ تاريخ المُؤَرِّخِين

وأما المُؤَرِّخُون فستأتي الإشارة لكثير منهم.

14 ـ تاريخ النُّحـاة

وأما النُّحاة، فلأبي عبدالله محمد بن الحسين بن عُمَر اليَماني[246].

وكذا لأبي الحسن عليّ بن يوسف بن إبراهيم القِفْطي[247]. واختصره الذَّهبي.

وأظن أنّ للسِّيرافي[248] فيهم كتاباً.

(245) محمد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 765هـ/ 1264م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص46؛ ابن حجر: **الدُّرر**، ج4، ص61).

(246) تُوفّي سَنَة 400هـ/ 1009-10م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص202).

(247) تُوفّي سَنَة 646هـ/ 1248م (انظر بروكلمان: ج1، ص325).

(248) الحسن بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 368هـ/ 979م (انظر بروكلمان: ج1، ص113).

ولأبي بكر محمد بن الحسين (الحسن؟) بن عبدالله بن مَذْحِج الزُّبَيْدي[249] **طبقات النُّحاة**.

ولأبي المحاسن المُفَضَّل بن محمد بن مِسْعَر بن محمد المغربي النحوي[250] القاضي **أخبار النُّحاة من البصريين والكوفيين**.

ولأبي عُبَيْد الله محمد بن عمران بن موسى المَرْزُباني[251] **المُقْتَبَس في أخبار النُّحاة**.

ولأبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الدمشقي **نور القَبَس** انتخبه من **القَبَس** المُنتخَب من **المُقْتَبَس**.

وللتاج بن مَكْتُوم الحَنَفي **الجُمَع المُثَنّاة؟ (الجَمْع المُتَناهِ؟) في أخبار اللُّغويين والنُّحاة** وهو في عشر مُجلَّدات، وقفتُ على عدّة أجزاء منها بخطّه، والمُحمَّدون منه فقط في مُجلَّد. بل قلَّ كتاب من كُتُب الأدب من شعر وتاريخ ونحوهما إلا وعليه ترجمة مُصنّفة بخطّه[252].

واعتنى بجمعها (تاريخ النُّحاة) بعض من أكثر التردّد إليَّ للاستفادة، خُصوصاً في هذا النوع، مُستكثراً بما يلتقطه من أثناء تصانيف المُترجَمين، أو يظفر به في تَعاليق الأئمّة المُعتَبرين، من فوائد مُبتكرة، أو أبحاث غريبة، زاعماً أنّ ذلك لا يَقدر عليه إلا من جمع بين الرِّواية والفَهْم. ولكنه لم يبرز ذلك إلى الآن، نعم أظهر مُختصراً في ذلك.

---

(249) تُوفّي سَنَة 379هـ/ 989م. (انظر بروكلمان: ج1، ص132 فما بعد) في مخطوطة ليدن: الزُّبَيْدي.

(250) تُوفّي سَنَة 442هـ/ 1050-1م أو سَنَة 443هـ (ياقوت: **إرشاد**، ج19، ص164، طبعة القاهرة، ج7، ص171، طبعة مارغليوت). السيوطي: **بُغية الوُعاة** ص396، القاهرة 1326هـ؛ وقد كان من المَعَرّة.

(251) تُوفّي سَنَة 378هـ/ 988-9م أو 384هـ/ 994م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص190 فما بعد).

(252) لقد أُخذت هذه الفقرة من ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج1، ص175، أنّ «**مُختصر أنباء النُحاة** للقِفْطي» الذي عمله ابن مَكْتُوم تُوجد منه مخطوطة بخط المُؤلّف في القاهرة، تاريخ 2069 (لم أرَها).

15 ـ تاريخ الأُدبـاء

وأمـا الأُدبـاء، فلياقوت[253].

16 ـ تاريخ اللُّغويين

وأما اللُّغويون سوى من تقدّم، فللمجد اللُّغويِّ صاحب **القاموس** جُزء لطيف سمّاه **البُلْغَة في أَئِمّة اللغة** وقفتُ عليه.

17 ـ تاريخ الشُّعراء

وأما الشُّعراء، فلأبي محمد عبدالله بن مُسْلِم بن قُتَيْبة.

وأبي بكر محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان[254].

وللثّعالبي[255] **يتيمة الدهر** ذكر فيه خَلْقاً كثيراً منهم. وذيَّل عليه أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ الباخَرْزي[256] في **دُمْيَة القَصْر** وأبو الحسن عليّ بن زيد البيهقي في كتابه **وِشَاح الدُّمْيَة** أو **العُمْدَة في كتاب الخريدة**[257].

وكذا للمبارك بن أبي بكر بن حمدان بن الشَّعّار المَوْصِلي[258]، **عُقُود الجُمَان في شُعَراء الزمان**.

ولأبي المعالي سعد بن عليّ الحَظِيري الكُتُبي[259] **زينة الدهر في ذكر شُعراء العصر**.

---

(253) ياقوت بن عبدالله، تُوفّي سَنَة 626هـ/ 1229م (انظر بروكلمان: ج1، ص479 فما بعد).

(254) تُوفّي سَنَة 309هـ/ 921-2م (انظر بروكلمان: ج1، ص125).

(255) عبد الملك بن محمد، تُوفّي سَنَة 429هـ/ 1038م (انظر بروكلمان: ج1، ص6 ـ 284).

(256) تُوفّي سَنَة 467هـ/ 1075م (انظر بروكلمان: ج1، ص252).

(257) يتجلّى في هذه الفقرة ضعف معرفة السَّخاوي بمثل هذا النوع من المُؤَلَّفات.

(258) تُوفّي سَنَة 654هـ/ 1256م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج3، ص1217). انظر أيضاً ابن خَلِّكان: ج4، ص426، ترجمة دي سلان، ونشكّ بكلمة «الشَّعّار» نظراً لأن هذه المادة مفقودة في المراجع الأُخرى، ولكن انظر أيضاً: عبد القادِر القُرَشي: **الجواهر المُضِية**، ج1، ص298، ج2، ص95، 198.

(259) سعد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 568هـ/ 1172م (انظر بروكلمان: ج1، ص248).

وللعماد محمد بن[260] حامد الأَصْبَهاني الكاتب **خريدة القَصْر في جريدة شُعراء العَصْر**.

ولأبي عبدالله محمد بن داوُد بن الجَرّاح أخبار الشعراء المُحْدَثين سمّاه **الوَرَقَة**.

وكذا لعبدالله بن المُعتز **طبقات الشُّعراء المُحْدَثين**.

وللمَرْزُبان **المُعْجَم الصغير للشُّعراء**.

ولعبد السلام بن يوسف الدمشقي **أُنْمُوذَج الأَعْيَان والشُّعراء ممن أَدْرَك بالسَّماع أو بالعِيَان»**[261].

ولأبي عبدالله محمد بن سَلّام بن عبدالله الجُمَحي مولاهم البصري الأخباري[262]، وأبي سعد محمد بن حسين بن عليّ بن عبد الرحيم الوزير[263] **طبقات الشُّعراء**.

ولأبي طالب عليّ بن أَنْجَب البغدادي الخازن، شُعراء زمانه[264].

وللكمال عبد الرزاق بن الفُوَطِي[265] **الدُّرَر الناصِعَة في شُعراء المائة السابعة**.

وللسان الدِّين الخطيب[266] **التاج المُحَلّى** في أدباء المائة الثامنة **والإكليل الزاهر فيما فَضَلَ عند نظم التاج من الجواهر**، وهما يشتملان على تراجم الأدباء بالمغرب، وجميع ما فيهما من الكلام مَسْجُوع.

وللعِزّ أبي عُمَر بن جَمَاعة **نُزْهَة الأَلِبّاء في معرفة الأُدباء**، اقتصر فيه على ترجمة

---

(260) مخطوطة ليدن فيها الأسماء الصحيحة.

(261) انظر حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج1، ص465، طبعة فلوجل. لقد كان المُؤلّف مُعاصراً لياقوت. انظر ياقوت: **مُعجم البلدان**، ج4، ص119، طبعة وستنفلد.

(262) تُوفّي سَنَة 231هـ/ 845-6م أو 232هـ (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص165)، والواقع أنه كان مَوْلى لقُدامة بن مَظْعُون الجُمَحي (**تاريخ بغداد**، ج5، ص327)؛ وهو من الصحابة.

(263) تُوفّي سَنَة 439هـ/ 1048م (ابن الجَوزي: **المُنْتَظَم**، ج8، ص134).

(264) يقرن بـ **أخبار الأدباء** الذي يُقال: إنّ منه نُسخة في خمسة مُجلّدات يمتلكها سباث P. Spath. الفهرس، **الملحق**، ص48، القاهرة، 1940م.

(265) عبد الرزاق بن أحمد المُتوفّى سَنَة 723هـ/ 1323م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص202).

(266) محمد بن عبدالله المُتوفّى سَنَة 776هـ/ 1374-5م (انظر بروكلمان: ج2، ص260-3). =

من اتصلت له رِواية شعره بالسَّماع أو الإجازة، في مُجلّدات، واختصره في مُجلّد.

وللبدر البَشْتَكي[267] في الشُّعراء **المَطَالِع البَدْرِية**، وهو حافل رتَّبه على حُروف المُعجم وقفت على قطعة منه. ولأبي الفرج، صاحب **الأغاني**، **أخبار الإماء الشواعر**.

18 ـ تاريخ العُبّاد والصوفية

وأما العُبّاد والصوفية فلأبي عبد الرحمن السُّلَمي[268].

وأبي سعيد محمد بن عليّ بن عمرو النقّاش[269].

وأبي العباس أحمد بن النَّسَوي[270].

وعبد الواحد بن سِياه الشِّيرازي[271].

= إنّ المعلومات التي في هذه الفقرة مأخوذة من: ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص472، وتذكر في **الدُّرر** «المُحلّى» بدل «المُعَلّى» و«فيمن» بدل «فيما»، وهذه الأخيرة موجودة في مخطوطة ليدن أيضاً.

(267) محمد بن إبراهيم بن محمد 748-830هـ/ 1347-1427م انظر: ابن حجر: **ذيل على الدُّرر الكامنة**، مُصوّر القاهرة، تاريخ، 4767، ص208 فما بعد؛ **الضَّوء اللامع**، ج6، ص277-9. إنّ نسبة «البَشْتَكي» مأخوذة من خانقاه **بَشتك** أو بَشْتاك (باسم بَشتاك الناصري. انظر: ابن حَجَر **الدُّرر**، ج1، ص477-9) بين القاهرة والفُسْطاط. انظر: المَقْرِيزي: **الخِطط**، ج2، ص418 فما بعد (بولاق 1270هـ) وكان عالماً مُبرِّزاً في زمانه يتردّد ذكره. انظر مثلاً: **ديوان** ابن مَكانِس، مخطوطة باريس، ar. 3210 ص35أ ـ 36أ. انظر أيضاً بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص7 (رقم 19) **والإعلان** ص115.

(268) محمد بن الحسين المُتوفَّى سَنَة 412هـ/ 1021م (انظر بروكلمان: ج1، ص200 فما بعد).

(269) تُوفّي سَنَة 414هـ/ 1023م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص949)؛ انظر أيضاً الصَّفدي: **الوافي** ج1، ص54، طبعة ريتر.

(270) يذكر بروكلمان. **الملحق** ج1، ص949 أنّ مُؤلّف **طبقات الصوفية** شخص اسمه أبو العباس السُّوسِي المُتوفَّى سَنَة 396 هـ/ 1005-6م ومن المُؤكّد أنه نفس مُؤلّفنا المذكور في **تاريخ بغداد**، ج5، ص9» اسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن زكريا النَّسَوي. ولعلّ كلمة «الفَسَوِي» المذكورة في مطبوعة **الإعلان** هي خطأ (إنّ مُصوّرة مخطوطة ليدن غير واضحة هنا)؛ ولعلّها تحريف النَّسَوِي. والنَّسَوِي مذكورة أيضاً من مُقتطف من هذا الكتاب في ابن النّجّار، **ذَيل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، ar. 2131، ص99ب (ترجمة عليّ النَّصِيْبي).

(271) لقد اقْتُبَس من كتابه ابن النَّجّار في **ذيل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، ar. 2131، ص33أ (ترجمة عليّ بن محمد الزَّنْجاني) وتذكر المخطوطة (شاه).

وأبي سعيد بن الأعرابي[272].

والأستاذ أبي القاسم القُشَيْري[273] في كتابه **الرسالة** يشتمل على جُلّ أعيان الصوفية إلى زمانه.

وجمع عبد الغفار القُوصي[274] كتاباً في مُجلّدين ضاهاه به في سَرْد من اجتمع به منهم، سَمّاه **الوحيد في سلوك أهل التوحيد**.

وكذا لابن أبي المنصور[275] رسالة في ذلك.

وكذا لأبي نُعَيْم **حِلْيَة الأولياء وطبقات الأصفياء** كتاب حافل وهو عُمْدة كُلّ من جاء بعده. والتقط ابن الجَوزي منه ما أودعه، مع زيادات، في كتابه **صَفْوَة الصَفْوَة** في أربع مُجلّدات، وله **أخبار الأَخْيار** و**أخبار النساء**، كُلٌّ منهما في مجلد.

وللشريف محمد بن الحسن بن عبدالله الحَسَني (الحسيني؟) الدمشقي[276] **مَجْمَع الأَحْباب** في ثلاث مُجلّدات رتَّبه ترتيباً حسناً.

ولابن المُلَقِّن كتاب **الصُوفية** في مُجَيْلِيد، قال: إنه جمع فيه جُملة من

---

(272) أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 341هـ/ 953م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص358؛ ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج6، ص371).

(273) عبد الكريم بن هَوازِن المُتوفَّى سَنَة 465هـ/ 1072م (انظر بروكلمان: ج1، ص432 فما بعد).

(274) عبد الغفار بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 708هـ/ 1309م (انظر بروكلمان: ج2، ص117) وقد أخذت معلومات هذه الفقرة من: ابن حَجَر، **الدُرَر**، ج2، ص385.

(275) من الواضح أنه الحسين بن عليّ بن المُؤرِّخ الأَزْدي، انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص554. وقد اقْتَبَسَ من هذا الكتاب أيضاً ابن حَجَر: **رفع الإصْر**، مخطوطة باريس ar. 2149، ص68أ، أما ابنه إبراهيم فقد كتب له المُؤلِّف البالغ من العمر أربعاً وثمانين سَنَة رسالة، وذكر في أوّلها «سألني ولدي إبراهيم أن أجمع له شيئاً من أخبار الأولياء الذين رأيتهم، فاستخرتُ الله تعالى، وكان هذا وقد بلغتُ من العُمر أربعاً وثمانين سَنَة، ووضعتُ ما بقي في الذهن مع ضعفه». انظر المُقدّمة في مخطوطة القاهرة، تاريخ 338). ولإبراهيم هذا ترجمة قصيرة في ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج1، ص24؛ وله حفيد هو أحمد بن أحمد (651-724هـ/ 1253-1324م)، أعلاه ج1، ص99؛ وحفيد آخر اسمه محمد بن إبراهيم تُوفّي سَنَة 724هـ/ 1324م. وابن حفيد هو أحمد بن محمد بن عليّ تُوفّي سَنَة 739هـ/ 1374-5م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص30).

(276) تُوفّي سَنَة 776هـ/ 1374-5م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص30).

طبقات العُلماء الأعيان وأوتاد الأقطاب في كُلّ قُطر وأَوَان، ليهتدي بمآثرهم، ويقتفي بآثارهم، رجاء أن يُحْشَر في سلكهم، فالمرء مع من أحب[277] وأحيا بذكرهم ويزول العَنَاء والنَّصَب.

وكذا للشَّرْجي اليَمَني **طبقات الصوفية**.

ولأبي منصور مَعْمَر بن أحمد بن زياد العارف[278] **طبقات النُّسّاك**.

واعتنى صاحبنا الثقة الوَرِع البُرْهان القادِري[279] بكتاب مخصوص للصوفية الموصوفين بالزُّهد، وتَعِب فيه، ولكنه لم يُبَيِّضه.

ولأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي عُبّاد أهل إفريقية سَمّاه **رياض النُّفوس**.

وللناصح أبي محمد عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الحَنْبلي[280]، **الاستسعاد بمن لقيه من صالحي العباد في البلاد**.

ولابن الأثير[281]، **المُختار في مَنَاقب الأخيار**.

ولأبي الحُسَيْن (الحَسَن) بن جَهْضَم[282]، **بهجة الأسرار ولوامع الأنوار في حِكايات الصالحين العُلماء الأخيار والصوفية الحُكماء الأبرار**.

ولسعيد بن أسد الأُموي، **فضائل التابعين وأخلاق الصالحين**.

ومُرشد الزوّار إلى قُبور الأبرار، للمُوفَّق عبد الرحمن بن مكّي بن عثمان الشارعي[283].

ومَحَجَّة النور في زيارة القبور، لأبي عبدالله محمد بن حامد المُتَوّج المارِيني (في مخطوطة ليدن المارِديني).

---

(277) **الإعلان**، ص27 أعلاه.

(278) تُوفّي سَنَة 418هـ/ 1027-8م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص770).

(279) إبراهيم بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 880هـ/ 1475م (**الضَّوء اللامع**، ج1، ص80 فما بعد).

(280) تُوفّي سَنَة 634هـ/ 1236م (ابن كثير: **البداية**، ج13، ص146).

(281) أي نجم الدين.

(282) عليّ بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 414هـ/ 1023 ـ 4م (انظر بروكلمان. **الملحق**، ج2، ص147 هامش 1: ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج8، ص14). وكُنيته أبو الحسن.

(283) انظر بروكلمان: ج2، ص34؛ أما **الملحق**، ج2، ص30، فيذكر عبد الرحمن بن عثمان ابن مَكي الذي كتب بين سَنَة 771-780هـ/ 1369-1378م.

19 ـ تاريخ القُضـاة

وأما القُضاة، فلأبي عُبَيْد الله محمد بن الربيع الجِيزي[284] **قُضاة مصر**.

وكذا لابن مُيَسَّر[285].

وأبي عمر الكِنْدِي.

ولأبي محمد بن زُولاق، وهو ذَيْل على الذي قبله.

وجَمَـعَ القُضـاة

إسماعيل بن عليّ بن إسماعيل بن مُوسى الحُسَيْني[286].

وسليمان بن عليّ بن عبد السميع، وعبد الغني بن سَعِيد الحافظ[287].

ولأبي العباس أحمد بن بَخْتِيار بن عليّ بن الماندائي الواسطي[288] القاضي **كتاب في أخبار القُضاة والشهود**، وما أدري أهو كتابه المُسَمَّى **بالحُكّام** أو غيره.

ولأبي الحسن الموسوي الرِّضَى[289]، والجمال عبدالله البِشْبِشي[290] في القُضاة فقط. وعلى ثانيهما، اعتمد شيخنا في **رفع الإِصْر عن قُضاة مِصْر** وهو مُجلّد. وذيَّلتُ عليه في مُجلّد.

---

(284) إنّ الكتاب عن القُضاة نقل عنه عِياض في **المدارك**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 2293، ج1، ص115ب.

(285) محمد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 677هـ/ 1278م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص574).

(286) لقد اقْتَبَسَ من كتابه **أخبار القُضاة** ابن حَجَر في **رفع الإصر**، مخطوطة باريس، ar. 2149 ص20أ؛ وقد ذكر نسبته الحبيبي، إذا لم أُخطىء في كتابتي لها.

(287) تُوفّي سَنَة 409هـ/ 1018-9م (انظر بروكلمان، ج1، ص167 فما بعد).

(288) تُوفّي سَنَة 552هـ/ 1157م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج10، ص177 فما بعد، ياقوت: **إرشاد**، ج2، ص231 فما بعد، طبعة القاهرة، ج1، ص379 فما بعد طبعة مارغليوت. إنّ كتاب الماندائي **تاريخ الحُكّام** اقْتَبَس منه الدُّبَيْثي في **ذَيْل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، ar. 2133 ص20ب؛ أما **تاريخه**، فقد اقْتَبَس منه ابن السَّاعي في كتابه **أخبار الخُلفاء** مخطوطة القاهرة وتيمور، تاريخ 901، ص100؛ أما خطّه الرديء، فيُمكن أن يُرى اليوم في مخطوطة محفوظة بالبودليان لكتاب **نَسَب قريش** للزُّبَيْر بن بَكّار، والنُّسخة بخطّ الماندائي. انظر: A. Ahmedali in *JRAS* 1936, 55-63.

(289) الرّاضي؟ غير أنه يصعب جداً اعتباره الشاعر المشهور نفسه (بروكلمان، ج1، ص82).

(290) عبدالله بن أحمد 762-820هـ/ 1361-1417م (**الضَّوء اللامع**، ج5، ص7).

وذكر القاضي عِياض في خُطبة كتابه **المَدارِك**، **تاريخ القُضاة** للقاضي أبي بكر ابن حَيّان وَكِيع[291].

ونظم الشمس بن دانيال المَوْصِلي الحكيم[292] في قُضاة مصر أُرجوزة سمّاها **عُقود النَّظّام**[293] **فيمن وَلِيَ مِصْر من الحُكّام**، ثُمّ تمَّم عليه القاضي عِزّ الدين الكِنَاني الحَنْبَلي، ثُمّ بعضُ أصحابنا.

وكذا نَظَم الشهاب بن اللُّبُودي الدمشقي[294] أُرجوزة في قُضاة دمشق وشرحها.

20 ـ تاريخ المُغَنِّيـن

وأما **المُغَنُّون**، فلأبي الفرج عليّ بن الحسين الأَصْبَهاني الكاتب، وكذا له **القِيَان في مُجلّدين** و**أخبار المُغَنِّين المماليك** و**الأغاني**، وهو حافل مُتَّسِع في بابه. واختصره التاج عثمان بن عيسى البَلَطِي[295] أبو الفتح، والجمال أبو الفضل محمد بن مُكَرَّم[296]، كما فعل في غيره من التواريخ الكبار. وبَيَّنَ أبو الفرج بُطْلان نسبة الكتاب المنسوب لإسحاق بن إبراهيم المَوْصِلي[297] في ذلك، وأنه من جمع سِنْدي (سَندي؟) الورّاق لإسحاق.

ولابن الجَوزي، **الظُّرَفاء** في مُجلّد.

---

(291) انظر: ص488 في هذا الكتاب.

(292) محمد بن دانيال المُتوفَّى سَنَة 710هـ/ 1310هـ (انظر بروكلمان: ج2، ص8 فما بعد).

(293) لا يُمكن أن تكون القراءة «النِّظام». أما إذا قرأناها «النُّظّام» بصيغة الجمع، فإن ذلك يكون مُمكناً أيضاً.

(294) أحمد بن خليل 834-896هـ/ 1431-1490م (**الضَّوء اللامع**، ج1، ص293 فما بعد، بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص85).

(295) أو البُلَيْطي (انظر أدناه) تُوفّي سَنَة 599هـ/ 1202م (انظر بروكلمان: ج1، ص302).

(296) مُؤلّف **لسان العرب**، تُوفّي سَنَة 711هـ/ 1311م (انظر بروكلمان، ج2، ص21 فما بعد). أما ميله إلى اختصار كُتُب الأدب والتاريخ، فقد ذكره ابن حَجَر، **الدُّرَر**، ج4، ص263.

(297) تُوفّي سَنَة 235هـ/ 849-50م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص223 فما بعد). انظر **الفِهْرِست** ص203 (طبعة القاهرة 2348، ص141، طبعة فلوجل، ياقوت. **إرشاد**، ج6، ص57 فما بعد (طبعة القاهرة، ج2، ص224، طبعة مارغليوت).

21 ـ تاريخ الأشــراف

وأما الأشراف، فللحسن بن عَتِيق بن الحسن في كتاب سَمّاه **الإشْرَاف على (مناقب) الأَشراف**[298]، وفي فضائلهم تصانيف. ولي **ارتقاء الغُرَف بحُبّ أقرباء الرسول وذوي الشَرَف**.

22 ـ تاريخ الكُرَمـاء

وأما الكُرَماء، فلعثمان بن عيسى البُلَيْطي **أخبار الأَجْواد**، وكذا لمحمد بن زكريا الغَلّابي[299] **الأَجْواد**، ولبعضهم **أخبار البرامكة**[300] في مُجلّدين.

23 ـ تاريخ الأذكيـاء

وأما **الأذكياء** فلابن الجَوزي، وكذلك له **أخبار المُغَفَّلين**.

24 ـ تاريخ العُقَـلاء

وأما العُقَلاء، فللعباس بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان الأنصاري **عُقَلاء المجانين**[301].

---

(298) أَلَّف ابن أبي الدُّنيا كتاباً بنفس العنوان. انظر: محمد كرد عليّ في **مجلة المجمع العلمي العربي** بدمشق ج13، ص193-204، (1933-5م).

(299) تُوفّي بعد سَنَة 280هـ/ 893-4م (**الفِهرِست**، ص157، طبعة القاهرة، 1348هـ، ص108، طبعة فلوجل؛ المسعودي. **مُروج**، ج1، ص11، طبعة باريس، ج1، ص4 طبعة القاهرة، 1346هـ. ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص168 فما بعد).

(300) لقد كانت هُناك طبعاً عدّة كُتُب عن البرامكة. فكتاب **بُغية الطلب** لابن العَديم مخطوطة باريس، ar. 2138 ص15ب ينقل من **أخبار البرامكة** لأبي حفص عُمَر بن الأزرق. **الفِهرِست**، ص193 (طبعة القاهرة 1348هـ، ص134، طبعة فلوجل) كما أنّ ياقوت، **إرشاد**، ج18، ص269 (طبعة القاهرة، ج7، ص60، طبعة مارغليوت) يُشير إلى كتاب عن هذا الموضوع ألّفه المَرْزُباني. كما أنّ حاجي خليفة يُشير في **كشف الظنون** ج1، ص185، رقم 184، طبعة فلوجل، إلى كتاب أَلَّفه ابن الجَوزي.

(301) هنالك مُؤرّخون من هذا النَّمط كالمدائني وابن أبي الدُّنيا وابن دُحَيْم يذكرهم ابن زُولاق في مُقدّمة كتابه **أخبار سيبويه**. انظر أيضاً: **تاريخ بغداد** ج2، ص310 (ابن مسروق).

25 ـ تاريخ الأطّبـاء

وأَما الأطّباء، فلابن أبي أُصَيْبِعة[302] فهو كتاب حافل، رَتَّبه على المُعجم النَّجم بن فَهْد.

26 ـ تاريخ الأشاعـرة

وأما الأشاعرة، فلأبي القاسم بن عساكر في **تبيين كَذِب المُفْتِري على أبي الحسن الأَشْعَري**. وأخذه الكمال إمام الكاملية[303] وضمّ إليه زيادات. وقبله العفيف اليافعي في كتابه **المَرْهَم**.

27 ـ تاريخ المُبْتَدِعـة

وأما المُبْتَدِعة، فللأَهْدَل **اللُّمْعَة المُقْنِعة في معرفة فِرَق المُبْتَدِعة** في نحو كُرّاسين.

وللفخر أبي محمد عثمان بن عبدالله بن الحسين العراقي[304]، **الفِرَق المُفْترِقَة بين أهل الزَيْغ والزَّنْدَقة**.

وللأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي[305]، **الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرْقَة الناجية**.

في آخرين استقلالاً، كالفُورَاني[306].

---

(302) أحمد بن القاسم المُتوفَّى سَنَة 668هـ/ 1270م (انظر بروكلمان: ج1، ص235 فما بعد).

(303) محمد بن محمد بن عبد الرحمن 808-864هـ/ 1406-1460م **الضَّوء اللامع** ج9، ص93-5، وقد ألّف على ما يذكر **الضَّوء اللامع** عن طبقات الأشعرية. أما الكاملية فقد أُنشئت سَنَة 622هـ/ 1225م، انظر المَقْريزي، **الخِطط** ج2، ص375-8 (بولاق، 1270هـ).

(304) في حدود سَنَة 600هـ/ 1203-4م، وليس سَنَة 500هـ/ 1106-7م، كما جاء عند بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص385.

(305) تُوفّي سَنَة 429هـ/ 1037م. (انظر بروكلمان: ج1، ص385).

(306) عبد الرحمن بن محمد المُتوفَّى سَنَة 461هـ/ 1069م (انظر بروكلمان: ج1، ص387).

وابن أبي الدَّم وله مؤلَّف في الفِرَق الإسلامية[307]. وضمناً كالواقع في كُتُب **المِلَل والنِحَل** للشَّهْرَستاني[308] وابن حَزْم، وآخرين وغيرهما.

والمَرْهَم لليافعي وفي **إرشاد القاصد لأسْنى المقاصد** لابن الأَكْفاني المنخل لابن عربي[309] وتصانيفه، ولذا أثبتُّ اسمَه فيمن جَرّدتهم من مُعتقديه، بحيث يصلح أن يضمّ إليه ما يصير به مؤلَّفاً[310]. ولأبي القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود الكَعْبي البَلْخِي، رأس طائفة من المُعتزلة[311] **وطبقات المُعتزلة**، وللغزالي **القَوَاصِم في الردّ على شُبَه الباطنية**، وللدَّارمي[312] **الردّ على الجَهْمية وعلى**

(307) إنّ هذا الكتاب (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص580) استعمله بكثرة الصَّفدي في **الوافي**.

(308) محمد بن عبد الكريم المُتوفَّى سَنَة 548هـ/ 1153م (انظر بروكلمان: ج1، ص428 فما بعد).

(309) المتصوِّف المشهور محمد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 638هـ/ 1240م (انظر بروكلمان: ج1، ص8 ـ 441). وقد ذكر السَّخاوي من كُتُبه **تجريد أسماء الآخذين عن ابن العربي**، انظر: **الضَّوء**، ج8، ص17، سطر 22 فما بعد.

(310) انظر: **الإعلان**، ص121. من المعروف جيداً أنّ مسألة ابن العربي كانت مُشكلة الساعة الفكرية عند مُفكّري أهل السُّنّة في زمانه. وقد كان السَّخاوي، كما هو المأمول، خصماً عنيفاً لأتباع هذا الصوفي ـ سواء أكانوا أتباعاً حقيقيين أو مُهتمّين، انظر مثلاً: مقال السَّخاوي **القول المُنبي في أخبار (ترجمة) ابن العربي** وهي تتلو كتابه **عُمدة القارىء والمُستمع** في مخطوطة القاهرة، حديث 329، ص13أ-14أ، **الضَّوء اللامع**، ج1، ص114، ج3، ص32 فما بعد، 222، 244، ج9، ص95، 194، 294، 296، ج10، ص85، 199، 201 256. انظر أيضاً ابن طُولُون: **المُعَزَّة فيما قيل في ابن مِزَّة** ص4 (دمشق 1348هـ، **رسائل تاريخية 3**)، انظر أيضاً الترجمة من **شذرات الذهب**.
R.A. Nicholson in *JRAS*, 1906. 806-24.

(311) تُوفّي سَنَة 319هـ/ 931م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص343؛ **الفِهْرست**، انظر: *ZDMG* XC 304-6. 1636. ابن حجر؛ **لسان** ج3، ص255 فما بعد). لا يُوجد مثل هذا العنوان بين كُتُبه في التراجم، كما أنّ وصفه رأساً لجماعة من المُعتزلة غير دقيق، غير أنّ كتابه **طبقات المعتزلة** اقْتَبَس منه ابن حَجَر في **اللسان** ج6، ص335. انظر أيضاً:
H. Ritter in *Oriens III, 328 (1950)*.

(312) عثمان بن سعيد المُتوفَّى سَنَة 280هـ/ 894م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة التاسعة، رقم 101، طبعة وستنفلد، ابن كثير: **البداية**، ج11، ص69، انظر: **الضَّوء اللامع**، ج1، ص155، سطر 23.

المُعارض بكلام بِشْر المَرِيسي[313]، ولغيرهما **الردّ على الزيدية**، وللبُخاري **خَلْق أفْعَال العِبَاد**. وتوسَّعنا بالإشارة لهؤلاء، وإن لم يكن في أكثره ما هو ممّا نحن فيه.

28 ـ تاريخ الشيعـة

وأما الشيعة فاعتنى بجمعهم منهم:

الحسن بن عليّ بن فُضَال بن أُنَيْس التَّيْمي مولاهم الكوفي[314].

وابنه علـيّ.

وأبو جعفر محمد بن الحسن بن عليّ الطُّوسي[315] والد أبي عليّ الحسن.

وعليّ بن الحَكَم[316].

وأبو العَبّاس بن عُقْدة[317].

وأبو الحسن بن بَابَويه[318].

ويحيى بن أبي طَيّ[319].

ويحيى بن الحسين بن البِطْرِيق.

---

(313) بِشْر بن غِياث تُوفّي سَنَة 218 أو 219هـ/ أول سَنَة 854م (**تاريخ بغداد**، ج7، ص56 فما بعد).

(314) تُوفّي سَنَة 224هـ/ 838-9م (ابن حَجَر: **لسان**، ج2، ص225). أما عن ابنه عليّ الذي ألّف **فضائل الكوفة**، فانظر: الطُّوسي، **الفِهرِست**، ص216، طبع شبرنغر (Sperngar, Calcutta, 1854).

(315) تُوفّي سَنَة 459 أو 460هـ/ 1067م (انظر بروكلمان: ج1، ص405).

(316) انظر: الطُّوسي، مرجع سابق، .220 f.

(317) أحمد بن محمد المُتوفّى سَنَة 332هـ/ 944م (**تاريخ بغداد**، ج5، ص14-23 ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص263-6). أما تاريخ ابن عُقْدة الكبير ومُعجمه، فقد اقْتَبَس منها **تاريخ بغداد**، ج3، ص308.

(318) لعلّه عليّ بن عُبَيْد الله المُتوفّى سَنَة 580هـ/ 1184-5م. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص170) ومن المُؤكّد أنه نفس مُؤلّف **تاريخ الرَّيّ** الذي اتصل به السَّمْعاني شخصياً (ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص83).

(319) يحيى بن أبي طَيّ حُمَيْد المُتوفّى سَنَة 630هـ/ 1232-3م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص549؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص263 فما بعد).

والشريف أبو القاسم عليّ بن الحسين بن موسى العَلَوي المُرْتَضى المُتكلِّم الرافضي المُعتزلي[320].

والرشيد سعد بن عبدالله القُمِّي[321] وابن النَّجاشي[322].

وأبو عمرو الكَشّي[323].

في آخرين ويحتاج لتحرير في عدم تداخل بعضهم[324].

29 ـ تاريخ البُخـلاء

وأما البُخلاء، فللحافظ أبي بكر الخطيب. وكذا له **أخبار الطُّفَيْلِيِّين** وهما ظريفان.

وكذا لأبي الفرج الأصبهاني **أخبار الطُّفَيْلِيِّين**.

30 ـ تاريخ الشُّجْعـان

أما الشُّجْعان، فلأبي الحسن عليّ بن أبي المنصور الأَزْدي المالكي، أخبارهم.

وللخليل بن الهيثم[325] **الحِيَل والمكائد في الحروب**.

---

(320) تُوفّي سَنَة 436هـ/ 911-2م، أو سَنَة 300هـ أو 311هـ (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص319).

(321) تُوفّي سَنَة 299هـ/ 911-2م. أو سَنَة 300هـ أو 311هـ. (انظر بروكلمان. **الملحق**، ج1، ص319).

(322) أحمد بن عليّ المُتوفّى سَنَة 450هـ/ 1058-9م أو 455هـ. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص556).

W. Ivanow. *The Alleged Founder of Ismailism*, 19 f. (Bombay 1946).

(323) محمد بن عُمَر: القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي. انظر:

B. Lewis, *The Origins of Ismâ'îlism* 13 (Cambridge 1940).

(324) وقد يكونان شخصاً واحداً.

(325) كَتَبَ للمأمون (**الفِهرِست** ص437، طبعة القاهرة، 1348هـ، ص314، طبعة فلوجل). وقد أُخذت المعلومات المذكورة هنا من المسعودي، **المُروج**. انظر **الإعلان**: ص154 أدناه، ص423.

31 ـ تاريخ العُور والعُمْش والعُمْيان والحُذْبان

وأما العُور والعُمْش والعُمْيان والحُذْبان، فللصَّلاح الصَّفَدي[326] فيها تصانيف.

32 ـ تاريخ الرُّهْبان

وأما **أخبار الرُّهبان**، فلأبي القاسم تَمّام بن محمد الرَّازي[327].

33 ـ تاريخ قَتْلَى القُرآن

وأما قَتْلَى القُرآن، فللثَّعْلَبي المُفَسِّر[328].

34 ـ تاريخ العُشّاق

وأما العُشّاق، فلجعفر السَرّاج **مصارع العُشّاق** واختصره بعضهم. ولابن أبي الدُّنْيا في **المُتَيَّمين**[329]، وكذا لمحمد بن خلف ابن المَرْزُبان.

---

(326) خليل بن أَيْبَك المُتوفَّى سَنَة 764هـ/ 1363م (انظر بروكلمان: ج2، ص31-3).

(327) تُوفّي سَنَة 1414هـ/ 1023م (انظر بروكلمان: ج1، ص166).

(328) انظر عن كتابه **قَتْلَى القُرآن**، السَّهْمي: **تاريخ جُرْجان**، ص315 (حيدرآباد 1369هـ/ 1950م).

(329) لقد كان ابن أبي الدُّنْيا كاتباً ذائع الصِّيت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. غير أني لا أعلم من المصادر الأُخرى كتاباً له بالعنوان المذكور أعلاه، ألا يجوز أن يكون هذا قراءة مغلوطة أو فهماً مغلوطاً لكتاب **المُتَمَنِّين**؟
وقد نقل **تاريخ بغداد** ج5، ص313 من كتاب **المُتَيَّمين** لابن مَسْرُوق الطُّوسي مُؤلِّف كتاب **عُقلاء المجانين** المذكور أعلاه (ص502، هامش 310).

(ب) كُتُب التاريخ تَبَعاً لتصنيف السَّخاوي
قصد أن يكون تَكْملة للذَّهبي

1 ـ الرسول والأنبياء

والحاصل أنّ من المُؤرّخين من تشرَّف بالاقتصار على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، خصوصاً سيد الأوّلين والآخرين، ثُمّ تارة يُضيف لذلك بَدْء الخَلْق أو يقتصر على أحدهما.

2 ـ الصحابـة

أو يتشرّف بالاقتصار على الصحابة كما سبقت الإشارة إليها، أو على ذي النّسب المُطلق.

3 ـ الأشراف: آل أبي طالب وآل عليّ

كالأشراف وليس كتاب **الإشْرَاف على مَناقب الأشراف** للحسن بن عَتِيق بن الحسن القَسْطَلاني، في خُصوصهم.

ومعالم العِتْرَة النبويّة ومعارف أهل البيت الفاطمية العَلَوية لعبد العزيز بن الأخضر[1].

أو المَخْصُوص كالطّالبيين للجِعابي[2].

ولمحمد بن أسعد الجَوّاني[3].

---

(1) عبد العزيز بن محمود المُتوفَّى سَنَة 611هـ/ 1214-5م (ابن كثير: **البداية**، ج13، ص68، حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج5، ص612، رقم 12317، طبعة فلوجل). وقد نقل من كتابه ابن الصبّاغ في **الفُصول المُهِمّة في معرفة الأئمّة**، مخطوطة باريس، ar 2022، ص67أ، 73ب (لم أستطع الحصول على طبعة طهران 1303هـ)، (انظر بروكلمان: **الملحق** ج2، ص224).

(2) محمد بن عمر المُتوفَّى سَنَة 355هـ/ 966م (**تاريخ بغداد**، ج3، ص26 فما بعد).

(3) تُوفّي سَنَة 588هـ/ 1192م (انظر بروكلمان: ج1، ص366؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص74-6) عن قائمة كُتُبه التي ذكرها المَقْريزي في **المُقَفّى**. انظر:
C. Becker. *Beiträge zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam* I 27 f (Strassburg 1902).

وعُمْدَة **الطَّالِب في نَسَب آل أبي طالب**، ومُختصره، وكلاهما للشهاب أحمد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ الحسني الشهير بابن عُتبة[4] (عِنَبة؟).

ولأبي الفرج صاحب الأغاني **مقاتل الطَالِبيِّين** ونَسَب **بني شيبان ونَسَب المَهَالبة**[5] لكونه كان مُنقطعاً إلى الوزير المُهَلَّبي.

4 ـ القُرَشِييـن

أو **القُرَشيِّين** للزُّبَيْر بن بكّار بن عبدالله بن مصعب الزُّبَيري، في مُجلّدين[6]، قال بعضهم فيه: «هو كتاب عَجَب لا كتاب نَسَب» يعني لِما اشتمل عليه من المحاسن.

أو **الناشريين** للعفيف عُثْمان عُمَر الناشري[7].

أو **الطَّبَريين**، أو **الظُّهَيْريين**، أو **النُّوَيريين**، أو **القَسْطَلانيين**، أو **الفُهُود**، لصاحبنا النَّجم بن فهد في تآليف خمسة.

بل لأمّ الهُدى عائشة ابنة الخطيب التّقي عبدالله بن الحافظ المُحِبّ أبي جعفر أحمد بن عبدالله الطَّبَري[8] مُؤلَّف في **تاريخ بني الطَّبَري** فيه فوائد.

والشهاب بن فضل الله العمري[9] **فواضل السَّمر في فضائل آل عُمَر** في أربع مُجلّدات.

وللشهاب أحمد بن (عليّ بن) عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سليمان القَلْقَشَنْدي الشافعي **نهاية الأَرَب في معرفة قبائل العرب** في مُجلّد صنّفه لجمال الدين الأُسْتَادار[10].

---

(4) تُوفّي سَنَة 828هـ/ 1424م أو سَنَة 836هـ/ 1432-3م. (انظر بروكلمان: ج2، ص199).

(5) انظر: **تاريخ بغداد**، ج11، ص398.

(6) انظر أيضاً قائمة كُتُب النَّسَب في ابن عبد البَرّ: **إنباه**، ص45 فما بعد (القاهرة 1350هـ).

(7) 804-848هـ/ 1401-1445م (**الضَّوء اللامع**، ج5، ص134 فما بعد). وعنوان كتابه هو **البستان الظاهر في طبقات عُلماء بني ناصر**. والشكل الصحيح لاسمه مذكور في مخطوطة ليدن.

(8) تُوفّي بعد سَنَة 760هـ/ 1358-67م (ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج2، ص236).

(9) أحمد بن يحيى المُتوفَّى سَنَة 749هـ/ 1249م (بروكلمان، ج2، ص141).

(10) أصبح أخوه شمس الدِّين رئيس السَّعِيد السُّعَداء سَنَة 820هـ/ 1417-8م (السيوطي: **حُسن المحاضرة**، ج2، ص188، القاهرة 1299هـ).

5 ـ المَوالــي

والمُقَيَّد بالولاء كـ **الموالي** لأبي عُمَر الكِنْدي[11].

6 ـ الرُّواة المُعْتَمَدُون أو المُصَنَّفون

أو على وصف مخصوص كالعَمَش، والعَوَر، والعَمَى، وذَكاء، وغَفْلة، وعَقْل، وغِنىً[12]، وحُبّ من مُتيَّم، وعاشق، ومقتول بالقُرآن، وكَرَم، وبُخْل، وتَطْفيل[13]، وثِقة.

كـ **الثِّقات** لأبي حاتم بن حِبّان، وهو أحفلها وهي على الطبقات. وعملها الهَيْثَمي[14] مُعجماً واحداً.

والعِجْلـي[15].

وابن شاهين.

---

(11) **المَوالي** للكِنْدي اقْتَبَسَ منه السُّلَمي، **طبقات الصوفية**، ص15 فما بعد (القاهرة، 1953م)؛ عِياض في **المدارك**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 2293، ص88ب، 115ب. ابن حَجَر: **رفع الإصْر**، مخطوطة باريس، ar 2149 ص22أ، وكذلك المَقْريزي وابن دُقماق. انظر مُقدّمة غيست RH Guest لطبعته لكتاب **وُلاة مصر وقُضاتها** للكِنْدي، ص10 (لندن، 1912م سِلْسِلَة جِب التذكارية 19)، ولعلّ كتاب **مُوَالي أهل مصر** الذي يذكره ياقوت **معجم البلدان**، ج1، ص734، طبعة وستنفلد من غير ذكر اسم المُؤلّف هو أيضاً من مُؤلّفات الكِنْدي.
إنّ الصَّفدي في **الوافي**، مخطوطة البودليان or. Seld. Arch A 29 ص2ب-3 أو 7ب، يقتبس من فصل عن الخوارج من كتاب **المَوَالي** للجِعابي. انظر أيضاً: **تاريخ بغداد**، ج3، ص362.
أما عن كتاب **أعيان المَوَالي**، لأحمد بن محمد الرَّازي، فانظر: بروكلمان **الملحق**، ج1، ص231. وانظر عن كتاب **في مَوَالي المدينة**، يوسف العش، الخطيب البغدادي، ج3.

(12) **غناء؟ أو غباء؟**

(13) لما كانت المواضيع السابقة قد بُحثت من قبل، فإن السَّخاوي يمرّ عليها هنا مَرّاً خفيفاً، ليعود إلى موضوعه المُحَبَّب وهو علم الحديث.

(14) عليّ بن أبي بكر المُتوفَّى سَنَة 757هـ/ 1356م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص81) ويذكر بروكلمان، ج2، ص76 شخصاً آخر بالاسم نفسه تُوفّي سَنَة 807هـ/ 1405م، فهل هما الشخص نفسه؟

(15) أحمد بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 261هـ/ 874-5م (**تاريخ بغداد**، ج4، ص214 فما بعد) الذَّهبي: **طَبقات الحُفّاظ**، الطبقة التاسعة، رقم 21.

وأبي العَرَب التَّمِيمي.

والشمس محمد بن أيبك السَّرُوجي[16]، وهو من المُتأخِّرين، مع أنه لم يُكمل، ولو تمَّ لكان في أكثر من عشرين مُجلّداً، بخطّه المُتقَن البديع[17].

وأسماء الأَحْمَدِين فقط منه في مُجلّد.

وأفرد شيخنا الثِّقات ممّن ليس في **التهذيب**، وما كمل أيضاً.

وكذا فعل بعض نُبلاء جماعة من أصحابنا.

وكتبتُ منه غير نُسخة.

وضعف.

كـ **الضُّعفاء** ليحيى بن مَعِين.

وأبي زُرْعَة الرَّازي.

والبُخَاري في كبير، وصغير.

والنَّسَائي.

وأبي حفص الفَلّاس.

ولأبي أحمد ابن عَدِيّ في **كامله** وهو أكملُ الكُتُب المُصَنَّفة قبله وأجلُّها، لكن توسّع لذكره كُلّ من تكلَّم فيه، وإن كان ثِقة، مع أنه لا يَحُسن أن يُقال الكامل للناقصين. وذيَّل عليه أبو الفضل بن طاهر[18] في **تَكْملة الكامل**.

ولأبي جعفر العُقَيْلي[19]، وهو مُقَيّد بأوقاف سَعِيد السُّعَداء[20]، وكان عند المُحِبّ بن الشِّحْنَة[21] به أصل مُتقَن.

---

(16) 714-744هـ/ 1314-1343م، انظر ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج4، ص58 فما بعد. وقد أخذ **الإعلان** معلوماته إما من **الدُّرَر**، أو من الصَّفدي مباشرة.

(17) في **الدُّرَر** «السريع».

(18) محمد بن طاهر المُتوفَّى سَنَة 507هـ/ 1113م (انظر بروكلمان: ج1، ص355 فما بعد).

(19) محمد بن عمرو المُتوفَّى سَنَة 322هـ/ 934م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص278) وقد اقْتَبَسَ من كتابه **التاريخ الكبير** ابن عبد البَرّ: **جامع بيان العلم**، ج2، ص147 (القاهرة، بلا تاريخ).

(20) هي دار للصوفية في القاهرة أُنشئت سَنَة 569هـ/ 1173-4م. انظر السيوطي **حُسن المُحاضرة**، ج2، ص187 فما بعد (القاهرة 1299هـ).

(21) محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود 804-890هـ/ 1402-1485م =

وأبي حاتم بن حِبّان.

والدّارَقُطْنـي.

وأبي زكريا السَّاجي[22].

والحاكـم.

وأبي الفتح الأَزْدي.

وأبي عليّ بن السَّكَن.

وابن الجَوزي، واختصره الذَّهبي، بل وذيَّل عليه في تصنيفين جمع مُعظمها في **ميزانه**، وعَوَّل عليه من جاء بعده، مع أنه تبع ابن عديّ في إيراد كُلّ من تكلّم فيه ولو كان ثِقة. ولكنه التزم أن لا يذكر أحداً من الصحابة ولا الأئمّة المتبوعين، وقد ذَيَّل عليه الزَّيْن العراقي في مُجلّد، والتقط شيخنا منه من ليس في **تهذيب الكمال**[23]، وضمَّ إليه ما فاته في الرُّواة وتراجم مُستقلّة، مع انتقاد وتحقيق، في كتابه **لسان الميزان** وقد حقّقته عليه، ولي عليه بعض الزوائد. بل وله كتابان آخران هما **تقويم اللسان** و**تحرير الميزان**، كما أنّ للذَّهبي في الضعفاء مختصراً سمّاه **المُغني** وآخر سَمّاه **الضُّعفاء والمتروكين** وذيَّل عليه. والتَقَط بعضهم من الضعفاء **الوَضّاعين** فقط، وبعضهم **المُدَلّسين**، وبعضهم **المُخْتَلطين**، وللذَّهبي **معرفة الرُواة المُتكَلَّم فيهم بما لا يُوجب الردّ** إلى غيرها من الكُتُب المُشتملة على الثِّقات والضُّعفاء جميعاً.

ككتاب ابن أبي خَيْثَمة، وهو كثير الفوائد.

والطبقات لابن سعد.

= (**الضَّوء اللامع**، ج9، ص295-305، بروكلمان، ج2، ص42 فما بعد). والأرجح أنه هو المقصود، لا أبوه الذي تُوفّي سَنَة 815هـ/ 1412م (انظر بروكلمان: ج2، ص141 فما بعد).

(22) قد يكون المقصود هو أبو يحيى زكريا بن يحيى السَّاجي المُتوفّى سَنَة 307هـ/ 919-920م. (**الفِهرِست**، ص300 طبعة القاهرة، 1348هـ، ص213، طبعة فلوجل. **ابن حَجَر: لسان**، ج2، ص488 فما بعد).

(23) النصّ غير واضح (مِن الرُّواة؟)، خاصة وأن ليس في مُقدّمة **اللسان** إشارة إلى هذه النُّقطة.

والبُخاري في تواريخه الثلاثة: **الكبير** وهو على حُروف المُعجم وابتدأه بالمُحَمَّدِين، **والأوسط** وهو على السِّنين، **والصغير**، ولمَسْلَمة بن قاسم[24] **ذَيْلٌ** على الكبير، في مُجلّد سمّاه **الصِّلة** كذا رأيته في كلام شيخنا. وكتاب **الصِّلَة** عندي، وهو ذَيْل على كتاب لمُؤلّفها سمّاه **الزاهر** كما أشار إليه في الخُطبة. وذيَّل على المُحَمَّدِين منه خاصة الدّارَقُطْني، ثُمّ ابن المُحِبّ. وتعقَّبه الخطيب[25] في كتابه **المُوضِح لأوْهَام الجَمْع والتَفْرِيق** وهو في مُجلّد. ولابن أبي حاتم قبله جُزء كبير عندي، انتقد فيه على البُخاري. بل له **الجَرْح والتعديل** في مُجلّدات مشى فيه خلف البُخاري، والتقط منه بعضهم من ليس في **تهذيب الكمال** ولكنه لم يُكمل. وللحسين بن إدريس الأنصاري الهَرَوي، ويعرف بابن خُرَّم[26]، تاريخ على نحو **التاريخ الكبير** للبُخاري.

ولعليّ بن المَدِيني تاريخ في عشرة أجزاء حديثية. وكذا لابن حِبّان كتاب في **أوهام أصحاب التواريخ** في عشرة أيضاً. وكذا لأبي محمد عبدالله بن عليّ بن الجارود **الجَرْح والتعديل** ولمُسْلِم **رُواة الاعْتِبار**.

وللنَّسائي **التمييز**.

ولأبي يَعْلَى الخليلي[27] **الإرْشَاد**.

وللعماد بن كثير **التكميل في معرفة الثِّقات والضُّعفاء والمجاهيل** جمع فيه بين **تهذيب** المِزّي، **وميزان** الذَّهبي، مع زيادات وتحرير عليها في **الجَرْح والتعديل**، وقال إنه «من أنفع شيء للفقيه البارع» وكذا المُحَدِّث.

وللصلاح الصَّفَدي **الوافي بالوَفَيات** في نحو ثلاثين مُجلّداً، على حُروف المُعجم، وجرّده شيخنا في ابتداء أمره، ثُمّ إنه مات وهو يُجرّده مرة أُخرى.

---

(24) تُوفّي سَنَة 353هـ/ 964م (ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص35 فما بعد). وقد نقل ابن حَجَر من كتاب **الصِّلة** في كتابه **رفع الإصْر**، مخطوطة بارس، ar 2149.

(25) الأرجح أنّ «تَعَقَّب» يقصد بها انتقد ودَقّق، وليس «تَبع» انظر: **الإعلان**، ص50، سطر 17.

(26) تُوفّي سَنَة 351هـ/ 962-3م (ابن حجر: **لسان**، ج2، ص272، فما بعد وهو مصدر **الإعلان**.

(27) الخليل بن عبدالله المُتوفّى سَنَة 446هـ/ 1054-5م (انظر بروكلمان: ج1، ص362).

وذكر شيخنا في تراجمه ناصر بن أحمد بن يوسف البِسْكْرِي[28] أحد من لقيه واستفاد منه، أنه جمع تاريخ الرُّواة في مائة مُجلّد، وأنه تفرّق كأنه لم يكن، مع أنه لم يكن أنهاه. وجمعتُ كتاباً حافلاً على حُروف المُعجم أصَّلتُه من **تاريخ الإسلام** للذَّهبي، وزدتُ عليه خَلْقاً أغفلهم أو تجدَّدوا بعده، ولكن لم أستوفِ فيه غَرَضي إلى الآن[29].

فاستوفيتُ عليه **التهذيب وتهذيبه والميزان ولسانه والإصابة والدُّرَر** وكثيراً من الزائد منها على الأصل، كتبته تجريداً مُحيلاً على أماكنه. وكذا استوفيتُ ثِقات العِجْلي مراعياً ترتيبها للسُّبْكي، ثم للهَيْثَمي، وثِقات ابن حِبَّان من ترتيب الهَيْثَمي مع سَقَمه، ولكن أصل **الثّقات** عندي بخطّ الحافظ أبي عليّ البكري، ومن أول الحاء المُهْمَلة إلى أول المُحَمَّدِين من **الضُّعفاء** لأبي جعفر العُقَيلي من نُسخة سَعِيد السُّعَداء، ويحتاج لمُراجعة نُسخة ابن الشحْنَة في ترجمة شَرِيك بن عبدالله النَّخَعي[30]، وصَفْوان الأَصَمّ[31] عن بعض الصحابة، وعبدالله بن زياد بن سَمْعان[32]، وتحرير ذلك في كتابي.

(وأكملتُ تنقيح) **والضُّعفاء** لابن حِبّان **واليسير من الجَرْح والتعديل** لابن أبي حاتم ومن **التاريخ الكبير** للبُخاري. وجميع استدراك الدّارَقُطْني عليه في المُحَمَّدِين خاصة من نُسخة في كُرَّاسة ذهب بعض أطرافها من الحذف. ثُمّ ما استدركه ابن المُحِبّ على الدّارَقُطْني وهو تراجم يسيرة.

(وأكملتُ تنقيح) واليسير من **تاريخ بغداد** للخطيب، والمُجلّد الثاني والثالث

---

(28) 781-823هـ/ 1370-1420م (**الضَّوء اللامع**، ج10، ص195 فما بعد، وتَرِد النِّسبة في **الضَّوء اللامع** البَسْكري بفتح الباء. ولما جاء الناصر إلى القاهرة لاجئاً سياسياً، بقي في حماية ابن خلدون. ويقول **الضَّوء اللامع**: إنّ هذه الفقرة مأخوذة من **مُعجم** ابن حَجَر.

(29) إنّ رِواية السَّخاوي عن التقدّم الذي أنجزه في هذا الكتاب عندما كان يُؤلّف، تستمرّ إلى **الإعلان** ص115، أدناه ص370.

(30) تُوفّي سَنَة 177هـ/ 793-4م أو سَنَة 178هـ (**تاريخ بغداد**، ج9، ص279 فما بعد).

(31) اسم أبيه غير مُؤكّد. انظر: البُخاري، **التاريخ**، ج2، قسم 2، ص307. ابن حَجَر، **لسان** ج3، ص191 فما بعد.

(32) عاش في زمن المهدي (**تاريخ بغداد**، ج9، ص455 فما بعد).

من **الذَّيْل** عليه لابن النَّجّار، وأولهما محمد بن حمزة بن عليّ بن طَلْحة بن عليّ، وآخرهما انتهاء المُحَمَّدِين، والكتاب كُلّه في خمسة عشر مُجلّداً من الموقوف بجامع الحاكم، والموجود منه الأربعة الأُوَل، وانتهت إلى أحمد بن عليّ بن موسى وبعض السادس وأوله... والمفقود منه من جعفر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى إلى الحسين بن أحمد بن ميمون، والسابع، والثامن وانتهيا إلى عبدالله بن محمد بن عليّ بن أحمد، والتاسع وأظنّه الذي كان عند التَّقي القَلْقَشَنْدي[33] وجحده ابن أخيه[34]. وفيه الشيخ عبد القادر[35]، وبعض الحادي عشر والمفقود منه كراريس[36] من أوله إلى الهاء[37] وآخرها[38]، والأربعة الأخيرة وأولها، فالحاصل أنّ المفقود الخامس، وبعض السادس، وجميع العاشر، وبعض الحادي عشر. وكنتُ لمحتُ منه أجزاء في أوقاف الجمالية ثم لم أَرَها.

وكذا استوفيتُ عليه مُطالعة مُسَوَّدة **الذَّيل** الذي للتَّقي بن رافع[39] عليّ بن النَجّار من خطّه، وهي في مُجلّد، ولكن حصل فيها مَحْوٌ لكثير من تراجمه، وكذا بعض المَقُول في بعضها، مع أنه كتب عليها ما نصّه «فيه نقص كثير عن المُبَيَّضة، وفيه زيادات قليلة» قال: «المُبَيَّضة في ثلاثة مُجلّدات»، وقال في خُطبته: «أذكر فيه من دخل بغداد من العُلماء، والفُقهاء، والمُحَدِّثين، والوُزراء، والأُدباء، ومن فاتهما، يعني الخطيب وابن النَّجّار، أو أحدهما ذكره ذكرته، وعلى المُسَوَّدة بخط الذَّهبي ما نصّه **كتاب التذييل والصِّلَة على تاريخ بغداد**، أَلَّفه

(33) أبو بكر بن محمد 783-867هـ/ 1382-1463م (**الضَّوء اللامع**، ج1، ص69-71).

(34) الظاهر أنه عبد الكريم بن عبد الرحمن 808-855هـ/ 1405-1452م (**الضَّوء اللامع**، ج4، ص317 فما بعد).

(35) الظاهر أنه عبد القادر بن عبدالله الجِيلاني المشهور المُتوفَّى سَنَة 561هـ/ 1166م (انظر بروكلمان: ج1، ص435 فما بعد، ابن الجَوزي، **المُنتظَم**، ج10، ص219).

(36) في مخطوطة ليدن «كُرَّاستان».

(37) «وآخر حرف الهاء»؟

(38) آخره؟

(39) محمد بن رافع 704-774هـ/ 1305-1372م (ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص439 فما بعد) وقد طبع عباس العزاوي المُختصر الذي عمله تقي الدِّين الفاسي لهذا الكتاب بعنوان **مُختصر المُختار، تاريخ بغداد** (بغداد 1357هـ/ 1938م) ولم تبقَ في المطبوع مُقدّمة ابن رافع.

وتلقّفه الفقير إلى الله تعالى الإمام الحافظ، مُفيد الطَّلبة، عُمْدة النَّقَلة، تقيّ الدِّين محمد بن رافع الشافعي، ووصل به **التاريخ الكبير** الذي جمعه حافظ العراق، مُحِبّ الدين بن النَّجّار، الذي عمل كتابه ذَيْلاً واستدراكاً على تاريخ الحافظ أبي بكر الخطيب، غفر الله لهم ولنا» انتهى. وقد أخبرني صاحبنا النَّجم بن فهد أنه وقف على المُبَيَّضة ولم يستحضر محلَّها.

(وأكملتُ تنقيح) واليسير من **تاريخ أَصْبَهَان** لأبي نُعَيْم.

ودمشق لابن عساكر.

والمصريين لابن يونس.

وتاريخ الفاسي المُتَرْجِم.

والأول من **الإحاطة**.

والخمسة الأُوَل من تسعة من **التَّكْملة** لابن عبد الملك، إلى قوله في السادس، محمد بن أحمد بن عثمان القَيْسي.

والطالع السعيد للأُدْفُوِي.

ومُعْجَم السَّفَر للسِّلَفي، وهو في مُجلّد كثير الفوائد بخطّ محمد بن المُنْذِري[40]، قال عن أبيه الزكي، إنه وقع له بخط السِّلَفي في جُزَازات، كُلّ ترجمة في جُزازة. فَبَيَّضها ورتَّبها كما تجيء، لا كما يجب. وكذا لم يكن ترتيبه كما ينبغي، ولم يكتب فيه من الأَصْبَهانيين أحداً[41].

---

(40) محمد بن عبد العظيم، وقد تُوفّي أبوه عبد العظيم بن عبد القوي سَنَة 656هـ/ 1258م (انظر بروكلمان: ج1، ص367).

(41) في القطعة الموجودة من **مُعجم** أحمد بن محمد السِّلَفي (المُتوفَّى سَنَة 567هـ/ 1180م. انظر بروكلمان: ج1، ص365) مُصوّرة القاهرة، تاريخ 3932، كثيراً ما تُوجد المُلاحظة التالية «وقد قال في ورقة أُخرى» أو شيئاً يُشبه ذلك (ص57، 110، 118، 372 فما بعد)، ونجد في أحد الأماكن زيادة أضافها عبد العظيم المُنْذِري (ص102). ويظهر أيضاً أنه من الصواب القول بأنه لم يُشِر في الكتاب إلى الأصفهانيين (والبغداديين)؛ غير أنه ذكر الإسكندرية، وشِيراز، وهَمَذان، ودمشق إلخ. غير أنه يجدر أن نُلاحظ أنّ **الإعلان** «ص118 فما بعد»، أدناه ص376 ينسب للسِّلَفي **مُعجماً** خاصاً عن أصفهان (نقل منه ابن حَجَر: **لسان** ج5، ص83) **ومُعجماً** لبغداد (انظر بروكلمان).

ومُعْجَم الدِّمياطي[42]، وهو في أربعة وأربعين جُزءاً حَدِيثية، فنصفه الثاني من نُسخة بخطّ التَّاج بن مكتوم بالصَرْغَتِمْشِية[43]، وباقيه من غيرها.

ومُعْجَم البدر الغَارِقي من نُسخة بخطّه، وهو تخريج إبراهيم[44] بن القُطْب الحلبي، وبه تراجم كثيرة، مع قطعة من المُحَمَّدِين من **تاريخ مصر** لأبيه القُطب، والأول من تاريخها للمَقْرِيزي.

ومُعْجَم المَجْد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن العَدِيم[45] تخريج الحافظ الجمال أبي العباس بن الظاهري.

ومُعْجَم أبي المعالي الأَبَرْقُوهي[46] تخريج سعد الدين مسعود الحارثي[47] من نُسخة بخطّ ابن الظاهري.

والمُعْجَم الكبير للذَّهبي من خطّه بالمَحْمُودية.

ومُعْجَم التاج السُّبْكي تخريج محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن سعد المَقْدسي بخطّه بالمَحْمودية، في مُجلّدين لِطاف، اشتمل على مائة واثنين وسبعين شيخاً بالسَّماع والإجازة. والتراجم التي انتقاها أبو الحسين أحمد بن أيبك الدِّمْيَاطي[48] من **مُعْجَم** ابن مَسْدِي[49] وهي في نحو أربعة كراريس ضخمة، فيها جمع.

---

(42) لقد ذكر ابن حَجَر في **الدُّرَر** ج2، ص417، **المُعجم** المُكوّن من أربعة مُجلّدات.

(43) لقد عمرت هذه المدرسة سَنَة 756-7هـ/ 1355-6م، انظر: السيوطي: **حُسْن المُحاضرة**، ج2، ص192 (القاهرة 1299هـ).

(44) أي محمد 711-773 أو 772هـ/ 1311-1371-2م. انظر ابن حَجَر: **الدُرر**، ج4، ص23 وهو يذكر «الفاروقي» بدل «الغارقي؟».

(45) تُوفّي سَنَة 677هـ/ 1278م (ابن كثير: **البداية**، ج13، ص282).

(46) أحمد بن إسحاق المُتوفّى سَنَة 701هـ/ 1302م (ابن رافع: **المُختصر المُختار**، **تاريخ بغداد**، ص20-23، بغداد 1357-1938م، ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج1، ص102 فما بعد).

(47) مسعود بن أحمد المُتوفّى سَنَة 711هـ/ 1312م (ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج4، ص347 فما بعد).

(48) تُوفّي سَنَة 749هـ/ 1348م (ابن حَجَر: **الدُرر**، ج1، ص108 بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص563).

(49) محمد بن يوسف المُتوفّى سَنَة 663هـ/ 1264-5م، Pons Boiges, *Ensayo* 301 f (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**. الطبعة 19 رقم 2، وستنفلد). لا نستطيع التثبّت هل أنّ اسمه «المَسْدِي» أو «المُسْدِي». وقد نقل ابن رافع من **مُعْجَمه** عِدّة مرات.

وطبقات **الشافعية الوسطى** للتَّاج بن السُّبْكي، وما عليها من الحواشي من التراجم الذي ذكرها الإِسْنَوي. وكذا العفيف بن عبدالله بن محمد بن أحمد المَدَنِي المَطَري، المُستدرِك هو لها، على العماد بن كَثِير، وتراجم من غيرهما، ممّا كلّه بخطّ الصَّلاح الأَقْفَهْسي[50]، وما عليها أعني **طبقات** ابن السُّبكي أيضاً، من تراجم وتتمّات بخطّ الجمال بن موسى المَرّاكُشي[51]، وهي أقل ممّا للأَقْفَهْسي وما عليها بخطّ شيخنا، ولم أدرِ أذلك بخطّه بالنُّسخة التي بالقاهرة[52] أم لا، مع عَزْو كُلّ شيء لصاحبه وقد كتب البُرهان القِيراطي عليها[53].

طـبـقـات الـتـاج مـنـهـا يُـرْتَـقـى لـلـغـرفـاتِ
بـالـطـبـاق الـسـبـع عـوذ حـسـن تـلـك الـطـبـقـاتِ

وطبقات **الحَنابلة** لابن رَجَب التي هي ذَيْل عليّ أبي الحسين بن الفرّاء.

وطبقات **الحَنَفية** للمُحْيَوي عبد القادر القُرَشي وهو **الجواهر المُضِيّة في طبقات الحَنَفية** مع ما عليها من الحواشي والتراجم بخطّ الجمال محمد بن إبراهيم المُرْشِدي المَكّي[54].

والنصف الأول من **تاريخ اليمن** للمُوفّق الخَزْرَجي من نُسخة بخطّه، وانتهى إلى العلاء، وهو في مُجلّدين ابتدأه بسيرة (الرسول)، ثُمّ بالخُلفاء إلى المُستعصم عبدالله بن المُستنصر العباسي، ثُمّ بمن بعده إلى الظاهر بَرْقُوق، ويُلِمّ بشيء من الحوادث والوَفَيَات، وكتب عليها مُؤلِّفه رحمه الله تعالى قوله:

هـذا كـتـابٌ حَـسَـنٌ وَضْـعُـه مـسـتـوعـبٌ أعـيـانَ أهـل الـيـمـنْ

---

(50) خليل بن محمد المُتوفَّى سَنَة 820هـ/ 1417-8م (**الضَّوء اللامع**، ج3، ص202-4). انظر تقي الدِّين الفاسي: **العِقْد الثمين في** ترجمة المُؤلّف.

(51) محمد بن موسى 789-823هـ/ 1387-1420م (**الضَّوء اللامع**، ج10، ص56-8).

(52) لما كان خطّ ابن حَجَر معروفاً؛ فالإشارة قد تكون إلى السُّبكي؟

(53) إبراهيم بن محمد المُتوفَّى سَنَة 781هـ/ 1379م (انظر بروكلمان: ج2، ص14) وهذه الأبيات موجودة في ديوانه، مخطوطة القاهرة، أدب، 103 مجاميع (الصحائف غير مُرقّمة).

(54) 770-839هـ/ 1368-1436م (**الضَّوء اللامع**، ج6، ص241 فما بعد).

دُرٌّ ويـــاقـــوتٌ إذا خــلــتــه	تـخـال عِـقْـداً زان جِـيْـدَ الـزمـنْ
جـمـعـتُـه أرجـو بـه دعـوة	مـقـبـولـة فـي الـسِّـرِّ أو فـي الـعَـلَـنْ
مِـنْ مـسـتـفـيـدٍ مـنـه أو نـاظـرٍ	فـلـيـدعـون لـي ولـه مَـن وَمَـنْ
يـقـول يـا ربُّ اعـفُ واغـفـر وجُـد	والـطـف وسـامـح وارضَ عـني وعـنْ

وعدّة مجلّدات من **تاريخ حَلَب** للكمال أبي حَفْص عُمَر بن أحمد بن العَدِيم، وسَمّاه **بُغْيَةُ الطَلَب** كانت عند صاحبنا الجمال بن السابق الحَمَوِي[55] بخطّ مُؤلِّفه ونقلها منه صاحبنا ابن فهد[56].

أولها، من أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن المنادي[57] إلى آخر أحمد بن عبد الوارث بن خليفة.

وثانيهما، وليس تِلْوَه مع الذين يليه أولهما أحمد بن محمد بن مَتّوَيْه، وآخرها في أثناء ترجمة أُميّة بن عبدالله بن عُمرو[58] بن عثمان.

ورابعها، من الحَجّاج بن هشام، إلى آخر الحسن بن عليّ بن الحسن بن سَوّاس.

---

(55) محمد بن محمد 811-877هـ/ 1409-1473م (**الضّوء اللامع**، ج9، ص305 فما بعد).

(56) إنّ تقسيم المُجلّدات هو نفس ما موجود في النُّسخة المحفوظة بإستانبول والتي وصفها سوفاجيه باختصار:

J. Sauvaget RE. I, VII, 395 (1933).

انظر أيضاً: محمد راغب الطَّبّاخ، **مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق مجلد** 23، ص251-8 (سَنَة 1948م)؛ والمُجلّدان الرابع والتاسع مفقودان من نسخة إستانبول. أما المجلد السابع فيبدأ برجب بن الحسين، لذلك فهو ناقص من بدايته إذا قُورن بنُسخة السَّخاوي، وتقسيم المُجلّدات لا علاقة له بتقسيم الأجزاء، ويُوجد في القسم الجُغرافي من مخطوطة القاهرة، الجُزء الثالث إلخ. أما مخطوطة باريس ar. 2138، ص74أ، فإن الجُزء الثالث والثمانين منها يبدأ بإسماعيل بن عبد المجيد.

(57) لقد ضَبط سوفاجيه الشكل الصحيح من الاسم.

(58) يذكر سوفاجيه اسم «عُمَر» بين أولاد عثمان، وقد كان من أولاد هذا «عَمْرو» و«عُمَر». انظر ابن كثير: **البداية**، ج7، ص218.

وخامسها، والذي يليه، وهما من الحسين بن عُبَيْد الله[59] الخادم، إلى أثناء دِعْلِج بن أحمد بن دِعْلِج.

وسابعها، والذي يليه، وهما من أثناء راجح بن إسماعيل الأَسَدي، إلى سعيد بن سَلّام.

وتاسعها، من مُشَرِّق بن عبدالله الحلبي، إلى أثناء الوليد بن عبد العزيز بن أَبَان[60]، ولكن ليس فيه حرف الهاء جَرْياً على عادة كثيرين في تأخيره عن الواو. ووقفتُ على المُسَوَّدة التي بخطّ المؤلِّف من هذا الجُزء بخُصوصه عند ابن فهد وعليها بخطّ المُؤلِّف تلقيبه بالرابع عشر.

وعاشرها، الكُنَى، إلى آخر الأنساب.

ورأيت مُجلّداً آخر منه فيه بعض البُلدان[61]، وكان عند المُحِبّ بن الشحْنة منه بخطّ المُؤلّف بعض الأجزاء ممّا لم أُطالعه.

وكذا استوفيتُ ذَيْله للعَلاء بن خطيب الناصرية[62]، وهو في أربعة أسفار.

واستوفيتُ عليه تصانيف ابن فهد[63] في الظُّهَيرِيين، والنُّوَيْرِيين، والطَّبَرِيين، والقَسْطَلانيين، والفُهود إلى غيرها ممّا لم أستحضره الآن.

وقد سَقَط من آخر الطبقة الثلاثين، وهي من سَنَة إحدى وتسعين ومائتين إلى آخر القرن، وهو آخر المُجلّد العاشر[64] من ذكر محمود بن أحمد بن الفَرَج إلى آخر

---

(59) يذكر سوفاجيه «عبدالله».

(60) كذا في مخطوطة ليدن.

(61) لعلّ هذا أثمن قسم من الكتاب (آيا صوفيا 3036؛ مُصوّر القاهرة، تاريخ، 1566).

(62) عليّ بن محمد المُتوفَّى سَنَة 843هـ/ 1440م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص34) انظر **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مجلد 16، ص184-7 (1947م). وتُوجد مخطوطة كاملة مُكوّنة من أربع مُجلّدات من هذا الكتاب كُتبت سَنَة 876هـ، وهي في كلّية ميرتون بأكسفورد Merton College. Codd Or XI-XIV.

(63) **الإعلان**، ص108 أعلاه ص360.

(64) قد يُشير هذا إلى تقسيم الأجزاء الذي اتّبعه المُؤلّف، والذي يحتوي واحداً وعشرين جُزءاً من النُّسخة التي كتبها المُؤلّف بخطّ يده، واثنين وعشرين جُزءاً وهي التي نسخها البَشتكي من مخطوطة نسخها شمس الدِّين بن نُباتة. انظر: مخطوطة البودليان، or. Laud 305، ص124أ.

الطبقة. ولم يُثبته البدر البَشْتكي[65] في النُّسخة التي بخطّه بالباسطية، فكأنه سقط قبل كتابته، فيُراجع من نُسخة أُخرى. وبيَّض له ناسخ مدرسته السلطان بمكة.

ويُراجع نُسخة أُخرى من **الجَرْح** لابن أبي حاتم من السِّين المُهْمَلة (إلى آخر؟) أجداد المُحَمَّدِين لتحرير محمد بن عبدالله بن الهيثم العَطّار، سمعتُ أبي يقول ذلك.

ويُحرّر من **طبقات الحَنَفية** ما بين المُؤَمَّل بن مسرور[66]، وميمون بن أحمد ابن الحسن.

وهذا الفصل تَذْكِرَةٌ لي ومَنْ لعلَّه يقف على كتابي.

7 ـ رجال علم الحديث

ومن الأُصُول في الرجال كتاب في **الأسماء والكُنى** للإمام أحمد، رواه عنه ابنه صالح[67] **وتاريخٌ** عن الرجال ليحيى بن مَعِين، رواه عنه عباس الدُّوري[68]، **وأسئلة** من إبراهيم بن الجُنَيْد[69] عنه، وكذا من عثمان بن سعيد الدارِمي، ومن أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَةَ[70] لعليّ بن المَدِيني، ومن أبي عُبَيْد الآجُرِّي[71] لأبي داود، ومن البغداديين، وكذا من

(65) انظر أعلاه: ص351، هامش 1. إنّ مخطوطات **تاريخ الإسلام** الموجودة في البودليان Laud 286, 244, 305, 279. قد نُسخت من مخطوطة كان قد نسخها البَشْتكي من نُسخة بخطّ المُؤلّف (انظر أيضاً: الهامش السابق).
وهذه المخطوطات هي أيضاً أمثلة طيبة كيف كانت أمثال هذه الكُتُب «يُغربلها» مُؤلّفون آخرون خلال بُحوثهم: وفي آخر كُلّ مُجلّد مُلاحظة تُشير إلى أنه قد تمّت مُراجعته من قبل يوسف القَسْطلاني سِبْط ابن حَجَر في سَنَة 859هـ لعلاقة ذلك بكتابه **رَوْنَق الألفاظ** (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص76).

(66) الحُمْرَكي تُوفّي سَنَة 516هـ/ 1122-3م (السَّمْعاني، **الأنساب**، ص207أ).

(67) تُوفّي سَنَة 266هـ/ 880م أو سَنَة 265هـ (**تاريخ بغداد**، ج9، ص317 فما بعد).

(68) [ال] عباس بن محمد المُتوفَّى سَنَة 271هـ/ 884م (**تاريخ بغداد**، ج12، ص144 فما بعد).

(69) إبراهيم بن عبدالله. (انظر: **تاريخ بغداد**، ج6، ص120).

(70) تُوفّي سَنَة 297 هـ/ 909م (**تاريخ بغداد**، ج3، ص42 فما بعد؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص280 فما بعد). انظر: يوسف العش، الخطيب البغدادي، ص109 (دمشق 1364 هـ/ 1945م).

(71) محمد بن عليّ بن عثمان؛ وعن الأسئلة التي وجّهها إلى أبي داود. (انظر بروكلمان: ج1، ص161).

مسعود السِّجَزي[72] للحاكِم، ومن أبي القاسم حمزة بن يوسف السَهْمي[73]، للدّارَقُطْني، وكذا للحُفّاظ عن جَمْع من الرجال من البَرْقَاني[74] للدّارَقُطْني في الرجال، وهو غير أسئلته له المسموعة عندنا.

أو اقتصر على أهل علم مخصوص، كالتفسير والقِراءات والحديث من الحُفّاظ وغيرهم، والفِقْه من أرباب المذاهب المتبوعة وغيرهم، والتصوُّف من العُبّاد والنُّسّاك والزُّهّاد، واللُّغة والنَّحو والشعر من القُدماء والمُحْدَثِين، والطب والكتابة.

أو وظيفة مخصوصة كالخلافة من العباسيين وغيرهم، والقضاء، والحُكم، والإمارة، والوزارة.

أو على رُواة كُتُب مخصوصة.

كـ **رجال المُوَطّأ** لابن الحَذّاء[75].

وللأكَفْاني هِبة الله بن أحمد، وكذا له **تسمية من روى المُوَطّأ عن مالك**.

ورجال البُخاري لأبي نصر الكَلاباذي[76] وسمَّاه **الإرشاد**.

ومُسْلِم لأبي بكر بن مَنْجَويه[77].

ورجالهما معاً لهبة الله بن الحسن اللالَكائي[78].

وأبي الفضل بن طاهر.

---

(72) مسعود بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 438هـ/ 1046-7م انظر ياقوت: **مُعجم البلدان**، ج2، ص891، طبعة وستنفلد.

(73) تُوفّي سَنَة 427هـ/ 1036م (انظر بروكلمان: ج1، ص334) مُؤرّخ جُرْجان.

(74) أحمد بن محمد تُوفّي سَنَة 425هـ/ 1034م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص259).

(75) محمد بن يحيى المُتوفَّى سَنَة 416هـ/ 1025م Pons Boigues - *Ensayo* 109 f، ولعلّه نفس المُؤلّف الذي يُقال: إنّ كتابه أُكمل سَنَة 674هـ/ 1275-6م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص298).

(76) أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 398هـ/ 1007-8م (انظر بروكلمان: ج1، ص167).

(77) أحمد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 428هـ/ 1036-7م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص280، ج3، ص1990).

(78) تُوفّي سَنَة 418هـ/ 1027م (انظر بروكلمان: ج1، ص181).

وكذا للحاكم على ما يُشْعِر به كلامُ ابن نُقْطة[79] في **التقييد**.

ورجال **أبي داود**، لأبي عليّ الجَبَاني.

وكذا رجال **التِّرْمذي**، ورجال **النَّسائي**، لجماعة من المغاربة.

ورجال الستة (الصَّحاح) لعبد الغني المقدسي في كتابه **الكمال**، وهَذَّبه المِزِّي في **تهذيب الكمال** ولخّصه جماعة، منهم الذَّهبي في **التذهيب** و**الكاشف** وشيخنا في **التهذيب** و**التقريب** وذَيَّل على المِزِّي مُغُلْطاي، وجمع بين المِزِّي وشيخنا بنصِّهما مع زيادات، التقيُّ ابن فهد وسمَّاه **نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب** وجَمَعَ ابن كثير بين **التهذيب** و**الميزان** كما تقدّم[80].

ولابن عساكر شيوخ الأئمّة الستة سمّاه **الشيوخ النُّبُل**[81].

وللذَّهبي أسماء من أخرج لهم أصحاب الكُتُب الستة في تواليفهم سواها مِمّن لم يذكرهم في **الكاشف**.

وأفرد الزَّيْن العراقي رجال ابن حِبّان، وكذا رجال الدّارَقُطْني.

وعبد القادر الحَنَفي رجال **العُمْدة** (لعبد الغني الجَمّاعيلي) وسمَّاه **الإلمام**.

ولبعضهم أسماء من له ذكر أو رِواية في **المِشكاة**[82].

وللنَّوَوِي **تهذيب الأسماء واللُّغات** الواقعة في كُتُب مخصوصة من كُتُب

(79) محمد بن عبد الغني المُتوفَّى سَنَة 629هـ/ 1231م (انظر بروكلمان: ج1، ص355، 358، **الملحق** ج3، ص1219، وطبعة **التَّكْملة** لابن الصابوني، انظر أدناه ص628 هامش 563).

(80) **الإعلان**: ص110 فما بعد.

(81) ياقوت: **إرشاد**، ج13، ص79 (طبعة القاهرة، ج5، ص142، طبعة مارغليوت) **مُعجم الشيوخ النُّبلاء**؛ المِزّي: **تهذيب الكمال**، المُقدّمة (مخطوطة القاهرة، مصطلح الحديث 25): **المشايخ النُّبُل**. تُوجد مخطوطة من الكتاب في صنعاء. وقد طبع سعيد الأفغاني الأقسام الخاصة عن ابن حزم وعن عائشة، دمشق 1360هـ/ 1941م (انظر: **مجلة المجمع العلمي العربي** بدمشق، مجلد 16، ص387-407) و1364هـ/ 1945م.

(82) الظاهر أنه **مِشكاة المصابيح** الشهير لمحمد بن عبدالله الخطيب التِّبْريزي المُتوفَّى سَنَة 743 هـ/ 1342م (انظر بروكلمان: ج1، ص364، ج2، ص195).

المذهب، قال إنه استمدَّ فيها من كُتُب الأئمّة الحُفّاظ الأعلام المشهورين بالإمامة في ذلك والمُعتمدين عند جميع العُلماء، كـ **تاريخ البُخاري**، وابن أبي خَيْثَمة، وخَلِيفة بن خَيّاط المعروف بشَبّاب[83] **والطبقات الصُغرى والكُبرى** لمحمد ابن سعد كاتب الواقدي، وهو ثِقة، وإن كان شيخه الواقدي ضعيفاً. ومن **الجَرْح والتعديل** لابن أبي حاتم، **والثِّقَات** لابن حِبّان بكسر الحاء، **وتاريخ نيسابور** للحاكم **وتاريخ بغداد** للخطيب، وهَمَذان ولم يُعيِّن مُؤلّفه، **ودمشق** لابن عساكر، وغيرها من كُتُب التواريخ الكِبار، ومن كُتُب أسماء الصحابة **كالاستيعاب** لابن عبد البَرّ وكُتُب ابن مَنْدَه، وأبي نُعَيْم، وأبي موسى، وابن الأثير، وغيرها. ومن كُتُب المغازي والسِّيَر، ومن كُتُب ضَبْط الأسماء **كالمُؤتَلِف والمُخْتَلِف** للدّارَقُطْني، وعبد الغني بن سعيد، والخطيب وابن ماكُولا[84]، وغيرها. ومن كُتُب **طبقات الفُقهاء** لأبي عاصم العَبّادي، ولأبي إسحاقَ، ولأبي عمرو بن الصَّلاَح، وهو مُقَطَّعات وقد شرعتُ في تهذيبها وترتيبها، وهو نفيس ولم يُصنَّف مثله ولا قريبٌ منه، ولا يُغني عنه في معرفة الفُقهاء غيرُه، ويَقْبُح بالمُنتسب إلى مذهب الشافعي[85] رضي الله عنه جَهْلُه.

وللبَدْر العَيْني رجال **شرح معاني الآثار** للطَّحَاوي[86].

وللزَّيْن قاسم الحَنَفي[87] **رجال** كُلٍّ من الطَّحَاوي والمُوَطّأ لمحمد بن الحسن (الشَّيْباني)[88] والآثار له، ومُسْنَد أبي حنيفة لابن المُقْرئ[89] **وزوائد**

---

(83) عن لقبه «شَبّاب» [ما هو ضبط الكلمة؟] (**الفِهرِست**، ص324 طبعة القاهرة، 1348هـ، ص232، طبعة فلوجل حيث يذكر خطأً «شَبِيب»). انظر: المرجع أعلاه، ص321، هامش 1.

(84) عليّ بن هبة الله المُتوفّى حوالى سَنَة 485هـ/ 1092-3م (انظر بروكلمان: ج1، ص354 فما بعد).

(85) انظر: النَّوَوي، ص7 فما بعد طبعة وستنفلد (غوتنغن 1842-7م).

(86) أحمد بن محمد المُتوفّى سَنَة 321هـ/ 933م (انظر بروكلمان: ج1، ص173 فما بعد).

(87) القاسم بن عبدالله بن قُطْلُوبُغا المُتوفّى سَنَة 879هـ/ 1474م (انظر بروكلمان: ج2، ص82).

(88) تُوفّي سَنَة 189هـ/ 804-5م (بروكلمان: ج1، ص171-3، **الملحق**، ج1، ص291).

(89) انظر أدناه: ص378، هامش 2.

رجال **كُلٍّ من المُوَطّأ ومُسْنَد الشافعي وسُنَن الدّارَقُطْني** على الستة، ولأبي إسحاق الصَّرِيفِيني[90] رجال كُتُب عشرة.

وكذا لابن المُلَقِّن.

وللمُعِين أبي بكر بن نُقْطَة، تراجم الرُّواة الذين اتصلت من طريقهم الكُتُب الستة وغيرها من الكُتُب والمسانِد، وسمّاه **التقييد** وذَيَّلَ عليه التَقيّ الفاسي المَكِّي. وكلٌّ منهما في مُجلّد.

ولشيخنا **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمّة الأربعة** في مُجلّد. وسبقه الشمس الحُسَيْني فجمع **التَذْكِرة في رجال العَشَرَة**، واختصر **التهذيب** وحذف منه من ليس في الستة، وأضاف إليهم مَنْ في **المُوَطأ، والمُسْنَد** لأحمد، **ومُسْنَد** الشافعي، **ومُسْنَد** أبي حنيفة الحارثي[91].

إلى غيرها ممّا يطول ذِكْرُه ويَعْسُر حَصْرُه.

قال الخطيب في **جامعه**: «ومن جُملة ما يهتمّ به الطالب سماع تواريخ المُحَدِّثين، وكلامهم في أحوال الرواة، مثل كُتُب ابن مَعِين راوية الحسين بن حِبّان البغدادي[92]، وعباس الدُّوري، والمُفَضَّل الغَلّابي، وتاريخ ابن أبي خَيْثَمة، وحَنْبل بن إسحاق[93]، وخليفة بن خَيّاط، ومحمد بن إسحاق السَّرّاج[94]

---

(90) الظاهر أنه إبراهيم بن محمد المُتوفّى سَنَة 641هـ/ 1243م (ابن رافع: **المُنْتَخَب المُخْتار، تاريخ عُلماء بغداد** (ص14-16، بغداد 1357هـ/ 1938م).
أما «الأربعة كُتُب» الإضافية فقد ذُكرت في وسط هذه الصحيفة.

(91) أي «للحارثي»، «عبدالله بن محمد» المُتوفّى سَنَة 340هـ/ 952م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص286؛ عبد القادر القُرَشِي: **الجواهر المُضِية**، ج2، ص289 فما بعد حيدرآباد، 1332هـ). إنّ وصف كتاب الحُسيني لم يُؤخذ مُباشرة من مُقدّمة **التعجيل** بل من ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج4، ص61؛ وعلى ما يَذْكر **الدُّرر** رُبّما كان ابن كثير مصدر معلوماته، غير أنّ هذه المعلومات لا تُوجد في ابن كثير (**البداية**، ج14، ص307 فما بعد).

(92) تُوفّي سَنَة 232هـ/ 847م (**تاريخ بغداد**، ج8، ص36).

(93) تُوفّي سَنَة 273 ـ 886هـ (**تاريخ بغداد**، ج8، ص286 فما بعد).

(94) تُوفّي سَنَة 317هـ/ 929 ـ 30م (**تاريخ بغداد**، ج1، ص248 فما بعد) وقد ذكر تاريخه في **تاريخ بغداد** ج1، ص250، سطر 12.

وأبي حَسّان الزِّيادي[95]، وأبي زُرْعة الدمشقي، وكتاب **الجَرْح والتَعْديل** لابن أبي حَاتِم، قال ويَرْبَى على هذه كُلّها **تاريخ** البُخاري. ثم ساقَ عن أبي العباس بن عُقْدَة قال: «لو أنّ رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عنه»[96] انتهى.

أو (مُؤرّخون اقتصروا) على أهل فنّ مخصوص، كالمُؤتَلِف والمُختْلِف، أو المُتَّفِق والمُفْتَرق، أو الكُنَى، أو الأنساب، أو الألقاب، أو المُبْهَمات، أو المُهْمَلات، أو من عُرف بأبيه، أو أمه، أو الإخوة والأخوات أو السابق، أو اللاحق، أو الوُحْدَان، أو من يروي عن أبيه عن جده، أو عن شخص مخصوص، كالرُّواة عن الزُّهْري. وكذا من روى من التابعين عن عمرو بن شُعَيْب[97] لعبد الغني بن سعيد، ومن الصحابة عن التابعين كما تقدّم[98]، وعن مالك للدّارَقُطْني، والخطيب وهو أحفظها، وابن فِهْر[99]، وأبي سعيد بن يونس، وأبوي القاسم بن شعبان[100] وابن الطّحّان[101]، ولأبي القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى اللَّخْمي[102] في **المسالك في أسماء أصحاب الإمام مالك** في كُرّاسة، وللرشيد العَطّار[103] في **الأعلام** وعن البُخاري ومُسْلِم، في تصنيفين للضياء.

---

(95) الحسن بن عثمان المُتوفَّى سَنَة 242هـ/ 856م (**تاريخ بغداد**، ج7، ص356 فما بعد). **الفِهرست**، ص160 طبعة القاهرة، ص110، طبعة فلوجل، وهو يذكر أنه تُوفّي سَنَة 243هـ/ 857-8م، ويُكْثِر **تاريخ بغداد** والمُؤرّخون القُدماء الاقتباس منه كمصدر.

(96) انظر: ابن حَجَر، **التهذيب**، ج9، ص48.

(97) من عُلماء تابعي التابعين تُوفّي سَنَة 118هـ/ 736م (البُخاري، **التاريخ**، ج4، قسم 1، ص237؛ ابن حَجَر: **التهذيب**، ج8، ص48 فما بعد)؛ انظر: النَّووي، ص476، طبعة وستنفلد.

(98) **الإعلان**: أعلاه ص333.

(99) الظاهر أنه أبو الحسن عليّ بن الحسن بن محمد بن فِهْر الفِهْري الذي ذكره السَّخاوي في **الجواهر والدُّرر**، أدناه، ص512.

(100) يذكر **الجواهر** شخصاً اسمه أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان، وقد تُوفّي سَنَة 355هـ/ 966م، انظر ابن فَرْحُون، **الديباج**، ص231 فما بعد (فاس) 1316هـ.

(101) يحيى بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 416هـ/ 1025-6م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص571).

(102) تُوفّي سَنَة 629هـ/ 1231-2م (انظر بروكلمان: ج1، ص303).

(103) يحيى بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 662هـ/ 1264م (ابن كثير: **البداية**، ج13، ص243).

8 ـ المعاجم والمشيخة

أو ضدّه كشيوخ لشخص مخصوص، ويُسمّى مُعْجَماً، وهو ما يكون على الحُروف، أو مَشْيَخة وهو أعمّ من ذلك، أو على البُلدان وهو قليل بالنسبة إلى الأوَّلَين. ثم تارةً يكون هو الجامع لشُيوخه، وتارةً غيره، ولا أستبعد زيادتهم على الألف. ولم أرَ في استيفائهم فائدة، سيَّما وجُلُّهم لم يُترجم الشيوخ، ككثيرين ممّن جمع على الفُنون، مع استيفائي لجُلِّهم في **فَتْح المُغِيث**.

ومنهم السِّلَفي له **مُعْجَم بغداد** و**مُعْجَم أصْبهان** و**مُعْجَم السَفَر**.

وعِيـاض.

وأبو سعيد بن السَّمْعاني في **التخبير**[104].

ومن قبله أبوه أبو المظفر[105] وأبو المواهب بن صَصْرى[106].

وابن عساكر بل له **مُعجم النَسْوان** أيضاً.

وابن النجّار لبغداد خاصة ولغيرها.

والحافظ عز الدِّين بن الحاجب الأَمِيني[107].

والمُنْـذِري.

والرشيد العَطّار.

وابن مَسْـدِي.

والدِّمياطـي.

---

(104) انظر حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج5، ص630، رقم 12384، طبعة فلوجل، وقد يكون من المُمكن نظرياً «تحبير» بالحاء.

(105) أي جَدّ السِّمْعاني وهو منصور بن محمد المُتوفَّى سَنَة 489هـ/ 1096م (انظر السَّمْعاني: **أنساب**، ص308أ).

(106) الحسن بن هِبة الله المُتوفَّى سَنَة 586هـ/ 1190-1م (الذَّهبي. **دُوَل الإسلام**، ج2، ص73، حيدرآباد، 1364-5هـ)، إلا إذا كان المقصود شخصاً آخر من هذه العائلة التي ظهر منها عدد من الشخصيات البارزة في القرن السابع ـ الثالث عشر. أما ضَبْط لفظ اسم الأسرة، فهو مأخوذ من بروكلمان، ج2، ص28.

(107) عُمَر بن الحاجب، وقد نَقَل من مُعْجَمه ابن رافع في **مُنْتَخَب المختار تاريخ عُلماء بغداد**، ص120، 132 (بغداد 1357هـ-1938م).

والقُطْب الحلبـي.

والبِرْزالـي.

وأبو حَيّـان.

والذَّهبي في ثلاثة، كبير ولطيف ومُختصر، وخرَّجه العلاء عليّ بن إبراهيم ابن داود بن العطار[108].

ومُعجم ابن حبيب[109]، وهو بخطّ الذَّهبي في المُؤيّدية[110].

وابن العَدِيـم.

والتَّقِّي بن رافع.

والمجد إسماعيل الحَنَفي.

والجَمَال بن ظُهَيْرة[111]، تخريج الأقْفَهْسي.

والبُرْهـان الـحـلـبي جـمـع شـيـخـنـا، وابـن فـهـد[112]، وشـيـخـنـا لـنـفـسـه، ولـلـتَّنُـوخي[113]، والقُبَابي[114]، ومريـم الأَذْرَعية[115]، وغيرهـم. والـجَمـال بن

(108) تُوفّي سَنَة 724هـ/ 1324م (انظر بروكلمان: ج1، ص85)، وينبغي أن يُصلح نصّ الإعلان الذي يقول إنّ علاء الدِّين نشر **مُعجم الذَّهبي** على الشكل الذي أثبتناه، انظر: ابن حجر: **الدُّرَر**، ج3، ص6.

(109) الحسن بن عمر المُتوفَّى سَنَة 779هـ/ 1377م (انظر بروكلمان: ج2، ص36 فما بعد) ولمّا كان مُدَرِّساً لابن خطيب الناصرية، لذلك كثيراً ما كانت كُتُبه يقتبس منها، وله ترجمة طويلة في **الدُر المُنتخب وتَكْملة تاريخ حلب**.

(110) لا تزال المُؤيّدية من أشهر آثار القاهرة، وقد أكملت سَنَة 819هـ/ 1416-7م. انظر: السيوطي: **حُسْن المُحاضرة**، ج2، ص194 فما بعد (القاهرة 1299هـ).

(111) محمد بن عبدالله 751-817هـ/ 1351-1414م (**الضَّوء اللامع**، ج8، ص92-5).

(112) انظر: **الضَّوء اللامع**، ج1، ص140.

(113) إبراهيم بن أحمد 709-800هـ/ 1309-1398م. (ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج1، ص11 فما بعد).

(114) عبد الرحمن بن عُمَر 749-738هـ/ 1348-1434م (**الضَّوء اللامع**، ج4، ص113 فما بعد).

(115) مريم بنت أحمد 719-805هـ/ 1309-1402م (**الضَّوء اللامع**، ج12، ص124).

موسى للزين أبي بكر المَراغي[116]، وابن فَهْد لنفسه ولأبيه، ولابن المَرَاغي[117]، وخَلْقٍ، والمُصَنِّف لنفسه وهو في ثلاث مُجلّدات، وللرَّشِيدي[118]، والشهاب العَقَبي[119]، والتَّقي الشُّمُنِّي[120] وغيرهم. ومن القُدماء في ذلك أبو يوسف يعقوب الفَسَوي، رتَّبهم على البُلدان التي دخلها.

ثُمّ الحافظ أبو يَعْلَى المَوْصِلي[121].

ثُمّ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة الأصْبَهاني[122].

ثُمّ الطَبَراني في مُعجميه **الأوسط** و **الصغير**.

وأبو أحمد بن عدي الجُرْجَاني.

وأبو بكر الإسماعيلي[123].

وأبو الشيخ وأبو أحمد العَسّال وأبو بكر بن المُقرئ[124] وغيرهم من طبقتهم.

ومن بعدهم أبو نُعَيْم الأصبهاني.

---

(116) أبو بكر بن الحسين تُوفّي سَنَة 816هـ/ 1414م (انظر بروكلمان: ج2، ص172).

(117) الظاهر أنه محمد بن أبي بكر (أعلاه، ص326) كما يذكر **الضَّوء اللامع**، ج7، ص164 **معجمه** لابن فهد؛ غير أنّ **الضَّوء اللامع**، ج7، ص161 يقول إنّ أخاه، الذي يحمل نفس اسمه، كان معروفاً باسم ابن المَراغي. وتذكر مخطوطة ليدن «ابنا المَراغي».

(118) محمد بن عبدالله 767-854هـ/ 1366-1450م (**الضَّوء اللامع**، ج8، ص101 فما بعد).

(119) أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 861هـ/ 1457م (**الضَّوء اللامع**، ج8، ص212 فما بعد).

(120) أحمد بن محمد 801-872هـ/ 1399-1469م. (انظر بروكلمان: ج2، ص82).

(121) الظاهر أنه أحمد بن عليّ بن المُثَنّى المُتوفَّى سَنَة 307هـ/ 919-20م. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص258).

(122) تُوفّي سَنَة 353هـ/ 964م (أبو نُعَيْم: **تاريخ أصفهان**، ج1، ص99 فما بعد طبعة ديدرنغ، لندن 1951-4م).

(123) أحمد بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 371هـ/ 981-2م. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص275).

(124) محمد بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 281هـ/ 894م. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص272) وينبغي أن يكون قد عاش في القرن العاشر.

وأبو الحُسَيْن بن جُمَيْع[125].

وأبو ذرّ الهَرَوي[126].

وأبو عليّ بن شاذان[127].

وأبو الحسين بن المُهتْدَي بالله[128].

وأبو عبدالله القُضَاعي.

9 ـ كتب عن المُسَمَّيْن باسم خاص:

أو المُسَمَّوْن باسم خاص كمن اسمه عطاء للطَّبَراني[129].

---

(125) محمد بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 402هـ/ 1011-2م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص259؛ **تاريخ بغداد**، ج2، ص14 سطر 10) وقد أشار إلى مُعجمه السَّمْعاني في **الأنساب**، ص315ب، 521أ O.Lofgren المصدر الآنف (أعلاه. القسم الأول، ص50، هامش 2)، ج2، ص164. ويذكر بروكلمان ولوفغرين عمرو وياقوت: **مُعجم البُلدان**، ج3، ص434، 440 طبعة وستنفلد، «جُمَيْع». ثُمّ إنّ الحسن بن يوسف الحلّي (في الطُّوسي: **الفِهرِس**، ص243، طبعة شبرنغر Sprenger، كلكتا، 1854م) يذكر شخصاً اسمه عمرو بن جُمَيْع الأَزْدي (هكذا لفظه). أما الطبيب المشهور في القرن الثاني عشر فيُسمّيه بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص892 «جُمَيْع» (بضم الجيم وفتح الميم وسكون الياء)؛ وجُمَيِّع (بتشديد الياء) ديللا فيدا.
G.L. Della Vida. *Elenco dei manoscritti arabi Islamici della Bibliotaeca Vaticana* No. 308 C Città del Vaticano 1935 *Studi e testi 67.*
غير أنّ شعراً لابن المُنَجِّم أورده ابن أبي أُصَيْبِعة، ج2، ص114، طبعة مولر، يُبيِّن بوضوح أنه ابن جَمِيع. وهذا الاسم له نفس معنى «جماعة»، ومن المُمكن أنَّ الاسمين ذُكرا معاً «جُمَيْع» (بضم الجيم وفتح الميم وسكون الياء) و«جُمَيِّع» (بتشديد الياء).

(126) عبد بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 434هـ/ 1043م (**تاريخ بغداد**، ج11، ص141). انظر: J. Fuck in *ZDMG* XCII 72 ff.

(127) الحسن بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 426هـ/ 1034م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج8، ص86 فما بعد).

(128) محمد بن عليّ وهو من مصادر الخطيب البغدادي (انظر: **تاريخ بغداد**، ج3، ص8، 235)، ويظهر أنه كان لا يزال حياً في سَنَة 465هـ/ 1072-3م (ابن الجَوزي: **المُنْتَظَم**، ج8، ص282. انظر أيضاً، ج8، ص171، 190، 246؛ السَّمْعاني: **أنساب**، ص351ب.

(129) كُلٌّ من هذه الكُتُب، ما عدا كتاب الطَّبَراني، تُؤلَّف على أسماء أصحابها. أما كتاب عِوَض فقد ألَّفه عِوَض بن نصر المُتوفَّى سَنَة 747هـ/ 1347م الذي قال له أحد تلامذته إنّ =

أو عبد المُؤْمِن للدِّمياطي.

أو عِوَض وسَمّاه مُؤلّفه **عِوَض شفاء المَرَض فيمن سُمِّي بِعِوَض**.

أو أبو الفضل أحمد لشيخنا في آخرين.

10 ـ المُعَمِّرون والشُّبّان

أو على المُعَمِّرين في الجاهلية وصدر الإسلام، وهم غير واحد من الإخباريين، أو في الإسلام كالذَّهبي، في كُرّاسة. وشيخنا.

أو على الشُّبّان كابن عساكر في جُزء (كتب عن أشخاص في وقت مخصوص).

أو على وقت مخصوص كـ **عُنْوان أو أعْوان النَّصْر في أعيان العَصْر** للصلاح الصَّفدي، ستة مُجلّدات.

ومجاني الهَصْر في أعيان العَصْر لأبي حَيّان، بل له **النِّضَار في المَسْلاَة عن نِضَار، ابنته**، مفيد، وهو شبه **الرحلة**[130].

وذَهَبِية القَصْر في أعيان العَصْر للشهاب بن فضل الله[131].

والتّقيّ المَقْرِيزي في **العُقُود الفريدة** في مُجلّدين، **والدُّرَر الكامِنَة في أعيان المائة الثامنة** لشيخنا.

= اسم «عِوَض» غير مذكور في القرآن (وهذا غير صحيح) وأنه لا يُوجد أيّ علم آخر له هذا الاسم. انظر: ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص199 فما بعد. ولعلّ السَّخاوي ذكر لُغويين قُدماء لهم مثل هذه الكُتُب: انظر: ابن الجَرّاح **من اسمه عمرو من الشعراء الجاهليين والإسلاميين** (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص225).
Bräu'in *Sitzungsberichte, Akademie der Wissenschaften*, Vienna, Phil-hist. KI. CC III, 4 1927.

(130) ذكر أبو حَيّان رحلاته في **النِّضار** غير أنّ الإشارة هنا إلى **رحلة ابن رُشَيْد**، انظر: **الإعلان** ص162. أما **المَجاني** فقد اقْتُبَس منها ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج2، ص411 فما بعد، ج3، ص209، 440 فما بعد.

(131) نقل منه مثلاً: ابن حَجَر في **الدُّرَر** ج1، ص71، 259، 346، 475، 531 فما بعد. ج2، ص40، 45، 105 فما بعد. وكذلك على ما يظهر في مُعظم الحالات التي اقْتُبَس فيها من ابن فضل الله دون ذكر اسم الكتاب.

والضَّوء اللامع لأهل القرن التاسع لكاتبه.

ونحوه من جمع على دولة مخصوصة **كالرَّوضتين في أخبار الدَّوْلَتين** لأبي شامة، **والذَّيْل** عليه له، وهما مُشتملان على الحوادث أيضاً. وللسان الدِّين بن الخطيب **طُرْفَة العَصْر في دولة بني نَصْر** ثلاث مُجلّدات، **ورَقْم الحُلَل في نَظْم الدُّوَل** أُرْجُوزة.

ولأبي بكر بن عبدالله بن أَيْبَك الدَّوَادَاري(132) ـ **النُّكَت المُلُوكية إلى الدولة التركية** في مُجلَّد بخطّه في الكُتُب الفَهْدية.

وللبدر حسن بن عمر بن حبيب **دُرَّةُ الأسْلاَك في دولة الأتراك** سَجْعٌ كلُّه. وذَيَّل عليه ولده طاهر(133).

وللمَقْرِيزي **السلوك** في أربعة مُجلّدات، اقتصر فيه على من ملك مصر بعد زوال الدولة الفاطمية وانقراضها من المُلوك الأكراد الأيوبية، والسلاطين المماليك التركية والجركسية، وما وقع في أيامهم من الحوادث بالاختصار، ويذكر في كُلّ سَنَة ما شاء الله من الوَفَيَات. وانتهى إلى سَنَة وفاته. وذَيَّلْتُ عليه في **التِّبْر المسبوك**، وكذا ذَيَّلَ عليه غير واحد من المُهْملين ممّن لا يُوثق بهم ولا يُعتمد عليهم.

11 ـ تراجم الأفراد

أو اقتصر على إفراد شخص مخصوص وقد عقدتُ آخر **الجَواهِر والدُّرَر** لذلك خاتمة لم أُسْبَق إليها اشتملت على من أفرد السيرة النبويَّة، وغير نبيِّنا ﷺ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن الصحابة رضي الله عنهم، ومن الخُلفاء، ومن الأئمة المَتْبوعين، ومن المُلُوك، ومن غيرهم من العُلماء،

---

(132) بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص44، وقد بدأ كتابه **كنز الدُّرَر** في سَنَة 709هـ/ 1309م؛ أما قبل ذلك فقد ألَّف في **الأدب** مُختارات (مُصوّرة القاهرة)، تاريخ، 2578، ج1، ص247.

(133) تُوفّي سَنَة 808هـ/ 1406م (**الضَّوء اللامع**، ج4، ص3-5) حيث يذكر أنّ اسم أبيه «الحُسَيْن». وتذكر مُلاحظة في هامش سَنَة 778 من مخطوطة البودليان or. Marsh 319 (نسخة مِنْ؟) نسخة بخطّ يد طاهر. أما ذَيْله فقد نقل منه ابن خطيب الناصرية.

والحُفّاظ، والمُحَدِّثين، والزُّهّاد، والشُّعراء، فليُراجَع من ثَمّ[134].

ومن التصانيف ولي في ذلك.

لأصحاب الكُتُب الستة عند خَتْم كُلٍّ منهم.

ولابن هشام عند خَتْم سيرته.

وكذا لابن سَيِّد الناس أيضاً.

وللبَيْهَقي عند خَتْم **الدلائل**.

ولعِياض عند خَتْم **الشِّفَاء**.

وللنَّوَوي، وهي حافلة.

وللعَضُـد[135].

ولابن هشام النَّحوِي[136].

ولشيخنا، وهي في مُجلَّدين أو مُجلَّد، نفيسة جداً، والخاتمة المُشار إليها في آخرين، بل أفردتُ في ابن عَرَبي مُجلَّداً[137] وحاصله في كُرّاسة، وغير ذلك. كُلّ هذا سوى تصانيفي في هذا السبيل ممّا أشرتُ إليها مُفَرَّقة.

كـ **التِّبْر المسبوك في الذَّيل على السلوك** المُشتمل على الوَفَيَات والحوادث من سَنَة خمس وأربعين وثمانمائة (1441 ـ 2م) إلى آخر الوقت، في مُجلَّدات. و **وَجِيز الكلام في الذَّيْل على دُوَل الإسلام** اشتغل عليهما، باختصار جداً، إلا في السنين المُتأخّرة، وهو من سَنَة خمس وأربعين وسبعمائة (1444 ـ 5م) إلى الآن في مُجلّد أو اثنين.

---

(134) مخطوطة باريس، ar. 2105، ص292ب-298أ؛ وقد يكون من المُفيد أيضاً أن نُورده هنا، غير أنّ السَّخاوي يذهب إلى حدٍّ كبير إلى إقليم معروف، انظر: النّص العربي، ص507-527 أدناه.

(135) لعلّه عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المُتوفَّى سَنَة 756هـ/ 1355م (انظر بروكلمان: ج2، ص208 فما بعد؟).

(136) عبدالله بن يوسف المُتوفَّى سَنَة 761هـ/ 1360م (انظر بروكلمان: ج2، ص23-25).

(137) انظر: 503، هامش (309) في هذا الكتاب.

والذّيل على **القُرّاء** لابن الجَزَري.

وعلى **قُضَاة مصر** لشيخنا كُلٌّ منهما في مُجلّد.

والضَّوء اللامع لأهلِ القَرْنِ التاسع في خمس مُجلّدات.

والشفاء من الأَلَم في وَفَيَات هذين القرنين الأخيرين من العرب والعَجَم.

ومُعجم من حَمَلْتُ عنه في ثلاثة مُجلّدات ضخمة.

وجُملة كالكُنَى والألقاب كلٌّ منهما في مُجلَّد.

وأرجو من الله تعالى خاتمة خير، وإصلاح فساد القلب.

12 ـ التواريخ المحلّية[138]

أو على أهل بلد مخصوص، وقد رتَّبْتُ من عَلِمْتُه صَنَّف في ذلك على

---

(138) لم يكن السَّخاوي أول من ذكر قائمة بالتواريخ المحلّية، غير أنّ هذه لم يعملها أحد تقريباً قبل القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي، ولو كان بالإمكان أن يعملها عُلماء القرن الحادي عشر من أمثال ابن حَزْم لِيُظهروا كيف أنّ قليلاً منها كان موجوداً. انظر رسالة ابن حَزْم في المَقَّري: **نفح الطِّيب**، ج2، ص108-21، طبعة دوزي Dozy وآخرين (ليدن 1855-61م). كما أنّ البَيْهَقي يذكر في **تاريخ بَيهَق**، ص20 فما بعد (طهران 1317هـ) بعض التواريخ المحلّية. وقد أورد ابن الفُوطِي قائمة بتواريخ محلّية في أحد كُتُبه التاريخيَّة (انظر: ابن حَجَر، **الدُّرَر**، ج2، ص365)؛ وكذلك أَورد السُبكي قائمة في مُقدّمة كتابه **الطبقات الصغرى** (مخطوطة البودليان Or. Marsh 328)، وكذلك ابن حَجَر في كتابه **المُعجم المفهرس**، مخطوطة القاهرة، مُصطلح الحديث 82، ص152-6.
أما قائمة التواريخ المحلّية التي أوردها ابن الخطيب في مقدّمة **الإحاطة** ج1، ص5-7 (القاهرة 1319هـ)، فقد كانت المصدر الرئيس للسَّخاوي عن التواريخ المحلّية لغربي العالم الإسلامي. وأشمل قائمة قبل السَّخاوي، وهي التي اعتَمد عليها إلى حدّ كبير هي التي أوردها الصَّفَدي في **الوافي** ج1، ص9-47، طبعة ريتر، انظر الترجمة التي قام بها:
E. Amar. «Prolégomènes à L'étude des historiens arabes par Khalil Ibn Aibak aṣ-Ṣafadi» in *JA X*, 17, 251-308, 465-531 (1911) X 18, 5-48 (1911) X 19, 243-79 (1912) CF. also Ritter in *Oriens* III, 70 ff. 1950).
ولعلّه لا تُوجد قائمة أكثر تفصيلاً وأحسن تنظيماً ممّا فعله السَّخاوي، بما في ذلك ما فعله حاجي خليفة المُتأخّر في **كشف الظنون**، ج2، ص106 فما بعد، والذي قدّم في بعض النواحي معلومات أوفر، لكنه في نَواحٍ أُخَر كانت معلوماته أقلّ بكثير =

ترتيب حُروف المُعْجَم في البلاد. كـ **أبِيوَرْد** لأبي المُظَفَّر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الأَبِيوَرْدي الأديب[139] في كتاب لطيف[140] سَمّاه (نُزْهَة؟) **الحُفّاظ** وضمَّ إليها نَسَا وكُوفَنْ وغَازِيان وغيرها من أُمّهات تلك الناحية. قاله ابن العَدِيم ولعله المشار إليه في خُرَاسان.

و(**آذَرْبَيْجان**) لابن أبي الهَيْجاء الرَّوّاد[141].

و(**أرّان**) للبَرْذَعي[142].

و(**إرْبِل**) لأبي البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب بن المُسْتَوفي[143]، وهو بخطِّه في خمسة مُجلّدات وأكثرُ مِنْ فيه مِنْ أُدباء ومُلُوك، واختصره سُلَيْمان بن عبدالله بن أبي الحسن الزَّنْجاني المَكّي.

= من معلومات السَّخاوي. وبالرَّغْم من ذلك، فإن قائمة السَّخاوي بعيدة عن الكمال؛ وكان بإمكان السَّخاوي توسيعها لو أتعب نفسه وفَحَصَ بِدِقّة المصادرَ التي كانت في مُتناوله؛ بل إنه حذف ذكر بعض الكُتُب التي أشار إليها في **الضَّوء اللامع**. غير أنه يجدر مُلاحظة أن السَّخاوي نفسه لم يعتبر قائمته كاملة مُنجزة. انظر أعلاه: ص196 فما بعد.

(139) تُوفّي سَنَة 507هـ/ 1113م. (انظر بروكلمان: ج1، ص253). ياقوت: **إرشاد**، ج17، ص253 (طبعة القاهرة وهي تختلف عن **التاريخ** من حيث إنّ فيها كتاب **نُزْهَة الحافظ**. وفي نُسخة السَّخاوي **بَهْرَة** وقد تحرّفت في بروكلمان إلى «بَهْجَة». «بَهْرَة» «بُهْرَة» (بضم الباء) وهي الأشكال المُحتملة.

(140) وقد تكون بمعنى «صغير وغير سميك»؟ ويصف السَّمْعاني: **أنساب**، ص559أ الكتاب بأنه ورقة واحدة.

(141) يذكر منورسكي:

V. Minorsky. *Ḥudûd al- ʿâlam* 395 f (Oxford-London 1937).

سِلْسِلَة جِب التذكارية، السِّلْسِلَة الجديدة 11، إنّ هذا المُؤلّف هو نفسه أبو الهيجاء بن رَوّاد الذي عاش في أواسط القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي.

(142) إنّ هذا المؤلِّف المذكور أيضاً في **الوافي** لم تُعرف هُويّته بعد. أما نسبته المكتوبة هنا، فليست مُؤكّدة.

(143) تُوفّي سَنَة 637هـ/ 1239م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص496) وقد نقل من **تاريخه** ياقوت أيضاً، انظر:

E. J. Heer. *Die historischen und geographischen Quellen in Jaqut's Geographischem Wörterbuch*, 36 (Strassburg 1898).

كما ذكره أبو شامة في **الرَّوْضَتَين**، ج2، ص15 (باريس 1898-1902م) Recueil des Croisades Historiens or. 5. الصَّفَدي: **الوافي**، ج1، ص286، طبعة ريتر، =

و(**أَسْتَرَاباذ**) لأبي سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس بن الحسن بن مَنَوَيْه الأسدي، وهو صاحب تاريخها أعني، **وأسْتَراباذ السَّمْعاني الإدريسي**[144] الأَسْتَراباذي.

ولأبي القاسم حمزة بن يوسف السَهْمي **تكْملة تاريخها**[145].

و(**إسكندرية**) لأبي المُظَفَّر منصور بن سَلِيم[146] **في أربع مُجلّدات**.

ولأبي الفضائل[147] (؟). وجمع فضائلها أبو عليّ الحسن بن عُمَر بن الحسن الصَّبّاغ[148].

= ومخطوطة البودليان Or. Seld. Arch. A. 20. (ترجمة سليمان بن بَنْيامان). قاضي شُهْبة، **الكواكب الدُرّية**، مُصوّرة القاهرة، تاريخ 1227، ص25، ومصدره أبو شامة.

(144) تُوفّي سَنَة 405هـ/ 1015م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص210، Storey. *Persian Literature* II, 371 السَّمْعاني، **أنساب**، ص22ب)؛ أما **تاريخ أسْتَراباد**، فقد ذكره السَّمْعاني: **الأنساب**، ص30أ ونقل منه في ص498أ. أما **تاريخ بغداد** ج10، ص302 فما بعد، ابن الجَوْزِي: **المُنتظَم**، ج12، ص273، فتذكر فقط **تاريخ سمرقند**؛ وقد استعمل هذا الكتاب كثيراً السَّمْعاني، ويبدو أنه هو المقصود حيثما ذكر السَّمْعاني المُؤلّف وأغفل ذكر عنوان الكتاب الذي يقتبس منه، مثلاً **أنساب**، ص55أ-ب، 65أ-ب، 92أ-119أ، 138أ، 189ب، 249أ، 261ب، 286أ، 296ب، 329ب، 403ب، 422ب، 443ب، 456أ، 470ب، 474أ، 480ب، 487أ، 546أ، 599أ، 600ب. انظر أيضاً Heer، المصدر السابق، ص40؛ R.N. Frye, in *Mélanges Fuad Köprülü* 166 (Istanbul 1953).

(145) طبعة كتابه **تاريخ جُرْجان** ص466 فما بعد (حيدرآباد، 1369هـ-1950م).

(146) تُوفّي سَنَة 673هـ/ 1275م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص573 فما بعد) ابن رافع: **المُنتخب المُختار**، **تاريخ بغداد**، ص31-229، بغداد، 1351هـ/ 1932-1358هـ.

(147) ؟ *leg* أبو [...] **في فضائل المدينة**.

(148) عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي، على ما يُستدل من سِلْسِلَة الرُّواة في أول كتاب **فضائل الإسكندرية**، مخطوطة القاهرة: تاريخ 1485؛ وهو يُدعى فيه أبا الحسن عليّ بن عمر بن [؟] الحسن بن أبي إسحاق الفقيه المعروف بابن الصَّبّاغ. أما تأليف الكتاب الذي في القاهرة والذي يرجع إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي، فيتطلّب الدراسة.
ويذكر ابن حَجَر في **المُعجم المُفهرَس**، مخطوط القاهرة، مُصطلح الحديث 82، ص157 و369: أبو عليّ الحسن... بن الصَّبّاغ.

ولمحمد بن قاسم بن محمد النُّوَيْري السَّكَنْدري المالكي(149) **صِفَةُ الكَائِنَة العُظْمى التي وقعت للفرنج في أول سَنَة** (سبع وستين وسبعمائةهـ ـ 1365م) حين مَلكوها ونَهَبوا أموالها وأسروا نساءها ورجالها، في ثلاث مُجلّدات. ولكنه استطرد فيها من شيء إلى شيء فإنه ابتدأه بصفة فتحها واستمرّ، بحيث كانت الواقعة في جانب ما ذكر كالشاملة.

و(**إشْبِيلية**) لأبي بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن قَسُّوم الإشبيلي(150) **مجالس الأبرار في مُعَاملة الخِيار**: يشتمل على أخبار صُلَحائها.

و(أصْبَهان) لأبي عبدالله حمزة بن الحسين المُؤَدِّب(151).

ولأبي بكر أحمد بن موسى بن مَرْدَوَيه(152).

---

(149) إنّ سَنَة وفاته غير معروفة؛ أما وصف ابن حَجَر للكتاب (**الدُرَر**: ج4، ص142، انظر بروكلمان، الملحق ج2، ص34) الذي استعاره من السَّخاوي، وهو أدقّ وصف. ومن سُوء الحظ إنني لم تُتَحْ لي فُرصة دراسة كُلّ الكتاب، فلم أدرس إلا بعضه.

(150) تُوفّي سَنَة 639هـ/ 1242م (انظر Pons Boigues, *Ensayo* 286، ابن الأبّار ص753 رقم 2142 (إضافات)، طبع كوديرا Codera, Madrid 1886-9 (*Bibliotheca Arabico-Hispana* 6). أما بروكلمان **الملحق** ج1، ص732، فيربط مُؤلّف هذا الكتاب بالفقيه المشهور ابن العربي الإشبيلي.

(151) المُؤلّف المشهور في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي (انظر بروكلمان: ج1، ص145) ويُشير حمزة نفسه إلى **تاريخ سِنِيّ مُلوك الأرض والأنبياء**، ج1، ص187، طبعة غوتولدت، سان بطرسبورغ ـ لايبزيغ 1844-8) إلى كتابه **تاريخ أصفهان**، والكتاب مُشار إليه عند الثعالبي في **يتيمة الدهر**، III, 125 (Damascus 1304)، وبالإضافة إلى المُقتطفات من **تاريخ أصفهان** المذكورة في بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص222، فإن هذا الكتاب يقتبس منه أيضاً مُفَضَّل ابن سعد المافَرُّوخِي في **كتاب محاسن أصفهان** (طهران 1312هـ/ 1933م) والرافعي في **التدوين**، مُصوّرة القاهرة، تاريخ، 2648، ص471.

(152) 323-410هـ/ 935-1019-20م أو 416/ 1025-6م، انظر:

E. Mittwoch in *Mitteilungen des Seminars für or. Sprachen, Westas. Studien* XII 116 (1909).

بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص411؛ وكتابه **تاريخ أصفهان** استعمله بكثرة السَّمْعاني في **الأنساب**، السَّمْعاني، ط الهند، 160-199 مثلاً ص38أ، 126أ، 132ب، 279أ، 307ب، 315أ، 324ب، 374أ، 390ب، 413ب، 433أ، 488ب، 542أ، 587أ، انظر أيضاً: ياقوت: **مُعجم البُلدان**.

F. J. Heer, op.cit. 37.

ولأبي زكريا يحيى بن أبي عمرو عبد الوهّاب ابن الحافظ أبي عبدالله مُحمَّد ابن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَة، هو وجَدُّه (أبو عبدالله)[153].

وأبي الشيخ ابن حِبّان.

وأبي نُعَيم أحمد بن عبدالله وهو أَجْمَعُها على الحُروف في مُجلّدين.

ولأبي بكر محمد بن أبي عليّ أحمد بن عبد الرحمن المُعَدِّل[154].

و(**أَشْبُونة**) لابن إدريس[155].

و(**إفريقية**) لإبراهيم بن القاسم بن الرَّقِيق القَيْرَواني الكاتب[156] في عِدّة مُجلَّدات.

ومحمد بن يوسف الوَرّاق[157].

---

(153) إنّ كتاب أبي زكريا اقْتُبَس منه مثلاً: القِفْطي: **إنباه الرواة** مُصوّرة القاهرة، تاريخ، 2579، ج2، ص34. السَّمْعاني: **الأنساب**، مثلاً: ص60أ، 64أ، 389أ، 477أ، 536أ؛ ياقوت، **مُعجم البُلدان**. انظر: F.J. Heer المصدر السابق، ص37، وهو يشكّ في وجود كتاب أبي عبدالله، ابن خَلّكان، ج3، ص145 ترجمة دي سلان. أما **تاريخ** أبي عبدالله، فقد اقْتُبَس منه السَّمْعاني في **الأنساب**، ص175ب.

(154) **كتاب قلائد الشرف في مفاخر أصفهان وأخبارها** لعليّ بن حمزة الأصفهاني. انظر: ياقوت. **إرشاد**، ج12، ص204 (طبعة القاهرة، ج5، ص201، طبعة مارغليوت) وهو أحد الكُتُب التي لم يذكرها السَّخاوي، ولعلّ عدم ذكره لها لأنها لم تبحث في المُحَدِّثين ولذلك لم ينتبه لها السَّخاوي ومصادره، غير أنه ما كان ينبغي له أن يُغْفِل **تاريخ أصفهان** للفيروزآبادي، انظر: **الضَّوء اللامع**، ج1، ص82 سطر 18.

(155) من الصَّعب أن يُقترَن بمُؤلِّف تواريخ أستراباذ وسَمَرْقند، لكن من المُؤكّد أن يُقرن بمُؤلف **تاريخ شقورة**، أدناه ص393. Pons Boigues, *Ensaya 395*. لم يعرف هذا المُؤلّف إلا من **الإحاطة**. إنّ الطبعة المُشوّهة المليئة بالأغلاط من كتاب **الإحاطة** تذكر **تاريخ أَشْبُونة** Estepona لأبي بكر محمد «بن إدريس»، يبدو أنّ مؤلفه (المُتوفَّى سَنَة 707هـ/ 1307م) لم يكن يُسمّى «ابن إدريس»، انظر: Pons Boigues, *Ensayo*, 314.

(156) وقد اقْتُبَس من هذا الكتاب أيضاً ابن حَجَر في **رفع الإصْر**، مخطوطة باريس، ar.2149 ص40ب.

(157) تُوفّي سَنَة 363هـ/ 973-4م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص233) إنّ كُتُب التراجم (الضَّبّي: **بُغية المُلْتَمِس**، ص131، مدريد 1885م *Bibliotheca Arabico-Hispana* 3، المَقّري، **نَفح الطِّيب**، ج2، ص113، طبعة دوزي وآخرين، ليدن 1855-61م) تذكر كُتُباً عن مُختلف مُدن المغرب ألَّفها هذا المُؤلّف؛ ولعلّها هي المقصودة هنا، لكن انظر: Pons Boigues (*Ensayo* 80 f).

وابن الدَّبّاغ الأنصاري[158] وكان في المائة السابعة من طبقة المُنْذِري.

ولأبي العَرَب محمد بن أحمد بن تميم التَّميمي القَيْرواني الحافظ، **طبقات عُلمائها**.

وعَمَلَ أبو بكر المالكي عُلماءَها، وكذا أَفْرَدَ عبادها[159].

و(**الأندلس**)[160] لأبي غالب الغَرْناطي[161].

ولأبي عبدالله الحُمَيْدي[162] وسماه **جَذْوَة المُقْتَبِس**.

ولأبي الوليد بن الفَرَضي **الاحتفال في تَراجم الرجال** يعني من أهله والواردين عليه، ابتدأه من أول المائة الثانية إلى آخر الأربعمائة.

وذُيوله لابن بَشْكُوال المسمى **بالصِّلَة**، ثم لأبي جعفر بن الزُّبَيْر[163] **والتَّكْملة** لأبي عبدالله محمد بن الأَبّار القُضَاعي الأَندلسي، ثم **الذَّيْل والتَّكْملة** لكتابي **المَوْصُول والصِّلَة** لقاضي الجماعة أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المَرّاكُشي[164] وهو حافل في مُجلّدات[165] ولأبي مروان حَيّان بن خَلَف بن

---

(158) يظهر أنه نفس مُؤلّف **تاريخ القَيْروان** أي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد رَغْم أنّ هذا تُوفّي بعد المُنْذِري بنصف قرن تقريباً.

(159) **تاريخ الأفارقة** أو **إفريقية** لمحمد بن الحارث (انظر أعلاه: ص344 هامش 4)، بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص232، وقد تجاهله السَّخاوي، لكن اقْتَبَس منه أيضاً عِياض في **المدارك**، مخطوطة القاهرة، تاريخ، 229، ص163ب، 167أ.

(160) عن قائمة ابن سعيد في مُؤرِّخي الأندلس. انظر: المَقَّري، **نَفْح الطِّيب**، ج2، ص122-4، طبعة دوزي ليدن، 1855-61م).

(161) قد يكون هو ابن غالب نفسه الذي اقْتَبَس المَقَّري من كتابه **فرحة الأَنْفس في أخبار أهل الأندلُس**، والذي قيل إنّ اسمه محمد بن أيوب الغَرْناطي (المَقَّري، **نَفْح الطِّيب**، ج2، ص104، 276، 417).

(162) محمد بن فتوح المُتوفَّى سَنَة 488هـ/ 1095م (انظر بروكلمان: ج1، ص328).

(163) أحمد بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 707هـ/ 1307-8م أو سَنَة 708هـ (ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج1، ص84 فما بعد).

(164) القرن السابع الهجري أي الثالث عشر الميلادي (انظر: Pons Boigues-*Ensayo* 414 بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص580).

(165) النّص الصحيح في مخطوطة ليدن.

حسين بن حَيّان الأندلُسي[166]، وهو في تصنيفين أكبرهما يسمى **المُبِين** في ستين مُجلّداً والآخر **المُقْتَبِس** في عشرة مُجلّدات.

ولأبي عمر بن عات[167] **رَيحانَة التَنَفُّس في عُلَماء الأَنْدَلُس**.

ولأبي عامر محمد بن أحمد بن عامر البَلَوي (الطَّرْطُوسي)[168] **دُرَر القلائد وغُرَر الفوائد في أخبار الأَنْدَلُس وأُمرائها وطبقات عُلمائها وشُعرائها**.

وأبو حَيّان زَنادِقَتها (؟).

وجمع أبو عبدالله بن حارث في الأندلسيين.

وأوّل من تملَّك الأندلس من الأُمويين المروانيين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص الأُموي المَرْواني، فأقام ثلاثاً وثلاثين سَنَة، وأقام بعده ابنه هشام، واستمرَّ المُلْك في أولاده إلى رأس الأربعمائة[169].

و(**باب الأبواب**) لمَمْسُوس (؟؟) الدَّرْبَنْدي[170].

(166) تُوفّي سَنَة 469هـ/ 1076م (انظر: بروكلمان، ج1، ص338) ويذكر **الإعلان** أبا سرور، وهو خطأ وصحيحه «أبو مروان»؛ أما **المُبِين** فيقول بروكلمان: إنه مذكور في الأماكن الأُخرى **المَتِين** (انظر أيضاً الصَّفدي: **الوافي**، ج1، ص49، طبعة ريتر).

(167) أحمد بن هارون المُتوفَّى سَنَة 609هـ/ 1212م انظر:
E. Levi Provençal. *La Péninsule Ibérique* 16 5 fn 3 Leiden 1938.

(168) تُوفّي سَنَة 559هـ/ 1164م (انظر: Pons Boigues, *Ensayo* 226 بروكلمان، ج1، ص499).

(169) توجد مُقتطفات أُخرى من التواريخ الأندلسية: فعِياض يقتبس عن أنساب أهل الأندلس من الرَّازي في كتابه **المدارك**، مخطوطة القاهرة، تاريخ، 2293، ج1، ص129أ.
كما أنّ كتاب **تاريخ الأندلس** لمحمد بن صالح المُعافِري القَحْطاني الذي تُوفّي بعد سَنَة 370هـ/ 980-1م (انظر: Pons Boigues, *Ensayo* 93) أشار إليه السَّمْعاني في: **الأنساب**، ص443ب، واقْتَبَس منه سِبْط ابن العَجَمي (المُتوفّى سَنَة 884هـ/ 1480م انظر: بروكلمان، ج2، ص70)، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، مخطوطة القاهرة (تيمور؟) تاريخ، 837، ص27.

(170) وعن الاقتباسات من التاريخ المجهول، **باب الأبواب** الذي أُنجز في حدود سَنَة 500هـ/ 1106م، قارن:
V. Minorsky. *Studies in Caucasion History*, p3, f163, London, 1953.

و(بَجاية) لابن الحاجّ[171] وفُضلاؤها خاصّةً للغُبْرِيني[172]. وبُخارى: الغُنْجار محمد بن أحمد البُخاري الحافظ[173]. واختصره السِّلَفي. والأصل عندي.

و(البصرة) لابن دَهْجان[174].

ولعُمَر بن شَبّة[175]، وهو في كُتُب المُحِبّ بن الشحنْة.

---

(171) محمد بن محمد المُتوفّى سَنَة 771هـ/ 1370م انظر: Pons Boigues, *Ensayo* 333.
A. González Palencia, *Historia de la Literatura Ar. - Espanõla* 194 Barcelona - Buenos Aires 1928.
ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج4، ص155-7.

(172) كذا: أحمد بن أحمد المُتوفّى سَنَة 714هـ/ 1315م (انظر بروكلمان: ج2، ص239).

(173) تُوفّي سَنَة 410هـ/ 1019-20م أو سَنَة 422هـ/ 1031م أو (حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص117، طبعة فلوجل) سَنَة 412هـ/ 1021-2م. انظر ياقوت: **إرشاد**، ج17، ص213 فما بعد (طبعة القاهرة، ج6، ص329، طبعة مارغليوت)، من السَّمْعاني: **أنساب** ص411ب.
وقد اقْتَبَس من تاريخ غُنْجار مثلاً: **تاريخ بغداد**، ج10، ص29. ابن بَشْكُوال: **الصِّلة** ص205، طبعة كوديرا Codera. السَّمْعاني: **الأنساب**: مثلاً ص18أ، 100أ، 227ب، 443ب، 508أ، 555أ؛ الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**؛ الطبقة التاسعة، رقم 23، طبعة وستنفلد، ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص355؛ كما أنّ الخَيْضَري استعمله (انظر «**الضّوء اللامع**»، ج9، ص119 سطر 16) انظر أيضاً: **تاريخ بغداد**، ص296، ج10، ص149، 297، ج12، ص256.
أما الإضافات التي عملها أحمد بن محمد الماماني (المُتوفّى سَنَة 436هـ/ 1045م)، فقد ذكرها السَّمْعاني في **الأنساب** ص487أ، 504أ؛ انظر ياقوت: **إرشاد**، ج5، ص213 (طبعة القاهرة، ج6، ص329، طبعة مارغليوت)، والذَّهبي في **طبقات الحُفّاظ** الطبقة الرابعة عشرة، رقم 2، طبعة وستنفلد، حيث يُدعى المُؤلِّف (أحمد) بن ماما الأصفهاني.
أما تاريخ بُخارى لمحمد بن جعفر النَّرْشَخي: انظر أيضاً السَّمْعاني: **أنساب**، ص74ب، فلم يعرفه السَّخاوي. ويذكر البَيْهَقي في **تاريخ بَيهَق**، ص21، **تاريخ بُخارى وسَمَرْقَند** لمُؤلّف اسمه سعد بن جَنَاح.

(174) دِهْقان انظر أدناه: ص557، هامش 259؟ ويذكر حاجي خليفة «وَهْجان».

(175) تُوفّي سَنَة 263هـ/ 876-7م أو سَنَة 264هـ (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص209) وهُناك مُقتبسات أُخرى من كتابه **تاريخ البصرة** اقْتَبسها ياقوت في **مُعجم البُلدان**.
انظر F.J. Heer المصدر السابق، ص32 ابن خَلِّكان، ج2، ص587، ج3، ص632، ترجمة دي سلان؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج3، ص127. =

و(**بغداد**) لأحمد بن أبي طاهر(176).

ولابن إسْفَنْدِيار(177).

وللخطيب أبي بكر، وهو أوسعها في عشرة مُجلّدات، وعليه مُعَوَّل مَنْ بَعْدَه. وذُيُوله لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السَّمْعاني المَرْوَزي في عشرة مُجلّدات فأقلّ، ثم ذَيَّل عليه أبو عبدالله محمد بن سعيد بن عليّ الدُّبَيْثي(178)، وهو عند السِّبْط (؟)(179) وبمكّة نُسختان، وللقَطِيعي(180)، ولابن النّجّار وهو أحفلها، أدخل فيه ما في كتاب ابن السَّمْعاني وابن الدُّبَيْثي، وزاد وأفاد، بحيث كان في سبعة عشر مُجلّداً بخطّ الجَمَال بن الظاهري في الأوقاف التي بجامع الحاكم وفُقِد بعضه. وذَيَّل عليه التاج عليّ بن أَنْجَبَ بن السَّاعي، خازن كُتُب

= وقد عرف ابن حزم كُتُباً أُخرى عن تاريخ البصرة. انظر: المَقَّري، **نَفح الطِّيب**، ج2، ص113، طبعة دوزي وآخرين (ليدن 1855-61م) انظر أيضاً: أعلاه ص132 هامش 2.

(176) إنّ المُقتطفات من **تاريخ بغداد** الذي لم يبقَ منه إلا الجُزء السادس (انظر أعلاه: قسم 1، ص132 فما بعد) تُوجد أيضاً مثلاً في **تاريخ بغداد**، ج1، ص117؛ الرشيد بن الزُّبَيْر، **الذَّخائر والتُّحَف** الأَزْدي: **بدائع البدائه**، ج1، ص71، 211 فما بعد، ج1، ص85 (القاهرة، 1316هـ)؛ أما **تاريخ مَيّافارقين** لابن الأزرق، فانظر: H.F. Amedroz in *JRAS* 1902, 798. ياقوت: **مُعجم البُلدان**، ج2، ص320، ج3، ص847، ج4، ص870، طبعة وستنفلد. ابن النجّار: **ذَيل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، ar. 2131، ص25أ (ترجمة عليّ بن موسى بن جعفر). ابن بَسّام: **الذخيرة**، ج1، ص314 (القاهرة 1358هـ). أما المُقتطفات من ذَيْل كتاب عُبَيْد الله بن أحمد (تُوفّي في خلافة المُقْتَدِر انظر: **الفِهرِست**، ص210، طبعة القاهرة، 1348هـ، ص147، طبعة فلوجل) فهي موجودة في تاريخ إيليا النِّسبي: حوادث سنوات 266-81؛ الأَزْدي المصدر السابق، ج1، ص62، 89؛ ياقوت: **مُعجم البُلدان**، ج1، ص153، ج2، ص788، طبعة وستنفلد؛ ابن خَلِّكان، ج4، ص315 فما بعد ترجمة دي سلان؛ المَقْريزي: **الخِطط**، ج1، ص273 (بولاق 1270هـ)؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص190، 373.

(177) يذكر الصَّفدي في الوافي شخصاً اسمه ابن إسْفَنْدِيار الواعظ كمُؤلّف لتاريخ عن العراق.

(178) تُوفّي سَنَة 637هـ/ 1239م. (انظر بروكلمان: ج1، ص330).

(179) لعله سِبْط بن العَجَمي (انظر أعلاه: ص148)؟

(180) محمد بن أحمد بن عُمَر 546-634هـ/ 1151-1237م (ياقوت: **مُعجم البُلدان**، ج2، ص142، طبعة وستنفلد)؛ الذَّهبي: **دول الإسلام**، ج2، ص104، حيدرآباد 1364-5هـ)، وقد نقل من كتابه تقي الدِّين الفاسي في **العِقْد الثمين**، انظر:
M. Amari. *Biblioteca Arabio - Sicula* 6 59 f (Leipzig 1857).

المُسْتَنْصرِيّة ببغداد، يُقال إنه في نحو ثلاثين مُجلّداً. وكذا ذَيَّل عليه التَّقيّ بن رافع، وهو في ثلاثة مُجلّدات، ولأبي سعد أيضاً، ممّا فيه تراجم الأنساب والمُعجم، ولابن رافع أيضاً **المُعْجَم والوَفَيات**.

وكذا لأبي بكر عُبَيْد الله بن أبي الفتح المارِسْتاني[181] تاريخ سَمّاه **ديوان الإسلام الأعظم بمدينة السلام** لكنه ما تَمَّمُه، مع قول ابن الدُّبَيْثي: إنّ مُصَنِّفه لا يُعْتَمَد عليه.

وقد اختصر **تاريخ** الخطيب غير واحد من الأئمة كابن مُكَرَّم، والذَّهبي.

(بَلْخ) طبقاتها لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن داود المُسْتَملي[182].

وعمل لها تاريخاً في مُجلّد، ناصر الدين أبو القاسم محمد بن يوسف المَدِيني الحَنَفي، مُؤلِّف **النافع** في فقههم، وهو في كُتُب ابن فَهْد، رَتَّبه على الحُروف، وبدأ بالمُحَمَّدِين، ثُمّ بالأَحْمَدِين، ثُمّ بإبراهيم. وذكر الكُنَى مع الأسماء، وأفرد لشعرائها مؤلَّفاً.

وقال: إنه استمدَّ في تأليف تاريخه من **الطبقات** لأبي عبدالله محمد بن جعفر الجُوبِيَاري الوَرّاق[183] الذي عمل تاريخاً لها ورتَّبه على الأمصار لا على الحُروف[184].

---

(181) عُبَيْد الله بن عليّ بن المارِسْتانية المُتوفَّى سَنَة 599هـ/ 1203م (ابن أبي أُصَيْبِعة، ج1، ص303 فما بعد مولر. ابن كَثِير: **البداية**، ج13، ص35.
C. Cahen. *La Syrie du Nord* 36 fn 4 (Paris 1940).
وقد كتب ابن السَّاعي ذَيْلاً على كتابه. انظر: حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص120.

(182) إنّ كتابه **تاريخ بَلْخ** اقْتَبَس منه ياقوت في **مُعجم البُلدان**، انظر: F.J. Heer المصدر السابق، ص40. ابن النجّار: **ذَيْل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، 2131، ص143أ (ترجمة الفَضْل بن عِكْرِمة).
ويُشير السَّمْعاني: **الأنساب**، ص210أ، 469أ إلى إضافة لطبقات عُلَماء بَلْخ عملها شخص لا يذكر اسمه، كما أنّ البَيْهَقي يذكر في **تاريخ بَيْهَق**، ص21 تاريخاً لبَلْخ ألّفه محمد بن عَقِيل الفقيه الذي يصعب أن يُقرن بعليّ بن عَقِيل أو جَدّ هذا محمد بن عَقِيل.

(183) لقد نقل من كتابه ابن النَّجّار، المذكور سالفاً ص143ب؛ ياقوت: **مُعجم البلدان**، ج4، ص659، طبعة وستنفلد. وتدلّ إشارة لياقوت (انظر: فهرست **المعجم**) أنه عاش حوالى سَنَة 300هـ/ 912م.

(184) ؟، ليدن **الأغصار**.

ومن أخبار عُلمائها لأبي إسحاق المُبْدَأ به ورَتَّبه على الحُروف، ورَوَى فيه بعض ما لا ينبغي.

ومن ذكر عُلمائها لعليّ بن الفضل بن طاهر البَلْخي[185]، القريب العصر من أبي إسحاق المذكور، ورَتَّبه على الطبقات.

ومن كتاب **البَهْجَة** الموضوع لأبي حَنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد وبعض أصحابهم، لأن أكثرهم من بَلْخ. وفيهم مِنْ شَرْط كتابه قريب الثلاثين. وآخر من فيه أبو اللَّيْث الزاهد السَّمَرْقَنْدي[186]، واستمدَّ فيه من أبي إسحاق أيضاً.

ومن كتاب **الكَشْف**[187] لعبدالله بن محمد بن يعقوب الحارثي، فإن فيه جماعة من بَلْخ من أصحاب أبي حنيفة وأورد أسانيده بها.

(بَلَنْسية) لابن عَلْقَمة[188].

(بيت المَقْدِس) جمع **تاريخه وفضائله** أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الرُّمَيْلي المَقْدِسي الحافظ[189] وما أكمله.

وفضائلُه في كُرَّاسة:

أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي الخطيب.

والصلاح أبو سعيد خليل بن كَيْكَلْدي العَلائي (...).

وأبو منصور (...).

---

(185) تُوفي سَنَة 323هـ/ 934-5م (**تاريخ بغداد**، ج12، ص47 فما بعد).

(186) يظهر أنه نصر بن محمد إمام الهدى من القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي. انظر بروكلمان: ج1، ص195 فما بعد.

(187) **كشف الآثار** عن الحارثي، انظر أعلاه، ص1525، هامش 91.

(188) محمد بن خلف المُتوفَّى سَنَة 309هـ/ 1160م (ابن الأبّار، ص145، رقم 314 طبعة: Codera. Madrid 1886-9 *Bibliotheca Arabicā- Hispana* 6.
E. Lewi Provencal. *Islam d'Occident* 192 ff. (Paris 1948).

(189) تُوفّي سَنَة 492هـ/ 1099م السَّمْعاني: **أنساب**، ص259ب.

وللعماد محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني الكاتب **الفَتْح القُسِّيّ في الفَتْح القُدْسي** في مُجلّدين.

وللحافظ أبي بكر بن المُحِبّ **تجريد من نزل بيت المقدس**.

وللبُرْهان إبراهيم بن التاج عبد الرحمن بن إبراهيم بن سِبَاع الفَزَاري بن الفِرْكاح(190) **باعث النُّفوس على زيارة القُدْس المحروس** في كُرّاسة(191).

(أَلْبيرة) للغافِقي سعيد بن سليمان بن الحسين(192).

(بَيْهَق) لعليّ بن زيد(193).

(تَكْريت) جمع شيوخها عبدالله بن سُوَيْد التَّكْرِيتي(194).

(تِلِمْسان) وهي بين بَجَاية وفاس، لابن الأَصْفَر.

---

(190) تُوفّي سَنَة 729هـ/ 1329م (انظر بروكلمان: ج2، ص130). أما عن مصادره، فانظر الطبعة التي قام بها:
C.h. D. Matthews, in *Journal of the Palestine Oriental Society* XIV 285-93 (1934) XV, 51-87 (1945).

(191) كُنّا نتوقّع أن يذكر السَّخاوي هنا كتاباً كـ **روضة الأولياء في مسجد إيلياء** لابن النجّار (الذَّهبي: **تاريخ الإسلام**، مخطوطة البودليان، or. Laud 304، ص194ب).
أما **تاريخ القدس الكبير والصورة الصحيحة في مدح الخليل**، فيظهر أنهما أَلَّفهما شمس الدِّين محمد الكَنْجي الصُّوفي (المُتوفَّى سَنَة 682هـ/ 1283م) إذا كنت قد فهمت فهماً صحيحاً نصّ ابن رافع في **مُنْتَخَب المُخْتار، تاريخ عُلماء بغداد**، ص200 (بغداد 1357هـ-1938م). وعن كتاب آخر في فضائل بيت المقدس، أُلِّف في القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي، انظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج1، ص454، طبعة فلوجل. انظر أيضاً: ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج4، ص251.

(192) أَلّف المُطَرِّف بن عيسى الغَسّاني عن شعراء ألبيرة، انظر:
E. Levi Provençal. *Islam d'Occident* 192 ff. (Paris 1848).
ويذكر **الإحاطة** كتاب **تاريخ ألبيرة** لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي المَلّاحي (؟) المُتوفَّى سَنَة 619هـ/ 1222م. (انظر: Pons Boigues: *Ensayo* 273) وهُناك كتاب عن فُقَهاء ألبيرة يُنْسب إلى عيسى بن محمد المُتوفَّى سَنَة 403هـ/ 1012م). انظر: Pons Boigues: *Ensayo* 108.

(193) **تاريخ بَيْهَق** (طهران 1317هـ-1939م).

(194) عبدالله بن عليّ بن سُوَيْد الذي ذكره ابن النَّجّار. انظر حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص122، طبعة فلوجل، في **الإعلان** يُوجد سُوَيْدة.

ولابن هُذْبَـة.

(تِنّيس) عمل فضائلها أبو القاسم عبد الرحمن بن عثمان بن غنائم الخطيب[195] في كتابه سَمّاه **العروس في فضائل تِنّيس**.

(تِهامة والحِجاز) أخبارهما لابن غالب[196].

(تونس) مدينة بالغرب من بلاد إفريقية **فُقَهاؤها** للتّميمي.

(جُرْجَان) لحمزة بن يوسف السَّهْمي[197] وهو عندي، واختصره الضِّيَاء المَقْدِسي.

(الجَزيرة) لأبي عَرُوبة الحسين بن محمد بن أبي مَعْشَر الحَرّاني[198].

وكذا تلميذه أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عَلّان الحَرّاني الحافظ[199] **تاريخها**.

---

(195) ألّفه قبل سَنَة 413هـ/ 1022-3م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص548).

(196) إ. أمار (1912) É. Amar in *JA*, x 19, 261 fn 4
أشار بهذه المناسبة إلى **تاريخ** لأبي غالب همام بن الفضل بن المُهَذَّب المغربي غير أنّ هذا الكتاب لا يبحث في هذه المنطقة الخاصة، على ما يقول ياقوت في **مُعجم البلدان**: (انظر أيضاً ابن العَدِيم، **بُغية الطلب**، مخطوطة باريس، ar. 2138، ص13أ. وقد نسب كاهين:
C. Cahen. *La Syrie du Nord* 44 fn 3 (Paris 1940).
إلى همام تاريخاً للحِجاز، ولا أعلم فيما إذا كان عندما ذكر ذلك، كان في ذهنه ما أرتآه أمار، أم أنه كانت لديه معلومات مُستقلّة.

(197) وقد نقل من كتابه أيضاً السَّمْعاني: **أنساب**، الآنف الذكر. ابن العَدِيم: **بُغية الطَّلب**، مخطوطة باريس، ar. 2138 ص45أ، الضَّبّي: **بُغية المُلْتَمِس**، ص462 .Madrid 1885 *Bibliotheca Arabica-Hispana* 3. وقد طُبع الآن في حيدرآباد 1369هـ-1950م، وقد ذكر السَّهْمي، ص411 فما بعد، كتاباً عن التُّنّاء (قراءتها غير مضبوطة) في جُرْجان لأبي يَعْلَى محمد بن الحسين.

(198) يقول **الفِهْرِست**: (أعلاه ص444 هامش 490) إنه أَلّف كتاباً واحداً فقط ولا يذكر تواريخه عن الجزيرة والرَّقّة، غير أنّ **تاريخ الجَزَرِيين** نقل منه السَّمْعاني في **الأنساب**، ص161أ، 306أ، ياقوت: **معجم البلدان**، انظر: F.J. Heer المصدر السابق، ص35.

(199) إنّ ابن عَلّان نقل من كتابه السَّمْعاني: **أنساب**، ص442أ؛ كما ذكره **تاريخ بغداد**، ج2، ص133، سطر 3 فما بعد.

(الجزيرة الخضراء) بالأندلس
لابن خَمِيس[200].
وشُعراؤها لابن القَطّاع[201].

ولأبي الحسن عليّ بن بَسّام[202] **الذَّخِيرة في مَحاسِن أهل الجَزِيرة** عَوَّل فيه على تاريخ أبي مَرْوان بن حَيّان، في مُجلّدات.

(حَرّان) عمل تاريخها أبو الثَّناء حَمّاد بن هِبَة الله بن حَمّاد بن الفضل الحَرّاني[203]، وكَمَّل عليه أبو المحاسن بن سَلاَمة بن خليفة الحَرّاني[204]، وكتبه السَّيْف أبو محمد عبد الغني بن محمد بن تَيْمِيَّة الحَرّاني[205] بخطّه.

---

(200) عن مصدر حاجي خليفة، انظر: Pons Boigues: *Ensayo* 187، وهو يُشير إلى عبد الجبّار ابن أبي بَكْر بن حَمْدِيس (انظر بروكلمان: ج1، ص269 فما بعد). ويُشير بواغوس Pons Boigues: *Ensayo* 331 إلى أبي بكر بن خَمْسِين [؟] من **الإحاطة** ومن حاجي خليفة. ولعلَّ المقصود هنا هو **تاريخ مالقة**.

(201) عليّ بن جعفر المُتوفَّى سَنَة 514هـ/ 1120م أو سَنَة 515هـ. (انظر بروكلمان: ج1، ص308 الملحق، ج1، ص540) والمقصود بـ«الجزيرة» هو «صقلية» (!).

(202) تُوفّي سَنَة 542هـ/ 1147-8م أو سَنَة 543هـ (انظر بروكلمان: ج1، ص339).

(203) تُوفّي سَنَة 598هـ/ 1202م (ابن العماد: **شَذَرات**، ج4، ص335، القاهرة، 1350-51هـ. ابن كثير: **البداية**، ج13، ص33 فما بعد) وتوجد مخطوطة من كتاب **الاستذكار** لابن عبد البَرّ كتبها المُؤلِّف بخطّه سَنَة 573هـ/ 1177-8م (انظر: يوسف العِشّ: **فِهرِس مخطوطات دار الكُتُب الظاهرية**، ص274، دمشق 1366هـ-1947م). وفي السَّنة نفسها درس **تاريخ الرَّقة** في الإسكندرية على ما تذكر الهوامش المكتوبة على مُصوّرة القاهرة، تيمور، تاريخ، 2490، ص28، وقد اقْتُبَس من هذا الكتاب ابن العَديم في **بُغْية الطَّلب**، مخطوطة باريس، ar. 2138، ص9ب (ترجمة إسحاق بن نصر).

(204) انظر أيضاً:
C. Cahen. *La Syrie du Nord* 36 fn 12 (Paris 1940).
حاجي خليفة. **كشف الظنون**، ج2، ص125، طبعة فلوجل. أما **الوافي**، فيُسمّيه «محاسن بن خليفة».
وهُناك كتاب أقدم منه ألَّفه أبو عمرو السُّلَمي (؟) في **تاريخ الحرّانيين**، ونقل منه السَّمْعاني في **الأنساب**، ص134ب.

(205) 581-639هـ/ 1185-1241م (ابن العماد: **شَذَرات**، ج5، ص204 فما بعد) وهو ابن تيمية المذكور في بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص1024، ووالد عبد القاهر المُتوفَّى سَنَة 671هـ/ 1272-3م (ابن كثير: **البداية**، ج13، ص264).

(حَلَب) جمع تاريخها من سَنَة تسعين وأربعمائة يتضمّن أخبار الفرنج وأيامهم وخُروجهم إلى الشام من السَّنة المذكورة وما بعدها، أبو الفوارس حَمْدَان بن عبد الرحيم بن حَمْدان التميمي الأَثَارِبي ثم الحلبي(206) سَمّاه **القُوت**، وللكمال عمر بن أحمد بن العَدِيم في تاريخها كتاب حافل سَمّاه **بُغْيَة الطَّلَب** وقفت على كثير منه. وذَيَّل عليه العلاء بن خطيب الناصرية في مُجلّدات، ومن قبله ابن عَشَائِر(207).

(حِمص) لأحمد بن عيسى(208).

ومَنْ نزلها من **الصحابة** لعبد الصمد بن سعيد، ولأبي بكر بن صَدَقَة.

(خُرَاسان) للأَبِيوَردي.

وللحاكم أخبار **عُلمائها**.

ولأبي زيد البَلْخي **محاسن أهلها**(209).

---

(206) تُوفّي بعد سَنَة 554هـ/ 1159م (ياقوت. **إرشاد**، ج10، ص272-4، طبعة القاهرة، ج4، ص143 فما بعد، طبعة مارغليوت)؛ أما **تاريخه**، فقد اقْتَبَس منه ابن العَديم في **بُغية الطَّلب**، مخطوطة باريس، ar 2138، ص185أ، ترجمة أَقْسُنْقُر بن عبدالله. انظر أيضاً كاهين... ص41 فما بعد.

(207) محمد بن عليّ المُتوفّى سَنَة 789هـ/ 1387م (ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج4، ص85 فما بعد) وقد كان أيضاً مُؤلف تاريخ لقِنَّسْرِين عنوانه **النَّسْتَرين في تاريخ قِنَسْرِين** (حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص94، رقم 2059، ج2، ص142، رقم 2283، طبعة فلوجل، **تاج النَسْرِين**). وقد ذكر هذا الكتاب ابن الحنبلي في **دُرّ الحَبَب**، مخطوطة باريس، ar. 5884، ص4ب، من مُسوّدة سِبْط ابن العَجَمي **كنوز الذهب**؛ وقد أفلت هذا الكتاب من انتباه السَّخاوي لأن ابن حَجَر لم يذكره.

وقد ألّف الحسن بن عمر بن حبيب كتاب **حضرة النديم من تاريخ ابن العَديم**، كما يذكر هذا المُؤلّف في كتابه **دُرَّة الأسلاك**، مخطوطة البودليان، Or. Marsh 223، ص43ب، حوادث سَنَة 660هـ. غير أنه كان يُوجد طبعاً عدد من الكُتُب الأُخرى عن تاريخ حلب كان بإمكان السَّخاوي أن يذكرها، وهُناك إشارات لمُؤَرِّخي حلب عند عباس العَزّاوي في **التعريف بالمُؤرّخين**.

(208) أحمد بن محمد بن عيسى، من أهل القرن الثالث عشر الهجري ـ الثامن الميلادي، **تاريخ بغداد**، ج5، ص63) وقد اقْتَبَس من كتابه السَّمْعاني في **الأنساب**، ص380أ».

(209) لم يُذكر مثل هذا الكتاب لأبي زيد البَلْخي في القوائم الطويلة التي ذكرها ابن النديم وياقوت، صحيح أنّ ياقوت يذكر **فضائل بَلْخ** من كُتُب أبي زيد (**إرشاد**، ج3، ص68، طبعة القاهرة، ج1، ص143، طبعة مارغليوت). =

ولأبي الحسين عليّ بن أحمد السَّلّامي[210] **أخبار وُلاتها**، وقفت على تلخيصه للحافظ الجمال أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود اليَغْمُوري بخطّه في كراريس.

(**الخَليل**) **زيارته** لمكي بن عبد السلام الرُّمَيْلي[211].

(**خُوَارِزْم**) للإمام الحافظ أبي محمد محمود بن محمد بن عَبّاس بن أَرْسْلان الخُوارزمي[212] صاحب كتاب **الكافي في الفقه** المعاصر لأبي القاسم بن عساكر، وهو في نحو ثمانية مُجلّدات، انتقى منه الحافظ[213] الذَّهبي.

= ويجدر أن نُلاحظ أنّ السَّمْعاني في **الأنساب** ص212أ، 245ب (والبَيْهَقي في **تاريخ بَيْهَق** ص148، 154، 255 فما بعد) يَنقلان من كتاب اسمه **مفاخر خُراسان** لأبي القاسم البَلْخي المُعتزلي المشهور (انظر أعلاه: ص356، هامش 8) كما أنّ الصَّفدي يذكر مثل هذا الكتاب عندما يُعدّد كُتُب أبي القاسم البَلْخي (**الوافي**، مخطوطة البودليان، Seld Arch A 24 ص19ب). غير أنّ **الفِهرِست**، *ZDM G.* XC, 305, 1936، ليس فيه هذه المعلومات في قائمة كُتُب أبي القاسم. انظر أيضاً: **تاريخ بَيْهَق**، ص21 (**تاريخ نيسابور**).

ومن المُحتمل جداً أن يُؤلّف مثل هذا الكتاب أبو القاسم المُعتزلي. وأنّ هذا الكتاب نسبه خطأ ياقوت والسَّخاوي إلى أبي زيد المشهور الذي اشتهر اهتمامه بالجُغرافيا.

(210) انظر أعلاه: ص252، هامش 5؛ وبعد السَّلّامي بأمد غير طويل أُلِّف عن خُراسان كتاب **فريد التاريخ في أخبار خُراسان** ألّفه رجل اسمه أبو الحسن محمد بن سليمان بن محمد؛ واقْتَبَس منه ياقوت في **الإرشاد**، ج4، ص192، طبعة القاهرة، ج2، ص60، طبعة مارغليوت.

(211) يذكر **الضَّوء اللامع**، ج2، ص276، مثل هذا الكتاب ألّفه إسحاق بن إبراهيم التَّدْمُري المُتوفّى سَنَة 833هـ/ 1430م.

(212) تُوفّي سَنَة 568هـ/ 1172-3م. انظر:
G. Bergsträsser in *Zeitschrift für Semitistik*, 11, 205, 1926.
وقد نقل من كتابه ياقوت في **مُعجم البلدان**، ج3، ص343، طبعة وستنفلد. **إرشاد**، ج11، ص191 (طبعة القاهرة، ج3، ص212، طبعة مارغليوت). الذَّهبي، **تاريخ الإسلام**، مخطوطة البودليان، Or. Laud 304، ص251أ في تراجم سَنَة 562. السُّبكي: **طبقات الشافعية**، ج5، ص10، 305 فما بعد (القاهرة 1324هـ)؛ الفاسي **العِقْد الثمين** (ترجمة محمد بن أحمد بن أبي سعيد).

(213) إنّ المعلومات عن كتاب ابن أَرْسلان التي عندنا هنا، موجودة في الفاسي، المصدر السابق، الذي ينقل من الذَّهبي.

ولمُظْهِر الدِّين الكاشي[214].

(**دارَيّا**) لعبد الجبّار بن عبدالله أبي عليّ الخَوْلاني[215].

(**دِمَشق**) لابن عساكر في ثمانين مُجلّداً، ونُسخة المَحْمُودية في سبعة وخمسين، افتتحه بأخبارها، ثم بسيرة نبويَّة، ختمها بباب في الصلاة على النبيِّ ﷺ كَمُل ذلك في ثلاثة مُجلّدات وشيء. ثُمّ دخل في الأسماء وافتتح بالأَحْمَدِين. وذَيْله لولده القاسم[216]. وقد اختصر الفاضلي **تاريخ** ابن عساكر، وكذا أبو شامة في اثنين، كبير وصغير، بل ذَيَّل عليه، وعُمَر بن الحاجب في خمسة وُجِد منه الأخير، وهو ضخم. والذَّهبي وهو بخطّه[217] في عشرة أجزاء.

وفُتُوحها لأبي إسماعيل محمد بن عبدالله الأزدي المصري. وللواقدي.

وفضائلها للرَّبَعي أبي الحسن عليّ بن محمد بن شُجَاع[218].

ولإبراهيم بن عبد الرحمن الفَزَاري[219] (**في فضائلها**)[220].

---

(214) ألّف الحسن بن المُظَفَّر النَّيْسابوري المُتوفَّى سَنَة 442هـ/ 1051م، **زيادات أخبار خُوارزم** (ياقوت. **إرشاد**، ج9، ص193 طبعة القاهرة، ج3، ص213، طبعة مارغليوت)؛ كما أنّ البِيروني يُقال إنه ألّف قِصَصاً عن خُوارِزْم (ياقوت: **إرشاد**، ج2، ص483، طبعة وستنفلد)، غير أنّ مثل هذا الكتاب لم يذكره البِيروني في كتابه **رسالة في فِهرِست كُتُب محمد بن زكريا الرَّازي**. كما أنّ البَيْهَقي يذكر في **تاريخ بَيهَق** ص21 كتابين آخرين في تاريخ خُوارِزْم.

(215) تُوفّي بين سَنَة 365-370هـ/ 975-980م. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص210)؛ أعلاه، ص146.

ويقول الذَّهبي: **إنه دَرَسَ تاريخ داريا**، انظر كتابه **طبقات القُرّاء**، مُصوّر القاهرة، تاريخ، 1537، ص234.

(216) القاسم بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 600هـ/ 1203م (انظر بروكلمان: ج1، ص331).

(217) يذكر الصَّفدي ذَيْلاً عمله صدر الدِّين الحسن بن محمد البكري المُتوفَّى 656هـ/ 1258م؛ ومن الواضح أنه يختلف عن أيّ واحد من الكُتُب التي ذُكِرَت هنا (انظر: E. Amar in *JA* x 19, 253 fn 1 (1912)).

(218) تُوفّي سَنَة 435هـ/ 1043-4م. (انظر بروكلمان: ج1، ص330 فما بعد).

(219) على ما يذكر بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص161: لقد استعمل **فضائل القدس والشام** لأبي المعالي المُشَرَّف بن المُرَجَّى المَقْدِسي (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص367 وأعلاه، ص389، هامش 1).

(220) **فضائل الشام**، مخطوطة القاهرة، تاريخ، مجاميع 519، ص13ب-24ب وهو يُنْسَب إلى =

ولأبي حُذَيْفَة إسحاق بن بِشْر القُرَشي[221] **فُتُوح الشام والروم ومصر والعراق والمغرب.**

ولأحمد بن المُعَلّى الدمشقي[222] جُزء في **خبر المسجد الجامع بدمشق وبنائه**[223].

و(**دُنَيْسِر**) لأبي حَفْص عمر بن الخضر التُّرْكي المُتَطَبِّب الدُّنَيْسِري[224] سَمّاه **حلية السَّرِيِّين من خواص الدُّنَيْسِرِيِّين.**

(**الرَّقّة**) لأبي عليّ محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القُشَيْري الحَرّاني[225].

ولأبي عَرُوبة الحسين بن محمد بن مَوْدُود الحَرّاني.

(**الرَّيّ**) لأبي الحسن بن بَابَوَيْه[226]، ولأبي منصور الآبي[227].

(**زَبِيد**) لعُمَارة بن الحسن الحَكَمِي اليمني الشافعي الفَرَضي الشاعر[228] سَمّاه **المفيد في أخبار زَبِيد.**

= السَّمْعاني (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص565)؛ غير أنّ هذه النِّسبة تُثير كثيراً من الشكّ.

(221) لقد كان أبو حُذَيْفة مولىً لبني هاشم، ونسبته عادة «البُخاري» أو «البَلْخي» أو «الخُراساني».

(222) القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي، إذا اعتبر أنه نفس العالِم الذي يحمل هذا الاسم، وذكره ياقوت في **مُعجم البُلدان**: انظر **فهرست** وستنفلد.

(223) المَقْريزي: **الخِطط**، ج1، ص177، 184 (بولاق 1270هـ) وهو يُشير إلى **تاريخ دِمياط** الذي قد يكون قِصّة لفتحها.

(224) أُلِّف حوالى سَنَة 610هـ/ 1213-4م (انظر بروكلمان: ج1، ص333) وقد نقل من هذا الكتاب القِفْطي ص290، طبعة مولر ـ لپرت.

(225) تُوفّي سَنَة 334هـ/ 945-6م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص210؛ السَّمْعاني: **أنساب**، ص257ب، 180ب، 440أ) وتُوجد من مخطوطة دمشق لهذا الكتاب مُصوّرة في القاهرة، تيمور، تاريخ 2490.

(226) يُكثر ابن حَجَر من النقل منه في **اللسان** مثلاً ج4، ص81، ج5، ص70، 87، 89، 103، 105، 388، 394. أما ذَيْل ابن بابَوَيْه (ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص317)، فرُبّما كان ذَيْلاً لِ **تاريخ الرَّيّ**.

(227) لقد ذكر **تاريخه** الثعالبي: **يتيمة** ج1، ص100 (دمشق 1304هـ)؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج4، ص431، طبعة وستنفلد.

(228) عُمارة بن عليّ المُتوفّى سَنَة 569هـ/ 1174م، (انظر بروكلمان: ج1، ص333) وهُناك كتاب بالاسم نفسه مُؤلِّفه جَيّاش بن نَجاح.

(**سامَرّا**) لابن أبي البركات[229].

(**سَبْتة**) لِعياض[230].

(**سَمَرْقَنْد**) لأبي العبّاس المُسْتَغْفِري.

ولأبي سعد عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن إدريس الإدريسي الأَسْتَرَاباذي الحافظ.

ولعُمَر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النَّسَفي[231] **القَنْد في ذكر علماء سَمَرْقَنْد**، وقد اختصره الضياء المَقْدِسي.

(**شَقُورة**) ناحية بقُرْطُبة من بلاد الأندلس، لابن إدريس.

(**شِيراز**) لأبي عبدالله محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمن الشِّيرازي القَصّار[232].

وكذا لأبي القاسم الشِّيرازي[233]، وجَمَعَ معها فارس.

---

(229) **تاريخ سامَرّاء** نقل منه الصَّفدي في **الوافي**، مخطوطة البودليان، Or. seld Arch A 29، ص138أ (ترجمة يونس بن أيوب العسكري) وهذا النقل عن طريق ابن السباعي.

(230) تذكر **الإحاطة** كتاباً عنوانه: **الفنون السِّتّة** لم يُنْجِز تأليفه. أما عن كتاب عن عُلماء وأتقياء هذه المدينة لمحمد بن أبي بكر الحَضْرمي، فانظر بروكلمان: **الملحق**، ج2، ص338.

(231) تُوفّي سَنَة 537هـ/ 1142م (انظر بروكلمان: ج1، ص427 فما بعد، **الملحق**، ج1، ص762). لقد كثر النَّقْل من **القَنْد**، مثلاً البُنداري في **تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، ar. 6152 ص8ب (ترجمة أحمد بن إسماعيل بن نصر)؛ السَّمْعاني: **الأنساب**، ص194ب، انظر أيضاً:

W. Barthold. *Turkestan down to the Mongul Invasion*, 15 f, London, 1928.

(لندن 1928 سِلْسِلَة جِب التذكارية، السِّلْسِلَة الجديدة 5).

(232) لقد نقل من كتابه **تاريخ فارس** السَّمْعاني: **أنساب** ص28ب، 141ب، 193ب، 428ب.

(233) هِبة الله بن عبد الوارث المُتوفَّى سَنَة 485هـ/ 1092-3م (ابن الجَوزي، **المُنتظَم**، ج9، ص74 فما بعد). ابن كثير: **البداية**، ج12، ص144؛ انظر الصَّفدي: **الوافي**. انظر F.J. Heer المصدر السابق، ص38، وهو يَنْسب خطأً **تاريخ شيراز** إلى أبي الحسن الزِّيادي مُستنداً على ياقوت: **مُعجم البلدان**، ج3، ص350، طبعة وستنفلد.

(**الصَّعِيد**) لعليّ بن عبد العزيز الكاتب، وللكمال جعفر الأُدْفُوي **الطالع السعيد الجامع للفُضلاء والرُّواة بأعلى الصَّعِيد** رَتَّبه على الحُروف في مُجلّد.

(**صَفَد**) لمحمد بن عبد الرحمن العُثْماني قاضيها(234).

(**صِقِلّية**) لأبي زيد الغَمْري(235).

(**صَنْعَا**) لإسحاق بن جرير الزُّهْري(236) وهو لطيف الحجم مُفيد.

(**صِنْهَاجة**)(237).

---

(234) كُتب حوالى سَنَة 780هـ/ 1378-9م (انظر بروكلمان: ج2، ص91). انظر أيضاً بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص568.

(235) انظر:

M. Amari. *Storia dei Musulmani di Sicilia* I, 37 f. (2nd edition by G.L. Della Vida and C.A. Nallino. Catania 1933 - 9).

وعن مُقتطفات من **تاريخ صِقِلْية** لابن القَطّاع (ياقوت: **إرشاد**، ج12، ص282، طبعة القاهرة، ج5، ص107، طبعة مارغليوث. انظر: F.J. Heer، المصدر السابق، ص43).

(236) مخطوطة ليدن: "**صنعاء** ذُكِرَت أدناه مع اليمن".

انظر **الإعلان** ص134، أدناه ص571. وبروكلمان. **الملحق**، ج3، ص1268. إنّ مخطوطة الإسكندرية، 7225 (تاريخ ج3682) التي يُشير إليها بروكلمان، ناقِصة من أولها وإن كان النقص رُبّما لم يَزِد عن ورقة واحدة، وتاريخها صَفَر 992هـ/ 1584م. وعلى جِلْدها مُلاحظة مكتبية تُشير إلى أنّ مُؤلّف الكتاب هو إسحاق بن جَرِير الصَّنْعاني. غير أنّ المخطوطة خالية من الإشارة إلى مُؤلّفها، على قَدْر ما استطعت التثبّت ضمن الوقت القصير الذي توفّر لي لدراسة المخطوطة. والكتاب ينتهي إلى حدٍّ ما مع زمن الصحابة ولا يُوجد فيها تاريخ مُتأخّر. والواقع أنك يصعب أن تجد أية معلومات تاريخية في المخطوطة. غير أنه تَجدر المُلاحظة أنّ الجَنَدي في مُقدّمته لكتاب **السلوك** يصف كتاب إسحاق بأنه كتاب «لطيف» فيه عدد من المعلومات المُفيدة. غير أنّ الجَنَدي يُلمّح كما يُلمّح السَّخاوي (انظر أدناه: ص571) إلى أنّ في كتاب إسحاق معلومات تاريخية مُرَتَّبة على السنين. وعلى كُلٍّ، فأنا أميل إلى الاعتقاد بأن نسبة المخطوطة إلى إسحاق غير صحيحة، اللهمَّ إلا إذا أثبتت مُقارنة مخطوطة الإسكندرية بكتاب الجَنَدي، أني على خطأ. أما علاقتها بـ **تاريخ صنعاء** للرَّازي فهي غير مدروسة.

(237) إنّ الفراغ الموجود هنا، وكذلك عند «لَمْتُونة» و«المَصامِدة» قد يرجع أصله إلى أنّ الصَّفدي يذكر تاريخاً مجهولاً لهذه القبائل البربرية الثلاث.

(**صُور**) لغيث الأَرْمَنَازي[238].

(**طابة**) هي المدينة النبويَّة.

(**طَرَابُلُس**) قال السِّلَفي في **مُعجم السفر**[239]: «صَنَّف لها أبو الحسن عليّ ابن عبدالله بن مَحْبُوب الطَّرابُلُسي[240] تُوَيْرِيخاً، وقفت عليه وانتخبتُ منه ما استغربتُه، وقد كتب عني مُؤلِّفه كثيراً وحدّثني به».

(**طُلَيطُلة**) لابن مُظَاهِر.

(**العراق**) لابن القاطُولي[241].

ولأحمد بن (أبي؟) طاهر.

وللصُّولـي.

(**عَسْقَلان**) فضائلها لأحمد بن محمد بن عُبَيْد بن آدم[242] أبي محمد.

---

(238) غَيْث بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 509هـ/ 1115م (ياقوت: **معجم البلدان**، ج1، ص218، طبعة وستنفلد؛ السَّمْعاني: **الأنساب**، ص26ب) وهو غير غَيْث بن عليّ الصُّوري الذي كان مُدرِّساً وزميلاً للخطيب البغدادي. (انظر ياقوت: **إرشاد**، ج4، ص15، 21) طبعة القاهرة، ج1، ص246، 249، طبعة مارغليوت، ابن الجَوزي: (**المُنتظَم**، ج8، ص266).

(239) مُصوّرة القاهرة، **تاريخ** 3932، ص299. والجُملة الأخيرة من **المُقْتَطف الأعلى في المُعجم**، تسبق التي قبلها كما ينبغي أن تكون.

(240) تُوفِّي سَنَة 522هـ/ 1128م (ياقوت: **معجم البلدان**، ج3، ص523، طبعة وستنفلد).

(241) كذا في **الوافي**، أمّا في مخطوطة ليدن فهو «العاطُوبي» (؟).

(242) ابن حَجَر: **المُعجم المُفهرس**، مخطوطة القاهرة، مصطلح الحديث 82، ص157، وهو يذكر «جُزءاً فيه فَضْل عَسْقلان قُرِىء على أبي محمد أحمد بن محمد بن عُبَيْد بن آدم العَسْقَلاني» واختيار ابن حَجَر للألفاظ يجعل المرء يتساءل هل إنّ ابن آدم هو مُؤلّف الكتاب، أم هو أحد رُواته. والاحتمال الأول هو الأقرب إلى الصواب، فإن آدم العَسْقَلاني تُوفّي سَنَة 220هـ/ 835م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 2، ص39 فما بعد؛ **تاريخ بغداد**، ج8، ص300-27) أما حفيده محمد فقد ذكره السَّمْعاني في **الأنساب**، ص390أ وابن حَجَر في **اللسان**، ج5، ص276.

وقد ذكر السِّلَفي كتاباً عن **فضائل عَسْقَلان في مُعجمه**، مصورة القاهرة، تاريخ 3823، ص30 حيث يقول: «سمعناه يقول أعني الحسين بن عليّ بن أحمد» الجِيزي (؟) =

(عَسْكَر مُكْرَم) لأبي أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العَسْكَري.

(غَازِيَان) في أَبِيوَرْد.

(غَرْنَاطة) لابن الخطيب لسان الدين في **الإحاطة** وهو كتاب نفيس بخطّه في أوقاف سعيد السعداء، ولخّص منه البدر البَشْتَكي **مركز الإِحَاطَة في أدباء غَرْنَاطة**[243].

ولأبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَيّ الغَرْناطي الأديب[244] المُتوفَّى سَنَة ست وخمسين وسبعمائة (1355م) **تاريخها**، فحصل منه جُملة مُستكثرة وهو قَبْل ابن الخطيب.

(فارِس) تقدّم في شيراز.

(فاس) لابن عبد الكريم.

ولابن أبي زَرْع[245].

وللزُّلَيْحي؟

(القاهــرة)[246].

= كان ابن التَّرْجُمان(ي) شيخ الصوفية بالشام، يروي كتاباً في **فضائل عَسْقلان** يشتمل على أحاديث كثيرة، فلما قدّمها عبد العزيز (بن محمد) النَّخْشَبي، قرأه عليه (عليّ ابن التَّرْجُمان(ي) وقال: ما فيه حديث يصحّ غير حديثين. وقد تُوفّي محمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن التَّرْجُماني بعد سَنَة 440هـ/ 1048-9م (السَّمْعاني: **أنساب**، ص105أ). أو في سَنَة 448هـ/ 1056م على ما تذكر تعليقة فيها خَدْش بسيط على هامش ابن العماد: **شذرات**، ج3، ص278 (القاهرة 1350-1هـ) وهذا مُحتمل، ولكن لا يُرجّح أنّ هذا الكتاب هو نفس كتاب أحمد بن محمد بن عُبَيْد.

(243) إنّ البَشْتَكي كمُؤلّف لـ **مركز الإحاطة** ذكره: Pons Boigues: *Ensayo* 461 f، لكن لم يذكره بروكلمان، ج2، ص262، و**الملحق**، ج2، ص372.

(244) انظر: ابن حَجَر: **الدُرر**، ج4، ص165 فما بعد حيث يقول الناشر في هامش إنّ ابن الخطيب والمَقّري يقولان: إنّ المُؤلّف تُوفّي سَنَة 758هـ. انظر: Pons Boigues: *Ensayo* 328f.

(245) عليّ بن عبدالله، تُوفّي بعد سَنَة 726هـ/ 1326م (انظر بروكلمان: ج2، ص240 فما بعد).

(246) يظهر أنّ الإشارة كان يُراد بها مصر. ولم يستطع السَّخاوي معرفة أبي الحسن الكاتب الذي ذكره الصَّفَدي في **الوافي** ج1، ص49، طبعة ريتر، كمُؤلّف **لتاريخ القاهرة**، ولذلك حذف اسمه.

(قُرْطُبة) للزَّهْراوي[247].

ولابن مُفْرِح (؟) ويُحَرَّر إن كان غير الأول[248].

وفُقهاؤها لابن حَيّان[249].

(القَيْرَوانيون) لأبي عبدالله بن حارث[250].

(قَزْوِين) لإمام الدِّين أبي القاسم الرافعي المُسَمَّى **بالتَّدْوِين** والأصل المُعتمد منه كان في كُتُب العلاء بن خطيب الناصرية، وانتخبه شيخنا بحلب سَنَة (856هـ/ 1432-3م)[251] في كراريس، ثُمّ صار عند المُحِبّ بن الشِّحْنة وكُتب منه نُسَخ.

ومن قبله لأبي يَعْلَى الخليل بن عبدالله الخليلي[252].

(قلعة يَحْصُب) لابن سعيد ويُحَرَّر مع **الطالع السعيد في تاريخ [قلعة] بني سعيد**[253].

(القَيْروان) لأبي العرب الصِّنْهاجي[254].

---

(247) عمر بن عبدالله (عُبَيْد الله ؟) المُتوفَّى سَنَة 454هـ/ 1062م. (انظر: Pons Boigues: *Ensayo* 123f).

(248) انظر أعلاه: ص497.

(249) انظر ابن بَشْكُوال: **الصِّلة**، ص154، رقم 342، طبعة كوديرا Codera.

(250) في مخطوطة ليدن «القرويون». أو هل يجوز أن نقرأها «القرطبيون؟» أما عن **تاريخ قرطبة** لأحمد بن محمد الرَّازي، فانظر أعلاه، قسم 1، ص138.

(251) يذكر ابن حَجَر في مُقدّمة **الإنباء** (مخطوطة البودليان or. Hunt 125) أنه درس في تلك السَّنة على ابن خطيب الناصرية كتابه **تاريخ حلب** الذي كان قد أنجزه لتوّه. انظر **الضَّوء اللامع** ج2، ص36، ج5، ص333؛ محمد بن إبراهيم الحنبلي (المُتوفَّى سَنَة 971هـ/ 1563م. انظر بروكلمان: ج2، ص368): **دُرّ الحَباب**، مخطوطة باريس، ar. 5884 ص3أ.

(252) كثيراً ما يذكر ابن يَعْلَى كمصدر يقتبس منه الرافعي في **التدوين** (مُصوّر القاهرة، تاريخ 2648، ص297 فما بعد) ويذكر هذا أيضاً أنّ أبا يَعْلَى كان مصدراً للخطيب البغدادي، كما ذكره ابن ماكُولا في **الإكمال** وشِيْرَوَيه في **تاريخ هَمَذان**.

(253) تذكر الإحاطة **تاريخ قلعة يَحْصُب** الذي يُدعى **الطالع السعدي** (!) لأبي الحسن بن سعيد أنّ المُؤرّخ المشهور (أعلاه ص239 هامش 1) وُلد في قلعة يَحْصُب (وتُسمّى اليوم بالإسبانية Alcalá la Real وألّف تاريخاً للأُسرة، انظر: Pons Boigues. *Ensayo* 308.

(254) تُوفّي سَنَة 333هـ/ 944-5م على ما يقول *É. Amar* (1932) 19 ,JA. X. لعلّه هو نفس مُؤلّف **تاريخ القيروان** نفسه أبو العرب الصِّقلي الذي ينقل منه ابن حَجَر في **اللسان** =

ولإبراهيم بن القاسم القَيْرواني[255].

ولأبي زَيْد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري **معالم الإيمان ورَوْضات الرِّضوَان من عُلَمَاء القَيْرَوان** وقال في خُطبته: إنه صنّف من أهلها أبو بكر عبدالله ابن محمد المالكي **رِيَاض النُّفوس** وأبو بكر عتيق بن خَلَف التُّجيبي **الافتخار**، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن رشيق، وغيرهم، كأبي عبدالله محمد بن سَعْدُون[256].

(كَشّ) لأبي العَبّاس جعفر بن المُعْتَزّ المُستَغْفِري الحافظ[257].

(كُوفَن) في أَبِيْوَرْد.

(الكوفة) لابن مُجَالد.

ولعُمَر بن شَبّة.

ولأبي الحسن[258] محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فَرْوَة التميمي الكوفي النَّحوي ابن النَّجّار[259].

= ج 3، ص233. انظر ياقوت: **معجم البلدان**، ج4، ص84، 633، طبعة وستنفلد. أما بروكلمان، **الملحق**، ج1، ص575، فيذكر عبد العزيز بن شَدّاد الذي ألّف حوالى سَنَة 540هـ/ 1145-6م بالإضافة إلى الكُنْية أبي محمد، كذلك كُنْية أبي غَرِيب؟ عن تواريخ هذه المدينة، انظر أيضاً المُلاحظة التي كتبها دي سلان على ترجمته لابن خَلِّكان، ج3، ص337 فما بعد.

(255) انظر:

C. Bockor. *Beiträge zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam* I, 10 (Strassburg 1902)..

(256) يظهر أنّ قاسم بن عيسى لم يأخذ هذا النصّ في روايته المُوسّعة لِ **مَعالِم الإيمان** (تونس 1320هـ/ 5م).

(257) كَتَبَ أسد بن حَمْدَوَيه الوَرَثِيني (المُتوفّى سَنَة 310هـ/ 922م) عن **المُنافرة بين كَشّ ونَسَف**. انظر السَّمْعاني: **أنساب**، ص580ب. أما عن **تاريخ كاشْغَر** لعبد الغافر (الغَفّار) ابن حسين الألْمَعي، فانظر:

W. Barthold. *Turkestan* 18.

(258) **الإعلان**: الحسين.

(259) تُوفّي سَنَة 402هـ/ 1011م (**تاريخ بغداد**، ج2، ص158 فما بعد، ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج7، ص260). ويذكر ياقوت (**إرشاد**، ج18، ص104، طبعة القاهرة، =

(لَمْتُونَة)[260].

(مازَنْدَرَان) لابن أبي مُسْلِم[261].

(مَالَقَة) وأعلامها وأدبائها، لأبي العباس أَصْبَغ بن عليّ[262] بن هشام بن عبدالله بن أبي العباس.

وعمل أبو عبدالله محمد بن عليّ بن خِضْر بن عسكر الغَسّاني[263] لها تاريخاً لم يُكمله، فأكمله ابن أُخته أبو بكر محمد بن محمد بن عليّ بن خَمِيس، وسَمّاه **مَطْلَع الأنوار ونُزْهة البصائر والأبصار، فيما احتوت عليه مالَقَة من الأعلام والرؤساء والأخيار، وتقييد ما لهم من المناقب والآثار** واستمدّ فيه من **تاريخ** ابن الفَرَضي، **وصلة** ابن بَشْكُوال، **وتاريخ** الحُمَيْدي، والرَّازي، وابن حَيّان، بل **ورجال مَالَقَة** المُؤَلَّف للحَكَم المُسْتَنْصِر[264]. وانتهى كتاب ابن خَمِيس في سَنَة تسع وثلاثين وستمائة (1241-2م) وهو في مُجلّد لطيف على حُروف المُعْجَم.

= ج 6، ص468، طبعة مارغليوت) كتابه **تاريخ الكوفة** «الذي رأيته»: غير أنّ ضمير المُتكلّم قد يرجع إلى مصدر ياقوت وهو الوزير الحسين بن عليّ المغربي (المُتوفَّى سَنَة 418هـ/ 1027م). إضافة إلى **الفِهْرست** لابن النديم. غير أنّ ياقوتاً أيضاً اقْتَبَس من الكتاب في **معجم البلدان**، ج4، ص633، طبعة وستنفلد».
يذكر **الفِهْرِست**، ص159 (طبعة القاهرة 1348هـ، ص110، طبعة فلوجل) **فضائل الكوفة** لأبي الحسن محمد بن عليّ بن الفضل الدِّهْقان.

(260) انظر: **الإعلان** ص96، وانظر ص479 أعلاه، وانظر أعلاه ص553 هامش (237).

(261) إنّ ضبط هذا الاسم غير جَزْمِيّ، انظر أيضاً المُقدّمة التي كتبها دورن عن تاريخ طَبَرِستان والرُّوجان وما-سانْدِران، ولكنه لا يُقدّم معلومات إضافية:
E. Dorn, *Sehir-eddin's Geschichte von Tabaristan, Rujan und Ma-sanderan*. 6 (St. Petersburg 1850).

(262) في **الإحاطة** العباس؟

(263) تُوفّي سَنَة 636هـ/ 1239م (انظر بروكلمان: ج1، ص413).

(264) تُوفّي المُسْتَنْصِر سَنَة 366هـ/ 975م؛ ورُبّما كان المُؤلّف هو إسحاق بن سَلَمة القَيْني. فقد ألّف كتابه **أخبار رَية** (وهي مدينة في إقليم مَالَقَة) للمُسْتَنْصِر وقد وصفه الحُمَيْدي في **جَذْوَة المُقْتَبِس**: مخطوطة البودليان، or. Hunt 464، ص72ب. انظر أيضاً ابن الفَرَضي، ج1، ص69، رقم 236، طبعة كوديرا Codera (مدريد 1890 ـ 1902م: المكتبة العربية الإسبانية 8) وياقوت: **مُعجم البُلدان**، ج2، ص892، طبعة وستنفلد، Pons Boigues. *Ensayo* 100. =

ولأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري كتاب في المشهورين من عُلماء مَالَقَة، رتّبه على **الطبقات** وقال: «إنّ الكُتُب التي لأهل القَيْروان غير مُختصّة بهم»، **رياض النفوس** لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي، **والافْتِخَار** لأبي بكر عتيق بن خَلَف التُّجِيبي، **وتاريخ** أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن رشيق، **وتاريخ** أبي عبدالله محمد بن سَعْدُون[265].

(المدينة النبويّة) لعُمَر بن شَبّة كما في ترجمته، وهو عند صاحبنا ابن فَهْد نقله من نُسخة بخطّ شيخنا كانت عند ابن السَّيد عَفِيف الدِّين[266].

وللزُّبَيْر بن بكّار[267].

ولمحمد بن يحيى العَلَوي في مجلّد لطيف، وأظنه الذي أشار إليه السِّلَفي في آخر فِهْرِسته.

وكذا الشريف النَّسّابة[268].

ولأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفَاض الفَرْيابي، ذكره أبو القاسم بن مَنْدَه[269] في **الوصية** له.

ولمحمد بن الحسن بن زَبَالة[270]، في مجلّد ضخم.

وجمع **فضائلها** المُفَضّل بن محمد الجَنَدي[271]، والشريف يحيى بن الحسن الحسني العَلَوي.

= وهُناك أيضاً **تاريخ فُقهاء رية** لابن سَعْدان اقْتُبَس منه ابن الفَرَضي، ونسبه Pons Boigues. *Ensayo* 66f إلى القاسم بن سَعْدان الذي تُوفّي سَنَة 347هـ/ 958م.

(265) انظر ص557 من هذا الكتاب.

(266) لعل المقصود بهذا من هذه الأُسرة هو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله 814-880هـ/ 1412-1475م (**الضَّوء اللامع**، ج9، ص232 فما بعد).

(267) عن كتابه **كتاب العَقِيق**، انظر: F. J. Heer المصدر السابق، ص29 فما بعد.

(268) رُبّما كان المقصود هو «محمد بن أسعد الجَوّاني» (؟).

(269) عبد الرحمن بن محمد المُتوفَّى سَنَة 470هـ/ 1077-8م.

(270) أُلِّف سَنَة 199هـ/ 814م (انظر بروكلمان، ج1، ص137).

(271) تُوفّي بعد سَنَة 310هـ/ 922-3م. انظر: السَّمْعاني: **أنساب**، ص137 فما بعد حيث =

وفي فضائلها ومآثرها ومعالمها المُحِبّ بن النَجّار، وسَمّاه **الدُرَّة الثَمِينة في أخبار المدينة**، وذَيَّل عليه أبو العباس الغَرّاقي(272)، في كُرّاسة.

ولأبي اليُمْن بن عسَاكر **إتحاف الزائر**.

ولأبي محمد القاسم بن عساكر **الأَنْباء المُبِينَة في فضل المدينة**.

وللجمال محمد بن أحمد بن خلف المَطَري(273)، وهو مُفيد.

ولمحمد بن عبد المَلِك المَرْجَاني(274).

ولمحمد بن صالح(275).

ولرَزِيـن(276).

وللزَّيْن أبي بكر بن الحسين المَرَاغي **تحقيق النُصْرة بتلخيص معالم دار الهِجْرة**.

وللمجد الفَيْروزآبادي اللُّغوي كتاب سَمّاه **المَغانِم**(277) **المُطَابة في فضائل طابة**.

وللبدر عبدالله بن محمد بن أبي القاسم بن فَرْحُون **نصيحة المُشاوِر وتَعْزِية المُجاوِر** يشتمل على تراجم جماعة من أهل المدينة، في مُجلّد.

وسبقه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أمين الأَقْشَهْري(278)، فعمل كتاباً

= يذكر **فضائل مكة فقط**، ولكن ص477أ تُشير إلى **فضائل مكة والمدينة**، انظر: ياقوت. **مُعجم البُلدان**، ج2، ص809، طبعة وستنفلد.

(272) **الإعلان**»: الغَرّافي.

(273) تُوفّي سَنَة 741هـ/ 1340م (انظر بروكلمان: ج2، ص171).

(274) حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص144، طبعة فلوجل: أبو محمد عبدالله بن أبي عبدالله المَرْجاني. إنّ **تاريخ المدينة** لعبدالله بن عبد الملك المَرْجاني اقْتَبَس منه تقي الدِّين الفاسي في **الشفاء** ج1، 53، 91، 284 وما يليها (مَكّة - القاهرة 1956م).

(275) = ابن النَّطّاح؟

(276) رَزِين بن معاوية المُتوفَّى سَنَة 524هـ/ 1129-30م أو سَنَة 535هـ/ 1140-1م، (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص630).

(277) كذا في مخطوطة ليدن، **الضَّوء اللامع**، ج10، ص82.

(278) تُوفّي سَنَة 731هـ/ 1330-1م أو 737هـ أو 739هـ. انظر ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج3، ص309، وقد أُخِذَتْ منه المعلومات التي في هذه الفقرة.

سَمّاه **الرَّوْضة** فيه أسماء من دُفِن بالبَقِيع[279] تناوله القُطْب الحلبي.

وللعفيف عبدالله بن الجمال محمد بن أحمد[280] بن خَلَف المَطَري **الإِعْلاَم فيمن دخل المدينة من الأَعْلام**.

وللسَّيد نور الدِّين السَّمْهُودي[281] في تاريخها مُؤلَّف مُفْتَقِر إلى تحرير ونَظَر.

وكذا جمعت لأُناسها مُؤلَّفاً في المُسَوَدّة، وبُيِّض بَعْضُه، وقَلَّ من علمته خصَّهم بالأفراد، وما رقمت عليه بُتَّ[282] عند صاحبنا ابن فَهْد.

(مَرَاغة) لابن المُثَنَّى.

(مَرْو) حَدَّثَ أبو الفضل محمد بن عبدالله بن عليّ بن الحسن السَّخْتِياني[283] عن أبي عِصْمة محمد بن أحمد بن عباد المَرْوَزي عن أبي رجاء محمد بن حَمْدَوَيه السَّنْجِي الهُورَقاني[284]، بكتاب **تاريخ المَراوزة** له، قاله الخطيب[285].

ولأبي الفضل العباس بن مُصعب بن بِشْر **تاريخها** أيضاً.

ولأبي صالح المُؤذّن[286]، قال أبو سعد السَّمْعَاني «مُسوّدته عندنا»، ولأحمد بن سَيّار[287].

---

(279) المقبرة المشهورة في المدينة.

(280) إنّ اسم «أحمد» إضافة من مخطوطة ليدن.

(281) عليّ بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 911هـ/ 1506م. (انظر بروكلمان: ج2، ص173).

(282) رأيتُ؟

(283) قدم بغداد سَنَة 368هـ/ 978-9م، انظر: **تاريخ بغداد** المذكور أعلاه.

(284) تُوفّي سَنَة 306هـ/ 918-9م (السَّمْعاني: **الأنساب**، ص593أ، مُتابعاً المَعْداني). وقد نقل من كتابه: **الأنساب**، ص74أ.

(285) **تاريخ بغداد**، ج5، ص460.

(286) أحمد بن عبد الملك المُتوفَّى سَنَة 470هـ/ 1078م (ياقوت: **إرشاد**، ج3، ص224-6، طبعة القاهرة، ج1، ص219 فما بعد، طبعة مارغليوت) حيث ينقل نص السَّمْعاني الذي يُشير إليه **الإعلان**.

(287) انظر: **تاريخ بغداد**، ج4، ص188، سطر 22.

وللسَّمْعَاني أبي سعد وهو يزيد على عشرين مُجلّداً[288].

وعلى حُروف المُعْجَم لأبي العباس أحمد بن سعيد المَعْدَاني[289].

(المَريَة) لابن خَاتِمة[290].

ولابن الحاجّ.

(المَصَامِدة)[291].

(مصر) لأبي سعيد بن يونس، **تاريخها**، **والغُرباء** أيضاً، وذَيَّل عليه أبو القاسم ابن الطَّحّان فيهما معاً[292].

---

(288) لم يستطع السُّبْكي إيجاد الكتاب في مصر وسوريا، لذلك كتب إلى بغداد يسأل فيما إذا كان الكتاب موجوداً فيها، انظر مُقدّمة مخطوطة البودليان، Or. Marsh 428.

(289) أحمد بن سعيد المُتوفَّى سَنَة 375هـ/ 986م (السَّمْعاني: **الأنساب**، ص536أ). وقد نقل **الأنساب** من كتابه في ص417ب، 498أ انظر أعلاه هامش، 286.
ويذكر السَّمْعاني (**الأنساب**، ص421ب) شخصاً اسمه محمد بن عليّ بن حمزة الفُراهِيناني أَلَّف عن مُحَدِّثي مَرْو.

(290) أحمد بن عليّ المُتوفَّى 770هـ/ 1369م. انظر: Pons Boigues. *Ensayo* 331.
S. M. Stern, in *Al-Andalus* XV 85, n. W. 1950.

(291) انظر: مقالة كولن G. S. Colin في **دائرة المعارف الإسلامية** مادة «مَصْمُودة»؛ والمقصود هنا هو تاريخ المُوحّدين. ويقول المراكشي الذي كتب عنهم، إنه يعرف كتاباً قديماً عنهم من السَّماع فقط (**المُعْجب**، ص3، طبعة دوزي، ليدن 1847، 1881م) انظر أيضاً: أعلاه، ص394 هامش 5.

(292) عن كتاب ابن يونس الواسع الانتشار، انظر مثلاً: ابن حَجَر: **رفع الإصْر** مخطوطة باريس، ar. 2149، ص128ب؛ طاشْكُبْري زاده أدناه ص453. وقد اقْتُبَس من كتابه **الغُرَباء** مثلاً: **تاريخ بغداد**، ج6، ص22، 362، والسَّمْعاني: **الأنساب**، ص21أ، 519أ، وابن خَلِّكان. قد يبدو أنّ كثيراً من (وليس كُلّ) الاقتباسات الكثيرة العدد، في السَّمْعاني، من «ابن يونس» ومن كتابه **تاريخ مصر** (**المصريين**) مأخوذة أيضاً من **الغُرَباء**؛ غير أنّ **تاريخ مصر** هو غير **الغُرَباء**، وقد اقْتُبَس منه المَقْريزي في **الضَّوء الساري**، طبعة:
H.D. Matthews, in *Journal of the Palestine Oriental Society* XIX 160 (1939-40).
أما تاريخ ابن الطَّحّان فقد نقل منه أيضاً القِفْطي في **إنباه الرّواة**، القاهرة، 1369-74هـ/ 1950-1955م.

وفُتُوحها لابن عبد الحَكَم[293].

والبُغْيَة والاغتِبَاط فيمن ولي مصر الفُسْطاط لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد الهاشمي الأخباري.

وأخبارها وفضائلها لابن زُولاق.

وصنَّف أبو عمر الكِنْدي محمد بن يوسف بن يعقوب.

وأبو محمد الفَرْغاني[294].

وأبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زُولاق **فضائل مصر وأخبارها**.

ولشيخنا **رفع الإِصْر عن قُضاة مِصْر** ذَيَّلتُ عليه.

ومن قبلهم سعيد بن أبي مريم[295].

وسعيد بن عُفَير وغيرهم[296] **تاريخها**.

وجمعهم محمد بن عُبَيْد الله بن أحمد المُسَبِّحي[297] في تاريخ كبير. وذَيَّل عليه محمد بن عليّ بن يوسف بن مُيَسِّر، وهو في مُجلّدين عند المُحِبّ بن الأمانة[298] أولهما، وعند البَدْر الشاذلي ثانيهما[299].

وجمع القُطْب الحلبي للمصريين تاريخاً حافلاً، عندي من مُسوّدته بخطّه

---

(293) عبد الرحمن بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 257هـ/ 870-1م (انظر بروكلمان: ج1، ص148).

(294) انظر: القسم الأول، ص173.

(295) سعيد بن الحَكَم. انظر: **الفِهرِست**، ص139 (طبعة القاهرة، 1348هـ، ص95، طبعة فلوجل) حيث لا يذكر شيئاً عن تاريخ لمصر.

(296) سعيد بن كثير بن عُفَيْر المُتوفَّى سَنَة 226هـ/ 840-1م (السيوطي: **حُسْن المحاضرة**، ج1، ص168، القاهرة 1299هـ).

(297) تُوفّي سَنَة 420هـ/ 1029م (انظر بروكلمان: ج1، ص334).

(298) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز. ونص **الضَّوء اللامع** غير مُنتظم في المكان الذي ينبغي أن تكون فيه ترجمته.

(299) الحسين بن عليّ 805-891هـ/ 1402-1486م (انظر: **الضَّوء اللامع**، ج3، ص149 فما بعد).

مُجلّدات تزيد على العشرة، وهو على الحُروف، ما أكمله، بَيَّض منه مَن اسمه مُحَمَّد، كما عندي أيضاً في أربعة مُجلّدات[300].

ولولده التَّقِي محمد عليه فيه زوائد كثيرة، وكذا للتَّقِي المَقْرِيزي كتاب حافل في ذلك، في خمسة عشر مُجلّداً فأكثر. بل قال: إنه لو توجَّه له لَجاء في ثمانين، أو كما قال. وله أيضاً **عِقْد جواهر الأَسْفَاط من أخبار مدينة الفُسْطَاط**[301] وهو مع كتابه **إيقاظ (اتعاظ؟) الحُنَفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَاء** يشتملان على ذكر مَنْ مَلَكَ مصر من الأُمراء والخُلفاء، وما كان في أيامهم من الحوادث والأنباء، منذ فُتحت وإلى أن انقرضت الدولة الفاطمية. ثُمّ وصله بكتابه **السلوك** كما تقدّم[302]. وجمع خِططها وشيئاً من أخبار مَنْ دَخَلَها من الصحابة ومن مات منهم بها وأسماء الصالحين وأماكن قبورهم وآثارهم وعجائبها وما ينسب إليها، القُضَاعي، وأبو عمر الكِنْدي.

ولمحمد بن أسعد الجَوّاني الشريف **النُّقَطْ على الخِطَط**. وكذا جمع **خِططها** المَقْرِيزي، وهو مُفيد. قال لنا شيخنا: إنه ظفر به مُسَوَّدة لجاره الشهاب أحمد بن عبدالله بن الحسن الأَوْحَدي[303] بل كان بَيَّضَ بعضه، فأخذها وزاد عليه زيادات، ونسبها لنفسه.

ولإبراهيم بن إسماعيل بن سعيد **البُغْيَة والاغْتِباط في أخبار مِصْر والفُسْطَاط**.

---

(300) على ما يقول ابن حَجَر: **رفع الإصْر**، مخطوطة باريس، ar. 2149 ص1ب، يتكوّن الكتاب من عشرين مُجلّداً، أربع منها في نَسْخ جيد، وهذا الكتاب الذي يكثر الاقتباس منه، استعمله ابن خطيب الناصرية بصورة واسعة.

(301) الأصح « ...**في ذكر مُلوك مصر والفُسْطاط**» على ما تذكر مُلاحظة على هامش مخطوطة ليدن **والضَّوء اللامع** ج2، ص22 سطر 31، ويذكر المَقْريزي في أوّل **الاتّعاظ** «في أخبار مدينة الفُسْطاط».

(302) **الإعلان**: ص120، انظر أعلاه، ص532.

(303) 761-811هـ/ 1359-1408م (**الضَّوء اللامع**، ج1، ص358 فما بعد) انظر بروكلمان: ج2، ص39 هامش 1، وقد كان الأوحدي يمتلك النُسخة الباقية من كتاب **وُلاة مصر وقُضاتها** للكِنْدي. انظر المُقدّمة التي كتبها لطبعته لهذا الكتاب، جيست R. Guest، ص47. واللوحة رقم 134أ (ليدن ـ لندن، سِلْسِلَة جِب التذكارية 19).

(المَغرِب) تاريخ عبد الملك بن حبيب.

وطبقات الفُقهاء وفضائلهم؛ والدولة الغربية تتمّة دولة بني أُميّة بالمغرب والمُغِرْب في حُلَى المَغرِب لابن سعيد، **والمُغْرِب في مَحَاسِن المَغْرِب** له أيضاً. وبعضها بالمُؤيّدية بل له أيضاً **المُشرِق في أَخبَار المَشْرِق**.

(مكة) جَمَعَ فضائلَها على نمط الأَزْرَقي[304] والفاكِهي[305]:

المُفَضّلُ بن محمد أبو سعيد الجَنَدي.

وأبو سعيد الشَّعْبي ويُحَرَّر مع الأول.

وأبو الفرج عبد الرحمن بن أبي حَاتم.

ثم الحافظ الضياء المَقْدِسي.

ولأبي عبدالله بن محمد بن القَيِّم[306] **تفضيل مكة**.

وتفاخر شاعران بالحَرَمين، فحكم بينهما شاعر عِجْلي بقصيدة منها:

يا أيها المَدَني أرضُك فو ... ق البلاد وفضلُ مكة أفضلُ

وتاريخها:

أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عُقْبَة بن الأَزْرَق الأَزْرَقي.

ومحمد بن إسحاق بن العباس الفاكِهي، وكانا في المائة الثالثة، والفاكِهي مُتأخِّر عن الأول قليلاً ظنّاً، وكتابه في مُجلّدين.

وأبو زيد عُمَر بن شَبّة النُّميْري لكن لم يقف عليه الفاسي[307]، وكتبه صاحبنا ابن فَهْد بخطّه في مُجلّد، قال: «وهو على نَمَط كتابَي الأَزْرَقي والفاكِهي».

---

(304) محمد بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 244هـ/ 858-9م (انظر بروكلمان: ج1، ص137).

(305) محمد بن إسحاق. وقد أُلّف بعد سَنَة 272هـ/ 885-6م (انظر بروكلمان: ج1، ص137).

(306) ابن قَيِّم الجوزية؟

(307) يذكر الفاسي في مُقدّمة **العِقد الثمين** أنه يعتقد أنه رأى مُلاحظة لزميل له تذكر أنّ لعُمَر ابن شَبّة كتاباً عن أخبار مكة.

والزُّبَيْر بن بكّار.

ورَزِين بن مُعاوية السَّرَقُسْطي[308] لخَّصه من **تاريخ** الأَزْرَقي.

ولسعد الله بن عمر الإسْفَراييني[309] **زُبْدَة الأعمال وخُلاصَة الأَفْعال في** فضائل مكة والمدينة، اختصره من **تاريخ** الأَزْرَقي، كما ذكره في خُطبة كتابه، وهو عند كاتبه عبد القادر بن عبد العزيز بن فَهْد، لطف الله بهم.

والمُحبّ محمد بن محمود بن النَّجّار البغدادي سَمّاه **نُزْهَة الوَرَى في ذِكْر أُمْ القُرَى**.

وللجمال محمد بن المُحِبّ الطَّبَري المَكّي الشافعي **التشويق إلى زيارة البيت العتيق**.

والجمال أبو عبدالله محمد بن عليّ الزَّبِيدي الناسخ، عرف بابن المُؤذّن وسَمَّاه **مُثِير الغَرَام إلى البَلَد الحَرَام**.

والهادي إبراهيم بن عليّ بن المرتضى الحسني الزَّيْدِي[310] أحد شيوخ التَّقِي بن فَهْد **زَهْرَة الخُزَام في فَضَائل البيت الحَرام**.

ولزيد بن هاشم بن عليّ بن المُرْتَضَى الحَسَني[311] وزير المدينة النبويَّة، **تاريخها**.

ولابن الجَوْزِي **مُثِير العَزْم الساكن لِأشْرَف الأماكن**.

ولعبد الرحمن بن أبي حَاتِم **كتاب مكة**[312].

---

(308) مخطوطة ليدن هي الأصحّ.

(309) يسمي بروكلمان (ج2، ص172) المُؤلّف عليّ بن نصر سعد الدِّين. وقد ألّف في سَنَة 762 هـ/ 1360-1م.

(310) تُوفّي سَنَة 822هـ/ 1419م (**الضَّوء اللامع**، ج10، ص206) يذكر **الإعلان** (الزَّبِيدي). أما مخطوطة ليدن **والضَّوء** فتذكر (الزَّيْدِي).

(311) لقد كان، على ما يقول حاجي خليفة، حياً حوالى سَنَة 676هـ/ 1277-8م، أما الفاسي فيقول في مُقدّمته **للعقد الثمين**: إنّ هذا كان النَّسَب الذي نسبه إليه المَيُورَقي معاصر زيد، انظر أعلاه ص211.

(312) **أعلاه**، ص565.

وكذا لأبي سَعِيد بن الأَعْرَابي.

وأبي القاسم عبد الرحمن بن أبي عبدالله بن مَنْدَه.

كما أثبت الثلاثة أبو القاسم المذكور في **الوصيّة** له.

وللمجد الفيروزآبادي **مُهِيج الغَرَام إلى البلد الحَرَام وإثارة الحَجُون إلى زيارة الحَجُون**[313].

وللتَّقِي الفاسي **شِفَاء الغَرَام بأخبار البلد الحَرَام** وهو أوسعها، و**تُحْفَة الكرام** كُلٌّ منهما في مُجلّد. واختصر أولهما وسَمّاه **تُحْفَة الكرام** أيضاً. واختصره في **تحصيل المَرَام** ثُمّ في **هادي ذوي الأفهام** ثُمّ في **الزهور المُقْتَطَفَة من تاريخ مكة المُشَرّفة** ثُمّ في **ترويح الصدور باختصار الزُّهور** ثُمّ في آخرَ[314]. وله في الرجال ممّا قَلَّ أن يسبق إلى اختصاصهم بالأفراد **العِقْد الثَمِين في تاريخ البلد الأَمين** أربعة أسفار، واختصره في **عُجالة القِرَى للراغب في تاريخ أُمّ القُرى**، وله مُختصران آخران، وللفاسي أيضاً **وُلاَة مكة في الجاهلية والإسلام**.

وللجمال الشَّيْبي[315] **الشَّرَف الأعلى في ذكر مَقْبَرة باب المُعَلّى**.

ولصاحبنا النَّجم بن فَهْد **الدُّرّ الكمين بذيل العِقْد الثَمِين** و**إتْحَاف الوَرَى بأخبار أم القُرَى**، وذَيَّل عليهما ولده العِزّ بن فهد بمُؤلَّفَين[316].

---

(313) أما كتابه **الوَصْل (؟) والمُنَى في فضل مِنَى** فقد نَقَل منه تقيّ الدِّين الفاسي في **العِقْد الثمين**، الفصل الحادي والعشرون، وكذلك **الشّفاء**، ج1، 199، 323.

(314) إنّ الكتاب الأول **تُحفة الكرام** وكذلك **الترويح** والكتاب الذي ليس له عنوان، كُلّها غير مذكورة في الترجمة التي كتبها الفاسي لنفسه في **العِقْد الثمين**، فهي إذن أُلِّفت بعد كتابة هذه الترجمة.

(315) محمد بن عليّ بن محمد المُتوفَّى سَنَة 837هـ/ 1433م (انظر بروكلمان: ج2، ص173).

(316) عبد العزيز بن عمر 850-921هـ/ 1447-1516م (انظر بروكلمان: ج2، ص175).

ويقول الفاسي في **شفاء الغرام**، ص61، طبعة وستنفلد:

Wüstenfeld (*Die Chroniken der Stadt Mekka* II).

إنّ المَيُورقي ذكر أنه بدأ في سَنَة 676هـ/ 1278م بكتابة تاريخ لمكة وأنه أكمل منه أربعة كراريس. ويقول الفاسي: إنه لم يَرَ الكتاب.

وقد كتب أبو زيد البَلْخي **فضائل مكة على سائر البقاع**. انظر: **الفِهرِست**، ص199 (طبعة القاهرة 1348هـ، ص138، طبعة فلوجل).

(**المَوْصِل**) لابن باطيش.

ولإبراهيم بن محمد بن يزيد المَوْصِلي.

ولأبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأَزْدي[317]، **مُحدِّثوها وحُفّاظها**.

وشرع العِزّ بن الأثير صاحب **الكامل** في تاريخ لها، فمات قبل أن يُكمله[318].

(**مَيّافارِقين**) لأحمد بن يوسف بن عليّ بن الأَزْرَق القاضي[319].

(**نَسَا**) في أَبِيوَرد.

(**نَسَف**) لأبي العباس جعفر بن محمد بن المُعتزّ المُسْتَغْفِري الحَنَفي الحافظ[320].

(**نِصِّيبين**) أفرده بعضهم ممّن لم أستحضره.

---

(317) انظر أعلاه: قسم 1، ص133 فما بعد. لقد تُوفّي سَنَة 334هـ/ 945-6م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة الثانية عشرة، رقم 14، طبعة وستنفلد؛ انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص210). ويظهر أنّ هذا الكتاب ذكره المسعودي في **مُروج الذهب**، ج1، ص6، طبعة باريس، ج1، ص18، طبعة القاهرة، 1346هـ. إذا اعتبرنا أنّ أبا ذكو[ر]اه المَوْصِلي الذي ألّف كتاب **التاريخ وأخبار المَوْصِل** هو نفس أبي زكريا وقد نقل منه **تاريخ بغداد**، ج5، ص417، ج6، ص132 (**طبقات العُلماء من أهل المَوْصِل**). السَّمْعاني: **أنساب**، ص405ب ـ 406أ؛ ياقوت: **مُعجم البُلدان**، ج3، ص114، ج4، ص223، 685 (**كتاب طبقات مُحَدِّثي أهل المَوْصِل**) انظر: F.J. Heer، المصدر السابق، ص35 فما بعد، ابن حَجَر: **لسان**، ج3، ص257، 261 فما بعد (**طبقات العُلماء بالمَوْصِل**) انظر: ابن حَجَر: **تهذيب** ج1، ص9 (صاحب **تاريخ المَوْصِل**).

(318) لقد تجاهل السَّخاوي **تاريخ المَوْصِل** للخالديين سعيد وأخيه محمد بن هاشم (انظر بروكلمان: ج1، ص146 فما بعد)، وقد اقْتُبَس من هذا الكتاب ابن العديم في **بُغْية الطلب**، مصور القاهرة، تاريخ 1566، ص69 فما بعد ياقوت: **مُعجم البُلدان**، ج3، ص363، طبعة وستنفلد.

(319) تُوفّي بعد سَنَة 572هـ/ 1176-7م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص569 فما بعد). أما عن **تاريخ مَيُورقة** للمخزومي، فانظر: المَقَّري، **نَفْح الطِّيب**، ج2، ص765.

(320) لقد اقْتُبَس من هذا الكتاب السَّمْعاني: **أنساب**، مثلاً ص19ب، 21ب، 29ب، 30ب، 162ب، 305أ، 322أ، 328ب، 339أ، 340ب، 363ب، 382ب، 473أ، 474أ، 480أ، 485أ، 491أ، 493أ، 517أ، 523ب، 598أ، 601ب؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص100.

(نَفزَة) لابن المُؤَدِّب.

(نِيسَابور) للحاكم[321] والذَّيل لعبد الغافر[322]، وكِلاهما عندي، الأول في ستة مُجلّدات، والثاني في واحد ضخم.

(هَرَاة) لشِيرَوَيْه.

ولأبي نَصْر الفامي[323]، واختصره الضياء المَقْدسي.

ولأبي إسحاق أحمد بن محمد بن ياسين الهَرَوي الحَدّاد[324] في تصنيفين أحدهما على حُروف المُعْجَم والآخر [...][325] لأبي عبدالله الحسن بن محمد الكُتُبي أظن[326].

---

(321) إنّ هذا الكتاب اقْتُبَس منه كثيراً السَّمْعاني: **الأنساب**، وعدّة مُؤلّفين آخرين وقد اقْتَبَس منه أيضاً الصَّفَدي: **الوافي**، مخطوطة البودليان Or. seld Arch A 21، ص65ب. انظر أيضاً سِبْط ابن العَجَمي: **كنوز الذهب**، مخطوطة القاهرة (تيمور؟) تاريخ 837، ص16.

(322) عبد الفاخر بن إسماعيل المُتوفّى سَنَة 529هـ/ 1134-5م (انظر بروكلمان: ج1، ص364 فما بعد. **الملحق**، ج1، ص623) أما سياقه إلى الحاكم فقد اقْتَبَسه أيضاً ابن خَلّكان، ج2، ص89 فما بعد، ج4، ص56، ترجمة دي سلان، وابن كثير: **البداية**، ج12، ص40). انظر أيضاً البَيْهَقي. **تاريخ بَيْهَق**، ص21.

(323) عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عثمان المُتوفّى سَنَة 549هـ/ 1155م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص571). أما «النّامي» فيبدو أنه غَلْطة مطبعية في **طبقات الشافعية**؛ فمخطوطة السُّبْكي في البودليان Or. Marsh 428 تذكر أيضاً «الفامي». وقد اقْتَبَس من «تاريخ هَرَاة» النَّوَوي: **الطبقات**، مخطوطة القاهرة، تاريخ 2021، ص50ب (ترجمة إسماعيل بن الفضيل). ويقول السُّبْكي: إنّ ابن عساكر استفاد منه.

(324) تُوفّي سَنَة 234هـ/ 848-9م (ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص291)، وقد اقْتَبَس من هذا الكتاب ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص316. ويذكر الصَّفدي: **الوافي**، ج1، ص58، طبعة ريتر: «أبو إسحاق الرَّزّاز».

(325) رَغْم أنّ مخطوطة ليدن تذكر «وآخر» دون أل التعريف، فالراجح أنّ هُناك فراغاً، غير أنه من الواضح أنّ السَّخاوي استعمل **الإحاطة** التي ليس فيها شيء عن كتابَيْ ابن ياسين. ويُفسّر البَيْهَقي في **تاريخ بَيْهَق** ص21 هذا الاضطراب. هُناك تاريخان لهَرَاة أحدهما لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن يونس البَزّاز (**تاريخ بغداد**، ج5، ص126)، والآخر لأبي إسحاق محمد بن سعيد الحَدّاد.

(326) يذكر ياقوت: **إرشاد**، ج4، ص260 فما بعد (طبعة القاهرة، ج2، ص86 فما بعد طبعة مارغليوت، كتاب **وُلاة هَرَاة** لأحمد بن محمد الباشاني (المُتوفّى سَنَة =

(**هَمَذان**) لابن منصور شَهْرْدار بن شِيرَوَيْه[327]، ولشِيرَوَيْه بن شَهْرْدار بن شِيرَوَيْه الدَّيْلَمي[328].

ولأبي الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن أحمد بن صالح الهَمَذاني الحافظ[329].

وعمران بن محمد بن عمران الهَمَذاني **طبقات أهل هَمَذان**.

(**واسط**) للدُّبَيْثِي أبي عبدالله محمد بن سعيد بن يحيى الحافظ المُؤرّخ[330].

ومن قبله لأبي الحسن أَسْلَم بن سهل بَحْشَل الواسطي[331].

= 501هـ/ 1011م)؛ كما أنّ السُّبْكي (مخطوطة البودليان or. Marsh 428) يُشير إلى **تاريخ هَرَاة** لأبي رَوْح الهَرَوِي (المُتوفَّى سَنَة 544هـ/ 1149-50م).

(327) انظر: النَّوَوي: **طبقات**، مخطوطة القاهرة، تاريخ، 2021، ص56ب.

(328) إنّ كتابه **تاريخ هَمَذان** اقْتَبَسه أيضاً القِفْطي: **إنباه الرُّواة**، مُصوّر القاهرة، تاريخ 2579، ج1، ص119، 420.

الرافعي: **التدوين**، مُصوّرة القاهرة، تاريخ 2648، ص229 فما بعد ابن حَجَر: **لسان**، ج3، ص430.

(329) قدم بغداد سَنَة 370هـ/ 980-1م (**تاريخ بغداد**، ج9، ص331) وتُوفّي سَنَة 374هـ/ آخر سَنَة 984م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة الثانية عشرة، رقم 66، طبعة وستنفلد، ويذكر ياقوت في **مُعجم البُلدان**، ج4، ص329، طبعة وستنفلد أنه تُوفّي سَنَة 384هـ/ 994م). أما كتابه **طبقات الهَمَذانيين**، فقد اقْتَبَس منه: **تاريخ بغداد**، ج2، ص286، ج5، ص446 فما بعد. في 10، ص340، السَّمْعاني **أنساب** ص369ب، (انظر: ص490ب مادة الكُومُلاباذي).

(330) تَذْكر إحدى التعليقات المُدَوَّنة على هامش مخطوطة القاهرة: تيمور، تاريخ 1483 من **تاريخ واسط** لبَحْشَل، أنّ الدُّبَيْثي دَرَس هذا الكتاب سَنَة 573هـ/ 1178م (والكتابة واضحة 573 وليس 593) غير أنه كان آنذاك في الخامسة عشرة من عمره. ولا بدَّ أن يكون الدُّبَيْثي آنذاك عمره أكبر من ذلك، لأنه كان يُدعى «شيخاً» و«إماماً»، رَغْم أنّ طالباً آخر درس الكتاب وذكر أنّ عمره أربع سنين وشهرين.

(331) توفي قُبَيْل أو بُعَيْد سَنَة 288هـ/ 901م (ياقوت: **إرشاد**، ج6، ص127، طبعة القاهرة، ج2، ص256، طبعة مارغليوت عن السِّلَفي)، أو سَنَة 292هـ/ 904-5م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص210)؛ الذَّهبي: **تاريخ الإسلام** (اقْتَبَس منه في هامش على ياقوت المذكور أعلاه). والاسم (بَحْشَل) بالباء لا بالنون وكُلّ التعليقات على مخطوطة القاهرة، تيمور، تاريخ 1488، تذكره بالباء) انظر أعلاه ص214.

وذَيَّل عليه أبو الحسن عليّ بن محمد بن محمد بن الطَّيِّب الجُلّابي[332].

(اليمن) للحِمْيَري[333].

وللبَهاء أبي عبدالله محمد بن يعقوب بن يوسف الجَنَدي كتابه **السلوك** رَتَّبه على الطبقات، وقال في خطبته: «إنه يَعتمد في تراجم المُتقدّمين على كتاب الفقيه أبي حفص عُمَر بن عليّ بن سَمُرَة[334] في **فُقهاء اليمن**، فإنه ذكر غالبهم منذ ظهر به الإسلام إلى بضع وثمانين وخمسمائة» (1184-93م).

وعلى **تاريخ اليمن** أو **صنعاء** لأبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الرَّازي الصَّنْعَاني[335]، وقد انتهى فيه إلى الستين وأربعمائة (1097-8م) تقريباً.

وعلى **تاريخ صَنْعَاء** لإسحاق بن جَرِير الزُّهْري الصَّنْعَاني إلى غيرها[336]، وانتهى إلى بعد الثلاثين وسبعمائة[337] (1329-30م).

ولم يعتنِ بترتيبه بحيث عَسُرَ الكشف منه، وعليه مُعَوَّل مَنْ بَعْدَه.

---

(332) تُوفّي سَنَة 554هـ/ 1139-40م (**تاج العروس**، ج1، ص186، القاهرة، 1306هـ).

(333) عن كتب التاريخ المُؤلّفة عن اليمن، انظر: محمد كرد عليّ في **مجلة المجمع العلمي العربي** بدمشق، المجلد السابع عشر ص535 فما بعد (1942م). أما عن مخطوطات في مكتبة عليّ أميري بإستانبول، فانظر:
R. B. Sergeant in *BSOS* XIII 281-307 581-601 (1950).

(334) تُوفّي سَنَة 586هـ/ 1190م (انظر بروكلمان: ج1، ص391).

(335) (انظر بروكلمان: ج1، ص333). ويُضيف الجَنَدي أنّ كتاب الرَّازي يَكْثر وجوده وكُلّ مخطوطة تحتوي القسم الثالث من الكتاب، غير أنّ النصّ في مُختلف النُّسَخ يختلف في بعض الفقرات، انظر أيضاً:
H. C. Kay, *Yaman* XIV (London 1892).
وحاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج2، ص159، طبعة فلوجل، وقد عدّد بروكلمان كافة مخطوطات هذا الكتاب. ويُمكن أن نُضيف مخطوطة البودليان Or. 736 التي يظهر أنها تحتوي القسم الثالث. أما الأقسام الأُخرى فإذا كانت قد وُجدت أصلاً، فلا بدَّ أن تكون قد فُقدت في زمن مُبَكّر جداً.

(336) انظر: أعلاه، ص553، هامش 236.

(337) يقول الجَنَدي في كتاب **السلوك** الذي أخذ منه النصّ المذكور أعلاه (انظر مُصوّر: القاهرة تاريخ 996، ص6) أنه كان يكتبه في سَنَة 722هـ/ 1322م.

ثُمّ اعتنى به[338] (؟) بعد كتاب عُمَر بن عليّ بن سَمُرَة في **فقهاء اليمن**.

ثُمّ للمُوفَّق أبي الحسن عليّ بن الحسن بن أبي بكر الخَزْرَجي وهو في مُجلّدين، وسَمّاه **العِقْد الفَاخر الحَسَن في طبقات أكابر اليمن**، وهو حسن مع إغفاله جماعة من الجَنَدي.

وللبدر حسين الأَهْدَل، وسَمّاه **تُحْفَة الزَّمَن في تاريخ سادات اليمن** في مُجلّدين أو واحد ضخم.

ولعبد الباقي بن عبد الحميد القُرَشي[339] **بَهْجَة الزَّمَن في تاريخ اليمن**.

وللأفضل عباس بن المجاهد عليّ بن داود بن يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول، صاحب اليمن وابن أصحابها[340].

و(صاحب) مختصر تاريخ ابن خَلِّكان، وصاحب **نُزْهَة العيون في تاريخ طوائف القُرون وبُغْيَة ذوي الهِمَم في أَنْسَابِ العَرَبِ والعَجَم** وكتاب **العَطَايا السَّنِيّة** يتضمّن ذكر أعيان أهل اليمن. ويُقال إنّ ذلك كُلّه بعناية الرَّضِي (الرِّضَى) أبي بكر بن محمد بن يوسف قاضي تَعِزّ.

في آخرين اعتنوا بعُلَماء اليمن كالقُطْب القَسْطَلاني[341].

والعفيف اليافعـي.

---

(338) قد يكون منطقياً أنّ ضمير (به) راجع إلى «الترتيب» لا إلى «اليمن» أو قد يكون المعنى «ثم إنّ الكتاب.. اعتنى به..» غير أنّ كُلّ احتمال فكّرتُ به يعترض قَبوله بعض الصُّعوبات. ولا تذكر مخطوطة ليدن المُقتبس من كتاب الجَنَدي عن مصادره، شأن كثير من النّقاط التي لا تذكرها.

(339) تُوفّي سَنَة 743هـ/ 1343م أو سَنَة 744هـ (انظر بروكلمان: ج2، ص171، الصَّفدي: **أعيان العصر**، مخطوطة باريس، ar. 5859، ص58أ وهو يحكم على كتابيه **تاريخ اليمن وتاريخ النحويين** بشكل مُعادٍ أو سلبي (adversely)؛ ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج2، ص315-8. لكن على الرَّغْم من الصَّفدي، فإن كتاب **بهجة الزمان**، هو كتاب طريف وقد قرأ السَّخاوي عبد الحميد بدلاً من عبد المجيد وهي الصيغة الصحيحة.

(340) تُوفّي سَنَة 778هـ/ 1376-7م (انظر بروكلمان: ج2، ص184).

(341) الظاهر أنه محمد بن أحمد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 868هـ/ 1287م (انظر بروكلمان: ج1، ص451).

والجَمَال محمد بن أبي بكر بن الخَيّاط[342].

ولأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن أبي الصَيْف **المَيْمون المُضَمَّن لبعض الفُضلاء (فُضلاء؟) أهل اليمن**[343].

وجمع أبو بكر محمد بن عبد الحميد بن عبدالله بن خَلَف القُرَشي المصري في فضله أربعين حديثاً.

ولأحمد بن عبدالله بن محمد الرّازي **تاريخ صَنْعا**.

ولعُمارة كما تقدم[344] **المُفِيد في أخبار زَبِيد**.

ولبعضهم **دَوْلَة المُظَفَّر** صاحب اليمن[345].

وللخَزْرَجي أيضاً **العُقُود اللُّؤْلُؤية في أخبار الدولة الرَّسُولِيَة**.

وكذا التَّقِي الفَاسي **تَقْريب الأَمَل والسُّول من أَخْبَار سلاطين بني رَسُول**، ثُمّ اختصره، في آخَرِين ممّن اقتصر على صُلَحاء اليمن ونحوهم.

13 ـ تصانيف البُلْدان

ووراء هذا تصانيف في البُلدان، والتعريف بها، وذكر مآثرها، وفُتوحها خاصة، بدون تراجم أهلها غالباً. وهي كثيرة جداً.

أحفلها **مُعْجَم البُلْدَان** لياقوت.

والمَسَالِك والمَمَالِك للبكري[346].

---

(342) 786-839هـ/ 1384-1436م (**الضَّوء اللامع**، ج7، ص194 فما بعد).

(343) تُوفّي في 609هـ/ 1212-13م. ولقد اقْتَبَس الجَنَدي من هذا الكتاب في مُقدّمة كتاب السُّلوك.

(344) **الإعلان** ص127، انظر أعلاه ص551.

(345) الظاهر أنه أول حاكم بهذا الاسم وقد تُوفّي سَنَة 694هـ/ 1295م. أما الحاكم المُتأخّر فقد عاش في القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي (**الضَّوء اللامع**، ج10، ص326).

(346) عبدالله بن محمد المُتوفَّى سَنَة 487هـ/ 1094م (انظر بروكلمان: ج1، ص476).

ولعُبَيْد الله بن خُرَّدَاذْبِه[347] وهو غير **تاريخه**.

وكذا عمل الشِّهاب بن فضل الله **مَسَالِك الأَبْصَار في الأَقْطَار والأَمْصَار** أزيد من عشرين مُجلّداً وهو بالمُؤيّدية، وبمدرسة سُلطاننا (قايتباي) بمكة.

وكذا لأحمد بن يحيى البَلاَذُري[348]، **أخبار البلدان**، وفُتوحها بالصُّلح أو العُنْوة، من الهجرة، وما فُتِح في أيامه وعلى الخُلفاء بعده، وما كان من الأخبار في ذلك، ووصف البُلدان في الشرق والغرب والشمال والجنوب. قال المَسْعُودي: «ولا نعلم في البُلدان أحسن منه»[349]. قلتُ كان ذلك قبل ياقوت.

وكذا عمل غيرهم **الرَّوْض المِعْطَار في أَخْبَار الأقطار**[350] في مُجلّدين.

وللعُذْري[351] **تَرْصيع الأَخْبَار في البُلدان**.

---

(347) النصف الأول من القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي (انظر بروكلمان: ج1، 225 فما بعد)؛ وتُضيف مخطوطة ليدن (ابن عبدالله) ويُفضّل *Suculum*; Frye خُرْداذْبِه.
رُبّما كانت مأخوذة من هذا الكتاب الفقرات المذكورة في ج2، ص151، ج6، ص51، 89 من كتاب **البدء والتاريخ** للمُطَهَّر. طبع:
C. Huart, Paris 1899-1919. Publications de L'École des Langues or. Vivants IV e Serie XVI-XVIII, XXI-XXIII.
وقد صَلَّح هوارت نصّ الفقرة الأُولى على ابن خُرَّداذْبِه، أما الفقرتان الأُخريان، فقد قرأ خُرَّزاد، واعتبر المقصود به خُرَّزاد بن دَرْشاد الرياضي الذي ذكره **الفِهْرِست** باقتضاب ص385 (طبعة القاهرة 1348هـ، ص276، طبعة فلوجل).

(348) تُوفّي حوالى سَنَة 279هـ/ 892-3م (انظر بروكلمان: ج1، ص41 فما بعد).

(349) **مُروج**، ج1، ص14 طبعة باريس، ج1، ص5 (طبعة القاهرة 1346هـ) ويذكر المسعودي **فُتوح البُلدان**.

(350) انظر: É. Levi Provençal, *La Péninsule Ibérique* (London 1938).
وهو طبعة لقسم من كتاب بهذا العنوان لمُؤلّفه محمد بن محمد بن عبد المنعم الحِمْيَري.

(351) أحمد بن عمر بن أَنَس المُتوفَّى سَنَة 478هـ/ 1085م (انظر: Á. Levi Provençal المصدر السابق، ص17، هامش 2). ويذكر كتاب **تُحْفة العجائب** لإسماعيل بن أحمد بن الأثير؟ (انظر بروكلمان: **الملحق** 1، ج1، ص581) من مصادره **كتاب المسالك والممالك الشرقية وكتاب المسالك والممالك الغربية**، انظر: العُذْري، مخطوطة البودليان or. Ouseley 97، المُقدّمة. وقد اقْتَبَس ابن الدَّوَاداري في **كنز الدُّرَر** مُصوّرة القاهرة، تاريخ 2578، ج 1، ص233) من هذا الكتاب الذي سَمّاه **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جامع الممالك**.

ولغيره **نَظْم المَرْجَان في البُلدان**.

وللمُؤيَّد صاحب حَمَاه[352] **تَقْويم البُلْدان** مُجَدْوَل في مُجلّد نفيس جداً.

وللبكري أيضاً **مُعْجَم ما اسْتَعْجَم**.

ولياقوت الحموي وغيره[353] **المُشْترِك وَضْعاً والمُفترِق صَقْعاً**، ونحوه ما اتَّفَق لفظه في البُلدان.

فأما[354] **(المدينة)** دار الهجرة، فكان العلم وافراً بها في زمن الصحابة من القرآن والسُّنَن، وفي زمن التابعين كالفُقهاء السبعة، وزمن صِغار التابعين كعبدالله ابن عُمَر، وابن أبي ذِئب، وابن عَجْلان، وجعفر الصادق، ثُمّ مالك الإمام، ومُقْرِئها نافع، وإبراهيم بن سعد، وسليمان بن بِلال، وإسماعيل بن جعفر. ثُمّ تناقص العلم جداً بها في الطبقة التي بعدهم، ثُمّ تلاَشى. قلت: سِيَّما وقد سكنها جماعة من الروافض، وتحكّموا فيها، وغلب أمرهم عليها.

لكن نشأ بها في القرنين الثامن والتاسع أفراد من العُلماء في غالب المذاهب والفُنون، انتفع بهم أهل السُّنّة، وفيهم مِمَّن صَنَّفَ عددٌ يسيرٌ، والسُّنّة بحمد الله الآن مُعْتَضَدة، بمن شاء الله من فُضلاء أهلها، من قُضاتها وغيرهم. نفعني الله ببركاتهم.

و**(مكة)** كان العلم بها يسيراً في زمن الصحابة، ثم كَثُر في أواخر عصر الصحابة، وكذلك في أيام التابعين: مُجَاهِد، وعَطَاء، وسَعِيد بن جُبَيْر، وابن أبي مُلَيْكَة، وزمن أصحابهم كعبدالله بن أبي نُجَيْح، وابن كَثِير المُقْرِىء، وحَنْظَلَة بن أبي سُفْيان، وابن جُرَيْج، ونحوهم، وفي زمن الرشيد كمُسْلم الزَّنْجِي، والفُضَيل،

---

(352) إسماعيل بن عليّ المعروف بأبي الفِداء والمُتوفَّى سَنَة 732هـ/ 1331م (انظر بروكلمان: ج2، ص44-6).

(353) ألّف الفَيْروزآبادي كتاباً بالعنوان نفسه. انظر: **الضَّوء اللامع**، ج10، ص82، سطر 16.

(354) إنّ القسم التالي حتى السطر الثالث قبل الأخير من ص668 من هذه الطبعة لم يُترجمها روزنتال أو يُعَلِّق عليها، باعتبارها كتاباً للذَّهبي أقحمه السَّخاوي على هذا الكتاب. لكننا آثرنا إثباته هنا كما جاء في نص الكتاب المطبوع. [المترجم].

وابن عُيَيْنَة، وأبي عبد الرحمن المُقْرِئ، والأَزْرَقي، والحُمَيْدِي، وسعيد بن منصور. ثم في أثناء المائة الثالثة تناقص عِلْم الحَرَمَين، وكَثُرَ بغيرهما.

قلت: وكان للحَرَم المَكّي الجمال بأفراد مُبتدئين للعلم والتصنيف، من أهله والواردين عليه، في سائر المذاهب، وغالب الفُنون، بحيث كان حقيقاً بالارتحال إليه لذلك فضلاً عن كونه محلاً للنُّسْك.

و(**بيت المقدس**) نزلها جماعة من الصحابة كعُبَادَة بن الصامت، وشَدّاد بن أَوْس. وما زال بها علم ليس بالكثير، ثم نقص جداً. ثُمّ ملكها النَّصارى تسعين عاماً. ثم أُخذت. ويُروى عن عَمرو بن العاص، كما في أوائل **تاريخ** ابن عساكر، أنه سُئل عن أهل المدينة، فقال: «أطلبُ الناس لِفِتْنة، وأعجزهم عنها» وهو منقول عن أيوب بن يزيد بن القِرِّيَّة، لكن في أهل الحجاز، وأنهم أسرع الناس إلى فتنة، وأعجزهم عنها. ولكن عنه في المدينة أنه رسخ العلم فيها، وظهر عنها، وروى أنه مُنطبق عليهم قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾. وجاء عن ابن عباس، كما في الطَبَراني «من أخذ شِبْراً من مكة من غير حقّه فكأنما أخذه من تحت قدم الرحمٰن». وقال رجل لسُفْيان الثَّوْري: «إني قد عزمت على المُجاورة بمكّة فأوصني، قال: أُوصيك بثلاث: لا تُصَلِّيَنَّ في الصف الأول، كأنه لما فيه من التعرُّض للتزكية والرِّياء، ولا تَصْحَبَنَّ قُرَيْشاً، ولا تُظْهِرَنَّ صَدَقَة»، وعن عمرو بن العاص، كما في أوائل **تاريخ** ابن عساكر: «إنّ أهل مكة أعظم الناس في أنفسهم، وأحقرهم عند أساقطهم فيما يظهر، وإلا فهم مُعتقدون مُبَجَّلون، وإن كان فيهم، كغيرهم، الصالح والطالح». وقد قال ابن القِرِّيَّة عن أهلها: «رجالها عُلماء جُفاة، ونساؤها كُساة عُراة». وعند أحمد وغيره أنّ الدَّجّال لا يطأ أربعة أماكن: مَكّة، والمدينة، وبيت المقدس، والطُّور. وكون عيسى عليه الصلاة والسلام يقتله عند باب لُدّ، بلد قريب من بيت المقدس، يُؤيّد عدم دخوله. وعند الطَّبَراني في أحد معاجيمه: «إنّ الشيطان لا يتمثَّل بي، ولا بالكعبة»، ويذكر عن بيت المقدس طَسْت من ذهب حوله عقارب. وإنما كتبتُ هذا لأُبيِّن ما فيه من نكارة عند النشاط.

(دمشق) من بلاد الشام، القُطْر المُتَّسِع، المُشْتَمِل على عدّة بلاد ومُدن وقُرى نزلها عِدّة من الصحابة، وكَثُرَ بها العلم في زمن معاوية، ثم في زمن عبد الملك وأولاده، وما زال بها فُقهاء، ومُحدِّثون، ومُقْرِئون، في زمن التابعين وتابعيهم، ثم إلى أيام أبي مُسَهّر، ومروان بن محمد الطاطري، وهِشَام، ودُحَيْم، وسليمان ابن بنت شُرَحْبِيل، ثُمّ أصحابهم وعصرهم، وهي دار قرآن وحديث وفقه.

وتناقص بها العلم في المئتين الرابعة والخامسة، وكَثُر بعد ذلك، ولا سِيَّما في دولة نور الدِّين، وأيام مُحدِّثها ابن عساكر والمقادسة النازلين بسَفْحها. ثُمّ كَثُرَ بعد ذلك بابن تيمية والمِزِّي وأصحابها بهما. قلتُ: ثم تناقص شيئاً فشيئاً. لكن فيها الآن بحمد الله بقية يفهمون العلم، ويتكلّمون به. بارك الله فيهم.

و(مصر) وهي بلد عظيم، وقُطر مُتَّسع، شرقي وغربي، وصعيد أعلى وأدنى، افتتحها عَمْرو في زمن عُمَر رضي الله عنهما، وسكنها خلق من الصحابة، وكَثُرَ العلم بها، زمن التابعين، ثم ازداد في زمن عمرو بن الحارث، ويحيى بن أيوب، وحيوة بن شُرَيْح، والليث بن سعد، وابن لَهِيعة، وإلى زمن ابن وَهب، والشافعي، وابن القاسِم، وأصحابهم. وما زال بها علم جَمّ إلى أن ضَعُفَ ذلك باستيلاء العُبَيْدِيِّين الرافضة عليها سَنَة ثمانٍ وخمسين وثلثمائة، وبنوا القاهرة. وكان قاضيها إذ ذاك أبو الطاهر الذُّهْلي البغدادي المالكي، فأقرُّوه حتى مات ثم ولَّوه للإسماعيلية المُتشيّعين، وشاع التشيُّع، فقلَّ بها الحديث والسُّنَّة، إلى أن وليها أُمراء السُّنّة بعد مايتي سَنَة، وأنقذها الله من أيديهم على يد الناصر صلاح الدِّين يوسف بن أيوب رحمه الله، فتراجع العلم إليها، وضَعُفَ الروافض، ولله الحمد. وهي الآن أكثر البلاد عَمارة بالفضلاء من سائر المذاهب والفنون. وَفَّقهم الله.

و(الإسكندرية) فَتَبَعٌ لمصر. ما زال بها الحديث قليلاً حتى سكنها السِّلَفي، فصارت مَرْحُولاً إليها في الحديث والقِراءات. ثم نقصَ بعد ذلك. قلت: الآن عَدِمَ إلا من بعض الغُرباء، وغالبهم مالكيون. على أنه قد وُلِّيَ قضاءها عِدّة من الشافعية.

و(بغداد) وهي أعظم بلاد العراق، بُنيت في آخر أيام التابعين. وأول من بثَّ بها الحديث هشام بن عُرْوة، وبعده شُعْبَة، وهُشَيْم. وكَثُر بها هذا الشأن، فلم تَزَلْ معمورة بالأَثَر والخَبَر، وإلى زمن الإمَام أحمد ثُمّ أصحابه وهي دار

الإسناد العالي، والحفظ، ومنزل الخلافة والعلم، إلى أن استُؤْصلت في كائنة التتار الكَفَرة، فبقيت على نحو الربع، ثم تزايد خرابها حتى لم يبقَ فيها من يعرف شيئاً من العلم. والأمر لله.

و(**حِمْص**) نزلها خَلْق من الصحابة، وانتشر بها الحديث زمن التابعين، وإلى أيام حريز بن عثمان، وشُعَيْب بن أبي حمزة، ثُمّ إسماعيل بن عَيّاش، وبَقِيّة، وأبي المُغِيرة وأبي اليَمان، ثُمّ أصحابهم. ثُمّ تناقص ذلك في المائة الرابعة وتلاشى، ثُمّ عَدِمَ بالكُلِّية.

و(**الكوفة**) نزلها مثل ابن مسعود، وعَمّار بن ياسر، وعليّ بن أبي طالب، وخَلْق من الصحابة. ثُمّ كان بها أئمّة التابعين كعَلْقَمَة، ومسروق، وعُبَيْدة، والأَسْوَد. ثُمّ الشَّعْبِي، والنَّخَعِي، والحَكَم بن عُتْبَة، وحَمّاد، وأبي إسحاق، ومنصور، والأَعْمَش، وأصحابهم وما زال العلم بها مُتوافراً إلى زمان ابن عُقْدَة. ثُمّ تناقص شيئاً فشيئاً. وهي دار الرَّفض.

(**البصرة**) نزلها أبو موسى الأشعري، وعِمْران بن حُصَيْن، وابن عباس، وعدّة من الصحابة، فكان خاتمتهم خادم رسول الله ﷺ وصُوَيْحِبه أَنَس بن مالك رضي الله عنه، ثُمّ الحَسَن، وابن سِيرِين، وأبو العالية، ثُمّ قَتَادَة، وأيوب، وثابت البُنَانِي، ويونس، وابن عَوْن، ثم حَمّاد بن سَلَمة، وحَمّاد بن زيد، وأصحابهما. وما زال بها هذا الشأن وافراً إلى رأس المائة الثالثة. وتناقص جداً إلى أن تلاشى.

و(**اليمن**) حَلَّها مُعَاذ، وأبو موسى، وخرج منها أئمّة التابعين، وتفرّقوا في الأرض وكان بها جماعة من التابعين كابنَي مُنَبِّه، وطاوس، وابنه، ثُمّ مَعْمَر، وأصحابه، ثُمّ عبد الرزاق وأصحابه، وعَدِم منها بعدهم الإسناد. قلتُ: وهو قُطر مُتَّسع، يشتمل على تِهامة، ونجد، فيه مُدن وقُرى وشِعاب وجِبال. ولم يزل العُلماء به في عصر الصحابة يتوافرون، والأئمّة إليها يرحلون، بل هي في كُلّ عصر في ازدياد من العلم. ولمّا ظهر مذهب الشافعي واشتهر به، رجعوا إلى تقليده، وكان ذلك في المائة الثالثة كما ذكره الجَنَدِي. ثُمّ كَثُر ذلك، لا سِيَّما في الدولة الأيوبية وما بعدها حتى الآن، ويوجد في عُلمائه الحَنَفِية وكثير من

الـزَّيْـدِيّة، وهـم بصَنْعاء ونحوها. ومن العُثْمَانِيّة، وهم بحَضْرَمَوْت. ومن الإسماعيلية وهم بالجبال، وغيرهم من الطوائف.

و(**الأندلس**) كقُرْطُبَة، وإشبيلية، وغَرْنَاطة، وبَلَنْسِيَة. فُتِحت في أيام الوليد ابن عبد الملك، وجُلِب إليها العلم. لكن اشتُهر بها العلم والحديث في المائة الثالثة بابن حبيب، ويحيى بن يحيى، وأصحابهما. ثُمّ ببَقِي بن مَخْلَد، ومحمد ابن وَضّاح. وخرج منها مثل ابن عبد البَرّ، وأبي عَمْرُو الدَّاني، وابن حزم، وأبي الوليد الباجي، وأبي عليّ الغَسّاني، ولم يزل بها أَثَارة من علم إلى أن استولى على قُرْطُبة وإشبيلية النصارى، فتناقص بها العلم.

و(**إقليم المغرب**) فأدناه إقليم إفريقية، وأمها هي مدينة القَيْرَوَان، كان بها سَحْنُون بن سعيد الفقيه صاحب ابن قاسم. وأما بَجَايَة وتِلِمْسَان وفاس ومَرّاكُش، وغالب مدائن المغرب، فالحديث بها قليل، وبها المسائل. قلت: وكلهم مُقلِّدون لمالك رحمه الله، وطائفة ظاهريون. وفيه بقيّة من علم.

و(**الجزيرة**) أكبر مدائنها المَوْصِل يعني كَمَنْبج، وبَالِس، والرُّهَا. خرج منها جماعة من المُحَدِّثين. وحَرّان، والرَقّة وغير ذلك، خرج منها حُفّاظ وأئمّة. ثُمّ تناقص، ثُمّ انطوى البساط.

و(**الدِّينَوَر**) خرج منها حُفّاظ كمحمد بن عبد العزيز، وأبي محمد بن قُتَيْبة، وعبدالله بن محمد، وعرم بن سهل بن إسماعيل المُتوفَّى سَنَة ثلاثين وثلاثمائة، وأبي بكر ابن السُّنّي.

و(**هَمَذَان**) دار السُنّة، صار بها علماء من سَنَة مائتين وهلمَّ جرّاً، وخُتمت بالحُفّاظ أبي العلاء العَطّار وأولاده. ثُمّ استباحها التتار والجِنْكِزْخَانية.

و(**الرَّيّ**) صارت دار علم بِجَرِير بن عبد الحميد وأمثاله، ثُمّ بابن حُمَيْد، وابن مِهْرَان الحَمّال، وإبراهيم بن موسى، وسَهْل بن زَنْجَلَة، ثُمّ بابن وَارَة، وأبي زُرْعَة، وأبي حاتم، وابنه، وإلى أثناء المائة الرابعة. وذهب ذلك.

و(**قَزْوِين**) ذُكرت في المائة الثالثة، وخرج منها محمد بن سعد بن سابق الرَّازي، ثُمّ القزويني، وعليّ بن محمد الطَّنَافُسِي، وعمرو بن رافع، وإسماعيل

ابن يحيى، وتَوْبَة بن عَبْدَل، وكُثير بن هشام، وخَلْق بعدهم. ثُمّ ابن ماجه، وصاحبه أبو حسن القَطّان.

و(**جُرْجَان**) صار بها حديث كثير في المائة الثالثة بإسحاق بن إبراهيم الطَّلَقي، ومحمد بن عيسى الدَّامَغاني، ثُمّ بأبي نُعَيْم بن عديّ، وإسحاق بن إبراهيم السِّجْزِي، وأبي أحمد بن عَدِيّ، وأبي بكر الإسماعيلي والغِطَرِيفي، وأصحابهم. ثُمّ غُلِق الباب.

و(**نيسابور**) دار السُنّة والعَوَالي، صارت بإبراهيم بن طَهْمَان، وحَفْص بن عبدالله، ثُمّ يحيى بن يحيى، وابن رَاهَوَيْه، ومحمد بن رافع، وعبد الرحمن بن بِشْر، وعبدالله بن هاشم، والذُّهْلي، وأحمد بن يوسف، ومُسْلم، وإبراهيم بن أبي طالب، وأبي عبدالله البُوشَنْجِي، ثُمّ بابن خُزَيْمَة، وأبي العباس السَّرّاج، وابن الشَّرَفِي، وخلائق. وما زال يُرْحَل إليها إلى ظهور التتار. وآخر شيوخها المُؤَيَّد الطُّوسي. ثُمّ مضت كأن لم تكن.

و(**طُوس**) صارت دار علم بعد المائتين. كان بها محمد بن أَسْلَم الطُّوسي وأصحابه، وهي بقدر حماه ظناً.

و(**هَرَاة**) منها أبو رجاء عبدالله بن واقد، والفضل بن عبدالله الهَرَوي، وأحمد بن نَجْدَة، ومحمد بن عبد الرحمن الشامي، والحسين بن إدريس، ومحمد ابن المُنْذِر، إلى أن خُتمت بأبي روح عبد العزيز بن محمد، ودَثَرت.

و(**مَرْو**) بلد كبير من أقاصي خُراسان. خرج منها أئمّة، وكان بها بُرَيْدَة بن الحُصَيْب صاحب رسول الله ﷺ، وطائفة من الصحابة، ثُمّ عبدالله بن بُرَيْدَة، ويحيى بن يَعْمُر، وعِدّة من التابعين. ثُمّ الحسين بن واقد، وأبو حمزة السُّكَّري، وابن المُبَارَك، والفضل بن موسى، وأبو تُمَيْلَة، وعليّ بن الحسن بن شقيق، وعَبْدَان بن عثْمّان، وأصحابهم. ثُمّ نقص ذلك في المائة الرابعة. ولم ينقطع إلى خروج التتار، ففرغ ذلك.

و(**بَلْخ**) صار بها عُلماء في أواخر المائة الثانية، كعُمَر بن هارون، ومكّي ابن إبراهيم، وخَلَف بن أيوب، وقُتيبة بن سعيد، ومحمد بن أبان، وعيسى بن

أحمد العَسْقلاني، ومحمد بن عليّ بن طَرْخَان، ثُمّ تناقص ذلك وتلاشى.

و(**بُخارى**) عيسى بن موسى غُنْجَار، وأحمد بن حَفْص الفقيه، ومحمد بن سَلام البَيْكَنْدي، وعبدالله بن محمد السِّنْدي، وأبو عبدالله البُخَارِي، وصالح بن محمد جَزَرَة، وأصحابهم. وما زال بها صَبابة حتى دخلها العدو بالسيف.

و(**سَمَرْقَنْد**) بها أبو عبدالله عبدالله بن عبد الرحمن الدَّارمي، ثُمّ محمد بن نصر المَرْوَزي، وعمر بن محمد بن بَجِير، وآخرون.

و(**الشاش**) وهي آخر بلاد الإسلام التي بها الحديث، منها الحسن بن الحاجب والهَيْثَم بن كُلَيْب، ومحمد بن عليّ أبو بكر القَفّال، ثُمّ فرغ ذلك وعدم.

و(**فَرْياب**) خرج منها جماعة من العُلماء، أقدمهم محمد بن يوسف الفَرْيَابي صاحب الثَّوْري، ومنهم القاضي جعفر بن محمد الفَرْيَابي صاحب التصانيف، سمع بفَرْياب في سَنَة ست وعشرين ومائتين.

و(**خُوَارِزْم**) بلد كبير. خرج منها جماعة من العُلماء، منهم الحافظ عبدالله ابن أُبَيّ.

و(**شِيراز**) خرج منها جماعة من الفُقهاء، وحديثها قليل، وقَلَّ من ارتحل إليها و(**كِرْمَان**)، **وسِجِسْتَان**، **والأَهْوَاز**، **وتُسْتَر**، (**وقُومِس؟**) إقليم واسع خرج منه مُحَدِّثون و(**الدَّامَغَان**) مدينة كبيرة، **وسُمْنَان** مدينة صغيرة، **وبِسْطَام** مدينة متوسطة. وهذه المدائن أوائل مُدن خُراسان من الجهة الغربية، **وقُهُسْتَان** مدينة. أكبر مدائن هذا الإقليم **الرَّيّ**، ثُمّ **زَنْجَان**، **وأَبْهَر**. وإقليمُ **قُهُسْتان** مُلاصق لإقليم **قُومِس**، وهو غربي **قُومِس**، وهو شرقي، مُتشامل عن العراق، مُتاخم لـ **قزوين**.

فالأقاليم التي لا حديث بها يُروى ولا عُرفت بذلك، الصين، أغلق الباب، والهند، والسِّند، والخطا، وبلغار، وصخر القفجاق، وسراة، وقرم، وبلاد التكرور، والحبشة، والنوبة، والبجاه، والزنج، وإلى أسوان، وحَضْرَمَوْت، والبحرين، وغير ذلك.

وأما اليوم فقد كاد يُعدم علم الأثر من العراق وفارس وأَذَربِيجان. بل لا يوجد بأَرّان وجِيلاَن وأَرْمِينْيَة والجبال وخُرَاسان التي كانت دار الآثار، بل وأصبهان التي كانت تُضاهي بغداد في العُلُوّ والكثرة. والباقي من ذلك، ففي مصر ودمشق حرسهما الله تعالى وما تاخمهما، وشيء يسير بمكة، وشيء بِغَرْنَاطة ومَالَقَة، وشيء بسَبْتَة، وشيء بتونس. نسأل الله حسن الخاتمة.

لكن القرآن وفُروع الفقه موجود كثير، شرقاً وغرباً. لكن ذلك مُكَدَّر في المشرق وغيره بعُلوم الأوائل وآراء المُتكلّمين والمُعتزلة، فالأمر لله. وهذا تصديق لقول الصادق المصدوق: «لا تقوم الساعة حتى يقلّ العلم ويكثر الجهل». فنسأل الله العظيم علماً نافعاً.

قلت: وهذا الفصل كله جُزء، أفرده الذَّهبي، وصدر بالأمصار ذوات الآثار، وهو مُفتقر لقليل تذيل سوى ما ألحقتُه في أثنائه، إمّا مُمَيِّزاً، أو مُدْرِجاً. ومن الممالك الروم التي كُرْسِيُّ مُلْكِه إسطنبول، ومنه أَذَنة وبُرصة وغيرها من مجاوريها، ففيها عُلماء وفُضَلاء بالعقليات، وغالبُهم بل كلُّهم حَنَفِيُّون، وقَلَّ أن تصل إلينا أخبارهم.

14 ـ مطلق التاريخ

أو على مُطلق التاريخ، غير مُقَيَّد بوصف ولا جنس، ونحو ذلك. وهو على أقسام:

أ ـ التاريخ على الحوادث

منهم من يقتصر على الحوادث كالقُطْب محمد بن أحمد بن عليّ القَسْطَلّاَني(355) حيث صَنَّفَ **جُمَل الإيجاز في الإعْجَاز بنَارِ الحِجَاز** في مُجلّد لطيف.

وكغيره، في الزلازل والفِتَن.

---

(355) كذا في مخطوطة ليدن. أما حاجي خليفة، فيذكر في **كشف الظنون** ج4، ص197، طبعة فلوجل، كتاباً عن هذا الموضوع ألفه القَسْطَلّاني بعنوان **عُروة التوثيق في النار والحريق**.

ونحوه التاريخ الجليل، المُعَوَّل عليه في معناه لكُلّ من بعده، الإمام أبي جعفر الطَّبَري، أحد أئمّة الاجتهاد، الجامع من العلم لما لم يُشاركه فيه أحد من مُعاصريه الأمجاد، وهو جامع لطُرُق الروايات، وأخبار العالم، لكنه مقصور على ما وضعه لأجله من علم التاريخ والحُروب والفُتوحات، قلَّ أن يُلِمّ بجَرْح وتعديل ونحوه، بحيث لم يستوفِ أخبارَ أحد من الأئمّة، إنما كانت عنايته فيه بذكر الحُروب مُفصّلة، والفُتوحات مُبَيَّنة لا مُجْمَلة، وأخبار الأنبياء المُتقدّمين، والملوك الماضين، والطوائف السالفة، والقُرون الماضية، بالطُّرق المُتنوّعة، والأسانيد المُتعدّدة، فقد كان بحراً فيها وفي غيرها، اكتفاءً بتاريخه في الرجال[356]. وله على تاريخه المذكور ذَيْل، بل ذَيْل على الذَّيْل أيضاً، وذَيَّلَ عليه محمد بن عبد الملك الهَمَذاني من الأيام المُقْتَدِرية إلى عَضُد الدولة أبي شجاع في أول سَنَة ستين وثلاثمائة (970م)، بل للهَمَذاني أيضاً **عُنْوَان السِّيرَة**[357]، وذَيْل ذَيَّلَ به على تاريخ الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين بن عبدالله بن إبراهيم البغدادي الذي سَمّاه **أَخْبَار السِّيَر التالية على تَجَارب الأُمَم الخَالية**، هو ذَيْل على كتاب **تَجارِب الأُمَم** لِمِسْكَوَيْه، وذَيَّل على الطَّبَري بعضهم، ممّا لخَّصه الصالح نجم الدين بن الكامل الأيوبي[358].

ولأبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي كتاب كبير سماه **أَخْبَار الزَّمَان** انتهى عند خلافة المُتَّقِي لله وهو سَنَة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة (943 ـ 4م). وآخر سمّاه **ذَخَائِر العُلُوم وما كان في سَالِفِ الدَهْر** **والاسْتِذْكار لما مرَّ في الأعْصَار والتاريخ في أَخْبَار الأُمم**. كُلّ هذه غير كتابه الشهير **مُروج الذَهَب ومَعَادِن الجَوْهَر في تُحَف الأَشْرَاف من المُلوك وأهل الدِّرَايات**[359]، وكُلّها بديعة والأخير

(356) الظاهر أنّ الإشارة إلى **ذَيْل المُذَيَّل** للطَّبَري، ولا أعتقد أنه يقصد مُجرّد أنّ «التاريخ» لم يبحث في الأشخاص.

(357) لكتاب **العُنوان**، انظر ما سبق ص481، هامش 172.

(358) أيوب بن محمد المُتوفَّى سَنَة 647هـ/ 1249م. بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص217، وهو يستند على **الإعلان**.

(359) إنّ النصف الثاني من العنوان، لم يكن في الأصل منه. انظر: المسعودي: **مُروج**، ج1، ص21 فما بعد، طبعة باريس، ج1، ص8 (القاهرة 1346هـ)، ولكنه يظهر كذلك في **الفِهْرِست**، ص219 فما بعد (القاهرة 1348هـ، ص154، طبعة فلوجل).

هو المُتَداوَل. وذكر في مُقدّمته من كُتُب التواريخ جُمْلَةً كثيرة، ثم قال: «ولم نذكر من كُتُب التواريخ والسِّيَر والآثار إلا ما اشتهر مُصَنِّفُوها، وعُرف مُؤلِّفوها. ولم نَعرض لذِكْر كُتُب تواريخ أصحاب الحديث، ومعرفة أسماء الرجال، وأعصارهم، وطبقاتهم. إذ كان ذلك أكثر من أن آتي على ذكره في هذا الكتاب»(360). واعتَذَرَ عن تقصير إن كان، وتَنَصَّل من إغفال إن عرض، بطول رحلته التي شرحها، ومُصاحبته للمُلوك التي أوضحها(361). وإنّ التصانيف في رُتْبَتين، مُجيد ومُقَصِّر(362)، ومُسْهِب ومُقَصِّر، والأخبار زائدة مع زيادة الأيام، حادثة مع حُدوث الزمان، ورُبّما عاب البارع منها على لطيف الطبق الذكي الذكاء، ولكلّ واحد منهما قسط يخصّه بمقدار عنايته، ولكّل إقليم عجائب يقتصر على علمها أهله، وليس من لزم جمرات وطنه(363) بما نمى إليه من أخبار إقليمه كمن قَسَّمَ عمره على قطع الأقطار، ووَزَّعَ أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخرج كلّ دقيق من معدنه، وأثار كُلّ نفيس من معطنه»(364) قال: «على أنّ العالَم قد بادت آثاره، وطُمِسَ مناره، وكَثُر فيه الغُثاء، وقلَّ الفُهماء، فلا تُعاين إلا مُموِّهاً جاهلاً، أو مُتعاطياً ناقصاً، قد قنع بالظنون، وعمي عن اليقين»(365).

وللقاضي أبي عبدالله محمد بن سَلاَمَة بن جعفر القُضَاعي تاريخ مُختصر، في خمسة كراريس، من مبتدإ الخلق إلى أيامه.

ب ـ الحوادث والوَفَيات

ومنهم من يضمّ إلى الحوادث الوَفَيات مُجرّداً لها أو مُترجماً.

---

(360) مُروج، ج1، ص20 فما بعد، طبعة باريس، ج1، ص7 (القاهرة 1348هـ).

(361) مُروج، ج1، ص5 فما بعد، طبعة باريس، ج1، ص3 (القاهرة 1348هـ).

(362) إنّ الصفة، بمُوجب نصّ المُروج، لا تعود إلى «الكُتُب» بل إلى «المُؤلّفين»، فالصِّفتان الأوّليان هما «مُجيد ومُقَصِّر» «فإنا وجدنا مُصَنِّفي الكُتُب في ذلك مُجيداً ومُقَصِّراً». [المسعودي، مُروج، ج1، ص4].

(363) انظر: مُروج، ج1، ص5. (القاهرة، 1346هـ).

(364) مُروج، ج1، ص9 فما بعد، طبعة باريس، ج1، ص4 (القاهرة 1346هـ).

(365) مُروج، ج1، ص6، طبعة باريس، ج1، ص3 (طبعة القاهرة 1346هـ).

كأبي الفرج ابن الجَوزي في **المُنْتَظَم** وهو في عشرة مُجلَّدات كِبار. واختصر منه مُجيداً سَمّاه **شُذُور العُقُود في تاريخ العُهُود** وقفت عليه بخطّه. ثم ذَيَّلَ عليه محمد بن أحمد بن محمد الفارسي في كتاب سمّاه **الفَاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر** وهو في مُجلّدات. وكذا ذيّلَ على **المُنتظَم** الإمام العِزّ أبو بكر محفوظ بن مَعْتُوق بن البُزُوري(366).

وعمل سِبْطه أبو المظفَّر يوسف بن قِزْغلُو تاريخه المُسمّى **مِرْآة الزَمَان في تواريخ الأَعْيَان** فكانت التسمية في المُطابقة بمكان، ولذا قال هو: «ليكون اسماً يُوافق مُسمّاه، ولفظاً يُطابق معناه». وذَيَّلَ عليه، بعد أن اختصره في نحو نصفه، القُطْب موسى ابن الفقيه أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله بن عيسى اليُونِيني، أخو الحافظ أبي الحسين عليّ(367)، وهو بالمحمودية، في أربعة مُجلّدات. ومات في سَنَة ست وعشرين وسبعمائة (1326م).

ولابن الجَوزي أيضاً في التاريخ **دُرَّة الإِكْلِيل** أربع مُجلّدات.

وللأستاذ الحافظ العَلّامة العِزّ أبي الحسن عليّ بن أُبي الكَرَم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشَيْبَاني الجَزَرِي ابن الأَثِير صاحب (**أُسد الغابة في**) **معرفة الصحابة والأنساب** وغيرهما، وأخي العَلّامة المَجْد صاحب **جامع الأصول**، والوزير الضِّياء نصر الله(368) صاحب **المَثَل السَّائِر**؛ التاريخ المُسَمَّى **بالكَامل** وهو كاسمه، بحيث قال شيخنا: «إنه أحسن التواريخ بالنسبة إلى إيراده الوقائع مُوَضَّحة مُبيَّنة، حتى كأن السامع في الغالب حاضرها، مع حُسن التصرّف وجودة الإيراد» قال: «بحيث خطر لي أن أُذَيِّل عليه من سَنَة وَقَفَ، وهي سَنَة ثمانٍ

---

(366) تُوفّي سَنَة 694هـ/آخر سَنَة 1294م (الذَّهبي: **المُعجم**، مخطوطة القاهرة، مُصطلح الحديث 65، ص118ب. ابن رافع: **مُنتخب المُختار، تاريخ عُلماء بغداد**، ص165-7 (بغداد 1357هـ/ 1938م) أما **ذيل المُنتظَم**، فقد اقْتَبَس منه الذهبي في **تاريخ الإسلام** إلى سَنَة 631هـ.

(367) عليّ بن محمد المُتوفَّى سَنَة 701هـ/ 1302م. انظر:
J. Fück in *ZDMG* X C II, 79 ff. 1938.

(368) نصر الله محمد بن عبد الكريم المُتوفَّى سَنَة 637هـ/ 1239م. (انظر بروكلمان: ج1، ص297).

وعشرون وستمائة» (1230-1م) يعني قبل موته بسنتين لكن لم يتيسَّر لشيخنا ذلك. نَعَمْ ذَيَّلَ عليه أبو طالب عليّ بن أَنْجَب البغدادي الخازن، المُتوفَّى في سَنَة أربع وسبعين وستمائة (1276م). بل لابن الخازن أيضاً **الجامع المُخْتَصَر في عُنْوَان التواريخ وعُيُون السِّيَر** كبير. وللجمال محمد بن إبراهيم بن يحيى الكُتُبي المعروف بالوَطْواط[369] على **الكامل** حواشٍ مُفيدة.

وللعَلّامة المُجتهد ذي الفُنون، أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المَقْدِسي ثم الدمشقي الشافعي، **كتاب الرَّوْضَتَيْن في أخبار الدَّولتين النُّورية والصَّلاَحِية**. وذَيَّلَ هو عليه، وافْتَتَحه بسَنَة تسعين وخمسماية (1194م) ومات في سَنَة خمس وستين وستمائة (1267م) وهي سَنَة مَوْلد الحافظ العَلَم القاسم بن محمد البِرْزَالي، فكان كتابه الذي افتتحه بها ذَيْلاً عليه وسماه **المُقْتَفى**[370]، وانتهى إلى أثناء سَنَة ست وثلاثين وسبعمائة (1336م) بل كتب بعدها قليلاً. وذَيَّلَ عليه التَّقِي أبو بكر ابن قاضي شُهْبَة فقيه الشام، ومات في سَنَة إحدى وخمسين وثمانمائة (1448م). وكلٌّ منها في مُجلّدات وللبِرْزَالي **مُعجم** حافل.

وللكمال أبي الفضائل عبد الرزاق بن الفُوَطِي، تاريخ كبير لم يُبَيِّضه. وآخر دُونَه، سمّاه **مَجْمَع الآداب ومُعْجَم الأَسْمَاء على الألقاب ودُرَر الأَصْدَاف في غُرَر الأوصاف**[371] وهو كبير جداً في خمسين مُجلّداً، ذكر أنه جمعه من ألف مُصَنَّف من التواريخ والدواوين والأنساب والمجاميع. وكذا له تاريخ على الحوادث أيضاً[372].

وللقاضي الفقيه الشهاب أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن عبد المنعم بن أبي الدم، معاصر ابنِ الصَّلاح، كتاب مُفيد، بل له آخر على الحُروف ابتدأه بسيرة نبويَّة، ثُمّ بالخُلفاء، ثُمّ بالفُقهاء، ثُمّ بالمُتكلِّمين، ثُمّ بالمُحدِّثين، ثُمّ بالزُّهّاد، ثُمّ بالنُّحاة واللُّغويين والمُفسرين والوزراء والمُقدَّمين، ثُمّ الشُّعراء. كلّ

---

(369) تُوفّي سَنَة 718هـ/يناير 1319م (انظر بروكلمان: ج2، ص54 فما بعد) وقد أخذ السَّخاوي معلوماته من ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص299.

(370) إنّ هذا العنوان لم يذكر في ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص238.

(371) إنّ الإشارة إلى **الدُّرَر** هنا يبدو أنها خطأ.

(372) انظر: ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج2، ص364؛ ابن كثير: **البداية**، ج14، ص106.

هؤلاء من المُحَمَّدِين، ثم سرد الكاتب على الحُروف مُبتدئاً بالصحابة، ثم بالخُلفاء على الترتيب المذكور، وختم بالنساء في كلّ حرف. وسمّاه **التاريخ المُقْتَفى**[373]، وقفتُ منه على مُجلّد، وكان عند الجمال بن سَابِق منه ثلاثة مُجلّدات، بل عنده التاريخ الآخر (**تاريخ ابن أبي الدّم**).

وكذا للمُؤَيَّد صاحب حَماة، تاريخ انتقى منه الذَّهبي.

وللحافظ أبي عبدالله الذَّهَبي **تاريخ الإسلام** في زيادة على عشرين مُجلّداً، بخطه وسِيَر **أعلام النُبَلاء** في مُجلّدات **ودُوَل الإسلام** في مُجَيْلِيد. **والإشارة** دُونه وله **ذَيْل** على كلٍّ منها. بل للتَّقِي الفاسي على كلٍّ من **النُبلاء والإشارة ذَيْل**، ولي على **الدُّوَل وجيز الكلام**، وكذا من تصانيف الذَّهبي أيضاً **الإِعْلاَم بوفَيَات الأَعلام**، ويُقال له: **دُرَّة التاريخ** وورقة في أصحاب التَّقِي بن تَيْمِيّة سمّاها **القَبّان**.

وللعَدْل الشمس محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم الدمشقي ابن الجَزَري، تاريخ كبير، شهير بخطه في المحمودية، فيه عجائب وغرائب[374]، ومات في وسط سَنَة تسع وثلاثين وسبعمائة (1338م).

ولمحمد بن محفوظ بن محمد بن غالب **الجُهَني الشُّبَيْكي المَكّي**، تاريخ يسير من انقضاء دولة الهواشم إلى بعد التسعين وستمائة (1291م)، إلا أنه تخلَّل

---

(373) إنّ كلمة (المُقفَّى) كما في **الإعلان** و(المُقْتَفى) في (**الإعلان** ص152 أدناه ص594) هي خطأ، ويجب أن تقرأ (المُظَفَّرِي).

(374) انظر: بروكلمان، **الملحق**، ج2، ص45. ابن حَجَر: **الدُرر**، ج3، ص301، عباس العزاوي في **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، المجلد التاسع عشر، ص524-30 (1944م).

إنّ الكلام في هذه الفقرة يرجع إلى الذَّهبي ويُقصد منه الانتقاد. انظر: ابن حَجَر. **الدُرر**، ج3، ص301. لكننا نعتقد أنّ قيمة الكتاب تزداد كثيراً في الحقيقة بالروايات المُعْتَمَدة من التّجار الرَّحّالين عن الاضطرابات في الإسكندرية سَنَة 727هـ، ومن أخي المُؤلّف عن نهر الفُولَا وما فيها من معلومات عن الكلاب، ومن تاجر آخر عن العادات والأحوال في الحبشة (**حوادث الزمان**، مصورة القاهرة، تاريخ 995، ص54، 147-50، 183 فما بعد. وتقف المخطوطة عند سَنَة 734هـ/ 1334م) انظر أيضاً: ابن حَجَر، **الدُرر**، ج1، ص339، ج2، ص388 (والهامش المُدوَّن على المطبوعة).

في أثنائه سنين لم يذكر فيها شيئاً، لما عُلِمَ من عدم اعتناء من قَبْلَه بذلك. بل له تاريخ منْ سَنَة خمس وعشرين وسبعمائة (1324-5م) إلى آخر عُشْر الستين وسبعمائة (1358-9م) انتفع به التَّقِي الفاسي، مع ما فيه من اللحن الفاحش والعبارات العامّية وغير ذلك.

وللحافظ العماد بن كَثِير **البِدَاية والنِهَاية** في مُجلَّدات. قال في أوَّله إنه: «يذكر ما يسَّره الله له في بَدْء المخلوقات، من خلق العرش، والكُرسيّ، والسموات والأرض، وما فيهن، وما بينهن من الملائكة والجانّ والشياطين، وكيفية خَلْق آدم عليه الصلاة والسلام، وقِصَص النبيِّن عليهم الصلاة والسلام، وما جرى مجرى ذلك إلى أيام بني إسرائيل وأيام الجاهلية، حتى تنتهي النوبة إلى أيام نبيِّنا ﷺ. فيذكر سيرته كما ينبغي، فيشفي الصدور والغليل، ويُزيح الداء عن العليل، ثُمّ يذكر ما بعد ذلك إلى زماننا، ويذكر الفِتَن والمَلاحم وأشراط الساعة، ثُمّ البَعْث والنُّشُور وأهوال القيامة ثُمّ صِفة ذلك، وما في ذلك اليوم، وما يقع فيه من الأُمور العِظام الهائلة، ثُمّ صفة النار ثُمّ صفة الجِنان وما فيها من الخيرات الحِسان، وغير ذلك ممّا يتعلّق به، وما وَرَدَ في ذلك من الكتاب والسُّنّة والآثار والأخبار المنقولة المقبولة عند العُلماء، وورثة الأنبياء، الآخذين من مِشْكاة النُّبُوَّة المُصطفوية المُحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.

ولسنا نَذكر من الإسرائيليات إلا ما أَذِنَ الشارع في نَقْله، ممّا لا يُخالف كتاب الله تعالى وسُنّة رسول الله ﷺ، وهو القسم الذي لا يُصَدَّق ولا يُكَذَّب، ممّا فيه بَسْط لمُختصر عندنا، أو تسمية لمُبْهَم ورد به شرعنا، ممّا لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلّي به، لا على سبيل الاحتياج إليه، والاعتماد عليه. وإنما العُمْدة والاستناد على كتاب الله وسُنَّة رسوله، ممّا صحَّ نقله، أو حَسُن، وما كان فيه ضعف نُبَيِّنه.

فقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: 99]. وقد قصَّ الله على نبيِّه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات، وذكر الأُمم الماضين، وكيف فعل بأوليائه، وماذا أحلَّ بأعدائه، وبيَّن ذلك رسول الله ﷺ لأُمّته بياناً شافياً، سَنُورِد عند كلّ فصل ما وصل إلينا عنه في ذلك، تِلْو الآيات الواردات في ذلك، فأخبرنا بما نحتاج إليه

من ذلك، وترك ما لا فائدة فيه، ممّا قد يَتَزاحم على علمه، ويَتَراجم في فهمه، طوائفُ من عُلماء أهل الكتاب، ممّا لا فائدة لكثير من الناس إليه، وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا أيضاً. ولسنا نحذو حذوهم، ولا ننحو نحوهم، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار، ونُبيِّن ما فيه حق، منها ما وَافَق ما عندنا ممّا خالفه، فوقع فيه الإنكار.

فأما الحديث الذي رواه البُخاري في **صحيحه** عن عمرو بن العاص[375] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج**[376]، **وحدِّثوا عَنّي ولا تكذبوا عليَّ، ومن كذب عليَّ مُتعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار**»[377]، فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت[378] عنها. فليس عندنا ما يُصَدِّقها ولا ما يُكَذِّبها فتجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا. فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبُطلان، فذلك مردود ولا تجوز حكايته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال.

فإذا كان الله سُبحانه وله الحمد قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكُتُب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم ممّا قد وقع فيه خَبْط وغلط وكذب ووضع وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كلّه تقبيح وتغيير، فالمُحتاج إليه قد بَيَّنه لنا رسولنا وشَرَحه ووَضَّحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله». إلى آخر كلامه[379].

---

(375) تُوفّي حوالى سَنَة 43هـ/ 663م (انظر: ما كتبته عنه **دائرة المعارف الإسلامية**).

(376) انظر: **المُعْجَم المُفَهْرَس**، ج1، ص445ب؛ ابن عبد البَرّ: **جامع بيان العلم**، ج2، ص40 (القاهرة، بلا تاريخ).
I. Goldziher, in *Revue des Études Juives* XLIV, 64 (1902).

(377) **صحيح البُخاري**، ج2، ص372 فما بعد، طبعة كريهل؛ انظر أيضاً **المُعْجَم المُفَهْرَس**، ج1، ص229أ، سطر 18. إنّ الرَّاوِية الأخير في البُخاري هو عبدالله بن عمرو. غير أنه ليس في البُخاري جملة (رِواية أحاديث. .). انظر عن هذه الجملة الشائعة جداً:
I. Goldziher, *Muh. Studien* II 132 (Halle 1888-92).

(378) ابن كثير: وليس لنا عنه أيّ انتقاد.

(379) ابن كثير: **البداية**، ج1، ص6 فما بعد.

ولله دَرُّه (ابن كَثِير) فيما صَرَّح به من النَّقْل من الإسرائيليات، ممّا هو الحق المُقرّر[380] الذي حكيناه واعتَمَدْناه، وأَطَلْنا في تحقيقه ونَقْله في كتابنا **الأَصْل الأصيل في تَحْرِيم النَّقْل من التَّوْرَاة والإنجيل**[381] والله المستعان. ولولد الحافظ عماد الدين عليه «ذَيْل» في مُجلّد. بل كتاب شيخنا **إنْباء الغُمْر في أَنْبَاء العُمْر** وهو في مُجلّدين، يصلح أن يكون ذَيْله، **البداية** وهو ينتهي سَنَة 767هـ/ 1365-66م. أما ابن كَثِير، فقد تُوفّي سَنَة 774هـ/ 1373م، فإنه افتتحه بسَنَة مولده سَنَة ثلاثة وسبعين وسبعمائة[382] (1372م). وكذا ذَيّل على ابن كَثِير الشهاب بن حِجّي[383]، ومات عنه مُسَوَّدة، فأخذه التَّقِي بن قاضي شُهْبَة فبَيَّضه.

وزاد عليه في آخَرِين

كالصلاح محمد بن شاكر الكُتُبي الدِمَشْقي[384] المُؤرّخ، فله **عيون التواريخ** القائل فيه الصدر أبو الحسن عليّ بن العلاء عليّ بن محمد بن محمد بن أبي العِزّ الحَنَفي قاضي دمشق ومصر[385]:

عُيون التواريخ الشريفة قد حَوَى عُيون المعاني والفوائد والفَضْلا

فما من سَوَادٍ في بياض رأيته بأحسنَ من هَذِي العُيون ولا أَحْلى

بل له (ابن شاكر) ذَيْل على تاريخ ابن خَلِّكان سَمّاه **فَوات الوَفَيات** في مجلّدات. ومات في رمضان سَنَة أربع وستين وسبعمائة (1363م).

وبَيْبَرس المنصوري الدَّوَادار له تاريخ في خمسة وعشرين مُجلّداً بالمُؤيّدية،

---

(380) عن الإسرائيليات وعلم الحديث، انظر:
I. Goldziher, *Muh. Studien* II 166 (Halle 1888-90).

(381) انظر: **الإعلان** ص64.

(382) **الإعلان** ص160. ويذكر ابن حَجَر في مُقدّمة **الإنباء** أنّ الكِتاب لا يُمكن اعتباره ذَيْلاً لكتاب ابن كثير في أمر الوقائع، ولا ذَيْلاً لابن رافع في أمر سِنِيّ الوَفَيات.

(383) أحمد بن الحِجّي المُتوفَّى سَنَة 816هـ/ 1413م (انظر بروكلمان: ج2، ص50 فما بعد) أما ذَيْل ابن كثير، فقد ذُكر في **الضَّوء اللامع** ج1، ص270.

(384) تُوفّي سَنَة 764هـ/ 1363، (انظر بروكلمان، ج2، ص48).

(385) تُوفّي سَنَة 792هـ/ 1389-90م (ابن حَجَر: ج3، ص87).

وبعضه في الكُتُب الفَهْدِية، سَمّاه **زُبْدَة الفِكْرَة في تاريخ الهِجْرَة**، انْفَرد الصَّفَدي بقوله: أعانه عليه كاتب له نَصْراني يُقال له ابن كَبَر، مع ترجمة غير واحد له بفضل وخير وتهجُّد وتلاوة وغيرها، ممّا يمنع اعتماده إياه.

والظَّهير عليّ بن محمد بن محمود الكازَرُوني له **روضة الأَريب** في سبعة وعشرين سِفْراً.

والشهاب أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النُّوَيْري[386] له **نِهَايَة الأَرَب** في ثلاثين مُجلّدة حافل، ومع ذلك باعه بخطّه بألفَيْ درهم[387]، واختصره هو أو غيره. والعَفيف اليَافِعي وسَمّاه كما تقدم **مِرْآة الجَنَان**[388] وهو نافع، في مُجلّدين.

وناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن عليّ بن الفُرَات[389]، وهو مبسوط بيَّض منه المئات الثلاثة الأخيرة في نحو عشرين مُجلّداً. وانتهت كتابته إلى انتهاء سَنَة ثلاث وثمانمائة (1400-1م) وأظن لو أكمله لكان ستين مُجلّداً. وكتابته كثيرة الفائدة من حيثية الفنّ الذي هو بصدده، لكنه لم يكن يُحسن الإعراب، فيقع له اللحن الفاحش، والعبارة العامّية جداً. وبِيع مُسَوَّدة وتَفَرَّق.

والقاضي ولي الدِّين ابن خلدون، وهو في الباسطية، وله **مُقدّمة** نفيسة وسَمّاه **العِبَر في تاريخ الملوك والأُمم والبربر**، وهو في سبعة مُجلّدات ضخمة، بالغ أحد الآخذين عنه ابن عَمّار في تقريظه، فقال: «حوت مُقدّمته جميع العلوم، وجلَّت عن محجَّتها ألسنة الفُصحاء فلا تَرُوم ولا تَحُوم[390]، ولعَمْري إن هو إلا من المُصنَّفات التي سارت ألقابها بخلاف مضمونها، **كالأغاني** سَمّاه مؤلِّفه

(386) تُوفّي سَنَة 732هـ/ 1332م (انظر بروكلمان: ج2، ص139 فما بعد).

(387) أُخذت المعلومات من ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج1، ص197.

(388) **الإعلان**، ص30.

(389) تُوفّي سَنَة 807هـ/ 1405م (انظر بروكلمان: ج2، ص50)، أما الرأي عن **تاريخ** ابن الفُرات، فيرجع إلى **معجم** ابن حَجَر، انظر **الضَّوء اللامع**، ج8، ص51.

(390) الراجح أنّ المقصود بذلك «لا يستطيع أحد إنجاز مثلها»، ومن الصَّعب أن يكون معناها «كملت واستوعبت كلّ شيء».

بذلك، وفيه من كلّ شيء، والتاريخ للخطيب سَمّاه **تاريخ بغداد** وهو تاريخ العالَم، و**حِلْية الأولياء** لأبي نُعَيْم سَمّاه بذلك، وفيه أشياء جَمّة كثيرة، بحيث كان الإمام أبو عثمان الصابوني[391] يقول: كلّ بيت فيه **الحِلْية** لا يدخله الشيطان[392]. وكذا مدح تاريخ ابن خلدون صاحبه[393] التَّقِي المَقْرِيزي، وقال عن **مُقدّمته**: «لم يُعمَل مثالها، وإنه لعزيز أن ينال مُجتهد منالها»[394]، واستمرّ يُبالغ ولم يُوافقه شيخنا إلا في بعض دون بعض، وحقّق أنه لم يكن مُطّلعاً على الأخبار على جليّتها، لا سِيَّما أخبار المشرق. وهو بَيِّن لمن نظر في كلامه.

وكذا جمعه قبله، الشَّرَف عيسى بن مسعود المَغْرِبي الزَّوَاوي[395]، شارح مُسلم، ابتدأه من المبتدإ فكتب منه عشرة أسفار.

وصارم الدِّين إبراهيم بن محمد بن دُقْماق المُؤرّخ، وهو في المُؤيّدية، له **تاريخ الإسلام** و**تاريخ الأعيان** واحد على السنين، والآخر على الحُرُوف. و**أخبار الدولة التركية** في مُجلّدين، و**سيرة الظاهر بَرْقُوق** و**طبقات الحَنَفية** وامتُحِنَ بسببها.

---

(391) إسماعيل بن عبد الرحمن المُتوفَّى سَنَة 449هـ/ 1057م (انظر بروكلمان: ج1، ص362 فما بعد).

(392) انظر: **الضَّوء اللامع** ج4، ص149؛ أما عن ابن عَمّار وابن خلدون، فانظر القسم الأول، ص44.

(393) إنّ الضمير في كلمة «صاحبه» لا يُمكن أن يعود إلى ابن خلدون.

(394) لقد أخذ السَّخاوي نصّ المَقْريزي من ابن حَجَر: **رَفْع الإصْر**: مخطوطة باريس، ar. 2149 ص70أ (وقد قارنتها بمخطوطة القاهرة: تاريخ 105). انظر أيضاً **الضَّوء اللامع**، ج4، ص147. ويذكر نصّ المَقْريزي كما رواه **رَفْع الإصْر** كما يلي «هو زُبدة المعرفة والعلوم، ومُتعة العقول والفهم، ويلفت الأنظار إلى الأشياء كما هي، وتُخبر عن حقائق الوقائع والحادثات، وتُفسّر الأُمور كما هي، وتُشير إلى مُمثّلي كلّ شيء في الوجود بأُسلوب أروع من الدُّر المنضود وأرقّ من الماء الذي يُحرّكه النسيم».
إنّ هذا الكلام الذي لا يُظهر تقديراً حقيقياً لمضمون **المُقدّمة**، يُعَلِّق عليه ابن حَجَر بقوله: «إنّ المديح صحيح بأُسلوب الجاحظ، وبتلاعب ابن خلدون بالألفاظ. وفيما عَدَا ذلك فبعضه فقط صحيح. فالأُسلوب الجميل وزخرف الكتاب يجعلنا نرى القبيح حسناً».

(395) تُوفّي سَنَة 743هـ/ 1342م. انظر: ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص211 فما بعد. وقد أُخذت منه المعلومات المذكورة أعلاه.

وتصانيفه مُفيدة، لكنه عامّيّ العبارة. وقد كتب فيه نحو مائتي سِفْر من تأليفه[396] وغيره.

والتَّقِي المَقْرِيزي في **السُّلوك** وهو أربعة مجلّدات، كما تقدّم[397]، وإني ذَيَّلتُ عليه **التِّبْر المَسْبُوك** في مُجلّدات. وكذا ذَيَّل عليه جماعة، منهم يوسف ابن تَغْري بِرْدِي[398]، في مُجلّدين أو ثلاثة.

في آخَرين.

كاليوسفي[399].

والفَيُّومي[400].

وهو في مُجلّد كان عند البدر الشَاذلي الكُتُبي، وكذا لهلال بن المُحَسِّن بن إبراهيم بن هلال الصَّابئ، المُنفرد بالإسلام عن أبيه وجدّه[401]، تاريخ في أربعين مُجلّداً.

جـ ـ كُتُب التراجم[402]

أو يقتصر على التراجم وهم كثيرون.

(396) إنّ مصدر هذه الفقرة هي أولاً من المَقْريزي، وكذلك من مُعجم ابن حَجَر، انظر: **الضَّوء اللامع**، ج1، ص145 فما بعد.

(397) **الإعلان** ص120، وانظر أعلاه ص152.

(398) تُوفّي سَنَة 874هـ/ 1469-70م (انظر بروكلمان: ج2، ص41 فما بعد).

(399) موسى بن محمد 646-759؟هـ/ 1296-1357م (انظر بروكلمان: ج2، ص135. ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج4، ص381). أما تاريخه، فعُنوانه **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، وقد اقْتُبِس منه ابن حَجَر في **الدُّرَر**، ج1، ص270، 367، ج2، ص52، 161، 404.

(400) هل يُمكن أن يكون المقصود هو عليّ بن محمد (المُتوفّى سَنَة 770هـ/ 1368-9م) والذي ذكره بروكلمان، ج2، ص25؟

(401) تُوفّي سَنَة 448هـ/ 1056م (انظر بروكلمان: ج1، ص323 فما بعد) أما المعلومات عن اعتناقه الإسلام، فانظر مثلاً: **تاريخ بغداد**، ج14، ص76.

(402) يَتَّضِح من السِّياق أنّ تقسيماً فرعياً آخر للـ 15 يبدأ، رَغْم أنّ صِياغة النص العربي قد تدلّ على تقسيم جُزئي جديد لِ ب.

كابن أبي الدّم في تاريخه (المُقْتَفَى؟)[403] الماضي بشرحه. ابن خَلِّكان في كتابه **وَفَيَات الأَعْيَان** وهو خمسة مُجلّدات، كَثُر تداول الناس له، وانتفاعهم به، وقال: إنه لم يذكر فيه أحداً من الصحابة، ولا من التابعين، إلا اليسير. وكذا الخُلفاء لم يذكر منهم أحداً، اكتفاءً بالتّصانيف الكثيرة في هذا الباب. لكن ذكر جماعة من الأفاضل الذين شاهدهم ونقل عنهم أو كانوا في زمنه ولم يَرَهُم، ولم يقصره على طائفة مخصوصة مثل العُلماء أو المُلوك أو الأُمراء أو الوُزراء أو الشُّعراء، بل كلّ من له شُهرة بين الناس[404]. ورتَّبه على حُروف المُعجم مُبتدئاً في كلّ اسم من ذلك الحرف بالفُقهاء، ثُمّ بالخُلفاء[405]، ثُمّ بالنُّدماء، والشُّعراء، والأُدباء، والكُتّاب. وأكثر من ذكر الشُّعراء ونحوهم. وقد ذَيَّل عليه بعض المُؤرّخين. وكذا فَضْلُ الله[406] النَّصراني وهو بخطّه في كُتُب ابن فَهْد.

بل لبعض النصارى تاريخ على الحوادث، ابتدأه بالمبدإ حتى انتهى إلى النبيِّ عليه الصلاة والسلام، فأتى بعبارة تحامى فيها لهم[407]. ثُمّ استمرَّ إلى زمنه.

وبَلَغَني أنّ على النُسخة[408] خطّ شيخنا بالاستفادة المُشْعِرة بالثناء. واختصر الأصل التاج عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، وسَمّاه **لُقْطَة العَجْلان المُلَخَّص من وَفَيَات الأَعْيَان**. وإبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى اللُّوري المُتوفَّى

---

(403) انظر: أعلاه، ص485، هامش 373.

(404) ابن خَلِّكان: **وفيات**، المُقدّمة.

(405) إنّ التناقض الظاهر مع ما يقوله ابن خَلِّكان نفسه، وقد ذكرنا قوله الآن، يُمكن تفسيره بأن ابن خَلِّكان ذَكَر هؤلاء الخُلفاء الذين اشتهروا بِما لهم من أدب كابن المُعْتزّ. انظر اليافعي، **مرآة الجَنان** ج4، ص2194 (حيدرآباد 1337-9هـ).

(406) فضل الله بن أبي فخر المُتوفَّى سَنَة 726هـ/ 1325-6م (انظر بروكلمان: ج1، ص328؛ ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج3، ص233).

(407) أو هل نَفْهَم أنّ المُؤلّف استَعْمل «عليه السلام» بدل أن يستعمل «صلَّى الله عليه وسلَّم» وهي العبارة التي تُستعمل عادة للرسول؟

(408) قد يكون هذا هو **الوَفَيَات** أو مُؤَلَّف «النَّصراني»، ورُبما كانت الإشارة راجعة إلى المُؤَلِّف النَّصراني، هذا إذا لم نَعتبر أنّ حذف هذه الفقرة مع الملاحظة عن كتاب النَّصراني في مخطوطة ليدن هو أمر مُعتمد.

سَنَة سبع وثمانين وستمائة (1288-9م) بدمشق. الكتاب في ثلاثة مُجلّدات، ثالثها بخّطه في الكُتُب الفَهْدية.

ولأبي الخير سعيد بن عبدالله الذُّهْلي البغدادي(409)، تراجم كثيرة من أعيان الدِّمَشقيين والبغداديين.

واشتراك الكلُّ في تسمية ذلك بالتاريخ، بل منهم من يُسمّي كتابه الطبقات.

ك **الطبقات** لمُسْلِم، واقْتَصَر فيها على الصحابة والتابعين، وبدأ كلّ قسم منهما بالمَدنِيِّين، ثُمّ بالمَكِّيين، ثُمّ بالكُوفيين، ثُمّ بالبصريين، ثُمّ بالشاميين والمصريين، وغير ذلك. ولم يُتَرْجِمْهم. بل اقتصر على تجريدهم.

ولخليفة بن خَيّاط في غير تصنيفه الماضي.

ولأبي حَيَّوَيْه(410).

وأبي بكر بن البَرْقِي(411).

وأبي الحسن بن سُمَيْع(412).

---

(409) تُوفّي سَنَة 749هـ/ 1349م (ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج2، ص134 فما بعد). إنّ النصّ المذكور أعلاه مأخوذ من ابن حَجَر، أو من مصدره وهو الذَّهبي. ويذكر م. عَوّاد في **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، المُجلد التاسع عشر، ص344 (1944م)، **تراجم البغداديين** للذّهلي من الكُتُب التي بقي بعضها.

(410) قد يكون هذا محمد بن العباس حَيَّوَيْه المُتوفّى سَنَة 382هـ/ 992م (**تاريخ بغداد**، ج3، ص121 فما بعد) وهو ناسخ **طبقات ابن سعد** وقد نشرت ترجمته التي أوردها الصَّفدي، نشرها:

G. Levi. Della Vida, *«Les Livers des chevaux»* XXX n. 3 (Leiden 1928), (Publications de la Fondation «De Goeje» B).

(411) الظاهر أنه أحمد بن عبدالله الذي أكمل **تاريخ** أخيه محمد، وقد تُوفّي سَنَة 270هـ/ 884م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج5، ص71).

(412) يذكر الذَّهبي في **طبقات الحُفّاظ** الطبقة التاسعة، رقم 96، طبعة وستنفلد، أبا القاسم محمود بن إبراهيم بن سُمَيع المُتوفّى سَنَة 259هـ/ 873م، ويُسميه مُؤلِّف **الطّباق** ولعله هو المقصود هنا. ولكن في **العِبَر** II ,19 ف. سَيِّد يظهر باسم أبي الحسن محمود بن سُمَيع مُؤلّف **الطبقات**.

وطَبَقَات **المُحَدِّثين** لأبي الوليد بن الدَبّاغ.

والتاريخ للواقدي.

ولأبي بكر بن أبي شَيْبَة.

وسعيد بن كَثِير بن عُفَيْر المِصْري.

وأبي موسى محمد بن المُثَنَّى البَصْري الزَّمِن.

وعمرو بن عليّ الفَلّاسي.

ويعقوب بن سُفَيْن الفَسَوي.

وأبي زُرْعَة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي النَّصْرِي.

وأبي الشيخ.

وأبي عبدالله بن مَنْدَة.

في آخرين ممّن صَنَّف في التاريخ ونَحْوه، أحببت سَرْدهم على حُروف المُعْجَم، وبعضهم ممن عيَّنت تصنيفه فيما تقدّم، ليكون ذلك أحد طريقين لمن يروم جمع المُؤرّخين.

15 ـ المُؤرّخون مُرتّبين على حُروف المُعْجَم[413]

إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى الكاتب.

---

(413) إنّ القائمة التالية مُستندة من حيث العُمُوم على قائمة المسعودي التي أوردها في مُقدّمة كتاب **مُروج الذهب** ج1، ص10-20، طبعة باريس، ج1، ص7004، طبعة القاهرة، 1346هـ. والعلامات التي وضعناها تُشير إلى الأشياء المأخوذة من المسعودي. أما إضافات السَّخاوي فلا يُمكن أن تُعتبر كاملة إطلاقاً.
إنّ هذه القائمة تُظهر جيداً كيف عمل السَّخاوي، فقد حذف قليلاً من الأسماء التي ذكرها المسعودي، وأضاف الاسم الكامل حيثما أمكن ذلك، وقد أبقى السَّخاوي بعض الأسماء التي ذكرها المسعودي. رَغْم أنه لم يكن يعتبرهم مُؤرِّخين، مثل الجاحظ. وقد أبقاهم لمُجرّد أنّ المسعودي ذكرهم. وقد حاول السَّخاوي ألّا يُعيد مُقتطفات المسعودي التي كان قد ذِكرها من قبل، أما إسهامه العام فهو في التنظيم الأبجدي، ومن القائمة التي أشار فيها إلى ألقاب المُؤلّفين وأصلهم والتي وضعها في الأخير.

إبراهيم بن عبدالله بن عبد المُنْعِم بن أبي الدّم.

إبراهيم بن عمر البِقَاعي.

إبراهيم بن مَاهَوَيْه الفارسي، عارَضَ المبَرّد[414] في **كامله** كما سيأتي قريباً في جعفر.

إبراهيم بن محمد بن دُقْمَاق.

إبراهيم بن محمد بن عَرَفة الواسطي النحوي نِفْطَوَيْه[415]. قال المسعودي عن تاريخه «محشو من مَلاحات كُتُب الخاصّة، مَمْلوء من فوائد السادة»[416] قال: و«كان مُصنِّفه أحسن أهل دهره بالنَّقد، وأملحهم تصنيفاً».

إبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب.

أحمد بن سعيد بن حَزْم المُنْتَجِيلي[417].

أحمد بن صالح بن شَافِع الجِيلي[418].

أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل الكاتب المَرْوَزي أحد فُحول الشعراء وأعيان البُلَغاء القائل:

حَسْبُ الفتى أن يكون ذا حَسَبٍ ... من نفسه ليس حسْبَه حَسَبُهْ

ليس الذي يبتدي به نَسَبٌ ... مِثْلَ الذي ينتهي به نَسَبُهْ

---

(414) محمد بن يزيد المُتوفَّى سَنَة 285هـ/ 898م أو سَنَة 296هـ (انظر بروكلمان: ج1، ص108 فما بعد).

(415) تُوفِّي سَنَة 323هـ/ 935م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص184).

(416) هل هذه إحالات شيعية؟

(417) انظر: ياقوت: **إرشاد**، ج3 ص50 (طبعة القاهرة، ج1، ص134، طبعة مارغليوت). وقد شُوِّهَت الكُنْيَة في طبعة **الإعلان**، لكنها كانت صحيحة تقريباً في مخطوطة ليدن.

(418) 520-565هـ/ 1126-1170م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج10، ص230 فما بعد. الدُّبَيْثي: **ذيل تاريخ بغداد**، مخطوطة باريس، ar. 2133، ص15ب ـ 16ب). وقد اسْتَخدم **تاريخه** ابنُ النَّجّار في **ذيل تاريخ بغداد**، انظر مثلاً: مخطوطة باريس، ar. 2131، ص66ب (ترجمة عليّ بن هبة الله بن محمد).

أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النُّوَيْري.

أحمد بن عليّ بن عبد القادر المَقْرِيزي.

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلِّكان.

أحمد بن محمد الخُزَاعي الأنْطَاكي ويُعْرَف بالخَانْقَاني.

أحمد بن يحيى بن جابر البَلاَذُري له **التاريخ** و**البُلدان** و**أنساب الأشراف**.

أحمد بن أبي يعقوب المصري أو ابن يعقوب.

إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلي.

أبو بكر[419] بن الحسين المَرَاغي.

بَيْبَرْس المنصوري الدَّوَادَار.

ثابت بن سِنان الصَّابئ[420].

جعفر بن محمد بن حَمْدان المَوْصلي[421] الفقيه له كتاب في الأخبار، عارض ابن المُبَرَّد في كتابه **الرَّوضة** وسمّاه **الباهر**. وكذا عارض المُبرَّد لكن في **كامله** إبراهيم بن ماهَوَيه الماضي.

---

(419) لقد ذُكِر آخرون اسم كلٍّ منهم (أبو بكر) في آخر الكُنى. وقد تَرَدَّد بعض العُلماء كابن حَجَر في وضع أمثال هذه الأسماء في الأخير أو في وضعهم في مكانهم من الترتيب الأبجدي للعنصر الثاني.

(420) تُوفّي سَنَة 365هـ/ 976م (ياقوت: **إرشاد**، ج7، ص142-5، طبعة القاهرة، ج2، ص397 فما بعد، طبعة مارغليوت، بروكلمان، **الملحق** ج1، ص556). وقد اقْتَبَس من تاريخه إلياس النِّصِيبي في **تاريخه**، حوادث سَنَة 320 وما تلاها من السنين، انظر أيضاً: الثعالبي: **لطائف** ص68 فما بعد، طبعة فان فلوتن (ليدن 1867م)؛ الذَّهبي: **تاريخ الإسلام**. انظر أيضاً:

J. De. Somogyi in *J R A S*, 1932, 833 f., 851.

(421) تُوفّي سَنَة 323هـ/ 934-5م (**الفِهرِست**، ص213 طبعة القاهرة 1348هـ، ص149، طبعة فلوجل، لا يذكر تاريخاً؛ ياقوت: **إرشاد** ج7، ص190 فما بعد. طبعة القاهرة، ج2، ص419 فما بعد، طبعة مارغليوت). وقد أخذ ياقوت ملاحظة المسعودي دون أن يُشير إلى مصدرها.

الحسن بن إبراهيم بن زُولاق أبو محمد المصري.

الحسين بن عليّ أبو عبدالله الكُتُبي[422].

حَمّاد بن أبي ليلى أبو القاسم الرَّاوية[423]. كان إخبارياً، عَلاّمة، خبيراً بأيام العرب وأنسابها ووقائعها ولُغاتها وشعرها.

حَمّاد عَجْرَد أحد كبار المُؤرّخين (الإخباريين)[424].

خالد بن هشام أبو عبد الرحمن الأُموي، أثنى عليه المسعودي.

خليفة بن خَيّاط.

الخليل بن الهَيْثَم الهَرْثَمي صاحب كتاب **الحِيَل والمَكَائِد في الحُروب** وغيره.

داود بن الجرّاح جدّ عليّ بن عيسى[425] الوزير، أثنى المسعودي على **تاريخه** بأنه الجامع لكثير من أخبار الفُرْس وغيرها من الأُمم ووالد محمد الآتي.

الزُّبَيْر بن بَكّار القُرَشي المَكّي، أحد الحُفّاظ، العالم بالنَّسَب وأخبار المُتَقدِّمين، وصاحب **نَسَب قُرَيش**.

سعيد بن أَوْس أبو زيد الأنصاري[426].

سعيد بن عبدالله أبو الخير الدِّهْلي.

سعيد بن يحيى الأُموي.

سِنان بن ثابت بن قُرَّة الحَرّاني[427].

سهل بن هارون[428].

---

(422) لا يكاد يكون الشخص نفسه المذكور أعلاه ص563، هامش 299. والذي لا تُعرف كُنْيته ولم يُعرف بكونه مُؤرّخاً.

(423) حَمّاد بن سابور المُتوفّى سَنَة 155هـ/ 771-2م، أو سَنَة 156 أو سَنَة 158 (**الفِهرست**، ص134، طبعة القاهرة 1348هـ، ص91، طبعة فلوجل، بروكلمان، ج1، ص63 فما بعد).

(424) حَمّاد بن عُمَر المُتوفّى سَنَة 161هـ/ 777-8م (ياقوت: **إرشاد**، ج10، ص254، طبعة القاهرة، ج4، ص135، طبعة مارغليوت).

(425) تُوفّي سَنَة 335هـ/ 946 (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج6، ص351 فما بعد).

(426) تُوفّي سَنَة 215هـ/ 830-1م (**تاريخ بغداد**، ج9، ص77 فما بعد).

(427) تُوفّي سَنَة 331هـ/ 943م (انظر بروكلمان: ج1، ص218).

(428) تُوفّي سَنَة 215هـ/ 830-1م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص213).

شرقي بن قُطَامي[429].

صَدَقة بن الحسين الفَرَضي[430].

العباس بن الفَرَج الرِّيَاشي، النَّحوي اللُّغوي[431].

العباس بن محمد الأندلسي جَمَعَ للمعتصم بن صُمَادِح[432] تاريخاً، افتتحه بترجمة نبويَّة.

عبد الباقي بن عبد المجيد اليَمَاني.

عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى أبو سعيد المصري.

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المَقْدِسي ثُمّ الدمشقي، أبو شامة.

عبد الرحمن بن عبد الحَكَم[433] أبو القاسم المصري.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الوَلَوِي بن خلدون.

عبد الرزاق بن الفُوَطِي.

عبدالله بن أحمد بن يوسف أبو الوليد بن الفَرَضي.

عبدالله بن الحسين بن سعد الكاتب.

عبدالله بن لَهِيعة المصري[434].

(429) يظهر الاسمان أحياناً مع أل التعريف. والمفروض أنّ اسمه الحقيقي هو وليد بن الحسين، ويُقال إنه عاش في زمن المنصور، ولم تُذْكر تواريخ تتعلّق بهذه الشخصية الغامضة؛ البُخاري، **تاريخ**، القسم الثاني، ج2، ص255 فما بعدها، **الفِهرِست**، ص132 فما بعد (القاهرة 1348هـ، ص90، طبعة فلوجل)؛ **تاريخ بغداد**، ج9، ص278 فما بعد. ابن حَجَر: **لسان**، ج3، ص142 فما بعد.

(430) الظاهر أنه الحدّاد المُتوفَّى سَنَة 573هـ/ 1177م.

(431) تُوفّي سَنَة 257هـ/ 870م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص186؛ **تاريخ بغداد**، ج12، ص138 فما بعد؛ ياقوت: **إرشاد**، ج12، ص44-5، طبعة القاهرة، ج4، ص284 فما بعد، طبعة مارغليوت) أما أبوه فيكتب أحياناً بـ (أل) التعريف وأحياناً بدونها.

(432) والي ألمرية 443-484هـ/ 1051-1091م (محمد بن مَعْن المُعْتَصِم).

(433) في مخطوطة ليدن «بن عبدالله».

(434) يذكر المسعودي أخاه عيسى.

عبدالله بن محفوظ الأنصاري البَلَوي صاحب أبي زيد عُمَارَة بن زيد المدني.

عبدالله بن محمد بن أحمد بن خلف العفيف المَطَري.

عبدالله بن محمد بن عُبَيْد أبو بكر بن أبي الدُّنيا، مُؤدِّب المُكتفي بالله، وأحد الحُفّاظ.

عبدالله بن مُسلم بن قُتَيْبَة أبو محمد الدِّيْنَوَري، صاحب **المعارف** وغيره ممّن كَثُرت كتبه واتسع تصنيفه.

عبدالله بن المُقَفَّع[435] بقاف ثُمّ فاء، كمحمَّد، على الصحيح، وقيل بكسر الفاء، لأنه كان يعمل القِفَاع ويبيعها، وهي قِفاف الخُوص، القائل: «من وضع كتاباً فقد استهدف، فإن أجاد فقد استشرف، وإن أساء فقد استقذف»[436]. وله **الدُّرَّة اليَتِيمَة** التي لم يُصَنَّف في فنّها مثلها، بل يُقال إنه الواضع لكتاب **كَلِيلَة ودِمْنَة**، لكن الصحيح أنه عرَّبه من الفارسية، لا أنه واضعه.

عُبَيْد الله بن قُرَيْب الأصمعي.

عبد الملك بن عائشة[437].

عُبَيْد الله بن عبدالله بن خُرَّدَاذْبِه أبو القاسم، وهو في **اللسان** في عُبَيْد الله بن أحمد[438]. قال فيه المسعودي: «كان إماماً في التأليف، مُبدعاً في حلاوة التصنيف، اتَّبعه مَنْ بَعْدَه، وأخذ منه ووطيء على عَقِبه وقفّى أثره وكتابه في **التاريخ** أجمعها[439] جَزاءً، وأبدعها نَظْماً، وأكثرها علماً، وأحوى لأخبار الأُمم

(435) تُوفّي سَنَة 142هـ/ 759-60م (انظر بروكلمان: ج1، ص151 فما بعد).

(436) هذا النصّ موجود في **مُروج**، ج1، ص20، طبعة باريس، ج1، ص17 (طبعة القاهرة 1346هـ)، مُتابعاً انتقاد كتاب سِنَان بن ثابت. انظر أيضاً: الوشّاء، **المُوَشّى**، ص4، طبعة برونو Brünnow (ليدن 1886م).

(437) عُبَيْد الله (كذا في مخطوطة ليدن) بن محمد المُتوفّى سَنَة 228هـ/ 843م (**تاريخ بغداد**، ج10، ص314-8).

(438) ابن حَجَر: **لسان**، ج4، ص96 فما بعد.

(439) **مُروج**، ج1، ص13 طبعة باريس، ج1، ص5 (طبعة القاهرة 1346هـ) فيها: الأَدقّ.

وملوكها وسِيَرها من الأعاجم وغيرها». قال ومن كُتُبه النفيسة كتابه في **المسالك والممالك**.

عليّ بن أَنْجَب أبو طالب البغدادي، الخازن أحد الحُفّاظ.

عليّ بن الحسن أبو الحسن بن الماشِطَة.

عليّ بن الحسن بن الفتح أبو الحسن الكاتب، ويُعرف بابن المُطَوَّق.

عليّ بن الحسين بن عليّ المَسْعُودي.

عليّ بن مُجَاهِد.

عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَلي[440].

عليّ بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثِير.

عليّ بن محمد بن محمود الكازَرُوني.

عليّ بن محمد المَدَايِني[441].

عُمَارَة بن وَثِيمة المصري[442].

عَمْرو بن بَحْر أبو عثمان الجاحظ[443].

عُمَر بن شَبّة أبو زَيْد النُّمَيْري البصري، أحد الحُفّاظ الإخباريين، وصاحب التصانيف. له تاريخ للبصرة وآخر للكوفة وآخر لمكّة وآخر للمدينة وغير ذلك.

(440) يَتَكَرَّر الاقتباس منه في مُروج؛ ويظهر بصفة راوٍ عند الطَّبَري، وفي كتاب **الأغاني**، وكُنْية النَّوْفَلي هي أبو الحسن (مُروج، ج5، ص4، طبعة باريس، ج2، ص51، طبعة القاهرة 1346هـ) فهل يُمكن القول إنه هو نفس أبو الحسن النَّوْفَلي الحُجّة في تاريخ المغرب والذي اقْتُبَس منه ليفي بروفنسال:
É. Levi-Provençal, *Islam d'Occident* 15 f. (Paris 1948)?

(441) تُوفّي سَنَة 224هـ/ 839م/ وسَنَة 225هـ (انظر: بروكلمان، جـ1، ص140 فما بعد).

(442) تُوفّي سَنَة 289هـ/ 902م (انظر بروكلمان: ج1، ص217) ومن المُؤكّد تقريباً أنّ نسبة (البصري) غير صحيحة.

(443) تُوفّي سَنَة 255هـ/ 869م (انظر بروكلمان: ج1، ص152 فما بعد).

عُمَر بن محمد بن محمد بن فَهْد.

عيسى بن مسعود الزَّوَاوي المَغْرِبي.

القاسم بن سَلّام، أبو عُبَيْد البغدادي، أحد الأئمّة[444].

قُدَامة بن جَعْفَر، أبو الفرج الكاتب، قال فيه المسعودي: «إنه كان حسن التأليف، بارع التصنيف، مُوجز الألفاظ، مُقرّباً للمعاني»، وانظر لكتابه: **زَهْر الرَبِيع والخَراج** تُحَقِّق هذا.

لُوط بن يحيى أبو مِخْنَف العامري[445].

محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم الدِّمَشْقي الجَزَري.

محمد بن إبراهيم بن يحيى الكُتُبي، عُرف بالوَطْوَاط.

محمد بن أحمد بن حَمّاد، أبو بِشْر الدَّوْلابي.

محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي[446]، وفيه أسماء المُحَدِّثين وكُناهم.

محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان البُخَاري الحافظ غُنْجَار.

محمد بن أحمد بن محمد الفارسي.

محمد بن أحمد بن مَهْدي، الشاهد[447].

محمد بن أبي الأزهر[448]، له كِتابان في التاريخ سُمِّي أحدهما **الهَرْج**

(444) تُوفّي حوالى سَنَة 224هـ/ 837-8م (انظر بروكلمان: ج1، ص106 فما بعد).

(445) تُوفّي سَنَة 157هـ/ 773-4م أو قبل سَنَة 170هـ/ 786-7م (**الفِهرِست**، ص136 فما بعد) (طبعة القاهرة، 1348هـ، ص93، طبعة فلوجل. ياقوت: **إرشاد** ج17، ص41-3، طبعة القاهرة، ج6، ص220-2، طبعة مارغليوت. ابن حَجَر: **لسان** ج6، ص492 فما بعد).

(446) تُوفّي سَنَة 301هـ/ 914م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص278).

(447) لقد اقْتَبَس من تاريخه، **تاريخ بغداد** ج1، ص99؛ ابن النَّجّار: **ذيل تاريخ بغداد**. مخطوطة باريس، ar. 2131، ص76أ (ترجمة عليّ بن يقطين بن موسى) وهو غير الشخصين اللذين ذكرهما ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص37، لأن كُنْيته أبو عبدالله.

(448) محمد بن أحمد بن مَزْيَد البُوسنجي المولود سَنَة 283هـ/ 896-7م (**الفِهرِست**، ص211 =

والأَخْدَاث قال فيه سِنان بن ثابت[449] الماضي إنه «انتحل ما ليس من صناعة علمه، وانتهج ما ليس من طريقته، فألَّف كتاباً جعله رسالة لبعض إخوانه من الكُتّاب، واستفتحه بجوامع من الكلام في أخلاق النُّفوس وأقسامها من الناطقة والغَضَبية والشهوانية، وذكر لُمَعاً من السياسات المَدَنية ما ذكره أفلاطون في كتابه فيها من العشر مَقَالات، ولُمَعاً ممّا يجب على المُلوك والوُزراء. ثُمّ خرج إلى أخبار زَعم أنها صَحَّت عنده، ولم يُشاهدها، ووصل ذلك بأخبار المُعتضِد بالله، وذكر صُحبته إياه، وأيامه السالفة معه، ثُمّ ترقَّى إلى خليفة خليفة في التصنيف، مُضادّة لرَسْم الأخبار والتواريخ، وخُروجاً عن عمل أهل التصنيف. وهو وإن أحسن فيه، ولم يخرجه عن معانيه، فإنما عِيْبَ لأنه خرج من صناعته، وتكلَّف ما ليس من معانيه[450]، ولو أقبل على علمه الذي انفرد به من علم إقليدس والمُقَطَّعات والمَجِسْطِي والمُدَوَّرات، ولو استفتح آراء بُقْرَاط[451] وأفلاطون وأرسطاطاليس، مُخبراً عن الأشياء الفلكية، والآثار العلوية، والمزاجات الطبيعية، والسبب[452]، والتأليف، والنتائج، والمُقدِّمات، والصنائع، والمُرَكَّبات، ومعرفة الطبيعيات من الإلٰهيات، والجواهر والهيئات، ومقادير الأشكال، وغير ذلك من أنواع الفلسفة، لكان قد سلم ممّا تكلَّفه، وأتى بما هو أَلْيَق بصنعته، لكن العارِف بقَدْره معدوم، والعالِم بمواضع الخَلَل مفقود.

محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبدالله الفاكهي.

محمد بن إسحاق بن محمد بن هلال بن المُحَسِّن الصَّابئ الكاتب.

= طبعة القاهرة، 1348هـ، ص147 فما بعد، طبعة فلوجل) وقد افْتَرَض دي سلان أنَّ ابن أبي الأزهر هذا هو نفس ابن الأزهر الذي اقْتَبَس ابن خَلِّكان من تاريخه من ترجمة يعقوب بن الليث الصَّفّار (ابن خَلِّكان، ج4، ص301 فما بعد. لكن انظر أعلاه: ص64. انظر أيضاً **مُروج**، ج7، ص160، طبعة باريس، ج2، ص370، طبعة القاهرة، 1346هـ).

(449) إنّ هذا النَّقد مُوَجَّه إلى كتاب ابن أبي الأزهر بمُوجب نصّ **الإعلان**، أما نصّ **المُروج** فليس بالوُضوح الذي يرجوه المرء، فيجوز أن يكون مُوجّهاً إلى كتاب سِنان، وهذا هو المُحتمل.

(450) **في الإعلان** (مَعانِيه) **أما المروج** فيذكر (مَهانَتِهِ).

(451) أو سقراط؟

(452) **في الإعلان**: (والسَّبَب) أما **في المروج** (ونِسَب).

محمد بن إسحاق بن يَسَار صاحب **المغازي**.

محمد بن جَرير أبو جعفر الطَّبَري، قال المسعودي في تاريخه: «إنه الزَّاهي على المُؤلّفات، والزَّائد على الكُتُب المُصَنَّفات، وقد جمع أنواع الأخبار، وحوى فُنون الآثار، واشتَمَل على ضُروب العلم، وهو تكثر فائدته، وتنفع عائدته»، وقال: «وكيف لا يكون كذلك، ومُؤلّفه فقيه عصره، وناسك دهره، وإليه انتهت عُلوم فُقهاء الأمصار، وجملة السُّنَن والآثار».

محمد بن الحَارِث التغلبي له **أخلاق المُلوك** وغيره.

محمد بن الحسين بن سُوَار ويُعرف بابن أخت عيسى بن فَرُّخَانْشَاه(453)، أثنى عليه المسعودي بأنه «الجامع الكثير من الأخبار والكوائن في الأعصار قبل الإسلام وبعده» وانتهى إلى سَنَة عشرين وثلاثمائة (932م).

محمد بن الحسين بن عبدالله بن إبراهيم أبو شُجَاع البغدادي.

محمد بن خَلَف بن حَيّان بن صَدَقة أبو بكر الضَّبِّي القاضي، ويُعرف بوَكِيع. من تصانيفه **أخبار القُضاة والرَّمْي والنِّصال والمكاييل والموازين**، ومن نَظْمه:

إذا ما غَدَت طُلابة العِلْم تبتغي ... من العِلْمِ يوماً ما يُخَلَّدُ في الكُتْبِ
غدوتُ بِتَشْمِيرٍ وجِدٍّ عَلَيْهُمُ ... ومِحْبَرتي أُذْني ودفترها قَلْبي(454)

محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان أبو بكر، صاحب **فَضْلُ الكِلاَب على كثيرٍ ممن لبس الثياب والحاوي في علوم القرآن** وغيرهما ممّا تقدّم(455)، **كالمُتَيَّمين، والشُّعراء**.

محمد بن خَلَف الهاشمي(456).

---

(453) عيسى بن فَرُّخانْشاه وصل أوَجّه في المناصب زمن المُعتزّ في سَنَة 252هـ/ 866م.

(454) إنّ عناوين الكُتُب والأشعار مأخوذة من **تاريخ بغداد**، ج5، ص237، والبيت الأول فيه بعض الغُموض فيروي البَيْهَقي، **المحاسن والمساوىء**، ص16 طبعة شفالي Schwally (Giessen 1902) رِواية أُخرى للنصّ.

(455) **الإعلان** ص103 و108، وانظر ص494 وص507 من هذا الكتاب.

(456) **في المروج** (خالد). من رُواة مالك رجل اسمه محمد بن خالد الهاشمي، ذكره ابن حَجَر في: **لسان**، ج5، ص153 فما بعد؟

محمد بن داود بن الجَرّاح، قال أبو عبدالله الكاتب عمّ الوزير عليّ بن عيسى، «كان كما قال الخطيب، عارفاً بأيام الناس وأخبار الخُلفاء والوُزراء، وله فيها مُصنَّفات معروفة»[457].

محمد بن زكريا أبو بكر الرَّازي.

محمد بن زكريا الغَلّابي البصري.

محمد بن أبي السَّرِيّ أبو جعفر[458].

محمد بن سَلّامَة بن جعفر القُضَاعي.

محمد بن سَلّام الجُمَحِي.

محمد بن سليمان المِنْقَري الجوهري[459].

محمد بن شاكر الصلاح الدمشقي الكُتُبي.

محمد بن صالح بن النَّطّاح.

محمد بن عائذ القُرَشِي الدِّمَشْقِي الكاتب.

محمد بن عبد الرحيم بن عليّ بن الفُرات.

محمد بن عبدالله بن عَمْرو بن عُتْبَة العُتْبي[460].

محمد بن عبدالله أبو الوليد الأَزْرَقي.

محمد بن عبد الملك الهَمَذاني.

---

(457) **تاريخ بغداد**، ج5، ص255.

(458) محمد بن سهل بن بَسّام، وهو من مصادر ابن المَرْزُبان (**تاريخ بغداد**، ج5، ص314)؟ لكنْ هُناك أيضاً رجلٌ اسمه محمد بن المتوكل بن أبي السَّرِي العسقلاني المُتوفَّى سَنَة 282هـ/ 895-6م (السَّمْعاني: **أنساب**، ص390أ).

(459) لقد كان مصدراً لرجل تُوفّي سَنَة 329هـ/ 940-1م انظر: **تاريخ بغداد**، ج9، ص387، سطر 3؛ وكان مصدراً سمع منه المسعودي شِفاهاً.

(460) تُوفّي سَنَة 228هـ/ 842-3م (**تاريخ بغداد**، ج2، ص824 فما بعد) حيث يذكر اسم أبيه (عُبَيْد الله). أما **الإعلان** فيذكر (عمر) بدلاً من (عمرو).

محمد بن عليّ بن الحسن[461] العَلَوي الدِّيْنَورِي، وانتهى إلى خلافة المُعتضِد، وهو من المولد النبويِّ إلى الوفاة، ثُمّ إلى خلافة المُعتضد بالله، وما كان من الأحداث والكوائن في أيامهم.

محمد بن عليّ أبو شجاع الدَّهّان[462].

محمد بن عمر الواقدي.

محمد بن محمود المُحِبّ بن النَّجّار.

محمد بن الهيثم بن شَبَابة الخُرَاساني.

محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس الصُّولي. قال فيه المسعودي إنه «كان محظوظاً من العلم، مجدوداً من المعرفة، مرزوقاً من التصنيف وحُسن التأليف».

محمد بن يزيد الأَزْدي المُبَرَّد.

محمد بن يوسف أبو عمر الكِنْدي.

مَعْمَر بن المُثَنّى أبو عُبَيْدة.

موسى بن محمد بن أحمد بن عبدالله اليُونِيني.

النَّضْر بن شُمَيْل[463].

هِلال بن المُحَسِّن بن إبراهيم بن هِلال أبو الحسين الصَّابئ.

الهيثم بن عَدي الطائي.

وَثِيمة بن موسى بن الفُرات بن الوَشّاء.

وَهْب بن مُنبِّه.

(461) في مُروج (الحسين).

(462) تُوفّي سَنَة 590هـ/ 1193-4م (حاجي خليفة: **كشف الظنون** ج2، ص102، طبعة فلوجل).

(463) تُوفّي سَنَة 204هـ/ 820م أو سَنَة 203 (بروكلمان: ج1، ص102؛ ياقوت: **إرشاد**، ج19، ص243، طبعة القاهرة، ج7، ص218 فما بعد، طبعة مارغليوت).

يحيى بن المُبَارَك بن المُغِيرة اليزيدي[464].

يعقوب بن سُفيان الفَسَوي.

يوسف بن إبراهيم، صاحب أخبار إبراهيم بن المَهْدي وغيرها.

يوسف بن تَغْري بِرْدِي.

يوسف بن قِزْ أُوغْلي سِبْط ابن الجَوزي.

أبو إسحاق بن سليمان الهاشمي.

أبو بِشْر الدَّولابي، في محمد بن أحمد بن حَمّاد.

أبو بكر بن أبي عبدالله المالكي.

أبو بكر بن حَيّان هو محمد بن خَلَف.

أبو بكر بن أحمد بن محمد التَّقي بن قاضي شُهْبَة.

أبو حَسّان الزِّيَادي.

أبو السائب المخزومي.

أبو عبدالله بن حارث الرقيق الكاتب[465].

أبو عليّ بن البَصْري.

أبو عمر الصَّدَفِي القُرْطُبي.

أبو عمر الكِنْدي، هو محمد بن يوسف.

أبو عيسى بن المُنَجِّم[466]، قال المسعودي إنّ «**تاريخه** على ما أَنْبَأَتْ به

---

(464) تُوفّي سَنَة 202هـ/ 817-8م (انظر بروكلمان: ج1، ص109).

(465) هذان مُؤلِّفان ولكن السَّخاوي جعلهما واحداً. وقد استفاد السَّخاوي من قائمة الكُنَى من الأسلاف الذين ذكرهم عِياض في **المدارك**. انظر: **الإعلان**، ص101 أعلاه ص489، حيث نجد أنّ هذين المُؤلّفين مُتميِّزان بوضوح.

(466) أحمد بن عليّ بن يحيى (**الفِهرِست**: ص207، طبعة القاهرة 1348هـ، ص144، طبعة =

التوراة، وغير ذلك من تاريخ الأنبياء والمُلوك».

أبـو كامـل.

ابن أبي الأزهر في محمد.

ابن أبي الدنيا، في عبدالله بن محمد بن عُبَيْد.

ابن عائذ، في محمد.

ابن عَبّاس(467) فـي:

ابن قانـع.

ابن الكلبي(467) في.

ابن مِسْكَوَيـه.

ابن المُقَفَّع، في عبدالله.

ابن واضِح(468) فـي.

ابن الوَشّاء أظنه وَثِيمة.

= فلوجل. ياقوت: إرشاد، ج3، ص243 فما بعد، طبعة القاهرة، ج1، ص229، طبعة مارغليوت). أما أخوه هارون فقد تُوفّي سَنَة 288هـ/ 900-1م. ويظهر أنه لا تتوافر تواريخ مضبوطة عن عيسى. وقد استَعمل أبو الفِداء في المُختصر في أخبار البشر كتابه بكثرة، وعنوان الكتاب هو كتاب البيان عن تاريخ سِنِي زمان العالم على سبيل الحُجّة والبُرهان وقد وُصف بأنه مُجلّد لطيف عن التواريخ القديمة. انظر: أبو الفِداء: المُختصر في أخبار البشر، ص2، طبعة Flescher (Leipzig 1831)، إنّ هذا العنوان المُصاغ بالسَّجْع لا يظهر كذلك في الفِهرِست ممّا قد يكون إضافة مُتأخّرة.

(467) أوَّل الرجلين، فيما يظهر هو الرّاوية المشهور، والثاني هو الكلبي الصغير، وكِلاهما لم يدخلا في القائمة السابقة.

(468) الظاهر أنه أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي. وقد ذكره الإعلان باسم (ابن واضح) في ص162، وفي هذا الكتاب ص614.

ابن يُونُس، في عبد الرحمن بن أحمد بن يُونُس.

الأَصْمَعي عبد الملك بن قُرَيْب.

الأُموي، هو سعيد بن يحيى.

الرِّيَاشي، في العبّاس بن فَرَج.

الصُّولي، في محمد بن يَحْيَى.

العُتْبِي، في محمد بن عبدالله بن عمرو بن عُتْبَة.

الفَيُّومـي هو:

المصري صاحب **زُهْرة العيون وجلاء القلوب**.

اليَزِيدي، في يَحْيَى بن المُبَارَك بن المُغِيرة.

اليوسفـيهو:

د ـ كُتُب عن تواريخ الوَفَيَات

ومنهم من يقتصر على الوَفَيَات. وقد قال الذَّهبي في مُقدّمة **تاريخه**(469): إنه لم يَعْتَنِ القُدماء بِضبطها كما ينبغي، بل اتَّكَلُوا على حفظهم، فذهبت وَفَيَات خَلْقٍ من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان الشافعي. ثم اعتنى المُتأخِّرون بِضبط وَفَيَات العُلماء وغيرهم، حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة لمعرفتنا لهم، فلذا حُفظت وَفَيَات خَلْقٍ من المجهولين، وجُهِلت وَفَيَات أئمّة من المعروفين» انتهى. وممّن صَنَّف فيها أبو الحسين عبد الباقي بن قَانِع البغدادي الحافظ، وانتهت كِتابته لسَنَة ست وأربعين وثلثمائة (957-8م) وأبو محمد وأبو سليمان بن أحمد بن ربيعة بن زَبْر البغدادي الدمشقي، قاضي مصر(470). ابتدأ

(469) انظر: **تاريخ الإسلام**، ج1، ص17 (القاهرة 1367هـ).

(470) أبو محمد عبدالله بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 329هـ/ديسمبر 940م (**تاريخ بغداد**، ج9، ص386 فما بعد)، أما ابنه أبو سليمان بن محمد بن عبدالله، فقد تُوفّي سَنَة 379هـ/ 989-90م (انظر بروكلمان: ج1، ص167) لكن انظر مخطوطة باريس ar. 2149 =

كتابه من سَنَة الهجرة، وانتهى إلى سَنَة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة (949-50م) وهما مِمّن تُكُلِّم فيهما. وذَيّل على ثانيهما أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكِناني، ثُمّ على الكِنَاني أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكْفَاني، فعمل نحو عشرين سَنَة، ثُمّ عليه الحافظ أبو الحسن عليّ بن المُفَضَّل[471]، ثُمّ عليه الحافظ الزَّكِي المُنْذِرِي في كتابه **التكْمِلة لوَفَيات النَقَلَة** وهو كبير مُتْقَن كثير الفائدة. ثُمّ عليه الشريف العِزّ أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحُسيني[472]، ثُمّ عليه المُحدِّث الشّهاب أبو الحسين أحمد بن أَيْبَك الدِّمْيَاطي، وانتهى إلى سَنَة تسع وأربعين وسبعمائة (1348-9م)، فَذيَّل عليه من ثَمَّ الزَّيْن العراقي إلى سَنَة اثنتين وستين هـ 1360-1م، فَذيَّل عليه، ولده الولي أبو زُرْعة[473] منها، وهي سَنَة مولده، إلى أن مات، لكن الذي وقفتُ عليه بخطّه إلى سَنَة سبع وثماني، ووُريقات مُفَرَّقة بعد ذلك. وللحافظ التَّقِيّ بن رافع في **الوَفَيات** كتاب كثير الفائدة رَتَّبْتُهُ[474]، وهو ذَيْل على وَفَيات **تاريخ** العَلَم البِرْزَالي الحافظ، بالنسبة إليها، وانتهت إلى أول سَنَة ثلاث وسبعين هـ 1371-2م، وذَيَّل عليه الشهاب بن حِجّي بل تاريخ شيخنا **إنباء الغُمْر** الذي ابتدأه بها وهي سَنَة مولده يصلح كما قال من جِهة الوَفَيات أن

= ص51ب من **رَفْع الإصْر** لابن حَجَر حيث إنه عند الكلام عن نصّ مُقتطف من تاريخه، يذكر تاريخ وفاته (خطأ؟) سَنَة 377.

وتذكر مخطوطة ليدن (عبدالله) بدلاً من (وأبو سليمان)، ولعلّ هذا هو النصّ الأصلي. وعلى كلٍّ، فإن القول بأنهما «ممّن تُكلّم فيهما» يَنطبِق فقط على عبدالله الذي فيما يقول **تاريخ بغداد**، ج9، ص387: لم يكن مُوَثّقاً، وابن قانع الذي عيبه الوحيد اتّهامه بالخَلْط في آخر سِنِيّ عمره (**تاريخ بغداد**، ج11، ص89).

(471) تُوفّي سَنَة 611هـ/ 1214م (انظر بروكلمان: ج1، ص366 فما بعد).

(472) إنّ كتابه **الوَفَيات** أكثر من النَّقْل منه ابن رافع في **مُنتخب المُختار، تاريخ عُلماء بغداد** (بغداد 1357هـ/ 1938م).

(473) أحمد بن عبد الرحيم 762-826هـ/ 1361-1423م (انظر بروكلمان: ج2، ص66 فما بعد). أما كِتابه فهو **الذَّيل على كتاب العِبَر** للذَّهبي وفيه بعض الوقائع. ومن مخطوطة الإسكندرية حوادث سَنَة 762-80م. ومن هذه المخطوطة نُسخة كُتبت حديثاً (1354هـ-1935م) في دار الكُتُب المصرية، مخطوطة القاهرة، تاريخ 5615.

(474) كذا في مخطوطة ليدن، أما النُسخة المطبوعة، فيجب أن تُكمل ويُضاف إليها «وقد رَتَّبه» (على المُعجم).

يكون ذَيْلاً[475] عليه، وقد كتبتُ فيها كتاباً حافلاً اشتمل على القرنين الثامن والتاسع سمّيتُه **الشِفَاء من الألَم** يسّر الله تحريره. وكتاب **الْتقاط الجواهِر والدُرَرَ من مَعَادِنِ التَّوَاريخ والسِّيَر** وهو في مُجلَّدَيْن، مُعظمه وَفَيات، لأبي عبدالله محمد بن أبي الجَوَاد قَيْصَر المِصْري القَطّان.

وممّن صَنَّف فيها أبو القاسم عبد الرحمن بن مَنْدَة. قال الذَّهبي: «ولم أرَ أكثر استيعاباً منه». وبالجملة فالذيول المُتأخِّرة أبسط من المُتقدِّمة، وأَفْوَد، وكتاب ابن زَبْر أشدّها إجحافاً بحيث قال أبو بكر بن طَرْخَان «سمعتُ أبا عبدالله محمد بن أبي نَصْر فُتُوح بن عبدالله الحُمَيْدي، يعني مُصنِّف **الجَمْع بين الصحيحين** يقول ثلاثة كُتُب من عُلوم الحديث يجب التهمُّم بها:

1 ـ **كتاب العِلل**، وأحسن كتاب وُضع فيه كتاب «الدّارَقُطْني».

2 ـ كتاب **المُؤتَلِف والمُخْتَلِف**، وأحسن كتاب وُضع فيه كتاب الأمير ابن مَاكُولا.

3 ـ كتاب **وَفَيَات الشيوخ** وليس فيه كتاب، يعني على الاستقصاء[476]. وقد كنتُ أردتُ أن أجمع فيها كتاباً، فقال لي الأمير: رَتِّبه على الحُروف بعد أن تُرتِّبه على السنين[477]، يعني في تصنيفين مُستقلَّين، مُستوفي الغَرَض في كلٍّ منهما، أو في واحد فقط، ويكون على قسمين أحدهما مُستوفياً، والآخر حوالة، بأن يقول في حرف العين مثلاً عِكْرِمة[478] مولى ابن عبّاس في الطبقة الفُلانية من التابعين، ليتيسَّر بذلك للطالب الإحاطة بالرَّاوي، سواء عرف طبقته أو اسمه، وإن كان صنيع الذَّهبي يُشعِر بأن المُراد أنّ يجعل كُلُّ طبقة على قسمين، قسم فيه الأسماء مُرتّبة على الحُروف،

---

(475) انظر: **الإعلان**، ص150، وأعلاه ص590.

(476) انظر: **مُقدّمة ابن الصلاح**، الفصل 60، ص382 من طبعة محمد راغب الطَّبَّاخ (حلب 1350هـ-1931م).

(477) انظر: ياقوت. **إرشاد**، ج18، 284 (طبعة القاهرة، ج7، ص59، طبعة مارغليوت).

(478) تُوفّي سَنَة 107هـ/ 725-6م أو 104هـ/ 722-3م (البُخاري، **التاريخ**، ج4، قسم 1، ص49).

والآخر فيه الحوادث، وذلك أنه قال عقب كلام الحُمَيْدي في ترجمته من **تاريخ الإسلام** له، واستحضار قول ابن طَرْخَان: إنّ شيخه الحُمَيْدي شُغِل عما أراده، وهمَّ به بـ **الجَمْع بين الصحيحين** إلى أن مات، ما نَصُّه[479] «قد فتح الله بكتابنا هذا». فإن الظاهر ما قدَّمتُه[480] رحمهم الله وإيانا.

هـ ـ كُتُب تاريخ مُنوّعة: الرحلات

وقد اخْتَصَر بعض المُتأخّرين فقال صَنَّف التاريخ في المائة الثانية اللَّيْث[481]، وقبله (؟) ابن سعد في **الطبقات**، والثالثة أحمد، أو الشيخان (البُخاري ومُسْلِم) والنَّسائي، ومن الرابعة الطَّبَري وابن عَدِي، ومن الخامسة الخطيب والشيخ أبو إسحاق الشيرازي، ومن السادسة ابن عساكر وابن الجَوزي، ومن السابعة ابن خَلِّكان والمُنْذِري، ومن الثامنة المِزِّي والذَّهَبي، ومن التاسعة ابن حَجَر والعَيْنِي. وغيرهم ممّن لا يُحصى[482].

ومِمَّن خُصَّ بالتصنيف في الضعفاء والمتروكين، ابن مَهْدي[483]، والبُخَارِي، والنَّسَائي، وابن عَدِي، وابن حِبّان، وجماعة كثيرون آخرهم الذَّهبي في **ميزان الاعتدال**، ثُمّ ابن حَجَر في **لسان الميزان**[484].

وقال ابن الجَوزي[485]: «رأيت المُؤَرِّخين تختلف مقاصدهم، فمنهم من يقتصر على ذكر الابتداء، ومنهم من يقتصر على ذكر المُلوك والخُلفاء. وأهل الأثر يُؤْثِرون

---

(479) انظر: ياقوت، المذكور أعلاه.

(480) يظهر أنّ كُلّ الفقرة مأخوذة من **تاريخ الإسلام** للذَّهبي، مع تعليقات للسَّخاوي.

(481) يبدُو أنه اللَّيث بن سعد الذي كان قبل ابن سعد.

(482) يَظْهر أنّ صاحب هذا القول، كائناً من كان، ليس بذي اطّلاع جيد على القُرون الأُولى.

(483) عبد الرحمن بن مهدي المُتوفَّى سَنَة 198هـ/ 813-4م (**تاريخ بغداد**، ج10، ص240 فما بعد).

(484) إنّ هذه الفقرة خارجة عن نَمَط السِّياق.

(485) إنّ هذا المُقتطَف شديد المُطابقة للنصّ المُقتطَف من سِبْط ابن الجَوزي في **الإعلان** ص26؛ ولما كانت المصادر الأُولى غير مُتوافرة، فمن الصَّعب أن نُقَرِّر هل إنّ كُلّاً من المُؤَلِّفَيْن عبَّر عن نفسه بالطريقة نفسها التي عبَّر فيها الآخر عن نفسه، أم أنّ إحدى نِسْبَتَي السَّخاوي غير صحيحة.

ذكر العُلماء. والزُّهّاد يُحبّون أحاديث الصُّلَحاء. وأربابُ الأدب يميلون إلى أهل العربية والشعراء. ومعلوم أنّ الكُلّ مطلوب. والمحذوف من ذلك مرغوب.

وأشار ابن أبي الدَّم لنحو ذلك، وسمَّى من الكُتُب **مغازي** ابن عُقْبَة، **وتاريخ** أبي جعفر الطَّبَري، والخطيب، وسَيْف، وابن وَاضِح، **والكامل** لأبي العباس المُبَرّد، **والعِقْد** لابن عبد رَبِّه، **ومعارف**[486] ابن قُتَيْبة، **والحِلْيَة** لأبي نُعَيْم. وكلٌّ منهم ليس يتعدّى الموضوع الذي قصده، مع أنها انقطعت بموت مُصَنِّفِيها من سنين. يعني وتجدّد بعدهم من مقاصدهم جُملة، قلت: بل فاتهم ممّا لم يذكروه بجَمْع الكثير. وفي كُتُب التواريخ من يجمع بين عيون الأخبار ومُسْتَحْسَنات الأشعار، كـ **التَّذْكِرَة الحَمْدُونية وريْحانَة الأَدَب** لابن سَعِيد، **والعِقْد** لابن عبد رَبّه، **وفَصْل الخِطَاب** للتيفاشي، ونَثْر **الدُّرَر** للآبي، وهو **دُرَر اللآلي**[487]. ويُستفاد في هذا الباب من الرحلة لأبي الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكِناني[488] ولأبي عبدالله محمد بن عمر بن رُشَيْد[489] ونحوها **النُّضَار** لأبي حَيّان[490] وللعَلَم القاسم بن يوسف التُّجِيبي[491]، وهي ثلاثة مُجلَّدات، حذا فيها حذو الذي قبله. وكان رحل قبله بنحو عَشْر سنين، وزاد هو على ابن رُشَيْد تراجم شُيوخه المشرقية، وهي في ستة مُجلّدات، فيها من الفوائد الكثير، طالعتها واستفدت منها[492].

---

(486) في مخطوطة ليدن (معاني) **وكتاب المعاني** نُشِر في حيدرآباد، 1949-50م. وقد نَشَر ثروت عُكاشة طبعة جديدة **لكتاب المعارف** (القاهرة 1960م).

(487) انظر: **الإعلان**، ص30 أعلاه ص238 فما بعد.

(488) تُوفّي سَنَة 614هـ/ 1217م (انظر بروكلمان: ج1، ص478).

(489) تُوفّي سَنَة 721هـ/ 1321م (انظر بروكلمان: ج2، ص245 فما بعد).

(490) انظر: أعلاه، ص531 هامش 130.

(491) لقد عاش حتى سَنَة 730هـ/ 1329-30م على ما يقول الذَّهبي في **المُعجم الصغير** الذي اقْتُبِس منه في هامش طبعة كتاب **الدُّرَر** لابن حَجَر، ج3، ص240. أما عن كتابه، فانظر أيضاً: ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج3، ص200، 263.

(492) لقد دَمَجَ السَّخاوي المعلومات التي وَجَدَها عن **رحلات** ابن رُشَيْد والتُّجِيبي عند ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج4، ص111 ج3، ص240؛ كما أنه أخذ الجُملة الأخيرة التي يتكلّم فيها ابن حَجَر. ونص **الإعلان** يقول إنّ: «تراجم شيوخه المشرقية (يعني التُّجيبي) في ستة مُجلّدات».

16 ـ المُتكلِّمون في الرجال

وأما المُتكلِّمون في الرجال فخَلْق من نُجُوم الهُدى[493]، ومصابيح الظُّلَم، المُستضاء بهم في دفع الرَّدى، لا يتهيّأ حَصْرهم في زمن الصحابة رضي الله عنهم، وهَلُمَّ جرّاً سرد ابن عَدِيّ في مقدّمة **كامله** منهم خلقاً إلى زمنه، فالصحابة الذين أوردهم: عُمَر، وعليّ، وابن عباس، وعبدالله بن سَلاَم، وعُبَادة بن الصامِت، وأَنَس، وعائشة، رضي الله عنهم، وتصريح كُلٍّ منهم بتكذيب من لم يُصدقه فيما قاله. وسرد من التابعين عدداً كالشَّعْبي، وابن سِيرِين، والسَّعِيْدَيْن ابن المُسَيَّب وابن جُبَير[494]. لكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم، لقلّة الضعف في متبوعهم، إذ أكثرهم صحابة عُدُول، وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثِقات، ولا يكاد يُوجد في القرن الأول الذي انْقَرَض في الصحابة وكِبار التابعين ضعيف، إلا الواحد بعد الواحد، كالحارِث الأَعْوَر[495] والمُخْتَار الكذّاب[496].

فلمّا مَضَى القرن الأول ودخل الثاني، كان في أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضُّعفاء، الذين ضُعّفوا غالباً من قبل تحمّلهم وضبطهم للحديث، فتراهم يرفعون الموقوف، ويُرسلون كثيراً، ولهم غَلَط كأبي هارون العَبْدي[497].

فلمّا كان عند آخرهم عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة، تكلَّم في التوثيق والتجريح طائفة من الأئمّة. فقال أبو حَنِيفة: «ما رأيت أكذب من جَابِر الجُعْفي»[498]. وضَعَّفَ الأَعْمَشُ جماعةً، ووَثَّقَ آخرين، ونظر في الرجال

(493) (هُدىً ـ رَدىً) انظر مثلاً: ياقوت. **إرشاد**، ج1، ص94 (طبعة القاهرة، ج1، ص25، طبعة مارغليوت)؛ ابن زُولاق: **أخبار سيبويه المصري**، ص31 (القاهرة 1352هـ-1933م).

(494) تُوفّي سَنَة 94هـ/ 712-3م (ابن سعد: **الطبقات**، ج6، ص178-87 طبعة سخاو وآخرين؛ البُخاري: **التاريخ** ج2، قسم 1، ص422).

(495) الحارث بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 65هـ/ 684-5م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 2، ص2381؛ ابن حَجَر: **التهذيب**، ج2، ص145-7).

(496) المُختار بن أبي عُبَيْد المُتوفَّى سَنَة 67هـ/ 686-7م (ابن حَجَر: **لسان**، ج5، ص6 فما بعد).

(497) عُمارة بن جُوَيْن المُتوفَّى سَنَة 134هـ/ 751-2م (ابن حَجَر: **تهذيب**، ج7، ص412 فما بعد).

(498) جابر بن يزيد المُتوفَّى سَنَة 128هـ/ 745-6م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 2 ص210).

شُعْبَة[499]، وكان مُتَثبِّتاً لا يكاد يروي إلا عن ثِقة، وكذا كان مالك. وممّن إذا قال في هذا العصر قُبِل قوله:

مَعْمَر[500].

وهشام الدَّسْتُوائي[501].

والأَوْزَاعي.

والثَّوْري.

وابن الماجِشُون[502].

وحَمّاد بن سلمة[503].

واللَّيْث بن سعد وغيرهم.

ثُمّ طبقة أُخرى بعد هؤلاء.

كابن المُبَارَك.

وهُشَيْم[504].

وأبي إسحاق الفَزَاري.

---

(499) شُعْبة بن الحَجّاج المُتوفّى سَنَة 160هـ/ 776-7م (**تاريخ بغداد**، ج10، ص255 فما بعد).

(500) مَعْمَر بن رَشِد المُتوفّى سَنَة 153هـ/ 770م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 1، ص378 فما بعد).

(501) هشام بن عبدالله المُتوفّى سَنَة 154هـ/ 771م أو 151 أو 153 هـ (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص198).

(502) عبد العزيز بن عبد الله المُتوفّى سَنَة 164هـ/ 780-1م (**تاريخ بغداد**، ج10، ص436 فما بعد).

(503) تُوفّي سَنَة 167هـ/ 783-4م أو 169هـ (ياقوت: **إرشاد**، ج10، ص258، طبعة القاهرة، ج4، ص135، طبعة مارغليوت).

(504) هُشَيْم بن بَشِير المُتوفّى سَنَة 183هـ/ 799م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2 ص242؛ تاريخ بغداد، ج14، ص85 فما بعد).

والمُعَافَى بن عِمْران المَوْصِلي[505].

وبِشْر بن المُفَضَّل[506].

وابن عُيَيْنَة، وغيرهم.

ثُمّ طبقة أُخرى في زمانهم.

كابن عُلَيّـة.

وابن وَهْـب.

ووَكِيـع.

ثُمّ انتُدب في زَمانهم أيضاً لنقد الرجال الحافظان الحُجَّتان يَحْيَـى بن سَعِيد القَطّان، وابن مَهْدي، فمن جَرَّحاه لا يكاد يندمل جُرْحُه، ومن وَثَّقاه فهو المقبول، ومن اختلفا فيه، وذلك قليل، اجتُهِد في أمره.

ثُمّ كان بعدهم مِمَّن إذا قال سُمِع منه: إمامنا الشافعي رضي الله عنه، ويزيد ابن هارون[507].

وأبو داود الطَّيالسي[508].

وعبـد الـرزّاق.

والفَرْيَابـي[509].

وأبي عاصم النبيل[510].

---

(505) تُوفّي سَنَة 184هـ/ 800-1م أو 185 أو 186هـ (**تاريخ بغداد**، ج13، ص226 فما بعد).

(506) تُوفّي سَنَة 187هـ/ 803م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 2، ص84).

(507) الظاهر أنه السُّلَمي المُتوفَّى سَنَة 206 هـ/ 821م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص368؛ **تاريخ بغداد**، ج14، ص337 فما بعد).

(508) سليمان بن داود المُتوفَّى سَنَة 203هـ/ 818-9م أو 204هـ. (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص257؛ **تاريخ بغداد**، ج9، ص24 فما بعد).

(509) محمد بن يوسف المُتوفَّى سَنَة 212هـ/ 827م (البُخاري: **التاريخ**، ج1، قسم 1، ص264 فما بعد).

(510) الضَّحّاك بن مَخْلَد المُتوفَّى سَنَة 211هـ/ 826-7م أو 213هـ (ابن حَجَر: **التهذيب** ج4، ص450-30).

وغيرهـم.

وبعدهم طبقة أُخرى كالحُمَيْدي[511].

والقَعْنَبِـي.

وأبو عُبَيْـد.

ويحيى بن يحيى[512].

وأبي الوليد الطّيالسي[513]. ثُمّ صُنِّفت الكُتُب ودُوِّنت في الجَرْح والتعديل والعِلل، وبُيِّنُ مَنْ هو في الثِّقة والتثبُّت كالسارية، ومن هو في الثِّقة كالشاب الصحيح الجسم، ومَنْ هو لَيِّن كمن يُوجعه رأسه وهو مُتماسك يُعَدّ من أهل العافية، ومَنْ صِفته كمحموم ترجَّح إلى السلامة، ومَنْ صفته كمريض شبعان من المرض، وآخر كَمَنْ سقطت قواه وأشرف على التَّلف، وهو الذي يسقط حديثه[514].

وَوُلاة الجَرْح والتعديل بعد ما ذكرنا: يحيى بن مَعِين، وقد سأله عن الرجال غيرُ واحد من الحُفّاظ، ومن ثَمّ اختلفت آراؤه وعبارته في بعض الرجال، كما اختلف اجتهاد الفُقهاء وصارت لهم الأقوال والوجوه، فاجتهدوا في المسائل كما اجتهد ابن مَعِين في الرجال.

ومن طبقته أحمد بن حَنْبَل، سأله جماعة من تلامذته عن الرجال، وكلامه فيهم باعتدال وإنصاف وأدب وورع.

وكذا تكلَّم في الجَرْح والتعديل أبو عبدالله محمد بن سعد كاتب الواقدي في **طبقاته** بكلام جيد مقبول.

---

(511) عبدالله بن الزُّبَيْر المُتوفَّى سَنَة 219هـ/ 834م (ابن سعد: **الطبقات**، ج5، ص368، طبعة سخاو وآخرين).

(512) إنّ هذا هو أبو زكريا النِّيسابوري المُتوفَّى سَنَة 226هـ/ 840م (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص310) وليس ابن كثير الأندلسي المُتوفَّى سَنَة 234هـ/ 849م أو سَنَة 236هـ (ابن حَجَر: **التهذيب**، ج13، ص300 فما بعد).

(513) هشام بن عبد الملك المُتوفَّى سَنَة 227هـ/ 841-2م أو سَنَة 226 (البُخاري: **التاريخ**، ج4، قسم 2، ص195).

(514) المصدر (؟).

وأبو خَيْثَمَة زُهَيْر بن حرب[515]، له كلام كثير رَواه عنه ابنه أحمد وغيره.

وأبو جعفر عبدالله بن محمد النُّفَيْلي[516]، حافظ الجزيرة، الذي قال فيه أبو داود: «لم أَرَ أحفظ منه».

وعليّ بن المَدِيني، وله التَّصانيف الكثيرة في العِلل والرجال.

ومحمد بن عبدالله بن نُمَيْر[517]، الذي قال فيه أحمد: «هو دُرّة العِراق».

وأبو بكر بن أبي شَيْبَة صاحب **المُسْنَد** وكان آية في الحفظ، يُشبه أحمد في المعرفة.

وعُبَيْد الله بن عمر القَوَارِيري[518] الذي قال فيه صالح جَزَرَة[519]: «هو أعلم من رأيت بحديث أهل البصرة».

وإسحاق بن رَاهَوَيْه، إمام خُراسان.

وأبو جعفر محمد بن عبدالله بن عَمّار المَوْصِلي الحافظ[520]، وله كلام جيد في «الجَرْح والتعديل».

وأحمد بن صالح الطَّبَري، حافظ مصر، وكان قليل المِثْل.

وهارون بن عبدالله الحَمّال[521]. وكُلّهم من أئمّة «الجَرْح والتعديل».

---

(515) تُوفّي سَنَة 234هـ/ 849م أو 232هـ (**تاريخ بغداد**، ج8، ص482 فما بعد).

(516) كذا حرفياً. تُوفّي سَنَة 234هـ/ 848م، انظر ابن العماد: **شَذَرات**، ج2، ص81 (القاهرة 1350-1هـ).

(517) لقد ذُكِر من دون تاريخ في: البُخاري: **التاريخ** ج1، قسم 1، ص144؛ **تاريخ بغداد**، ج5، ص429؛ ابن أبي حاتم الرَّازي: **تقدمة المعرفة** 320 (حيدرآباد 1371/ 1952)، ونفسه، **الجرح والتعديل**. 32، 2، 307 (حيدرآباد 1360-73هـ/ 1941-53م). ويذكر ابن أبي حاتم قوله ابن حَنْبل في المكانَيْن، القاهرة، مصطلح الحديث 392، ص80ب، ويذكر الذَّهبي في **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة الثامنة، رقم 26، طبعة وستنفلد، أنه تُوفّي سَنَة 234هـ/ 849م.

(518) تُوفّي سَنَة 235هـ/ 850م (**تاريخ بغداد**، ج10، ص320 فما بعد).

(519) صالح بن محمد المُتوفّى سَنَة 293هـ/ 906م أو سَنَة 294هـ (**تاريخ بغداد**، ج9، ص322-8).

(520) تُوفّي سَنَة 242هـ/ 856-7م (**تاريخ بغداد**، ج5، ص416 فما بعد).

(521) تُوفّي سَنَة 243هـ/ 857-8م أو 249هـ/ 863م (**تاريخ بغداد**، ج14، ص22 فما بعد).

ثُمّ خَلَفهم طبقة أُخرى مُتّصلة بهم منهم:

إسحاق الكَوْسَج[522].

والدَّارِمِي[523].

والذُّهْلي[524].

والبُخَارِي والعِجْلي الحافظ، نزيل المغرب.

ثُمّ مِنْ بعدهم:

أبو زُرْعَة

وأبو حَاتِم الرَّازِيان.

ومُسْلِم.

وأبو داود السِّجِسْتاني.

وبَقِي بن مَخْلَد[525].

وأبو زُرْعة الدمشقي وغيرهم.

ثُمّ مِنْ بعدهم:

عبد الرحمن بن يوسف بن خِرَاش البغدادي، له مُصَنَّف في «الجَرْح والتعديل»، قويّ النفس كأبي حاتم.

وإبراهيم بن إسحاق الحَرْبي[526].

ومحمد بن وَضّاح الأندلسي، حافظ قُرْطُبة[527].

---

(522) إسحاق بن منصور المُتوفَّى سَنَة 251هـ/ 865م (**تاريخ بغداد**، ج6، ص362 فما بعد).

(523) عبدالله بن عبد الرحمن المُتوفَّى سَنَة 255هـ/ 869م (بروكلمان: ج1 ص163).

(524) محمد بن يحيى المُتوفَّى سَنَة 258هـ/ 872م أو 252، 256، 257 (**تاريخ بغداد**، ج3، ص20-415).

(525) تُوفّي سَنَة 276هـ/ 889م (انظر بروكلمان: ج1، ص164).

(526) تُوفّي سَنَة 285هـ/ يناير 899م (**تاريخ بغداد**، ج6، ص27 فما بعد).

(527) تُوفّي سَنَة 287هـ/ 900م أو سَنَة 286، انظر: Pons Boigues, *Ensayo* 49.

وأبو بكر بن أبي عاصم.

وعبدالله بن أحمد[528].

وصالح جَزَّرة.

وأبو بكر البَزَّار[529].

وأبو جعفر محمد بن عُثْمان بن أبي شَيْبَة، وهو ضعيف، لكنه من أئمّة هذا الشأن.

ومحمد بن نصر المَرْوَزي[530].

ثُمّ مِنْ بعدهم أبو بكر الفَرْيَابي.

والبَرْدِيجي[531].

والنَّسَائي.

وأبو يَعْلى.

والحسن بن سُفْيَان[532].

وابن خُزَيْمة[533].

وابن جَرِير الطَّبَري.

---

(528) الظاهر أنه «عبدالله بن أحمد بن حنبل» المُتوفَّى سَنَة 290هـ/ 903م (ابن كثير: **البداية**، ج11، ص96 فما بعد).

(529) أحمد بن عمرو المُتوفَّى سَنَة 291هـ/ 903-4م، أو سَنَة 292هـ (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص258).

(530) تُوفّي سَنَة 294هـ/ 906-7م، (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص258).

(531) أحمد بن هارون المُتوفَّى سَنَة 301هـ/ 914م أو سَنَة 303هـ/ 915-6م (بروكلمان، **الملحق**؛ ج1، ب 258).

(532) تُوفّي سَنَة 303هـ/ 916م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج6، ص132-6).

(533) محمد بن إسحاق المُتوفَّى سَنَة 311هـ/ 924م أو سَنَة 310هـ (انظر بروكلمان: ج1، ص193؛ ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج6، ص184-6؛ اليافعي: **مرآة الجَنان**، حوادث سَنَة 310هـ).

والدَّوْلابـي.

وأبو عَرُوبة الحَرّاني.

وأبو الحسن أحمد بن عُمَيْر بن جَوْصَا[534].

وأبو جعفر العُقَيْلي.

طبقة أُخرى منهم ابن أبي حَاتِم.

وأبو طالب أحمد بن نَصْر البغدادي[535]، الحافظ، شيخ الدّارَقُطْني.

وابن عُقْـدَة.

وعبد الباقي بن قَانِع.

ثُمّ مِنْ بعدهم.

أبو سعيد بن يُونُس.

وأبو حاتم بن حِبّان البُسْتِي.

والطَّبَرَانـي.

وابن عَدِيّ الجُرْجَاني ومُصَنَّفه في الرجال إليه المُنْتَهى في الجَرْح.

ثُمّ بعدهـم.

أبو عليّ الحسين بن محمد الماسَرْجي النيسَابوري[536]، وله مُسْنَد مُعَلَّل في ألف وثلثمائة جُزء.

وأبو الشيخ بن حِبّان.

وأبو بكر الإسماعيلي.

---

(534) تُوفّي سَنَة 320هـ/ 932م (ابن الجَوزي: **المُنتظم**، ج6، ص242).

(535) تُوفّي سَنَة 323هـ/ 935م (**تاريخ بغداد**، ج5، ص182 فما بعد).

(536) تُوفّي سَنَة 365هـ/ 976م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج7، ص81. السَّمْعاني: **أنساب**، ص502أ).

وأبو أحمد الحاكم(537).

والدّارَقُطْني، وبه خُتم معرفة العِلل.

ثُمّ بعدهـم.

أبو عبدالله بن مَنْدَه.

وأبو عبدالله الحاكم

وأبو نصر الكَلاَبَاذي.

وأبو المُطَرِّف عبد الرحمن بن فُطَيْس قاضي قُرْطُبة، وله **دلائل السُّنّة** خمس مُجلّدات، في فضائل الصحابة.

وعبد الغني بن سعيد.

وأبو بكر من مَرْدَوَيْه الأَصْبَهَاني.

وتَمَّام الرَّازي.

ثُمّ بعدهـم.

أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس البغدادي(538).

وأبو بكر البَرْقَاني.

وأبو حاتم(؟) العَبْدَوي(539)، وقد كتب عنه عشرة أَنْفَس عشرة آلاف جُزء.

وخَلَف بن محمد الواسطي(540).

---

(537) محمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 378هـ/ 988م (ابن العماد، **شذرات**، ج3، ص93).

(538) محمد بن أحمد بن محمد المُتوفَّى سَنَة 412هـ/ 1022م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج8، ص5 فما بعد).

(539) الظاهر أنه أبو حازم عمر بن أحمد المُتوفَّى سَنَة 417هـ/ 1026م (**تاريخ بغداد**، ج11، ص272 فما بعد).

(540) تُوفّي سَنَة 401هـ/ 1010-11م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص281).

وأبو مسعود الدمشقي[541].

وأبو الفضل الفَلَكي[542]، وله كتاب **الطبقات** في ألف جُزء.

وأبو القاسم حمزة السَّهْمي.

وأبو يعقوب القرّاب[543]

وأبو ذَرّ الهَرَويان.

ثُمّ بعدهـم.

أبو محمد الحسن بن محمد الخَلّال البغدادي[544].

وأبو عبدالله الصُّوري[545].

وأبو سعد السَّمّان[546].

وأبو يَعْلَى الخليلي.

ثُمّ بعدهـم.

ابن عبد البَرّ.

وابن حَزْم الأندلسيان.

والبَيْهَقـي.

والخطيـب.

---

(541) إبراهيم بن محمد المُتوفَّى سَنَة 400هـ/ 1010م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة الثالثة عشرة، رقم 47، طبعة وستنفلد).

(542) عليّ بن الحسين المُتوفَّى سَنَة 429هـ/ 1038م. انظر: السَّمْعاني: **أنساب**، ص431ب؛ وقد تُوفّي جَدُّ عليّ هذا على سَنَة 384هـ/ 995م؛ أما كتابه **كتاب الألقاب** فقد اقْتَبَس منه السَّمْعاني في **الأنساب** ص420أ، 483أ، 484ب.

(543) إسحاق بن يعقوب (انظر بروكلمان: ج1، ص619).

(544) 352-439هـ/ 963-1047م (**تاريخ بغداد**، ج7، ص425).

(545) محمد بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 441هـ/ 1049م (انظر بروكلمان: **الملحق**، ج1، ص281).

(546) إسماعيل بن عليّ المُتوفَّى سَنَة 445هـ/ 1053-4م (ابن العماد: **شذرات**، ج3، ص273).

ثُمّ أبو القاسم سعد بن محمد الزَّنْجاني[547].

وشيخ الإسلام الأنصاري.

وأبو صالح المُؤَذِّن.

وابن ماكُولا.

وأبو الوليد الباجي وقد صَنَّف في «الجَرْح والتعديل» وكان علّامة حُجّة.

وأبو عبدالله الحُمَيْدي.

وابن مُفَوَّز المَعَافِرِي الشاطبي[548].

ثُمّ أبو الفضل بن طاهر المَقْدِسي.

وشجاع بن فارس الذُّهْلي[549].

والمُؤْتَمَن بن أحمد بن عليّ السَّاجي[550].

وشِيرَوَيْه الدَّيْلَمي.

وأبو عليّ الغَسّاني[551].

ثُمّ بعدهم.

أبو الفضل بن ناصر السَّلاَمي[552].

---

(547) سعد بن عليّ بن محمد المُتوفَّى سَنَة 471هـ/ 1098-9م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج8، ص320؛ السَّمْعاني: **أنساب**، ص279أ).

(548) طاهر بن مفوّز المُتوفَّى سَنَة 484هـ/ 1091م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة الخامسة عشرة، رقم 10، طبعة وستنفلد).

(549) تُوفّي سَنَة 507هـ/ 1113م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج9، ص176)، وقد بدأ يكتب ذَيْلاً **لتاريخ بغداد**. انظر أيضاً: السَّمْعاني، **الأنساب**، ص73أ-ب؛ 335أ.

(550) تُوفّي سَنَة 507هـ/ 1113م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج9، ص179 فما بعد؛ ابن حَجَر: **لسان**، ج6، ص109 فما بعد) وكان ناسخ مخطوطة شيكاغو للبَغَوي **معجم الصَّحابة** (انظر أعلاه ص472، هامش 131).

(551) الحسين بن محمد المُتوفَّى سَنَة 498هـ/ 1105م (انظر بروكلمان: ج1، ص368).

(552) محمد بن ناصر المُتوفَّى سَنَة 550هـ/ 1155م (الذَّهبي: **طبقات الحُفَّاظ**، الطبقة السادسة عشرة، رقم 1، طبعة وستنفلد). وقد اقْتَبَس منه ابن الجَوزي أحياناً كأحد مصادره =

والقاضي عِيَاض.

والسِّلَفـي.

وأبو موسى المَدِيني.

وأبو القاسم بن عساكر.

وابن بَشْكُـوال.

ثُمّ بعدهـم.

عبد الحق الإشبيلي[553].

وابن الجَـوْزي.

وأبو عبدالله بن الفَخّار المالِقي[554].

وأبو القاسم السُّهَيْلي.

ثُمّ أبو بكر الحَازِمي[555].

وعبد الغني المَقْدِسي.

والرُّهَـاوي[556].

وابن مُفَضَّل المَقْدِسي.

ثُمّ بعدهـم.

= (انظر: **المُنتظَم**، فِهْرِست الجُزء التاسع، ص18)؛ ياقوت، **مُعجم البُلدان** (انظر: فِهْرِست وستنفلد) انظر كمال بن ناصر.

(553) عبد الحق بن عبد الرحمن المُتوفَّى سَنَة 581هـ/ 1185م (انظر بروكلمان: ج1، ص371).

(554) محمد بن إبراهيم المُتوفَّى سَنَة 590هـ/ 1194م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة السابعة عشرة، رقم 6، طبعة وستنفلد).

(555) محمد بن موسى المُتوفَّى سَنَة 584هـ/ 1188م (انظر بروكلمان: ج1، ص356).

(556) عبد القادر بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 628هـ/ 1231م (ابن كثير، **البداية** ج13، ص69).

أبو الحسن بن القَطّان[557].

وابن الأَنْماطـي[558].

وابن نُقْطَـة.

وابن الدُّبَيْثـي.

وابن خليل الدِّمَشْقي[559].

وأبو بكر بن خَلْفُون الأَزْدي[560].

وابن النَّجّـار.

ثُمّ الزَّكي المُنْذِري.

وأبو عبدالله البِرْزَالي[561].

والصَّرِيفِينـي.

والرَّشِيد العَطّـار.

وابن الصَّـلاَح.

وابن الأبّـار.

وابن العَدِيم.

وأبو شَامـة.

---

(557) عليّ بن محمد المُتوفَّى سَنَة 628هـ/ 1231م (الذَّهبي: **طبقات الحُفّاظ**، الطبقة الثامنة عشرة، رقم 10).

(558) إسماعيل بن عبدالله المُتوفَّى سَنَة 619هـ/ 1222م (السيوطي: **حُسْن المحاضرة**، ج1، ص200، القاهرة، 1299هـ).

(559) يوسف بن خليل المُتوفَّى سَنَة 648هـ/ 1250م (الذَّهبي: الآنف الذكر، الطبقة الثامنة عشرة، رقم 12).

(560) محمد بن إسماعيل المُتوفَّى سَنَة 636هـ/ 1239م (انظر بروكلمان: ج1، ص298، Pons Boigues, *Ensayo* 284).

(561) محمد بن يوسف المُتوفَّى سَنَة 636هـ/ 1239م (ابن كثير: **البداية**، ج13، ص153).

وأبو البقاء خالد بن يوسف النّابُلسي[562].

وابن الصابوني[563].

ثُمّ بعدهـم.

الدِّمْيَاطـي.

وابن الظاهري.

والشرف المَيْدُومي[564].

وابن دَقِيق العِيد.

وابن فَـرَح[565].

وعُبَيْد الإسْعِرْدي[566].

وسعد الدين الحارثي.

وابن تَيْميّـة.

والمِـزِّي.

والقُطْب الحَلَبي.

وابن سَيِّد الناس.

والتاج بن مَكْتُوم.

---

(562) تُوفّي سَنَة 663 هـ/ 1265م (ابن رافع: **منتخب المختار، تاريخ عُلماء بغداد**، ص50 فما بعد).

(563) أبو حامد محمد بن عليّ المُتوفّى سَنَة 680هـ/ 1282م (الذّهبي: المصدر الآنف، الطبقة الثامنة عشرة، رقم 12. ابن حَجَر: **الدُّرَر**، ج2، ص106، 411)، وله **تكملة إكمال الإكمال**، وهو تَكْملة لكتاب **إكمال الإكمال** لابن نُقْطة، الذي هو بدوره تكملة لِـ **إكمال** ابن ماكُولا، انظر أعلاه ص523 هامش 79.

(564) محمد بن إبراهيم المُتوفّى سَنَة 683هـ/ 1284م (السيوطي: **بغية**، ص5، القاهرة، 1326هـ).

(565) أحمد بن فرح المُتوفّى سَنَة 699هـ/ 1300م (بروكلمان: ج1، ص372).

(566) عُبَيْد بن محمد المُتوفّى سَنَة 692هـ/ 1293م (الذّهبي: المصدر الآنف، الطبقة العشرون، رقم 6) أما ابنه أحمد، فقد تُوفّي سَنَة 732هـ/ 1332م (ابن حَجَر: **الدُّرر**، ج1، ص197 فما بعد).

وابن البِرْزَالي.

والشمس الجَزَري الدِّمَشْقي.

وأبو عبدالله بن أَيْبَك السَّرُوجي.

والكمال جعفر الأُدْفُوي.

والذَّهَبي.

وأبو الحسين بن أَيْبَك الدِّمْيَاطي.

والشهاب بن فضل الله.

والنجم أبو الخير الدِّهْلي البغدادي.

والعلائي.

ومُغُلْطاي والصَّفَدي.

والشريف الحُسَيْني الدمشقي.

والتَّقِي بن رافِع.

ولسان الدِّين بن الخطيب.

وأبو الأَصْبَغ بن سَهْل.

والزَّيْن العراقي.

والشهاب بن حِجِّي.

والصلاح الأَقْفَهْسي.

والولي العراقي.

والشريف التَّقِي الفاسي.

والبُرْهان الحلبي.

والعلاء بن خطيب الناصرية.

وشيخنا (ابن حَجَر) والعَيْني.

والعِزّ الكِنَاني.

والنَّجم بن فَهْد.

وابن أبي عُذَيْبَة[567].

والبِقَاعـي.

وهما قرينان ودُونهما مَنْ هو مُنْحَطّ جداً.

وآخرون مِنْ كُلّ عصر مِمَّن عَدَّلَ وجرَّح ووهَّن وصحَّح، والأقدمون أقرب إلى الاستقامة، وأبعد من الملامة ممّن تأخَّر. وما خَفِي أكثر. وللمُصَنِّف في الفنّ كُتُب كثيرة، مع كونه غير مُتوجِّه له بكُلِّيّته، ولا مُنَبِّه على جميع ما علمه من تقصير أهله وحَمَلَته.

وقد قَسَمَ الذَّهبي مَنْ تكلَّم في الرجال أقساماً: فقسم تكلَّموا في سائر الرُّواة، كابن مَعِين، وأبي حَاتِم. وقسم تكلَّموا في كثير من الرُّواة، كمالك، وشُعْبة، وقسم تكلَّموا في الرجل بعد الرجل كابن عُيَيْنَة والشافعي.

قال وهم الكُلّ على ثلاثة أقسام أيضاً:

1 ـ قسم منهم مُتعنِّت في التوثيق، مُتثبِّت في التعديل، يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث، فهذا إذا وَثَّق شخصاً، فعُضّ على قوله بنواجذك، وتمسَّك بتوثيقه. وإذا ضعَّف رجلاً، فانظرْ هل وَافقه غيره على تضعيفه، فإن وَافقه ولم يُوثِّق ذلك الرجل أحد من الحُذَّاق، فهو ضعيف، وإن وثَّقه أحد، فهذا هو الذي قالوا: لا يُقْبَل فيه الجَرْح إلا مُفَسَّراً، يعني لا يكفي فيه قول ابن مَعِين مثلاً «هو ضعيف» من غير بيان لسبب ضعفه، ثُمّ يجيء البُخاري وغيره يُوثِّقه. ومثل هذا يختلف في تصحيح حديثه وتضعيفه، ومن ثَمّ قال الذَّهبي، وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال «لم يجتمع اثنان، أيٌّ من طبقة واحدة من عُلماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف، ولا على تضعيف ثقة» انتهى. ولهذا كان

(567) أحمد بن محمد بن عمر 819-856هـ/ 1416-1452م. (الضَّوء اللامع، ج2، ص162 فما بعد) انظر: H. Ritter in *Oriens* (I, 386, 1948). وهو يذكر مخطوطات من مُؤلَّفاته التاريخيَّة.

مذهب النَّسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه. يعني أنّ كُلّ طبقة من نُقّاد الرجال لا تخلو من مُتَشَدِّد ومُتَوَسِّط، فمن الأُولى شُعْبَة والثَّوْري، وشُعْبة أشدُّهما، ومن الثانية يَحْيـى القَطّان وابن مهدي، ويحيـى أشدّهما. ومن الثالثة ابن مَعِين وأحمد، وابن مَعِين أشدُّهما. ومن الرابعة أبو حَاتِم والبُخَاري، وأبو حاتم أشدُّهما. فقال النَّسائي: «لا يُتْرَك الرجل عندي حتى يجتمع الجميع على تَرْكه، فأما إذا وثَّقه ابن مَهْدي وضعَّفَه القَطّان مثلاً، فإنه لا يُتْرَك، لما عُرِف من تشديد يحيـى ومن هو مِثْله في النَّقد»، انتهى ما حقّقه شيخنا.

2 ـ وقسم منهم مُتسمِّح، كالتِّرْمِذي والحاكم.

قلت وكابن حَزْم، فإنه قال: في كُلٍّ من التِّرمذي صاحب **الجامع** وأبي القاسم البَغَوي، وإسماعيل بن محمد الصَّفّار(568)، وأبي العبّاس الأَصَمّ(569) وغيرهم من المشهورين، إنه مجهول(570).

3 ـ وقسم مُعتدل، كأحمد، والدّارَقُطْني، وابن عديّ.

فجزى الله كُلّاً منهم عن الإسلام والمُسلمين خيراً، فهم مأجورون إن شاء الله تعالى.

(تتمّة) قد قيل لبعض من اعتنى بالوَفَيات:

ما زال يلهج بالأموات يكتبها حتى غدا وهو في الأموات مكتوبا(571)

---

(568) تُوفّي سَنَة 341هـ/ 952م. انظر: ابن حَجَر: **لسان**، ج1، ص432 حيث يذكر رأي ابن حزم فيه.

(569) محمد بن يعقوب المُتوفّى سَنَة 346هـ/ 957م (ابن الجَوزي: **المُنتظَم**، ج6، ص386 فما بعد).

(570) يقتضي المنطق أن تُلحق هذه الجُملة بالنصف السابق.

(571) يَكْثر ذكر هذا الشعر مع بعض الاختلاف في رِواية ألفاظه. انظر مثلاً الصُّولي: **أدب الكُتّاب**، ص148 (القاهرة، 1341هـ)؛ ياقوت، **إرشاد**، ج7، ص226 (القاهرة، ج3، ص7، طبعة مارغليوث) (ابن زُولاق) ابن كثير: **البداية**، ج13، ص251 (أبو شامة أو البِرْزالي؟) ج13، ص28 (ابن الجَوزي). وهو يُوجد أيضاً على تعليقة كُتبت =

وقال الذهبي:

إذا قرأ الحديث عليَّ شخص وأخلى موضعاً لوفاة مِثْلي
فما جازى بإحسان لأني أريدُ حياته ويريدُ قَتْلي[572]

وضَمَّنه الزَّيْن العراقي فقال:

إذا قرأ الحديث عليَّ شخص وأمل مَيْتتي ليَرُوج بَعْدي
فما هذا بإنصافٍ لأني أريدُ بقاءه ويُريد فَقْدي

ولما وقف الصلاح خليل الصَّفدي على بَيْتَيْ شيخه الذَّهبي، قال مُخاطباً له وكأنه رآهما بخطّ الذَّهبي على شيء له:

خليلك ما له في ذا مُراد فَدُمْ كالشمس في عُليا محلٍّ
وحَظِّي أن تعيشَ مَدَى اللَّيالي وإنك لا تُمَلُّ وأنت تُمْلي

قال فأعجبه قولي خليلك لأن فيه إشارة إلى بقية البيت الذي ضَمَّنه، وهو «عَذِيرَك من خَلِيلِك من مُرادِ»[573] مع الاتّفاق في اسم

= على مخطوطات تاريخية. انظر مُصوّرة القاهرة، تاريخ 4767 لكتاب ابن حَجَر: **الذَّيل على الدُّرر الكامنة**.

(572) انظر: الصَّفدي: **نَكْت الهِمْيان**، ص243 (القاهرة 1329هـ-1911م) انظر أيضاً أدناه، ص449، هامش 1؛ وانظر عن الشطر الثاني من البيت ابن الأثير: **الكامل**، ج5، ص35 (القاهرة 1301هـ).

(573) هذا شطر مشهور من قصيدة لعمرو بن مَعْدي كَرِب الذي عاش في القرن السابع الميلادي (انظر **الأغاني**، ج14، ص34، بولاق 1285هـ)، يقال: إنه خاطب به أُبيّ (أو قيس بن مَكْشُوح) المُرادي. وقد جمع مع الشطر الأخير لشعر الذَّهبي الذي ذكر قبله، وقيل إنّ عليّاً بن أبي طالب قاله عندما بدأ يشعر بإدبار الدنيا (انظر: **الأغاني**، المبرّد: **الكامل**، ص550، طبعة رايت (Wright (Leipzig 1864، **لسان العرب**، ج6، ص222، بولاق 1300-7م؛ ابن الطِّقْطَقى) **الفخري**، ص121، طبعة أهلورت (Ahlwardt Gotha 1860)؛ كما تمثّل به عبيد الله بن زياد (الدِّينَوَري: **الأخبار الطِّوال**، ص216) (القاهرة بلا تاريخ، ص251، طبعة غيرغاس (Guirgass (Leiden 1888 ابن الأثير: **الكامل**، ج4، ص14 حوادث سَنَة 70 ابن كثير: **البداية**، ج8، ص154). وتمثّل به أيضاً السفّاح (اليعقوبي: **التاريخ**، ج3، ص97. النجف 1358هـ، ج2، ص432 طبعة هوتسما Houtsma، الأزدي: **الدُّوَل المُنقطعة**. انظر أعلاه: ص229، هامش 2، =

خليل(574). وما أحسن قول الإمام البدر عبد اللطيف بن محمد بن محمد الحَمَوي(575) الفقيه الشافعي ممّا سمعه البِرْزالي منه:

إذا سمع الحديثَ عليّ شخصٌ ... ليَرويه إذا ما كان فَوْتِي

سُرِرْتُ به ليدعو لي وإني ... أودّ حياتَه من بعد مَوْتِي

فإن يسمح ويدعو لي تُجِبْه ... ملائكة السماء بغير صَوْتِ

واللهَ، أسألُ أن يَقينا شرور أنفسنا، وحصائد ألسنتنا، ويُرضي عنا أخصامنا، ويُصلح فساد قلوبنا ونيّاتنا، ويُحَسِّن أعمالنا إلى انتهاء عاقبتنا، سِيَّما بحُسْن الخاتمة وكون الحواسّ سالمة، آمين.

قال مُؤلِّفه رحمه الله تعالى ورضي عنه آخره: وانتهى تبييضه مع أنني لم أستوفِ فيه الغَرَض في أحد الربيعين سَنَة سبع وتسعين وثمانمائة بمكة المُشرفة، قاله وكتبه محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي الشافعي، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

وقد تَمَّت كتابة هذه النُسخة على يد الفقير عبد الوهاب بن محيي الدِّين السَّلْطي نسبةً، والدمشقي وطناً ومولداً، غَفَر الله له ولوالديه ولسائر المُسلمين أجمعين في يوم الخميس ثالث عشر شهر جُمادى الأُولى سَنَة خمس عشرة ومائة وألف، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

= في بداية خِلافته)؛ وتمثَّل به الرشيد (الطَّبَري: **التاريخ**، ج3، ص690، حوادث سَنَة 187؛ ابن الأثير: **الكامل**، ج6، ص72. البَيْهَقي: **المحاسن والمساوىء**، ص547، طبعة شفالي Schwally. Geissen 1902 ابن عبد ربه. **العِقد**، ج1، ص133، القاهرة، 1305هـ) (انظر: أيضاً المراجع في طبعة صقر لـ **مَقاتل الطالبيين** لأبي الفرج الأصفهاني، ص31، 99، 176، القاهرة 1368هـ/ 1949م).

(574) إنّ أبيات الذَّهبي وإجابة الصَّفدي اقْتَبَسها السَّخاوي من ابن حَجَر: **الدُرَر**، ج3، ص337 فما بعد.

(575) هل هو عبد اللطيف بن محمد بن الحسين الحَمَوي نفسه المُتوفَّى سَنَة 710هـ/ 1310-1م (ابن حَجَر: **الدُرر**، ج2، ص409)؟

السَّخـاوِي

الجَواهـر والـدُّرَر

قد أَفْرد خلقٌ لا يُمكن حَصْرُهم من الأئمّة سيرة سيِّدنا رسول الله ﷺ بالتصنيف، فمنهم محمد بن إسحاق، وهَذَّبها عبد الملك بن هشام، وعليها وضع السُّهَيْلي **رَوْض الأُنف**، واخْتَصره الذَّهبي فسمّاه **بُلْبُل الرَّوْض**، والعزّ محمد بن جماعة فسمّاه **نور الرَّوْض**، والتَّقِيّ يحيى الكِرْماني فسماه **زَهْر الرَّوْض**، وعمل مُغُلْطاي على سيرة ابن هشام والرَّوْض كتاب **الزَّهر الباسم** وهو مُفيد.

ولابن سعد في أول **طبقاته الكُبرى** سِيرة مُطَوَّلة، وكذا لابن أبي خَيْثَمة، ولابن عساكر في **تاريخ دمشق**. وجمع أبو الشيخ ابن حِبّان، وأبو الحسين بن فارس اللُّغوي، السِّيرة. وكذا لابن عبد البَرّ، وسمّاها **نَظْم الدُّرَر**. ولابن حزم في غير حجّة الوداع. والدِّمياطي، وعبد الغني المَقدسي وهي مُختصرة وشرحها القُطْب الحلبي فأجاد. وابن سَيِّد الناس في **عُيون الأَثَر** (293أ) **ونُور العُيون**. وكتب على **العيون** حافظُ حلب البُرْهان الحلبي تصنيفاً. وأبو الربيع الكَلاعي في **الاكتفاء**. والذَّهبي في مُجلّد. والعماد، ابن كثير في مُقدّمة تاريخه وأحسن[1] ما شاء. والمُحِبّ الطَّبَري، والقاضي عِزّ الدين بن جماعة في مُصَنَّفَيْن. ولعُمَر ابن عيسى بن دِرْباس الماراني **الفوائد المُثيرة في جوامع السِّيرة**. ونظم العراقي ألفية في السِّيرة، مَشى فيها على سيرة مُختصرة لمُغَلْطاي كتب عليها، أعني سِيرة مُغُلْطاي، فوائدَ الشيخان الشمس البِرْماوي، والشرف أبو الفتح المَراغي.

---

(1) في المخطوطة (وأحسن).

وجرّد ذلك في تصنيف مُفرد الشيخ تقي الدِّين بن فهد المكي الهاشمي، وشرح هذا النَّظْم الشهاب ابن رَسْلان[2]، ومن قبله المُحِبّ ابن الهائم لكن ما وقفتُ عليه، ثم وقفتُ على مُجلّد منه وبعض أبيات من أوَّله صاحب الترجمة كما أسلفته، وتمَّمتُ عليه، لكن لم أُبرزه إلى الآن. وكذا نَظَمَ السِّيرةَ الشهابُ ابن العماد الأَقْفَهْسي وشرحه. ونظمها أيضاً فتح الدِّين ابن الشهيد، والفتح بن مسمار. وشرحه كذا بُرْهان الدِّين البِقاعي. وشرحه أيضاً لكن إلى الآن في بيته. ولجماعة ممّن أدركناهم كالشيخ شمس الدِّين البِرْماوي في تصنيفين، وابن ناصر الدين وكتابه حافلٌ نَفِيس، والتَّقِي المَقْريزي في كتابه **الإمتاع**.

وجمع المغازيَ موسى بن عُقْبة، وابن عائِذ، وعبد الرزّاق، والواقِدي، وسعيد بن يحيى الأُموي، وآخرون منهم أبو القاسم التَّيْمِي الأصبهاني.

ودلائلَ النُّبوَّة أبو زُرْعة الرَّازي، وثابت السَّرَقُسْطي، وأبو نُعَيْم الأصبهاني، والنّقاش المُفسِّر، وأبو العباس المُسْتَغْفِري، والطَّبَراني، وأبو القاسم التَّيْمِي الأصبهاني، وأبو ذَرّ المالكي، والبَيْهَقي وهو أجمعها.

وأعلامَ النبوَّة ابنُ قُتَيْبة، وأبو داود السِّجِسْتاني، وابن فارس، وأبو الحسن الماوَرْدي الفقيه، وأبو المُطرّف المغربي قاضي الجماعة ومُغُلْطاي.

والشمائلَ النبويَّة التِّرمِذيُّ والمُسْتَغفريُّ الماضي. وقد شرعتُ في شرح أوّلهما.

ولأبي البُخْتري، وأبي عليّ بن هارون، **الصِّفة النبويَّة**.

وللقاضي إسماعيل، **الأخلاق النبويَّة**.

وللقاضي عِياض، كتاب **الشفاء** واعتنى به جماعة كما قدَّمناه في الباب السابع.

ولأبي الربيع سليمان بن سبع السَّبْتِي **شفاء الصدور** في مُجلّد. واختصره

(2) في المخطوطة، على الهامش.

بعضهم. **والوفاء** لابن الجَوْزِي وشُوحِحَ في هذه التَّسمية[3] كما شُوحِحَ القاضي عِياض في قوله بتعريف حقوق المصطفى **والاقتفاء** لابن المُنَيِّر، **وشرف المصطفى** لأبي سعد النيسابوري الواعظ.

والمولد النبويّ، جماعة منهم من المُتأخِّرين الزيْنْ العراقي، وابن الجَزَري في تصنيفين، والتَّقِيّ أبو بكر الحِصْني ثم الدِّمَشْقي، وابن ناصر الدِّين في تصانيف له. ومن قبلهم **الدرّ المُنظَّم في المولد المُعظَّم** لأبي القاسم السَّبْتي. **والدُّرّ النَّظيم في مولد النبيِّ الكريم**، لعُمَر بن أيُّوب بن عمر بن طُغْرِيل. **والمَوْلد** للفَخْر عثمان بن محمد بن عثمان (293ب) التَّوْزَرِي، والصلاح العلائي. **وإتحاف الرُّواة بذكر المولد والوفاة** للقُطْب القَسْطلاني. **وبيان السُّول في جِنان الرسُول** لمحمد بن طلحة بن الحسن النَّصِيبي، ونقضه الكمال ابن العَدِيم في تصنيف.

والمِنْهاج في شرح حديث المِعْراج لأبي الخَطّاب ابن دِحْية.

والخصائص المُحمدية لغير واحد وكذا المُعجزات. وأفرد كلٌّ من نسائه ومَواليه وكُتّابه وأردافه[4] وغير ذلك ﷺ. ولابن القَيِّم كتاب **الهدي النبويّ** لا نظير له، وآخر أخصر منه.

وجمع خُطبه ﷺ أبو العباس المُسْتَغْفِري.

وأفرد الصلاح العَلائي لكلٍّ من إبراهيم الخليل، وموسى الكَلِيم، عليهما من الله الصلاة والتسليم، جُزءاً.

وكذا عمل ابن الجَزَرِي جُزءاً في مقام إبراهيم. ولابن الجَوزي **قصّة يوسف** عليه السلام في مُجلّد.

وعمل أبو جعفر ابن المنادي، وأبو الفرج ابن الجَوزي، وجماعة، ترجمة الخَضِر عليه السلام، وهي في ثلاثة تصانيف لابن الجَوزي، أحدها **عُجالة**

(3) في المخطوطة، على الهامش.
(4) في المخطوطة، على الهامش.

المُنْتَظِر لشرح حال الخَضِر في جُزء، والآخر في موته مُجلَّد، ومُختصر هذا في جُزء[5] ولابن النقّاش في وفاته، وكذا للأَهْدَل **القول المُنتصِر على المقالات الفارغة بدعوى (بدعاوى؟) حياة الخَضِر**[6] ولليافعي في حياته. وأحسن مُصَنَّف في ذلك، كلام صاحب الترجمة الذي أَفرده من كتابه **الإصابة** وسمّاه **الزَّهر النَّضِر في حال الخَضِر**.

وجمع جماعة لغير واحد من الصَّحابة كأبي بكر، وعُمَر، وعثمان، وعليّ، وابن عوف، وسعد، وسعيد، والعَبّاس وابنه عبدالله، وأبي هُرَيْرة، وأبي ذَرّ، ومعاوية، وتميم الدَّاري، وخالد بن الوليد، وفاطمة الزهراء، ومقتل ولدها الحسين، ومناقب السِّبْطين، وكذا مناقب أهل البيت، وأخبار الأَحْنَف بن قيس، وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. ولابن بَشْكُوال **الأخبار في اسم أبي هُرَيرة في جُزء**، ولغير واحد مقتل عثمان وعمّار بن ياسر.

وأفرد الذَّهبي سيرة عُمَر بن عبد العزيز، ومن قبله ابن الجَوزي، وعبد الغني بن عبد الواحد المَقدسي. ومن قبلهما أبو بكر الآجُرّي، وبَقِيّ بن مَخْلَد بالتأليف.

والدَّوْرقي وأبو عمر عبدالله بن أحمد الدمشقي وابن وضّاح وابن عبد الحكم تأليف (!) وكذا أفرد أبو العبّاس العُذْري ترجمة الحسن بن أبي الحسن البصري ومحمّد بن سِيرين وأبو القاسم ابن مَنْدَه فضائل عِكْرِمة مولى ابن عبّاس، وغيره مقتل سعيد بن جُبَيْر ومِحنته مع الحَجّاج، وآخر مقتل زيد بن عليّ بن الحسين.

وغير واحد، مناقب كُلٍّ من أئمة المذاهب الأربعة رحمة الله عليهم. فأفرد مناقب الإمام أبي حنيفة أبو جعفر أحمد بن محمد سلامة الطَّحاوي، وأبو عبدالله الحسين بن عليّ بن محمد الصَّيْمَري[7]، وأبو عبدالله الحسين بن محمد بن خَسْرو البَلْخي، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن يعقوب بن الحارث الحارثي، وسمّاه **كشف الأسرار**، وأبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد القُرَشي، مُصَنِّف **طبقات الحَنَفِية** وسمّاه **البُستان في مناقب النُّعمان**، وأبو القاسم عبدالله بن محمد بن أبي العوّام السَّعْدي. قال السِّلَفي: إنه جمع فضائل الإمام وأخباره

---

(5) في المخطوطة، على الهامش.

(6) كذا. انظر: **الضَّوء اللامع** ج3، ص146 سطر 21-22.

(7) في المخطوطة، على الهامش.

وأخبار أصحابه ومن رَوَى عنه[8]، وأفرد السِّلَفي إسناده إليه في **فِهْرِسته**. وأبو القاسم عليّ بن محمد بن كاس الفقيه القاضي، أَفْرد فضائل الإمام في جُزء لطيف وأبو أحمد بن أحمد بن شُعَيْب بن هارون الشُّعَيْبي، في مُجلّد عشرين جُزءاً.

وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، وأبو المُؤيَّد المُوَفَّق بن أحمد المَكِّي الخُوارزمي، وأبو الفضل يحيى بن الربيع بن محمَّد العَبْدي وأبو يعقوب يوسف بن أحمد بن الرُّخَيْل الصَّيْدلاني وأبو المُظَفَّر يوسف ابن قِزُغْلِي سِبط ابن الجَوزي، وآخرون. أجمعهم كتاب الخُوارزمي، وهو في أربعين باباً ضمّ إليه مَنَاقب صاحبيه وغَيرهما. وكذا أفرد الذَّهبي لكلٍّ من أبي يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن، صاحِبَيْ أبي حَنِيفة، ترجمة.

وأَفْرد مَنَاقب الإمام مالك بن أَنَس، أبو عمر أحمد بن عبد الرحمٰن القَصْرِي وأبو جعفر أحمد بن محمَّد بن رُشْدِيرَه (؟) في تصنيف اشْتَمَل على مالك وسُفيان والأَوزاعي وأبو عمر أحمد بن محمَّد بن عبدالله الطَّلَمَنكي، وأبو بكر أحمد بن محمد اليَقْطِيني، وأبو بكر أحمد بن مروان الدِّينَوَرِي، صاحب **المُجالسة**، وأحمد ابن المُعَدَّل له رسالة في وَصف سيرته وأحمد بن واضح وأبو بكر جعفر بن محمَّد بن الحسن بن المُسْتفاض الفَريابي وأبو محمد الحسن بن إسماعيل الضّرّاب، وأبو القاسم الحسن بن عبدالله بن مَذْحِج الإشبيلي، والزُّبَيْر بن بكّار القاضي، وأبو سعيد عبد الرحمن ابن الأَوْزاعي وأبو عمر عبدالله بن أحمد بن نَزَوَيْه الدِّمَشْقي في تصنيف اشتمل على مالك والأعمش ومَسْرُوق وشُرَيح والثَّوْري والأَوْزاعي وابن عُيَيْنة والشَّعبي وأبو محمد عبدالله ابن أبي زيد صاحب الرسالة في مُصنَّف ضمّ إليه الاقتداء بأهل المدينة وأبو ذَرّ عبد ابن أحمد زيد الهَرَوي، وأبو مروان عبد الملك بن حبيب السُّلَمِي، وأبو نصر عبد الوهّاب بن عبدالله بن الجَيّار وأبو الحسن عليّ بن الحسن بن محمد بن فِهْر الفِهْري، وأبو الرّوح عيسى بن مسعود الزَّواوي، وأبو العَرَب محمد بن تميم التميمي القاضي، وأبو بِشْر محمد بن أحمد بن حمّاد الدَّوْلابي، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن سهل البُرْكاني[9]، وأبو

(8) في المخطوطة، على الهامش.

(9) يذكر ابن فَرْحُون في **الديباج** ص228 (طبع فاس 1316م) (البرناكاني) أو (البركاني).

عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن عُمَر القُشَيْري، وأبو بكر محمد بن جعفر المِيماسي[10]، وأبو حاتم محمد بن حِبّان البسْتي الحافظ، ومحمد بن سَحْنُون في تصنيف فيه مالك وأبو القاسم وابن وَهْب وأشهب وأبو الحَسَن محمّد بن عبدالله بن زكريا بن حَيَّوَيْه النِّيسابوري، وأبو علّاقة محمد بن أبي غسّان، وأبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان، وأبو بكر محمد بن محمد بن وشاح بن اللَّبّاد، ومحمد بن وضّاح، ونَصر المقدسي الحافظ، وأبو يعقوب يوسف بن أحمد بن الرُّخَيْل الصَّيْدلاني، وأبو عُمَر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البَرّ النِّمري، وله أيضاً مُصنَّف في فضائل مالك، والشافعي وأبي حنيفة، وأبو عُمَر يوسف بن يحيى بن يوسف المغامي، وآخرون منهم أبو طالب الخشّاب وابن المُنتاب ولبعضهم مِحنته. ولأبي عبدالله محمد بن مَخْلَد الدُّوري **رِواية الأكابر عن مالك في** جُزء. وكذا للحافظ الرشيد أبي الحسين يحيى بن عليّ العَطّار **الإعلام بمن حدّث عن مالك بن أنس الإمام من مشائخه السادة الأعلام في** كراريس. وأفرد غيرُ واحد كالدّارَقُطْني، والخطيب، الرُواة عن مالك، وجماعة عَواليه، وآخرون غَرائبه، وفي استيفاء ذلك ونحوه طُول.

وأَفْرد مَنَاقب إمامنا الشافعي أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجَعْبَري، وأبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهَقي، وهو أجمعها. ولمّا أورد الحافظ أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب ترجمته في **تاريخ بغداد**، قال في آخرها: «لو استوفينا مَنَاقبه وأخباره لاشْتَمَلت على عِدّة من الأجزاء، لكن اقتصرنا منها على هذا المقدار، مَيْلاً إلى التخفيف، وإيثاراً للاختصار، ونحن نُورد معالم الشافعي ومَنَاقبه على الاستقصاء في كتاب نُفْرده لها إن شاء الله تعالى». وصاحب الترجمة أبو الفضل أحمد بن عليّ بن حَجَر العَسْقَلاني، وأبو محمد إسماعيل بن إبراهيم ابن محمد بن عبد الرحمن القرّاب، والصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد، والعماد أبو الفِداء إسماعيل بن عمر بن كَثِير، وأبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البنّاء في مُصنّف، غير مُصنّفه الآخر الذي جمع فيه ثناء أحمد عليه (294ب) وثناءه على أحمد رحمهما الله تعالى، والحسين بن رَشِيف، وإمام

(10) في المخطوطة، على الهامش.

أهل الظاهر أبو محمد داود بن عليّ بن خلف الأصبهاني، في تصنيفين. وأبو يَعْلَى زكريا، بن يحيى بن خَلّاد الساجي، وأبو الطيّب طاهر بن الإمام يحيى ابن أبي الخير العِمْراني الفقيه ابن الفقيه، وأبو محمد عبدالله بن يوسف الجُرْجاني القاضي، مُصنّف **طبقات الشافعية**، أفرد للإمام تصنيفاً في فضائله. وأبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن الجَوْزي الحافظ، وأبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم محمد بن إدريس الرَّازي، وأبو القاسم عبد المحسن بن عثمان بن غنائم، في مُجلّد، وفي خُطبته ما يقتضي أنه جمع مَناقب مالك أيضاً. وأبو الحسن عليّ بن بدر التِّنِّيسي، وأبو القاسم عليّ بن الحسن بن هِبة الله بن عساكر الدمشقي الحافظ، وأبو الحسن بن عمر الدّارَقُطْني، وأبو حَفْص عمر بن عليّ ابن المُلَقِّن، وأبو الحسين المُبارك بن عبد الجبار بن الطُّيُوري، فيما انتخبه السِّلَفي من حديثه مُضافاً لفضائل أحمد، وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم البُوسَنْجي، وأبو عَمرو محمد بن أحمد بن أحمد بن حمدان، وأبو عبدالله محمد بن أحمد[11] بن محمد[11] بن عُمَر بن شاكر[11] بن أحمد[11] القَطّان، وأبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المَدِيني، له **النُصح بالدليل الجليّ عن الإمام الشافعيّ** شبه المناقب، وأبو الحسين[12] محمد بن الحسين بن إبراهيم الآبري[13]، وأبو حاتم محمد بن حِبّان البُسْتي صاحب **الصحيح** في جُزأين[13]، وأبو بكر محمد بن الحسين عبدالله الآجُرِّي صاحب **الشريعة** وغيرها.

وأبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القُضاعي، وأبو الحسين محمد بن عبدالله بن جعفر الرّازي، والحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله النِّيسابوري، والإمام الفخر محمد بن عمر الرّازي، وله أيضاً تصنيف في ترجيح مذهبه على غيره فيه له مَناقب كثيرة. والحافظ المُحِبّ أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسين بن النَّجّار البغدادي، ومُصنَّفه حافل، والعلّامة أبو القاسم محمود الزَّمَخْشَري صاحب **الكشّاف** له **شافي العيّ في كلام الشافعي** والفقيه نصر

---

(11) في المخطوطة، على الهامش.
(12) السَّمْعاني: **الأنساب**، ص12ب (الحسن).
(13) في المخطوطة، على الهامش.

المَقدسي، وأبو زكريّا يحيى بن شرف النَّوَوِي، وطائفة: منهم أبو القاسم البغدادي، وضمّ إليه فضائل أصحاب الشافعي، وجمع إسماعيل بن الحَبّاب الحِمَيري وغيره مِحنته وبعضهم سفره. وجمع حِلْيَتَه أبو عمرو بن الصلاح، وأَفْردت رحلته وكذا أشعاره بالتأليف. وإذا علمتَ هذا، فقول القاضي شمس الدين بن خَلِّكان، أَخْبَرني أحد المشائخ الفُضلاء أنه عَمل في مَنَاقب الشافعي ثلاثة عشر تصنيفاً، قد تعلم ما فيه من القُصور، ولكن فوق كلّ ذي عِلْم عليم.

وأفرد مَنَاقب أحمد، أبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهَقي الحافظ، في مُجلّد، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر بن أَبان اللبناني، وأبو عليّ الحسن بن أحمد ابن عبدالله بن البنّاء، في مُصنّف، غير مُصنّفه الآخر الذي جمع ثناء كلّ واحد من الشافعي وأحمد على صاحبه[14]، وأبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين الأسدي[14]، وأبو القاسم سليمان ابن أحمد الطَّبَراني، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن مَنْدَوَيْه الشروطي، وأبو إسماعيل عبدالله بن محمد الهَرَوي الملقّب شيخ الإسلام، في مُجَيْلِيد، وأبو محمد عبدالله بن يوسف الجُرْجاني القاضي مُؤلّف **مناقب الشافعي وطبقات الشافعية** أَفْرد للإمام أحمد ترجمة، وأبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرّازي، وأبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن الجَوْزي، وهو أجمعها وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه الحافظ ابن الحافظ. وأبو زكريّاء (295أ) يحيى بن عبد الوهّاب بن محمد بن مَنْدَه الأصبهاني، في مُجلّد كبير مُفيد. وآخرون، ومنهم أبو نصر الشيرازي. وكذا أفردتُ مِحنته، وخصائص مُسْنَده. وأَفْرد الرُّكْن شافع بن عمر بن إسماعيل الجِيلي الحَنْبلي **زُبدة الأخبار في مناقب الأئمة الأبرار**، يعني الأئمة الأربعة.

وأَفْرد للبُخاري صاحب الصحيح ترجمة الحافظ الذَّهبي، وأبو حفص بن المُلقّن وغيرهما[15] كشيخنا في نحو كُرّاسين، وجدتُها بخطّه سمّاها **هدى أو هداية الساري لسيرة البُخاري** حَدَّثَ (؟) بها قديماً في سَنَة خمس وثماني مائة[15]، وكابن ناصر الدين حافظ دمشق في جُزء سمّاه **تُحفة الأخباري بترجمة**

(14) في المخطوطة، على الهامش.

(15) في المخطوطة، على الهامش.

الإمام البُخاري وعمل جامعه جُزْءاً في ختم **الصحيح**، فيه نُبذة من ذلك. ولورّاقه أبي جعفر محمد بن أبي حاتم البُخاري **شمائله** في نحو كُرّاسين، رواه أبو محمد أحمد بن عبدالله بن محمد بن يوسف الفِرْبَري عن جَدّه عن مُصنَّفه.

ولمُسْلِم بن الحَجّاج الشهاب أبو محمد المَقْدسي، وكذا ابن ناصر الدِّين وجامعه في جُزء في خَتْم صحيحه أيضاً أشار لمُهمّات من ترجمته فيه.

ولأبي داود السِّجِسْتاني ابن بَشْكُوال، والشيخ تَقِيْ الدِّين بن فهد الهاشمي المكِّي[16] وجامعه في جُزء عمله في خَتْم سُنَنِه[16].

ولأبي عيسى التِّرْمِذي، ابن بَشْكُوال أيضاً، وأبو القاسم عُبَيْد بن محمد بن عباس الإسْعِرْدي، والتقيّ المكّي أيضاً.

ولأبي عبد الرحمن النَّسائي، جامعه في جُزء يتعلّق بخَتْم كتابه، وجمع ابن بَشْكُوال أخبار النَّسائي.

وكذا أُفردت أخبار جَمْع من المُلوك ونحوهم، منهم المأمون؛ أفردها بعضهم. والمُعتضِد أبو العباس أحمد بن الناصر أبي أحمد المُوَفَّق طَلْحة بن المُتوكِّل أبي الفضل جعفر بن المُعْتَصِم أبي إسحاق مُحمَّد بن الرشيد هارون، جمع سِيرته سِنان بن ثابت. وأحمد بن طُولُون صاحب **الجامع**، أفرد أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زُولاق المصري سِيرته[17]، وكذا أَفْرد ابن زُولاق سِيرة ولده خمارويه، وسيرة الإخشيد محمد بن طُغْج، وسِيرة جَوْهَر، وأخبار الماذرائي. وأبو الحسن عليّ بن الحسين الزرّاد الدَّيْلَمي، جَمَعَ سِيرة سيف الدولة أبي الحسن عليّ بن عبدالله بن حَمْدان. والوزير أبو الحسن عليّ بن عبد الرحمن اليازُورِي وزير المستنصر بمصر، أفرد سِيرته بعض المصريين. والصلاح يوسف ابن أيّوب، وناهيك به جلالة، أفردها البَهاء أبو المَحاسن يوسف بن رافع بن تميم المَوْصِلي، ويُعْرَف بابن شدّاد في مُجلّد سمّاه **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** وللعماد الكاتب **البَرْق الشامي** في أخبار صلاح الدِّين وفُتوحه وأحواله

(16) في المخطوطة، على الهامش.
(17) إنّ كلمة (سيرته) في المخطوطة تسبقها كلمة (وغيره).

وحوادث الشام في أيّامه، في تسع مُجلّدات. ونظم السيرة الصلاحيّة، أبو المَكارم أسعد بن الخطير الكاتب. وأُفردت سيرة الناصر[18] محمد بن قَلاوُون. ولابن الجَوزي، **المجد الصلاحي**، و**المجد العَضُدي**، و**الفخر النوري** (295ب) و**المصباح المُضيء لدعوة الإمام المُستضيء**، و**الفاخر في أيّام الإمام الناصر**. كلّ واحد من الخمسة في مُجلَّد. ويُقال: إنّ له **عَقْد الخناصر في ذمّ الخليفة الناصر**. والملك السعيد، في كتاب **العِقْد الفريد** لمحمد بن طلحة، وغيرها. ومنهم السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكتكين، أَفْردها أبو نصر محمد بن عبد الجَبّار العُتْبي[19].

ولمحمود بن يوسف بن محمد النَّوْفَلي المليحي (؟) **البيان في أخبار صاحب الزمان**[20] يعني المهدي[20]. وللعلّامة أبي عبدالله محمد بن عليّ بن إبراهيم بن شَدّاد الحلبي، المُتوفَّى بعد الثمانين وستمئة **سيرة الظاهر بَيْبَرس البَنْدَقْداري**، وكذا جمعها كاتبه محيي الدين ابن عبد الظاهر. وللمُؤرّخ صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دُقْماق **سيرة الظاهر برقوق**. ونَظَم العلّامة البدر العَيْني سيرة المُؤَيَّد. وكذا نَظَمها محمد بن ناهض الحلبي. وعملها العَيْني أيضاً نثراً.

وكذا أَفْرد سِيرة كلٍّ من الظاهر طَطَر، والأشرف بَرْسباي بالتأليف.

وجمع بعضُ الدمشقيِّين، ممّن أخذ عن صاحب الترجمة، سيرةَ الظاهر جَقْمَق، رأيت شيخنا وهو ينتقي منها أو يكتبها بخطّه، وكنت أقضي العجب من ذلك، وما علمتُ مَقْصده فيه. وكذا جمع بعض من أخذت عنه أخبار الطاغية تيمور[21]، وأفرد العِمَاد ابن كثير سيرة مَنكَلي بُغا سمّاها **ما يُنْتقى ويُبْتغى في سيرة المقرّ (؟) السيفي مِنْكَلي بُغا**[21].

وأُفردت ترجمة غير واحد من العلماء والمحدّثين والزُّهّاد منهم إبراهيم بن

---

(18) في المخطوطة، على الهامش.
(19) في المخطوطة المُغِيثي.
(20) في المخطوطة، على الهامش.
(21) في المخطوطة، على الهامش.

أدهم، لابن الجَوزي. ومن قبله لجعفر بن محمد الخَلَدي ومحمد بن حسن بن قُتَيْبة العَسْقَلاني. وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي لأبي القاسم بن بَشْكُوال.

والمُؤرّخ الصارم إبراهيم بن دُقْماق الحَنَفي، جمعها لنفسه.

والعزّ أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة الحَنْبلي، أفرد أبو[22] الفِداء ابن[22] الخبّاز سيرته في مُجلّد.

وإبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة، جمعها لنفسه.

وأبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهَقي، جمعها جامِعُه في جُزء.

وأبو بكر أحمد بن خَيْثمة لابن بَشْكُوال.

وأحمد بن أبي الخير اليماني الصيّاد، أُفردت سِيرته.

وأبو نُعَيْم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني، جمعها أبو موسى المَدِيني، ومن قبله السِّلَفي. وفيها من حدّثه من شُيوخه عنه، وهم نحو ثمانين رجلاً.

وأبو العَلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المَعَرّي، جمعها الكمال ابن العديم في كتاب سمّاه **الإنصاف والتحرّي في دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعرّي**.

وأبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تَيميّة في **الردّ الوافر** لابن ناصر الدين، وهو شبه الترجمة، بل أفرد ترجمته من قبله أبو عبدالله[23] بن عبد الهادي الحافظ في مُجلَّدة، والسرّاج أبو حفص عمر بن عليّ[24] بن موسى البزّار البغدادي الحَنْبَلي في كراريس، وحدّث بها.

(22) في المخطوطة (الفِداء بن؟).
(23) في المخطوطة مسح كلمة أو كلمتين ثم بعدها (ابن عبد الحفادي).
(24) في المخطوطة، على الهامش.

وأبو العبّاس أحمد بن أبي الحسن عليّ بن أحمد بن يحيى الرفاعي، عمل مَناقبه مُحيي الدين أحمد (296أ) بن سليمان اليمامي الحسيني، في أربعة كراريس، رتّبها على ثمانية فُصول. وللحافظ بن ناصر الدمشقي فيه وفي الشيخ عبد القادر، جُزء.

وأبو مسعود أحمد بن الفُرات الرَّازي، جمعها يوسف بن خليل.

وأبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي، جمعها الذَّهبي.

وأبو العَباس أحمد بن محمد بن حسن بن الغمّاز. أُفردت مراثيه في تأليف.

وأبو العَباس البصير أحمد بن محمد بن عبد الرحمن البَلَنْسي، أفرد له[25] الرشيدي ترجمة سمّاها **نفائس الأنفاس لمناقب أبي العبّاس**، وكذا أَفْردها[25] البُرهان الأبناسي سمّاها **الكوكب المُنير في مناقب أبي العبّاس البصير**.

والتاج أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، أفردها[26] الشمس محمد بن عليّ الشاذلي عُرِف بالحَكَم، وسمّاها **كشف الغطاء في مناقب الشيخ تاج الدِّين بن عطاء**[26].

والعارف أبو العباس أحمد بن محمد بن مثبوت المولى (؟) المعروف بالرأس، في مُصنَّف لصاحبه العَلَم أبي عبدالله محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الملك الشاطبي[27] سمّاه **المَطْلب العالي**[27].

وأبو العباس أحمد بن محمد بن مفرح[28] العشّاب الإشبيلي، جمعها أبو محمد عبدالله الجَزِيري[29] في جُزء سمّاه **نَثْر النُّور والزَّهر**.

---

(25) في المخطوطة، على الهامش.

(26) في المخطوطة، على الهامش.

(27) في المخطوطة، على الهامش.

(28) مفرّج؟

(29) كذا، انظر: الخطيب **الإحاطة** ص92 (طبع القاهرة 1319هـ)؛ وعند حاجي خليفة، ج6، ص301، طبع فلوجل، مذكور الحريري.

وإسماعيل بن إسحاق القاضي، جمعها ابن بَشْكُوال.

وأبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي، جمعها أبو موسى المَدِيني في جُزء كبير.

والشيخ إسماعيل الجَبَرتي اليَمَاني، جمعها بعضهم.

وأشْعَب الطامع وغيره ممّن في معناه لأبي الوليد الفَرَضي.

وبِشْر بن الحارث الحافي، من حديث أبي عمرو بن السمّاك. وكذا أفردها ابن الجَوزي. ومن قبله أبو الفضل عبدالله بن عبد الرحمن الزُّهْري ومحمد بن المُثنَّى البارودي.

وجمع ترجمة أبي عبد الرحمن بَقِيّ بن مَخْلَد، وتَسْمية البُلدان التي دخلها حَفيده أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد. وكذا جمع فضائله الأمير عبدالله بن الناصر.

والحارث بن أسد المُحاسِبي، جمعها ابن بَشْكُوال ومن قَبله أبو بكر بن عزره (؟).

وافتخار الدِّين حامد بن محمد بن محمد الخُوارزمي الحَنَفي، ترجم نفسه في جُزء[30].

وأفرد ابن الجَوزي للحسن البصري ترجمة.

والرَّضِيّ أبو الفضائل الحسن الصَّغاني، جمعها أبو أحمد الدِّمياطي.

وأبو عليّ الحسن بن عُلَيْل العَنَزَي، أُفردت أخباره.

والعزّ الحسن بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم الواسطي أفرد تلميذه أبو عبدالله بن مرزوق في مَنَاقبه جُزءاً.

وأبو عليّ الحسين بن عبدالله بن الحسن ابن سينا الفيلسوف، جمع أبو عُبَيْد الجَوْزَجاني أخباره في جُزء[31].

والحسين بن منصور الحلاّج، أَفْرد أخباره أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عليّ المُعَضِّض، وقَرَأها عليه السِّلَفي وقال: «كلّها موضوعات عن رُواة مجاهيل»

(30) في المخطوطة، على الهامش.

(31) في المخطوطة، على الهامش.

وليّن مُؤلّفها. وجمع ابن الجَوزي أخباره في تصنيف سمّاه **القاطع لمَحالّ المحاجّ بحال الحلاّج**.

والصلاح أبو الصفاء خليل بن أَيْبك الصَّفَدي، جمعها لنفسه.

والشيخ داود العَزب، أفردها بعضهم.

ودِعْبِل بن عليّ الخُزاعي جمع (صاحب)[32] المُستنير المَرْزُباني أخباره.

وذَا النون الإخْمِيمي المصري للحسن بن رَشِيق.

ورابعة العدوية، لابن الجَوزي.

وزياد بن عبد الرحمن، شَبَطُون، لابن بَشْكُوال.

وسَحْنُون لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي.

وسعيد بن المُسَيَّب، لابن الجَوزي.

وسُفْيان بن عُيَيْنة، لابن بَشْكُوال.

وسُفْيان الثوري، لابن الجَوزي. ومن قبله لأبي الشيخ عبدالله بن محمد بن جعفر بن حِبّان. ومِحنته لأبي يعقوب إسحاق بن محمد التُّسْتَري.

وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطَّبرَاني، جمع الضياء المَقدسي الذّبَّ عنه.

والتَّقِيّ أبو الفضل سليمان بن حمزة المَقدسي الحَنْبَلي، أفرد سيرته البِرْزالي[33].

وأبو داود سليمان بن داود الطَّيالسي جمعها أبو نُعَيْم الأصبهاني.

وأبو محمد سليمان بن مِهران الأَعْمَش (296ب) جمعها يوسف بن خليل، وكذا ابن بَشْكُوال.

---

(32) (؟).

(33) في المخطوطة، على الهامش.

والسَّمَوأَل بن يحيى بن عبّاس المغربي ثُمّ البغدادي الحاسِب، رأيت بخطّه كُرّاسة ذكر فيها سبب إسلامه وهو شِبْهُ الترجمة لنفسه.

وشُرَيْح القاضي لأبي القاسم خَلَف بن القاسم الحافظ.

وكَشْف **الغطاء عن سيرة شمس بن عطاء**، يعني قاضي القُضاة شمس الدِّين الهَرَوي، وما علمتُ تعيين مُؤلّفها لكنه مُتَعَصِّب مُبْغِض.

والشيخ المُوفّق عبدالله بن أحمد بن محمد بن قُدامة، جمعها الضياء المَقدسي في جُزأين، والذَّهبي أيضاً.

وعبدالله بن الإمام أحمد بن محمد بن حَنْبَل، أَفْرد شَيوخَه الحافظُ أبو بكر ابن نُقْطة، في جُزء، فَزَادت عِدّتهم على أربعمائة.

وأبو محمد عبدالله بن أبي زيد المالكي[34]، صاحب **الرسالة**، جمع الجُزُولي مناقبه.

وأبو محمد عبدالله بن سعد بن أحمد بن أبي جَمْرَة، أَفْردها تلميذه ابن الحاجّ[34].

وعبدالله بن المبارك، لابن بَشْكُوال.

وأبو بكر عبدالله بن محمد بن عُبَيْد بن أبي الدُّنيا، جمعها أبو موسى المَدِيني.

وشيخ الإسلام أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن عليّ بن محمد الأنصاري الهَرَوي، جمع مناقبه وما يتعلَّق بها، الحافظ عبد القادر الرُّهاوي في كتاب **المادح والممدوح** مجلَّد ضخم.

وأبو محمد عبدالله بن محمد بن هارون الطائي، أظنّها لنفسه.

وعبد الله بن وَهْب، لابن بَشْكُوال.

---

(34) في المخطوطة، على الهامش.

والشيخ عبدالله المَنُوفي المَغربي الأصل المصري، جمعها الشيخ خليل المالكي.

والشيخ عبدالله اليوناني[35] المُلَقَّب أسد الشام، أَفْردها بعضهم.

وعبدالله الأُرْمَوي، جمع ترجمته حفيده الشيخ علاء الدِّين[36].

والجلال أبو الفضل عبد الرحمن بن عُمر البُلْقيني، جمعها أخوه القاضي علم الدين صالح البُلْقيني.

وأبو عَمرو عبد الرحمن بن عَمرو الأَوْزاعي، جمعها الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن زيد الدمشقي الحَنْبَلي، أحد من أخذتُ عنه، في جُزء سمّاه **مَحاسن المَسَاعي في مناقب أبي عَمْرو الأَوْزاعي**.

وعبد الرحمن بن القاسم لابن بَشْكُوال. ومن قبله لمحمد بن الحارث القَ (رَوِي).

والشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة، جمع سيرته النَّجم إسماعيل بن الخَبّاز، في مائة وخمسين جُزءاً، ستّ مُجلّدات كِبار، تعب فيها، ولعلّ المُختصّ بالمُترجَم منها الثلث فقط، وباقِيها في السيرة النبويَّة، لكون الشيخ من أُمّته، وفي الإمام أحمد وغير ذلك.

وأبو المُطَرِّف عبد الرحمن من مرزوق[37] القَنازِعي، لابن بَشْكُوال.

والجمال عبد الرحيم بن الحسن الإِسْنائي، جمعها حافظ الوقت، الزَّيْن أبو الفضل العراقي.

والحافظ المذكور الزَّيْن أبو الفضل عبد الرحيم (بن) الحسين العراقي، جمعها ولده أبو زُرْعة الحافظ.

(35) الصحيح (اليونيني) المُتوفَّى سَنَة 617هـ.

(36) في المخطوطة، على الهامش.

(37) في **الشذرات** ج3، ص198 (مروان).

وعبد الرّزّاق بن هَمّام الصَّنْعاني جمعها ابن بشكُوال ومِن قبله أحمد بن خالد.

والعزّ عبد العزيز بن عبد السلام السُّلَمِي، جمعها العزّ عبد العزيز بن أحمد ابن عثمان الهَكّاري. والكمال إمام الكاملية وقُرئت عند ضريحه.

وأبو هاشم عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي العبّاسي، جمعها ولد أخته أبو المعالي محمد بن عليّ[38] بن محمد بن محمد[38] بن عشائر[38] وسمعها من مُؤلّفها الحافظ بُرْهان الدِّين الحَلَبي[38].

والشيخ عبد العزيز الدِّيرِيني، أُفردت ترجمته فيما قيل.

والحافظ عبد الغنّي (297أ) بن عبد الواحد المقدسي، جمعها الضياء المَقدسي، في جُزأين. وسبقه إلى جمعها لنفسه، مَكّي بن عُمَر بن نعمة المصري.

والشيخ عبد القادر الكيلاني، جمعها أبو حَفْص بن المُلَقِّن، مُلَخِّصاً لها من **البهجة**. وكَذَا صاحب الترجمة[39] ومن قبله شيخه المجد الفَيْروزآبادي صاحب **القَاموس** وسمّاها **روضة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر**، واعتنى بها صاحبنا الشيخ الثِّقة الوَرْع القُدوة أبو إسحاق القادري، فأجاد وأفاد.

وأبو القاسم عبد الكريم الرافعي، جمعها الصلاح العلائي.

وعبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي، جمع أخباره أبو محمد عبدالله بن أحمد بن ربيعة بن زَبْر القاضي.

والتاج عبد الوهّاب بن أبي القاسم خلف ابن بِنْت الأعزّ، جمع سيرته مُؤْتَمَن الدِّين الحارث بن الحسن بن مِسْكِين.

وأبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حَزْم الظاهري، أفردها بعضهم[40].

---

(38) في المخطوطة، على الهامش.
(39) في المخطوطة، على الهامش.
(40) في المخطوطة، على الهامش.

والإمام أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري، جمع أبو القاسم ابن عساكر كِتاباً حافلاً سمّاه **تبيين كذب المُفتري في الرَّدّ على أبي الحسن الأشعري** شبه الترجمة.

والحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هِبة الله بن عساكر، أَفْردها ولده أبو محمد القاسم.

والتَّقِيّ أبو الحسن عليّ بن عبد الكافي السُّبْكي، جمعها ولده التاج كما بَلَغني[41].

[والحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هِبة الله بن عساكر، أفردها ولده أبو محمد القاسم].

وأبو الحسن عليّ بن أبي القاسم بن غزّي بن عبدالله الدِّمْياطي، عُرِف بابن قُفْل، جمعها تلميذه الشيخ أبو عبدالله بن النُّعْمان في كتاب سمّاه **الدُّرّ المكنون في كرامات الشيخ أبي الحسن المدفون بجهة (؟) مكنون(؟)**.

ونور الدِّين عليّ بن محمد بن فَرْحُون، والد البُرْهان إبراهيم صاحب **الطبقات المالكية**، أفردها له أخوه بدر الدِّين عبدالله جدّ شيخنا القاضي بدر الدِّين عبدالله بن محمد بن عبدالله[42].

وأبو حَفْص عُمر بن رَسْلان البُلْقِيني، جمعها ولده الجلال أبو الفضل، وقد أخذها ولده الثاني القاضي علم الدِّين[43] أبو البقاء صالح البُلْقِيني، وضمّ إليها زيادات، فجاءت في مُجلّد قرأته عليه.

والشرف عُمَر بن الفارِض جمعها سِبْطه عليّ. ولابن أبي حَجْلة **الغيث العارض** عَارَضَ فيه قصائده بقصائد من نَظْمه، طالعتُه، وفيه فوائد مُهمّة.

والشيخ عمر العُرابي نزيل مكّة، جمعها ولده الجمال محمد.

(41) في المخطوطة يأتي هذ المدخل قبل السابق، ولكن المكان الصحيح أُشير إليه بعلامات خاصّة.
(42) في المخطوطة، على الهامش.
(43) في المخطوطة، على الهامش.

والشيخ عمر النَّبْتِيتي، أفردها ولده.

والقاضي عِياض بن موسى اليَحْصُبي صاحب **الشفاء**، أَفْردها الوادِياشي. وعملتُ مَجْلساً لطيفاً في خَتْم **الشفاء**[44].

والفضيل بن عِياض، أَفْردها محمد بن أَيُّوب الرَّقّي وابن الجَوزي وقاسم ابن أَصَبَغ لمحمّد بن مُفَرِّج القاضي.

وأبو عُبَيْد القاسم بن سلّام جمعها ابن بَشْكُوال.

والعَلَم أبو محمد القاسم بن محمد البِرْزالي، جمعها الذَّهبي.

والإمام اللَّيث بن سعد الفهمي، جمعها صاحب الترجمة.

والصدر محمد بن إبراهيم المُناوي، جمعها بعضهم.

وأبو الخطّاب محمد بن أحمد بن خليل السَّكُوني، جمع ابن أخيه أبو بكر ابن أبي عمر كلامه نَظْماً ونَثْراً في تأليف.

وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، جمعها لنفسه. وكذا جمعها أبو عمرو محمد بن عثمان بن المُرابط، لكنه أساء الأدب فيها بما لا يُقْبَل منه. ولذلك قال صاحب الترجمة: إنه تحامل عليه فيه، وقال في **الدُّرَر**: إنه أَفْرط[45] في ذَمِّه، ووصف شيخنا ابن المُرابط بكثرة التخبيط[46]، وقال: كأنه ما كان يفهم.

وأبو المُظفّر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الأَبِيوَرْدي، أَفْردها السِّلَفي الحافظ[47].

وأبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن الحاجّ، جمع ولده مناقبه، في جُزء.

---

(44) في المخطوطة، على الهامش.

(45) كذا في **الدُّرر** ج4، ص45، أما في المخطوطة فهي (أفردها).

(46) في المخطوطة: (النخيل)؟

(47) في المخطوطة، على الهامش.

وأبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة أخو المُوفّق عبدالله الماضي، جَمَعها الضِّياء المَقْدسي أيضاً.

ومحمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد العزّ ابن جماعة، له كُرّاسة سمّاها **ضوء الشمس في أحوال النفس**، ذكر فيها ترجمة نفسه.

وأبو الطاهر محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأنصاري المَحَلّي (297ب) أَفْرد مَنَاقبه الكمال أحمد بن عيسى بن رِضْوان بن القَلْيُوبي العَسْقَلاني، في كتاب **العلم الظاهر في مناقب الفقيه أبي الطاهر**.

[48]وأبو عبدالله محمد بن خفيف أفردها بعضهم[48].

ومحمد بن صالح بن موسى الدَّمْراوي، أَفْردها بعض الفُضلاء ممّن كتبت عنه من نَظْمه، وهو المُحِبّ أبو الطيّب محمد بن عليّ بن أحمد بن هِبة الله (؟)[49] المحلّي عرف بابن حُمَيْد.

والشرف أبو المكارم محمد بن عبدالله بن الحسين بن عين الدولة الصّفراوي، جمع له أبو الغيث مِنْهال بن عِزّ القُضاة محمد بن منصور بن مِنْهال سيرة[50] في مُجلَّد.

وجامعه أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي، جمعها لنفسه إجابة لمن سأله فيها.

ومحمد بن عبد العزيز بن سعادة الشاطِبي، جمع ترجمته[51] تلميذه أبو عبدالله محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الشاطبي وسمّاه **الزهر المُضي في مناقب الشاطبي**.

والكمال محمد بن عبد الواحد بن الهُمام الحَنَفي جمعها جامعه.

---

(48) في المخطوطة، على الهامش.
(49) لم يذكر هِبة الله في **الضوء** ج8، ص100 فما بعد.
(50) في المخطوطة، على الهامش.
(51) في المخطوطة: (ترجمة).

والتَّقِيّ أبو الفتح محمد بن عليّ بن وَهَب بن دَقِيق العِيد، أَفْردها بعضهم في مُجلَّد ضخم.

والمُلقّب محيي الدِّين أبو عبدالله محمد بن عليّ بن العربي، جمعها التقيّ الفاسي[52] للتحذير منه، والعَلاء البُخاري والعلّامة الكمال إمام الكاملية، وبُرْهَان الدِّين البِقاعي، وجامعه، وهو حافل لا مَزيد إن شاء الله عليه.

وأبو عبدالله محمد بن عُمَر بن محمد بن عُمَر بن رشيد الفِهْري السَّبْتي، لأبي عمرو بن المُرابط.

وأبو عبدالله بن محمد بن كرّام المنسوب إليه الفرقة الكرّامية، جمع مناقبه زعماً[53] محمد بن الهَيْصَم.

والشمس محمد بن محمد بن الخِضْر العَيْزَري الدمشقي، جمعها لنفسه.

وحُجّة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، جمعها القُطْب أبو طالب[54] عقيل بن سُرَيْجا الحَنَفي، وأخذها عنه البُرْهان الحلبي.

ومحمد بن موسى بن عبد العزيز المصري الملقّب سيبويه، جمع نوادره ابن زُولاق.

وأبو عبدالله محمد بن موسى بن النُّعمان النُّعماني المصري المالكي، أَفْرد ترجمته النَّجم أبو بكر محمد بن عبد الحميد بن عبدالله القُرَشي المصري ثُمّ المَكّي المالكي، في مُجلَّد سمّاه **المواهب الرحمانية في المَنَاقب النُّعمانية**، وقال: إنه أفردها مِنْ قَبْله المُحدِّث أبو حَفْص عُمَر بن أيّوب بن عمر الحَنَفي، عُرف بابن طُغْرِيل السيّاف. قلت وسمّاها **تُحفة الأخوان** وكذا لأبي بكر عبدالله بن أبي البركات الأكرم الترجمان، عن نقلة ابن النعمان.

ومحمد بن وضّاح جمع أخباره وشُيوخه الذين لقيهم محمد بن مُفرّج القاضي.

---

(52) في المخطوطة، على الهامش.

(53) في المخطوطة: (زعم).

(54) في المخطوطة: على الهامش.

وأبو حيّان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيّان الأندلسي، أَفْردها البدر حسن بن محمد بن صالح النابُلسي الحَنْبَلي، وسمّاها **زهر البستان في ترجمة الأستاذ أبي حيّان**(55).

ومعروف الكَرْخِي أفرد ابن الجَوزي أخباره في جزأين.

والحافظ العلاء مُغُلْطاي البكجري الحَنَفي، جمعها الزَّيْن العراقي.

ومُنْذِر بن سعيد القاضي لأبي عُمَر بن عبد البَرّ.

وأبو الفتح نصر بن فِتْيان بن المُنَى الحَنْبلي، جمع له أبو محمد عبد الرحمن بن عيسى البُزُورِي الواعظ سيرة طويلة.

والسيّدة نفيسة، جمع الشريف محمد بن أسعد بن عليّ الجوّاني أخبارها في كتاب سمّاه **الزَّوْرة الأنيسة في فضل السيدة نفيسة**.

وأبو عُبادة الوليد بن عُبَيْد البُحْتُري الشاعر المشهور، جمع أخباره أحمد بن فارس - الأديب المَنْبِجي (؟).

والمحيي أبو زكريا يحيى بن شرف النَّوَوي، جَمَعَها تلميذه العلاء أبو الحسن بن العطّار في كُرّاسة رأيتُ في كلام الذَّهبي في **سِيَر النُبلاء** أنها في ستّة كراريس، ويُمكن أن يكون اسْتَوفى فيها المراثي. وكذا أَفْرد ترجمته محمد بن الحسين(56) اللَّخْمِي، وهو من تَلامِذته أيضاً، والكمال إمام الكاملية وقد قُرئت عند ضريحه بِنَوى، وكاتبه وهو أجمعها(57) وقُرئت عند ضريحه أيضاً.

وأبو بكر يحيى بن مجاهد الألبيري ليونس بن مُغِيث.

والوزير عَوْن الدين أبو المظفّر يحيى بن هُبَيْرة الحَنْبلي صاحب **الإجماع** وغيره، جُمعت سيرته في مُجلّد.

---

(55) في المخطوطة: على الهامش.
(56) الصحيح (الحسن).
(57) انظر: **الضَّوء اللامع** ج5، ص149 (أبو عبد القادر).

ويحيى بن مَعين ويزيد بن هارون أفرد مَنَاقب كلٍّ منهما ابن بَشْكُوال.

والحافظ أبو الحجّاج يوسف بن الزَّكي عبد الرحمن المِزِّي، جمع الحافظ العـ(ـلائي) جُزءاً سمّاه **سُلْوان التعزِّي عن الحافظ المِزّي**[58].

والشيخ يوسف الصَّفِّي، اعْتَنَى بجمع أحواله وكَراماته ولده[59]، كما أنّ ولد (298أ) الشيخ عمر النَّبْتِيتي اعتنى بجمع أحوال والده كما سلف[60].

وأبو إسحاق بن شَهْرِيار جمع ابن الجَزَري فضائله.

والشيخ أبو بكر بن قوام بن عليّ بن قوام بن منصور بن مُعلّى البالسي، جمع له حفيده أبو عبدالله محمد بن عُمَر سيرة في ثلاثة كراريس.

وأبو الحسن الشَّاذلي، وتلميذه أبو العباس المُرْسي، جمعها تلميذ ثانيهما التاج ابن عطاء الله في **لطائف المِنَن**.

وأبو الحسن القابسي المالكي، جمعها تلميذه أبو عبدالله المالكي.

وأبو الحسن القزويني البغدادي، جمعها أبو نصر هِبَة الله بن علي بن المُحلّى، وأبو الحسين بن أبي عبد الله بن حمزة المَقْدسي الصوفي جمع الضياء المَقْدسي الحافظ جُزءاً في أخباره.

والقاضي أبو الطاهر الذُّهْلي جمع عبد الغني بن سعيد أخباره[61].

وأبو الطيّب المُتنبّي، جمع أبو الحسن محمد بن أحمد المغربي **الانتصار المنبّي عن فضائل المتنبّي**. وكذا جمع سيرته خسْرَو بن أحمد بن زفر الإرْبِلي الحكيم، وعمل الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد **الكشف عن مساوىء المتنبي** في تصنيف.

وأبو العتاهية للآمدي.

وأبو عليّ البغدادي لأبي الوليد بن الفَرَضي.

---

(58) في المخطوطة، على الهامش.

(59) في المخطوطة: Supra Lineam.

(60) في المخطوطة، على الهامش.

(61) في المخطوطة، على الهامش.

وأبو عليّ الرُّوذَباري، لبعضهم[62].

وأبو العَيْناء الضرير لبعضـ(ـهم).

وأَفْرد بعضهم سيرة لأبي القاسم القَبّاري[63].

وأبو مُحْرِز من المالكية جمع مَنَاقبه أبو عبدالله المالكي[64].

وأبو نُواس، جمع أخباره أبو عبدالله المَرْزُبان. وكذا أبو العباس بن شاهين.

وأبو وهب الزاهد لابن بَشْكُوال.

والإمام فخر الدِّين الرَّازي، أفردها بعضهم.

ولبعضهم **صُبح الهمم قاطبة المُسفر عن فضائل فخر شاطبة** محمد بن سليمان بن عبد الملك الشاطبي مُؤلف **زهر العريش في تحريم الحشيش**.

وابن حجّاج الشاعر جمعها بعضهم.

وجمع أبو الفرج الأصبهاني صاحب **الأغاني** أخبار جَحْظَة.

وهذا باب لا يُمكن حصره، لكن فيما أوردته كِفاية، وهذه الخاتمة ما علمت من سَبَقَني إليها. نَعَمْ، وقفت بعد مُدّة في مَنَاقب ابن النعمان لابن عبد الحميد، على الإشارة إلى أنه لو تتبّع ذكر من جمع كرامات شيخه وإمامه لعجز عن حصر ذلك بتمامه، وهو كذلك كما قدّمته[65][66].

---

(62) في المخطوطة، على الهامش.

(63) كذا الصحيح، انظر: السيوطي: **حُسْن المحاضرة**، ج1، ص298 (القاهرة، 1299هـ).

(64) في المخطوطة، على الهامش.

(65) في المخطوطة، على الهامش.

(66) هنا يذكر ما يلي خاتمة الكتاب والمخطوطة.

(آخر **الجواهر والدُرَر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حَجَر**. قال مؤلّفه فسح الله في مُدَّته، ومن خطّه نقلت: وكان الفراغ من تحريره في أواخر صَفَر سَنَة إحدى وسبعين وثماني مائة بمكة المُشرّفة...).

السَّخـاوِي

نص من كتاب

القَوْل المُنبي

قال شيخنا العلّامة الأُستاذ الحافظ الشمس السَّخاوي فسح الله في مُدّته (في **المُنْبي في أخبار ابن عربي** له وهو في مُجلّد):

قال السيف بن بَلَبَان المسعودي: إنّ الشيخ العلّامة قُطْب العارفين قُطْب الدِّين محمد بن القَسْطَلّاني (قال) في ابن العربي مُحيي الدِّين إنه حذَّر من تصديقه، وبيَّنَ في مُصَنَّفاته فساد قاعدته، وضلال طريقه، في كتاب سمّاه بـ **الارتباط** ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط، قال: كذا قلت وكذا حَذّر منهم في كتابه المُسمَّى **نصيحة صريحة من قريحة صحيحة** في المنع من الدعوى والسطح، وبيَّنَ حالهم الفاسد وقال: إنّ مَقَالاتهم راجت (؟) على أقوام ضُعفاء العُقول سُفهاء الأحلام.

وذَكَر أبو حَيّان في **النُّضار** أنّ القُطْب هذا جمع كِتاباً ضَمَّنه ذكر الطائفة القائلة بالوحدة المُطلقة في الموجودات، فابتدأ بذكر الحلاَّج وذكر شيئاً من أخباره وشِعْرِه وقَتْلِه. ثُمّ قال: لمّا انتشرت مَقالته تابَعَهُ عليها من اعتقد فيه الكمال، ودرست تلك العقيدة إلا مع بقية ما[1] قدّست (؟) مُسْتَسِرّة بمُعتقدها لا تتظاهر به إلا مع خواصّ المُعتقدين فيها الواثقين منها بكتمان ما تُلقيه

(1) في المخطوطة: (ممّا).

إليها[2]، وتأخذ العهد الوثيق على من دَخَل في دائرتها واستجاب لدعوتها، كما تفعل الإسماعيلية في كتمان ما تُحاول من مَقصودها وأخذها العهد على المُستجيب لداعيها، ولمّا تَطاولت المُدَد وهُجِرَ هذا المُعتَقَد، صار عند آحاد في البلاد مستوراً، وكان مِمَّن أظهر ذلك ببلاد المغرب شخص يُعرَف بأبي عبدالله الشُّوذِي، يُقال إنه كان مُقيماً بتِلِمْسان، ولا يُعلم له مُسْتَقَرّ يأوي إليه، وكان مُتمكّناً في العلوم مُتقناً للصنعة المطلوبة من قيام الأوهام بالأنفس، وصحبه أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دَهّاق الأوسي المعروف بابن المرأة، فاشتغل عليه بعلم الكلام وتلقّى عنه على ما قِيل هذا المُعتقد باطناً، ثم انتقل إلى مُرْسِية، فاشتغل عليه أهلها بعلم الكلام.

وآناً عنه بطريقة الإمام شرف الدِّين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي الفضل السُّلَمي المَدِيني، وكان ممّن اشتغل عليه وحدَّثنا (؟) (14أ) بما كان من الأمر يُسْنَد إليه ومن شعر أبي عبدالله الشُّوذِي:

إذا نَطَقَ الوجودُ أصاخَ قومٌ ... بآذانٍ إلى نُطْقِ الوجُودِ

وذاك النُّطق ليسَ به انْعِجامٌ ... ولكنْ جَلَّ عن فَهْمِ البَلِيدِ

فكُنْ فَطِناً تُنادَى من قريبٍ ... ولا تكُ من ينادَى[3] من بعيدِ[4]

قال الشيخ قُطْب الدِّين: ثُمّ اشتهر بعد ذلك من أصحاب ابن المَرأة وغير(ه) أصحابه من قال بهذه المَقالة أعداد في بُلدان شتّى، تراهم يتستَّرون ويتكتَّمُون. وكان في زمان ابن المَرأة أبو عبدالله محمد بن عليّ بن محمد العربي الطائي الإشبيلي[5]، انْتَقَل من الأندلس إلى هذه البلاد بعد السبعين وخمسمائة، وجَاوَر بمكّة وسمع بها الحديث وصَنَّف **الفُتوحات المَكّية** بها، وكان له لِسانٌ في التصوّف ومعرفة بطُرُقه، إلا أنه أفسده بما انتحاه من هذه المَقَالة، وصنَّف كُتُباً

(2) في المخطوطة، الصحيح: (إليهم).
(3) في المخطوطة: (منادى).
(4) نقل هذه الأبيات يحيى بن خلدون في كتاب **البُغية** رقم 93 (الجزائر ـ 1904م).
(5) كـذا.

كثيرة على مَقَاصده التي اعْتَقَدها، ونهج في كُتُب منها منهاج تلك الطائفة، ونظم فيها أسفاراً كثيرة، وأقام بدمشق مُدّة ثم انتقل إلى الروم[6]، وحصل له بها قَبول وأموال جزيلة. ثم عاد إلى دمشق، وبها تُوفّي في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سَنَة ثمانٍ وثلاثين وستمائة ومولده في رمضان سَنَة ستين وخمسمائة.

ومـن شعـره:

الـرَّبُّ الـحـقُّ والـعـبـدُ الـحـقُّ فـلـيـتَ شِـعْـري مَـنِ الْـمُـكَـلَّـفْ

إنْ كـان عـبـداً فـذاك مَـيْـتٌ أو كـان ربّـاً فـمـا يُـكَـلَّـفْ

إلى آخر أبيات ذكرها. قال الشيخ أبو حيّان: انتهى ما كتبناه من كلام الشيخ قُطْب الدِّين.

(6) «بلاد» الروم.

ابن حَجَر

الإنبـاء

هذا تعليق جمعتُ فيه حوادث الزمان الذي أدركتُه من مولدي سَنَة 773هـ وهلمَّ جرّاً، مُفصِّلاً في كلّ سَنَة عن[1] وَفَيات الأعيان، مُستوعباً لرُواة الحديث، خُصوصاً من لَقِيْتُه وأجاز لي. وغالب ما أَوْرد فيه ما شَاهَدته أو تلقَّفته مِمن أرجع إليه، أو وجدته بخطّ من أَثِقُ به من مشائخي ورِفْقَتي، كالتأريخ الكبير للشيخ ناصر الدِّين بن الفُرات وقد سمعتُ عليه جُملة من الحديث، ولصارم الدِّين بن دُقْماق وقد اجتمعتُ به كثيراً، وغالب ما أنقله من خطّه ومن خطّ ابن الفُرات عنه، وللحافظ العلّامة شهاب (الدِّين) أحمد بن علاء الدِّين حِجّي الدمشقي، وقد سمعتُ منه وسمع مني، والفاضل البارع المُفنِّن تقي الدِّين أحمد بن عليّ المَقْرِيزي، والحافظ العالم شيخ الحَرَم تقيّ الدِّين محمد بن أحمد بن عليّ الفاسي القاضي المالكي بمكّة، والحافظ محمود العَيْني، وذكر أنّ الحافظ عماد الدِّين بن كثير عُمدته في تاريخه، وهو كما قال، لكن منذ انقطع ابن كثير صارت عُمدته على تاريخ ابن دُقْماق، حتى كان يكتب منه الورقة الكاملة المُتوالية، ورُبما قلَّده فيما يُتّهم[2] فيه حتى اللَّحْن الظاهر مثل أخلع على فلان، وأعجب منه أنّ ابن دُقْماق يَذْكر في بعض الحادثات ما يَدلّ على[3] أنه شاهدها، فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمَّنه، وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر، وهو بعدُ في

---

(1) *AKM*، ج19، ص85، 3 (أحوال الدُّوَل من).

(2) في المخطوطة: (يهم).

(3) في المخطوطة، على الهامش.

عِنْتاب. ولم أتشاغل بتتبّع عَثَراته، بل كتبتُ منه ما ليس عندي ممّا أظن أنه اطّلع عليه من الأُمور التي كُنّا نغيب عنها ونحضرها.

وسمّيته **إنباء الغُمْر بأبناء العُمْر**، واللهَ أسألُ أن يختم لنا بخير.

وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذَيْلاً على تاريخ الحافظ عماد الدِّين بن كَثِير، فإنه انتهى في ذَيْل تاريخه إلى هذه السَّنة، ومن حيث الوَفَيَات أن يكون ذَيْلاً على الوَفَيَات التي جمعها الحافظ تقي الدِّين بن رافع، فإنها انتهت إلى أوائل هذه السَّنة...

... ثم قدَّر اللهُ الوُصولَ إلى حلب حرسها الله تعالى في شهر رمضان سَنَة ست وثلاثين، فطالعتُ تاريخها الذي جَمَعَه الحاكم بها العلّامة الأوحد الحافظ علاء الدين ذَيْلاً على تاريخها[4] لابن العَديم، وقد بيّض أوائله، وطالعته كلّه من المبيّضة ثُمّ من المُسوّدة، وألحقت فيه أشياء كثيرة وسمعتُ منه أيضاً وسمع منّي.

(4) في المخطوطة: (تاريخه).

طاش كُبرْي زاده

فصل من كتاب

مِفْتاح السعادة ومِصْباح السيادة

علم التواريخ

«وهو معرفة أحوال الطوائف» وبُلدانهم، ورُسومهم، وعاداتهم، وصنائع أشخاصهم، وأنسابهم، ووَفَيَاتهم إلى غير ذلك. (وموضوعه) أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعُلماء والحُكماء والشُّعراء والمُلوك والسلاطين وغيرهم. (والغَرَض منه) الوُقوف على الأحوال الماضية. (وفائدته) العِبْرة بتلك الأحوال والتنصُّح بها، وحُصول مَلَكة التجارب بالوُقُوف على تَقَلُّبات الزمن ليَحْتَرز عن أمثال ما نُقل من المَضارّ ويستجلب نظائرها من المنافع، وهذا العلم كما قيل عُمْرٌ آخر للنَّاظرين والانتفاع في مِصْره بمنافع تحصل للمُسافرين. (ومن الكُتُب المُصنَّفة) فيه: **تاريخ ابن كَثِير** وهو أبو الفِداء إسماعيل بن عمر بن كَثِير القُرَشي البَصْري الدِّمَشقي، الفقيه الشافعي الحافظ عماد الدِّين بن الخطيب شهاب الدِّين، وُلد سَنَة سبع مائة. وقدم دمشق، وله نحو سبع سنين، سَنَة ست وسبع مائة مع أخيه بعد موت أبيه. وحفظ **التنبيه** وعَرَضه سَنَة ثماني عشرة، وحفظ **مُختصر ابن الحاجب**، وتفقَّه بالبُرْهان الفِزاري والكمال بن قاضي شُهْبة. ثم صاهَرَ المِزِّي وصحب ابن تيمية وقرأ في الأُصول على الأصبهاني، وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جَيِّد الفهم، وكان يُشارك في العربية وينظم نَظْماً وسطاً، قال ابن حَجَر: ما اجتمعت به قطّ إلا استفدتُ منه، وقد لازمته ست سنين. وقد ذكره الذَّهبي في **مُعجمه المُختصّ**، فقال: الإمام المُحَدِّث المُفتي البارع. ووصفه بحفظ المُتُون وكثرة الاستحضار جماعةٌ، «منهم» الحسين وشيخنا العراقي وغيرهما. وسمع من الحجّار والقاسم بن عساكر وغيرهما، ولازم

الحافظ المُزَني وتزوَّج بابنته وسمع عليه أكثر تصانيفهما. وأخذ عن الشيخ تقي الدِّين ابن تيمية فأكثر عنه. وصنَّف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام. وقال ابن حبيب فيه: إمامُ ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل. سمع وجمع وصَنَّف، وأطرب الأسماع بأقواله وشَنَّف، وحَدَّث وأفاد، وطارت أوراق فتاواه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. مات بدمشق في خامس عشر «شعبان»[1] وقد أجاز لمن أدرك حياته، وهو القائل:

«شعر»

تمرُّ بنا الأيام تَتْرَى وإنما نُساق إلى الآجالِ والعَيْنُ تنظرُ

فلا عائدٌ ذاك الشبابُ الذي مضى ولا زائلٌ هذا المشيبُ المُكدِّرُ

«قال» ابن حَجَر: ولو قال فلا عائدٌ صَفْوُ الشباب إلى آخره لكان أصنع.

«ومن التواريخ»: **«تاريخ الطَّبَري»**[2] وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبَري، وقيل يزيد بن كثير بن غالب صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فُنون كثيرة منها (التفسير) و(الحديث) و(الفقه) و(التاريخ) وغير ذلك، وله مُصَنَّفات مليحة في فُنون عديدة تدلّ على سَعَة علمه وغزارة فضله. وكان من الأئمّة المُجتهدين لم يُقلِّد أحداً، وكان أبو الفرج المُعافى بن زكرياء النَّهْرواني على مذهبه. كان ثِقة في نَقْله، وتاريخُه أصحُّ التواريخ وأثبتُها. وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في **طبقات الفُقَهاء** في جُملة المُجتهدين، وُلِد سَنَة

(1) سَنَة «774»، 12، **كشف الظنون**.

(2) وهذه الأبيات منسوبة إلى الطَّبَري:

إذا أعسرتُ لم يعلم شقيقي وأستغني فيستغني صديقي

حيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي ورِفْقي في مُطالبتي رفيقي

ولو أني سمحتُ ببذل وجهي لكنتُ إلى الغِنَى سهلَ الطريقِ

قال مولانا حسن جلبي في حاشيته على التلويح: يُحكى أنّ محمد بن جرير مكث أربعين سَنَة يكتب في كُلّ يوم أربعين ورقة من تآليفه ـ والطَّبَري نسبة إلى طَبَرِستان.

أربع وعشرين ومائتين بآمل طبرستان، وتُوفّي في السادس والعشرين من شوال سَنَة عشر وثلاث مائة ببغداد.

و«من التواريخ»: تاريخ ابن الأثير الجَزَري، سمّاه **الكامل** وهو كتاب لطيف، وصاحبه عِزّ الدِّين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجَزَري. وهو أحد الإخوة الثلاثة المشهورين بابن الأثير، وقد تقدّم اثنان منهم وهذا عزّ الدِّين. وُلِد بالجزيرة المشهورة بجزيرة ابن عمر (رضي الله عنهما) ونشأ بها، ثُمّ صار إلى المَوْصِل مع أخويه مجد الدِّين أبي السعادات المبارك وضياء الدِّين أبي الفتح نصر الله ووالده محمد. وسكن المَوْصِل وسمع بها، وقَدِم بغداد وسمع من فُضلائها. ثُمّ رحل إلى الشام والقدس وسمع هُناك من جماعة ثُمّ عاد إلى المَوْصِل ولزم بيته مُنْقطعاً إلى التوفُّر على النَّظر في العلم، وكان بيته مجمع فُضلاء المَوْصِل والواردين عليها. وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلَّق به، وحافظاً للتواريخ المُتقدّمة، وخبيراً بأنساب العرب ووقائعهم وأخبارهم وأيامهم. صَنَّف في التاريخ كتاباً كبيراً سمَّاه **الكامل** ابتدأ فيه من أول الزمان إلى أواخر سَنَة ثمانٍ وعشرين وستمائة. وهو من خيار التواريخ. واختصر **كتاب الأنساب** لأبي سعد عبد الكريم بن السِّمْعاني وزاد عليه أشياء واستدرك عليه فيه في مواضع[3]. وله كتاب **أخبار الصحابة** في ستة مُجلّدات، وُلِد في رابع جُمادى الأولى سَنَة خمس وخمسين وخمسمائة، وتُوفّي في شعبان ثلاثين وستمائة.

«ومن التواريخ»: **تاريخ ابن الجَوزي**[4] مُجلّدات، وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن عليّ بن محمد القُرَشي التَّيْمي الصديقي البغدادي، الفقيه الحنبلي، الواعظ، المُلقَّب جمال الدِّين الحافظ. كان علّامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنّف في فُنون عديدة منها **زاد المَسِير في علم التفسير** أربعة أجزاء، أتى فيه بأشياء غريبة. وله في الحديث تصانيف كثيرة، وله

(3) ونبّه على أغاليط وزاد أشياء أهملها، وهو كتاب مُفيد في ثمانية مُجلّدات.

(4) هذه نسبة إلى قرضة الجوز وهو موضع مشهور، 12 هامش.

المُنتظَم في تواريخ الأُمَم وهو كبير. وله **الموضوعات** أورد فيها كلّ حديث، موضوع وكُتُبه أكثر من أن تُعَدّ. يقال: إنه جُمِعت الكراريس التي كتبها وقُسِّمت الكراريس على مُدّة عمره فخصَّ كلّ يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل. ويقال إنه جُمعت بُرادة أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصّل شيء كثير، وأوصى أن يُسخّن بها الماء الذي يُغسل به بعد موته، فَفُعِل فكفَّت وفَضَل منها. وله أشعار كثيرة وأجوبة نادرة، منها: أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السُّنّة والشِّيعة فرضي الكُلّ بجواب الشيخ وهو على الكُرسيّ في مجلس وعظه، فسأله أحد: مَنْ أفضل البشر بعد نبيِّنا محمد ﷺ؟ فقال: من كانت ابنته تحته. ونزل في الحال حتى لا يُراجَع في ذلك فرضي الكُلّ لأن ابنة أبي بكر رضي الله تعالى عنه تحت رسول الله ﷺ وابنة رسول الله ﷺ عند عليّ رضي الله عنه، والكلام يحتملهما، وهذا الجواب لو حصل بعد الفكر التام لكان في غاية الحُسن فضلاً عن البديهة. «ويُحكى» أنه سأله إنسان فقال: ما لنا نرى الكُوز الجديد إذا صُبَّ فيه الماء يَنِشّ ويخرج منه صوت فقال: يشكو ما لاقاه من حَرّ النار. وسُئل إنّ الكوز إذا ملأناه لا يبرد، فإذا نقص برد، فقال حتى تعلموا أنّ الهوى لا يدخل إلا على ناقص. وسئل كيف نُسب قتل الحسين إلى يزيد وهو بدمشق فأنشد:

«شعر»

سَهْمٌ أصابَ، وراميه بذي سلمٍ، مَنْ بالعراق، لقد أبعدت مَرْماك

وله من هذا النوع أجوبة لطيفة. وُلد سَنَة ثمانٍ أو عشرٍ وخمسمائة، وتُوفّي ثاني عشر رمضان سَنَة سبع وتسعين وخمسمائة.

«ومن التواريخ»: **مِرآة الزَّمان** لسِبْط ابن الجَوزي وهو شمس الدِّين أبو المُظفَّر يوسف بن قزاوغلي المشهور، حَنَفي المذهب وله صِيت وسُمعة في مجالس وعظه وقَبول عند المُلوك وغيرهم. روى عن جدّه ببغداد وسمع أبا الفرج بن كُلَيْب وابن طَبَرْزَد، وسمع بالمَوْصِل ودمشق وحدّث بها وبمصر. وله كتاب **إيثار الإنصاف ومنتهى السَّؤول في سيرة الرسول**، **واللوامع في أحاديث المُختصر**

والجامع وتفسير **القرآن العزيز** وصنَّف تاريخاً كبيراً. قال ابن خَلِّكان: رأيته بخطّه في أربعين مُجلّداً سَمَّاه **مرآة الزمان**. قلت: أنا رأيته في ثماني مُجلّدات، لكن في مجلّدات ضِخام وبخطّ دقيق. وتُوفّي في الحادي والعشرين من ذي الحِجّة سَنَة أربع وخمسين وستمائة بدمشق. ومولده في سَنَة إحدى وثمانين وخمسمائة ببغداد، وكان يقول أخبرتني إنّ مولدي سَنَة اثنتين وثمانين رحمه الله تعالى.

و«من التواريخ»: **تاريخ شمس الدِّين** أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلِّكان البَرْمكي الشافعي. كان ذا فضل في كلّ فنّ وكان موصوفاً بكرم الأخلاق والدِّيانة وكان ثِقَة في نَقْله. وصنَّف تاريخاً سمّاه **وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ممّا ثبت بالنقل والسمع أو أثبته العِيان**، ورأيته في خمسة مُجلّدات بخطّه. وكان قاضياً بالقاهرة مُدّة، ذكره في تاريخه، (وُلِد) في يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي ربيع الآخر سَنَة ثمانٍ وستمائة بمدينة إربل بالمدرسة المُظَفَّرية. ذكر تاريخ ولادته نفسه في ترجمة زينب بنت الشعري في آخر الأسامي المذكورة في حرف الزاي، (وتُوفّي) في يوم السبت السادس والعشرين من رجب سَنَة إحدى وثمانين وستمائة بدمشق المحروسة. تفقّه على أبيه بمدينة إربل، ثُمّ انتقل بعد أبيه إلى المَوْصِل. وحضر دُروس الإمام كمال الدِّين بن يونس، ثُمّ انتقل إلى حلب وقرأ النَّحو على أبي البقاء يعيش بن عليّ النَّحوي، والفقه على أبي المحاسن الشيخ بهاء الدِّين يوسف بن شَدّاد. ثُمّ قَدِم دمشق واشتغل على ابن الصلاح، ثُمّ انتقل إلى القاهرة وناب في الحُكم عن قاضي القُضاة بدر الدِّين السِّنْجاري، ثُمّ وُلِّي قضاء المحلّة، ثُمّ وُلِّي قضاء القُضاة بالشام، ثُمّ عُزِل ثُمّ وُلِّيَها ثانياً ثُمّ عُزِل. «ومن مُصنَّفاته» **التاريخ** المشهور، وله في الأدب اليد الطُّولى وشعره أَرَقّ وأحسن وأعذب.

«ومن التواريخ»: **تاريخ ابن حَجَر** مُجلّدتان، وتاريخ آخر له **إنباء الغُمْر في أنباء العُمْر** مُجلّدتان، وله أيضاً **الدُّرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، وهو الإمام العلّامة حافظ العصر قاضي القُضاة شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن الشيخ الإمام علاء الدين عليّ بن حَجَر العَسْقَلاني. تُوفّي بعد العشاء ليلة السبت المُسْفِر صَباحُها عن ثامن عشر ذي الحِجّة سَنَة ثمانٍ وخمسين وثمانمائة. وكان عمره إذ

ذاك تسعة وسبعين سَنَة وأربعة أشهر وعشرة أيام، وصَلَّى عليه خلق كثير مِنْ جُملتهم أبو العباس الخَضِر عليه السلام رآه عِصابة من الأولياء. وكان (مولده) سَنَة ثلاث وسبعين وسبعمائة.

«ومن التواريخ»: **تاريخ صلاح الدِّين الصَّفَدي** وهو بخطّه أكثر من خمسين مُجلّداً، وهو خليل بن أَيْبك الشيخ صلاح الدِّين الصَّفَدي الشافعي الإمام الأديب الناظم الناثر أديب العصر، وُلِد سَنَة تسع وستين وستمائة[5].

وقرأ يسيراً من الفقه والأصلين، وبَرَعَ في الأدب نَظْماً ونَثْراً وكتابة وجَمْعاً، وعُني بالحديث وسمع بالآخرة من جماعة. وقرأ على الشيخ تَقِيّ الدِّين أبي الحسن عليّ بن عبد الكافي السُّبْكي، ولازم الحافظ فتح الدِّين بن سَيِّد الناس وبه تمهَّر في الأدب. وصنَّف الكثير في التاريخ والأدب. وقال كتبتُ أزيد من ست مائة مُجلّد تصنيفاً، مات بالطاعون ليلة عاشر شوال سَنَة أربع وتسعين وسبعمائة.

«ومن التواريخ»: **تاريخ** جلال الدِّين السيوطي رحمه الله تعالى ثلاث مُجلّدات، **وطبقات النُّحاة** له أيضاً مُجلّدان إلى غير ذلك.

«ومن جُملة التواريخ»: **تاريخ الخطيب البغدادي** عشرة مُجلّدات، وهو الحافظ أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب صاحب **تاريخ بغداد** وغيره من المُصنَّفات. كان من الحُفّاظ المُتقنين والعلماء المُتبحِّرين، ولو لم يكن له سوى **التاريخ** لكفاه فإنه يدلّ على اطّلاع عظيم. وصنَّف قريباً من مائة مُصنَّف، وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ. وُلد في جُمادى الآخرة سَنَة اثنين وتسعين وثلاثمائة، (وتُوفّي) يوم الإثنين سابع ذي الحِجّة. وقيل في شَوّال سَنَة ثلاث وستين وأربعمائة. وحمل نعشه أبو إسحاق الشيرازي رحمهما الله تعالى.

«ومن التواريخ»: **ذَيْل تاريخ بغداد** للحافظ مُحِبّ الدِّين بن النجّار فجاء في ثلاثين مُجلّداً، وهو محمد بن محمود بن الحسن بن هِبة الله الحافظ الكبير الثِّقة

---

(5) قال ابن حَجَر ولد سَنَة سبع وتسعين وستمائة.

مُحِبّ الدِّين أبو عبدالله بن النجّار البغدادي. وتاريخه دالٌّ على سَعَة حفظه وعُلوّ شأنه، وله مُصنَّف حافل في مناقب الشافعي رحمه الله. وله تصانيف أُخَر في السُّنَن والأحكام. وُلِد في ذي القِعْدة سَنَة ثمانٍ وسبعين وخمسمائة، وله الرحلة الواسعة إلى الشام ومصر والحجاز ومَرْو وأصبهان وهَراة ونِيسابور. وكانت رحلته سبعاً وعشرين سَنَة، واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ. تُوفّي ببغداد خامس شعبان سَنَة ثلاث وأربعين وستمائة.

«ومن التواريخ»: **تاريخ أبي سعد** السَّمْعاني، وهو تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن المُظفَّر المنصور السَّمْعاني[6] المَرْوَزي الفقيه الشافعي رحمه الله. رحل في طلب العلم والحديث إلى أقطار الأرض وسافر إلى ما وراء النهر وخُراسان وغير ذلك من البلاد. وكان شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ. وصنَّف التصانيف الحسنة منها: **ذيل تاريخ بغداد** لأبي بكر بن الخطيب نحو خمسة عشر مُجلّداً، و**تاريخ مَرْو** يزيد على عشرين مُجلّداً، وكذلك **الأنساب** نحو ثمانية مُجلّدات «واختصره» عزّ الدِّين في ثلاثة مُجلّدات واستدرك عليه. وُلد أبو سعد يوم الإثنين الحادي والعشرين من شعبان سَنَة ست وخمسمائة، وتُوفّي بمَرْو في ليلة غُرّة سَنَة اثنتين وستين وخمسمائة. وكان أبوه وجدّه أيضاً من الفُضلاء العُلماء.

«ومن التواريخ»: **ذيل تاريخ السَّمْعاني** للدُّبَيْثِي[7] بالدال المُهملة والمُوحّدة والمُثنّاة من تحت والمُثلّثة من فوق، قرية بنواحي واسط. وهو أبو عبدالله محمد ابن أبي المعالي الفقيه الشافعي المُؤرّخ الواسطي. سمع الحديث كثيراً وبرع في أسماء الرجال وتاريخ الحافظ، وصنَّف **ذَيْل الذَّيْل** المذكور في ثلاثة مُجلّدات، وصنَّف تاريخاً لواسط. وُلِد في السادس والعشرين من رَجَب سَنَة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة بواسط، وتُوفّي لثمانٍ خَلَوْنَ من ربيع الآخر سَنَة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد.

و«من أَجَلّ التواريخ»: **تاريخ الذَّهبي** ثلاثة كُتُب، صَنَّف **التاريخ الكبير** ثُمّ

(6) السَّمْعاني بفتح السين وسكون الميم نسبة إلى سَمْعان، وهو بطن من تميم.
(7) الدُّبيثِي، بضم الأول وفتح الثالثة وكسر الرابع، نسبة إلى دُبَيْث، وهي قرية.

الأوسط المُسمّى **بالعِبَر** والصغير المُسَمَّى **دُوَل الإسلام**. والذَّهبي هو محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدِّين أبو عبدالله الذَّهبي، مُحدّث العصر، إمام الوجود حفظاً، وذهبي العصر معنىً ولفظاً، وشيخ «الجَرْح والتعديل». ورجل الرجال في كلّ سبيل. وُلد سَنَة ثلاث وسبعين وسبعمائة. وطلب الحديث وهو ابن ثماني عشرة سَنَة، وسمع بدمشق وبمصر وببعلبك وبالإسكندرية. وسمع منه الجمع الكثير وما زال يخدم الحديث حتى رسخت فيه قدمه وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه إلا أنه كان شديد المَيْل إلى آراء الحنابلة كثير الإزراء بأهل السُّنّة، فلذلك لا يُنصفهم في التراجم. وكان كثير الوقيعة في الصوفية. وله التصانيف الجزيلة في الحديث وأسماء الرجال والتواريخ، وقرأ القرآن وأقرأه بالروايات. تُوفّي ليلة الإثنين ثالث ذي القِعْدة سَنَة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة.

«ومن التواريخ»: **كتاب البارع** لأبي عبدالله هارون بن عليّ بن يحيى بن أبي المنصور المُنَجِّم البغدادي الأديب الفاضل. كان حافظاً راوية للأشعار حسن المُنادمة لطيف المُجالسة. صنَّف كتاب **البارع في أخبار الشعراء المُولَّدين**، وجمع مائة وإحدى وستين شاعراً، وافتتحه بذكر بشار بن بُرْد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح. وهو من الكُتُب النفيسة، فإنه يُغني عن دواوين الجماعة الذين مرَّ ذكرهم فإنه مخض أشعارهم وأثبت منها زُبْدَتَها، وترك زَبَدها وهذا الكتاب أصل نسجوا على مِنْواله وسنذكر عدّة ذيل له. وله **كتاب النساء وما جاء فيهنّ من الخبر وما قيل فيهنّ من الشعر**. تُوفّي سَنَة ثمانٍ وثمانين ومائتين، وهو حَدَث السن، والله أعلم.

«ومن التواريخ»: **يتيمة الدهر** للثعالبي، وهو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النِّيسابوري، قال ابن بَسّام في **الذخيرة**: كان رأس المُؤلّفين في زمانه، وإمام المُصنِّفين بحُكْم أقرانه. وله من التواليف **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** وهو أكثر كُتُبه وأحسنها وأجمعها. وهذا الكتاب ذَيْل للكتاب البارع المُقدّم ذكره، وله أيضاً **كتاب فقه اللُّغة وسحر البلاغة ونشر**[8] **البراعة ومن غاب عنه المُطرِب ومونس الوحيد** وشيء كثير، جمع فيها أشعار

(8) سر البلاغة، 12 كشف.

الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم وفيها دلالة على اطّلاعه، وله أشعار كثيرة، وُلد سَنَة خمسين وثلاثمائة، وتُوفّي في سَنَة تسع وعشرين وأربعمائة.

«ومن التواريخ»: **دُمية القصر** للباخَرْزي(9)، وهو أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ بن أبي الطَّيّب الباخَرْزي الشاعر المشهور. تَفَقَّه أولاً على والد إمام الحرمين الشيخ أبي محمد الجُوَيْني على مذهب الشافعي رحمه الله. ثم شرع في فنّ الكتابة وغلب أدبه على فقهه. واختلف إلى ديوان الرسائل وارتفعت به الأحوال وانخفضت، ورأى من الدهر العجائب سفر أو حضر أو عمل الشعر وسمع الحديث. وصنَّف كتاب **دُمْية القصر في عصرة أهل العصر** وهو ذَيْل **يتيمة الدَّهر** للثعالبي، وجمع فيها خَلْقاً كثيراً. وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن عليّ بن زيد البَيْهَقي كتاباً سماه **وِشاح الدُمية** وهو كالذَّيْل له. قُتل الباخَرْزي في مجلس الأُنس بباخَرْز، وهي من نواحي نِيسابور في ذي القِعْدة سَنَة سبع وستين(10) وأربعمائة، وذهب دمه هدراً.

«ومن التواريخ»: **زينة الدَّهر** للحَظِيْري(11)، وهو أبو المعالي سعد بن عليّ بن القاسم الأنصاري الخَزْرَجي الورّاق الحَظِيري المعروف بدلّال الكُتُب. كانت لديه معارف، وله نَظْم جيد وألَّف مجاميع ما قَصَّر فيها. منها **كتاب زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر ألطاف شعراء العصر** الذي ذيَّله على **دُمية القصر** للباخَرْزي، جمع فيه جماعة كثيرة من أهل عصره من تقدّمهم وأورد لكلّ واحد طَرَفاً من أحواله وشيئاً من شعره. وقد ذكره العماد الكاتب في **الخريدة** وكان مُطلّاً على أشعار الناس وأحوالهم، وله **كتاب لُمَح المُلَح** يدلّ على كثرة اطّلاعه. تُوفّي يوم الإثنين(12) الخامس والعشرين أو الخامس عشر من صَفَر سَنَة ثمانٍ وستين وخمسمائة ببغداد.

---

(9) الباخَرْزي بفتح الباء الموحدة والخاء المعجمة وبعدها زاي منقوطة نسبة إلى باخرْز، هي ناحية من نواحي نيسابور.

(10) 461 ـ 12 كشف.

(11) الحَظِيري بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وبعدها ياء ساكنة نسبة إلى حَظِيْرة، هي موضع فوق بغداد.

(12) ودفن بمقبرة باب حرب.

«ومن التواريخ»: **تاريخ خريدة القصر وجريدة العصر** للعِماد الأصبهاني، وهو أبو عبدالله محمد بن صَفِيّ الدِّين أبو الفرج محمد بن نفيس الدِّين أبو الرجاء حامد، المُلقَّب عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني. كان فقيهاً شافعي المذهب تَفَقَّه بالمدرسة النّظامية وأتقن الخلاف وفُنون الأدب، وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه. وكان قد نشأ بأصبهان وقَدِم بغداد في حداثته وتَفَقَّه بها وسمع الحديث، وكان سيِّئ الحال أولاً، ثم بلغ الرِّفعة عند السلطان صلاح الدِّين ونور الدِّين محمود بن أتابك زَنْكي، وتَقَلَّبت به الأحوال إلى أن عَظُم أمره وصار رَخِيّ البال. وصنَّف التصانيف النافعة منها **كتاب خريدة القصر وجريدة العصر** وجعله ذَيْلاً على **زِينة الدهر** للحَظِيري وجعله في عشرة مُجلّدات ولم يترك إلا النادر الخامل، وصنَّف **كتاب البَرْق الشامي** في سبعة مُجلّدات وهو تاريخ، وله كتاب **الفَتْح القُسّي في الفتح القُدْسِي**[13] في مُجلّدين، وصنَّف **السَّيْل على الذَّيْل** جعله ذَيْلاً على **خريدة القصر**، وله **ديوان رسائل وديوان شعر** وكانت بينه وبين القاضي الفاضل[14] مُكاتبات. منها ما يُحْكَى أنه لقيه يوماً وهو راكب على فَرَس فقال له: سِرْ فلا كبا بك الفَرَس. فقال له الفاضل: دام علاء العماد. وكلٌّ منهما يُقرأ مقلوباً مُستوياً. ولم يزل العماد على مكانه ورفعة منزله، إلى أن تُوفّي السلطان صلاح الدِّين فاختلَّت أحواله، وتَقَطَّعت أوصاله. ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف. وُلد يوم الإثنين ثاني جُمادى الآخرة أو في شعبان سَنَة عشرة وخمسمائة بأصبهان، وتُوفّي يوم الإثنين مُستهلّ رمضان سَنَة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق.

«ومن التواريخ»: **تاريخ** قاضي القُضاة العَيْني، وهو على ما حُكي في ستين مُجلّدة، وهو محمود بن أحمد بن موسى العَيْنتابي الحَنَفي العلّامة قاضي القُضاة بدر الدين العَيْني. (وُلِد) في رمضان سَنَة اثنتين وستين وسبعمائة بعَيْن تاب، ونشأ بها وتّفقه واشتغل بالفنون وبرع ومهر ووُلِّي قضاء الحَنَفية بالقاهرة، وكان إماماً

---

(13) وذكره صاحب **كشف الظنون** في الفتح القُسّي، فليُراجع 12.

(14) وهو أبو الفضل كمال الدِّين محمد بن الشَّهْرَزُوري المدبّر لدولة نور الدِّين محمود بن زِنكي، طاب ثراهما، 12 هامش.

عالماً علّامة عارفاً بالعربية والتصريف وغيرهما، حافظاً للُّغة كثير الاستعمال لحواشيها، سريع الكتابة، عمّر مدرسة بقرب الجامع الأزهر ووقف كُتُبه بها. وأما نَظْمه، فَمُنْحَطٌّ إلى الغاية وربما يأتي به بلا وزن. وله **شرح البخاري والشواهد الكبير والصغير وشرح معاني الآثار وشرح الكنز وشرح المجمع وشرح عروض الساوي وطبقات الحَنَفية وطبقات الشُعراء ومُختصر تاريخ ابن عساكر وشرح الهداية في الفقه وشرح دُرَر البحار وتاريخه الكبير** المذكور، وكان بينه وبين شيخ الإسلام ابن حَجَر مُنافسة، ولما وقعت منارة المُؤيّدية، وكان العَيْني شيخ الحديث بها، قال ابن حَجَر:

«شعر»

لجامع مولانا المُؤَيَّد رَوْنقٌ ... منارته بالحُسْن تزهو وبالزَّيْنِ
يقول وقد مالت عليهم تمهَّلوا ... فليس على هدمي أضرّ من العَيْنِ

(مات) في ذي الحِجّة سَنَة خمس وخمسين وثمانمائة.

«ومن التواريخ»: **تاريخ** الحافظ ابن عساكر سبعة وخمسون مُجلّداً. وهو الحافظ أبو القاسم عليّ بن أبي محمد الحسن بن هِبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي المُلقَّب ثقة الدِّين. كان مُحَدِّث الشام ومن أعيان الفُقَهاء الشافعية، غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتَّفِق لغيره، ورحل وطَوَّف وجاب البلاد ولقي المشائخ. وكان رفيق الحافظ أبي سعد السَّمْعاني في الرحلة، وكان حافظاً دَيِّناً جمع بين معرفة المُتُون والأسانيد. سمع ببغداد ثُمّ رحل إلى دمشق ثُمّ إلى خُراسان ونيسابور وهَراة وأَصْبَهان، وصَنَّفَ التصانيف المفيدة. صنّف **التاريخ الكبير** لدمشق في ثمانين مُجلّدة بخطّه، أتى فيه بالعجائب حتى قيل إنه لعلّه جمع هذا منذ عَقِلَ نفسه، وإلا فالعمر لا يتسع لوضعه بعد الاشتغال والتنبُّه، (وله) تواليف حسنة غير هذا. وله شعر لا بأس به. وُلِد في أول المُحَرَّم سَنَة تسع وتسعين وأربعمائة، وتُوفّي في الحادي عشر من رجب سَنَة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق[15].

---

(15) وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدِّين، 12، **أبجد العلوم**.

«ومن التواريخ»: **تاريخ مصر** لأبي سعيد عبد الرحمن بن أبي الحسن أحمد المُحَدِّث المؤرِّخ المصري. كان خبيراً بأحوال الناس ومُطَّلعاً على تواريخهم عارفاً بما يقول، جمع لمصر تاريخين (أحدهما) «كبير» لأهله، (والآخر) «صغير» للغُرَباء، «وقد ذَيَّلَهما» أبو القاسم يحيى بن عليّ الحضرمي. وُلِد عبد الرحمن سَنَة إحدى وثمانين ومائتين، وتوفي سَنَة سبع وأربعين وثلاثمائة.

(ومن أصحّ) التواريخ وأحسنها وألطفها لوُروده بعبارات عَذْبة وأنفعها للناس لاشتماله على المُهِمّات **تاريخ اليافعي** مُجلّدتان كبيرتان، وهو عبدالله بن أسعد بن عليّ اليماني الشافعي الرجل الصالح ومُحِبّ الصلحاء وخادم أولياء الله المناضل عنهم والمُنافح عن شأنهم، صاحب المُصنَّفات الكثيرة الشهيرة وكلّ تصانيفه نافع في بابه، (وله) **النَّظْم الكبير** لا سِيَّما مدح سيدنا ونبيِّنا محمد ﷺ. ومن لطيف مُصنَّفاته **مصباح الظلام في المُستغيثين بخير الأنام** وكتاب **روض الرياحين في حكايات الصالحين**، وكلّ تصانيفه حسن. وبالجُملة، هو رجل مبارك عزيز الوجود. فَرْد زمانه. ونادرة أوانه. أشعري العقيدة والسالك طريقة الصوفية السادة، والمُعاشر مع أهل الخير والزُّهد والصلاح. قال ابن السُّبكي في **طبقاته الكبرى**: اجتمعتُ به في مِنى سَنَة سبع وأربعين وسبعمائة، وتُوفّي بمكّة في جمادى الأولى سَنَة سبع وستين وسبعمائة، رَوَّحَ الله رُوحَه وزاد في أعلى الجنة فُتُوحَه.

«وكُتُب التواريخ» أكثر من أن تُحْصَى، لكن إنْ فزتَ بما ذُكر فُزتَ المرام. وإن أردت التوغّل فيه، فعليك بكتاب **مُروج الذهب** للمسعودي، **وأخبار الزمان** له أيضاً، **وبُستان التواريخ ونوادر الأخبار ومعادن الذهب وعُيون التواريخ** ستة مُجلّدات، **وزُبدة الفكرة وتاريخ المعارف** لابن قُتَيْبة، **ونصاب الأعيان والجواهر المُضيئة في طبقات الحَنَفية والطبقات الكبرى** الشافعية لابن السُّبْكي **وتاريخ النُحاة** للسيوطي، **وتاريخ الحُكماء**، لصاعد **وتاريخ صِوان الحكمة** وغير ذلك. (ومنها) **تاريخ حلب** للكمال ابن العديم عشرة مُجلّدات سَمّاه **بُغْية الطَّلب في تاريخ حلب**، **وتاريخ نِيسابور** للحافظ أبي عبدالله الحاكم ستة مجلّدات، والذيل عليه المُسَمَّى بـ **السياق** لعبد الغافر الفارسي مُجلّد، **وتاريخ أصبهان** للحافظ أبي نُعَيْم

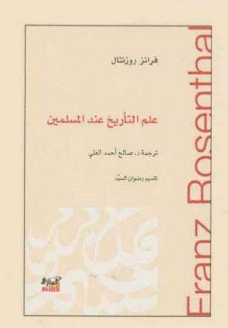
مُجلّد، وتاريخ **بَلْخ** مُجلّد، وتاريخ **إِرْبل** لأبي البركات ابن المُستوفي أربعة مُجلّدات، وتاريخ **قزوين** للرافعي، وتاريخ **عُلماء الأندلس** لأبي الوليد بن الفَرَضي مُجلّد، و**الصِّلة** عليه لقاسم بن بَشْكُوال مُجلّد، و**صِلة الصِّلة** لأبي جعفر بن الزبير مُجلّدات، و**الذَّيل والتَّكملة على الموصول**، و**الصِّلة** لابن عبد الملك تسعة مُجلّدات، وتاريخ **الأندلس** لأبي عبدالله محمد بن نصر الحُمَيْدي مجلّد، و**رَيحانة الأنفس في عُلماء الأندلس** لابن عات[16] مُجلّد، و**المُغرِب في حُلى المَغْرب** لعليّ بن سعيد الأندلسي ستة مجلّدات، و**الإحاطة في تاريخ غَرْناطة** للسان الدِّين ابن الخطيب ثلاثة مُجلّدات، وتاريخ **اليمن** للجَنَدي مُجلّد، وللخَزْرَجي مُجلّدات، وتاريخ **مكة** للحافظ تقي الدِّين الفاسي ثلاثة مُجلّدات، و**الطالع السعيد في تاريخ الصعيد** للكمال الأُدفوي مُجلّد. وأما التواريخ في لسان الفُرْس، فأكثر من أن تُحصى، لكنا تركنا ذكرها للاستغناء بما ذكرناه عنها.

---

(16) لابن القات، 12 **كشف الظنون**.

فهرس الأعلام

المحتويات



علم التأريخ عند المسلمين

«.. إن أفكار الرسول التاريخية نشّطت دراسة التاريخ نشاطاً لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض، أموراً ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول كانت خطاً فاصلاً واضحاً في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي المتأخر هذا الخط أبداً.

ومن الدوافع العملية لدراسة التاريخ توافر المادة التاريخية والقصص التاريخي في القرآن، مما دفع المفسرين إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه، وقد أصبح الاهتمام بالمادة التاريخية، على مرّ الزمن، أحد فروع المعرفة المرتبطة بالقرآن.

وتبقى حقيقة هي أن الرسول نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتماماً واسعاً بالتاريخ، وقد نحا المدافعون عن الإسلام فيما بعد نحواً من التعليل لا أساس له في التاريخ، ولكنه كان ملائماً، عندما اعتبروا معرفة الرسول بتاريخ الماضي (والمستقبل) كإحدى المعجزات التي تثبت نبوته..».

فرانز روزنتال

«.. يرجع اهتمام أوروبا بدراسة اللغة والثقافة العربية إلى أواخر العصور الوسطى، حيث كانت دراسة العلوم العربية من أهم أسباب حركة الإحياء والنهضة الفكرية في أوروبا. وقد قاموا بنشر عدد كبير من كتب التاريخ العربية، وكتب أخرى تتناول جوانب كثيرة من الحضارة العربية، نشراً علمياً دقيقاً، كما اهتموا بجميع المواد الأولية، والوثائق الأصلية لدراسة التاريخ، من نقود وأوراق بردي، فضلاً عن الحفريات التي قاموا بها في عدد كبير من مراكز الحضارة الإسلامية، يضاف إلى ذلك أن المستشرقين بحكم نشوئهم في أوروبا حيث تقدمت دراسة التاريخ بأساليبها وآفاقها كانت لهم نظرة أوسع، فاهتموا بجوانب متعددة من التاريخ الإسلامي وأظهر بعضهم عمقاً في التحليل وإصابة في التعليل، ونضجاً في الأحكام. ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أن المستشرقين ليسوا جميعاً في سوية واحدة في النشاط بالعمل أو في الدقة بالبحث، أو في التجرد من الهوى عند الدراسة، لأن الأعلام منهم قلة».

د. صالح أحمد العلي

موضوع الكتاب **تاريخ إسلامي**

ISBN 9959-29-387-4





موقعنا على الإنترنت
www.oeabooks.com